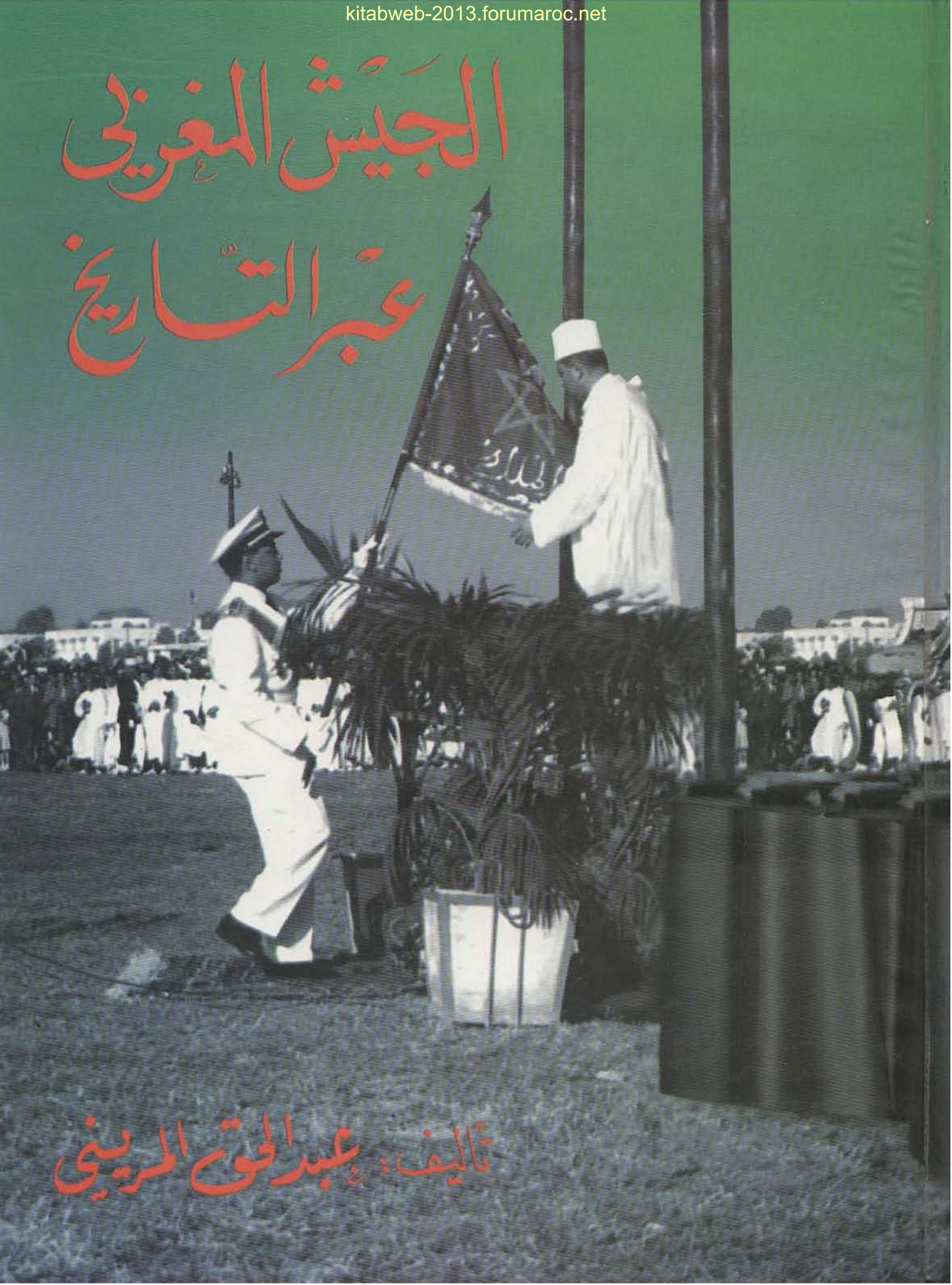
الجيش المغربي عبر التاريخ



تأليف: عبد الحق المريني

عبد الحق المريني

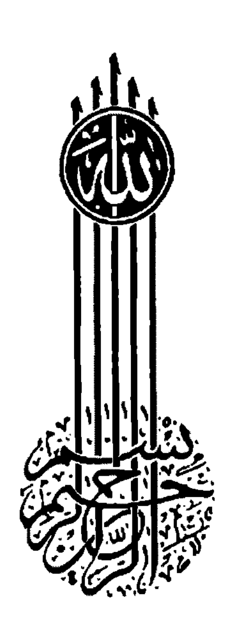


(جائزة المغرب لسنة 1968)

الطبعة الخامسة

طبعة جديدة ومنقحة ومراجعة ومزيد فيها





الإيداع القانوني 1997/672
-مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

-1997-

الإهداء

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

يسعدني أن أقدم هذا الكتاب إلى أبطال الجيش المغربي الخالدين وإلى أرواح شهدائنا الأبرار في كل مكان.

«من كان له تاريخ مثل تاريخ المغرب لا يمكنه ان يخرج عن الطريق أو يزيغ عن السبيل»

«الحسن الثاني»

«الشعب المغربي شعب تاريخي.... لان تاريخه قديم ولأنه يمارس تاريخه ولأن ممارسته لتاريخه أدت به إلى أن يصنع تاريخه... لقد كان المغاربة أينما كانوا وأينما وجدوا جنديا واحدا وقائدا واحدا وضابط صف واحد كيفما كانت نوعيتهم وجهاتهم ولهجاتهم...»

«الحسن الثاني»

«فالشعب المغربي منذ ان وجد صهر وتربى في التحديات وفي الاطماع وفي الدفاع عن النفس وعن المستقبل ذلك لان الله سبحانه وتعالى حينما قرر ان يكون الشعب المغربي في المغرب الاقصى يحيط به بحران وتحيط به صحاري كان الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم قد قرر في اللوح المحفوظ ان يجعل الشعب القوي في المكان الصعب الحيوي».

«الحسن الثاني»

تمهيد

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على القائد الرسول وسيد القادات

أما بعد :

لقد وجدت فراغا بخزانتنا المغربية في موضوع التاريخ العسكري المغربي الذي لم يعره بعض مؤرخينا كثيرا من الاهتمام، فأخذت على عاتقي البحث في هذا الجانب الهام من تاريخنا المجيد وأتيت فيه بدراسة لا أقول عنها وافية بل مازال موضوعنا في حاجة إلى كثير من الباحثين والمؤرخين وأصحاب الخبرة في الفنون العسكرية ليكتبوا حوله دراسات شاملة ناضجة [1].

وحسبي أن أبدأ وأقدم لطلاب معاهدنا العسكرية وضباط وجنود قواتنا المسلحة الملكية والمهتمين بالتاريخ الحربي والعسكري للمغرب هذا الكتاب المتواضع آملا أن يكون حلقة وصل بين ماضي جيشنا الزاهر وحاضره الباسم ويظهر لجنود المغرب في الحرب وجنوده في السلم أن مبدأنا الخالد وهدفنا المقدس كان ولن يزال هو : الله - الوطن - الملك.

---

(1) كان أول كتاب ألف عن الجيش المغربي على ما يبدو باللغة الفرنسية هو كتاب :
L'Armée Marocaine من تأليف Charles René Leclerc (الجزائر 1905)

- وأنجز طبيب فرنسي - كان يزاول مهامه الطبية ببلاط الحسن الأول - ويدعى Lamartinière بحثا تحت عنوان : "Souvenirs du Maroc" تحدث فيه من بين ما تحدث عن نظام الجيش المغربي في العهد الحسني الأول.
- وكتب مجهول الإسم (x) في مجلة "L'Armé de l'Afrique" (عدد يناير 1924) عن : "l'Histoire Militaire du MAROC 1907-1923"
- وخصص عبد الحميد بن أبي زيان بنشنهو في كتابه : «البيان المطرب لنظام حكومة المغرب» فصلا عن « الجيش المغربي» (ص : 38-41) - مطبعة الأمنية الرباط - 1951 م.
- وصدر للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله كتاب : «الجيش المغربي عبر العصور» (الرباط 1406هـ - 1986م) جمع فيه المؤلف كافة بحوثه وعروضه ومقالاته التي أنجزها عن الجيش المغربي، وأضاف إليها «معجما عسكريا» لجميع الوقائع والمعارك والقلاع والأبراج والحصون والمخازن وأنواع الأسلحة والتجهيزات العسكرية التي عرفها الجيش المغربي منذ نشأة الدولة الإدريسية حتى العهد الإسماعيلي.

وألف : « الجيش والأسطول ودورهما الحضاري بالمغرب» باللغة الفرنسية (تحت الطبع) و «الجيش والأسطول عبر العصور» (دراسة مسهبة مع مسردين ألفبائيين حول النظام الملاحي بالمغرب منذ عهد المرابطين (تحت الطبع).

كما صدرت له خمس روايات تاريخية حول معارك الزلاقة والأرك بالأندلس ووادي المخازن وتحرير طنجة وحرب الريف (طبعة دارالنجاح - بيروت 1973).

- وكتب عبد الله العمراني عن الحياة العسكرية في العهد الإسماعيلي في الفصل الخامس من كتابه : «مولاي اسماعيل بن الشريف - حياته - سياسته - مآثره» - 1978.

- وكتب محمد بن الحسن الحجوي في مذكراته : « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » عن المؤسسة العسكرية المغربية في أوائل القرن العشرين متحدثا عن التأطير والتكوين العسكري وتسليح الجيش، وانعدام الإنضباط في سلوك الجيش، وعن العناية بشؤونه وعن الصحة العسكرية ـ تقديم وتعليق محمد الصغير الخلوفي (مطبعة المعارف الجديدة ـ 1994).
- وتحتوي عدة مؤلفات فرنسية وعربية على فصول هامة تتناول التاريخ للجيش المغربي مثل :

- "Au temps des Mehallas" de Dr Louis Arnaud (1952)

عرب محمد ناجي بن عمر الفصل المتعلق بتاريخ الجيش المغربي تحت عنوان : "الواقع السياسي والعسكري في مغرب منتصف القرن الماضي – ولاية سيدي محمد بن عبد الرحمان – الجيش المغربي حوالي 1870 "، ونشره بجريدة أنوال (5-10-1995).

- "Au Seuil du Maroc Moderne" de Dr Wusberg

(تحدث فيه عن مكونات الجيش المغربي وعن مؤونته وعن الطب العسكري)

- "Le Maroc Moderne" de Jules Erkmann (Paris 1985)
- "Moha ou Hamou le Zayani " de François Beyer (1929)
- "Les origines du Maroc Français de St René Taillandier.
- "Le Maroc d'Aujourd'hui de Aubin
- "Voyage au Maroc" de Segnozac (Paris 1963)

(تحدث فيه هذا الرحالة عن كيفية تخييم الجيش المغربي وأنواع أسلحته ورتبه العسكرية وعن سلوك الجيوش المخزنية في القبائل التي يحتلونها)

"Historique du Premier Regiment de Tirailleurs Marocains : 1914-1947 du colonel G. Spillman

"Lyautey, maréchal de France 1854-1934" du Général, Durosoy (Episodes de la Guerre du Rif = la Bataille de l'Ouergha)

Le Maroc de l'avènement de My Abdelaziz à 1912 : لعبد الله صعر

(l'art de la guerre à travers les ecrits d'auteurs marocains au cours du XIXè siècle) - (Université d'Eté Mohammedia 1987)

مذكرات حياة وجهاد لمحمد حسن الوزاني – الجيش المغربي في الحرب العالمية الثانية – (ج6) – فرنسا والمشكلة العسكرية في المغرب (ج 3).

"Le Memorial du Maroc" l'Effort de guerre du Maroc dans la seconde guerre mondiale - T 6.

"تاريخ الحركة الوطنية" لعبد الكريم غلاب – حرب الرمال المستمرة (ج 2).

- ومن الرسائل الجامعية التي تناولت موضوع الجيش المغربي ما ياتي :
- فقد كتب j. Wilfrid Rollman رسالته الجامعية في موضوع :

"The New order in a Précolonial-Muslim societey - Military Reform in Morocco" (1844-1904) University of Michigan Press (1983)

(النظام الجديد في المجتمع الإسلامي لما قبل الاستعمار، الإصلاح العسكري في المغرب (19041844-)

- ونال Pierre Callet دبلوم الدراسات العليا في موضوع :

"Les officiers des Affaires Indigènes du Maroc (Paris 1973)

- وكتب Kubas-Mardis موضوع دكتوراة السلك الثالث حول :

"Les Aspects Militaires et Politiques de la participation du Sud Marocain de 1990 à 1934" (Poitiers 1984)

- وأحرزت الباحثة "Patricia Ann Mercer" على دكتورتها من جامعة لندن سنة 1974 م في موضوع : «التطورات السياسية والعسكرية بالمغرب خلال العهد العلوي الأول» (1659-1727)

(Political and Military Developments withim Morocco During the Eurly Alawi Period)

وللباحثة Magali Morsy دراسة هامة عن تاريخ التنظيم العسكري الإسماعيلي بعنوان : «مولاي إسماعيل والجيش المحترف» (Moulay Smaïl et l'armée de metier) (Revue d'histoire moderne et contemporaine) نشرتها سنة 1976م، وضمنتها أهم المعلومات المتوفرة عن الفرق العسكرية للجيش المغربي الإسماعيلي ووظائفها إداريا وعسكريا.

- وأحرز «مايرز» Allan Richard Meyers على شهادته الجامعية من جامعة كورنل (1974) في موضوع : «عبيد البخاري : جنود جهاز الدولة من التأسيس إلى عام 1790م

(The Abid-l-Buhari : Slave soldiers and statecraft in Morocco 1672-1790 - Cornell University Michigan - 1985)

- وكتب لحسن الغزادي أطروحة السلك الثالث في موضوع :

"L'oeuvre Militaire de Moulay Ismaïl (Aix-1970)

- وكتب " Magali Chapert" أطروحته حول ضباط البعثة العسكرية الفرنسية (جامعة السوربون)
- وكتب مصطفى الشابي عن "النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر.

- وعرب أحمد التوفيق مبحث : (الجيش المغربي والجهود المخزنية في تحديثه وتنظيمه منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى عهد السلطان مولاي الحسن ومن خلال رصد مكونات هذا الجيش ومصاريفه ومؤطريه وأدواره وحركاته). (سلسلة رسائل وأطروحات رقم 26 منشورات كلية الآداب بالرباط).
- وأحرز محمد الغماري على شهادة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ من جامعة باريز (2) سنة 1975 في موضوع :
"Armée et Politique au Maroc"
- ونال محمد الطاهري دكتوراة الدولة من جامعة فيد لبرج الألمانية في موضوع : «شعر الحرب في عهد الموحدين (1990).
- وقدم كمال الزيدي أطروحته في نهاية دراسته بمدرسة "Ecole du Louvre" حول موضوع فني وتاريخي "Les Armes Marocaines et leurs accessoires"
- ونال المدرس المصري محمد محمد زغروت رسالة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في موضوع : «الجيش في عهد المرابطين والموحدين»
- وكتبت الأستاذة ثريا برادة رسالتها لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ في موضوع : «الجيش المغربي وتطوره في القرن 19(مساهمة في دراسة الإصطلاحات العسكرية) من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس (أبريل 1984)
- ونالت الأستاذة بهيجة سيمو من جامعة السوربون شهادة دكتوراه السلك الثالث في التاريخ (يناير 1987) في موضوع :
"L'Islah au Maroc : Les Reformes Militaires au Maroc de 1844 à 1912"
طبعت الأطروحة كلية الآداب بالرباط (سلسلة الأطروحات رقم 28-1995) تحت عنوان :
"Les Reformes Militaires au Maroc de 1844 à 1912"
- وناقش الأستاذ محمد المهناوي بكلية الآداب بفاس (يونيه 1988) رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ حول موضوع : «أثر السلاح الناري في تاريخ المغرب السعدي» (أو السلاح الناري بمغرب السعديين).
- وناقش محمد المهناوي بكلية الآداب بوجدة أطروحته الجامعية لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ حول موضوع : "التنظيم العسكري وعلاقته بالسلطة والمجتمع في العهد العلوي الأول» (1996)
- ونال محمد بكراوي من جامعة "Aix en PROVENCE" بفرنسا دكتوراة الدولة في موضوع : «المغرب والحرب العالمية الأولى (1914-1920)» (شتنبر 1988)، وتحدث في الفصل الثالث من أطروحته عن مشاركة الجنود المغاربة في هذه الحرب.
- واشتغل مصطفى الشابي لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ في موضوع : «الجيش المغربي في القرن التاسع عشر (1212-1830)» (كلية الآداب بالرباط) ؛ والسيد محمد بيقي لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ في موضوع : «الجيش المغربي في عهد الموحدين» (كلية الاداب بالرباط).
- ونال حسن أميلي دبلوم دراسة العليا في موضوع : "الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17" (1989).
- ونال محمد القرقري دبلوم الدراسات العليا في العلوم الاسلامية من دار الحديث الحسنية (أبريل 1994) في موضوع «العلماء والصوفية في معركة وادي المخازن».
- وقد أنجزت في بحوث الإجازة في التاريخ المواضيع التالية :
«الجيش المغربي في عهد السلطان مولاي اسماعيل» لخالد الذرعي ـ كلية الآداب بالرباط (1985)؛ إصلاح الجيش في عهد المولى الحسن لنجاة حمصي ـ كلية الآداب بمراكش (1987)؛ التنظيمات الإدارية والعسكرية في عهد الدولة المرابطية لعبد الكريم آيت عكي ؛ دور الجيش الإسماعيلي في الأزمة الكبرى (27-1757) لسعاد حضار كلية الاداب بمراكش (1986). دور الأسرة البخارية في الجهاز المخزني (من خلال اتحاف أعلام الناس) لجميلة الدرجي ـ كلية الاداب بمراكش (1987).
- وعن المقاومة أنجزت بعض الرسائل الجامعية في المواضيع التالية :
«المغرب من المقاومة للتغلغل السلمي إلى حركة التحرر الوطني» (1845-1958) للدكتور زكي مبارك
«المقاومة الجبلية والاستعمار الإسباني» لأحمد أمهدرها
«حرب تطوان 1859-1860 للحسين بوشامة.
«الاستعمار الإسباني والمقاومة الوطنية في شمال المغرب (1912-1962)» لعثمان بناني
«حرب تطوان وانعكاساتها على المغرب لعاطف جمال
«الوطاسيون والاحتلال الأيبيري لسواحل المغرب 1471-1554» لعبد الحي بنيس
- ومن الدراسات التي أنجزت عن القوات المسلحة الملكية باللغة الفرنسية :
- André Ammour : "les FAR et le Trône Marocain" - Etudes Mediterranéennes n° 8 -1960
- Meric Gol : "l'Armée Marocaine depuis l'Independance" - Europe FRANCE outre - Mer- Paris n° 401- juin 1963
-"Histoire des Grands Services Publics du Maroc de 1900 à 1970" par une équipe d'universitairses marocains et Français. Chap = l'Administration de la Defense Nationale du Maroc de Mohamed Ghomari (Université des Sciences de Toulouse - 1984)
- Maurice Fougerouse : "Le Maroc, Vocations et Réalités" - la Defence p.369 (Fondation Singer - Polignac) Paris 1987
- Attilio Gaudio : "Guerres et Paix au Maroc Reportages" 1950-1990 Paris 1991

- وصدر لوزارة الأنباء والسياحة سنة 1957م كتيب باللغة الفرنسية عن «نشاطات القوات المسلحة الملكية» في الميدانين العسكري والمدني.
- وكتب أحمد عبد السلام البقالي عن قصة انطلاقة جيش التحرير المغربي : "مثلث الموت" (1992).
- وأعد محمد الطنجاوي : "من الزلاقة إلى الجولان" مطبعة الأنباء.
- كما أنجز السيد حميد السملالي باللغة العربية « قصص معارك المغرب التاريخية» للأطفال من الفتح الإسلامي إلى حرب الريف ومعارك آيت باعمران (12 جزء) (دار الثقافة ـ الدار البيضاء).
- ومن المقالات الصحفية التي أنجزت عن الجيش المغربي وتطوره وأسلحته عبر تاريخه :

Michaux Bellaire E : l'organisme marocain revue du Monde Musulman n° 9-1909)

نظام الجيش المغربي (بحث نشر بجريدة السعادة سنة 1908)

الجيش المغربي قبل الحماية لمصطفى خروفي ترجمة محمد بلوط

سلاح المدفعية في عهد الدولة العلوية للقبطان : أ. م(مجلة القوات المسلحة الملكية)

الجيش المغربي في عهد الموحدين وبن مرين لابراهيم حركات

تنظيم الجيش في العهد العلوي قبل الحماية لابراهيم حركات (دعوة الحق)

الجيش المغربي عبر الأجيال للتهامي الوزاني

صناعة الأسلحة بالمغرب لمحمد المنوني (دعوة الحق ـ 1970)

تنظيم الجيش البخاري في عهد المولى اسماعيل لمحمد بن عبد العزيز الدباغ (دعوة الحق)

جيش المغرب لعبد المجيد بنجلون

تطور الجيش المغربي في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان لحسن السائح

ملاحم الجيش المغربي لعبد القادر القادري.

"الأسطول المغربي عبر التاريخ" للدكتور عبد الهادي التازي (مجلة البحث العلمي - عدد 33)

- وتحدث المهدي بنونة في مذكراته (المغرب السنوات الحرجة) عن تأسيس القوات المسلحة الملكية ومهمتها في سيناء والجولان.

- الظاهرة العسكرية في تاريخ المغرب لمحمد زنيبر - (البلاغ عدد 138-1986).

مذكرة ضابط في الجيش المخزني لابن خلدون الصغير (الأنباء ـ 1969)

التدابير العسكرية بمكناس في القرن 19 لمحمد اللحية (السفير 1986)

الجهاد البحري في عهد سيدي محمد بن عبد الله لمحمد رزوق (دعوة الحق)

التنظيم العسكري في عهد المولى اسماعيل (إشكالية المصدر) لمحمد المهناوي (دراسات تاريخية مهداة لجرمان عياش منشورات كلية الآداب بالرباط). (العلم الثقافي 29-5-93)

- "Aspects de la contribution du Maroc à la première guerre mondiale" كتبه محمد بكراوي ضمن : "Memorial Germain Ayache" - منشورات كلية الآداب

- "Avec les Soldats marocains 39-45" - (بحث نشر في عدة حلقات بجريدة L'opinion)

-"La Stratégie marocaine des Murs" (Revue Britanique : "Défense Attaché" - Juin 1987)

- أدب المقاومة والإبداع الشعري في معركة أنوال لإدريس أبايا (جريدة بيان اليوم 23-5-1995)
- وقد أنجز المركز الجامعي للبحث العلمي (نشرات بيانية Bulletin Signaletique

(3 Fasicules - n° 4 (1971), n° 5 (1972), n° 6 (1973)

وهي عبارة عن قائمة ببليوغرافية عن تاريخ المغرب القديم والوسيط والحديث.

ووردت ضمن هذه القائمة مجموعة من المراجع الأجنبية (الفرنسية والإسبانية) حول التاريخ السياسي والعسكري للمغرب في مختلف عصوره.

- ويحتوي أرشيف ايكس آن بروفنس (Centre des Archives d'outre mer-Aix en Provence) على ذخيرة وثائقية هامة تشتمل فيما تشتمل على مجموعات من الوثائق والملفات (تحت رقم: S/S 30-31-32-H Maroc)

وتضم معلومات وافرة وغنية حول أحداث ووقائع القرن 19 وجزء هام من القرن 20، وعدة قضايا هامة من بينها قضايا السلاح والتسليح بالمغرب.

- وأقيم يوم دراسي بكلية الآداب بوجدة حول «الجهاد البحري والقرصنة» بمدرج الزياني (فبراير 1994).
- كما أقيمت ندوة مغربية - أوروبية حول "الجيش المغربي عبر التاريخ" (أكتوبر 1994) أعدتها مجلة "Maroc Europe" تحت إشراف السيد الطيب هابي.

وقد نشرت العروض التي ألقيت فيها بمجلة Maroc Europe عدد : 7. (1994).

من أهمها عرض : المؤرخ الفرنسي :

"De l'Histoire Militaire du Maroc de l'Armée Traditionnelle au F.A.R" : Jean- Louis Miège.

- وأقيم معرض بمدينة "بوردو" الفرنسية تحت شعار : "المغاربة وتحرير فرنسا" بالمركز الوطني الفرنسي "جان مولان" وذلك بمناسبة الذكرى الخمسينية لتحرير فرنسا (14 نونبر 1994) وساهم في هذا المعرض : "متحف الكوم" "بمونسورو" ومتحف المشاة "بمونبولي". وضم هذا المعرض صورا ووثائق وأشياء رمزية تتعلق بمسار الجنود المغاربة خلال الحرب العالمية الثانية وقتالهم الى جانب فرنسا.

كلمة المرشال محمد مزيان

حضرة الأستاذ :

وبعد، إن مبدأ إصدار كتاب حول تاريخ المغرب بصفة عامة، وتاريخ الجيش المغربي بصفة خاصة فكرة مستحسنة، تستحق كل تأييد وتشجيع، وإن تحقيقها يعتبر واجبا مقدسا في عنق كل كاتب مغربي أو مؤرخ يشعر شعورا عميقا بحاجة بلاده إلى من يعرف بتاريخنا الحافل بجلائل الأحداث وعظائم الأمور وبالدورالذي لعبه المغاربة الأشاوس عبر مختلف الأزمنة والعصور في رقي البشرية وازدهار العمران.

فالمغرب في الحقيقة والواقع في حاجة إلى كتابة تاريخه من جديد بطريقة غير الطريقة التي اعتاد التحدث عنه بها المؤرخون الأجانب الذين لم ينصفوه في يوم ما، إذ أنهم لم يحدثونا بإنصاف عن تاريخ المغرب الحقيقي ليس في عهد الرومان فحسب، بل وحتى وقبل العهد الروماني بكثير، فأين حديثهم عن «هانيبال» البطل القرطاجي المشهور الذي سير جيشا عظيما اخترق اسبانيا وفرنسا وعبر الجبال الألب حتى وصل إلى شمال إيطاليا، فكان عملا حربيا لم يشهد التاريخ أبدع ولا أحكم منه وانتصر على الرومان عدة مرات ؟ وهل وافاه المؤرخون حقه وأعطوا لتاريخه ومواقفه ما يستحقه من عناية واهتمام ؟ ثم انه لا ينبغي لنا أن ننسى أيضا أن طارق بن زياد الذي فتح شبه الجزيرة الأيبيرية كان ذلك بفضل المغاربة الأشاوس الذين كان يتألف منهم جيشه، ثم ألم يكن الفضل الأكبر في تدعيم الوجود العربي بالبلاد الإسبانية خلال ثمانية قرون يرجع إلى المغاربة، ثمانية قرون لم تكن بالفترة الهينة التي يستهان بها، والتي حارب المغاربة خلالها كلا من الرومانيين والإسبانيين على السواء برباطة جأش وشجاعة نادرة المثال.

على أنه إذا كان المؤرخون الأجانب لم ينصفوا التاريخ، ولم ينقلوا إلى الأجيال المتعاقبة أخبار أولئك الأبطال بأمانة واخلاص، فمن واجب الكتاب والمؤرخين المعاصرين الذين يعنيهم الأمر، ولاسيما المغاربة أن ينصفوا بلادهم بانصاف أجدادهم أولئك الأبطال المغاوير الذين دوخوا الأمم والأقطار وكان لصيتهم صدى بعيد المدى داخل بلادهم وخارج حدودها.

لذا يتعين على النخبة الواعية المثقفة الشاعرة بمسؤولياتها في هذا الميدان، أن تعير هذا الموضوع حقه من العناية والاهتمام وذلك بكتابة تاريخ جديد بكيفية تظهر معها الحقائق التي لازال يجهلها الكثيرون منا والتي طالما عمل المؤرخون المغرضون على طمسها أحيانا، وتشويهها أحيانا أخرى، حسب مطامعهم وأهوائهم.

نعم، فكرة إصدار كتاب حول تاريخ المغرب، بصفة عامة وتاريخ الجيش المغربي بصفة خاصة - لأن كلا منهما متمم للآخر - فكرة ينبغي أن تأخذ منا كل اهتمام وعناية، وهي تحتاج إلى دراسة عميقة وعناية خاصة من لدن الكتاب والمؤرخين من أبناء البلاد، وإلى تضافر جهود الباحثين والمنقبين لنقل الحقائق بأمانة ونزاهة إلى أجيالنا الصاعدة.

وإذا كانت لنا كلمة نقولها حول مؤلفكم المذكور، فلن تخرج عن أنها كلمة تشجيع وتأييد حيث كان لكم قصب السبق في إظهار بعض تلك الحقائق إلى حيز الوجود.

ولا يسعنا إلا أن نبارك لكم هذا المجهود المحمود الذي بدلتموه ونتمنى لكم كل نجاح وتوفيق لاسيما حول موضوع عظيم الأهمية بالنسبة لتاريخ المغرب الحربي كتاريخ الجيش المغربي، ونرجو أن يكون مؤلفكم نواة مؤلفات أخرى نرجو أن تظهر في المستقبل حول هذا الموضوع تفي بالغرض المطلوب، وما ذلك على همة العاملين المخلصين بعزيز.

إمضاء : المرشال محمد مزيان

المقدمة

مما يفخر به المغرب أن يكون من بين أقطار العالم التي تميزت منذ أحقاب التاريخ الموغلة في القدم بحدودها الواضحة وكيانها المتميز من عهد القرطاجنيين والفينقيين والرومانيين، ولقد ازدادت هاته الحقيقة رسوخا من عهد أول دولة إسلامية في المغرب وهي دولة الأدارسة، حيث استقرت حدود المملكة منذ ذلك الحين.

ولم تكن مهمة الجيش المغربي محصورة في حماية حدود المغرب ودفع المغيرين بل كانت بالإضافة إلى ذلك حمل رسالة الإسلام ونشرها والذود عن حياضها، فمن المغرب خرج الجيش الإسلامي إلى الأندلس ونشر فيه دعوة الإسلام، ثم بقي حارسا لهذه الرسالة يهب لنجدة المسلمين في الأندلس، أيام المرابطين والموحين والمرينيين، وواجه بذلك مسؤوليته الإسلامية أمام أوروبا، ووقف حائلا بينها وبين التسرب والنفاذ إلى بلاد الإسلام، بذلك سد الطريق أمام الدول الأوروبية القوية إذ ذاك وهي إسبانيا وانجلترا والبرتغال.

وفي الحروب الصليبية التي تعرض لها الشرق العربي في القرنين الحادي عشروالثاني عشر استطاع الأسطول المغربي أن يسد منافذ البحر الأطلسي أمام الزاحفين على الشرق العربي، وأن يدخل في معارك في البحر المتوسط، كانت من أسباب تفتيت قوة الصليبيين، بحيث يعتبر المؤرخون أن الجيش المغربي كان الدرع الذي حمى الإسلام والمسلمين في الشرق في العصور الوسطى وبداية عصر النهضة الأوروبية، ولم تنس الدول الغربية هذه المواقف البطولية الخالدة للجيش المغربي فشنت حملات انتقامية ضده لتحطم أسطوله وتحتل شواطئه، وكانت اسبانيا والبرتغال أكبر دولتين أوربيتين احتلتا شواطئ المغرب من سبتة إلى أكادير تطبيقا لخطة واسعة تستمد أسبابها من فكرة الحروب الصليبية وغايتها إضعاف معنوية الشعب، ولكن هذه المحن أظهرت مدى الالتحام القائم بين الشعب والعرش والجيش، بحيث كان الجيش بمثابة نصل السكين الذي يمثل الشعب قبضتها الحازمة القوية، فما من معركة خاضها الجيش إلا وكان الشعب من ورائه يرابط بجانب مواقعه ليمده بالقوة المعنوية والتأييد الفعال.

وبهذا التضامن الذي ربط الجيش والشعب استطاع الجيش المغربي أن يحقق انتصارات تاريخية على الدول المغيرة، ولعل من أبرز هذه الانتصارات صمود الجيش أمام الدول الغربية في معارك الزلاقة ووادي المخازن وتطوان حيث تمكن من إنزال هزيمة نكراء بالمغيرين الذين كانوا يتفوقون على الجيش المغربي في العدة والعدد ولكن وجود الشعب ظهيرا للجيش مكنه من صد المعتدين.

وإن المغرب ليستطيع أن يعتز بتقاليد جيشه التي تنحدر إليه عبر القرون ويفتخر بتنظيماته التي أدهشت كثيرا من الخبراء العسكريين في الماضي، ويكفي أن تعرف أن عدد أفراد الجيش كان في عهد المولى إسماعيل مائتي ألف جندي بالإضافة إلى ستين ألفا من الخيالة، ولا تستطيع دولة في ذلك الوقت أن يكون لها هذا الجيش اللجب دون أن يكون له قادة ماهرون وضباط مقتدرون، وتنظيم دقيق يحافظ على وحدته وتماسكه وفاعليته.

والشجاعة النادرة والنظام الدقيق اللذان توارثهما الجيش المغربي عبد التاريخ هما اللذان مكناه من الصمود أمام الغزو الفرنسي قرابة مائة عام، فمنذ احتلت فرنسا الجزائر عام 1830 والجيش المغربي في معارك مستمرة ضد الجيش الفرنسي بقوته وعتاده وخبرته دفاعا عن حرية القطر الشقيق وصيانة لسيادة بلاده واستقلالها إلى غاية سنة 1934.

إن هذه التقاليد الراسخة هي التي تجمع اليوم كذلك العرش والجيش وهذا ما يفسر لنا الرمز الخالد الذي يتخذه الجيش شعارا له : الله - الوطن - الملك.

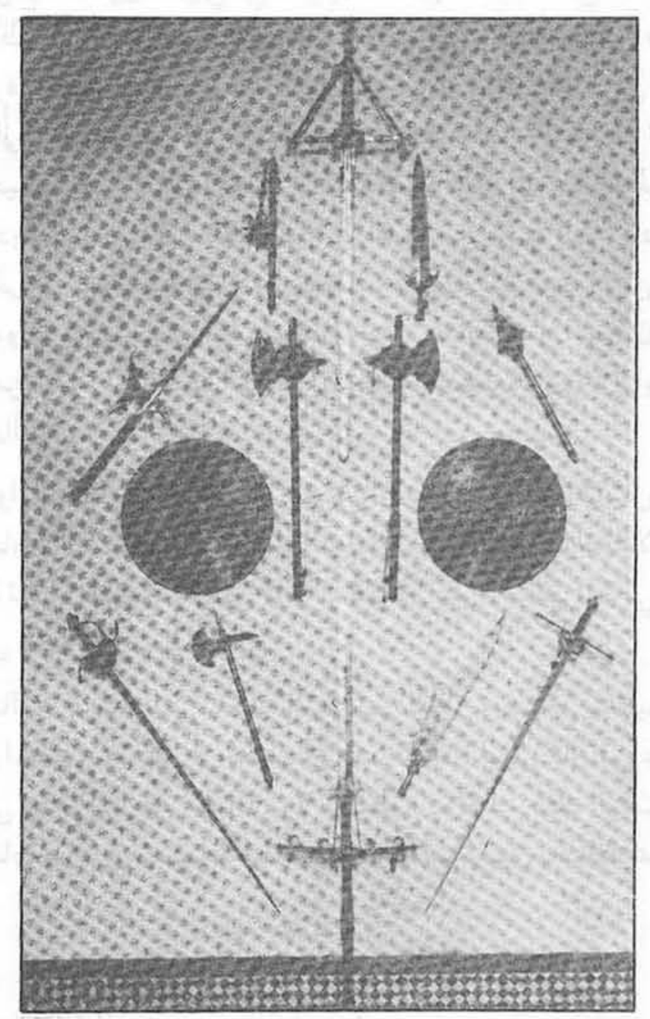
ولقد أخذ السيد عبد الحق المريني على عاتقه مهمة كشف الجوانب التي كانت خافية أو غامضة في تاريخ الجيش المغربي، فوضع كتابه هذا عن الجيش المغربي عبر التاريخ، والذي يعتبر أول محاولة جادة في كشف الحقائق وتجليتها كي يطلع المواطنون على تاريخ أمجادهم وبطولاتهم.

وإني لأرجو أن يكون عمله الجليل هذا خطوة أولى في سبيل ربط ماضي الجيش المغربي المليء بالبطولات بعهده الزاهر الذي يحمل فيه بقيادة وحنكة جلالة الملك الحسن الثاني عبء المساهمة الفعالة في تعمير البلاد، والدفاع عن حوزتها وحقوقها التي تثبتها الحجج التاريخية وإرادة السكان والمعاهدات الدولية.

حرر بالرباط في فاتح يونيه 1967

محمد الشرقاوي

وزير الدفاع الوطني



الجيش المغربي في فجر التاريخ

اتفق المؤرخون الذين كتبوا عن تاريخ المغرب القديم والحديث على أن كل أمة سولت لها نفسها الاستيلاء على بلاد المغرب الأقصى إلا واصطدمت باستماتة قوية في الدفاع وجابهت بطولة منفردة في البسالة والتضحية. فقد اشتهر أهلها قبل الميلاد بالقوة والشدة. من ذلك أن الملك المغربي «أطلس» فكر ألف عام قبل الميلاد في غزو بلاد «البرد والشياطين» (أوروبا).

ولم يستطع الرومان في بدء التاريخ أن يحتلوا الشواطئ المغربية (ساحل موريتانيا) إلا بعد سنوات طويلة من المقاومة الشديدة، وكانوا كلما توغلوا داخل التراب المغربي إلا ولجأ المغاربة إلى الجبال والأماكن الوعرة وشنوا عليهم منها الغارات. «ولقد تواردت كتائب مختلفة رومانية على المغرب في عمليات عارضة ولكنها لم تستقر في مركز معلوم بخلاف المراكز الأفريقية الأخرى. ولهذا كان الرومان يحصنون المدن خوفا من الغارات البربرية». وقد حاصروا وليلي وأحدقوا بها سورا تعلوه أبراج وتنفذ إلى داخله أبواب شاهقة. ولم يعثر لحد الآن في المغرب على أي قلعة عسكرية رومانية[1].

وقد اشتهر «باكفراس» كقائد من قادة البرابرة الذين أبوا الخضوع للرومان. فقد حارب الاحتلال الروماني مدة سبع سنين. «وقاد الملك «غرمول» الثورة ضد البزنطيين خمسة عشر سنة»، و «قد حاول أن يفتح فرنسا قبل مولد الرسول»[2] (صلعم)، ولكنه اصطدم بجبال «البرنية» بعد أن اجتاز البوغاز في قوارب قرطاجية. واشتهر جيش «بكار» في بداية القرن الثالث قبل الميلاد وكان من أقوى الجيوش في ذلك العصر وكانت أهم مراكزه في «طنجة» و «شالة»[3].

وبعد موت يوغورطا على يد الرومانيين «تولى على ملك المغرب رجال عظام مثل بوغود وباخوس[4] وجوبا الأول وجوبا الثاني. وكان جيش جوبا II[5] يضم 100.000 رجل و 30.000 فارس و 250 فيلا». وكان جنود هؤلاء القادة - يحاربون - في أغلب الأحيان على متن الخيل مسلحين بالحراب وبسيوف قصار وبالتروس والدبابيس والهراوات والمدقات (المناجل). وكان يحتمي المشاة منهم بجلود الفيلة ويتسربلون بجلود الأسد والفهد والدب[6]. وكانوا بارعين في فن الرماية. وقد ثبت أن كثيرا من المرتزقة المغاربة عملوا في أساطيل القرطاجنيين[7]. وكان للرومان منشآت عسكرية بموريطانيا الطنجية وذلك للدفاع عن المناطق التي توجد بها مواردهم الإقتصادية والزراعية ومراكزهم الاستراتيجية. وكانت هذه المعسكرات توجد بشبه الجزيرة الطنجية (كلوكوس مثلا) وبناحية تطوان (كتمودا) وبناحية طنجة (كالبنيان) وبناحية لوكسوس وبمنطقة سهل الغرب (كسوق أربعاء الغرب) وبمنطقة وليلي[8].

وقد كان للمغرب القديم (ق 2، ق. م.) أسطول درب رجاله القرطاجنيون لمحاربة الرومان وتصحبهم الفيلة لإرهاب العدو إذ كانت تقوم في المعارك مقام «الدبابات».

ولما كان البرابرة الأشاوس متشبثين بالروح الاستقلالية والغيرة على بلادهم قاوموا بكل مالديهم من قوة رسل الإسلام الفاتحين. وكان على رأس هؤلاء المقاومين الأمير «كسيلة» الذي طرد العرب من المغرب

وأخضع الرومانيين وكون دولة مغربية بقوة السيف. ثم خلفته الملكة الداهية « الكاهنة » التي قادت الجيش المغربي بنفسها وطردت المسلمين الفاتحين من المغرب ومن افريقية بعد معارك حامية الوطيس. ويحدثنا «ابن عذاري» عن معركة قامت بينها وبين القائد العربي حسان بن النعمان[9] فيقول : «ولما بلغ الكاهنة خبر الفاتح العربي رحلت من الجبل في عدد لا يحصى ولا يبلغ بالاستقصا، وسبقته إلى مدينة «باغاية» فأخرجت منها الروم وهدمتها وظنت أن حسانا يريد مدينة ليحتصن بها منها. فبلغ خبرها حسانا فنزل بوادي «سكتاتة» فرحلت الكاهنة حتى نزلت على الوادي المذكور فكان هو يشرب من أعلى الوادي وهي من أسفله، فلما أصبح الصباح التقى الجمعان فتقاتلا قتالا لم يسمع بمثله وصبر الفريقان صبرا لم ينسب أحد إلى بعض فضلا عن كله إلى أن انهزم حسان بن النعمان ومن معه من المسلمين الشجعان وقتلت الكاهنة العرب وأسرت ثمانين رجلا من أعيان أصحابه». وقد بقيت «جان دارك» المغرب تحكم المغرب مدة عشر سنوات إلي أن لقيت حتفها في معركة ثانية ضد حسان[10].

دور الجيش المغربي في الفتوحات الإسلامية :

ولم يقض على شوكة البرابرة الأشداء إلا موسى بن نصير الذي - بعد ما صفا له الجو - نظم منهم جيشا جرارا وجعل على رأسه القائد الفارس والبطل المغربي طارق بن زياد ثم أمره أن يفتح الأندلس فعبر طارق البوغاز الفاصل بين العدوتين فيما يقرب من 1500 جندي بربري ومعهم عدد قليل من العرب، ودخل طارق اسبانيا فاتحا ومنتصرا بعد معارك كثيرة. فدارت بينه وبين ملك القوط لذريق معركة وادي لكة سنة (92 هـ - 711 م) ودامت ثمانية أيام التحم فيها الجيشان في قتال عنيف سقط فيها الملك القوطي صريعا. وكان الجنود المسلمون يحملون فوق رؤوسهم العمائم البيض وبأيديهم العصي والسيوف والرماح. وبعد هذه المعركة التي تعرف «بمعركة فتح الأندلس» تم النصر لطارق ولم يستطع بعدها الجيش القوطي أن يجتمع كقوة حربية. وبعد أن توافدت على الأندلس جماعات من الجنود البربر والعرب وانضمت إلى الجيش النظامي، قسم طارق جيشه إلى أربعة أقسام ووجه حملة إلى قرطبة وثانية إلى غرناطة وثالثة إلى مالقة ورابعة إلى طليطلة عاصمة القوط، وقد نجح طارق في خطته تمام النجاح. تم تلاقى طارق بموسى بن نصير وفتحا معا أقاليم أرغونة وقشتالة وسرقسطة وبرشلونة ثم سارا حتى بلغا جبال البرانس، فتم بذلك فتح الجزيرة عدا الأقاليم الجبلية[11] وبفتح الاندلس - الذي هز أباطرة الروم الذين كانوا يسيطرون على حوض البحر الأبيض المتوسط ويعتبرونه بحيرة عربية - أصبح النصف الغربي من هذا الحوض بحيرة إسلامية. ولم تقف أطماع موسى عند جبال البرانس بل عزم على مواصلة الفتوح في جنوب فرنسا على أن يتجه شرقا حتى يصل إلى القسطنطينية التي عجز العرب عن فتحها من ناحية الشرق وبذلك يجعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية[12]. ففي سنة 711م مثلا انطلقت من نربونة وأفينيون جيوش طارق بن زياد وفتحت ليون.

وكيفما كان الأمر فقد أهدى الجيش المغربي لدولة الإسلام الفتية قطعة من أوربا وبرهن بهذا الانتصار على شديد قوته وحسن تنظيمه وضخامة تجهيزه[13]، ومهد الطريق لوفود المهاجرين من العرب والبربر لدخول الأندلس، وأصبح البربر فيما بعد يكونون جزءا هاما من جيش الأندلس.

ولم تحل سنة 210 هـ حتى ثار البربر ثورة ضد العرب بقيادة مسيرة المدغري أولا وخالد بن حميد الزناتي ثانيا واستردوا بذلك استقلالهم[14]، وجهزوا جيوشهم من جديد وحصنوا مدنهم بالمراكز الدفاعية

طارق بن زياد يقطع مضيق جبل طارق كما تخيله بعض الرسامين

وأبراج المراقبة كما فعل الرومان عند تحصين امبراطوريتهم. وتكونت بالبلاد إمارات وممالك مثل مملكة برغواطة وبني مدرار والنكور. وتأسس بكل إمارة جيش محلي. وكان جيش برغواطة أقوى جيش وطني تأسس بالمغرب منذ أربعة قرون بعد الفتح الإسلامي[15].

وفي عهد هشام بن عبد الملك والي الأندلس نظم الفاتح عبد الرحمان الغافقي جيشا أغلبيته من البرابرة وتوجه إلى فتح بلاد أوروبية ثانية ألا وهي فرنسا سنة 732 م. وأثناء الفتح استولى على «بوردو» و«ليون» ووصلت ساريته إلى «صانص». ولم يبق بينه وبين باريز إلا مسافة قليلة ولكنه استشهد في معركة **«بلاط الشهداء»**[16]. وعن هذه المعركة يقول السيد نور الدين بن محمود في بحث له عن «فتح العرب لفرنسا وما وراء جبال البرانس» : «لما نشبت الفتنة بين العرب والبربر وبالأندلس استقدم عقبة وإلى الأندلس جنده المتوغل بغاليا (La Gaule) (أي الأرض الكبيرة)... ودام الاستعداد من الجانبين ثمانية أيام... ثم بدأت المعركة ببلدة «تور» وانتهت «ببواتيي». واستخدم «شارل المطرقة» دهاءه وفتن الفاتحين بالهجوم على مستودع لهم على حين غرة فإذا بالفاتحين يتخلون عن مواقعهم ويهرعون ذودا عما اكتسبوه من مغنم. وأدرك قائدهم عبد الرحمان الغافقي حرج الموقف فركب جواده وفرق الصفوف فأصابه سهم فاتك ولما انتشر خبر وفاته انسحب الفاتحون ليلا» ولم يجرؤ على ملاحقتهم شارل كما وعد بذلك حليفه Le Duc d'Aquitaine الذي انهزم على ضفاف نهر « الدردوني»[17].

وبعد خمس سنوات من معركة «بلاط الشهداء» حصل لقاء ثاني بين شارل والفاتحين. فصد الفاتحون شارل عن دخول «نربونة» و «أفنيون» وردوا جيشه مدحورا سنة 737م.

والخلاصة أن الجيش المغربي كان المساعد الأول للتوسع العربي في شمال أوروبا[18] «وظهرت أهمية المغرب كقطر إسلامي وأصبح القاعدة الأمامية لنشر الإسلام، وخرجت منها الجيوش الإسلامية وفتحت شبه الجزيرة الأيبيرية ثم عبرت البرانس وانساحت في جنوبي فرنسا وسويسرة وإيطاليا وصقلية ومالطة وغيرها من جزائر الحوض الغربي من البحر المتوسط» ... «من أجل الإلتحاق بقسطنطينة من خلف الحصون البحرية، تلك الحصون التي عجزت عن دكها أساطيل الأمويين بالشام والعباسيين في بغداد في حملات متلاحقة لم يكتب لها الفوز».

«ويكون أنبل ما يسجل لهذا الجيش الباسل في مختلف فترات الفتح تلك العاطفة الدينية المتأججة التي كانت تحدوه في حملاته ومواقفه البطولية سواء في الداخل أو الخارج. ولولا هذه العاطفة العميقة لما تمكن الفاتحون العرب من اقتلاع جذور المسيحية من أوساط المغرب ولما نجحت حملة الأندلس ». ولم يفز هذا الجيش بالنصر لكثرة جنوده أو بدقة نظامه وإنما للتضحية والشجاعة النادرة. فهي التي أقدرتهم على أن يواجهوا قوات أوفى منهم سلاحا وأدق منهم نظاما.

الأساليب الحربية للجيش البربري :

بعد هذه المعارك التي خاضها الجيش « البربري» المغربي يستخلص أن البربر كانوا يجتمعون في حالة النفير في موضع ما يعينه لهم رئيس القبيلة. ويكون لكل قبيلة راية بلون خاص تتجمع حولها، ويعسكرون في معسكر صالح للدفاع عنه في جميع الجهات، فيه ما يكفي من الماء للشرب وسقي المواشي



والأنعام، ويحرصون على السيطرة الكاملة على مصادر المياه - وإذا اقترب البربر من العدو نظموا خطتهم بموجب المعلومات التي حصلوا عليها بواسطة دوريات الإستطلاع. وإذا اختار القائد خطة الهجوم خرج الفرسان «للمناجزة» أي المبارزة لرفع معنويات الجنود.

وأسلوب قتال البربر هو أسلوب الكر والفر. ويقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح مشاة وفرسانا مقبلين مدبرين. وفي حالة النصر تطارد قوات البربر العدو مطاردة شديدة للاستيلاء على الغنائم والأسلاب والأسرى. وكانو يهتمون بخط رجعتهم حرصا منهم على الانسحاب إلى أماكن أمينة في حالة اندحارهم.

وكان البربر يرعون الأسرى رعاية فائقة، من ذلك أن الكاهنة أسرت ثمانين رجلا من جيش حسان بن النعمان فأحسنت أسرهم. وإذا وجدوا أنفسهم أضعف من أن يقاوموا العدو قاتل قائدهم حتى يقتل ولكنه ينصح رجاله بطلب الأمان. من ذلك أن الكاهنة التي قاتلت الفاتح حسان بن النعمان قدرت أن لا تستطيع مقاومة المسلمين في أول أمرها فطلبت من البربر أن يستأمنوا. ولعل أبرز ما يحسنه البربر من فنون الحرب هو الغارات نظرا لتيسر الخيول المدربة وسرعة حركتهم وقابليتهم الممتازة على المسيرات الطويلة[19].

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ج 1 ص 57

(2) تاريخ الاحتلال الوندالي لافريقيا ليانوسكي.

(3) لما كان للرومانيين نظام عسكري محكم طبع حياتهم بالنظام والقسوة والقوة تركوا آثارا بارزة في الميادين الحربية العسكرية حيث اقتبس المغاربة منهم اهتمامهم بالقوة العسكرية وتنظيم الحماية وأسلوب الحرب ووحدة القيادة وإحكام تنظيم الصفوف وطريقة حفر الخنادق واستعمال الأسطول في الغزوات البحرية (الحسن السائح الحضارة المغربية عبر التاريخ «ج. 1 ص 87).

(4) محمد أحمد الغربي : تاريخ المغرب القديم - جريدة الأنباء - 3 مارس 1973.

(5) كان الأمير البربري يوبلا II (25 ق.م.- 24 ب.م.) فنانا وعالما ولاه الإمبراطور «أغستيس» مملكة موريطانيا القيصرية، وتزوج ابنة الملك كيلو باطرة الشهير واهتم بتطويق مدنه : تنجيس - تمودة - لوكسوس - نباسة - وليلي - سلا.

(6) من بين الصور المنحوتة على صخور بعض جبال الأطلس توجد صور لبعض المحاربين مسلحين بخناجر وحرب وهراوات، وعربات عسكرية بعجلات من حجر.

(7) د. ابراهيم حركات : الجيش المغربي - مجلة اللقاء عدد : 9.

(8) للمزيد من التفاصيل انظر مقالا عن المنشآت العسكرية الرومانية لمولاي رشيد مصطفى مجلة البحث العلمي عدد 34-1984م، وكتاب René cagnat " l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs." :
(2-edi) Paris 1913.

(9) تم الفتح الإسلامي للمغرب الأقصى على يد :
- عقبة بن نافع الفهري الذي بدأ زحفه من طنجة إلى آسفي. ولما وصل إلى البحر وأدخل قوائم فرسه في الماء قال : «يارب لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك !»
- وزهير بن قيس البلوي مكسر شوكة قبيلة أوربة المقاومة وقاتل «كسيلة المقاوم البربري في معركة ضارية».
- وحسان بن النعمان الغساني الذي تولى القضاء الفعلي على المقاومة للروم والبربر.
- وموسى بن نصير مجدد فتح المغرب الأقصى وفاتح الأندلس.
وقد استطاع هؤلاء القادة الفاتحين أن يجعلوا من قبائل المغرب أداة عسكرية فعالة لنشر الإسلام في المغرب والأندلس وجنوب فرنسا.
(انظر تفاصيل فتوحات العرب للمغرب في كتاب : قادة الفتح الإسلامي - المغرب العربي للواء الركن محمود شيت خطاب ج 1 و 2 دار الفكر لبنان).

(10) بين الدكتور عباس الجراري بعض الصعوبات التي اعترضت الفاتحين في كتابة «الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» ص. 44 ذلك إنه لم يتم فتح المغرب في عهد عمد بن الخطاب نظرا لبعد المسافة وصعوبة تعزيز الجيش وإمداده بالمؤن، وقد تم فتح المغرب على مرحلتين : مرحلة أولى على يد عقبة ابن نافع الذي واجه معارضة البربر بزعامة كسيلة والكاهنة، والثانية على يد موسى بن نصير الذي استطاع السيطرة على المقاومة الداخلية وإشراك البرابرة في فتح الأندلس.

وقد بدأ المغاربة يدخلون الدين الجديد لما لمسوه فيه من عدل ومساواة. وكان ميلهم أكثر إلى المذهب الخارجي الذي وافق طبيعتهم الإستقلالية. «فأصبحوا من أنجد الدعاة للدين الإسلامي، وأحمى أنصاره وجاهدوا في سبيله الجهاد الأكبر».
ويقول الأستاذ محمد شفيق في كتابه «لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين» ص 43 في هذا الموضوع. «كان من الطبيعي أن ينظر الأمازيغيون إلى الفاتحين الأول نظرة المغزو للغازي ... فلا غرابة أن ينهض الأهالي لرد ما يرونه هجوما استعماريا من النوع الذي كان لهم به سابق عهد، وبعد الإصطدامات الأولى تحركت ديناميكية الحرب وقويت عند الجانبين كليهما إرادة الإنتقام والأخذ بالثأر، واستمر الوضع على هذه الحال قرنا كاملا، أي من عهد الغزوات الأولى التي كانت تنطلق من مصر (ابن عبد الحكم) إلى معركة «الأشراف» فمعركة «بكدورة» (من حوالي 20 هـ 640 م إلى 123 هـ 741م) اللتين حسمتا النزاع وخلصتا المغرب نهائيا من النفوذ السياسي المشرقي. ومن هذا المنظور ينبغي أن يفهم دور كل من كسيلة في مقاومة عقبة بن نافع وداهيا (التي لقبها العرب بالكاهنة) في تصديها لجيوش حسان بن النعمان، وميسرة ثم عبد الحميد الزناتي في مواجهتهما للجيش الأموي».
وقد كتب المرحوم ابراهيم الكتاني عرضا عن كتاب : «تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي» للدكتور خالد جاسم الجنابي الذي صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية فتحدث المؤلف الجنابي فيما تحدث عن مساهمة البربر مع العرب في استكمال تحرير أفريقية والأندلس وتوطيد أركان الإسلام هناك، (انظر العرض في مجلة الأكاديمية دجنبر 1958 وفي كتاب «العلامة المجاهد محمد ابراهيم بن أحمد الكتاني - حياة علم وجهاد - ص 290).

(11) فخطة الغزو هذه كانت موضوعة ومدبرة تدبيرا محكما وهي كما شاهدنا تشبه حركة الكماشة والملقاط كما تسمى في التكتيك الحربي الحديث. طارق يسير من طريق وموسى يسير من طريق آخر مقابل وتنتهي حركة التطويق عند العاصمة نفسها (د. أم. العبادي صورة لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس).

(12) الصاغ أركان الحرب جمال الدين حماد : معارك الإسلام الكبرى ص : 144. وكانت الجيوش العربية تأمل أن تحول شاطىء البحر الأبيض المتوسط الشمالي إلى رقعة عربية تصل وطن العروبة وأرض حضارتها من الأندلس إلى الشام بالسيف والفكر معا. ففي سنة 809م فتح العرب واحتلوا جزر كورسيكا وسردينيا (810م) وكريت (825م) وبدأوا فتح جزيرة صقلية سنة 872م واحتلوا جزيرة مالطة سنة 870م. وبعد هذا الاحتلال للجزر الأروبية بدأت الأساطيل العربية تهدد الشواطىء الأوروبية. ولكن نهضت الكنيسة الكاثوليكية لقيادة أوروبا في زحف لرد الهجومات العربية وإطفاء المنارات الفكرية العربية (د. محمد عمارة : "بالفروسية كسر العرب شوكة الصليبيين" - مجلة العربي عدد 217، (1967). وتقول مؤلفة كتاب "مجاهد العامري" باختصار : منذ ابتداء القرن 19 كان العرب يسيطرون على جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية وسردانية وكورسيكا وجزر البليار، وبذلك حول العرب حوض البحر الأبيض المتوسط من حوض لاتيني إلى حوض إسلامي شرقي. وكان للجيش الأندلسي الدور الطلائعي في فتح هذه الجزر. ولم يفقد العرب هذه الجزر إلا بعد الخلافات التي جرت بين الأمويين والعباسيين. وقد لعب القائد مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط (ق : 5 هـ)دورا كبيرا في القيام بغزوات على شواطىء فرنسا وقطلونية وإيطاليا وفتح جزر البالبار وسردانيا (قد وصل النفوذ المرابطي والموحدي إلى جزر البليار، ولم يطرد المسلمون منها إلا في عهد "صاحب أرغونة" سنة 637 هـ). وواصل العامري فتحه الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط حتى استولى على بيزا وجنوا، ولكن البابا استردهما منه سنة 1016م. (كليليا تشركو : "مجاهد العامري" قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط في ق 5 هـ مصر 1961).

(13) لقد امتاز البربر والعرب أيضا قبل غيرهم بمآت السنين بإتقانهم الأساليب التكتيكية كخفة حركة والمفاجأة وتهييئ الكمائن حتى عد عباقرة الفتوحات العربية كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص في صف الغزاة العالميين مثل قيصر والإسكندر وهانيبال ونابليون ... ويعد فتح الأندلس هذا من أهم الغزوات الإسلامية السابقة واللاحقة كغزوة بدر والقادسية واليرموك ومصر والمغرب ودمياط والمنصورة وعين جالوت ...

(14) بقي البربر متسمين بعدائهم لكل دخيل حتى أن نابليون بونابارت عزم على غزوهم ولكن عدل عن ذلك لشدة بأسهم ومناعة أرضهم.

(15) د. إبراهيم حركات : الجيش المغربي - مجلة اللقاء - عدد 9.

(16) وتقول مصادر أخرى في هذا الموضوع :
«بعد أن استولى عبد الرحمان الغافقي على بوردو واتجه نحو تور فلما علم بمقدم شارل مارتل وكان العرب حينئذ مثقلين بغنائمهم لدرجة أنهم كانوا يتقدمون بمشقة كبيرة فكر عبد الرحمان في التراجع نحو «بواتييه». ولما رأى شارل مارتل يتبعه عن قرب صمم أخيرا على مقاتلته، فدارت بينهما معركة حاسمة غير أن عند المساء انفصل جزء من جيش الفرنج واتجه نحو معسكر المسلمين، فترك المسلمون ميدان المعركة بغيرنظام ليدافعوا عن غنائمهم فأسفرت هذه المعركة الخرقاء عن هزيمتهم، وعز عليهم أن يقاتلوا وهم ينسحبون، ثم تراجع بعد ذلك صوب المقاطعات الجنوبية تبعهم شارل مارتل من بعيد، فلما بلغ مشارف ناربوز حاصرها من غير فائدة جناها، وعندئذ بدأ ينهب البلاد المجاورة كعادة الغزاة في ذلك الزمان، وعند ذلك تحالف الأمراء المسيحيون مع العرب ليتخلصوا منه وأجبروه على التراجع نهائيا أمامهم، وتركهم يستمرون في الإستيلاء بلا منازع على مراكزهم السابقة. وأقاموا بفرنسا بعد ذلك قرنين من الزمان إذ سلمهم حاكم مرسيليا مقاطعة بروفانس حتى نهاية القرن العاشر، وفي سنة 935م توغلوا في سويسرا. وبناء على ما رواه بعض المؤرخين تراهم وصلوا إلى مدينة «متز» وإلى بحيرة كنستانس شمالا ومرسيليا جنوبا حتى أنه لا زال يرى اسم الحي العربي Coton de Sarazins في أحد أحياء مدينة «نيس». ويقول المستشرق الفرنسي «غوستاف لبون» في هذا المضمار : «لم يهدف

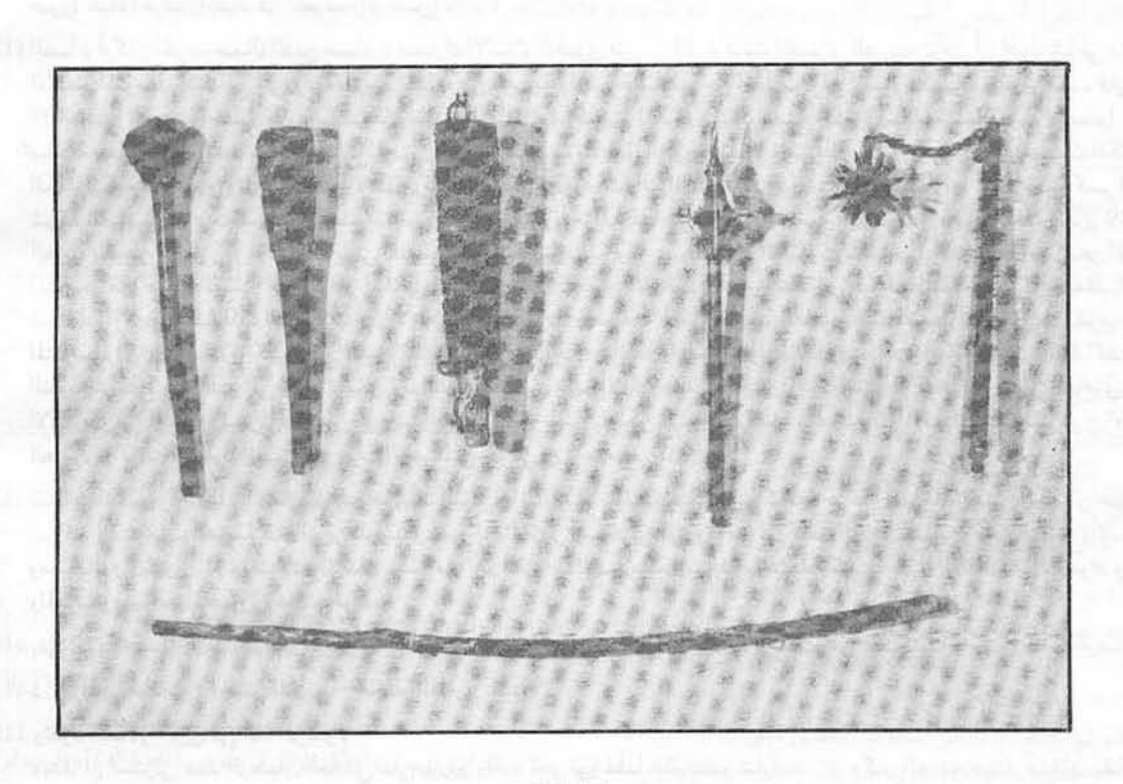
الغافقي من غزو فرنسا إلا لاتخاذها قاعدة للاستيلاء على أوروبا، وأن النصر الذي أحرزه شارل مارتل (مطرقة) في مدينة بواتيي لم يكن انتصارا عسكريا بدليل بقاء العرب في جنوب فرنسا زهاء قرنين. ولو قدر للعرب أن يفتحوا أوروبا كلها لما وقعت فيما وقعت فيه من الحروب الدينية».

(17) يقول المرحوم عبد الله كنون في هذا الصدد :

إن شارل مارتيل لم يوقف تقدم المسلمين في أوروبا ولم يكن باستطاعته ولو حاول لأن المد الإسلامي كان أقوى منه لو استمر كما بدأ... فالخلاف بين الولاة في الأندلس وتزعزع كرسي الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، وانقطاع المد الحربي عن هذه الواجهة الكبيرة، ومواصلة الغزو في أراضي افرنجة، كل ذلك يجب أن يحسب له حسابه في توقف الفتح الإسلامي في فرنسا وغرب أوربا وليس لشارل مارتيل في ذلك من يد ...(أشداء وأنداد ص. 23-24).

(18) لقد كان لتقدم الجيش المغربي صدى كبير في الشرق مما أثار انتباه كافة القادة العسكريين الشرقيين لبطولة المغاربة ومهارتهم الحربية. ففي عهد الدولة العباسية لم يعتمد المعتصم على الأتراك وحدهم بل استعان ببعض العناصر المغربية لتشارك الأتراك في حصار عمورية سنة 223 هـ.838 م. وقد شاركت الجيوش المغربية في فتح مصر سنة 358 هـ بقيادة جوهر بن عبد الله الرومي، مولى المعز لدين الله الفاطمي وباني القاهرة وجامعها الأزهر.

(19) اللواء الركن محمود شيت خطاب : «عقبة بن نافع الفهري» ص : 48 ومابعدها ...



أسلحة أثرية

الجيش المغربي في عهد الدولة الإدريسية

ما إن استقرت دولة الأدارسة في المغرب حتى أخضعت البلاد المغربية التي كانت مسرحا للحروب القبلية. فكون ادريس الأول جيشا جرارا من القبائل الملتفة حول دولته كأوربة وبني يفرن وغياثة وسدراتة وصنهاجة وهوارة وفتح به جهات المغرب الثائرة وسائر بلاد تامسنا وبلاد تادلة التي فتح معاقلها وحصونها حتى دخلوا في دين الاسلام. ثم وصل إلى المغرب الأوسط (تلمسان) ونشر به الدعوة الإسلامية حتى حدود السودان «وواجه تدخل الصنهاجيين والفاطميين والأمويين» وثورة موسى بن أبي العافية الذي أراد القضاء على دولته.

«وما لبث هذا الجيش أن قوي وترعرع وانتظم حتى انضم إليه في عهد المولى ادريس الثاني (الذي علم مولاه راشد ركوب الخيل وأحكام الرماية والمبارزة) خمسمائة فارس من افريقية والأندلس»(1)، وكانوا على مستوى عال من التدريب والكفاءة القتالية، وأكثرهم شارك في المعارك الدائرة في الأندلس ضد الإسبان. وبذلك أصبح الجيش الإدريسي أداة لإقرار النظام ونشر الرسالة الإسلامية في ربوع المغرب.

وقد قسم الأدارسة الجيش إلى مشاة وفرسان وحملة الأسلحة، وإلى ميمنة وميسرة وقلب كما كان سائدا في الجيوش الإسلامية، وسلحوا المشاة بالدروع والسيوف والقسي والسهام والأقواس والخناجر، والفرسان بالسيوف والرماح والدروع.

وكان هذا الجيش يحمي البلاد من الخوارج على الحكم وعلى عمليات التمرد ويتعقب المجرمين وقطاع الطرق ويقوم ببناء الحصون والقلاع داخل البلاد وعلى الحدود أيضا(2)، وأصبح بذلك أداة لإقرار النظام ونشر الرسالة الإسلامية في ربوع المغرب.

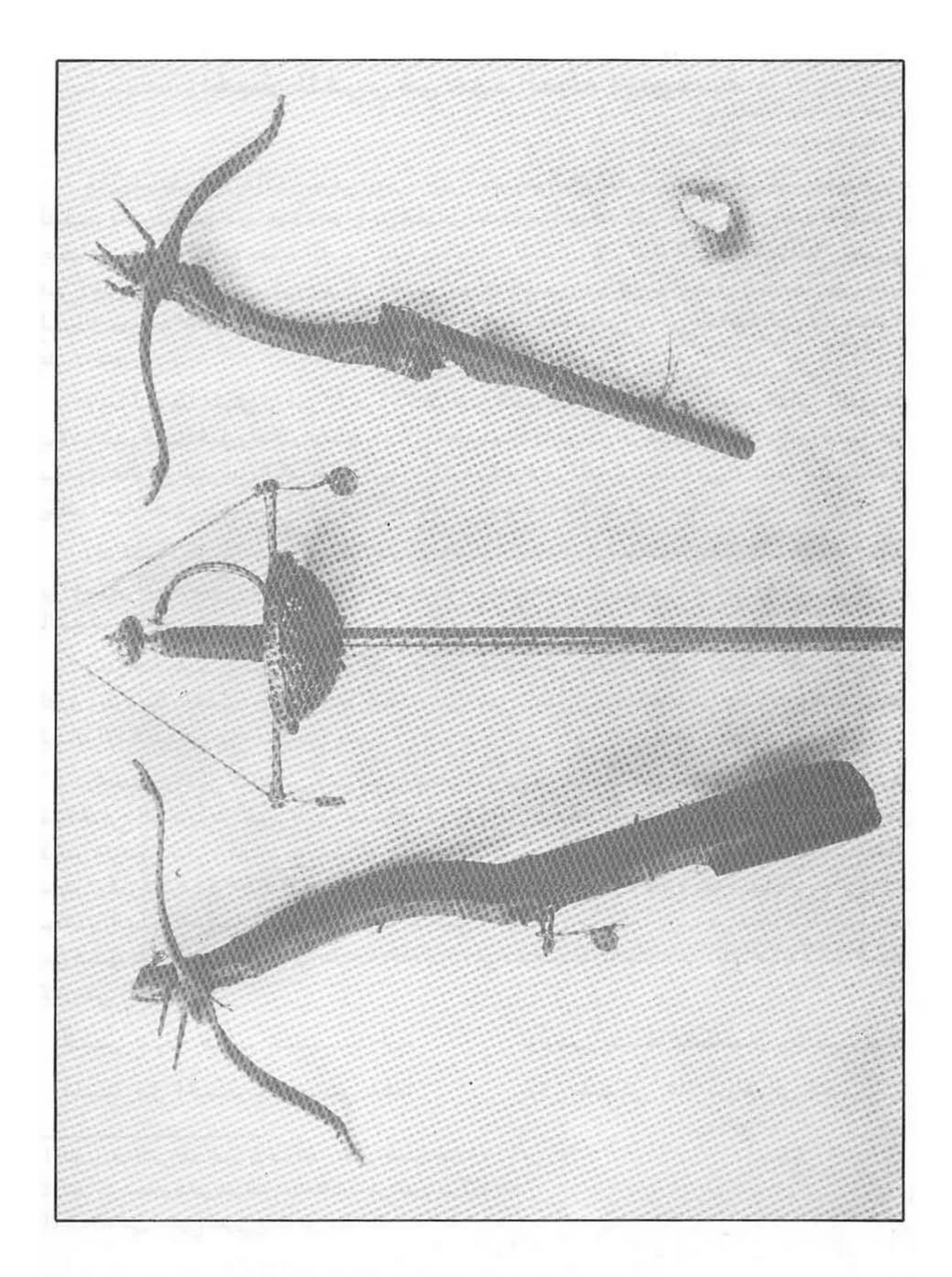
وتحدث داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوربي عن الواقعة التي خاضها المولى ادريس الأزهر ضد الخوارج الصفرية من البربر الذين قسموا البلاد إلى إمارات مستقلة، فقال أنه لما تقارب الجمعان ترجل ادريس وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى وركب فرسه وتقدم للقتال ... وقاتلهم وجماعته قتالا شديدا. وكان يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكن في الجانب الآخر. فلم يزل حتى ارتفع النهار فرجع إلى رايته فوقف بإزائها والناس يقاتلون بين يديه. وقد أعجبني - يقول الأوربي - ما رأيته من شجاعته وقوة بأسه ومن كثرة تقلب المولى ادريس في سرجه وقلة قراره في موضعه ولما سأله عن ذلك أجابه قائد الجيش الإدريسي (شعرا) :

أليس أبونا هاشم شد أزره	وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا	ولا نشتكي مما يؤول إلى النصب(3)

(1) المقري زهرة الاس. عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج : 1 ص : 33

(2) انظر : د. سعدون عباس نصر الله : دولة الادارسة في المغرب ص 127-130.

(3) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج. 2، ص 221-222.



الجيش المغربي في عهد الدولة المرابطية

كان للمرابطين جيش نظامي مدرباً على الحياة العسكرية ومعززاً بالفرسان والرماة بلغ عددهم مائة ألف.

وكان مؤسس الدولة المرابطية عبد الله بن ياسين قائد الجيش المرابطي وصل به إلى زعير في حملته ضد البرغواطيين وحارب به « أهل غانة » للدخول في الإسلام(1).

وقد أعاد يوسف بن تشفين تنظيم هذا الجيش المرابطي- الذي ندبه الأمير أبو بكر اللمتوني ليكون قائدا له - وضبط عدده وقسمه إلى فرق وخصص لكل فرقة سلاحا خاصا وكون بالخصوص فرقة للفرسان من الخيالة الزناتيين وجعل الإبل تحدق بمعسكره حتى إذا احتدم القتال في معركة ما سيقت للحرب فتدخل الرعب في قلب العدو، واتخذ الطبول والبنود حتى تعجب ابن عمه أبو بكر « مما رأى من فخامة ملكه ووفور عساكره وتربية جنوده »، وجعل على رأس فرق جيشه : القادة : مدرك التلكاني، ومحمد بن تميم الجدالي وعمر بن سليمان المسوفي وسير بن أبي بكر اللمتوني.

وقد واجه يوسف بن تاشفين - بعد أن تقلد رئاسة الدولة - بهذا الجيش مغربا كانت تتحكم فيه قبائل مغراوة وزناتة وبني يفرن وبرغواطة التي تجمعها كراهية تقليدية لصنهاجة التي تنتمي إليها قبيلته. وقد استطاع بفضل حنكته السياسية وقوته العسكرية أن يخضع المغرب من سجلماسة إلى طنجة إلى نفوذ دولته، ويجمع شتات الإمارات ويخلص المغرب من إمارة البورغواطيين الضالة.

وكان الجيش المرابطي يتألف من العناصر والفرق الآتية :

1) القبائل المرابطية، 2) الحشم : يكونون العناصر الأخرى من غير العنصر المرابطي وهم عناصر من جزولة ولمطة ومصمودة وعناصر زناتية. 3) الحرس الخاص : شكله المرابطون من الروم والسودانيين لحماية إمارتهم [ذلك أن يوسف بن تاشفين جمع بواسطة التجار في إقليم غانة عددا كثيرا من العبيد والزنوج وزودهم بالسلاح والخيل ودربهم على فنون القتال. كما أنشأ على هذا النمط فرقة من فتيان النصارى الأندلسيين]- 4) العرب : شاركت العناصر العربية الوافدة من الأندلس على المغرب في الحروب المرابطية بالأندلس(2)-5) الصقالبة : أي الإسبان الذين استخدمهم المرابطون في مقاومة الموحدين فيما بعد تحت قيادة Reverter - 6) فرقة الغُز والأتراك.

وكانت قوة هذه العناصر تستند على الفرسان أكثر من المشاة. فكان للمرابطين جيشان : أحدهما وطني والثاني من جند « اللفيف الأجنبي » بالتعبير الحديث(3)، أهلهم للخروج لتوسيع رقعة السلطة المرابطية إلى حدود إيبريا...

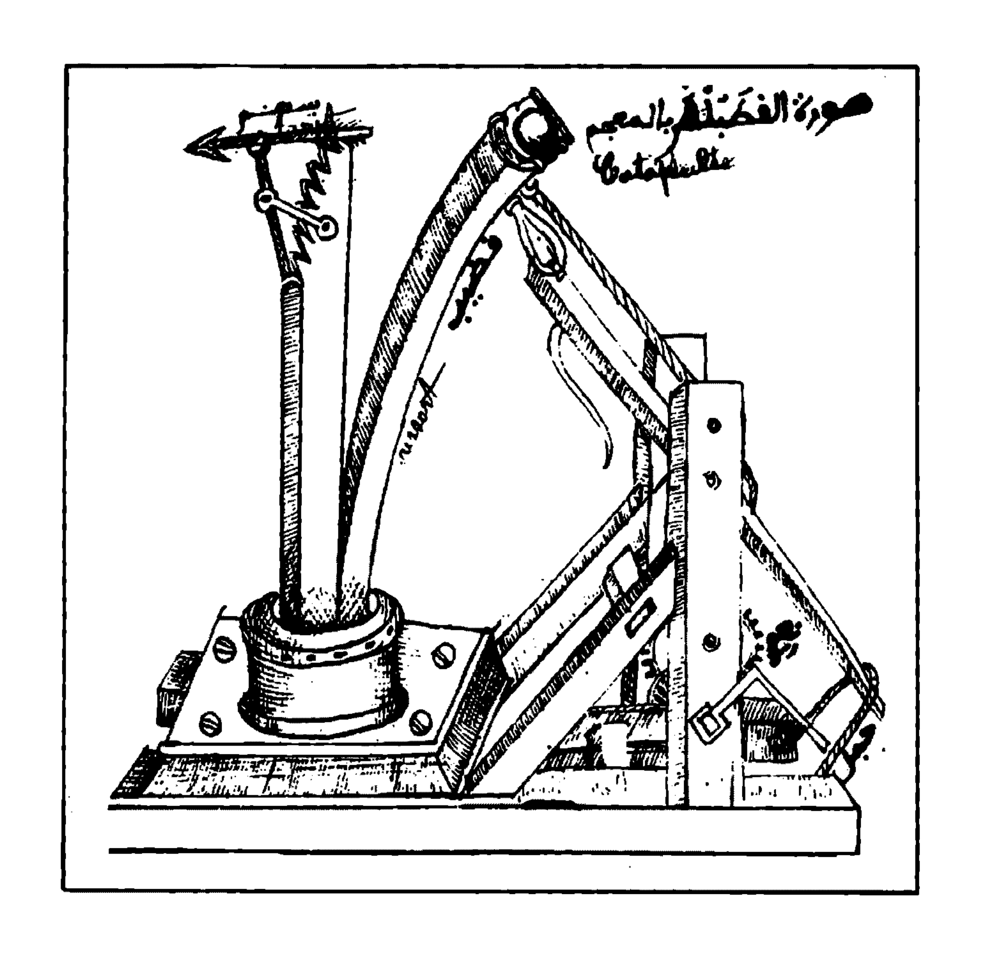
نظام الجيش المرابطي في المعركة : يقول صاحب «الحلل الموشية» نقلا عن المؤرخ البكري : «وكان للمتونة في قتالهم شدة بأس ليس لغيرهم وبذلك ملكوا الأرض وكان قتالهم على النجب أكثر من الخيل (بخلاف يوسف أشباخ الذي أكد في كتابه تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين - ص. 478 - أن معظم الجنود كانوا يمتطون الخيول). وكان ترتيب معركتهم يقوم على نظام خماسي (المشاة، وحملة القسي، وحملة النبال في الجناحين، والفرسان في القلب ولكل فرقة من هذه علمها الخاص)، وكان معظم قتالهم مترجلين يقفون على أقدامهم صفا بعد صف يكون بأيدي الصف الأول (العبيد السودانيين) منهم القنا الطوال والسيوف(4) والمزاريق. وكانو يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف». وقد زاد البكري في كتابه قائلا : «وما يليه من الصفوف (الرماة) بأيديهم المزاريف (الرماح الطويلة) يحمل الرجل الواحد منهم عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ ولايشوي (أشوى السهم أخطأه). ولهم رجل قد موه أمام الصف بيده الراية فهم يقفون ما وقفت منتصبة وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعا، فكانوا أثبت من الهضاب، ومن فر أمامهم لم يتبعوه، ووراء هذه الصفوف الخيالة بسيوفهم يفسحون لأنفسهم مجالا بين صفوف الرماة للهجوم على العدو».

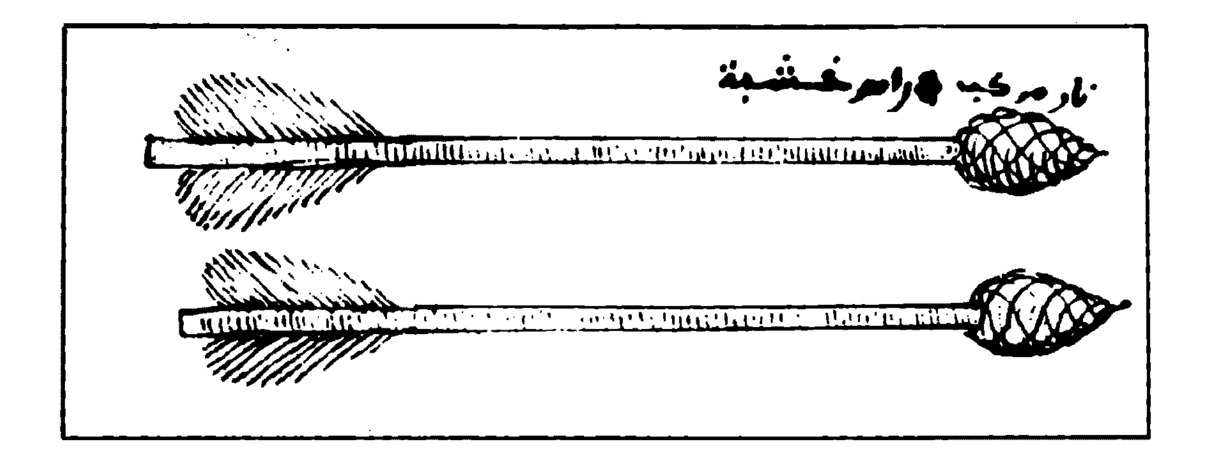
وكان الأمير يحتفظ بقوة احتياطية يقودها بنفسه وتكون مؤلفة من أشجع الجنود وأكثرهم قوة وبراعة ويستعملها لمواجهة أي عدوان طارئ.

وذكر صاحب (الحلل الموشية): «كان في قلب الجيش مع الأمير تاشفين المرابطون تتقدمهم البنود البيض مكتوبة بالآيات وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من أبطال الأندلس تتقدمهم حمر الرايات بالصور الهائلات وفي المقدمة مشاهير زناتة ولفيف الحشم أهل العمائم الماضية والبصائر الثابتة بالرايات المصنعة والأعلام المنيفة»).

وكان من عادات المرابطين الحربية أن يسير الجنود منظمين كما لو كانوا على وشك خوض معركة ويلبسون البيضات والدروع ويجتمعون للقتال على قرع الطبول وصوت الأبواق ويتخذون مخازن للسلاح في قصورهم «ويبعثون بجواسيس ليستطلعوا أخبار العدو» ويبنون قلاعا عسكرية في مواقع استراتيجية للتوفر على مراكز دفاعية هامة(5) ويشيدون الأسوار ويحفرون الحفير حولها ويجتمع قادتهم جميعا في «مجلس الحرب» قبيل المعركة ليتلقوا التعليمات من القائد الأعلى. وكانوا يسيرون إلى المعركة تصحبهم دواب محملة بالأقوات والخيام. وكانوا يقاتلون أحيانا فوق الإبل(6) والخيل، ويستعملون نظام الكمين وخصوصا في حروبهم مع الإسبان، ويحمون مؤخرتهم «حتى يبقى خط الرجعة سالما» ويتقنون فن الحصار دفاعا وهجوما بواسطة فرسانهم المسلحين. وكان المرابطون يعتمدون كثيرا في حروبهم على عنصر المفاجأة، فكان الجنود ينقضون على العدو كالصاعقة في حركات مرسومة ونظام رتيب تنوشه رماحهم ومزاريقهم وتمطرهم سهامهم ثم يخرج فرسانهم في هجوم جريئ مفاجئ. كما كان من عاداتهم الحربية أن لا يتعقبوا العدو المهزوم لأنهم كانوا يألفون من أن يطعنوا عدوا من الخلف وهو يولي الأدبار(7).

وأشار صاحب «الحلل الموشية» كذلك إلى الخناجر المقوسة التي استخدمها المرابطون في حروبهم وهي المعروفة في لغة البربر باسم «الأطاس»، وهذا السلاح الجديد لم يعرفه الإسبان من قبل بدليل أن الملك الإسباني الفونسو السادس قد ظنه منجلا عندما طعنه به في فخده أحد عبيد يوسف بن تاشفين في موقعة


Catapulte

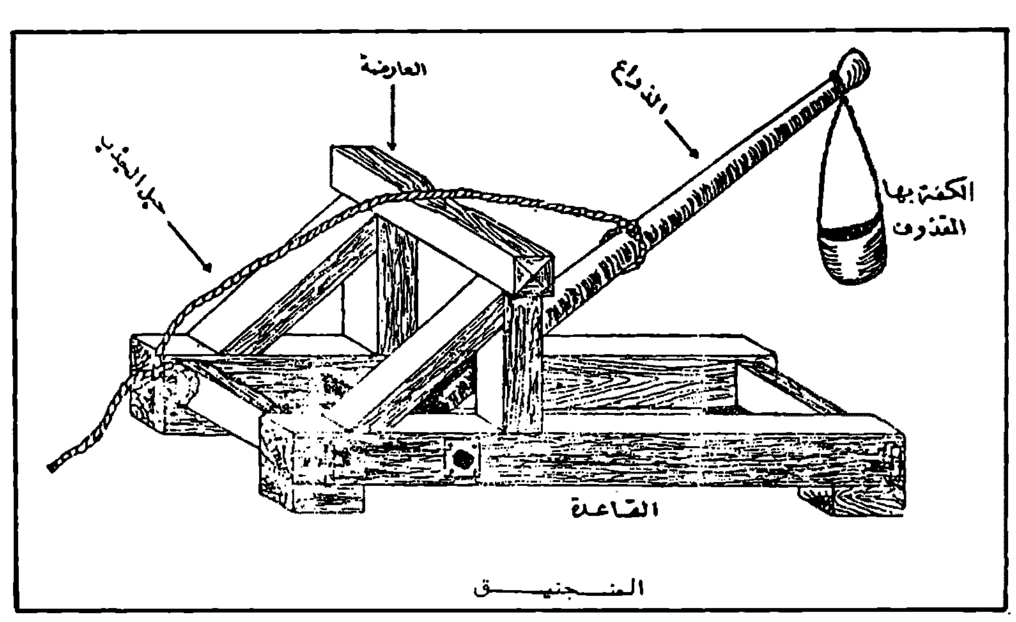

نار مركب راس خشبة

الزلاقة. «وكان من أسلحة المرابطين أيضا «المطارد» «الرماح القصيرة» و «المجانيق» [8] و «التروس» والمزارق الطويلة ذات الرؤوس الحديدية والدرق اللمطية المصنوعة من جلود الظباء، والخناجر القصيرة والقسي البعيدة الرمي.

وقد اتسمت الدولة المرابطية بالطابع العسكري منذ نشأتها حيث أن الملوك المرابطين كانوا لا يقلدون مناصب الوزارة والولاية والقضاء إلا للقادة العسكريين من أفراد البيت الحاكم كابن أبي بكر اللمتوني وداوود بن عائشة[9] وعمر بن تميم الكدالي ...

وقد جمع المؤرخ ابن زكرياء بن يحيى بن الصيرفي الغرناطي فنون الحرب وسياستها - على عهد المرابطين - في قصيدة رائعة قدمها إلى الأمير تاشفين بن علي خلال معركة خاضها مع الإسبان ليلا، يقول فيها :

أهديك من أدب الوغى حكما بها … كانت ملوك الحرب مثلك تولع
حارب بمن يخشى عقابك بالذي … يخشى وهو في جود كفك يطمع
إياك تعبئة الجيوش مضيقا … والخيل تفخص بالرجاع وتمزع
واركب من الخيل السوابق عدة … سيان تتبع ظافرا أو تتبع
حصن حواشيها وكن في قلبها … واجعل أمامك منهم من يشجع
خندق عليك إذا ضربة محلة … حصنا حصينا ليس فيه مدفع
واحذر كمين الروم عند لقائها … وامض كمينك خلفها إذ تدفع
والواد تعبره وانزل عنده … بين العدو وبين جيشك يقطع
وإذا تضايقت الرجال بمعرك … ضنك فاظهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع أهل شهامة … للصدق فيهم شيعة لا تخدع
واصدمه أول وهلة لا ترتدع … بعد التقدم فالنكوس تضعضع[10]



المنجنيق

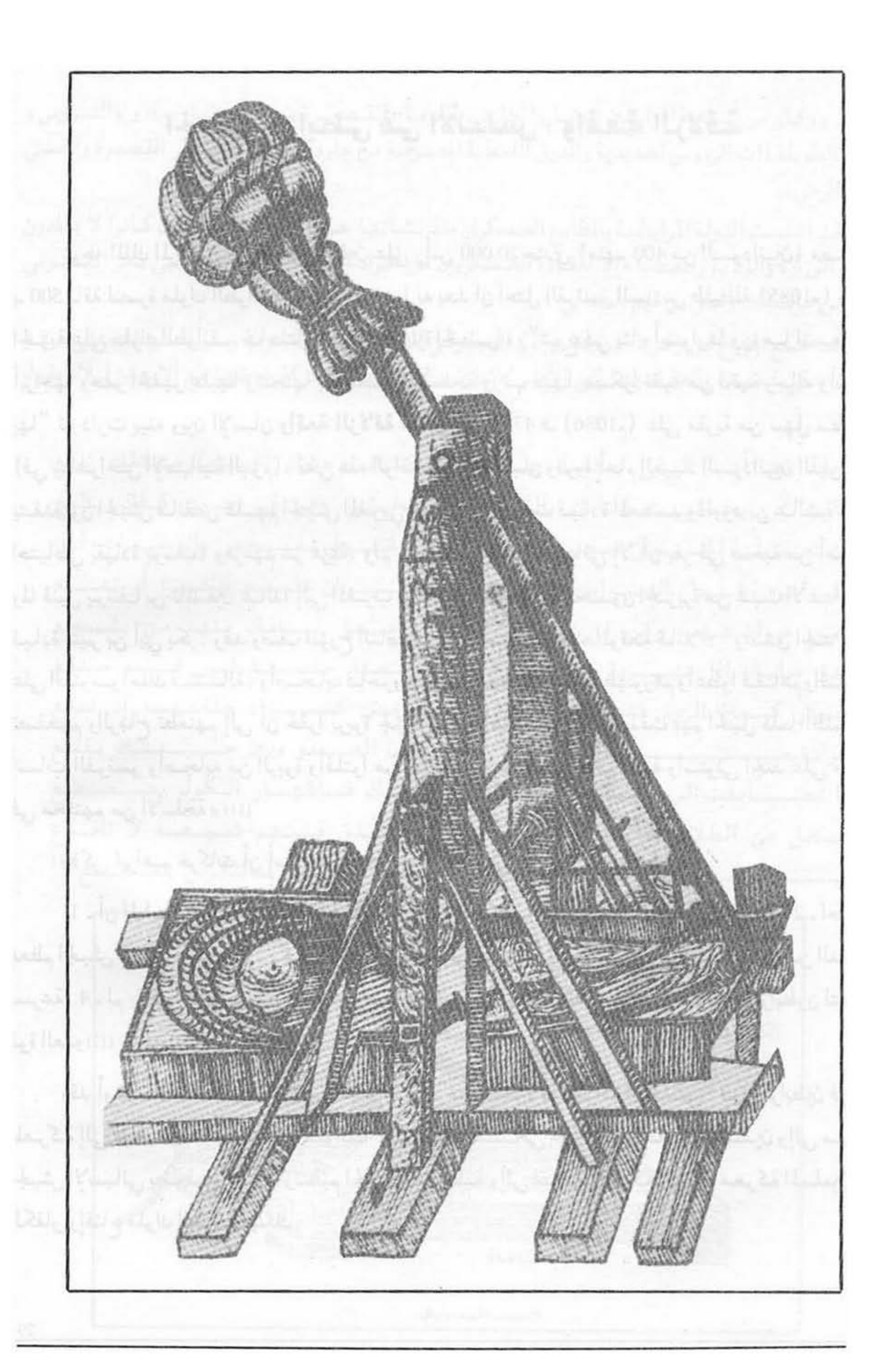
الجيش المرابطي في الأندلس : واقعة الزلاقة

توجه الملك المرابطي يوسف بن تاشفين على رأس 20.000 جندي (منهم 400 من السودانيين) مصحوبين بـ 500 ناقة لنصرة ملوك الطوائف الذين استنجدوا به بعد ان احتل الفونسو السادس طليطلة (1085م) وفرض الجزية على ملوك الطوائف. فاحتل يوسف الجزيرة الخضراء و"شرع في بناء أسوارها ورم ما اتسعت من أبراجها وحفر الحفير عليها وشحنها بالأطعمة والأسلحة ورتب فيها عسكرا نقيا من نخبة رجاله وأسكنهم بها" ثم دارت بينه وبين الإسبان **واقعة الزلاقة** التاريخية (479 هـ (1086م) على مقربة من سهل سطليوس (في ساغراخس الإسبانية اليوم). ففي هذه الواقعة ذعر الاسبان وفروا أمام العبيد السودانيين الذين كانوا يتقدمون الجيش فانقض عليهم الجيش المغربي (فريق بربري تحت قيادة المعتمد وداوود بن عائشة وفريق احتياطي بقيادة يوسف) وهزمهم شر هزيمة. ولم يسع قائد الجيش الاسباني إلا أن يفر في صحبة من أصحابه. ولما قبل يوسف بن تاشفين عائدا إلى المغرب ترك 3000 من الجنود يحمون الجزيرة من عبث الأعداء تحت قيادة سير بن أبي بكر. وقد وصف المؤرخ الناصري في الاستقصا هذه الموقعة قائلا : "وصدق الجند الحملة على الفنوسو (ملك قشتالة) وأصحابه فأخروجهم من محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا قفاهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم إلى أن لحقوا بربوة لجؤوا إليها واعتصموا بها وأحذقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب ألفونسو وأصحابه من الربوة وأفلتوا من بعد ما نشبت فيهم أظافر المنية واستولى الجند على ما كان في محلتهم من الأسلحة» (11)

وذكر ابراهيم حركات أن أسباب انتصار الجيش المرابطي هي :

1 ـ أن المرابطين اختاروا لقيادة الجيش أكبر قادتهم كسير بن أبي بكر وداوود بن عائشة 2 ـ احتفظوا بمعظم الجيش كقوة احتياطية 3 ـ كان النصارى يحاربون بواسطة الدروع التي كانت تمنعهم من التحرك بسرعة. 4 ـ لم يفكر النصارى في حماية مؤخرة جيوشهم. 5 ـ خطة المفاجأة التي استعمله المرابطون لتحطيم قوة العدو(12) .

وقد أوعز ذ. امحمد بن عبود في مقال له عن "معركة الزلاقة والواقع الأندلسي" فوز المرابطين في هذه المعركة إلى توحيد صفوف ملوك الطوائف أمام الخطر المسيحي من طرف يوسف بن تاشفين وإلى مفاجأة الجيش الإسباني بضجيج الطبول وتنظيم الجيوش المرابطية وإلى اعتبار معركة الزلاقة معركة المسلمين ضد الكفار وإقناع ملوك الطوائف بذلك.



وإن دل هذا عن شيء فإنما يدل على أن الملثمين كانوا محاربين من الطراز الأول وامتازوا بالشجاعة الفائقة والجرأة والإقدام والصبر على تحمل مشاق الحرب وتضحياتها(13).

ولقد أشاد شاعرهم ابن حمد يس بشجاعتهم منشدا :

ألفت قلوبهم الخضوع لربهم	والبأس في أساليبهم متكب
يرمون أغراض الحتوف بأنفس	ووجوههاالعيونهم تتنمر
وتغور في هام العلوج جداول	للضرب من أغمادهم تتفجر
من كل وحشي الطباع كأنه	بين القنا الخطي ليث مخدر

الأسطول المرابطي : كان الأسطول المرابطي يتألف من 100 بارجة حربية. وكان راصيا بمينائي المرية وقادس بالأندلس حتى يكون قريبا من المغرب لنقل الجند بين العدوتين (حيث كان ما يقرب من 1700 فارس مرابطي مقيمين في القلاع الأندلسية كاشبيلية وقرطبة). وقد شارك هذا الأسطول تحت قيادة أبي عبد الله ميمون في جهاد "افريقية" ضد النرمنديين بصقلية وقام بغارات في سواحل فرنسا وإيطاليا وجزر البليار(14).

وكانت له جولات في المتوسط. وكان قادته أيام يوسف بن تاشفين في الجواز الأول إلى الأندلس داوود بن عائشة وأحمد بن ميمون وعلي بن ميمون (الذي كان أمير البحر) "Amiral". وقد وصلت غارات الأسطول المرابطي إلى بلاد الشام.

---

(1) استشهد بن ياسين في إحدى غزواته بناحية زعير ودفن بالمحل المعروف (بالكارة).

(2) د. ابراهيم حركات : «النظام السياسي والحربي على عهد المرابطين» ص. 145 وما بعدها.

(3) كان المرابطون أول من أسس ما يسمى «بالكتائب المسيحية» سواء كانوا من الأسرى أو من الأهالي المسيحيين. وكانت هذه الكتائب في عهد الموحدين تنتمي إلى قشتالة وأراغون وغيرهما. وفي العهد المريني كان الجيش المغربي يشتمل على فرقة من الفرنج تحت إمرة «شريد الفرنجي» واصل بها المرينيون فتوحاتهم للمغرب وخصوصا لمدينة سبتة ومحاربة القبائل الثائرة كما استعملوها في حرسهم الخاص وقال ابن خلدون في هذا المضمار : «صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الفرنج في جندهم... لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر ...

(4) «لقد كانت قوة ضربات سيوف الأبطال من الأوالي اهتم بها أهل المغرب والأندلس واتخذوها مادة للدعاية لأنفسهم والفخر على عدوهم، ولقد وصف المؤرخ ابن حيان بعض هذه الضربات وذكر أسماء أصحابها الأبطال من المغاربة» منها ضربة بهلول بن ثمايت لفرس (فصلت حديدتي للجام ولحيتي الفرس جميعا). ووصف المقري ضربات أبطال الملثمين بأنها تقد الفرس. فكان للمرابطين بسبب ذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم.

(5) منها «تكرارت» (معسكر بالبربرية) قرب تلمسان في أسوار هذه المدينة، إذ من المعلوم أن المرابطين فتحوا المغرب الأوسط وواصلوا فتوحاتهم إلى العاصمة الجزائرية. ومنها أيضا قلاع آمرجو وتاسغيموت وبني تودا وقصبة النصراني. ورباطات دينية وحربية (مواقع استراتيجية محاطة بالأسوار الدفاعية ومدعمة بأبراج ذات فتحات توجيه السهام، ومشتملة على صحن ومخازن للسلاح) وذلك كرباط سوسة (المعروف بقصر الرباط) (أنظر وصف هذه القلاع والرباطات بكتاب «تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى» للدكتور عثمان عثمان اسماعيل ج. 2 (فصل العمارة الحربية في عصر المرابطين) ص 115-123).

(6) كان يوسف بن تاشفين يقتصر على الجمال في حمل الأثقال والعتاد والمؤن. ولكنه استعملها في حروبه ضد الإسبان لبث الرعب في نفوس أعدائه كما كان االأمر في موقعة بطليموس ولم يستعمل الفيلة لنفس الغاية كما استعملها القرطاجنيون (أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة ع. عنان).

(7) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين (نقلا عن البكري).

(8) د. أحمد مختار العبادي : دراسة حول كتاب الحلل الموشية وأهميته في التاريخ المرابطي والموحدي. مجلة تطوان عدد 5-1960.

(9) كان ابن عائشة من قادة الجيش المغربي الذين توجهوا إلى الأندلس سنة 479 لخوض معركة الزلاقة وكان على رأس الخيالة. وبعد انتصار الجيش المغربي بالأندلس عينه يوسف بن تاشفين عاملا على إقليم مرسية وتصدى للرد على اعتداءات Cid Alcombidor في ناحية فلنسية.

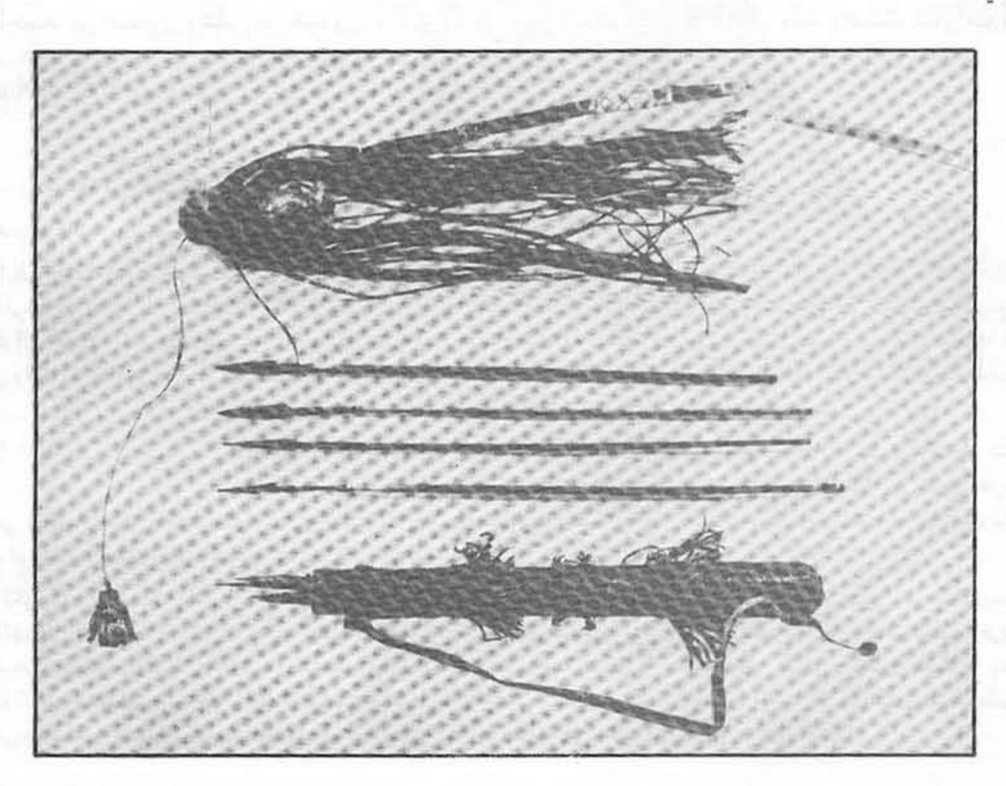
(10) انظر الفصل 37 من مقدمة ابن خلدون الذي يتحدث عن الحروب ومذاهب الأمم الإسلامية والرومية فيها.

(11) لقد عاد يوسف بن تاشفين مرة ثانية وثالثة ورابعة إلى الأندلس لرد العدوان الاسباني وعزل ملوك الطوائف وتوحيد البلاد الأندلسية وضمها إلى المغرب. وجاز ابن علي بن يوسف أكثر من مرة أيضا إلى الأندلس فاستولى على مدن كثيرة منها مدينة "مجريط" (مدريد) سنة 513 هـ (ويرجع الفضل في فتح لشبونة إلى سير بن أبي بكر من قبل علي بن يوسف). كما جاز إليها تاشفين بن علي ودارت بينه وبين الاسبان معركة بطليوس وجبل القصر وكرعي ودخل قرطبة منتصرا سنة 528 هـ. "وكان تاشفين هذا واليا بالأندلس من قبل أبيه فقوي بها الحصون وسد الثغور وافتتح الحصون وعني بالغزو ومباشرة الحرب (وحمل على الخيل وقلد الأسلحة واستكثر الرماة وأركبهم وأقام هممهم). وأثناء معركة بطليوس كان في القلب معه المرابطون تتقدمهم البنود البيض المخططة بالآيات، وفي الجانبين الجنود الأندلسيون تتقدمهم الرايات الحمراء، وفي الجناحين أهل الثغور وفي المقدمة أهل زناتة.

(12) كما كان المرابطون يعنون باستعراض جيوشهم قبل الدخول في المعارك للتأكد من ضراوتها وتنظيمها. وهكذا استعرض يوسف بن تاشفين جيشه المنتصر في "حصن الرقة" قبل الدخول في معركة الزلاقة، كما استعرض فيما بعد حفيده تاشفين بن علي في تلمسان قاعدة المغرب الأوسط قبل أن يخوض الحرب ضد الموحدين.

(13) وقد اشتهر نساؤهم أيضا بنفس الخصال ذلك أن فانو بنت عمر بن بنتيان اللمتونية كانت رمزا للبطولة العسكرية دافعت عن قصر الخلافة بمراكش إلى أن استسلم الأمير إسحاق بن علي المرابطي، ولم يستطع الموحدون اقتحام القصر إلا بعد مقتلها سنة 545 هـ. وقد أثارت بطولاتها إعجاب القواد الموحدين.

(14) د. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ج ص 227-228. ويقال أن نفس الأسطول شارك في العهد الموحدي ضد النورمانديين بميناء المهدية.



الجيش المغربي في عهد الدولة الموحدية

تنظيم الجيش : في عهد دولة الموحدين استطاع البطل المغوار عبد المومن الموحدي أن يوسع رقعة مملكته ويضم اليها باقي بلدان افريقية بفضل جيش جرار يصطف بنظام عجيب وراء قائده الهمام لمواجهة الأخطار أو لاقامة الصلاة. وبعد[1] أن حقق الوحدة المغربية نظم جيشه البربري - من مشاة متطوعين من صنهاجة وزناتة - تحت قيادته ليذود عن وحدة البلاد، وعزز صفوفه بجنود افريقيين وعرب هلاليين[2] وأتراك ومرتزقة مسحيين إسبانيين وسودانيين حتى بلغ عدد أفراده 300.000 من الفرسان و 10.000 من الراجلين يحسنون استعمال المطارد والراعدات والسهام[3]. وقد كانت هذه العساكر منتشرة من عين غبولة الى عين خميس تخفق على رأسها 300 راية.

وكان للجيش الموحدي كتاب خاصون يسمون "بكتاب الجيش". وكان له كاتب "دويان التمييز" أو كاتب العسكرية يقوم بعمليات تطهير الجيش من " الخصوم" قبل كل حرب وينعم على الجند الذين فازوا "بالتمييز".

وكان موكب السلطان -القائد الأعلى للجيش- يتقدمه في مسيرته مائة فارس من جيشه وزهاء مائة طبل وراءهم ست عشرة راية من كبار البنود. وكان السلطان الموحدي يقدم أمامه مباشرة وفي طريقه الى الجهاد: "مصحف عثمان بن عفان" الذي غنمه الموحدون من قرطبة وذلك تيمنا وتبركا بكتاب الله. ثم يتبعه قارعو الطبول والنافخون في الأبواق.

وكان السلطان يسند قيادة الجيش الى أفراد من الأسرة المالكة . وكان البث في إعلان الحرب يتم في مجلس حربي يشارك فيه الشيوخ والقواد الممتازون للجيش.[4]

التكوين العسكري : بلغ اعتناء عبد المومن الموحدي بتدريب أطر الجيش أشده، حيث أمر بتنظيم في مراكش " تدريب ثلاثة آلاف من الطلبة " على ركوب الخيل ورمي القسي والسباحة في البحيرة - التي صنعها خارج بستانه - والتجذيف على القوارب والزوارق المصنوعة هناك والمبارزة ورمي الحراب، والقتال بالقوس والدروع، وقيادة السفن ومزاولة التمارين الرياضية. وقد تخرج من هذه المدرسة معظم القواد وحكام القلاع وكبار الضباط الموحدين .

وكان عبد المومن الموحدي سياسيا ماهرا ومكافحا شجاعا انبرى من تينمل قاعدة الموحدين- لفتح المغرب ومحاربة فلول المرابطين. وقد وصل زحفه الى تلمسان . ولما قفل راجعا فتح فاس وسلا وسبتة وحاصر مراكش، وقضى على الثائر محمد بن هود بن عبد الله الماسي الذي تلقب بالمهدي وكاد أن يعصف بدولة الموحدين.

وأمر خلف عبد المومن، يوسف بن عبد المومن - بالإضافة الى ما سبق- العلماء بإلقاء المحاضرات في

الجهاد، وقيل انه شارك بنفسه في إلقائها. وكان يوسف بن عبد المومن هذا قائدا ماهرا للجيش الموحدي، فهو يرى أن قيمة الجيش في مقدورته وعدته لا في عدده، ويرى أنه من الواجب أن يكون معظم افراد الجيش من المشاة (على نقيض المرابطين) المتدربين المسلحين بالقسي والنشاب والخودات والسهام والحراب التي أمر بصنعها في عدة معامل بالمغرب. وقد قضى بجيشه على جميع الثوار الذين عكروا صفوة الوحدة المغربية مثل ثائر تازة وثائر غمارة سبع بن منعفاذ.

طريقة الجيش الموحدي في القتال : ذكر صاحب "الحلل الموشية" - نقلا عن مؤرخ معاصر للموحدين ما يأتي :

قال ابن اليسيع حدثني غير واحد من الموحدين، قال : « لما نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زناتة اتبعنا المرابطون فتلاقينا معهم، فصنعنا دائرة مربعة (نطاق التربيع) في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال المشاة بأيديهم القنا الطوال ووراءهم أصحاب الدروق والحراب صفا ثانيا ومن ورائهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ووراءهم الرماة بالنبال والقسي، وفي وسط المربعة الخيل. فكانت خيل المرابطين اذا دفعت اليهم لا تجد الا الرماح الطوال الشارعة والحراب والحجارة والسهام الناشرة فإذا ماتوا من الدفع وأدبروا، تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها وفرج أعدوها، فتصيب من أصابت. فإذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا ».

« وعلى العموم فقد كان في المعركة يحتل المتطوعون والترك و الروم (الرماة) المقدمة وجنود الأندلس الميمنة والقبائل العربية والبربرية الميسرة بينما يحتل الخليفة والقائد العام القلب ومعه كوكبة من الفرسان ».
وكان تقسيم الجيش الموحدي في ساحة القتال يجري حسب الطريقة الجرمانية القديمة أي على نظام العشريات. وكان لكل وحدة قائدها الخاص. وبعبارة أوضح كان المتطوعون - كما ورد في كتاب المؤرخ أشباخ - يقومون بالهجوم الأول رافعين أعلامهم الخضراء ثم يتقدم حملة الحراب كالسد فإذا اخترق العدو صفوفهم يستقبلهم حملة القسي والنبال بسيل من السهام والحجارة، ثم يقف في وجههم حملة السيوف والدروع . فإذا تغلب العدو على القلب والجناحين يتدخل الحرس الخاص بقيادة أمير المؤمنين وكثيرا ما كان يحرز على النصر لشجاعته وخبرته العسكرية وجرأته.

« وكان من أهم فنون الحرب لدى الموحدين - يقول يوسف أشباخ في كتابه "تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين " - خدع الحرب فلم يشتبكوا في موقعة ما دون أن يدبروا فيها نوعا من الكمين لإعدائهم كأن يتصنعوا الفرار، وكانوا يستطلعون على يد عيونهم كل ما يتعلق بالعدو من عدده ومواقعه وأحواله، وكانوا يتقنون فن الحصار. ومتى استقر الرأي على خوض المعركة فإن أمير المؤمنين بعدما يستعرض الجيش يضرب قبة حمراء ويستحضر فرسه المطهم، ويرتدي ثوب عبد المومن الحربي ويجلس في خيمته، وفي إحدى يديه سيفه المسلول وفي الأخرى المصحف وكانت هذه نذر اقتراب المعركة ».

وكان الجنود الموحدون يتفوقون في فنون الحصار حيث كانت آلات حصارهم تقذف كتلا هائلة من الحجارة والكرات الحديدية، كما فعلوا في استيلائهم على مدن المهدية وفاس (بواسطة تدفق المياه من خزانات صنعوها لهذا الغرض) ومراكش وكثير من المدن الأندلسية.

حَمَلَةُ الرماح الطويلة والطوارق المانعة

حملة الحراب والدروع

حملة مخالي الحجارة

الرمـــاة

حَمَلَةُ الرماح الطويلة والطوارق المانعة

حملة الحراب والدروع

حملة مخالي الحجارة

الرمــاة

الفرسان والمعسكر
الخاص بالخليفة
أو القائد

الرمــاة

حملة مخالي الحجارة

حملة الحراب والدروع

حملة الرماح الطويلة والطوارق المانعة

الـرمـــاة

حملة مخالي الحجارة

حملة الحراب والدروع

حَمَلَةُ الرماح الطويلة والطوارق المانعة

(خطة المربع الموحدي الحربية)

« وكانت أدوات الحرب المستعملة عند الموحدين تتمثل في السيوف والقسي والرماح والترسة والبيضات، كما أن اللباس الشائع للجند يقتصر على الأكسية والغبائر والبرانس والقبطيات والعمائم والمقاطع. أما العبيد فيلبسون ثيابا مصنفة الألوان...

وللعسكرية بما فيها من جند نظامي أو حرس وعبيد ديوان في منتهى الضبط يسهر على إحصاء الجند ومعرفة حاجاته المجددة. وكان الموحدون وهم يغارون على سمعة الدولة لا يترددون في فك أسراهم أو المحاصرين من أنصارهم. والمعتاد عندهم أيضا في كل غزوة يقررونها أنهم يمهدون لوصول الجيش بإرسال كتائب للإستطلاع والمناورة »[5]

وقد ورد في كتاب "الرسائل الموحدية" أن الموحدين كانوا يملكون "دبابات خشبية". وقد استعمل هذه الدبابات التي تشحن بضروب الأسلحة كل من عبد المومن ويعقوب المنصور في فتح مدينة قفصة التونسية وكانت تحمل اسم "البرج المبارك"، كما كانوا يستعملون آلات نارية(المجانيق) - آلتي كانت تقذف كتلاهائلة من الحجارة وكرات ملتهبة من الحديد لإسقاط الأبراج مما مكنهم من الإستلاء على عدة مدن كوهران والمهدية. وقد استعمل الموحدون أيضا الطبول الضخمة في صفوف جيوشهم بدليل قول عبد الواحد المراكشي في كتاب "المعجب" : « إن جيش عبد المومن كان يحتوي على أكثر من مائتي طبل في نهاية الكبر وغاية الفخامة يخيل لسامعها اذ ضربت أن الأرض من تحته تهتز ويحس أن قلبه يتصدع من شدة دويها »[6].

وكان الموحدون أول من سن عادة **استعراض الجيش** بعد تحقيق الإنتصار، ذلك أنه لما غزا عبد المومن الموحدي الأندلس[7] بجيش بلغ عدد رجاله الألف وأنقذها من ويلات الحروب الداخلية بين ملوك الطوائف وطرد الإسبان من عدة حصون " استعرض جيشه الباسل بمحضر الوزير بن عطية».

ويصف عبد الواحد المراكشي في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" هذا الإستعراض فيقول :« (أمر عبد المومن) بعرض العسكر آخذين أسلحتهم، وجلس في مكان مطل وجعلت العساكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة بعد كتيبة لا تمر كتيبة إلا والتي بعدها أحسن منها جودة سلاح وراهة خيل وظهور قوة... »

ولما رجع الأمير الموحدي من الأندلس « نزل مدينة سلا [8] وضربت له خيمة على شاطىء وادي أبي رقراق وجعلت العساكر تعبر الوادي أمام قبيلة بعد قبيلة فلما نظر الى كثرة العدد خر ساجدا لله (شاكرا)»[9]. ولبث الجيش الموحد في نمو مطرد حتى بلغ عدد جنوده في عهد الناصر الموحدي 600 الف جندي ما بين مشاة وفرسان ينتمون للمغرب وافريقية.

الحصون الموحدية : تعد أولا "تينمل" التي اختارها المهدي بن تومرت مركزا لدعوته الموحدية من الحصون العسكرية الهامة في عهد الموحدين، ففي ذلك يقول صاحب "الحلل الموشية" : " توجه المهدي الى تينمال، ولما رأى من منعتها وحسن موضعها، بنى على رأسها الجبل سورا وأفرد في قمته حصنا يكشف عن ما وراء الجبل، ولا يعلم مدينة أحصن من تينمال».

وقد عبر عبد المومن عن "حاسة استراتيجية " فحصن جبل طارق وأحاله الى قاعدة أمامية للدفاع عن المغرب والأندلس، وبنى رباط تازة سنة 529 هـ ليكون معقلا عسكريا هاما.

ومن التحصينات الموحدية الهامة : رباط "تيط" الموجود على بعد 12 كلم من الجديدة وقد بناه الموحدون لرد الهجومات النورماندية والمسيحية على الشواطىء المغربية ودعّموه بستة أبراج؛ وقصبة " الوداية" التي بناها الرومان لحماية شالة وأصبحت في عهد يعقوب الموحدي أعظم مركز حربي يمد الأندلس بالجنود والعتاد. وبجوار القصبة بنيت "المدرسة الموحدية" واتخذها الأندلسيون النازحون من الأندلس مركزا لتعليم الرماية والملاحة البحرية. ومن الحصون الموحدية أبراج الحراسة والمراقبة (كما هو الحال في الناضور وفكيك وحوز مراكش وحاحا)، والأسوار المحصنة لقرطبة واشبيلية وقلعة جابر، وأسوار وأبواب رباط الفتح (أُنظر تفاصيل ذلك بكتاب «تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى» ج 3 ص 111-143).

الجيش الموحدي في الاندلس : وقعة الأرك :

« كانت الغاية من الجواز الى الأندلس في مظهره وعدده وعدته هو القضاء على جيوب العصيان وقادة الإنفصال وصد هجوم زعماء الإسترداد المسيحي الأراضي الإسلامية» وهكذا واجه يعقوب المنصور الموحدي بجيشه الموحدي العتيق الإسبانيين القشتاليين المعززين بالبرتغاليين [10] في معركة الأرك الشهيرة (Alarcos)(591 هـ 1195) وأبلى الجيش المغربي في هذه المعركة التاريخية البلاء الحسن واستطاع بمفرده أن يرد الجيشين المتحالفين على أعقابهما منهزمين ويعود الى عدوة المغرب معززا مكرما تاركا وراءه آلافا من القتلى ومخلفا عشرين ألف أسير. [11]

ويحدثنا الناصري عن هذه المعركة -نقلا عن أبي زرع- قائلا : خرج أمير المؤمنين يعقوب المنصور من حضرة مراكش يطوي المناهل ولا يلوي على فارس ولا راجل، والجيوش تتتابع في أثره من سائر الأقطار (قبائل العرب وقبائل البربر : زناتة المصامدة، غمارة الأغزار، الرماة، المتطوعون الموحدون، العبيد......)

ولما انتهى إلى قصر المجاز (قلعة رباح) أخذ في إجازة الجيوش الواردة عليه لا يفرغ من طائفة إلا ولحقت بها أخرى. (وكان قد هيأ له هذا العبور انتصار القائد عبد الله بن جامع على الأسطول البرتغالي وقهره له في حملته الثانية لغزو سبتة سنة 1181م). ولما وصل المنصور إلى الأندلس[12] خطب في جنوده ليلا وعهد بالقيادة العامة الى ابن أبي حفص وبقي هو في جيش احتياطي. ثم التقى الجمعان، «وأظلم الجو بالغبار واختلط الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه (ولم يمض وقت طويل) حتى أسرعت خيل من الجيش المغربي الى أمير المؤمنين فأعلموه بأن الله فل شوكة العدو. فعند ما أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت وتسابق الجنود للقتال وخفقت البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة، ولم يرع العدو أن الرايات قد أقبلت تخفق من كل جهة وأصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الأرض، فولى الا لفونسو الأدبار لا يلوي على شيء، وأحاط بعض الجند بحصن الأرك واقتحموه وأضرموا النار فية واحتووا على جميع ما كان فيه من أنواع السلاح التي تفوق الحصر».

وكان لانتصار الجيش المغربي على الجيشين الأوروبيين صدى كبير في المشرق حيث طلب صلاح الدين الأيوبي - على لسان سفيره عبد الرحمان بن منقذ -من يعقوب المنصور أن يمد بأسطوله لمحاربة الصليبيين بحرا»[13] الذين حاصروا "عكا" "وصور" وطرابلس الشام سنة 586 هـ (1119) بعد موقعة حطين- التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين برا. وهذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالأساطيل

الجهادية والعناية بها. ولم يلب المنصور الموحدي نداء صلاح الدين «لانشغاله بحروب بني غانية وحلفائهم العرب والغزو والأتراك بقيادة قراقوش، الثائرين على النظام الموحدي بإفريقية».

وقيل أنه أمده ب 180 بحرية كانت لها مواقف هامة في الدفاع عن الشواطىء الشامية [14].

وقد أعاد الفونسو الكرة لأخذ الثأر فاستجمع يعقوب المنصور قواه من جديد واستأنف القتال فحاصر طليطلة ودخل اشبيلية وتم له النصر للمرة الثانية [15].

وبعد أن عاد الجيش الموحدي من الجزيرة اندرج فيه فريق من الأغزاز والأكراد الذين نزحوا من المشرق الى المغرب وذلك لمزاياهم العسكرية.

غزوة العقاب (609 هـ - 1112م) : ولما بلغ الناصر الموحدي وهو بمراكش أن الفونسو استطال على ثغور المسلمين بالأندلس «وتكاملت لديه الحشود وتوافت بحضرته الجنود، اجتاز الأندلس وصفت له الجنود من باب قزمونة الى اشبيلية أربعين ميلا». وقد اجتمع عنده في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس 600 ألف وقد قسمهم الى فرق، فجعل العرب فرقة، والقبائل المغربية فرقة والمتطوعة فرقة. واجتمعت جيوش قشتالة وأرغون المتوطوعين من النصارى الصليبيين وخرجت من طليطلة، وخرج الناصر بجيوشه الأندلسية والمغربية من اشبيلية، وكانت المواجهة في حصن العقاب (لاسنا فاس دي تولو سيا) ودارت رحى الحرب، ولكن الدائرة دارت على المسلمين لأغلاط عسكرية هامة منها : "فرار جند الأندلس لعدم ثبات العرب والبربر".

وانهزم الناصر في معركته هذه أمام جيوش متحالفة (فرنسية، أركونية، قشتالية، إيطالية......). فكانت هذه المعركة بمثابة "حرب صليبية" شنتها الدول الصليبية " على المغرب الذي كان يدافع وحده في الميدان [16].

وبعد هذه الهزيمة النكراء انهارت دولة الموحدين واستولى الإسبان والبرتغال على مملكتهم بالأندلس ولم ينتصف القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي - حتى تهاوت كل القواعد الإسلامية في الغرب الإسلامي بقرطبة وأشبيلية ومرسية وغيرها.

الأسطول الموحدي :

كان للموحدين أسطول ضخم قال عنه المؤرخ الفرنسي " أندري جوليان " في كتابه " تاريخ افريقيا الشمالية " أنه أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط " وكان هذا الأسطول مكونا من 400 قطعة موزعة كما يأتي :

100 قطعة راصدة في السواحل الجزائرية والتونسية

100 قطعة راصدة في سواحل طنجة وسبتة وبادس

100 قطعة راصدة في مهدية (لما أراد عبد المؤمن غزو المهدية (552 هـ) بنى معملا للسفن والزوارق في ملتقى فاس بواد سبو)

80 قطعة راصدة في السواحل الأندلسية.

وقـد اشـتـبكت هذه القطع مع بعض الأسـاطيل الأوروبيـة، فـجـرت بينهـا وبين أسـاطيل النرمـانديين والفشتاليين والبرتغاليين معارك بحرية انتصرت في معظمها عليها".[17] كما نازلت في افريقيا تحت قيادة عبد الله بن سليمان .

أمـا قطع الأسطول الموحـدي فكانت كـمـا يأتي : المراكب، الحـراقـات (أو الحـراريق التي كـانت تحـمـل المجـانيق)، المسطحـات (سـفن ضـخـمـة للإنقـاد)، الشلنديات (واحدتهـا شلندى لحـمل الأسلحـة والبـحـارة)، الطرادات (أو الطرائد ج طريدة أو الطراد) وهي سفن شـديدة السـرعـة.. والشـواني (ج شـيني) وهـي السـفـينة الضخمة المتكونة من عدة طبقات الخ....

ومن أشهر قـادة الأسطول الموحدي عبد الله بن سليـمـان (في عـهـد عـبد المومن)، وأحـمد الصـقلي الذي تلقى تكوينـه على يد ملك النورمـانديين والذي عـاش في عـهـد يعـقـوب المنصـور وقـاد الأسطول الموحـدي في معاركه عبر سواحل البـحر المتوسط، وقد قلده أمر الأسـاطيل الموحدية الخليفة يوسف بن عبد المومن، «ومحمد بن عطوش ويحي الهـزرجي (قـائده سنة 600 هـ) 1203م وابن طاع الله الكومي وابن مـردنيش قـائد الأسطول بسبتة سنة 576 هـ. وقد بلغت - يقول ابن خلدون - أسـاطيل الموحدين في عـهـد المنصور الى مـالم تبلغه من قبل ولا من بعد حيث الكثرة وجودة الصناعة. وقد كان للموحدين داران لصناعة السفن البحرية. «وترسانات عظيمة كترسانة أبي رقراق وأخرى بقصر مصمودة وهو القصر الصغير، وثالثه على ضفة واد فاس، اذا كانت البواخر الصغيرة تقطع واد سبو وترسو قرب مدينة فاس »[18]

و كرد فعل لهزيمة وقـعـة العـقـاب سـاعد هذا الأسطول الموحدي على انتشـار الجـهـاد بعد حين في الثـغـور المغربيـة وتمركز بالخصوص في سلا وسبتـة وتطوان وكان يتـصدى لأي هجوم بحري إسباني أو برتغـالي أو لقمع حركات القرصنة . وقد استخدم فيه عدد من الأوروبيين للإستفادة من تقنياتهم في قيادة السفن الحربيـة ومن بارودهم الذي كان يجلب بواسطة التجار من انجلترا وألمانيا.

---

(1) في عهد بني زيري بن مناد استولى النورمانديون على افريقية فاستنجد أهلها بعبد المومن الموحدي، فتوجه اليهم على رأس جيش بري (والأسطول الموحدي يحاذيه بحرا) واستولى على افريقية طاردا النورمانديين منها، وعلى مهدية (بعد معركة بحرية)، وعلى طرابلس الغرب وبرقة. وبذلك صفا له الجو بين برقة وتلمسان.

(2) بانضمام عرب بني هلال الى الجيش الموحدي ساعدوا على تعريب الساحل الأطلنتيكي للمغرب حيث اندمجوا في قبائله البربرية. وفي العهد المريني ألحقهم ابو الحسن بعرب معقل ثم أخرجهم من الجيش وجعل لهم "أعطيات" من ديوان الجند.

(3) كانت هذه السهام تصنع في معهد بمراكش حيث كان يضرب منها في كل يوم العدد العديد.

(4) كانت تضرب للجنود رواتبهم أثناء القيام بحملة من الحملات بالإضافة الى ماكان يوزع عليهم في الأعياد والمناسبات.

(5) ابن صاحب الصلاة : المن بالأمامة تحقيق د. عبد الهادي التازي

(6) "كان من بينها واحد أكبرها اذا ضرب فيه ثلاث مرات علم أنه طبل الرحيل وهو مستدير الشكل محيطه 15 درعا ومصنوع من خشب أخضر اللون، ويسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع». انظر كذلك محمد المنوني : حضارة الموحدين ص 176.

(7) كما جاز اليها فيما بعد - ابنه يوسف مرتين قاد فيها حملة بحرية وأخرى برية على رأس جنود نظاميين ومتطوعين.

(8) هاجم القشتاليون مدينة سلا في أواخر عهد الموحدين (658 هـ) وساقوا أهلها. وقد سارع أبو يوسف الى نجدة أهلها وحاصر النصارى بها واضطرهم الى الإقلاع.

(9) نظم الوزير أبو محمد المالقي قصيدة يخاطب فيها عبد المومن القائد، ومما جاء فيها قوله :

وفـــر جنـــودك بـالأرزاق توســعهــا	فالــزرع يــزكــو اذا وفــرت سقيـــاه
وافعــل بهــم وداعامااتت فاعلــه	فــانت يوم اشتــعال الحرب تجـــزاه
آمر على الجيش مـن ترجو كفايته	ودع ســواه وإن نــاجتــك قــربــاه

(10) «بدأ المنصور حركته الجهادية بمملكة البرتغال (نسبة الى عاصمة الإمارة الجديدة المستقلة عن قشتالة 163 م) سنة 587 هـ . وكانت البرتغال أشد الممالك الإسبانية خطورة على المسلمين بعد استشهاد والده بها. وقد هاجم المنصور مملكة البرتغال برا وبحرا وحطم قواها وخرب حصونها وديارها واكتسح أراضيها، ولم يجرؤ ملكها " سانشو هنريك" على مواجهة المنصور في معركة عامة مكشوفة بل ظل مختفيا وراء جدرانه لا حول له ولا قوة (1174م) د. أحمد مختار العبادي : الموحدون والوحدة الإسلامية- مجلة التربية الوطنية - عدد 3 - أبريل 1962).

وهنا ظهرت براعة هذا المجاهد الكبير الحربية حيث استطاع أن يتجنب لقاء اعدائه مجتمعين وأن ينفرد بهم واحدا واحدا. وهذه هي الخطة التي صار عليها نابليون في حروبه العديدة.

(11) لم تكن هذه أول مرة يدخل فيها الجيش الموحدي للأندلس بل بعد ما غزا أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن - والد المنصور- قفصة وبلاد القيروان أنجد المسلمين بالأندلس في موقعة "الجلاب" التي دارت بين جيوشه (البربر والاعراب والاندلسيين) وجيوش ابن مردنيش سنة 560 هـ. وقد تم له بعد هذه المعركة استرداد مرسية وبطليوس (بقيادة أخيه أبي حفص عمر الذي استرد ما خسره المسلمون جنوب وادي التاجة (Rio Tajo) وقرطبة (576 هـ) تحت قيادته بجيش بلغ عدده مائة الف من البربر والعرب. وبعد ما بدأ البرتغاليون يهاجمون الأندلس عبر أبو يعقوب يوسف اليها للمرة الثانية عن طريق سبتة على رأس جيش لجب لمهاجمة لشبونة ولكن البرتغاليين هاجموا صباحا معسكر أبي يعقوب بجيش بلغ عشرين ألف رجل وأصيب الأمير الموحدي بجروح أودت بحياته كما ذكر أعلاه.

(12) مما يجمل معرفته في هذا الصدد أنه قبل المعركة بعث "الأدفونشو" كتابا حمله رسول الى يعقوب المنصور يتهدده ويتوعده طالبا بعض الحصون الأندلسية. فلما وصله الكتاب وقرأه مزقه وكتب على قطعة منه الآية القرآنية : "ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون" ثم كتب : الجواب ماترى لا ما تسمع وأنشد متمثلا بقول الشاعر :

ولا كتب الا المشرقية والقنا	ولارسل الا الخميس العرمرم

(الناصري : الاستقصا ج 2 ص 187).

(13) نقرأ في كتاب " البحر المتوسط بحيرة عربية" للدكتور على حسن الخربوطلي -(سلسلة إقرأ عدد 247) أنه لم تحل سنة 1199 م حتى صارت البحرية المصرية في عهد صلاح الدين على أتم استعداد للعمل. فقد تزايد عدد السفن ذات المائة والأربعين مجذافا. وانقسم الأسطول الى قسمين : قسم تعهد بحماية السواحل المصرية وقسم تكلف بالهجوم على الصليبيين فتوغل في البحر ووصل الى أطراف بزنطة وقبرص وكريب وجنوب آسيا الصغرى وعكا. وذكر المؤرخ أبو شامة في الروضتين أنه ما قام به هذا الاسطول من العمل في غزو عكا لم يقم به أسطول إسلامي في سالف الدهر. ونقرأ أيضا أن صلاح الدين أرسل اسطولا فتح القيروان. وقد هيأ هذا الفتح لمصر سبيلا مباشرا للوصول الى الغابات للحصول على الأخشاب اللازمة للأسطول ومده بالملاحين المهرة من أهالي شمال افريقيا. ولتستفيذ مصر من معرفة المغاربة القوية لشؤون البحر جندت فرقا منهم لبحريتها. واستمروا فيها الى زوال دولة الايوبيين. وقد برز من بين قادتهم الرايس ابراهيم التازي الذي شغل منصب دار الصناعة في الاسكندرية وقاد الحملة المصرية على جزيرة قبرص وتصدى على رأس أسطول مصر لهجوم الاسطول القبرصي على مصر تدعمه وسائل الدفاع من سهام ومجانيق.
ومنذ الحروب الصليبية أسهم المغاربة في الجهاد ضد الصليبين ورابطوا على سواحل مصر والشام وقاتلوا الى جانب نور الدين محمود في سوريا (ذ. الطاهرأحمد مكي : الوحدة المغربية الكبرى في ظل الموحدين- (الجامعة الشتوية).

(14) يقول المؤرخ ابن جبير في هذا الصدد : " ان المغاربة الذين هبوا من بلادهم للدفاع عن الاراضي المقدسة ألزمهم الصليبيون -عند الحدود- ضريبة مكسية دون سواهم وماذلك من سبب سوى البطولات التي قاموا بها في إحدى المعارك تحت قيادة نور الدين زنكي أمير سورية». ومن الشهداء المغاربة الذين استشهدوا أثناء الحروب الصليبية الفقيه أبو الحجاج يوسف الفندلاوي وهو عالم مغربي انتقل إلى الشام واستشهد دفاعا عن دمشق سنة 543 هـ – 1148م

ومما تجدر ملاحظته ايضا أن فكرة موحدية لافتتاح مصر - بعد هذه العملية - قد تبلورت فيما يبدو في عهد الخليفة يعقوب المنصور واتخذت طابعا قويا وذلك لما أبداه المنصور من عزم وتوسع ضخم في اهباته العسكرية وما وفق اليه من انتصارات باهرة في شبه الجزيرة الإسبانية ولاسيما في معركة الارك التي سحقت فيها الجيوش القشتالية ورفعت سمعة الموحدين الى ذروتها. ولكن المنية حالت بينه وبين مطامحه (د. عبد الله عنان مشروع الموحدين لغزو مصر- العربي عدد 65).

(15) قد أبدى أبو الربيع سليمان الموحدي الشاعرالأمير إعجابه بجيش دولته وكتائبه القوية فأنشد قصيدة منها في مدح جيش المنصور :

وكتــائــب منـصــورة يحــدو بهــا	عــزم اذا أمضيته لا يـــرجــع
من كـل من تقـوى الالاه إسلامـــه	مــا ان له الا التــوكل مفــــزع
لا يسلـمـون الى النــوائب جارهــم	يومـا اذا أضحـى الجوار يضيـع

للـه جنـدك والصـوارم تنتضـي والخيـل تجـري والاسنـة تشـرع

(القرطاس لابن أبي زرع ص 319) (للمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة أنظر يوم الأرك « لفاضل السباعي - مجلة المناهل عدد 17)

هذا وفي أعقاب انتصارات يعقوب المنصور بالاندلس بنى الجوامع الثلاثة الخالدة جيرالدة والكتبية وحسان تخليدا لهذه الانتصارات.

وعلى هذا النحو شيد المنصور السعدي قصر البديع شرقي قصبة الموحدين بمراكش تخليدا لإنتصاره في معركة وادي المخازن ضد البرتغال.

(16) من بين المعارك التي انهزم فيها الموحدون بالأندلس هي معركة وقعة وندة وذلك "لأن القيادة سلكت بجيشها في المضائق الوعرة مسافة طويلة بين جبال باردة لم يألفها معظم القبائل السهلية التي تعيش تحت طقس جاف وساخن"

(17) أحكم الموحدون الحصار على مدينة المهدية وضيقوا الخناق على اسطول غليام لم يكن أمام النورماندين إلا أن يبعثوا برسائلهم الى الخليفة يلتمسون منه فيها الجلاء عن المهدية. فاستجاب عبد المومن لمطلبهم.

(18) د. ابراهيم : حركات الجيش المغربي في عهد الموحدين وبني مرين -دعوة الحق- عدد غشت 1969.

ولمعرفة أسماء الاساطيل البحرية في عهد دول المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين يجب الرجوع الى بحث كتبه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله بمجلة دعوة الحق (عدد 7 سنة 1981 ابتداء من ص 5) - كما تجب في هذا الصدد مراجعة بحث الدكتور عبد الهادي التازي : الأسطول المغربي عبر التاريخ مجلة البحث العلمي عدد 33 (نونبر 1982) ؛ وكتاب المختار العبادي وسالم عبد العزيز : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس.

الجيش المغربي في عهد الدولة المرينية

تنظيم الجيش وفرقه وأسلحته : اتسم الجيش المريني بنفس القوة التي كانت للجيش الموحدي وتوفرت له نفس العدة أيضا. فكان مؤلفا من مشاة برابرة وفرسان عرب "معاقيل"[1]، ومن 400 فارس من الإفرنج و 1500 فارس من الترك (الأغزاز)[2]، ومن 500 من حملة الأقواس الأندلسيين (الذين كانوا يرمون بقوس الرجل) وكذلك من فرسان ومشاة أندلسيين (2000) ومن نبالين ورمالة مرتزقة، ومن جنود الحرس السود الذين كانوا ينفذون الأوامر السلطانية ويحرسون محلة السلطان،[3] ومن متطوعين مجاهدين.

وقد أدخل المرينيون كالموحدين -(في آخر عهدهم كان يوجد بأقطار المغرب الثلاثة عدد كبير من الفرق الأجنبية ذات الأصل الإسباني(Castillan) والبرتغالي)- في جيشهم بعض الفرق الأجنبية (400 فارس من القشتالين المتعودين على الزحف والثبات فيه)، لأنه ظهر لهم أن القتال بالزحف الذي هو قتال الأجانب أوثق وأشد من القتال بالكر والفر الذي هو قتال البربر "فكان القتال بالزحف -يقول ابن خلدون- ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو قدما، لذلك يكون المقاتلون أثبت عند الصراع وأصدق في القتال وأرهب للعدو، ولأنه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمع في إزالته. وفي التنزيل «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص" وفي الحديث : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا".

وكان سلاح قواد الجيش الأندلسي القسي الفرنجية، وسلاح باقي الجيش القسي العربية المجلوبة من المشرق. وكان الخيالة يمتازون بحسن الترتيب ويرتدون البراقع والجلاجل. وكان المشاة يتسلحون بالعصي الطوال وبالأمراس (الحبال) وبالنبال (السهام).

وكان للجيش المريني ديوان مكتوب. «وقد جعلت لقادته درجات، وقسمت أطره الى قسمين : "الأشياخ الكبار" وهم الذين يكون الواحد منهم مقدما على ألف جندي،ويليهم "الأشياخ الصغار" ويكون الواحد منهم مقدما على مائة جندي ثم " النقباء" المنظمون للمواكب العسكرية. وقد جعلت لهم ولسائر أفراد الجيش مرتبات شهرية "تتراوح بين 6 مثاقيل و 60 مثقالا ذهبيا حسب الرتبة العسكرية». وتعطى لهم واجبات الجهاد بعد استخراج الخمس لبيت المال : سهم للراجل وسهم للفارس. كما كان السلطان المريني (أبو عنان على الخصوص) يهدي لقادة الجيش كساوي وسيوفا وخيولا مسرجة.

وكان للجيش زي خاص، وهو عبارة عن عمامة طويلة يضعها الجنود فوق رؤوسهم ويلبسون في أرجلهم الأخفاف (الأتمقة) ويشدون المهامر (المناطق) فوقها ويتقلدون بالسيوف. ويختص السلطان بلبس البرنس الأبيض، ولا يلبسه ذو سيف سواه.[4]

- عادات الجيش المريني الحربية :

كان المرينيون يبرهنون على علو كعبهم -أثناء معاركهم- في فنون الحرب. كانوا يتعرفون أولا على قوة الخصم. فإذا كانت أقوى من قوتهم يعدلون عن الحرب. وكانوا يختارون موضع المعركة أنفسهم ، ويجرون عدوهم اليه الذي إذا كان بعيدا عنه، ولا يغادرون مكان المعركة حتى يتأكدون من هزيمة عدوهم حتى لا يلحق بهم عند الإنسحاب. وكانوا يحمون مؤخرة جيشهم بالجمال والبغال والخيام والمؤن من هجوم العدو، ويستعملونها كحصار للمتراجعين من جنودهم. وكانوا يستعملون الحصارات وخصوصا في حروبهم بالأندلس. ولكن حصاراتهم كانت لا تدوم زمنا طويلا. وكانوا يحاربون نهارا ويوقفون الحرب ليلا وكذلك في شهر رمضان وفي فصل الشتاء لصعوبة المواصلات [5]. وكان من عاداتهم الحربية أيضا أنهم قبل الشروع في المعركة كانوا يقسمون جيشهم الى ميمنة وميسرة وقلب وساقة. وكانوا يستقبلون أعداءهم برماح طويلة ومزارق مسنونة وهم مصطفون، يأتي في الصف الأول الرماة برماحهم وذروعهم وفي الصف الثاني الفرسان.

وكان قتالهم عنيفا جدا ، فمثلا في معركة "ريسولادو" ابتلت الذروع بالدماء حسب المؤرخ الفرنسي Robert Ricard لا يتورعون – صائحين- في إثخان سيوفهم ورماحهم . ولم يشد المرينيون عن اتباع القاعدة التي سلكها قبلهم المرابطون والموحدون إثر الإنتصار في المعركة حيث تجمع رؤساء الأعداء كتلة واحدة بعضها فوق بعض، ثم يقام عليها الآذان ويصلي المسلمون عن كثب منها [6].

وقبل الشروع في المعركة كان مجلس يضم الملك والوزراء ورؤساء القبائل هو الذي يقرر الخطط الحربية. وقبل الدخول في المعركة كان الشاعر المريني يتقدم أمام صفوف الجيش المريني منشدا تحريكا لمشاعرهم.[7] كما كانت الجواري تتغنى بغناء زناتي يدعى "تاصوكايت"، لتجيش به همم الأبطال[8].

وكانت العادة عند بني مرين أيضا أنهم يخرجون مع نسائهم في الحرب : ففي الواقعة التي تقابل فيها أبو يوسف بن عبد الحق بن يغمراسن بن زياد في تلمسان " برزت الجمال المحلاة والمراكب الملبسة بالديباج والقباب المزينة بالجواري المولدات تقودها الرجال في أحسن زي وأتم حال. (الذخيرة السنية). «فكان للنساء دور نفسي واجتماعي في الحروب يؤدينه عن طريق الكلمة أو العبارة أو الإشارة أو الأغنية أو الزغردة»...

بعض غزوات الجيش المريني :

لما عزم المرينيون بعد انتصارهم على الموحدين في موقعة "نكور" على ضم شتات الإمبراطورية الموحدية اصطدم بنزعات وحروب متعددة. ودخلت هذه الإمبراطورية تحت نفوذ بني عبد الواد بتلمسان وبني حفص بإفريقية وبنونصر بغرناطة، وتقاسم القشتاليون والقطلانيون معظم القواعد الإسلامية بالأندلس.

ولما تمت بيعة يعقوب المريني بفاس أخمد ثورة الإسبانيين بسلا بعدما ضيق عليهم بالقتال ليلا ونهارا حتى فتحها قهرا، واستولى على آنفا وتامسنا، ثم تصدى ليغمراسن بوادي تلاغ لما وقف في وجه زحف جيشه على أحواز مراكش. " فسارت الخيول (في هذه المعركة) ترمح وبفرسانها تطمح والسيوف بالدماء ترعف والرؤوس عن الأجساد تقطف». ثم فتح ولده أبو مالك سوس من ماسة الى المحيط.

ولما عزم يعقوب المريني على الجواز الى الأندلس تلاقى مع يغمراسن بوادي، إيسلي وجعل ولده الأمير عبد الواحد على ميمنة جيشه وولده الأمير يوسف على مسيرته وأتى هو في القلب والساقة ووقف تحت ظلال السيوف والبنود مع أنجاد بني مرين. وانهزم أهل يغمراسن، وفر قائدهم الى تلمسان.

وقد نازل أبو عنان المريني عامله على جبل طارق أبو مهدي عيسى بن الحسين بن أبي الطلاق حتى قتله. وصارع عبد العزيز المريني عامر بن محمد الهنتاتي صاحب جبال هنتاتة من حوز مراكش حتى قضى عليه. وقاوم أحمد المريني عبد الرحمان ابن ابي يفلوسن الذي أراد اقتسام المغرب حتى أهلكه.

الأسلحة النارية في العهد المريني

قد امتاز الجيش المريني بأنه أول جيش في تاريخ المغرب استعمل الأسلحة النارية في حروبه (9) : فقد حاصر أبو يوسف يعقوب المريني سجلماسة بالمجانيق والعرادات (نوع صغير من المجانيق) وكذلك بالأكباش (Beliers) (672 هـ-1247م) ونصب عليها - يقول ابن خلدون - هندام النقط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار، الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال الى قدرة بارئها. كما تفنن أيضا في حصار مدينة تلمسان لما عزم على الإستيلاء عليها « فقد بنى سورا جعله سياج تلمسان - يقول الناصري - وأردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهاوي وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسامح ترحمه وأخذ بمخنقها حتى لم يخلص لها الطير..... وفي رواية أخرى : « فأقام حولها يفاديها القتال من سورها بإلحاح الحجارة من المنجنيق عليها فبادر وا الى اقتحام البلدة فدخلها عنوة من تلك الفرجة...... » وفي هذا الحصار يقول شاعرهم :

عساكر بن مرين مالها عدد * وكلهم فارس الهيجاء ذوكرم

أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا * وهم أذلوا ملوك العرب والعجم

وعندما حاصر ابو يوسف المريني مدينة تلمسان سنة 689 هـ استعمل سلاحا جديدا لم يعرف من قبل في المغرب وهو عبارة عن «قوس بعيدة النزع عظيمة الهيكل تسمى بقوس الزيار " وكانت تحمل لثقلها على أحد عشر بغلا. وذكر المؤرخون أن أبا يوسف حاصر أيضا مدينة طنجة كما حاصر أبو الحسن المريني تلمسان مدة عامين حتى اختط بقربها مدينة سماها "المنصورة" وأحاط البلد المحاصر بخندق وسور جديد ونصب المجانيق والآلات واستكثر من الأبراج".

وخلاصة القول فإن المرينيين استعملوا المجانيق (mangonneaux) والانفاط والعارادات (Balistes) وأقواس الزيار (arcs, arbaletes, boucliers) (أضرقة) في عدة معارك منها سجلماسة ومعركة الجزيرة الخضراء (في عهد ابي الحسن على بن أبي سعيد المريني حيث أن المغاربة كانوا يقذفون بكثير من الصواعق وبعدة قنابل كبيرة من الحديد "كالتفاح الكبير")؛ وفي حرب أبي عنان مع أبي زيان ملوك تلمسان.

قيادة الجيش المريني : كانت القيادة العامة للجيش تتألف من :

- السلطان : القائد الاعلى للجيش
- الوزير : كان من مهامه اقتناء السلاح ورئاسة الجيش وتسيير الحروب.

- صاحب الأشغال : يتولى ديوان الجنود "فيشرف على إحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إبانها ».
- الملند : (Maland أو Almirante) (مشتق من أصل قشتالي) قائد أعلى للأسطول المريني ومشرف على قواد المراسي البحرية في العدوتين وعلى إنشاء الأساطيل الجهادية.[10]
- رئيس الجهاد بالأندلس : كان يرأس الجيش المغربي بالأندلس ويسير العمليات الحربية بها .

ومن أشهر القادة العسكريين في العهد المريني : محمد بن عطوش الذي شارك في حروب المغرب والأندلس، وعثمان بن أبي العلاء الذي شارك في عدة غزوات، والوزير بن علال الذي قاد الجيش في المغرب الأوسط، وعمر بن السعود بن خرباش قائد الجهاد بالأندلس وغيرهم كثير....

وكان للجيش في عهد ابي الحسن المريني قاضي يدعى "قاضي العسكر" اسمه ابراهيم بن يحيى. وامتاز هذا الجيش في عهده بقوته وشجاعته وسرعة تدخله مما جعله يتفوق على جيوش المغربين الأوسط والأدنى.

وكان يستعمل الطبول والطنابير والأبواق والاعلام[11]

المؤسسات العسكرية : كان للجيش المريني مؤسسات عسكرية هامة منها : المدرسة الحربية التي بناها أبو الحسن المريني[12] بسلا لتدريب البحارة العسكريين، وباب المريسة بسلا لصناعة السفن، ومخزن للأسلحة بنفس المدينة، "ورباط تازة" للتدرب على ركوب الخيل... وأسوار وأبراج شالة المرينية بالرباط، وأسوار وأبواب فاس الجديد[13] (من بناء أبى عنان) وأسوار منصورة تلمسان ومدينة سلا، ومراكز للجيش مع الاصطبلات بفاس الجديد، كما كانت القصبة (تسمى قصبة الودايا منذ عهد المولى عبد الرحمان العلوي) في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني أعظم مركز حربي تغادر منه الجنود وتعود اليه منصورة منذ عشر سنين (674 هـ 684 هـ ويعد قصر المجاز والجزيرة الخضراء بعدها وعددها الى أن أتم المنصور مهمته بالأندلس.[14] .

وقد اهتم ملوك بني مرين كثيرا بجبل طارق[15] فقد حصنوه واتخذوه كقاعدة عسكرية هامة ونقطة ارتكاز للعمليات الحربية بالأندلس. وجدير بالذكر أن من أشد اهتمام ابي عنان المريني[16] به أنه قد بنى له "مجسما" في قصره بفاس.

وبسقوط هذه القاعدة المرينية بالأندلس -بعد سقوط قواعد أخرى كالجزيرة الخضراء وطريف وروندة - كان سقوط الأندلس، وطويت صفحة مجيدة من صفحات التاريخ الإسلامي.

الجيش المريني بالأندلس : لما اتصل الخبر بالسلطان أبي يوسف يعقوب المريني (السلطان الشجاع والضرغام العارف بأحوال الحروب والوقائع) أن العدو قد أخذ في الإستعداد وعزم على الخروج الى الجزيرة أجاز الى الأندلس[17] الخيل العتاق والعدة الكاملة والسلاح حتى انتشرت العساكر المرينية ما بين طريف والجزيرة الخضراء ثم تقدمت الى الوادي الكبير. فعقد هناك لولده الأمير زيان (وقيل حفيده) على مقدمة الجيش المركبة من 500 فارس من أنجاد بن مرين والعرب وأعطاه الطبول والبنود. فالتقى الجمعان، وقتل عدد كبير من جنود العدو. ولما وصل الجيش المريني الى مدينة "سبحة" وعاين الجنود المسيحيين قد تدرعوا بالمصفحات من الحديد، قدم أبو يوسف الغنائم أمامه وسرح ألفين من الفرسان والراجلين أمامها وسار

يقتفيها من خلفها حتى إأذا طلت رايات العدو تلاقى الجمعان واشتد النزال وعظمت الاهوال. فلا ترى الا السمر- أي الرماح - تهوى في الروم كأنها الشهب الشواقب والبيض تفعل في أعداء الله فعل العذاب الواصب والسيوف بالدماء ترعف ورؤوس الكفرة من الأجساد تقط وتقطف [18]. تم دارت بهم فرسان المهاجرين من العرب وبني مرين كالأسد الضارية إذا برزت من العرين يحكمون في رقابهم السيوف. فهب ريح النصر ودخل أبو يوسف الجزيرة الخضراء دخول الظافرين (674 هـ). وفي هذا النصر ينشد أحد شعائرهم متمثلا بقول شاعر موحدي :

وأتيت تنصر دينه متوكلا	*	بعزيمة كالسيف بل هي أقطع
وكتائب منصورة تحدوبها	*	أمرا اذا أمضيته لا يرجع
لله جندك والصوارم تنتضي	*	والخيل تجري والأسنة تشرع

وبعد ذلك تم الصلح بين بني الأحمر وبني اسقيلولة، ثم تقدم الجيش المريني الى مدينة قرطبة وحل بها وغنم كثيرا من الغنائم، ولكنه فوجيء بهجوم جيش إسباني آخر بقيادة صهر ملك قشتالة فأحاط به وأهلكه. ومن تم توجه السلطان المريني الى اشبيلية ولم يقدر الإسبان على مواجهته ففروا. وقد ارتحل السلطان المريني مرة ثانية الى الأندلس : فلما اقتتل الجيشان مليا انهزمت الفرنج وتساقطت بعضهم في "وادي الكبير" فارتمى عليهم جنود الجيش المغربي في وسط الماء وقتلوهم في لجته حتى صار الماء أحمر -مما يدل على أن الجنود المغاربة كانوا يجيدون الصراع وسط اليم - وحرروا مدينة اشبيلية مرة أخرى.

ولقد جاز ابو يوسف يعقوب الى الأندلس مرات متعددة (لما حاصرالفونسو مدينة قرطبة مثلا) وقد كان يستولي فيها على الحصون والمدن، ثم كان يردها الى أمراء الأندلس. ولما حاصرالإسبان الجزيرة الخضراء وضيقوا على أهلها بها جهز المنصور **أسطوله البحري** وساعده حاكم سبتة بأسطوله وكذلك ابن الأحمر. وتلاقى الأسطولان المغربي والإسباني ودارت معركة بحرية لا مثيل لها وغرق كثير من البحارة الإسبان تاركين « أجفانهم ومعداتهم عائمة ». ثم فك الحصار عن الجزيرة . وضربت الطبول ولعبت الخيول ولاعب المنصور جنوده بالحراب. ثم رحل المنصور الى الأندلس بعد أن استغاث به "الفونسو" بعدما قام عليه ولده "شانجو». فجاهد المنصور صحبة ولده في النصارى وانهزم "شانجو" الذي تحصن بقرطبة. وغزا المنصور المريني الأندلس مرة أخرى ونزل بسريشة وأنجده ولده يوسف في جحفل عظيم فأرسله الى اشبيلية ليغزو النصارى. وقد كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة التي غنم فيها المرينيون مغانم كثيرة، ومن بعدها دخل المرينيون الى مدينة طليطلة [19].

وقد جاز يوسف بن يعقوب الى الأندلس مرة أخرى وأحرز فيها على انتصارات مهمة بعد معارك برية على غرار جده ابي محمد عبد الحق الذي جاز اليها أربع مرات. وقد جرت العادة أن ترسل ريات العدو الى المغرب قبل عودة الجيش المغربي من الأندلس وترفع منكسة في أعلى منار القرويين ومنار جامع الكتبية. [20]

وتلخص لنا من هذه المعارك البرية التي قام بها المرينيون بالأندلس أن القوة المرينية كانت هي القوة الوحيدة التي كانت تحافظ على ما تبقى في أيدي المسلمين وتدافع عن أي عدوان مسيحي ضدهم [21].

ولما بدأ الإسبان يغصبون المدن الإسلامية استغاث أمراء غرناطة -بنو الأحمر- بأمراء بني مرين على لسان الشاعر صالح بن شريف الرندي بقصيدة يقول فيها:

ياراكبين عناق الخيل ضامرة	*	كأنها في مجال السيف عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة	*	كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة	*	لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم خبر من أهل أندلس	*	فقد سرى بحديث القوم ركبان

فقامت معارك بحرية بين بني مرين والإسبانيين سنأتي على ذكرها. ثم اقتضت ارادة الله أن يكون ما كان!

الأسطول المريني

أشار ابن خلدون في تاريخه الى وجود 100 بارجة مغربية (منها 16 سفينة تونسية) في الأسطول المريني وقد بنى يعقوب المريني دارا لصناعة المراكب الجهادية على يد مهندس أندلسي هو محمد بن علي بن عبد الله ابن الحاج الإشبيلي (714 هـ)، (الذي بنى مدينة سلا من جهة واد أبي رقراق وجعل لها بابين كان الوادي، يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر). وكان يجلب الى الدار العود من غابة معمورة [22]. كما بنى أبو الحسن دارين: الأولى" بجبل الفتح، والثانية بسبتة. وذكر "طيراس" في كتابه بأنه من باب المريسة كان المرينيون يعلنون الجهاد. وفي سنة 1279م أعطى يعقوب بن ابى يوسف أوامره بقصد الإغارة على الخزيرات بتجهيز سفن سلا وسفن المدن الشاطئية الأخرى وجمعها في سبتة وطنجة وسلا وقد جهزت سبتة بمفردها حسب ماذكر ابن خلدون خمسة وأربعين سفينة، بينما لم يمكن لمدن طنجة وأكادير وسلا وآنفا أن تجهز سوى خمسة عشر. وحسب نفس المصدر أنه في سنة 1285 كانت مساهمة سلا وحدها في الاسطول تتمثل في ستة وثلاثين سفينة حربية تحت أوامر أبي يعقوب[23].

وكانت أهم المراكز البحرية للأسطول هي سبتة -كما ذكر- وطنجة وسلاوبادس ووهران وبجاية وقابس (كان فيها ما يناهز 600 قطعة)

وكان بفاس في القرن الثامن الهجري (14 م) حسب ابن الخطيب في "نفاضة الجراب" صناع اختصاصيون لآلات النفط سماهم: «قادحي شغل الإنفاط وناقضي ذوايب المجانيق»[24]

وكانت تحمل بعض قطع الأسطول المريني الأسماء الآتية "القرقورة" وهي سفينة تحمل الزاد للأسطول؛ "الشيني" وهو مركب طويل يجدف بمائة مجداف وتقوم فيه أبراج وقلاع للدفاع والهجوم ؛ "الطريدة" وهي مركب سريع يشبه "البرميل" وتشغل غالبا في حمل الخيول ؛ "الغراب" وهي سفينة سوداء ؛ "القارب" وهي سفينة لربط الصلة بين السفن الأخرى والشاطىء ؛ "الشيطي" وهي سفينة استطلاعية [25].

كما كان يشتمل الاسطول على: "السلالير" (مراكب صغيرة)، و "الفلائك" (زوارق صغيرة لنقل الخبر) والأجفان (لشحن الرجال والمؤن)، "والمراكب" (لحمل الأسلحة والمؤن)، " والحراقات" (لرمي النار على الأعداء)، "والمسطحات" (سفن الإنقاذ).

أما في عهد أبي عنان كان الأسطول يتألف من «الأغربة والطرائد والشياطيء والسلالير والقوارب التي تحمل الأفلاك، والأملاك والشواني والمراكب والحراقات »[26] .

وكان من كبار قاعدة الأسطول المريني : سليمان بن داوود (في عهد أبي عنان) ، وأحمد بن يوسف [27]من أمراء بني الأحمر، ويحي الرنداحي قائده أسطول سبتة، ومحمد العزفي (في عهد ابي الحسن)، والبطروجي (تلميذ بن طفيل) ، وابن شلطور، والرايس ابراهيم التازي الذي امتاز بقتال الفرنج في ميناء الاسكندرية. ومما يجدر ذكره أن المرينيين أقاموا عدة محارس من آسفي الى تونس لمراقبة القراصنة المسيحيين الذين يغيرون على الشواطيء المغربية. «وكانت لهذه المحارس البحرية طريقة غريبة للإشعار السريع ؛ في كل محرس رجال مرتبون في أبراج لاستطلاع البحر، فلا تبدو سفينة للعدو تقصد الشواطيء المغربية حتى يوقدوا النار في أعلى البرج فيراها البرج القريب بدوره، وهكذا يتم الإنذار بالخطر في مسافة تسير فيها القوافل شهرين. »

المعارك البحرية : لما بلغ المنصور المريني أن الافرنج عزموا على احتلال الشواطيء المغربية أو عز الى جميع سواحله من سبتة وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح وآنفا[28] والمنكب والجزيرة وطريف بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها 36 بارجة متكاملة في عدتها فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها.

ولما تحققت سلامة الشواطيء المغربية نزل المنصور بقصره وبرزت الأساطيل البحرية أمام المرسى فلعبت بمرأى منه في البحر وتطاحنت وتطاردت كفعلها ساعة الحرب فسر المنصور بذلك وأحسن بحارتها. وقد قام الأسطول المريني بمناورات تمتد بين الجزائر وآسفي وبمناورة بحرية أخرى أشرف عليها أبو عنان خارج بجاية حسب شاهد عيان (وهو ابن الحاج مؤلف كتاب "فيض العباب") ، فاصطفت الأساطيل من بينها أسطول سبتة يتقدم كل أسطول قائده.... وشحن داخلها بالأبطال من رام وسائق ورامح وقد لبسوا الحديد... وقرعت الطبول، وعلت أصوات البوقات ودوت طلقات الانفاط بكل متأجج الشواط والرايات خفقت حول أعالي الرماح.

معركة جبل طارق البحرية : لما تابع المسيحيون غزواتهم لمملكة غرناطة في عهد بني الأحمراستنجد الحجاج يوسف الأول بالسلطان أبي الحسن المريني. فجهز أبو الحسن جيشا بقيادة ابنه ابي مالك المريني وأمره باقتحام الثغور الأندلسية. فتم للجيش المريني ماأمر به قائده حتى وصل الى أراضي قشتالة نفسها فجمع النصارى جموعهم ليقوموا برد فعل حتمي، فنصح القواد المسلمون السلطان أبا مالك بالإرتداد الى الأراضي الأندلسية ولكنه صمم على محاربة الجيوش المسيحية المتحالفة (قشتالية وأراغونية وبرتغالية) فانهزم ورجع على أعقابه. "ففجع أبو الحسن لمصرع ابنه وأصدر أوامره بتجهيز الأساطيل للسير الى الأندلس مرة أخرى وسافر بنفسه الى سبتة للإشراف على الترتيبات العسكرية. وكان قد بعث الى أصهاره الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزين بن فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة في ستتة عشر أسطولا من أساطيل افريقية وتوافت الأساطيل المغربية لمرسى سبتة تناهز المائة . وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبي سعيد. ورافق السلطان الحملة الى الأندلس عام 740 هـ (1340) حيث نزلت القوات البرية بأرض طريف رتقاربت القوات البحرية بأساطيلها حتى بلغت أساطيل النصارى ثم مالبث الطرفان أن التحما ودارت رحى المعركة التي تمخضت في النهاية عن فوز المسلمين وغنمت الأساطيل المغربية كثيرا من المال والسلاح وسيقت الأساطيل النصرانية الى

مرسى سبتة حيث نزل منها الأسرى»[29] وألقي بقتلى النصارى في البحر.

معركة طريف : «لم يكتف أبو الحسن المريني بأن ثأر لولده أبى مالك بل أراد أن يعاود الكرة الى أرض الجهاد فجهز الأسطول في أواخر سنة 740 هـ (1341م). وكان الجنوذ المغاربة قد عبروا من قبله البحر الى الأندلس وكان عددهم يناهز الستين ألف مقاتل وبلغ الأسطول المغربي يومئذ مائة وأربعين سفينة. ونزل السلطان وجنوده بالسهل شمال غرب طريف[30] ولما سمع السلطان أبو الحجاج يوسف الأول صاحب غرناطة بقدوم ملك المغرب وافاه بفرق من الجيش الأندلسي وبعض الغزاة من حماة الثغوروغزاة بن مرين. وعسكر هولاء وأولائك الي جانب جند المغرب وطوقوا مدينة طريف من كل ناحية ونصبوا عليها آلالات الحربية وكانت تسمى "بالإنفاط"...... ولما نشبت الحرب أبرز الجيش الكمين (وهو الذي دخل ليلا)، وعبأ السلطان مواكبه صفوفا وتزاحفوا. وكان السلطان يوسف الأول قد تولى قيادة فرسان الأندلس الذين اشتبكوا مع جيش البرتغال بيد أن الكمين الإسباني ضرب الجيش الإسلامي من الوراء فوقع بينهم اضطراب، ولما احتدمت المعركة بين الطرفين المتنازعين وهزمت فيالق يوسف أريقت الدماء غزيرة وسقط من المسلمين عدد كبير وهاجم النصارى مسبطات أبي الحسن ونجا السلطان المريني بأعجوبة وخلص الى الجزيرة الخضراء ومنها الى جبل الفتح ثم ركب الأسطول الى سبتة في ليلة غده»[31] وقد قتل عددمن النساء في هذه الهزيمة وجمع الأمير تاشفين بن السلطان أبي الحسن فرقة من الجيش ثم هاجم النصارى ولكنه غلب على أمره وسقط أسيرا وقتل. وقد نقل شهداء طريف الى مقبرة شالة ودفنوا "بروضة المرينيين". « وقد ترتب عن هذه الهزيمة النكراء أن انكسرت شوكة بني مرين بإسبانيا وان كان السلطان أبو الحسن المريني -رغبة منه في متابعة سياسة الجهاد بالأندلس- قد عدل بعد رجوعه الى المغرب على معاودة الكرة واستعرض الجنود تحت قيادة محمد بن العباس بن تاحضريت وموسى ابن ابراهيم البرياني. فلما بلغ الخبر الفونسو II جهز هو الآخر أسطوله ودفع به الى البحر الزقاق ونشبت بين الطرفين ملحمة بحرية هائلة تمخضت عن هزيمة المسلمين وتمزيق أسطولهم في البحر وذلك سنة 743هـ (1342م) [32]. ولم تعد للمرينيين بعد ذلك القوة الكافية لمواجهة المجهود الحربي الذي يقتضيه الجهاد بالأندلس أو للمحافظة على النفوذ الرسلامي الذي دام 6 قرون.[33]

عواقب الهزيمة : تابع الجيش الإسباني زحفه - بعد هذه الهزيمة - على المسلمين وحاصر الجزيرة الخضراء . وعندئد باذر السلطان يوسف الأول بنفسه لإنقاد الجيش الأندلسي المحصور بالمدينة ورغم أن النجدة كانت مجهزة بالآلات القاذفة إلا أنها لم تغن شيئا أمام تصميم الإسبانيين. فاضطرت الى الاستسلام تحت هذا الضغط الشديد وبذلك فقد المغاربة الثغرين الحربين الهامين : طريف والخضراء. ولم يبق في يدهم إلا جبل طارق.

وقد عاد القشتاليون خلال عام 1344 م الى جنوب الأندلس لإسترداد جبل طارق حتى تنقطع عن الأندلسيين أي مساعدة مغربية وحتى يسهل عليهم الإستيلاء على غرناطة. فحاصر الجيش القشتالي تحت قيادة الفونسو II جبل طارق الذي كان متمتعا بحامية مغربية قوية واشتد الحصار وجاء السلطان يوسف الأول ورابط بجيش خلف جيش الاسبان. ولبث الوضع الحربي هكذا مدة عام حتى تفشى الوباء بين صفوف الجيش القشتالي ففك الفونسو الحصار سنة 1350م وسمح له المسلمون باجتياز الطريق الى اشبيلية [34]. وأثناء الحصار كان قد جرت بين السلطان يوسف وملك قشتالة مفاوضات حول الصلح والسلم فاستأذن ابن

الأحمر السلطان أبا الحسن المريني في ذلك. ومؤدى هذه المعاهدة أن يجيز الفونسو II المحاربين المغاربة الى المغرب وأن ينزل سلطان المغرب له عن الجزيرة فوفى لهم «ولقاهم من المبرة والكرامة ماعوضهم بما فاتهم». «وتفتض على وزير عسكره "بن تاحضريت" عقوبة له على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها»، وانكب السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته " وأ كرمه الله باسترداد جبل طارق قبل ذلك بفترة »[35].

والخلاصة يظهر مما تقدم أن سياسة الدولية المرينية العسكرية كانت تعتمد على :

1- تقوية أجهزة الدفاع والهجوم البرية منها والبحرية

2- محاولة توحيد أقطار المغرب (الكبير) تحت رايتهم إحياء لمجد المغرب وعظمته واقتداء بأسلافهم الموحدين.

3- محاولة إنقاد ما يمكن إنقاده من بلاد الأندلس بوسيلة الجهاد ومساعدة دولة بني الأحمر(بنونصر) على الوقوف المستمر في وجه الغزو المسيحي[36].

الجيش المغربي في العهد الوطاسي

كان الجيش النظامي الوطاسي يتألف من 6000 فارس من المرتزقة و 500 بندقي و 600 قواس. وكان هذا الجيش يتقن فن الحصار هجوما ودفاعا، ففي حصار أصيلا -التي كانت تحت الحكم البرتغالي -مثلا- تمكن من اقتحامها سنة 914 هـ وجرى بها قتال شديد داخل الأزقة والاسواق واستعملت المدافع والبنادق إلى جانب الأسلحة التقليدية. وكان يشتمل الجيش كذلك على فرقتين : فرقة " من الطبالة الذين كانوا يحملون طبولا من النحاس على جياد أصيلة : لها دوي قوي وفرقة حملة الرايات، فإذا ساروا تركوها ملفوفة وتنشر منها واحدة تكون في المقدمة وترجع الى أعلى لتدل الملك وحاشيته وجيشه على الطرق وتقودهم عبر الغابات والأنهار والمسالك وفرقة للأبواق يغنى فيها عند التمرينات العسكرية وعند نشوب الحرب.« وقد بنى أبو العباس الوطاسي[37] (لهذا الجيش) معملا للسلاح بالقصر الملكي بفاس الجديد لإنتاج الأنفاط والبندقيات والبارود والاقواس والنبال»[38]. وكان قواد الجيش الوطاسي يدعون "بقواد الرحى". وكانت مؤن الجيش تحمل على الجمال التي كان يقودها أسرى مسيحيون.

مقاومة الجيش الوطاسي للبرتغاليين : استغل البرتغاليون ضعف الحكومة المركزية في عهد النزاع الذي كان قائما بين المرينيين والوطاسيين فقاموا بهجوم بحري على مدينة آنفا" وشرعوا يعدون حملاتهم البحرية لإحتلال بعض المراسي المغربية [39]، فجمعوا سفنهم الشراعية (477) وعلى ظهرها ثلاثون ألف مقاتل بقيادة "Duc de Guimares" حاكم سبتة [58] و Compte de Valance حاكم القصر الصغير ونزلوا بشاطىء أصيلة واستولوا عليها استيلاء بعد مقاومة عنيفة وبعدما فتحوا ثغورا بالأسوار وهجموا على أهلها. ولما بلغ هذا الى الملك محمد الشيخ وهو محاصر بمدينة فاس القديمة أسند قيادة جنده لإبن عمه أبي الحجاج يوسف بن منصور الوطاسي وذهب هو في 3000 فارس الى القصر الكبير ومنها الى أصيلة لعقد الصلح معهم سنة 1471 م.

وقام حاكم أصيلة البرتغالي لإنشاء برج برتغالي بمصب وادي لكوس بالقوة ولكن حملته منيت بالفشل أمام الهجوم الذي قام به محمد الشيخ الوطاسي رغم وجود جنود له مرابطين قرب Luxus. وبعد ذلك بنى السلطان الوطاسي مدينة العرائش كحصن عسكري، كما فتح "حصن فونتي" وطرد منه البرتغاليين واسترد أزمور وآسفي منهم، وقد عزم أبو الحسن المنظري قائد تطوان وأبو الحسن الراشدي أمير شفشاون [41] على غزو مدينة أصيلة ولكنهما فشلا، فقد فاجأ حاكم أصيلا البرتغالي أسطول ابي الحسن المنظري وحطم ستا من سفنه بوادي لوكوس، ومن تم توجه البرتغاليون الى البريجة[42] ونازلوا أهلها ونزلوا بها بعد مقاومة شديدة.

وفي عهد "محمد البرتغالي" استولى البرتغاليون مرة أخرى على مدن أزمور وآسفي وأكادير. وفي سنة 921 هـ عزم البرتغاليون أيضا على بناء برج بالمعمورة (المهدية) عند مصب واد سبو ليسهل عليهم بسط نفوذهم داخل المغرب. فأرسل السلطان الوطاسي جيشا كثيفا بقيادة أخيه ووزيره الناصر، كبد البرتغاليين خسارات فادحة وقضى على جل سفنهم الآتية من لشبونة. وقد شهد الحسن بن محمد الوزان المعروف "بليون الأفريقي" هذه المعركة [43]. وأثناء هذه المقاومة الوطاسية للغزاة البرتغاليين بدأ ظهور السعديين في مدينة مراكش وجرت معارك حامية الوطيس (منها معركة وادي العبيد) بينهم وبين آخر ملوك الوطاسيين بناحية تادلة حتى استقلوا بمراكش وأعلنوا أنها عاصمة لهم. وقد أظهر مؤسس الدولة السعدية أبو العباس آحمد بن عبد الله القائم بأمر الله مقاومة شديدة كأسلافه الوطاسيين - للغزو البرتغالي في سواحل سوس [44].

---

(1) كان ينتسب الجيش المريني الى قبائل بربرية كبني عسكر وبني وطاس، وأخرى عربية كبني حسان وبني سالم وبني عامر.

(2) هم أتراك مصريون دخلوا شمال افريقيا على يد الموحدين " يمتازون بشعارهم الذي هو خصلة من الشعر بأعلى رماحهم" وهم أيضا أسلاف الأكراد الذين عرفوا بشدة بأسهم في الحروب، وكانوا يستعملون في مسيرتهم المزامير والطبول.

(3) كان الحرس الخاص يتألف من الإعلاج (مماليك مسلمون) والوصفان (مماليك من أصل سوداني) ويسمون بأهل الدار، والعدويون (لتنفيذ الأوامر وتبليغها)، والروم القشتاليون (لحراسة القصر السلطاني).

(4) محمد المنوني : وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني - ورقات ص 72 و 87.

(5) انظر : Ahmed Khanboubi : "les Premiers Sultans Merimides" 1331-1269 Ch : Armée (p : 131-167) (Ed : l'Harmattan Paris, 1987).

(6) د. ابراهيم حركات : " المغرب عبر التاريخ : ج 2 ص 114

(7) محمد المنوني : " النظم المرينية " - البحث العلمي - عدد : 2

(8) محمد المنوني : تاريخ الموسيقى الاندلسية بالمغرب -البحث العلمي عدد :14-15

(9) تتلخص قصة بداية الاسلحة النارية (artillerie) كما يأتي : يقال بأن حكيما كان يشتغل في مواد كيماوية فحدث له انفجار، وقد تمخضت بحوثه في أسباب هذا الانفجار عن اكتشاف المادة المتفجرة (البارود). ومما لاشك فيه أن الإكتشاف الاول للبارود كان ببلاد الصين وكان يستعمل في الأفراح. وجدير بالذكر أن المغاربة يثبت د. احمد مختار العبادي - توصلوا الى اختراع المدفع قبل الغرناطيين بنحو 70 سنة. فأول استعمال أوروبي للمدفع كان في موقعة Crecy بفرنسا سنة 1342م أبان حروبها الماوية مع انجلترا. ويقول " جوستان لوبون " في هذا الموضوع أن البحوث التي أجراها رينو وفافييه والتي سبقها اليها كاسيري واندري وفياردو، أثبتت بوضوح أن البارود ذا القوة الدفاعية باعتباره مادة متفجرة تعمل على دفع القذائف اختراع عربي أصيل لم يشارك فيه العرب أحد، فعرفوا كيف يخترعون ويستعملون القوة الناشئة عن البارود. وباختصار فهم الذين اخترعوا الأسلحة النارية. وذكر جرجي زيدان "أن البارود كان معروفا عند العرب وكانوا يستخدمونه في حروبهم قبل Shwarz بنحو نصف قرن ". وذكر المؤرخ " أشباخ" أن الموحدين هم الذين نقلوا استعمال البارود في ق 13 من افريقية الى اسبانيا (كما استعمله المصريون في هذا القرن) وفي ق 14 شاع بين مسلمي افريقية استعمال آلالات القاصفة التي تقذف الكرات الملتهبة بواسطة البارود. وذكر يوسف أشباخ في تاريخ الأندلس بأن الخلفاء الموحدين كانوا يعرفون البارود وبه كانوا يقذفون "الكرات"، وهم الذين نقلوه الى اسبانيا وبعد الموحدين شاع البارود في إفريقيا .

وفي القرن 16 أهدى أحد المغاربة بندقية الى سلطان مملوكي. وجاء في نزهة الحادي" أن اختراع البارود تم في عهد بني مرين على يد طبيب مغربي سنة 768 هـ.
وخلاصة القول إن هذا الإختراع يتنازعه الصينيون والعرب والإطاليون . والوقائع التاريخية تؤكد أن العرب هم أسبق في استعماله من الأوروبين فضلا عما ذكره العلماء العرب من الوقائع التاريخية. نذكر ما جاء في تاريخ الأذفونس الحادي عشر قوله :" ان مغاربة المدينة كانوا يقذفون كثيرا من الصواعق على الجيش فيرمون عليه عدة قنابل كثيرة من الحديد وذلك الى مسافة بعيدة عن المدينة، فيمر بعضها من فوق الجيش ويسقط بعضها عليه. وقد حضر كونت دربي وكونت سالسبوري الأنجليزيان ذلك الحصار ». وأهم كتاب في هذا الموضوع هو كتاب سوري اسمه" الناريات" كتبه حسن الرماح حوالي سنة 1280 . ويوجد فيه وصف توضيحي "لطوربيدا" ووصف للبارود وكيفية صنعه واستعماله، وكتاب : كولان «البارود عند المسلمين» (كتاب دائرة المعارفالإسلامية \ عدد 14).
ويؤكد جوانفيل الذي رافق ملك فرنسا لويس التاسع في حملته على مصر في منتصف القرن السابع الهجري أن القوات استخدمت المدافع والصواريخ في تصديها للغزاة.
وقد استخدم المماليك هذه السلاح في وقعة عين جالوت ضد المغول سنة 658 هـ 1260م. وأنه كان العامل الحاسم في انتصارهم في تلك الموقعة. وتوالى ذكر هذا النوع من الأسلحة النارية في المؤلفات التي ظهرت في عصر المماليك مثل صبح الاعشى للقلقشندي.
ومالبث هذا السلاح الناري أن استخدمه مسلموا الاندلس في صراعهم ضد الإسبان كما فعل سلطان غرناطة اسماعيل بن فرج سنة 1342 م . وقد اقتبسه الإسبان من مسلمي الأندلس ونقلوه الى أوروبا. وقد طوره المحاربون الأوربيون واستعملوه في حرب المائة بين انكلترا وفرنسا والحروب الإيطالية في الفترة الموالية.
(الأسلحة النارية للدكتور إحسان صدقي العمد مجلة العربي عدد 346- أما عن الأسلحة النارية في المغرب واستخدامها والتمرن عليها يجب الرجوع الى كتاب (Joly : L'ndustrie à Tetouan (Archives marocaines – ج 11 ص 361
وكتاب (Del homme Les armes dans le sous occidental (Archives berbères ج 2 ص 132

(10) ابن خلدون : المقدمة (فصل الأساطيل الجهادية).

(11) لقد كان لكل قائد فرقة علم خاص به وكانت الوان الاعلام تختلف باختلاف الفرق (كما كانت اعلام الاسطول متعددة بتعدد القطع البحرية) وكانت الوانها متنوعة كألوان قوس قزح. وكانت فرقة الشرطة العليا تحمل اعلاما مختلفة ضمن المراكب الملكية. وقد اعتنى المرينيون بعلمهم "المنصور" اعتناء كبيرا حيث جعلوا له مركبا خاصا يتبع السلطان في مسيرته ويسمى "الساقة" ويحيط بالمركب اعلام أخرى مختلفة الالوان ليهتدي بها التائهون أو المختلفون عن اللحاق. وكان من شعار ات الجيش المريني في مسيرته : سيف ورمح ودرقة يحملها ثلاثة من خاصة الملك ورماح طوال وقصار يحملها 50 من المشاة متقلدين السيوف وأطبار (بوْرس) يحملها قواد فرنجة واندلسيون......وكان للجيش المريني في عهد ابي عنان موسيقاه الخاصة به كما كان للأسطول موسيقاه أيضا .

(12) لقد أنشأ هذا السلطان – موحد الاقطار المغربية الثلاثة- من فرسان الزمان ورجالات الدهر ما خمد كل مذكور وغلب على كل مشهور مع ما هم عليه من العلم والتقى ما لا يقدر واحد منهم مهابة على ارتضاع كأس ولا إهمال صلاة، يناقشهم على هذا ويواخذهم به حتى اذا كانوا في السفر وأذن المؤذن نزل ونزلوا حتى تقام الصلاة ويصلون جماعة ... » وكان هذا السلطان « يستعرض جنده في رأس كل ثلاثة أشهر ليعرف الحاضر والغائب والقادر والعاجز ويجلس على علو ويجلس تحته الكتاب». وكان الاستعراض ينظم «ببرج الذهب» بفاس الجديد.
كما خصص هذا القائد « للعسكر قطاعات وبلادا واحسانا من رأس السنة الى رأس السنة » وكان «عندما يحدث حادث أو يطرأ طارىء يوجب إطلاع القوة المنبثة في سائر المراكز الحربية توقد النيران من آسفي فتصل الى إفريقية من الأبراج المعدة لذلك في أقرب وقت ». « وكان يركب بعد العصر ويركب العسكر حوله ويخرج الى مكان فسيح فيقف به وتتطارد قدامه الخيل فيتطاعن الفرسان وتمثل الحرب لديه حتى كأنه يوم الحرب ثم يعود في مركبه الى القصر وتتفرق العساكر. وكان لما يخرج الى الصلاة يركب ويركب العسكر ميمنة وميسرة والاتراك خلفه والاعلام منشورة وراءه والطبول (بلغت الطبول في عهده مائة ويعرف أكبرها باسم "تريال") خلفها. (مقتبس في وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني من مسالك الابصار في ممالك الامصار » لإبن فضل الله العمري (الفصل 13) تعليق محمد المنوني – مجلة البحث العلمي – العدد : 1) .
وكان لما يخرج أبو الحسن في موكب رسمي يوجد في موكبه بعض من قادة الجند يسيرون أمامه : فواحد يحمل سيفه وآخر ترسه وثالث قوسه، ويأتي من خلفه الخيالة الخفيفة ورماة القوس وحملة "القربينة" (لوتورنو : فاس في عهد بني مرين، ترجمة نقولا زيادة ص 118).

(13) لقد اتخذ قبل المرابطون من فاس قاعدة حربية للحملات التي شنوها على شمال المغرب وعلى المغرب الاوسط – حيث احتلوا تلمسان والجزائر – وعلى اسبانيا لما استنجد بهم المسلمون أمام الهجمات المسيحية. واتخذ الموحدون فاس كذلك قاعدة لأعمالهم الحربية. وفي عهد المرينيين صارت فاس الجديد مقرا للجنود. وقد ظهرت الصبغة العسكرية لفاس الجديد في التحصينات القوية التي زودت بها وفي اقامة ثكنات الجند وفي تشييد الأبراج المنيعة المزودة بالمدافع الثقيلة. وقد كان في فاس الجديد أيام المرينين حيان عسكريان : حي يدعى " ربض النصارى" يأوي اليه الجنود المسيحيون من قشتاليين وقطلانيين الذين كان بنو مرين قد ضموهم الى صفوف جنودهم في وقت مبكر، وحي يدعى "حمص" كانت توجد به ثكنات الرماة السوريين الذين قدموا من حمص وكانوا يكونون جزءا من الجيش المريني. وكان في فاس صناع للسلاح يعدون حاجات جيش السلطان من سيوف ورماح وفؤوس للقتال وأقواس طويلة ودروع

وتروس...(لوتورنو : فاس في عهد بني مرين).

(14) عبد الله الجراري : قصبة الرباط في مراحل التاريخ. وللمزيد م التفاصيل انظر العمارة الحربية في عهد بني مرين في كتاب "تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى" للدكتور عثمان إسماعيل ج 4 ص 89-115).

(15) كان السلطان ابو الحسن المريني هو الذي استرد جبل طارق من يد النصارى وصرف اليه الجنودوالحشود حتى تم الإستلاء عليه، وبعد ذلك حصنه وسوره وبنى أبراجه حتى لا يطمع عدو في منازلته، ولا يخفى أن الجبل كان معروفا عند الإفريقيين "بأعمدة هرقل " ثم استولى عليه طارق بن زياد الذين صار اسمه علما عليه سنة 711م ولما نزل به عبد المومن المو-دي سماه جبل الفتح. وبقي في قبضة العرب زهاء، 6 قرون، ثم استولى عليه ملك قشتالة مدة 24 سنة. وقد استرده المرينيون سنة [illegible]ام وبقي في حوزتهم مدة 80 عاما ثم سلموه لملوك غرناطة الذين احتفظوا به مدة 50 سنة حتى اضطروا للتخلي عليه الى اسبانيا سنة 1462م وبقي في حوزتها الى سنة 1714م حيث استولت عليه ابريطانيا بالقوة وجعلت منه قاعدة بحرية وجوية هائلة لما له من موقع استراتيجي هام يربط بين القارتين الاوروبية والافريقية. وقد أنشد شاعر قطري في جبل طارق :

عبرنا اليه البحر من أرض طنجة * فكبر ترحيبا وغرد طائره
وأدهشه إعجاز خطبة طارق * وأكبر جيشا مصلتات بواتره
بأكنافه حطت هناك عتائب * ومن حولها الإسطول تبدو مفاخره

(16) كان أبو عنان المريني "فارسا شهما شجاعا بطلا مجربا يقوم في الحرب مقام جنده عارفا بركض الجياد". أنشأ لعسكره ديوانا وعين على رأسه "علي الخزاعي" الذي كان يدعى" كاتب الاشغال السلطانية" وكان شاعرا مدح سلطانه ابا عنان بعدة قصائد أشاد فيها ببلائه في الحروب.

ويصف مؤلف كتاب "فيض العباب" (ابن الحاج النميري) موكبا عسكريا (استعراض)في عهد ابي عنان قائلا : «خرج الجيش المريني تحت قيادة ابي عنان وكان في مقدمة الموكب قواد الجيش.....وكان سلاح القواد القسي العربية باستثناء الاندلسيين الذين كانوا يحملون القسي الاجنبية وقد لبسوا جميعا الاقبية المرقومة والاثواب البديعة، واختصت خيول الأندلسيين بحسن الترتيب وقد اعتقل المشاة الأندلسيون بالعصي الطوال وبالأمراس (الحبال) وتقلدوا بالسهام، وإثر هؤلاء يجيء الحرس. وتتقدم بين يدي أبي عنان قبتان: الأولى فيها مصحف الخليفة عثمان والثانية فيها صحيحا البخاري ومسلم ثم يلوح السلطان. وترتب وراء هؤلاء قواد الروم متسلحين بالرماح الثقال وخلفهم اصطفت الألوية والأعلام ثم الطبالون، ثم أخذت الكتائب تمر إثر الكتائب» (محمد المنوني : نظم الدولة المرينية - البحث العلمي عدد 2). وكان السلطان أبو عنان يستعرض جيشه قبل الذهاب الى ميدان القتال حتى يتيح للشعب المغربي أن يشاهد مبلغ قوته العسكرية كما كان يستعرض كل ثلاثة أشهر ليعرف الحاضر من الغائب والقادر من العاجز وهو ما يعرف عند المرينيين بيوم "التمييز" (انظر كتاب : المغرب في عهد السلطان ابي عنان المريني لعلي حامد الماجي (فصل : النظام العسكري ابتداء من ص 153) وقد أشار ابن الخطيب الى عملية العرض العسكري المريني في ديوانه «الصيب والجهام والماضي والكهام ص 289» بقوله :

وترى الطيور عصائبا من فوقها * لحلول يوم في الظلام عسيب
هذبتها بالعرض بذكر يومه * عرض الورى للموعد المكتوب
وهي الكتائب أن تتوس عرضها * كانت مدونة بلا تهذيب

وكان لأبي عنان زي عسكري خاص أثناء قيادته للمعركة وهو عبارة عن ملوطة بيضاء (الجبة) وبيضة هندية (خوذة) (يضعها فوق رأسه) والغفارة الحمراء (غطاء للرأس) والذرع من النحاس الأصفر (لحمايته من ضرب السيوف وزرق النصال). وكان وزير العسكر ترجع اليه قيادة الجيش والتخطيط للحرب والمحافظة على الأمن وتتبع "الثائرين". وبإزاء هذا العرض كان الموكب الملكي المريني يشمل العناصر المدينية والحربية، فمن الفرق العسكرية : طوائف الروم وأصحاب الرماح الثقيلة وتأتي بعددها ألوية السلطان المدعوة بالمنصورة وخلفها الاعلام ذوات الألوان المختلفة ثم تأتي جموع الطبالين وعلى رأسهم المزوار" ثم يأتي السلطان محفوفا بجماعات متقلدة السيوف. (انظر ابن الحاج : فيض العباب ابتداء من ص 83)

ويذكر د.محمد ابن شقرون في دراسته عن كتاب "فيض العباب" (ص 79) أن عناصر الجيش المريني في عهد أبي عنان كانت تتكون من "الاعلاج الرومية والمماليك الزنجية والاجناد الأندلسية والطوائف التركية والتترية والأفاريق العراقية والمصرية والشامية واليمنية والهندية وسائر التركمانية بالإضافة الى الجنود المغربية الزناتية والعربية التي نجد فيها الرامح والراجل والسائف والفارس». وكلها منضبطة تحت راية واحدة. ولكل صنف اقبية خاصة مرفقة وفوقها مصفحات من الحلل والأنزاق والأثواب المجلوبة من المشرق. فيتميز الأتراك بمزاميرهم وأعلامهم والفرسان الأندلسيون "بالرتابيل" التي على رؤوسهم وبالعصي الطوال وبخيولهم المبرقعة و "بالنبابيل" التي تقلدوها كما تميز غيرهم بالشواشي والقلانس المذهبة. ولكل عنصر من هذه العناصر خصائصه الحربية ووظيفته العسكرية والأدوار المجردة له والأسلحة المميزة التي تقلدوها، أما الأسلحة المستعملة فهي الأنفاط والمجانيق والملاصيق والدبابات والقسي والسهام والسنان والقنا والرماح والسيوف والمعاول والفؤوس والدروع.

(17) ورد عن صاحب الذخيرة السنوية في ص 98 (طبعة دار المنصور) أن أول جيش جاز الى الأندلس في العهد المريني كان سنة 662 هـ. وكان عددهم 3000 ما بين راجل وفارس، بقيادة محمد بن ادريس بن عبد الحق وأخيه عامر بن ادريس والمجاهد التاهرتي. وكانت أساطيل سلا وآنفا وسبتة تساهم في عبور جنود بني مرين الى الأندلس.

(18) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص 149 - إبن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 149.

(19) من الأعمال العسكرية التي قام بها المنصور كذلك أنه حرر مدينة سلا من غزو النصارى (تجار إسبانيون ثاروا في المدينة سنة 658 هـ) بعد محاصرة دامت 14 يوما فقتل من قتل ونجا من لاذ بالفرار. وبعد أن دخل المدينة سورها. (كما سبق القول). كما دارت بينه وبين يغمراسن بن زيان ملوك تلمسان عدة وقائع ومعارك طاحنة (منها معركة واد إيسلي) حيث أن ابن زيان كان لا يفتأ عن تشجيع الثوار على المرينيين وعن المناوشات. وقد حاصره المنصور مرارا. وكان لا يقبل الصلح مع المرينيين مما كان يؤخر المنصور عن تلبية دعوة ابن الأحمر بالأندلس للجهاد. ولم يتوجه المنصور الى الأندلس إلا بعد أن قضى على شوكة بني عبد الواد، وفي مدينة طنجة كان السلطان المريني يعد الوحدات والأساطيل لتعزيز قواته بالأندلس ولحماية الجزيرة الخضراء. وقد بنى مدينة المنية لترابط بها عساكره قبل الدخول في المعارك. ومن خطبه التي يحض جيشه فيها على الجهاد قوله : "يامعشر المسلمين وعصابة المجاهدين ان هذا اليوم عظيم ومشهد جسيم إلا وأن الجنة قد فتحت لكم أبوابها وزينت أترابها فخذوا في طلابها وشمروا عن ساعد الجد في جهاد المشركين فمن مات منكم مات شهيدا ومن عاش عاش غانما مأجورا حميدا.

(20) نظم شاعر بني مرين عبد العزيز الملزوزي ملحمة شعرية طويلة سماها : "نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك" ضمنها جميع غزوات المرينيين بالمغرب وتلمسان والأندلس ويقول من قصيدته :

فحزب مرين حزب الله يحمي * حمى الإسلام لا يخشى عقابا
إن سلوا السيوف ترى الأعادي * وقد حل الرباط مُدَّت رقابا
وهم آساد حرب من يوازي * مقامهم اذا الخطب نابا....

(21) كانت هذه القوة الأندلسية تتكون في عهد بني مرين من اندلسيين ومن برابرة وزناتيين لما عرفوا من شدة المراس لفنون الحرب (من أبرزهم بنو العلا). وكان للزناتيين فن خاص في الحرب حيث كانوا يستعملون الذروع الجلدية والسرج المرتفع والركاب العالي ويقومون بحركات خفيفة في الكر والفر. وقد أخذ الجنود الإسبانيون عنهم هذه الصفات الحربية وبدأت فرقهم العسكرية تتحلى بها فأطلق على هذه الفرق كلمة Zenetes. ثم اصبحت اليوم تطلق على الفرسان الشجعان. ويقول المؤرخ الفرنسي "رينو" أن شعراء إسبانيا القدامى كانو يتغنون دائما بمفاخر فرسان العرب وان الفرسان المسيحية كانوا يساهمون في المباريات والمبارزات والمسابقات التي كان الفرسان الأندلسيون المسلمون يعقدونها كثيرا. وقد نظم الشاعر أبو طالب بن عبد الجبار ملحمة -نشرها ابن بسام- يصف فيها بسالة الفرسان في الحروب المغربية - الإسبانية.

(22) من اهتمام أبي عنان المريني بأسطوله أيضا -حسب ماذكر ابن بطوطة في رحلته : « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » أنه كان يذهب بنفسه الى الغابات ليشرف على قطع الأخشاب المستخدمة في بناء الأساطيل البحرية. وأصدر أبو عنان أيضا أمرا لصناعة مركبين بقرية "خولان" (سيدي حرازم) أحدهما ذا شراعين ويسع 120 مقاتلا والآخر يحمل 60 جنديا. وتم إنزال المركبين بوادي سبو ومنه أقلعا حتى وصلا الى المعمورة (المهدية) التي كانت تابعة لمدينة سلا (756 هـ - 1355م). (علي الغزنايي : تاريخ فاس وآثارها - نشر ألفريد بيل بالجزائر (1932)- الملحق الثقافي لجريدة العلم عدد 532).

(23) روجي كواندورو - "قراصنة سلا" تعريب محمد العربي حمود -مجلة البحث العلمي عدد 36 (ص 143).

(24) محمد المنوني : صناعة الأسلحة النارية بالمغرب -دعوة الحق عدد 13 (1970).

(25) محمد المنوني : نظم الدولة المرينية - البحث العلمي - عدد 2 . - «ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين» (ص 76-80)

(26) ابن الحاج : فيض العباب -تحقيق محمد بن شقرون - ص : 81.

(27) شارك هذا الأمير في مناورات بحرية كان يشرف عليها أبو عنان نفسه منها مناورة عند شاطىء بجاية.

(28) كانت آنفا من ممتلكات الفنيقيين وعرفتها روما وتطلعت منها الى ماوراء البحر المحيط الأطلسي. وكانت معقلا من معاقل المرينيين ثم احتلها البرتغاليون سنة 1465 م، وأقاموا بها معاقلهم. وكان مصيرها كمصير باقي المعاقل البرتغالية بالشواطىء المغربية حتى احتلتها فرنسا سنة 1907م.

(29) الناصري : الإستقصا ج 3 ص 135.

(30) نسبة الى طريف بن مالك الذي قام بأول استطلاع في الأندلس قبل غزوها من طرف طارق بن زياد. وقد كلفه بهذا الإستطلاع موسى بن نصير على رأس مائة فارس بربري. ولما غادر سبتة نزل بهذه الجزيرة.

(31) تعرف هذه المعركة عند الإسبانيين بغزوة "ريو سلادو" أي النهر المالح نسبة الى ضفاف وادي Salado. وقد غنم الإسبان فيها علما للسلطان أبي الحسن ومازال محفوظا به الى الآن بإسبانيا.

(32) الناصري : الإستقصا ج 3، ص 136-138.

ومن أعظم الوقائع بالأندلس بعد واقعة طريف معركة "بو نشتير" التي دارت فيها ايضا الدائرة على الأندلسيين، وقد كتب أبو حيان كتابا عن هذه الغزوة وغرائبها.

(33) بعد انهزام بني الأحمر بغرناطة سنة 1483م عزم المجاهد الغرناطي أبو الحسن علي المنظري (830 هـ -910 هـ) على اللجوء الى الشواطىء المغربية وإعادة تأسيس جيش إسلامي للإغارة على الشواطىء الاندلسية، فنزل بمدينة تطوان القديمة واعاد بناءها وأصبح

رئيسا للمهاجدين وقائدا حربيا لجيوش الأندلس. وحاول مرارا الهجوم على الأندلس ولكنه كان يصطدم بالجيوش الإسبانية والبرتغالية "ولم يفتأ - يقول ليون الإفريقي في كتابه وصف افريقيا - عن محاربة البرتغاليين وتكبيدهم الخسائر في سبتة والقصر الكبير وطنجة اعتمادا على 300 فارس من غرناطة» واستخدام الأسرى في إعادة بناء تطوان وأسوارها، وتشييد برج حربي فوق الجبل. وبقي هكذا حتى توفي وتولى الجهاد بعده حفيده المنظري، وسار على سيرة جدة في مقارعة الأجانب المغيرين حتى توفي. فتولت زوجته السيدة "الحرة عائشة" بنت أمير شفشاون مولاي علي بن راشد حكم تطوان ورئاسة الجهاد ولو بعد تزوجها من سلطان المغرب آنذاك احمد الوطاسي سنة 948هـ. (جريدة "تطوان" السنة 1 عدد 2 -يوميه - يوليوز 1977) (انظر عن هذه المجاهدة البطلة عبد القادر العافية : "أميرة الجبل الحرة بنت علي بن راشد" (تطوان 1989).

(34) ابن خلدون : العبر ج 3 هـ 183.

(35) د. محمد كمال شبانة : "السياسة الخارجية لمملكة غرناطة" - البحث العلمي عدد 14 و 15 (سنة 1969)
هذا وقد جدد ابو الحسن أسوار جبل طارق وحصونه وعزز حاميته وزودها بالمعدات الحربية الكافية، كما أولى ابنه أبو عنان شديد عنايته به (ابن بطوطة : الرحلة ج 4 هـ 354 (ط 1966 م). وبعد انهزام الجيش المريني بالأندلس استطال البرتغاليون على الشواطىء المغربية فوجه أبو عنان أسطوله الى شواطىء سلا وقام بالإستيلاء على الأجفان البرتغالية وأمر بقتل من بها وتحطيم نواقيسها وصلبانها، مما دعا ملك البرتغال الفونسو إلى طلب الصلح والمهادنة .
وكان من نتيجة هذا الإنهزام أن عملت مملكة قشتالة علي المشاركة في الحملة العسكرية لنصارى شبه الجزيرة الإيبرية على المغرب في نفس الوقت الذي كانت فيه البرتغال تحاول احتلال المغرب فدعا فليب الثاني ملك أراغون كلا من ملك فالنسيا وأميركاتالونيا للتحالف معه من أجل تنظيم حملة صليبية ضد المغرب (الكروسادا) تتكون من 99 سفينة حربية و 60 سفينة لنقل الزاد والمؤن، وقد حملت هذه السفن على ظهرها 1800 جندي من اسبانيا والبرتغال ونابل وصقيلية ومالطة.... مستهدفة أرض المغرب لاحتلالها واستيلاب خيراتها. (عبد الرحيم الجباري : « من احتلال سبتة الى معركة واد المخازن » - العلم (5-8-91).

(36) عبد القادر زمامة : " بنو مرين بفاس " - البحث العلمي عدد 27 يونيو 1977.

(37) د.ابراهيم حركات : "نظم الحكم في عهد الوطاسيين" -دعوة الحق -(دجنبر 1964).

(38) محمد الكراسي : "عروسة المسائل لما لبني وطاس من الفضائل" (تعليق) - محمد المنوني : "صناعة الأسلحة النارية بالمغرب" دعوة الحق (شتنبر 1970).

(39) وذلك طبقا للإتفاق الاحاصل بينهم وبين الإسبان سنة 899 هـ (1494م) بوصية من البابا لتحديد مناطق الغزو المسيحي في افريقيا. فكان المغرب من حظ البرتغال و"مملكة تلمسان" من حظ الإسبان.

(40) احتل البرتغاليون سبتة سنة 818 هـ بواسطة الخديعة، اذ وصلوا الى مينائها بصناديق مقفولة ممتلئة بنحو 4000 من الجنود استولوا عليها حالة نزولهم فيها.
"ومن هنا بدأت سلسلة احتلال الشواطىء المغربية باستثناء الرباط وسلا» : يقول أحد المعلقين :

Le volet marocain de la croisade portugaise qui commença par la colonisation de Sebta en 1415 se poursuivit avec la prise de Ksar Sghir en 1458 : puis Asilah et Tanger en 1471.

Le volet oriental de cette croisade s'est intéressé à la Serbie et à la Hongrie qui fixaient la limite extrême de Dar Al Islam .

L'objectif de cette croisade, révélera le Lt. Ci. Vasco De Carvalho sera de frapper l'Islam dans le dos et l'obliger à se défendre sur deux fronts.

Une remarque à faire à propos de la chute de Ksar Seghir : le désastre de la petite garnison qui défendait cette localité mit en émoi le Sultan qui, pendant deux mois, (de novembre à décembre 1458) fera la siège des Portugais et ordonnera de nombreux assauts sur la citadelle. Il reviendra l'année suivante à la charge pour tenter une seconde fois de récupérer cette parcelle du territoire national.

Mais la pression adverse sur la Nord du Royaume se maintint notamment de la part des Portugais et des Espagnols qui se sont partagés le monde par le traité de Tordesillas. Les expéditions vont ainsi se succéder, mais elles se heurtèrent à une résistance farouche de la part des Marocains. Elles furent même souvent repoussées avec la plus grande des énergies. Comme ce fut le cas à Larache en 1489.

Cette période coïncide, rappelons le, avec la décadence de la dynastie Mérinide, et l'avènement de celle des Ouattassides.

En tout état de cause , le XVIème siècle verra les Portugais déferler sur la côte Atlantique du Royaume. En 1505, ils s'installèrent à Agadir, en 1506 à Mogador qu'ils fortifièrent ; en 1508. Safi est prise , mais une expédition est repoussée à Azemmour. La ville tombe cependant 5 années plus tard en 1513.

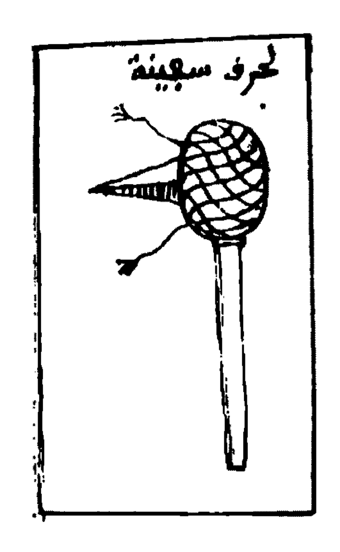
En 1514, les Portugais occupèrent Mazagan et y construisirent une forteresse qui résistera à nos assauts jusqu'au milieu du XVIIIème siècle...

(41) كان لأبي الحسن الراشدي أو علي ابن راشد بنت تدعى "الست الحرة"، تزوجها قائد تطوان علي المنظري (916 هـ- 1510م) « وكان هذا الزواج تحالف متين بين امارة شفشاون وقيادة تطوان من أجل تقوية جبهة الدفاع ضد البرتغاليين المحتلين لثغور شمال المغرب».
ولما خسر أحمد الوطاسي عدة معارك مع السعديين تزوج من "الست الحرة" التي أصبحت حاكمة تطوان ليحافظ على بعض المناطق الشمالية. وكانت "الست الحرة" تحرس ثغور تطوان وتنظم عمليات الحصار على سبتة وعلى غيرها من الثغور المحتلة (ق : 10 هـ)، وكانت تلجأ دائما الى العنف والحرب لأنها كانت شديدة الإندفاع وميالة الى الحروب. (عبد القادر العافية : "الست الحرة حاكمة تطوان" -دعوة الحق - رجب شعبان 1398- (1978). (انظر تعليق رقم 33).

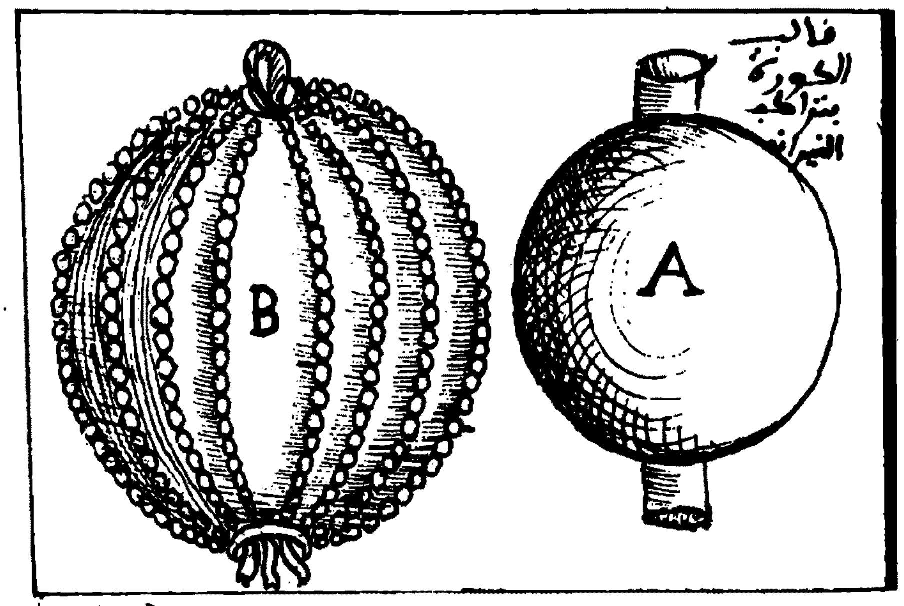
(42) بنى المجاهدون هذه المدينة لصد العدوان البرتغالي والإسباني وشن الهجومات منها عليهم.

(43) وفي عهد السلطان ابي العباس احمد الوطاسي تدخل الجيش المغربي أيضا لفائدة تحرير مدينة تلمسان من الإحتلال الإسباني (بعد احتلال باديس ووهران 915 هـ) وقد أمد السلطان الوطاسي أمير تلمسان - ابو زيان محمد الثالث - بالمال والسلاح (دروع، قسي.....) وبالرجال.

(44) عبد الوهاب بلمنصور : تعاليق على "أرجوزة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل" للكراسي (بتصرف).



وهذا كورة مركبة من كور وهي اشد ضرار
من غيرها للأعداء والذي يرميها يتحفظ منها



الجيش المغربي في عهد الدولة السعدية

لما تبوأ السعديون عرش المغرب واستردوا ما سقط في أيدي الثوار بعد سقوط المرينيين نظموا الجيش المغربي من جديد وأدرجوا فيه أندلسيين "المورسكيين" وأتراكا (منذ عهد محمد المهدي الشيخ بقيادة صالح باي) وعلوجا وعبيدا، وأسندوا الى ضباط أتراك مهمة تدريب الجنود على استعمال الأسلحة الحديثة وتلقينهم أساليب القتال العصرية. فأصبح الجيش المغربي بعد ذلك منظما ومدربا تدريبا عصريا، عظيم العدة وضخم العدد حتى بلغ عدد الجنود السعديين المرابطين بفاس – في عهد المنصور – 2200 من بينهم 4000 من "المخازنية" الذين كانوا يرتدون "كساوي الملف والحرير والكتان". وبلغ عدد الفرسان في مراكش 12000 فارس.

وكان "للمسلوخ" السعدي جيش بلغ عدد جنوده 30.000 من بينهم 1800 اندلسي[1] . وقد ذكر "جان تيكو" في مذكراته التي كتبها عام 1561 أن الأمير عبد الله الغالب فتح الجديدة بجيش يبلغ مشاته 12.700 وفرسانه 3.700 علاوة على 13.500 جندي آخرين من الطلائع التي تعبد الطرق، وعلى 24 من المدافع التي كانت في ملك فرقة مدفعية - منها مدفع يسمى "الميمونة" كان يبيت الرعب في النفوس، زيادة على عدد عديد من الألغام والانفاط. وكتب أحد المؤرخين الاجانب يصف هذا الحصار بقوله : كان الرماة يحاصرون "الجديدة" المحتلة حصارا شديدا ويحاربون محتليها حربا هائلة. وكانوا ينالون من أعدائهم نيلا عظيما حتى أن أعداءهم اعترفوا لهم بجودة الرمي[2] حيث كان كلما ظهر منهم جندي على السور إلا وأصابته رصاصة في آخر موضع من بدنه فما كانوا يقدرون أن يظهر على السور إلا نادرا. وفي عهد ابي مروان عبد الملك المعتصم كان الجيش السعدي يتألف – حسب المؤرخ الزياني في كتابه الترجمان المعرب – من : العلوج والاتراك الذين قدموا معه من الجزائر، وعسكر الاندلس بفاس ومراكش، وعسكر العجم (بربر الشمال وأهل الريف)، ومن الشراكة وعسكر العرب وعسكر الحوز...

وكانت توجد من بين فرق الجيش السعدي على العموم فرقة للإسعاف مزودة بأدوات مختلفة، وكانت هذه الفرقة تنقذ الجرحى من ساحة الوغى لتشد جراحهم وتضمد قروحهم[3].

وكان يوجد لدى قيادة الجيش السعدي بفاس «سجل عسكري يقيد فيه الجند الذين يتقاضون أجورا منظمة ».

والخلاصة لقد توفرت القوات العسكرية أيام السعديين "على عدد وافر من وسائل الحرب والمدافع والسلاح الثقيل تحتفظ به عدة مواقع ومتاحف مغربية الى اليوم، "منها -على سبيل المثال – مدفعا مولاي زيدان بآسفي، ومدفع الغالب بالله المعروض "بدار السلاح" بفاس [4].

تنظيم الجيش السعدي في عهد المنصور الذهبي :

يعد المنصور السعدي أول من قسم الجيش الى فرق وجعل لكل فرقة قائدا ، كما خصص لكل فرقة لباسا يمتاز بألوانه وأشكاله عن لباس فرقة أخرى، وكانت فرق جيشه كما يأتي :

1- **الجيش الاندلسي** : جعل المنصور للقسم الاول منهم القلانس الصفرية المذهبة ذات الاعراف من ريش النعام الملون « يقفون قسمين أمام قبته وفسطاطه». وجعل للقسم الثاني القلانس الطويلة. ويحمل جنود هذا الفريق البيض المرسلة على مناكبهم، ويُناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة ويضيفون اليها وقت الحزام أجنحة طوالا يلفونها أيضا من ريش النعام ويركزونها في الجعاب المنوطة بالقلانس ويرسلونها الى الوراء. » أما الفريق الثالث فيحمل جنوده "اللقاقيف" "وهي رماح قصيرة غليظة العصي مغشاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض ركبت عليها أسنة من عظام». وكان قادة هذا الجيش علو جا أتراك يرتدون زيهم العسكري الجميل كلما خرج المنصور للصلاة أو في يوم عيد أو لاستقبال سفير. وكان كل قائد يقف على رأس فرقته محفوفابألويته وبكتيبة من الخيالة. وكان قائد هذا الجيش الاندلسي هو الباشا جؤذر فاتح السودان . وكان يدعى بالتركية "باي لارباي" أي قائد القواد.

2- **جيوش النار** : تشتمل على عدة فرق : كانت الفرقة الاولى مؤلفة من عساكر سوس الذين تنحصر خدمتهم في "حمل السلاح وتربية العصاة وقهر الاعداء». وكان "اعتمادهم في ذلك على سليقتهم أكثر مما هو على عقولهم .. وكان لهم رئيس يدعى شيخ الرماد وخليفة يدعى مقدم. وكانت الفرقة الثانية من عساكر شراكة وهم من تلمسان نزحوا الى المغرب، والفرقة الثالثة من عساكر الودايا المشهورين بشدتهم في الغزوات[5].

والترتيب الذي جرى عليه العمل في "عساكر النار" هو أن يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش الشراقة ثم عسكر الموالي الاندلسيين ثم عسكر الاندلس. وقد كانت هذه الجيوش "قاذفة بشواظ النار وحصباء البندق المنهل بسحائب البارود المكروم تزجيه الرعود القاصفة والصواعق الراجفة. ».

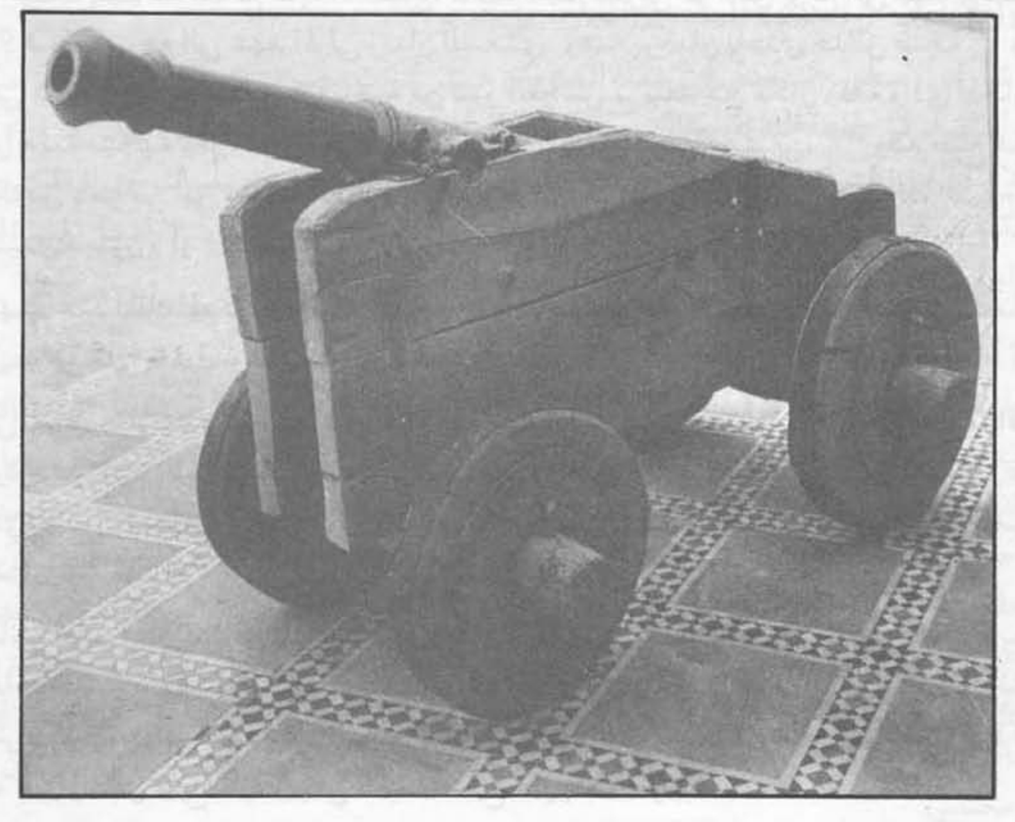
وكانت مدارس الرماية منتشرة في جهات متعددة من بلاد المغرب. وكان للجيش السعدي في عهد المنصور فرقة موسيقية تحمل الطبول والمزامير والطرنطبات (أنفار) ، تنبعث منها تلاحين لا تبعث على شيء سوى الحرب.

وقد توفر للمنصور بالرميلة بظاهر مراكش جيش من 80.000 فارس و 26000 من الخيالة جاهزة لاستعادة الاندلس" لو تحركت همة المنصور لفتحها »[6].

ترتيب فرق الجيش السعدي واستعراضها في عهد المنصور :

قسم المنصور جيشه الى أقسام وجعل على رأس كل قسم قائدا يسوس أمرهم، واخترع الالقاب والاسماء، وجعل الجيش والقواد طبقات متفاوتة في الخطورة، وعين لكل من الاقسام محلا ومكانا يقف به وعملا يخصه. من ذلك "منصور" الباي أي قائد القواد وهو قائد جيش النار، ثم المقدمان أبو الثناء محمد صاحب خزائن الدار وهو قائد جيش الموالي "المعلوجي" من عساكر النار وصاحب فتح ممالك السودان جؤذر، وقائد جيش الاندلس.[7] ثم يلحق بهم قائد جيش أهل سوس من عساكر النار ويليهم حرسه الخاص « وخدمة





بساطه » الذين يكونون في ركابه متجملين بالملابس العجمية والسيوف المحلاة والعمائم الضخمة، ثم جنس العجم أهل القلانس الصفر المذهبة يقفون سماطيْن أمام قبة جلوسه في الحضر، وأمام فسطاط جلوسه في السفر. ثم يأتي أهل القلانس الطويلة البيض المذهبة المعروفين "بالسلاق" يقف هؤلاء سماطين أيضا خلف "البياك" ثم الصنف المعروف "بلبر دروش" وهو أهل اللقاقيف يقف هولاء خلف السلاق سماطين أيضا، ثم "الشنشرية" هم الذين يتولون طعامه ثم خدمة سريره وأنماط جلوسه وسدنة كرسيه، ثم فرقة حراسة الابواب ليلا.... ثم "الشواش" وهي الطائفة التي تتولى ضبط الجيوش عند المصاف في الحروب أو السلم وإنهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر.

وكان لما يخرج المنصور للمصلى أو إلى حركة أو لملاقاة أحد من بنيه تجند الجنود وتمتد عساكر النار أمام موكبه، وكل قائد من قواد عساكرالناريقف عند مبدإ حبله وتحت لوائه محفوفا بجيش من رؤساء جنده أهل الخيل الذين يدعون "بلكبشيات" (الخيالة) ثم تتصل بهذين العسكرين الشحنة الهائلة المؤلفة من «البياك والسلاق وتبردوش»....

ويرفع اللواء المنصور على رأس موكب أمير المؤمنين، ومن خلفه سائر الالوية وأمامه الطبل العظيم ومن خلفه الطبول الاخرى التي تقرع مع المزامير ينفخ فيها قوم من العجم [8].

اهتمام السعديين بصناعة المدافع وبناء الابراج : يعتبر العصر السعدي من أول العصور المغربية التي اهتمت بصناعة المدافع غاية الاهتمام. فأقدم مدفع مغربي هو الذي يرجع الى عهد محمد الشيخ الأول عام 952 هـ وآخر يرجع الى عهد المولى زيدان السعدي. وهما يوجدان بإحدى حدائق طنجة [9]. وقد عثر سنة 1961 على مدفع من صنع سعدي في ناحية من سور العرائش لا تبعد عن مكان وقعة وادي المخازن، وقد عثر عليه ومواجهته متجهة نحو البحر وهو يحمل تاريخ 978 هـ ويبلغ طوله مترين. [10] وقد صنع هذا المدفع الحاج أحمد الدمق بأمر من أبي محمد الغالب بالله (والد محمد المسلوخ) ابن أبي عبد الله الشيخ ويحمل المدفع اسم «سيدي ميمون» أو « الميمونة».

وكان يهتم عبد الملك المعتصم بإنتاج المدافع ويشرف بنفسه على صنعها "وقد أهدى للعثمانيين 20 مدفعا يشتمل أولها على 9 فواهات حسب مؤرخ سعدي" [11].

وقد بنى المنصور السعدي معمل "دار العدة" على مقربة من قصر البديع بمراكش لصناعة مدافع النار" (وهو الذي زود جيش عبد الله الغالب بمعدات فرقة المدفعية). كما استمر نشاط صناعة المدافع في عهد ابي زيدان السعدي. وكان السعديون يهتمون أيضا بصناعة البارود بدليل استراد هولاندا له من المغرب إبان حربها مع الاسبان سنة 1628م [12].

والى جانب اهتمامهم بصناعة المدافع والبارود كان السعديون يهتمون أيضا بتشييد الأبراج (بستيون) لاستخدام المدافع تقليدا منهم للعثمانين [13]. وقد عرف المغرب السعدي 14 برجا موزعة بين العرائش وتازة وفاس ومراكش، كما استخدم السعديون التحصنات البرتغالية التي ظلت سليمة في جملتها [14]. (كالابراج الموجودة خلف أسوار فاس وبرج تازة وبرجي الشمال (برج النور) والجنوب).

الاسطول السعدي : كان للجيش السعدي أسطول صنعت قطعه في هولندا (من بينها حراقتان) كما

ذكر ذلك "در كاستري" في "وثائقه". ففي 1610م قرر المجلس الهولاندي السماح للسلطان زيدان بن المنصور أن يصنع ثلاث أو خمس بواخر حربية في الاوراش الهولاندية وتجهيزها بالمدافع ونقلها الى المغرب. وقد هاجم هذا الاسطول الإسبان فأغرقوا منه باخرتين في سلا 1019 هـ 1610م). وكان عبد المالك السعدي [15] أول من أمر بإنشاء السفن البحرية في العرائش وسلا. وكان أغلب بحارته من الجنود المسيحيين الاسارى ومن الاندلسيين.

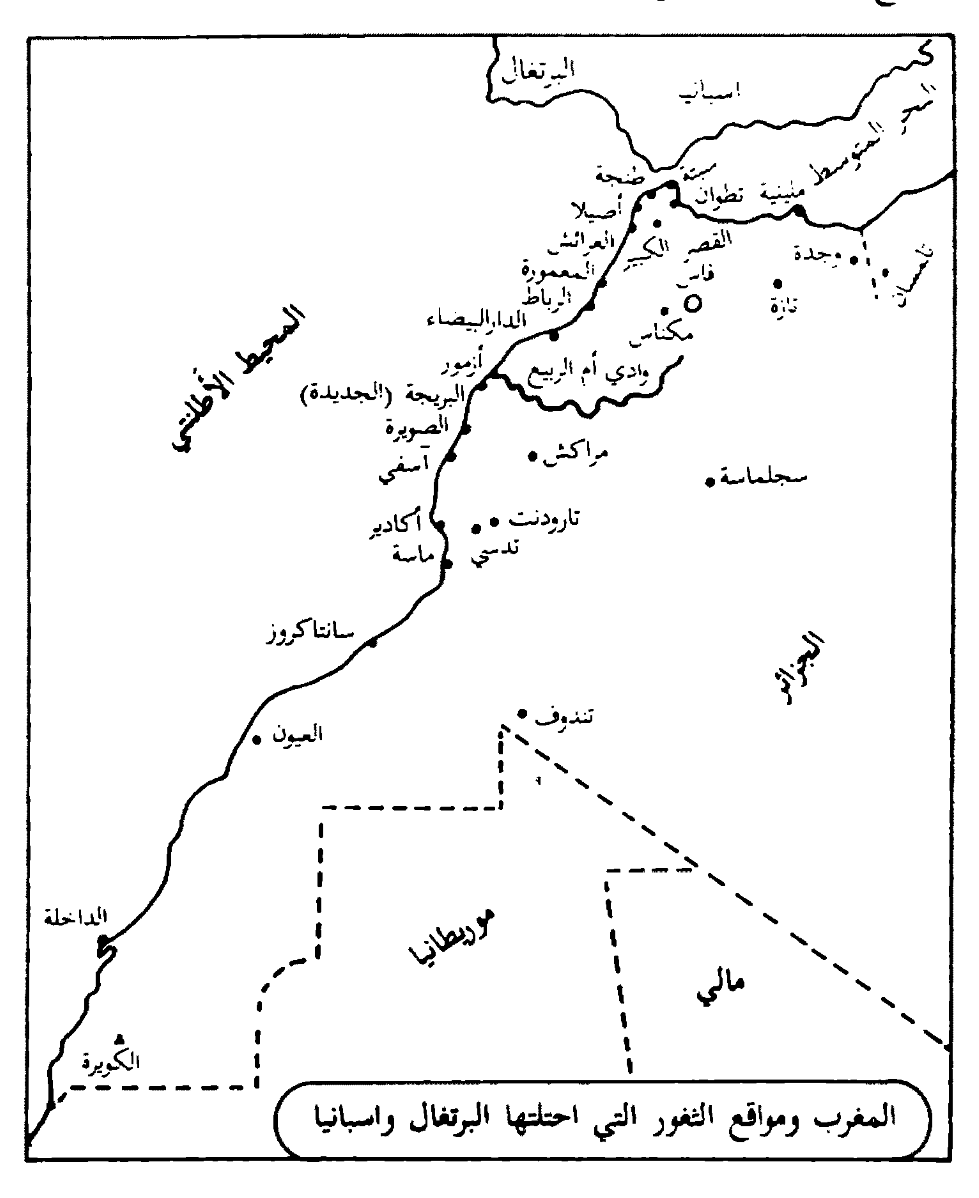
وحاول محمد الشيخ السعدي تكوين أسطول بحري بالاضافة الى وحدات كانت في ملك رؤساء تطوان وبادس. وأقيم ورش بحري بالريف قرب غابات البلوط والأرز والصنوبر وآخر بسلا. وقد بنيت 4 مراكب ببادس وأخرى في سلا. وفي عهد عبد الله الغالب بالله كان الاسطول البحري يتوفر على نحو 70 مركبا.

وأعد المنصور الذهبي أسطوله بمرسى الرباط وسلا لمحاربة الاسبان وأسند إلى الرايس ابراهيم الشط قيادة « الاسطول الامامي الجهادي » وإلى "الرايس" شعبان من بعده رئاسة الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطائع البحرية ». وكانت الأساطيل السعدية قد وصلت الى الأراضي الجديدة "Terres Neuves" وكانت تجول في المحيط الاطلسي مستعينة بالبوصلة (Compas) وبمسجل السرعة (Lech) وقد أبرم الملك السعدي محمد المتوكل مع انكلترا معاهدة تنص على التزام الملك السعدي ألا يعترض الاسطول المغربي للسفن الانجليزية لقاء التزام إليزابيت بنفس الشيء (1576 م). وتذكر الوثائق المتعلقة بسفارة عبد الله عنوري الذي وجهه المنصور الذهبي الى بلاط عاهلة انكلترا عام 1600م أنه حمل معه كهدية الى الملكة اسرى هولانديين وزيلانديين ممن اعتقلهم المجاهدون المغاربة في البحر[16].

وقد شارك الاسطول السعدي في حملة السودان حيث كانت مهمته تنحصر في إرغام سكان حوض النيجر في الدخول في طاعة الدولة. وتذكر بعض المصادر الاجنبية أن أسطول الجهاد تمكن سنة 1517م بقيادة خير الله الاشقر من اختراق مضيق جبل طارق والنزول بالمياه المغربية في عمليات جهادية كبرى. وبذلك أصبحت العرائش التي كانت ملاذا للقراصنة في مستهل القرن 16 كالرباط وسلا تحتل نفس المكانة التي كانت لتطوان وحجرة وباديس.

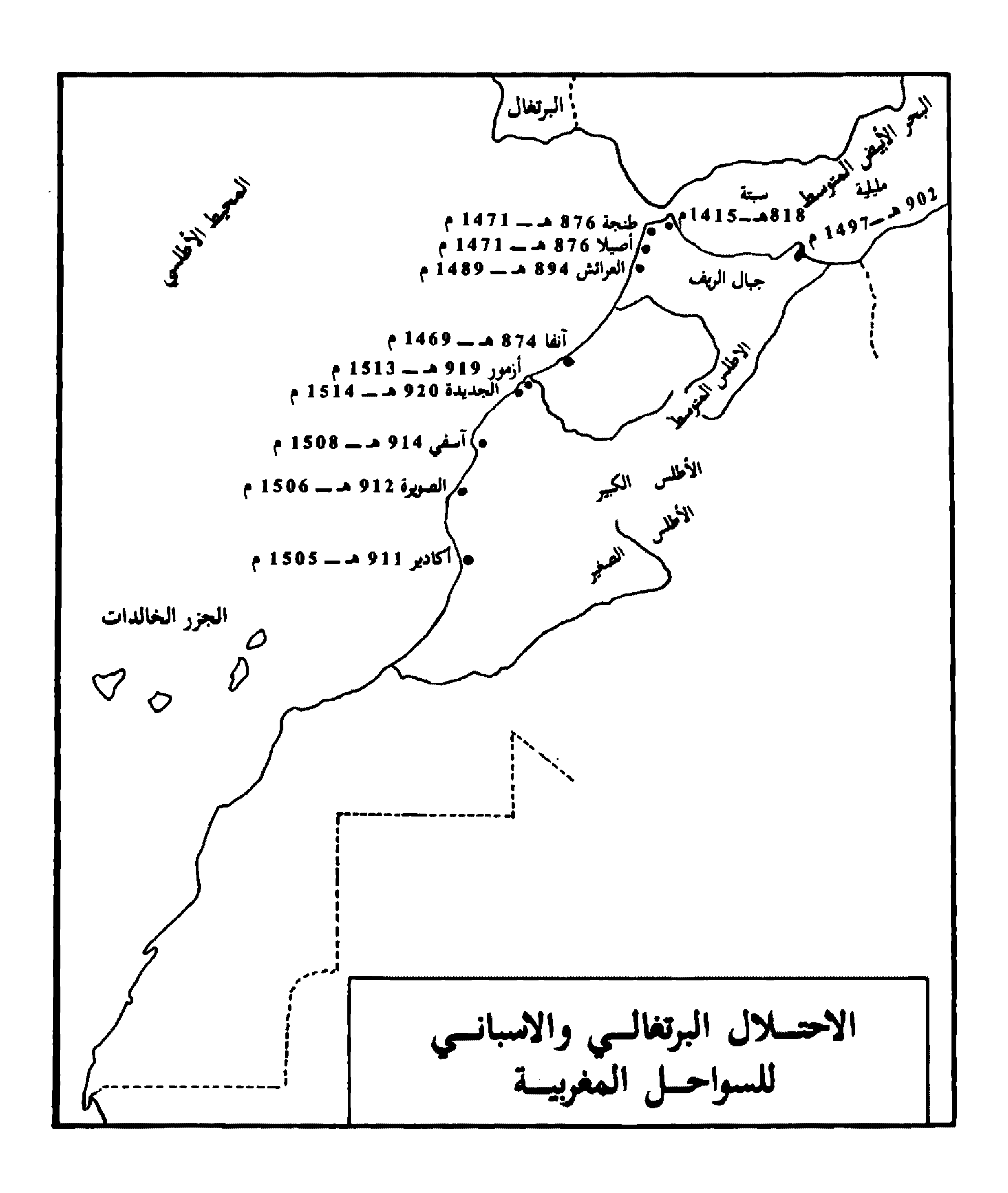
قادة الجيش السعدي : من قادة الجيش السعدي المشهورين : محمد الحران ابن محمد المهدي الشيخ، وعلي بن مسعود بن شقرة قائد قواد الغالب بالله، وسعيد بن فرج الدغالي قائد الجند بالاندلس في عهد الغالب والمعتصم، ومن أبراز قادة الجيش السعدي في عهد المنصور : جؤذر باشا ومحمد باشا وعمار الفتى (قائد جيش سوس) وعمار وعلوج (قائد جيش العلوج) ومحمد ابن ابراهيم بن بجة ومحمد بن بركة. ومن قادة حملة واد المخازن أبو علي القوري والحسين العلج الجنوي وعلي بن موسى وأحمد بن موسى ورضوان العلج... [17] ومن قادة الاسطول السعدي في عهد المتوكل القائد علي بن عبد الله وفي عهد المنصور محمد بن علي زرقون. ومن قادة الحروب : قائد مسيحي يدعى :"جوهر جيفار والقبطان سميت (مهندس) (القبطان معناه رايس البحر، اقتباس من الاتراك)، ومصطفى باشا قائد جيش مراكش في عهد المولى زيدان وعجيب (قائد عسكر الاندلس بقصبة سلا) وأحمد بن حدو قائد جيش تطوان، وأحمد العرائشي بن أبي يعزى قائد جيش مكناس.

المؤسسات العسكرية السعدية : يلاحظ بخصوص المؤسسات العسكرية أن الانقلاب الذي طرأ على الاساليب الحربية تحت تأثير انبثاق عهد الآلة وغزو المسيحيين للتراب المغربي كل ذلك حدا الدولة المغربية الى تعديل مناهج وطرق التعمير (العسكرية). فالأسوار المحيطة بالمدن الكبرى تعززت بأبراج مجهزة بعتاد جديد لمقاومة المدفعية. ومن جملة هذه الحصون يوجد حصن تازة الذي بناه المنصور السعدي وذلك استجابة للحوافز العسكرية القاضية بتزويد ممر تازة الواصل بين الشرق والغرب بالأجهزة الدفاعية، وتطل من هذا الحصن على المدينة 13 غرفة للرماية، وحصنان بالعرائش، وتسعة تحف بفاس مجهزة بالمدافع ومسكونة بالحاميات. كما أضاف السعديون أجهزة قوية الى المعاقل والحصون البرتغالية في المدن المحررة كآسفي وأزمور والجديدة (18). ومن المؤسسات العسكرية أيضا المعقلان في شمال فاس حيث كانت تأوي حامية فاس وتخزن العدة والسلاح والبارود والرصاص والانفاط والاكوار المعدنية والصخرية ... (19)



المغرب ومواقع الثغور التي احتلتها البرتغال واسبانيا

(عن كتاب أحمد المنصور الذهبي لابراهيم علي حسن)



الاحتلال البرتغالي والاسباني للسواحل المغربية

الجيش السعدي يقاوم الاحتلال البرتغالي

معركة وادي المخازن

(30 جمادي الاولى (او الثانية) 986 هـ - 4 غشت 1578م)

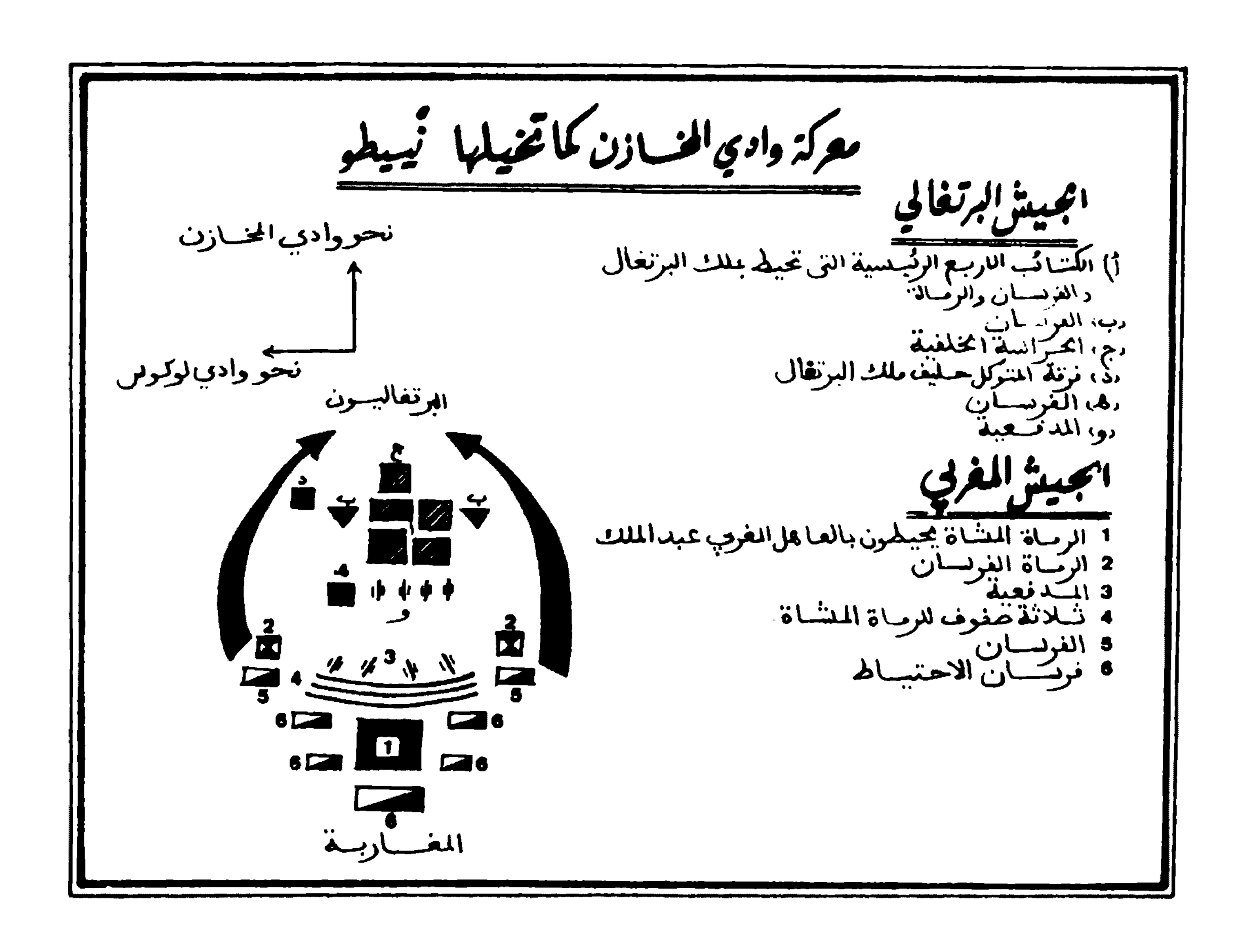
لما عزم السعديون على حوض معركة وادي المخازن[20] قرب مدينة القصر الكبير ضد البرتغال[21] الذين احتلوا جل الشواطيء المغربية (كآنفا 1465م، والجديدة 1514م، والعرائش وأكادير 1505م ، وآسفي 1508م، وأزمور 1513م، والمعمورة (المهدية) وأصيلا وطنجة 1515م (وسبق لهم أن احتلوا سبتة 818 هـ 1415 م)[22]، فرضوا " التجنيد الاجباري" على الشباب المغربي وجهزوا منهم ستين الفا ومن أهل البحر 2000 ومن الاتباع 2000، ومن الانفاط 200 ومن الكراريط 20.000 ليحملوا عليها و 10.000 من الفرسان والرماة [23].

ولما نزل سبستيان تفصر كتامة ودقت الساعة الحاسمة اتجه الجيش السعدي العرمرم بقيادة ابي مروان الى ساحة المعركة مومنا بنصره وفوزه - بعد أن أمر كتيبة بهدم قنطرة وادي المخازن قاطعا بذلك خط الرجعة على الجيش البرتغالي. فالتقت الفئتان على الاثر - يقول الافراني في نزهة الحادي - وزحف بعضهم الى بعض (من أصيلا) واسود الجو بنقع الجياد ودخان مدافع البارود وكثر الضرب والطعن وكان القتال على أشده. فدهش النصارى وتكبكبت جموعهم وتراكمت أمتعتهم وصناديقهم وخيلهم وسلاحهم بلا ترتيب... ووقدت النار في بارودهم فنفط وانهزموا الى وادي المخازن [24] وهلكوا فيه... فكان الأمر ان قتل من قتل وغرق من غرق وأسر من بقي. فخرج الجيش المغربي منتصرا على أعدائه واندهشت الدول الأوروبية لقوته وشدة بأسه [25].

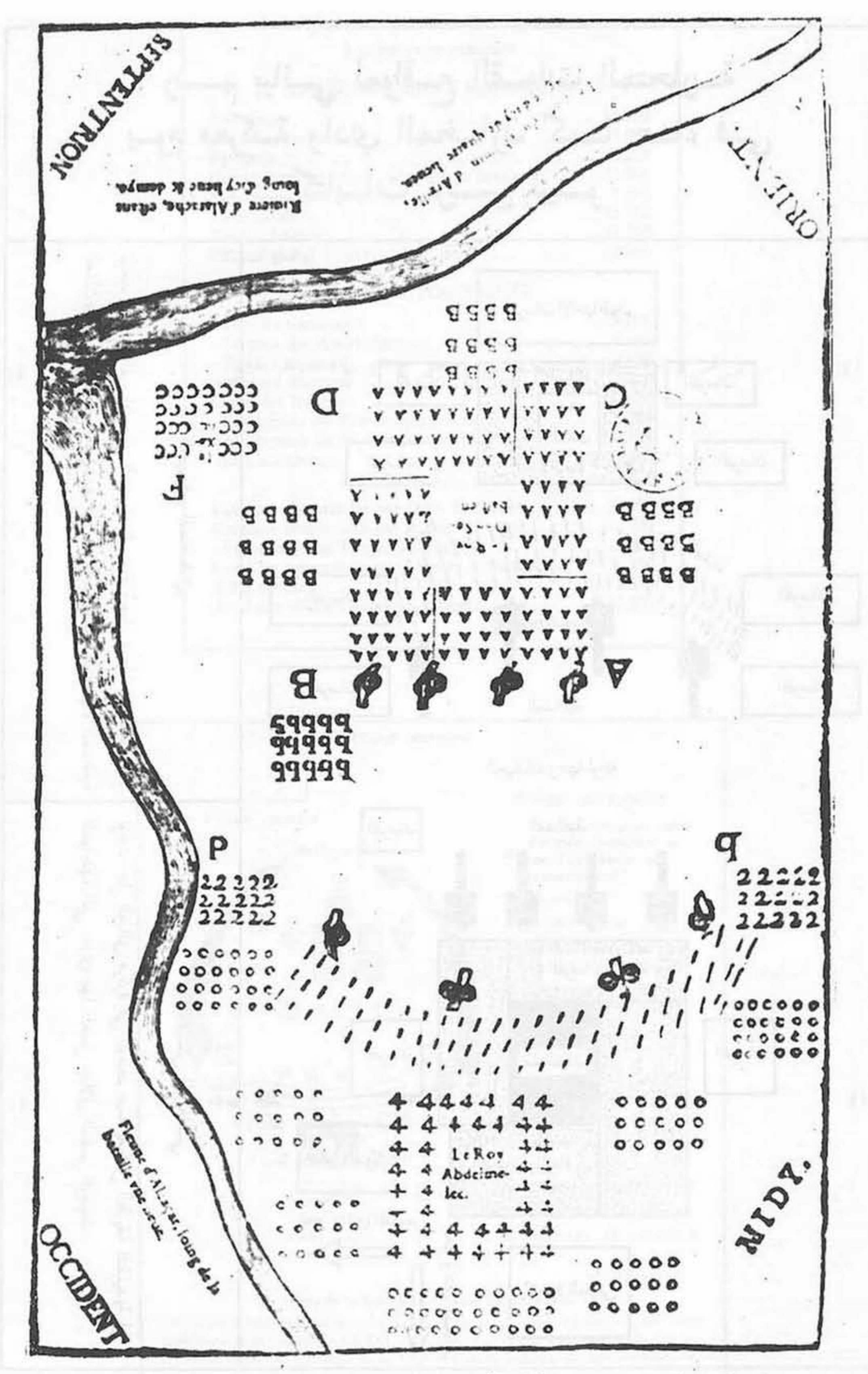
وبعد هذه المعركة التاريخية رجع الاسبانيون والاتراك [26] عن نواياهم في اغتصاب المدن المغربية، واستراح المغرب بفضل جيشه الجرار من اعتداءات البرتغاليين الطغاة الذين لم تقم لهم قائمة بعد انهزامهم في هذه المعركة الا بعد ستين سنة من الاحتلال الاسباني حيث انضمت البرتغال الى اسبانيا في عهد فيليبس II سنة 1580م (وبذلك نقلت مدينة سبتة من يد البرتغاليين الى الاسبانيين).

وقد شبهت هذه المعركة لضراوتها في كتب التاريخ بغزوة «بدر» الكبرى[27] وتلقى المنصور السعدي بعد مبايعته هدايا من الانجليز[28] (حيث تبادل المغرب مع انجلترا ملح البارود في مقابل البنادق الانجليزية)، ومن الاسبان وحتى من البرتغاليين والاتراك حيث أرسل إليه مراد العثماني سيفا محلى.

وبعد هذه المعركة الحاسمة وما نتج عنها أعاد المنصور السعدي تنظيم جيشه من جديد -كما فعل مولاي عبد المالك منذ سنة 1576م - وأصبح يشتمل على جيشين :



معركة وادي المخازن كما تخيلها نيسطو
الجيش البرتغالي
أ) الكتائب الاربع الرئيسية التي تحيط بملك البرتغال
د الفرسان والرماة
(ب) الفرسان
(ج) الحراسة الخلفية
(د) فرقة المتوكل حليف ملك البرتغال
(هـ) الفرسان
(و) المدفعية
الجيش المغربي
1 الرماة المشاة يحيطون بالعاهل المغربي عبد الملك
2 الرماة الفرسان
3 المدفعية
4 ثلاثة صفوف للرماة المشاة
5 الفرسان
6 فرسان الاحتياط
نحو وادي المخازن
نحو وادي لوكوس
البرتغاليون
المغاربة



BATAILLE DE EL-KSAR EL-KEBIR, D'APRÈS FRAY LUIS NIETO

رسم بياني لمواقع القوات المتحاربة يوم معركة وادي المخازن كما جاء في كتابات لويس نييتو

الجيش السعدي

توجد فصائل الفرسان على الميسرة والميمنة وحول محلة السلطان عبد الملك، كما توجد في المواجهة فرق الرماة،المشاة تتقدمها، المدفعية.

الجيش البرتغالي

توجد جل الفيالق مركزة في الوسط مما يعكس الطريقة التقليدية في المواجهة التي جرى بها العمل خلال العصر الوسيط.

Les forces en présence

ARMÉE RÉGULIÈRE MAROCAINE

Fantassins	11.750
Arquebusiers montés	3.000
Cavalerie	9.250
Contingents des tribus (réserves de cavalerie)	22.000
Détachements d'irréguliers	4.000
Total cavalerie	35.250
Total infanterie	14.750
Effectif global	50.000

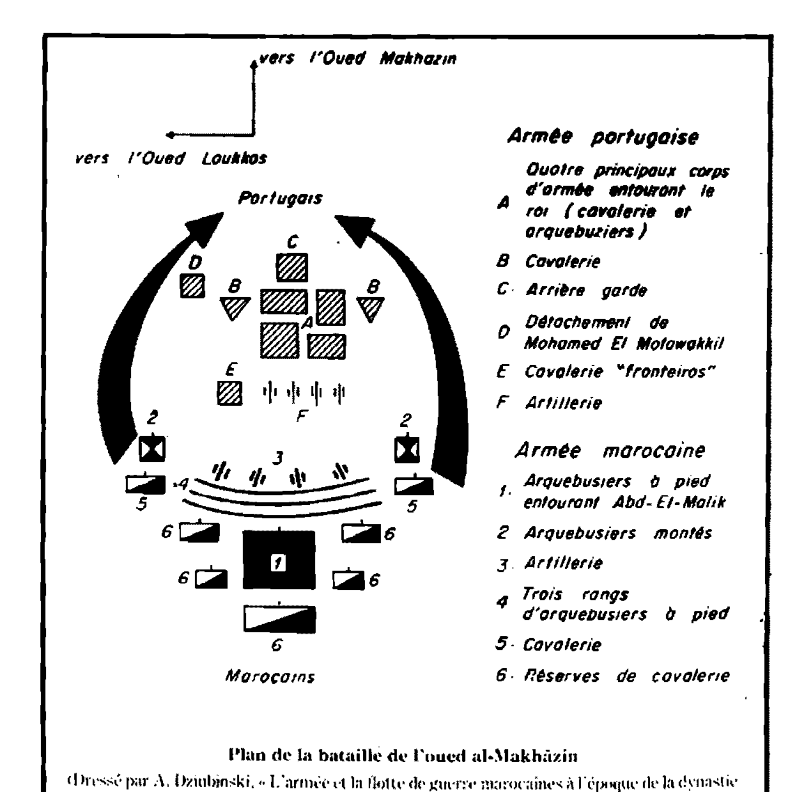
L'ARMÉE PORTUGAISE

« Terços » portugais:	8.000
« Terços » des Aventuriers:	1.400
« Tercio » espagnol:	1.600
Régiment allemand:	2.800
Corps des Italiens:	600
« Fronteiros » de Tanger (arquebusiers):	200
Arquebusiers de Moulay Mohammed:	200
Total infanterie:	14.800

Cavalerie

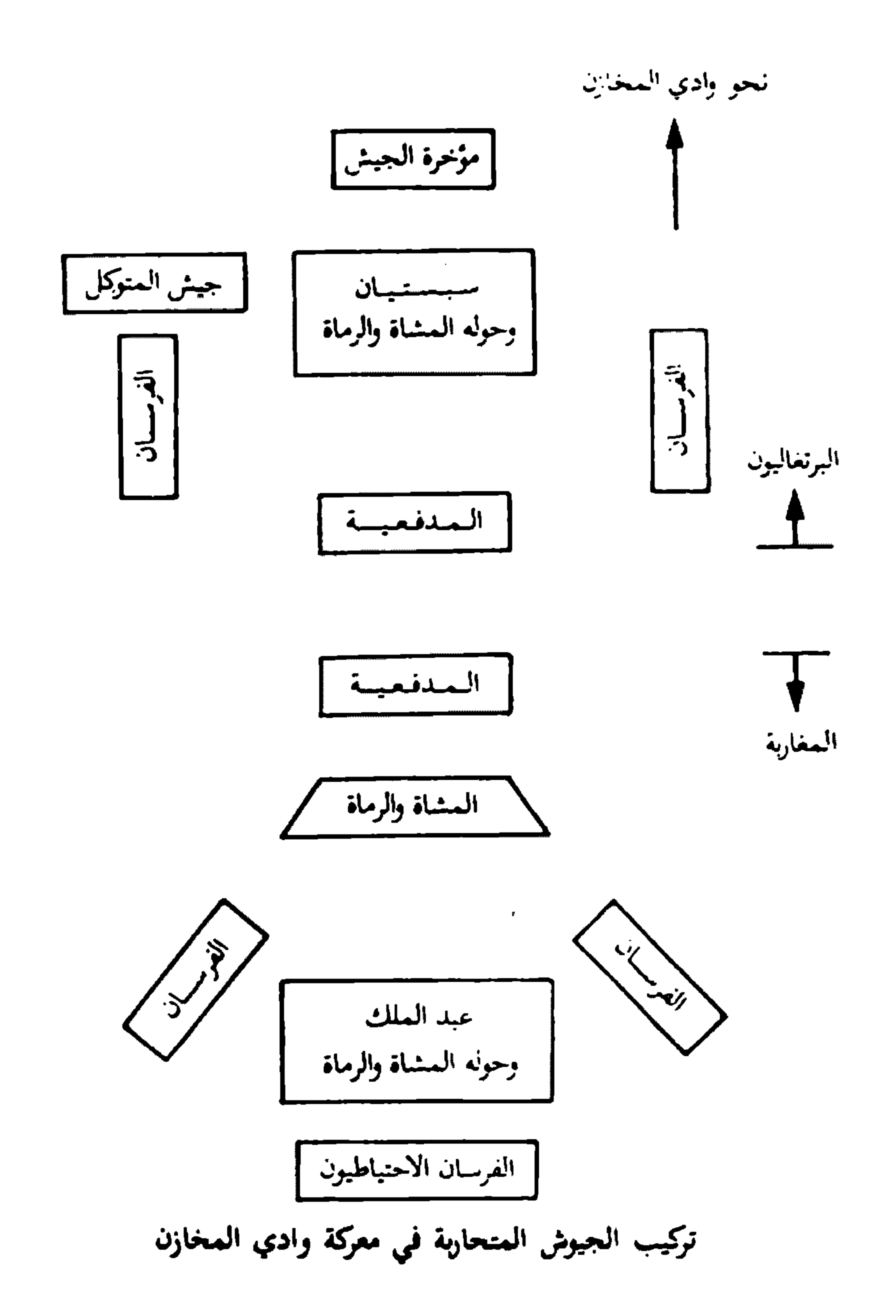
Cavaliers commandés par Dom Sébastien:	600
Cavaliers commandés par le duc d'Aveiro:	300
« Fronteiros » de Tanger (cavaliers):	400
Cavaliers commandés par Moulay Mohammed:	250
Total cavalerie:	1.550
Total des effectifs aptes au combat:	16.350

(Berthier



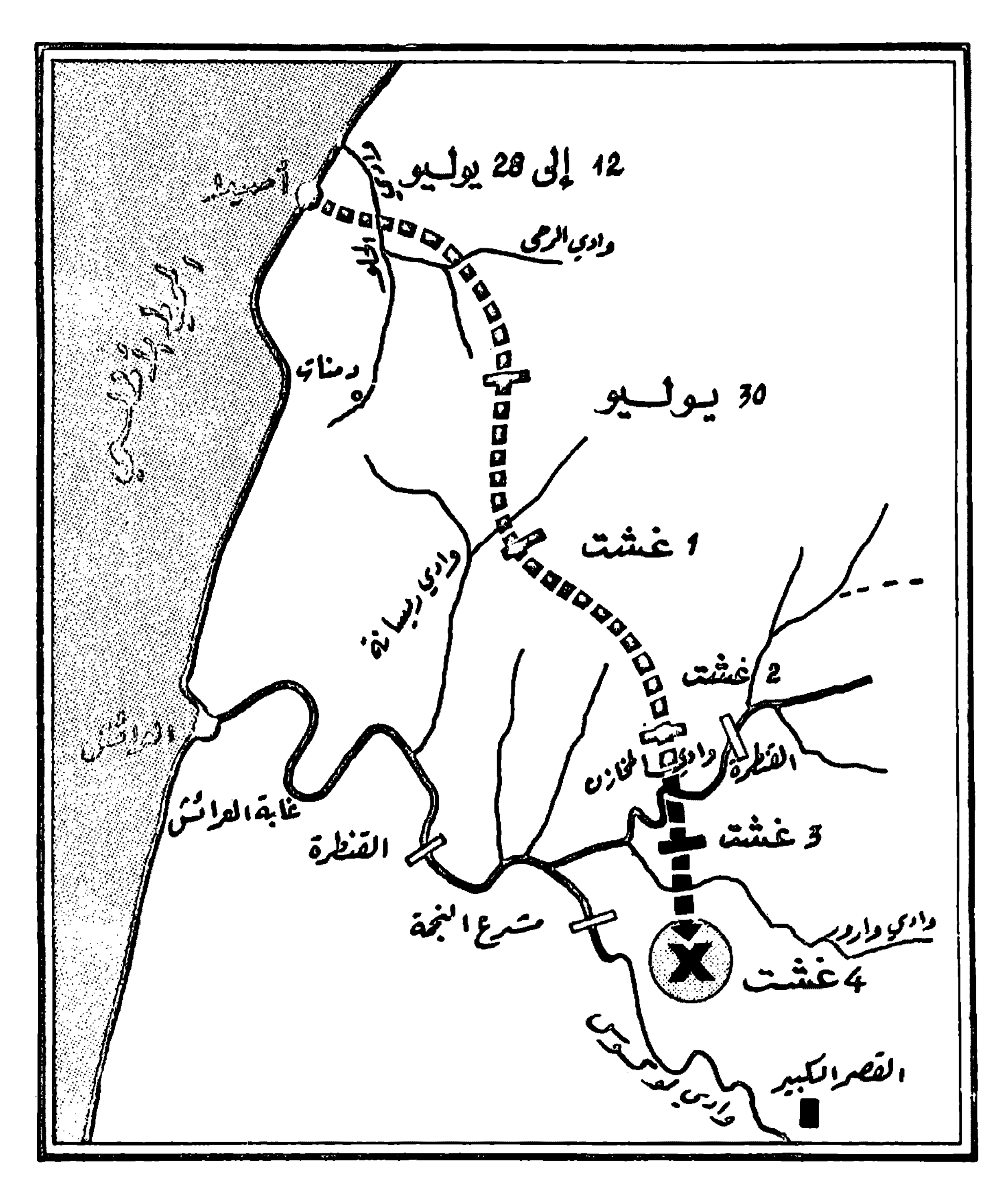
Plan de la bataille de l'oued al-Makhāzin

(Dressé par A. Dziubinski, « L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque de la dynastie saadienne », *Hespéris-Tamuda*, vol. XIII, 1972, p. 80; d'après Fray Luis Nieto, H. de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1re série, *Dynastie saadienne, Archives et bibliothèques de France*, I, pl. VI)

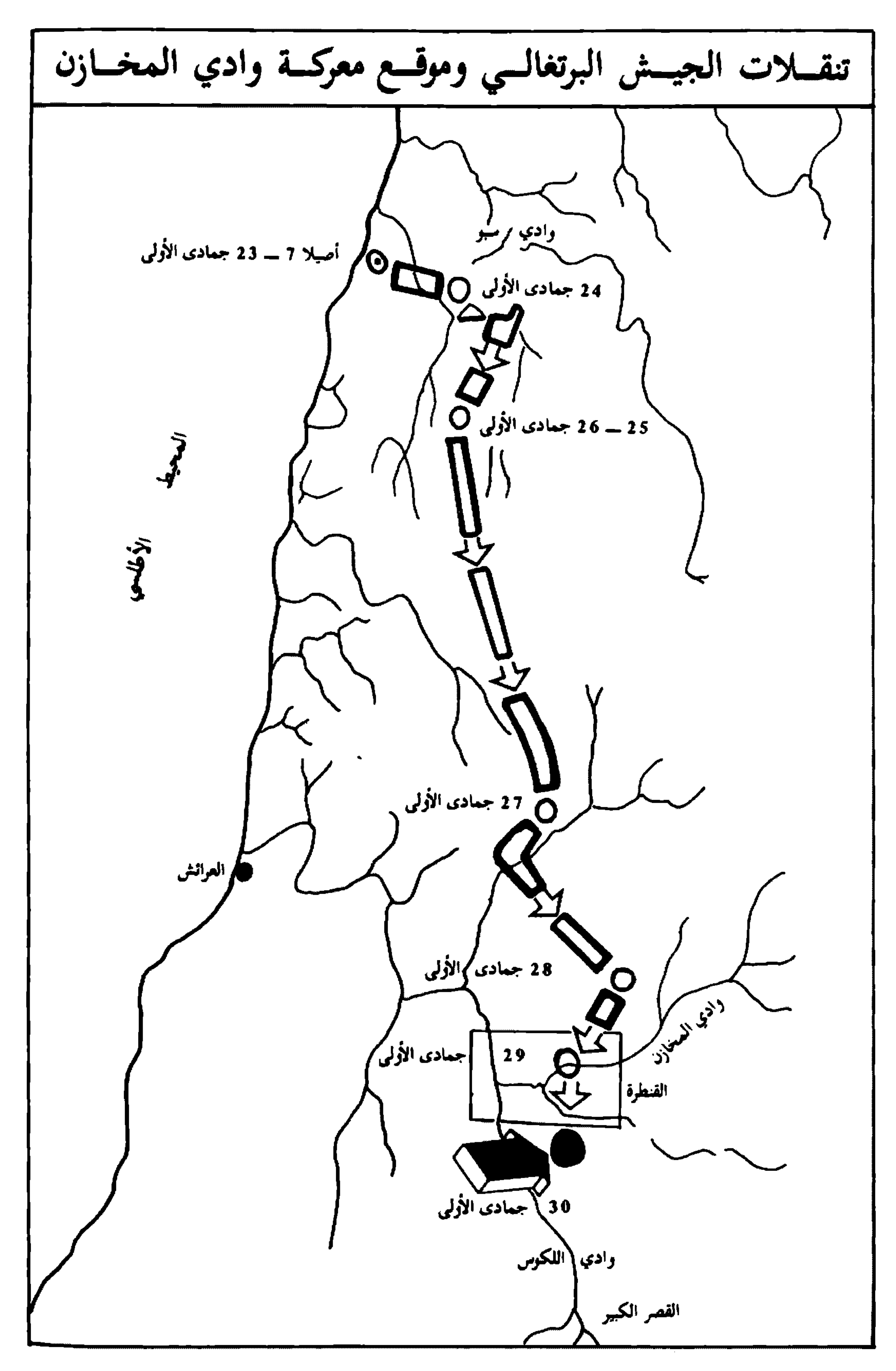


تركيب الجيوش المتحاربة في معركة وادي المخازن

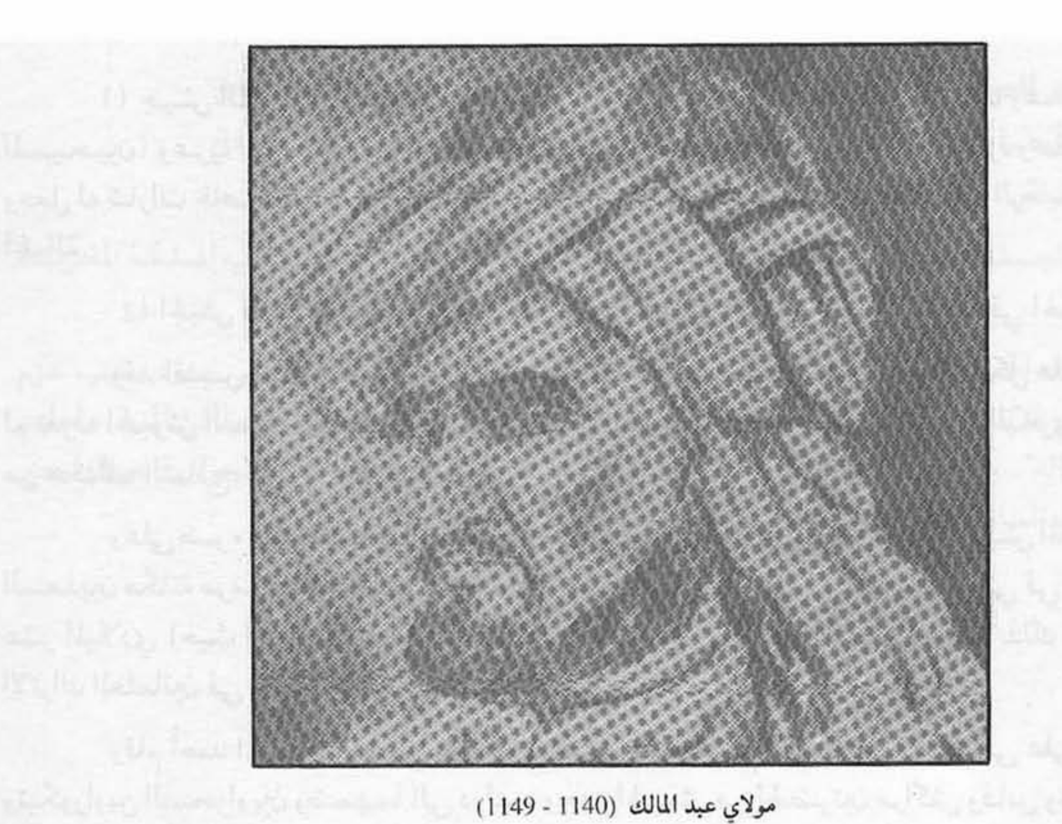
(عن كتاب أحمد المنصور الذهبي لابراهيم علي حسن)



خط سير حملة سباستيان نحو موقع المعركة بوادي المخازن في الفترة من 12 يوليو إلى 4 أغسطس



تنقلات الجيش البرتغالي وموقع معركة وادي المخازن



مولاي عبد المالك (1140 - 1149)



الملك سيباستيان

1) جيش النار (4000 من الاندلسيين و 1500 من الزواويين و 4000 من الاتراك وعدد من الاسارى المسيحيين) وعززه ببناء بروج في المناطق الإستراتيجية من البلاد كبرجي فاس وتازة وحصني العرائش، وجعل له شارات خاصة ونظاما في اللباس العسكري. وهكذا ركز المنصور اهتمامه على الرماية والمدفعية دون الخيالة.

2) الجيش الملكي وقسمه الى فرق لكل فرقة اسم وزي خاص وأسسه ليصحبه في الحل والترحال.

وقد اقتبس المنصور من الاتراك تنظيم جيشه – أثناء خوض المعارك- على شكل هلال الشيء الذي لم تعرفه الجيوش السابقة. كما قام المنصور بتحصين الثغور البحرية وبتجهيز الاسطول البحري بأربعين قطعة من مختلف النماذج.

وعلى ضوء هذه الاصلاحات العسكرية بعد معركة وادي المخازن احتل الجيش المغربي في عهد السعديين مكانة مرموقة من بين جيوش بلدان البحر الابيض المتوسط في النصف الثاني في القرن السادس عشر الميلادي (حيث احتل المرتبة الثالثة بعد الجيش الاسباني والجيش العثماني)ووقف بذلك في وجه أطماع الاتراك العثمانين في احتلال المغرب .[29].

وقام أحمد المنصور السعدي بعد ذلك بخوض غمار سياسة الفتوحات، فاستولى على إقليمي توات وتيكورارين الصحراويين وضمهما الى دولته. وجهز الجيوش من الحضرتين مراكش وفاس وتلاقى الجيشان بسجلماسة «وأرعدت رعود النار بالرصاص والبارود » الى أن ارتفع النداء بالأمان.

ولما ظهر الثائر قرقوش من مكناسة بجبل غمارة جهز له المنصور العساكر وقاتله حتى قبض عليه بمكيدة وقتله. كما قاوم المنصور ثورة ابن شقيقه المتوكل وظهيره الثائر "ابي ويسعدن" وحكم فيهما سيوفه وحرا به.

كما جرت معركة أخرى بين المتوكل وعمه المنصور في سوس بمضيق "أساطس" تدخلت فيها فرقة من الاتراك ولكن المنصور رماها بالرصاص وانقض على أعدائه حتى هزموا.

الجيش السعدي يفتح السودان

ولما استقر الامر في البلاد بعد معركة وادي المخازن عزم المنصور الذهبي على غزو السودان[30] فأمر القواد أن يقوموا بإحصاء القبائل وما يحتاجون اليه - يقول الناصري - من إبل وخيل وبغال وبارود ورصاص ومدفع وكور وعجلات . وخرجت العساكر وعددها 8000 ومعها المعلمون البحرية والطبيعية ألفان وعلى رأسها الباشا جؤدر[31]. ولما وصل الجيش السعدي الى السودان قصد دار "إلحاق سكية" ، فأحشد هذا الاخير أمم السودان وقباطيها. ولما تقارب الجمعان حمى وطيس المعركة بين البيض والسود ، ولم يمض يوم حتى انهزم السودانيون، وحكمت في رقابهم سيوف جؤدر وجنده حتى كان السودانيون ينادون : نحن مسلمون نحن إخوانكم، فتقدم جؤدر قائد الجيش السعدي واحتل قلعة "إسحق" في شرذمة من جنده واستولى على ما فيها من سلاح.

وبمناسبة هذا الحدث الظيم والفتح الجديد أنشد شاعر السعديين عبد العزيزر الفشتالي قصيدة رائعة يعد فيها مفاخر الجيش السعدي منها :

جيش الصباح على الدجى متدفق	فبياض ذا السواد ذلك يمحق
وكأنه رايات عسكرك التي	طلعت على السودان بيضا تخفق
جيش أواخره ببابك سيله	عزم وأوله "بكاغو" محدق...

فكان للجيش المغربي الباسل الشرف الكبير حين ضم السودان الى تراب المملكة المغربية سنة 999 هـ

وبعد هذه الحملة الموفقة على السودان وبعدما وصلت جيوشه من جهة الشرق الى حدود مصر، عزم المنصور على غزو الاندلس "فحمل هولاندا وانكلترا على الاشتراك في مهاجمة الاسبان ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق آماله". وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام السعديين بالمناطق الصحراوية بصفة أخص على خلاف الدول السابقة التي صبت اهتمامها على الاندلس.

ذكرى موقعه وادي المخازن أو غزوة الملوك الثلاثة

للمرحوم الزعيم الاستاذ علال الفاسي

بفضلكم أبطال «وادي المخازن» ✯ يردد فينا اليوم صوت المآذن

ولولا جهاد منكم بعزيمة ✯ وتضحية كبرى بيوم «السواكن»[1]

وما جئتموه من ثبات وحكمة ✯ وما بان فيكم من عظيم التضامن

لأضحت بلادي طعمة لعدوها ✯ كأندلس أخت الأسى والتغابن

وكانت بلادي قد أصيبت بنكسة ✯ نتيجة خلف دائم وتطاحن

وما شاع فيها من بليد خرافة ✯ وما ذاع فيها من دعاية آفن

فحادت عن الفكر الصحيح وآمنت ✯ بما عاقها عن سيرها المتوازن

وكان ضياع (العدوة) اشتد امره ✯ عليها فهامت تحتمي بالمدافن

على حين كان الغرب يرفع رأسه ✯ ويمضي الى العليا بكل تضامن

وينشط في إحياء مجد شعوبه ✯ ويمعن في توحيد كل الأماكن

تخاذل فينا الحاكمون فأصبحوا ✯ يقودوننا للنوم مثل الدواجن

يهاجمنا الأعداء من كل جانب ✯ وقابلهم منا عظيم التهاون

لقد زحفوا من سبتة وهي أرضنا ✯ على أرضنا زحف القوي المشاحن

وقد أخذوا منا (العرائش) عنوة ✯ وعاون فيها كل فدم[2] مهادن

وخاس بها السعدي فأصبح ناشدا ✯ سالمة «الإدفنس» دون ترابن[3]

---

[1] السواكن : القبائل التي تقيم حول وادي المخازن

[2] الفدم : قليل الفهم

[3] الترابن : التقاتل

أبا حامد [1] لله دركَ صارخا	★	أأرضى بتوقيع لفتوى مداهن ؟
على أنني أختار نفيا وشدة	★	وأقبل أسري دون أسر مواطني
وينتفض الشعب انتفاضة قائم	★	ويسقط من علياه أعظم خائن
ويرتطم «المسلوخ» [2] في كل وجهة	★	يناشد من يحميه فعل المراهن
ويمضي «سبستيان» ينشد خاله	★	وأحلافه في الغرب عون المقارن
وأرسلها فيهم «صليبية» لها	★	نداء رهيب أو تحايل كاهن
وأيدها «البابا» بدعوة حانق	★	يجمع من أتباعه كل فاتن
وقد نشر «المسلوخ» دعوة خاذل	★	وكيف يصيخ الشعب دعوة مائن ؟
من «القرويين» انتضى كل ذائد	★	عن الدين قوام على الحق صائن
فما وهنوا لما رأوه ولا انثنوا	★	عن الصدع بالرأي السديد اللاحن
وهب سبستيان [3] في نشوة الرضا	★	يرى النصر مضمونا بأقدس ضامن
وهاجم من ثغر العرائش زاحفا	★	إلى القصر مجتازا بوادي المخازن
وقد بث في كل الجهات عيونه	★	ونظم في الأحياء شتى المكامن
فغرت جموع المسلمين كأنها	★	غثاء تردى في مسالك عاين
ولكن شهما من بني الجد [4] لم ين	★	يثبتهم حتى ارعووا للمساكن
وأرسل فيهم بالبشارة داعيا	★	يجمع من أتباعه كل يامن
وسار وساروا في عزيمة صادق	★	طليعة جيش مخلص العقد واثن [5]
وشد العدا في الشط لا يقطعونه	★	كأنهم شدوا بحبل المراسن
فلله هاتيك الطلائع إنها	★	مطالع نصر واضحات القرائن
وجاء «أمير المؤمنين» بجيشه	★	كأنهم أسد شداد البراثن
وهبت جموع الشعب حول إمامها	★	يقودهم في البذل شيخ المحاسن
وكان كفاح بين حق مدافع	★	وما بين الاستعمار مذكي الضغائن

(1) أبو حامد العربي الفاسي
(2) المسلوخ : لقب محمد الشيخ السعدي
(3) سباستيان : ملك البرتغال الذي قتل بوادي المخازن
(4) هو أبي المحاسن يوسف الفاسي
(5) الواثن : الثابت في مكانه

وكان ضراب لم يسجل مثيله ★ بما اشتد فيه من تجيع المطاعن
وأبلى بها المنصور خير بلائه ★ ودبرها بالحزم تدبير فاطن
فللّه منه حين ضاع صنوه ★ أدار الرحى في حكمة وتوازن
وهبت رياح النصر في جانب الهدى ★ وأردت سباستيان بين المطاحن
وفرت أحابيش الصليب كأنها ★ زعانف يذروها هبوب المداخن
وطيف بجلد الخائن النذل وانبرت ★ يد الشعب تردى كل باغ وفاتن
فللّه من يوم الثلاثة إنه ★ بداية عهد للبنا والتصاون
وقد أصبح المنصور يزهو بعرشه ★ ومن حوله شعب صفي البواطن
وقد حرر الطاقات فانساب سيبها ★ لرجع الصحاري وافتتاح المداين
وأصبح سودان البلاد وبيضها ★ حليفي إخاء في رضى وتعاون
وثرت عيون الخير في كل جانب ★ ونالت يد الإصلاح كل الأماكن
قد اخضرت الواحات وازدان ريعها ★ وأكسبها الحلات [1] ربع المعادن
فللّه من وادي المخازن إنه ★ قد امتلأت منه جميع الخزائن
ويا وطني كم رام ذالك معشر ★ فعادوا بخزي في المجامع باين
فداك بنوك الغر في كل حقبة ★ واولوك عزا مستتب الركائن
فقل للألى كادوا لك اليوم إننا ★ بنوك أباة الضيم أسد العراين
فلسنا نمل الحرب حتى تعافنا ★ ولسنا نخاف البأس من أي كائن
لئن كنتم أرقى وأعظم عدة ★ فإيماننا أقوى وخير مداين
فلا تحسبوا الصحراء تبقى إليكم ★ ولو صنتموها بالسلاح المطاعن
فإن الصحاري أرضنا وديارنا ★ وأبناؤها إخواننا في المواطن
ورغبتهم من رغبة الشعب كله ★ فلا تنكروا حقا بدا للمعاين
وقد أخلصوا للعرش في كل حالة ★ ولم يخرجوا عن واجبات المواطن

---

(1) الحلات بالكسر جمع حلة وهي البيوت

بني وطني ما دهاكم فصرتم	★	إلى فرقة منغوضة وتطاحن
أعيدوا لهذا الشعب ماضي مجده	★	وكونوا لنصر الحق خير مثابن [1]
ولا تدعوا الأعداء تعبث بيننا	★	وتخلق فينا موجبات التباين
فمغرنا في حاجة لاتحادنا	★	لنكسب حقا ضائعا في التشاحن
السنا بني الاسلام والمواطن الذي	★	توحد بالإسلام بين الأماكن
وفينا أمير المؤمنين محمد	★	ضمان لإنجاز الأماني الضناين [2]
وإن بلاد قادها كمحمد	★	لأجدر أن نحظى بكل الأحاسن
سيكلاه المولى ويرعى حياته	★	ففيها نجاة الشعب من كل شاطن
فسيروا على النهج السوي فإنه	★	لإصلاح حال الشعب أصدق ضامن
ولا تبعثوا اللجاهلية بيننا	★	ولا توقعونا في مزالق لاعن
إذا نحن وحدنا العقيدة واستوت	★	مطامحنا نلنا السها بالميامن
أصيخوا بني قومي لدعوة ناصح		حريص على الإصلاح بالحق آمن
فهذا نداء الحق من كل جانب		يردده أبطال وادي المخازن

الرباط في 3 غشت 1959

---

(1) مثابن = مناضل
(2) الضناين = مايضن به لنفاسته

الدلائيون في معركة ضد الاسبان : قاد محمد الحاج الدلائي معركة ضد الاسبان بثغر المعمورة سنة 1647م فبدأ الحصار بهجوم 8000 من برابرة سوس جاؤوا للجهاد ومع كل واحد منهم خنجر وسنة (Hache à 2 trouches) وبندقية (Escopette) فاحتلوا الخنادق الدفاعية من دون أن يشعر الجنود الاسبانيون بذلك وتسلقوا البرج واستولوا على الجسر، فأمد عبد الله الدلائي - حاكم سلا - الجيش البربري ب 30.000 من المشاة و 10.000 من الفرسان وبثلاثة قطع من مدفعية القصبة التي وجهت القذائف الى المواقع الامامية الاسبانية. وقد استغاث الاسبانيون بأسطولهم إلا أن هذا الاسطول تعذر عليه الدخول الى وادي سبو نظرا للطلقات النارية التي توجهها مدفعية المسلمين المركزة على ضفة النهر. ولكن قائد الاسطول قرر أن يتقدم بسفينته الكبرى تتبعه السفن البحرية الاخرى فوقعت معركة حامية بين الجيش الدلائي والبحارة الاسبانيين تبادل الطرفان خلالها طلقات المدافع في النهر كما وقعت اشتباكات أخرى في البر. ولكن الاسبانين تمكنوا من الدخول الى الحصن. فرفع الجيش المغربي الحصار عن معمورة بعد أن أضرموا النار في مصف المدافع أثناء انسحابهم[32].

الموريسكيون يعززون صفوف الجيش المغربي لحماية شواطئه : وحاول الموريسكيون (الاندلسيون المهاجرون) قبل طردهم من غرناطة أن يتعاونوا مع الهولانديين من جهة ومع المولى زيدان السعدي لمطاردة الاسبان ولكنهم فشلوا فنزحوا الى المغرب ومكث عدد كبير منهم في سلا وقصبة الاوداية (حيث انضم اليه مجاهدو المعمورة(المهدية)) وتطوان واشتغلوا بالجهاد في البر والبحر والاغارة على البرتغاليين الذين كانوا يحتلون مدن سبتة والقصر الصغير وطنجة واعتراض سفنهم. وكان قوام هذا الجيش في القرن 10 هـ (16م) 400 من الفرسان و500 من المشاة و15 سفينة حربية يهاجمون بها السواحل الاسبانية بمساعدة مراكب القراصنة الجزائريين[33].

وقد شجعت هذه الحركة الجهادية ظهور بحارة أتراك بقيادة "عروج" "وخير الدين" في المياه المغربية لانجاد الاندلسيين والمغاربة. وقد ساعد هذا التدخل التركي في طرد الاسبانيين من ثغور الجزائر وتونس وليبيا «ودخول هذه الاقطار في حكم الخلافة العثمانية».

الاسطول المغربي ونشاطه في عهد "قراصنة سلا" (أو الجهاد البحري) : لقد كان " لقرصانة سلا" (البحارة الاندلسيون والمغاربة)[34] أسطول عظيم مؤلفاً من 30 قطعة بحرية صغيرة وسريعة الحركة صنع معظمها بسلا[35] تمخر عباب بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) وتصل الى الجزر الخالدات لقرصنة البواخر الأجنبية. (الفرنسية والانجليزية والنامساوية[36]) . وخصوصا بواخر البرتغاليين والاسبانيين الذين كانوا يحتلون جل مدن الشواطيء المغربية[37] فأصبح بذلك الاسطول المغربي يغير حتى على معاقل الاسبان ويكبدهم الخسائر الجسمية ... كرد فعل للهجمات الاسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية. وقد تحالفت عدة دول مع قراصنة سلا (مثلا) اتقاء لشر أسطولها القوي.

وكان القراصنة يجلبون بواخرهم من أوروبا أو يضعونها على ضفة نهر أبي رقراق بمساعدة صناع هولانديين[38]. وقد غنموا أثناء معاركهم البحرية عدة مراكب بحرية ومدافع وأسروا المئين من الاسارى والسبايا وربحوا الأموال الطائلة، كما ورد ذلك عند "دوكاستري" في وثائقه. وقد امتد نشاطهم حتى الشواطئ الانجليزية.

الحركة العياشية : لما قام المجاهد القائد ابو عبد الله محمد العياشي - «المجاهد في سبيل رب العالمين» - بايعه أهل الجهاد حتى سيتأصل شأفة هؤلاء المسيحيين. وكان الدلائيون يمدونه بالرجال - لما كانوا متحالفين معه- ، كما كان المورسكيون يمدونه بالبارود والأنفاط في بعض الاحيان.

وتعددت الاشتباكات بين العياشي والاسبانيين والبرتغاليين في "البريجة" والمعمورة - (وقد تزود في معارك هذه بـ 6 مدافع اشتراها من الانجليز أعداء الإسبان وذلك تلبية لاستنجاد أهل فاس) ، وفي العرائش

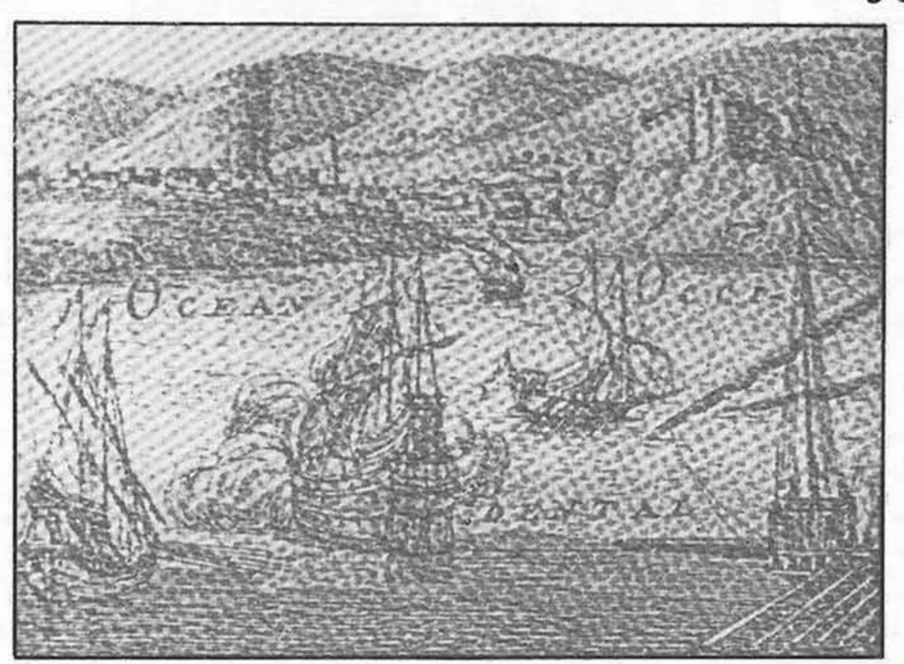
وطنجة "وأقطار سوس"، وفي غيرها من الثغور المغربية.

وكانت خسائر العدو في هذه الاشتباكات فادحة ذلك أن العياشي اتبع في حروبه "نظام العصابات" فهو ينتقل في حركاته الجهادية بين المناطق المختلفة يتربص بالعدو ويأخذه على غرة أو يرسل الجواسيس فيغرر بهم...[39].

وكان جيش العياشي يتكون من المتطوعين الذين يتواجدون في مواسم معينة على مناطق الجهاد. وكان عددهم مستمر التغيير. وكانوا يستعملون المناوشات وحرب العصابات والحصارات كسائر عمليات الجهاد. ولم يكن لهم تنظيم أوتأطير خاص. كانوا حسب المصادر الأجنبية- رجالا شجعانا ماهرين في المسائل الحربية مثل نصب الكمائن والتعرف على الميدان لاختيار المواقع الملائمة، ويتوفرون على فكر خصب في اختراع الحيل، ويجتمعون قرب عين ماء ويعدون الكمائن خلال بضعة أيام فقط حتى لا يشعر العدو بتجمعهم، وكانوا يأخذون لعملياتهم اوقاتا معينة كقبل عملية الحرث أو بعد الحصاد. أما سلاحهم فكان : القوس الحديدي والبنادق والمدافع والمهاريس والمتفجرات التي يستعملونها في حصاراتهم[40].

وكيفما كان الأمر فإن عوامل الضعف التي دبت في صفوف الجيش المغربي بعد وفاة المنصور السعدي لضياع كثير من القدرات العسكرية في حروب داخلية ولافتقار السعديين الى الاموال اللازمة لتنظيم أي عملية عسكرية - قد تسببت في تمزيق وحدة البلاد. فلم يستطع لارجالات العلم والإصلاح (مثل الحاحي في الجنوب والأغصاوي في الشمال وعبد الله بن حسون في الغرب)، ولا القراصنة الاندلسون ولا المجاهدون (مثل السملاليين في جنوب المغرب والدلائيين في وسط وشرق البلاد والعياشيين في الشمال الغربي وفي الغرب) رغم ما أبدوه من مقاومة للمسيحيين أن يوقفوا تيار العدوان المتدفق على الشواطىء المغربية من حين لآخر[41].

ورغم ذلك فإن المعتدين الآثمين والمتسلطين الباغين من الغزاة الاسبانيين والبرتغاليين وغيرهم ممن حاولوا الاغارة على المغرب والاستيلاء على ترابه وبسط حكمهم عليه لم يستطيعوا كسابقيهم من الرومان والوندال أن يتجاوزوا الشواطىء المغربية ولا أن يحصلوا على الغلبة داخل الأرض المغربية إلا نادرا ولفترة محدودة من الزمن.



Combat naval devant Salé.
Pour protéger leur commerce maritime, les nations européennes bloquaient parfois le port de Salé, repaire des corsaires. — (Cliché Ogé)



• Le chérif de Chaouen Sidi Boujemaâ Alami a mené la guerre contre les Portugais. Mort, fusil à la main en1471. (Archives Ibn Azzouz Hakim).



• Talhat Abdarij a mené la résistance à l'occupation portugaise de Sebta en 1428. (Archives Ibn Azzouz-Hakim).

(1) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية (الجيش المغربي) ج1 ص 37.

(2) لقد اشتهر العرب قديما بمهارتهم في الرمي بالنبال والقسي حيث أن الرامي منهم كان يستطيع أن يرمي احدى عيني الغزال دون الاخرى. وكان الرسول الكريم يقول : إن القوة الرمي ! وقال أيضا : اركبوا وأن تركبوا أحب الي من أن ترموا.

(3) مؤرخ (مجهول الاسم) : تاريخ الدولة السعدية، نشر جورج كولان.

(4) كتب المؤرخ البولوني Andrzej Dzcubinsky في مؤلفه "Le Maroc au XVIe siècle (de 1510 à 1578)" فصلا عن تنظيم الجيش السعدي يقول فيه :

"Le mérite des premiers Saadiens était d'avoir changé la structure de l'armée : cette transformation consistait à transférer le point de gravité de la cavalerie sur l'infanterie et l'artillerie - en quoi ils ont pris modèle de la Turquie - ce qui a placé leurs armées au rang des armées les plus modernes dans la région méditerranéenne à partir de la seconde moitié du XVIe siècle. A partir de 1545, on possède des témoignages qui prouvent que les Saadiens se servaient de la tactique turque de combat basée sur l'ordre de bataille en forme de croissant que les Ouattasides ignoraient. Dans les années soixante du XVIe siècle l'armée stationnant en permanence dans les casernes comptait 11.600 soldats, et à l'état de mobilisation complète l'armée régulière atteignait le chiffre de 30.000 hommes. Abdallah el Ghalib, le premier parmi les Saadiens, a créé un système régulier de défense frontalière en construisant aux confins de l'état plusieurs dizaines de forteresses : les Kasbas".

(5) نظام الجيش المغربي - جريدة السعادة عدد 223 - اكتوبر 1908.

(6) من صور بلاءهم في الحروب قولهم : «فزحفوا اليهم (الاعداء) وترجل سائر الفرسان والابطال من جيش الأسل يومئذ عن خيلهم واستلموا وتظاهروا في دروعهم ونصبوا الدرق أمامهم وأشهروا سيوفهم وسابقوا الرماة من عساكر النار حتى وقفوا لصق سور قصبتهم فارعدت رعود النار وضج الافق من صواعقها الهاطلة بالرصاص المنهل انهلال المطر وحصر الحيد المنبعث من أفواه الأنفاض الذي يدك الجبال ويصدع الصخر.»

(7) يقول عبد الكريم كريم في كتابه "المغرب في عهد الدولة السعدية" (2400) نقلا عن " رسائل سعدية " للاستاذ عبد الله كنون : كانت القوات السعدية المحاربة المكونة من جيش " الاصباحية " (من جيوش النار) وجيش الموالي المعلوجي من عساكر النار المعروف بجيش الانكشارية وجيش الاندلس من جيوش النار « تخضع لتسلسل في الرتب العسكرية هي الباشوات والقواد والكواهن والمقدمون والباشوظات وبلكبشيات والضباشيات والضاش والاجناد.....» وقد استطاع أبو العباس المنصور ان يخص العرب بقيادة فرق الفرسان وأسند الى الأتراك قيادة الجيش البري وقيادة الاسطول السعدي الى أمير مغربي.

(8) عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصبه في أخبار ملوك الشرفا (ص. 109-112-161).
الافراني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي (ص : 118)
الناصري : الاستقصا : 165/5

(9) محمد المنوني : صناعة الاسلحة النارية بالمغرب - دعوة الحق (شتنبر 1970).

(10) وفي شهر شتنبر من سنة 1969 عثر كذلك على مدفع بمدينة وجدة يبلغ قدمه 900 سنة. ويعتقد علماء الآثار ان هذا المدفع ربما استعمله جيش زيزي بن عطية مؤسس مدينة وجدة في أواخر القرن العاشر.

(11) مؤلف مجهول : تاريخ الدولة السعدية.

(12) محمد المنوني : صناعة الاسلحة النارية بالمغرب (المرجع السابق)

(13) من باب تقليد السعديين للأتراك العثمانيين ايضا استعمالهم لبعض المصطلحات التركية العسكرية، مثال ذلك : الاودباشي اي ملازم (ومازال حي بمراكش يعرب بحي ضباشي)، بكلباشي (قبطان)، كاهية (كولونيل) (ومازالت أسرة بلكاهية موجودة بالمغرب) - شاوش (كمندار)، الباي : قائد القواد........

(14) محمد المنوني : «ملامح من تطورات المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة» دعوة الحق - اكتوبر 1977. - د. عثمان عثمان اسماعيل «تاريخ العمارة الاسلامية» ج 5 (فصل العمارة الحربية في عصر الاشراف السعديين ص. 57).

(15) من اعمال ابي مروان عبد المالك السعدي العسكرية أن الجيش المغربي ساهم بقيادته - قبل توليه الملك - في تحرير تونس من الحملة الاسبانية سنة 982 هـ الى جانب الجيش التركي الذي بعثه السلطان مراد العثماني.

(16) د. محمد حجي : الاسطول المغربي ايام العلويين - دعوة الحق، مارس 1969.
وبفضل هذا الاسطول وجهاده بالبحر بقيادة الباشا احمد بن عبد الله اضطر البرتغاليون الى الجلاء عام 1550 م عن مراكز قوية في الساحل المغربي مثل أصيلة والقصر الصغير.

(17) د. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ج 2 ص 404.

(18) عبد العزيز بنعبد الله : محاضرة حول تاريخ الفن المغربي

(19) تتميما للفائدة وتعميما لها نثبت هنا بحثا هاما لاحد المستشرقين البولانديين عن الجيش المغربي وتاريخه العسكري في عهد السعديين سبقت الاشارة إليه، نشر بمجلة هسبريس (مجلد 13) :

(Andrzej Dzcubinsky : "l'armée et la flotte de gueurre Marocaine à l'époque des sultans Sadiens" 1972) عربه ولخصه المرحوم الاستاذ محمد زنيبر في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية (عدد 1 يناير 1977). يقول الاستاذ محمد زنيبر :

....نجد بحثا مهما لأحد المستشرقين البولنديين «أندرزيج دزكوبنسكي» نشر في مجلة تاريخية تصدر بفارسوفيا بعنوان «الجيش وأسطول الحرب المغربيان في عهد سلاطين الدولة السعدية». وأعيد نشره مترجما الى الفرنسية في هذا العدد من «هسبريس» وهو تحقيق جديد في هذا الموضوع الاساسي من تاريخ المغرب ، بوجه عام، ألا وهو تاريخ المغرب العسكري. فإذا اعتبرنا أن أهم وسيلة كانت تعتمد عليها الدولة المغربية قديما سواء في سياستها الداخلية أو الخارجية هي الجيش، ادركنا في الحين فائدة مثل هذا البحث.

وقد ارتكز المؤلف في عمله على عدد من المصادر المغربية والاوروبية ومجموعات الوثائق التي نشرها دوكاستري في جمع المعلومات الضرورية لاعطائها نظرة أكثر اتساعا وتدقيقا عن الجيش والاسطول المغربيين في عهد السعديين.

وأول ملاحظة ينطلق منها المؤلف هي حالة التدهور السياسي التي عاشها المغرب تحت الوطاسيين فيما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر. فقد أخفق الوطاسيون في اقامة دولة جديره بهذا الاسم لانهم لم يستطيعوا ان يوحدوا البلاد ولا ان يدافعوا عنها بفعالية وتوفيق. فكان المغرب، في عهدهم، ضعيفا مقسما، على نفسه. ولذلك، فإن البرنامج الذي اضطلع به السعديون عند قيامهم تضمن اعادة توحيد البلاد بالاعتماد على جيش قوى بدا بتأسيسه محمد القائم عندما تصدى للحملة الجهادية على أجادير المعروفة آنذاك بإسمها البرتغالي «سانتا كروز دو كابو دوجي».

وكانت نواة هذا الجيش تتكون من عناصر بربرية وعربية معقلية استطاع محمد الشيخ، الذي كان قائدا عسكريا كبيرا، أن يعززها بالمدفعية والاسلحة النارية وأن يوحد صفوفها بعد نتيجة أخيه أحمد الاعرج. وقد ظل هذا الجيش خاضعا لتقاليد النظام المغربي القديم سواء في عهد هذا السلطان أو ولده وخلفه عبد الله الغالب أو محمد المتوكل ولم تدخل بعض التغيرات على ذلك إلا ابتداء من عهد السلطان عبد الملك وقد اقتبست تلك التغيرات عن الاتراك والاسبان. وهكذا وقع تصنيف المجموعات العسكرية حسب القوالب العثمانية واستعملت عدد من المصطلحات التركية في تسميتها مثل سباهي وباشا وسلاك وباي وبلبدروش الخ ... وازداد التقليد في عهد المنصور حيث شمل الالبسة وصنوفا أخرى من التنظيمات.

ولئن وقعت بعض الاختلافات في تقدير عدد الجنود، فإن الجيش النظامي كان يضم 30.000 من العساكر وكان للمنصور رأي خاص في تجنيد الجنود أورده الوفراني في «نزهة الحادى». فهو في وصيته لولده المأمون ينصحه بأن يعتمد على أهل سوس ودرعة ومراكش، بالدرجة الاولى، وأهل فاس بالدرجة الثانية أكثر مما يعتمد على غيرهم، ويحذره من سكان الجبال.

وقد كان هنالك استنفار عام في البادية والمدينة من أجل الجهاد لتعضيد الجيش النظامي لمحاصرة الجيوب الاجنبية، إلا أن السلاطين قلماكانوا يلجأون لهاته الوسيلة لما قد ينجم عنها من مشاكل داخلية. وكان الجيش النظامي يتكون من تشكيلات للخيالة الثقيلة وأخرى للخيالة الخفيفة. بالاضافة الى المشاة وأما الحرس السلطاني، فيتكون من عدة فيالق، كل فيلق يضم عناصر من سلالة خاصة. فهنالك فيلق البرابرة إلالن، وآخر للأتراك، وآخر للعلوج الاسبان الداخلين للإسلام وآخر للموريسكيين الاندلسيين، وآخر من حراطين درعة وآخر من زواوة.

وقد استعمل السعديون المدفعية منذ البداية وبدأوا يصنعون في مراكش بعض المدافع الصغيرة، وذلك بفضل أحد الاندلسيين المهاجرين الذي أخذ يستعمل معدن النحاس المكتشف في دمسيرة. هذا بالاضافة الى أفران التذويب الاخرى التي كانت موجودة بفاس وتارودانت ويعمل فيها عدد من العلوج والارقاء الاوروبيين. وكانت المدافع الخفيفة تحمل على ظهر البغال. وقد ارتفع السعديون بالمدفعية الى أعلى مستوى وظهر أثر ذلك في عدد من المعارك . ولنقل المدافع وحفر الخنادق، كانت هنالك طائفة خاصة تسمى إيبودران أي الجبليين بالبربرية. وكل إقليم مكلف بأن يوجه عددا منهم على نفقته.

وفيما يخص الطب العسكري، هنالك شهادات تدل على أن الجيش المغربي كان عصريا من هذه الناحية، مشيرة الى أن جيش التوكل كان يضم أكثر من ألف جراح وحجام يستعملون أكثر من ثلاثين طنجيرا كبيرا ودهونا مبنية على الورد والبيض لمعالجة الجروح. وكانت هنالك خيام مخصصة لعلاج الجرحى مع طائفة من المرضين والخدم الخصوصيين.

ثم يتعرض صاحب المقال لوصف المحلة وترتيبها عند التنقل أو الحرب فيلاحظ أنها لم تعرف تغييرا كبيرا يذكر منذ المرينيين. ولذلك فإن الوصف الذي قدمه الحسن الوزاني ظل ينطبق على الجيش السعدي ومضمنه أن مخيم السلطان أو أفراق في وسط بالمحلة. وحول أفراق تقدم خيام الرؤساء والقواد وأعضاء الأسرة المالكة وحول هاته الخيام يقوم صف متراص من خيام قواد الأقاليم أو قواد الرحى وهي مصنوعة من جلد الماعز ومرتبة بكيفية تجعلها حاجزا فعالا ضد أي هجوم. وحوالي هاته النواة المركزية تقع خيام الجند ومختلف المصالح.

وأما استراتيجية الجيش السعدي فقد وضحها المؤلف بالمصورات اعتمادا على شهادات عدد من الاروبيين والتي يستخلص منها ان السعديين كانوا يرتبون قواتهم على شكل نصف دائرة أو قوس يقوم السلطان في وسطه يحيط به الرماة وأمامه صفوف من الرماة

بالمكاحل وفي المقدمة المدفعية وعلى جناحيه الايمن والايسر الخيالة. وتلك هي الطريقة التي استعملها السعديون في معركة وادي المخازن ومكنتهم من تطويق القوات البرتغالية التي كانت مرتبة على شكل مستطيل مكثف وكأنها تتأهب للدفاع.

ثم يتعرض المؤلف للقيادة فيذكر ان الالقاب المستعملة كانت عربية حتى جاء عبد الملك فأحل محلها الالقاب التركية عند اعادة تنظيم الجيش وهكذا أصبح نائب القائد العام يدعى الكاهية بعد أن كان يسمى المزوار فيما قبل. وكان هنالك قائد المحلة وقاضي العسكر وصاحب المؤونة الخ... والملاحظ هنا ان المؤلف أخذ اسماء هاته الوظائف عن مصادر اروبية قدمتها مترجمة، بحيث لا نجد دائما أصلها العربي. وكانت رآية السلطان الكبرى بيضاء وعليها أيات قرآنية مطرزة بالذهب. كما أن المظل أصبح له دلالة خاصة منذ عبد الملك السعدي اذ يرمز الى السيادة الشيء الذي أصبح من التقاليد المغربية المرعية الى اليوم. ويظهر أن أصل ذلك منقول عن الاتراك.

ولم تكن وظائف القيادة كلها في يد المغاربة المتأصلين بل كانت هنالك عدة مسؤوليات عسكرية يشغلها مسيحيون أسلموا وهم من أصل يوناني أو اسباني أو برتغالي. كما كانت هنالك فيالق من الموريسكيين والاتراك وزواوة اعتمد عليهم السعديون كثيرا في كبح جماح العناصر الوطنية.

وأما أرزاق الجنود، فكانت تتراوح ما بين 50 و 30 دينار في كل سنة، مع العلم بأن القنطار من القمح مثلا كان يساوي آنذاك أربعة دنانير. وقد كان الجندي في الجيش المغربي يعتبر أسعد من غيره في البلاد الاخري وهذا ما جعل عددا من الاجانب يقبلون على الانخراط فيه وقد كان القيام بنفقات الجيش يكلف ضرائب على الرعية يتكفل القواد في الاقاليم بجمعها مما كان يتسبب في عدد من المظالم والتعسفات، سيما وأن القواد كانوا مكلفين بتجهيز الفيالق الاقليمية، وكانوا في آن واحد يقومون بمهام مدنية وعسكرية. ويشير المؤلف الى ان تطبيق نظام الاقطاع كان ساريا منذ عهد المرينيين وقد طبقه السعديون تطبيقا شاملا.

ويتحدث المؤلف عن القصبات التي كانت جزءا مهما ومتمما للجهاز العسكري المغربي فيتحدث عن القصبات الداخلية التي كانت فاس هي اهمها اذ كانت تتحكم في شمال المغرب وتدخل في جهاز الدفاع الذي كان يواجه به المغرب الاتراك. يضاف الى ذلك عدد من القصبات المقامة بالسواحل وأهمها اجادير وأزمور وآسفي وسلا والعرائش وآصيلا والقصر الكبير وتطوان وباديس. ويشير المؤلف، أيضا الى ان مليلية كانت مطوقة بثلاث قصبات هي جنغران وتازوطا وأمجاو. لكن أهم ملاحظاته في هذا الصدد تتعلق بالقصبات المقامة في الصحراء للدفاع عن المغرب اذ تكون سلسلة ممتدة من حدود الجزائر الى المحيط الاطلنطي وتمر من القصابى وأفا وتبسينت وتازارين وتاراجال وترناتا وبني صبيح.

وأخيرا يتعرض هذا المقال القيم لموضوع الاسطول المغربي. فقد بدأ السعديون ببناء هذا الاسطول في سنة 1549. وقبل ذلك ظل المغرب محروما من قوات بحرية جديرة بهذا الاسم منذ قرنين اي منذ عهد السلطان المريني الكبير أبي الحسن (1331-1349). فالحدث، اذن، مهم وجدير بالتسجيل. ويرجع الفضل الى محمد الشيخ السعدي في تكوين هذا الاسطول من الاساس، اذ اقام ورشين كبيرين لبناء السفن، احدهما بباديس في الريف، والاخر بسلا. وهكذا بنيت عدة من الوحدات. مما جعل محمد الشيخ يفكر في مشروع كبير يهدف الى مد يد المساعدة الى مسلمى الاندلس الذين ما زالوا مستقرين بكثرة في اسبانيا وكذلك استرجاع المراسي المغربية التي كانت في قبضة البرتغال لكن هجوم اتراك الجزائر على المغرب حول انظار محمد الشيخ عن هذا المشروع ودفعه الى التحالف مع اسبانيا. ولعل أزهى عهود الاسطول السعدي كان في مدة حكم عبد الله الغالب وعبد الملك اذ بلغ أربعين سفينة حربية من كل الاشكال. ويظهر ان أحمد المنصور الذهبي الذي اتبع سياسة المهادنة مع الاتراك والاسبان واتجه الى فتح السودان أهمل هذا الاسطول بعض الشيء. وقد تدهور أمره بعد وفاته. ولم ينتعش الا على يد أهل سلا والرباط الذين كانوا قد استقلوا عن السعديين في حالة انحلالهم.

(20) ذكر بعض المؤرخين أنه جرت قبل معركة وادي المخازن معركة "المليحة" وهي المحاولة الاولى للبرتغاليين داخل التراب المغربي بعد استيلائهم على المدن الساحلية. وكانت هذه المحاولة تستهدف القصر الكبير والسهل المحيط بها ولكنها باءت بالفشل سنة 1489 م، (ابو شارب : وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بوقيعة "المليحة" مجلة كلية الآداب بفاس 79-1980).

وقصة ذلك أنه لما قام الملك البرتغالي "جان الأول" في آخر عهد بني مرين بحملة بحرية سنة 1415م احتل بها مدينة سبتة التي كانت تحت قيادة صالح بن صالح. كما توجه خلفه لاحتلال مدينة طنجة سنة 1437م. ولكن القوات المغربية (بقيادة القائد أبي زكرياء وبمساعدة امير مراكش وأمير بادس) استطاعت ان تهزم هذه الحملة وتطوق الجيش البرتغالي وتأسر عددا كبيرا من البرتغاليين منهم الامير "برنادو" وتجبره على التفاوض بشأن الهدنة والصلح. واشترط المرينيون لذلك أن ينسحب البرتغاليون من سبتة مقابل أن يطلقوا سراح الامير البرتغالي "دون فرناندو" الذي بقي رهينة لديهم حتى توفي. وأخذ البرتغاليون تعهدا بذلك، ولكنهم لم يفوا بعهدهم سنة 1443م. (د. عباس الجراري : البرتغال، بصمات تاريخ مشترك - مجلة المناهل - عدد 12، س : 5، ص : 63).

ثم أعاد البرتغاليون الكرة على طنجة سنة 1464م بقيادة الفونسو الخامس، ولكنه لقي نفس المصير. وفي أثناء غياب قائد أصيلة محمد بن الوزير أبي زكري انقض الفونسو الخامس على أصيلا وطنجة بأسطول ضخم، ودارت معارك طاحنة بينه وبين المجاهدين، انتهت بأسر آلاف من الاسرى وعلى رأسهم أسرة محمد الشيخ وولده محمد الذي حمل فيما بعد لقب "البرتغالي" اعتبارا للمدة التي قضاها أسيرا بالبرتغال. (الكراسي : عروسة المسائل ص 13). لذا فإن أبا مروان عبد الملك التجموعتي لم يكن على حق عندما قال عن بني وطاس شعرا وهم مضطرون لترك طنجة :

سحقا لقوم أسلموك وهل * أسلم قبل مسلم زوجه ؟

ولما شعر البرتغاليون بأن المغاربة بدأوا يخططون في "الداخل" لاسترجاع مدينتي طنجة وأصيلا بدأوا في تشييد قلعة حصينة عسكرية لتهديد العرائش والقصر الكبير قرب مصب وادي المخازن على نهر لكوس (قرب أطلال ليكسوس)، سماها ليون الافريقي

(ابن الوزان) "الجزيرة" وسماها مؤرخ الوطاسيين محمد الكراسي "الجزيرة المليحة" أي الجميلة أو البلد. :

أقاموا إذ ذاك هناك بلدا * وأسكنوا فيه الطغاة والعدا.

وهي في الحقيقة شبه جزيرة. (1481-1495م). فقام المغاربة بقطع الوادي على البرتغاليين المغيرين وجهز المولى محمد الشيخ الوطاسي جيشا عظيما (4000 فارس) وانقض على القلعة ولكنهم قوبلوا برد عنيف قوامه أسلحة فتاكة. فشرع المغاربة ببناء سد في الوادي بالاحجار والاعشاب حتى أصبح الوادي غير صالح للملاحة وبذلك انقطعت الامدادات والمواصلات عن البرتغاليين وأصبحوا مطوقين وشرع المجاهدون في ضربهم بالمجانيق. فاستنجد البرتغاليون بأسطول ضخم ولكن قرروا في الأخير التفاوض مع الوطاسيين تجنبا لكل كارثة أخرى. وتم جلاء البرتغاليين عن الحصن وحصنه محمد الشيخ حتى لا يبقى طعمة للمغيرين وبني به مسجدا. وقد سمى د. عبد الهادي التازي هذه المعركة بمعركة وادي المخازن الصغرى (المناهل-9 معركة وادي المخازن الصغرى عدد : 33، ص 126). وهكذا تم حصار قام به الوطاسيون ورجال قبائل بلاد الهبط ضد البرتغاليين بجدوع الشجر وسلال القصب وانتهى بمعاهدة سلام بين المغرب والبرتغال سنة 1489م أي قبل سقوط غرناطة بأربع سنوات.

(21) لقد سبق لابي عبد الله القائم بأمر الله السعدي أن حارب البرتغاليين المغيرين على شواطىء البلاد. وقد واصل الغالب بأمر الله الحرب ضد البرتغاليين الذين ظلوا متحصنين بالجديدة. «وبعد حصار لهم دام 64 يوما لم يقدر لهم فتحها وقد أظهر الغزاة المسلمون في هذا الحصار من أنواع البطولة والشجاعة على البرتغاليين الذين كانوا متحصنين وراء الاسوار المنيعة ما سجله لهم بمداد الفخر مؤرخو البرتغال أنفسهم.»

وذكر المؤرخون أن سبب هذه الحرب العظمى هو أن محمد بن عبد الله السعدي لما دخل طنجة قصد سبستيان وعقد معه على أن يترك له جميع الشواطيء المغربية شريطة أن يساعده على احتلال باقي التراب المغربي. ولكن عبد المالك الموجود بمراكش كتب الى أخيه أحمد الموجود بفاس أن يخرج بالجيوش الى احواز فاس وطلب من سبستيان أن يرحل الى وادي المخازن بعدما رحل هو اليه 16 رحلة من مراكش. فنزل سبستيان بمقربة من قصر كتامة، وكان النزال...

هذا وقد ذكرت بعض المصادر البرتغالية أن المقاومة المغربية للاحتلال البرتغالي عرفت تطورا خطيرا في النصف الاول من القرن 16. فقد تزايدت إمكاناتها وتعززت أسلحتها النارية بعدما كان سلاحها يتكون من السيف والخنجر والرمح. وكانت قيادة المقاومة في يد شيخ القرية كما كان الامر في محاربة البرتغال قرب القصر الكبير وكذلك بيد المقدم أو القائد، وكانت المقاومة الشعبية السعدية ترتبط بفصول السنة وكانت نوعية الاصطدامات مع البرتغال تنحصر في المجابهة الفردية والجماعية واستعمال الحيل الحربية والمضايقة وغيرها.

(للمزيد من المعلومات عن حركة المقاومة السعدية للبرتغال في الشواطيء المغربية الجنوبية (آسفي، زمور، الجديدة، أكادير) والشمالية (العرائش، أصيلا، القصر، طنجة، سبتة)، راجع مقال المقاومة الشعبية المغربية للتدخل الاجنبي للسيد محمد مزين - مجلة المناهل، عدد : 27) . ومقال "التسابق البرتغالي الاسباني على السواحل المغربية" لعبد العزيز السعود (مجلة البحث العلمي عدد 42- 1995).

(22) كانت هذه المراكز مكان تجمع القراصنة الذين يغيرون على الشواطىء الاسبانية والبرتغالية. فكان هذا هو سبب هجوم القشتاليين على تطوان والاسبان على مليلية وبادس والبرتغال على آنفا وسبتة والعرائش والقصر الكبير وطنجة وأصيلا الخ...

أما سبب احتلال البرتغاليين لمواني ناحية دكالة يرجع الى كون البرتغاليين يريدون حماية ساحة سفنهم وموانئهم من هجومات الاساطيل الاسلامية والمغربية وضمان طريقهم البحري التجاري الى سواحل غرب افريقيا اولا ثم الى الهند والبرازيل، في بداية القرن 16 الميلادي.

رقد وجد البرتغاليون عنداحتلالهم للشواطىء المغربية الأطلسية مقاومة عنيفة سواء من الهنتاتيين والوطاسيين والسعديين او من جانب الشرفاء والعلماء المجاهدين (انظر تفاصيل ذلك في كتاب أحمد بوشرب : «دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء آسفي وأزمور».

وقد أتى السيد محمد بنعزوز حكيم في مقدمة تاريخية حول الحملات الصليبية البرتغالية المنظمة ضد المغرب (بكتاب : مساهمة رباط تازورت في معركة وادي المخازن) بعرض مسهب عن هذه الحملات التي بلغ عددها سبع عشرة حملة ملخصها :

- في الحملة الأولى : احتل البرتغاليون مدينة سبتة سنة 1415م (حاصرها المغاربة ايام الاحتلال البرتغالي في ثلاث مرات وهاجموها احدى وعشرين مرة واسترجعها الاسبان سنة 1640م).

- في الحملة الثانية : انهزم البرتغاليون في احتلالهم لمدينة طنجة برا وبحرا في معركة السواني (1437م). وتعهد لهم قائد الجيش المغربي صالح بن صالح أن يخلي سبيلهم إذا تم جلاءهم عن سبتة، وحجز عنده الامير فيرناندو الى أن يتم تحرير المدينة ولكن الامير البرتغالي توفي بفاس سنة 1443م. قبل ان تسلم المدينة.

- في الحملة الثالثة : احتل البرتغاليون مدينة القصر الصغير (1458م). (استردها المغاربة سنة 1550).
- في الحملة الرابعة : لم يتم الاستيلاء على مدينة طنجة (1463م).
- في الحملة الخامسة : فشل الفونصو الخامس في الاستلاء على مدينتي أصيلا وطنجة 1464.
- في الحملة السادسة : تم الاستيلاء على آنفا (1468م).
- في الحملة السابعة : سقطت مدينة أصيلا بيد البرتغال (1471)م.
- في الحملة الثامنة : فشل الفونصو الخامس في الاستيلاء على ترغة بناحية غمارة.
- في الحملة التاسعة : نظم الملك خوان الثاني حملة كانت تستهدف احتلال المليحة داخل نهر لوكوس ودام الاحتلال سبعة أشهر فقط (استرد المغاربة جزيرة لوكوس سنة (1489م)، (والصويرة القديمة سنة 1510م)
- في الحملة العاشرة : فشل خوان الثاني في القضاء على القرصنة التي كانت تقوم بها سفن ترغة ضد الاحتلال البرتغالي.

- في الحملة الحادية عشر : كان هدفها احتلال آسفي للوصول الى مراكش (1502م).
- في الحملة الثانية والثالثة عشرة : تم لما نويل الاول الاستيلاء على آسفي ومنها حاول الاستيلاء على أزمور (1508م).
- في الحملة الرابعة عشرة : تم احتلال مدينة أزمور (1513م) (استردها المغاربة سنة (1541م)،
- في الحملة الخامسة عشرة : احتل البرتغال حصن البريجة (1515م)
- في الحملة السادسة عشرة : احتل البرتغال المعمورة (1515م) واستردها المغاربة في نفس السنة.
- في الحملة السابع عشرة : حاول مانويل الاول الاستيلاء مرة أخرى على ترغة 1517م.

وهكذا في سنة 1541م، لم يستطع البرتغاليون البقاء إلا في سبتة والقصر الصغير وأصيلا، وطنجة وفونتي وآسفي وأزمور ومازيغن (البريجة) وتمكن السعديون من استرداد فونتي وآزمور وآسفي في نفس السنة. وجلى خوان الثالث عن القصر الصغير وأصيلا سنة 1550م وبقي في أيدي البرتغاليين سبتة وطنجة ومازيغن وثم الجلاء عنها بعد معركة وادي المخازن 1578م والجدير بالذكر في هذا الصدد أن د. محمد بن عزوز حكيم سطر قائمة لقواد الجيش المغاربة في معركة وادي المخازن بمجلة "تطوان" العدد الاول وما بعده سواء منهم الذين شاركوا في المعركة بجانب الملك عبد الملك السعدي او بجانب الملك المخلوع محمد المتوكل او الذين شاركوا في المعارك التي سبقت معركة وادي المخازن.

وقد ذكر السيد عبد الرحيم الخياري في بحث له (نشره بجريدة العلم : 5-8-91) (و9-8-91) «مع البرتغال من احتلال سبتة الى معركة وادي المخازن (1415-1578) » ان الحملات البرتغالية على المغرب استغرقت 163 سنة عرف المغرب خلالها 18 هجوما على ترابه وسقوط 10 مدن شاطئية في يد البرتغال. وأصدرت حاضرة الفاتكان، في هذا الصدد 67 صكا كلها تتعلق بحملات البرتغال على المغرب ومما جاء في بحثه (بكل تصرف) :

نقلت مملكة البرتغال صراعها مع المسلمين مبكرا من الاندلس الى شمال افريقيا. وكانت الحملة الاولى موجهة الى مدينة سبتة لموقعها الاستراتيجي بقيادة الفونسو الأول (1180). وقد تصدى للحملة التالية (1181) الاسطول المغربي المرابط بسبتة في عرض مياه البوغاز بقيادة عبد الله بن جامع حين تمكن من قهر الاسطول الغازي. مما سهل على يعقوب المنصور الموحدي عبور المضيق والالتقاء بالنصارى في معركة الأرك (1195م) وانكسرت بذلك شوكة الفونسو الثامن ملك قشالة. غير ان انهزام الخليفة الموحدي في معركة العقاب (1212م) غير الاوضاع في الغرب الاسلامي ولم يعد المغرب ذلك البلد المهاب الذي يدعم الوجود الاسلامي بالاندلس. فأمر البابا كريكو ريو التاسع ملك البرتغال شاشو الثالث بتنظيم حملة صليبية ضد مسلمي الاندلس وحلفائهم المغاربة. فقام ملك البرتغال بشن هجوم على سبتة (1234م) وصادفت هذه الاحداث تخلي المغرب عن جبل طارق وتسليمه لسلطان غرناطة وانتصار البرتغال على قشتالة واستكمال وحدتها الترابية مما ساعدها على تنظيم أكبر حملة ضد المغرب والاستيلاء على سبتة سنة 1415م. وقد شجعها احتلال سبتة على الهجوم على مدينة طنجة سنة (1437م). وقد تصدى القائد صالح بن صالح العزيفي من قبل السلطان عبد الحق المريني حيث حاصر الجيوش البرتغالية الى أن اضطرت الى الاستسلام. وقد اشترط عليها لإخلاء سبيلها أن تعيد سبتة الى سلطان المغرب. وقد نظم ألفونسو الخامس هجوما ثانيا على طنجة سنة (1443م) وكان يقود بنفسه أسطوله الذي بلغ 40 سفينة إلا أنه هزم في معركته البحرية وترك كثيرا من القتلى والأسرى. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت طنجة تعرف "بمقبرة البرتغال" فالتجأت البرتغال بعد هذه الهزائم الى الاستيلاء على أصيلة (1417م)ومنها واصل الفونسو الزحف نحو مدينة طنجة مرة أخري برا وبحرا فسقطت طنجة في أيدي البرتغال (1417م) ثم القصر الصغير (بعد الاستيلاء عليه عن طريق البحر) سنة (1488م).

ومنذ احتلال سبتة أخذ أهل تطوان على عاتقهم مهمة الرباط على مدينة سبتة المحتلة مما دفع بملوك البرتغال أن يخربوا تطوان معقل الجهاد. ولكن قام رباط ثاني بإمارة شفشاون أسسه مولاي علي بن راشد العلمي. ولما أعيد بناء مدينة تطوان حدث تنسيق في الحملات الجهادية وأسس ميناء ترغة بناحية غمارة لتنطلق منه السفن الحربية المغربية لتضييق الخناق على البرتغاليين بسبتة ولتوجيه الهجمات البحرية على القصر الصغير وطنجة وأصيلا مما أدى بالبرتغال إلى تخريب هذا الثغر الجهادي (1502م).

وفي السنة الأخيرة من القرن الخامس الميلادي تطلع البرتغاليون الى احتلال آسفي للزحف منها على مراكش عاصمة المغرب وآزمور (1513م).

(23) أما الجيش البرتغالي فكان مؤلفا من :
Arquabusiers 1000 spahis, 1000 Asrquabusiers a'cheval (lanciers), 3000 Grenadins et 300 (ينتمون الى جنسيات المانية وإيطالية وإسبانية)

(24) "قيل أن كلمة المخازن مأخوذة من خزن اللحم اذا تغير لونه وانتن". ومعلوم أن جثت الاعداء ظلت هناك في الوادي او السهل مدة لم تدفن فانتنت وخزن لحمها (عبد الله العمراني : مقال عن معركة القصر الكبير). وتسمى أيضا هذه المعركة بمعركة الملوك الثلاثة لان ثلاثة ملوك هلكوا فيها وهم : ابومروان عبد المالك الذي توفي على أثر مرض ألم به بالمعركة (ولكن حاجبه أخفى موته) وولد أخيه محمد بن عبد الله الذي غرق في الوادي مع البرتغاليين ولما نزع منه سلخوه، والطاغية سيبستيان البرتغالي. وبعد موت هؤلاء الملوك بويع احمد المنصور السعدي ملكا على المغرب. ويطلق عليها أيضا معركة القصر الكبير لوقوعها قرب هذا المدنية. وكان يطلق عليها معاصروها اسم معركة "تامدة" وهو تعريف للفظ تمد (جمع تماد) وذلك لان المكان المعركة كان يتحول الى شبه مستنقع للماء في فصل الشتاء.

(25) أعطت معركة وادي المخازن سمعت دولية للمغرب «جعلت ساسة أوروبا يفسحون له مكانا في خططهم الديبلوماسية». كما أن شهرة

الجيش المغربي أو حت الى الشاعر الانجليزي الكبير وليم شكسبير بأن يجعل بطل احدى رواياته ضابطا مغربيا. وهذا البطل المغربي هو عطيل الذي تحمل الرواية اسمه. واذا أردنا أن نعرف مدى ماكان يتمتع به الجندي المغربي من التقدير في اوروبا في ذلك الحين كان علينا أن ندرس شخصية عطيل في هذه الوراية فإنها تعكس الصورة التي كانت ترسم في أذهان الاوروبيين عن الضابط المغربي بعد معركة وادي المخازن التي كان لها الفضل الاكبر في إيحاء الرواية الى أكبر شاعر عرفته الانسانية على الاطلاق. وقد حدثت المعركة في حياته وحدثه عنها الى جانب انبائها المستفيضة أكثر من بحار انجليزي زار شواطيء المغرب. وعطيل شخصية مستقيمة عميقة الشعور بالواجب شديدة البأس عميقة الصبر طافحة بالانسانية، وهكذا يصور لنا شكسبير الجندي المغربي في أروع صورة يمكن ان تعطى عن بطل.(عبد المجيد بن جلون : جيش المغرب - مجلة القوات المسلحة الملكية عدد 49).

وقد تركت هذه المعركة بصماتها على الأدب المغربي شعرا ونثرا وعلى فن التاريخ والتدوين أيضا. انظر في هذا الصدد بعض البحوث والمؤلفات والمجلات والقصائد الشعرية التي نشرت بالمناسبة مثل :

- " ندوة معركة وادي المخازن بالعرائش (غشت 1983) - وزارة الثقافة.
- معركة وادي المخازن في سياقها التاريخي وملامحها في الفكر والأدب (غشت 1984) - سلسلة ندوات وزارة الشؤون الثقافية.
- معركة وادي المخازن وملامحها في الأدب المغربي للدكتور عباس الجراري - الطبعة الثانية 1988م.
- معركة الوادي للاستاذ الشاعر عبد المجيد بنجلون (1978م).
- وادي المخازن - مسرحية شعرية - للاستاذ حسن محمد الطريبق (1974م).
- المعركة الكبرى - مسرحية شعرية في ثلاثة فصول للاستاذ علي الصقلي (1982).
- العدد الرابع من مجلة كلية الشريعة بفاس - عدد خاص عن معركة وادي المخازن - نونبر 1978 - ويشتمل على قصيدة المرحوم الاستاذ علال الفاسي : ذكرى موقعة وادي المخازن اوغزوة الملوك الثلاثة.
- معركة الملوك الثلاثة (La Batailles des trois Rois) للاستاذ يونس نكروف - دار : "ألبان مشيل " (1988م).
- مجلة الإيمان - عدد خاصة بمناسبة مرور أربعة قرون على واقعة وادي المخازن - العدد 77 - يوليوز 1978.
- ومجلة المناهل (عدد 33) به مثلا قصيدة "المجد اليتيم" لعلي الصقلي.
- معركة وادي المخازن ودور رباط الزاوية الريسونية فيها للاستاذ علي الريسوني - تطوان 1982م.
- مساهمة رباط تازورت في معركة وادي المخازن للاستاذ محمد ابن عزوز حكيم : منشورات جريدة الوحدة الكبرى - تطوان 1989م.
- متن شريط : " معركة الملوك الثلاثة" من إخراج سهيل بن بركة (1990).

وكتب السيد احمد مدنية - نقلا عن مصادر مختلفة - وصفا آخر لهذه المعركة المصيرية يقول فيه : وهناك في الضفة الاخرى جيش مغربي في شكل هلال يتحفز للدفاع مؤلفا من 18.000 من مشاة القبائل والاندلس والعلوج و63.000 فارس و30 مدفعا و15.000 من جند الروم غير النظاميين يقودهم أحمد المنصور وعلي ابن موسى والحسين العلج الجنوبي وابى علي العتوري وسعيد الدكالي وابراهيم السفياني وحازم المقدوني ومحمد بن علي ريوسون. وتوسط الجيوش عبد المالك محمولا على محفة يحيط به 100 من الأتراك و100 من العلوج بقيادة مصطفى رضوان ومحمد ابي طيبة وهو علج برتغالي. ورفعت الاعلام في الامام وحمل الفقهاء المصاحف في الاطراف يتلون القرآن ويقي في المؤخرة رجال عهد اليهم بالتطبيل والتزمير. وقبل أن تحين ساعة المعركة أشار سبستيان إلى القسيس فرسم الصليب بيده وأزاح الفرسان أقنعتهم وركع المشاة في صمت عميق تم كان الصدام الاول فأفرغ المغربة ما في جعاب المدافع في وجه العدو الذي فزع لها. وكان الضحية الاولى الحرس الملكي فتبعهم الفرسان بإطلاق الرصاص من بنادقهم تم اشتبك الفريقان بالسلاح الابيض دون استغلال المدافع وسلاح الفروسية استغلالا مطابقا للنظام العسكري. وفي عفوان المعركة امتطى عبد الملك صهوة جواده يلهب الحماس في نفوس المقاتلين حتى ثقل عليه المرض وانحنى رأسه على فرسه فاقد الروح وأصبعه على شفتيه كان يوصي بعدم إفشاء سر موته أما سبستيان فقد قاوم حتى سقط ملطخا بالدماء، وانتشر الذعر في صفوف جيشه بعد قطع خط الرجعة ووقوع انفجارات أهوت بالجسر على وادي المخازن. وفي الساعة الرابعة سقط ثلاثة ملوك... (احمد المدنية : حروب البرتغاليين بالمغرب - جريدة العلم - غشت 1977).

وتعميما للفائدة يجب مراجعة كتاب مهم عن معركة وادي المخازن قام بتعريبه كل من "د. احمد بن عبود والاستاذة خديجة حركات والاستاذ احمد عمالك (طبعة النجاح الجديدة البيضاء 1991).

"La Bataille de l'oued Makhazine, dite bataille des Trois Rois (4 Août 1578) de Pierre Berthier - Paris 1985

ويصف Michel Montaigne تكتيك الجيش السعدي في هذه المعركة في كتابه "Les Essais" بقوله :

"Il (le roi saadien) dispose son armée en rond, assiegeant de toutes parts le camps des Portugais ; lequel rond, venant à sa Comber et les embarrassa non seulement au conflit qui fut très âpre par la valeur de ce jeune roi assaillant vu qu'ils avaient à faire face de tous les côtés mais aussi les empecha à la fuite après leur deroute et trouvent toutes les issues saisies et closes furent contraintes de se rejeter à eux-mêmes et à s'amonceler les uns sur les autres, fournissant aux vainqurs une très meurtière victoire trés entière.»

ويحلل معلق صحفي هذه المعركة بقوله : Les Grands faits qui ont marqué et suivi la bataille de l'oued el Makhazine :

Le Portugal regnait sur un immense empire Bresil, Inde, Afrique etc... Il n'y avait guère qu'au Maroc que

l'imperialisme portugais se heurtait à une vigoureuse resistance. Installés dès 1415 à Sebta les Portugais s'emparaient de Ksar es Seghir en 1458 puis Tanger et Asilah en 1471. Maitres de la rive meridionale du Detroit ils coupaient ainsi les relations les plus directs entre les Maroc et le royaume de Grenade, qu'en 1492 disparaissait sous les assauts d'Isabelle la catholique, et s'installaient à Agadir en 1505 à Mogador en 1506 à Safi en 1508 à Azemmour en 1513 et enfin à Mazagan en 1514. Les Espagnols de leur coté abandonnant la côte atlantique aux potugais s'installaient sur la cote du Rif occupant les ilots du Badis et de Nekor. Autre menace pour le Maroc : les Tures solidement installés en Algérie avaient tenté de l'envahir mais ils avaient été battus à la bataille de l'oued leben en 1558.

Successeurs de la dynastie merinide les wattassides quand ils etaient sufisamment forts is ont repoussé les Portugais et les Espagnols des côtés marocains. (1471) Les saadiens adopterent la même politique et en 1578 les Portugais ne conservaient plus que Mazagen, Tanger et Sebta.

D'on Sebastien jeune roi portugais nourrisait le projet de s'emparer du Maroc. L'occasion qui cherchait lui fut fournie par My Mohamed qui avait été detroné par Moulay ABdelamalek fils de My hamed Cheikh. My Mohammed chercha alors appui auprès de Don Sebastien.

Le jeune roi Portugais debarque d'une flotte de 1300unités à Tanger ou My Mohammed l'attendit avec 900 hommes à sa Solde.

My Abdelmalek qui résidait à Marrakech tenta de raisonner le jeune roi mais en vain. Il ressemblait alors et demandait à son frère Moulay Ahmed, vice roi resident à Fez, de venir le rejoindre dans le Rharb avec toutes les troupes disponibles.

Le roi du portugal donna l'ordre à son armée d'aller de l'avant à la rencontre de l'armée marocaine. Laissant Larache sur sa droite, elle remonta donc la rive droite du loukkos en direction de Kser et Kbir où l'attendait Abdelmalek. Le dimanche 3 Aôut 1578 l'armée portugaise traversait l'Oued El Makkazine et se rangeait en ordre de bataille dans la plaine bordée à droite par le Loukkos . Elle comprenait 12.000 hommes et de nombreux mercenaires de toutes origines. L'Armée marocaine était à peu-près aussi forte mais surtout très mobile avec 70.000 cavaliers, 30.000 fantassins, 12000 escopeltiers et 40 pièces d'artillerie. Dès que Abdelmalek (souffrant) se rend compte de la position de l'Armée ennemie envoie un "commandó" derrière les Portugais couper le pont sur l'oued Makhazine, c'est son frère My Ahmed qui dirigea cette audacieuse opération qui est couronnée de succés.

Le Matin du 4 Aôut, l'Armée portugaise forme un carré massif au milieu de la plaine. Tandis que les canons marocains placés au centre ouvrent le feu et creusent des breches dans la masse de l'adversaire. Un élément de cavalerie portugaise fort de 5000 hommes attaque en bordure du lukkos et pénétre dans le dispositif marocain. Abdelmalek lance la contre- attaque. Les cavaliers portugais submergés par 15000 hommes sont rejetés vers leur point de départ et ils sèment le désordre dans leurs propres rangs. Abdelmalek meurt maglré les soins qui lui ont été prodigués. La nouvelle de sa mort est soigneusement cachée.

Sur le Terrain, les cavaliers marocains se sont lancés dans la Brèche ouverte sur la droite ennemie. L'armée portugaise est encerclée. Son artillerie tombe entre les mains des marocains. My Mohamed tente de s'en fuir mais se noie dans l'Oued Makhazine, son corps retrouvé sera "écorché". Le carnage est effroyable. Don Sebastien est tombé en combattant dans la melée, My Ahmed est proclamé roi avec le surnom Al Mansour ; il deviendra plus tard Ad Dahbi et régnera sur un empire s'étendant jusqu'au Niger.

Le Portugal se trouva privé de la fleur de son armée. Philippe II réunissait le Portugal à l'Espagne - Cette union devait durer jusqu'à 1640 - My Abdelmalek bon capitaine en sauvant le Maroc a sauvé aussi l'Islam. Le Maroc était devenu une troisième puissance méditerranéenne avec l'Espagne et l'Empire Ottoman.

(D'après une étude de Moulay Ahmed el Alaoui intitulée "Moulay Abdelmalek en sauvant le Maroc a sauvé aussi l'Islam" Maroc - Magasine - du Dimanche 25 Aôut 1974)

(26) قيل أن الاتراك شاركوا أيضا في هذه المعركة وبالمقابل شارك المغاربة في معركة العثمانيين (معركة حلق الوادي) ضد الغزو الإيبيري.
- وهناك وثيقة عن وقعة وادي المخازن لمراسل صحفي انجليزي عربها المرحوم محمد بن تاويت التطواني (مخطوطة)

وبعد هذا وذاك نتساءل مع عبد الرحمان المودن من هو القائد الحقيقي لمعركة وادي المخازن. فالمعروف في كتب التاريخ وبما سبق تحليله

أن عبد المالك السعدي هو المخطط العسكري لمعركة وادي المخازن وقائدها الفعلي في وسط الميدان وقد أصابه مرض أودى بحياته خلال معركة وادي المخازن، ولما أحس بمرضه الخطير كلف خليفته أحمد السعدي على رأس 4000 من الخيالة مسلحين بالفؤوس لتحطيم قنطرة الوادي حتى يقطعوا خط الرجعة للجيوش البرتغالية، ولما ادركت الوفاة عبد المالك أخفى حاجبه نبأ وفاته وانتهت المعركة بانتصار الجيش السعدي العتيق. فأعلن الحاجب آنداك عن وفاة عبد المالك وبايع قادة الجيوش السعدية أحمد الذي لقب بالمنصور. ولكن الرسالة الجوابية من مراد الثالث العثماني الى احمد المنصور السعدي التي تعود الى سنة 1579م وتوجد ضمن مخطوطات الأرشيف التركي باستانبول رسالة تفصح عما كتب به المنصور الى مراد الثالث مباشرة إثر وقعة وادي المخازن، مقدما نفسه في هذه الرسالة كصاحب الدور المركزي في التخطيط والاشراف على المعركة ومقصيا أخاه عبد المالك في دور هامشي. هل احمد المنصور هو القائد الحقيقي للمعركة ام هو أخوه عبد المالك ؟ أم أن المنصور أراد برسالته هذه للعثمانيين أن يبرز دور عظمته وقوة جيوشه ليحسب لها العثمانيون حسابها ويمارس بذلك سياسة الاستقلال التام اتجاههم ؟

(انظر مقال عبد الرحمان المودن بمجلة هسبريس تمودا (Vol XXIV Fasc. 2-1991) الذي يحمل عنوان :

" Qui a dirigé la bataille de wad-al - Makhazin?" (Présentation d'un document ottomano - Saadi inedit).

(27) يعوز بعض المؤرخين ان انتصار السعديين في هذه المعركة الفاصلة يرجع الى أن عبد المالك السعدي قد خطط تخطيطا رائعا لها ذلك انه : 1) وكل أمر الجيش الى قواد محنكين مثل القائد على القرى والقائد الحسين الجنوي والقائد محمد ابو طيبة والقائد علي بن موسى والقائد احمد بن موسى (عامل العرائش) واحمد المنصور شقيقه الذي كان خليفة له بفاس- 2) كتب رسالتين الى ملك البرتغال سبستيان يتهمه في الاولى بالجبن اذا لم يبق صامدا بالشواطيء المغربية ويجعله يغتر في الثانية حيث عايره بأنه لم يجرأ على التوغل داخل التراب المغربي. وهذه اللعبة العسكرية انما هو من خدع الحرب فقد اغتر الملك البرتغالي بجيوشه وقوتها وتقدم الى وادي المخازن 3) أرسل أخاه المنصور في 4000 جندي ليلة المعركة ليهدم قنطرة الوادي ليقطع بذلك خط الرجعة للجيش البرتغالي وحتى لا يتوصل بالامدادات العسكرية. (عبد السلام البكاري : معركة وادي المخازن - العلم - 6 غشت 1977)

- وذكر محمد خليل بوخريص في كتابه "وثيقة المطالبة بالاستقلال" (ص 85-86) أن معركة وادي المخازن آخر فصل من فصول الحملات الصليبية على المغرب المسلم كسابقتها :

1- الحملة الأولى التي انطلقت عبر وادي اللكوس نحو الداخل وانتهت في جزيرة "كراسيوزا" أو المليحة في 5 غشت 1489 م.
2- والحملة الثانية حصلت في أكتوبر سنة 1514 م حيث انطلقت حملة برتغالية صليبية من آزمور وآسفي بمحاذة نهر "تانسيفت" وهي في طريقها إلى مراكش في حين تم القضاء عليها.
3- الحملة الثالثة بدأت انطلاقا من سبو في يونيه سنة 1515 م و تم القضاء عليها كذلك.
4- الحملة الرابعة هي معركة وادي المخازن الرمز الخالد،

ولابأس من الرجوع إلى نصين جديدين حول هذه المعركة ظهرا في كتاب : "التواريخ" (أو تاريخ فاس لابن دنان الغرناطي الفاسي) وفي كتاب تاريخ البرتغال المنشور سنة 1587 (أي بعد 9 سنوات من وقوع المعركة. (انظر د. عبد العزيز شهبر : مجموعة البحث حول بلاد الهبط)

(28) قيل أن الانجليز استنجدوا بجيش المنصور لغزور الهند.

(29) للمغرب مع الاتراك قصة طويلة : ذلك لما عزم ابو عبد الله محمد الشيخ السعدي على استرجاع تلمسان من يد الاتراك فشل في حروبه ضدهم، وحاول الاتراك الهجوم على المغرب بقيادة حسن بن خير الدين باشا ولكن الغالب بالله السعدي صدهم عن البلاد في وادي اللبن بناحية فاس وانسحب الاتراك منهزمين الى المغرب الاوسط. وكان المغرب بقيادة عبد المالك السعدي يتوقع مساعدة الاتراك في حروبه ضد البرتغال كما سبق للملك السعدي أن وقف بجانبهم في معركة "حلق الوادي" التي حررت تونس من الاحتلال الاسباني. وفي الوقت الذي بدأت تتجلى أطماعهم زاروا إقليم توات واكتشفوا تمسك توات بمغربيتها ومدى قوة السيادة السعدية عليها، حيث قام السعديون بعد قضائهم على البرتغاليين بإرسال فيالق مجهزة بالمدافع بقيادة القائدين حمو بن بركة وأحمد بن حداد الى توات للسهر على سلامة الصحراء الشرقية (1604)م. وفي العهد العلوي وبعد أن أسس سيدي محمد بن عبد الله ميناء الصويرة قام الاتراك بهجوم على المقاطعات الشرقية من البلاد بقيادة باي مسكرة (1710م) ولكن بدون اي فائدة تذكر. (عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية للاعلام البرشية والحضارية نقلا عن Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale)

(30) السودان قديما هو مالي والنيجر الحاليين وجزء من السنغال.

(31) قبل أن يتجه الجيش الى السودان قام باستعراض امام المنصور بوادي تانسيفت في ناحية مراكش. وقد ربط في طريقه الى هذه البلاد السمراء بتامدولت التي مازالت أطلالها بادية الى الآن.

(32) أورد الكونت دوكاستري في وثائقه رواية مفصلة لحصار المعمورة اختصرها السيد محمد حجي في كتابه : "الزاوية الدلائية" ص 160 و 161.

(33) ابراهيم حركات : المقاومة البحرية في ق 11 هـ - المصدر السابق.

(34) يتكون هؤلاء من مغاربة وأندلسيين (موريسكيين) نازحين من الاندلس أسسوا ما أطلق عليها "جمهورية سلا أو جمهورية ابي رقراق" بعدما أعلنوا استقلالهم عن حكم مولاي الزين السعدي الموجود بمراكش. ولم يقض علي شوكتهم الا مؤسس الدولة العلوية المولى رشيد سنة 1666م بعدما شرع في توحيد "دويلات المغرب" التي خلقها نزاع الامراء السعديين على حكم المغرب. وقد اعتبرهم بعض المؤرخين مجاهدين وليسوا بقراصنة لان بفضلهم انتقل الجهاد من البر الى البحر ردا على اعتداءات القوى المعادية للمغرب

والمغاربة انتقاما منهم على مساعدتهم للأندلسيين.

(35) اشتهرت سلا بصناعة السفن وبأسطولها البحري. وترجع هذه الصناعة الى عبد المومن الموحدي الذي أسس دارا للصناعة البحرية وإلى أبو يوسف يعقوب المريني الذي بنى بها دار الصناعة بباب المريسة. لكن القرصنة البحرية لم تعرف الا في عهد بني مرين. ثم تطورت في عهد العياشي وأصبح للسلاويين أسطول ضخم للجهاد وعمل فيه عدد كبير من الموريسكيين - كما سبق القول - وأطلق عليه الاوروبيون لفظ قراصنة سلا : (Les Corsaires de Salé)(عبد العزيز بن عبد الله : البحرية المغربية والقرصنة - مجلة تطوان - 3-14 .(1958)

وعن القراصنة انظر كتاب : Les Corsaires de Salé de Roger Coindreau (Paris 1948). عربه محمد حمود ، ودراسة عنه في مجلة البحث العلمي عدد 36 و 37 و 38 و "Histoire de la Berberie et ses Corsaires" de Dan (P) (Paris 1937)

- «والمغرب وقراصنته المغاربة في ق 17» لطارق العسكري وعبد الهادي التازي - مجلة البحث العلمي (29-30)-1979 وهو ترجمة لكتاب :

"Fitna, Corsaire and Diplomacy" de Jerome Weiner

(36) قد مارس عبد الله بن عائشة الجهاد البحري وخصوصا بالعدوتين ضد السفن الفرنسية منذ سنة 1672م فاشتهر كقائد بحري ماهر لمجاهدي الرباط وسلا. وفي آخر غارة قام بها الاسطول المغربي استولى على سفينة نامساوية سنة 1829م.

(37) كالمعمورة (المهدية) والعرائش وسبتة وطنجة وأصيلا ومليلية والجديدة وأزمور وأسفي... ففي غزو العرائش مثلا ضيق الاسطول المغربي على النصاري محاولا تحريرها وشن عليه الغارات حتي خرجوا من المدينة ونزلوا بوادي العرائش فطوقهم وقضي عليهم «وقد كانت العرائش في العهد السعدي ميناء حربيا وقاعدة للأساطيل الجهادية ومن هذا الميناء انطلق الاسطول المغربي للإغارة على الجزر الخالدات سنة 1566م.» «وأثناء هذه الحركة الجهادية البحرية التي قام بها الاسطول المغربي في عرض شواطئه كتب السفير الفرنسي الى وزيره "ريشليوه" يقول له بأن أهل مملكة المغرب بسلا وتطوان" بدأوا يتخذون السفن»، فاقترح قائد الاسطول الفرنسي على "ريشليوه" أن يسمح بإغراق باخرة فرنسية في حوض ميناء ابي رقراق حتى يضطر السلطان الى عقد اتفاق مع فرنسا من شأنه أن يوقف القرصنة الموريسكية ويدفع القراصنة الى تحرير الاسارى الفرنسيين» ولكن ذلك لم يؤد الى أي نتيجة.

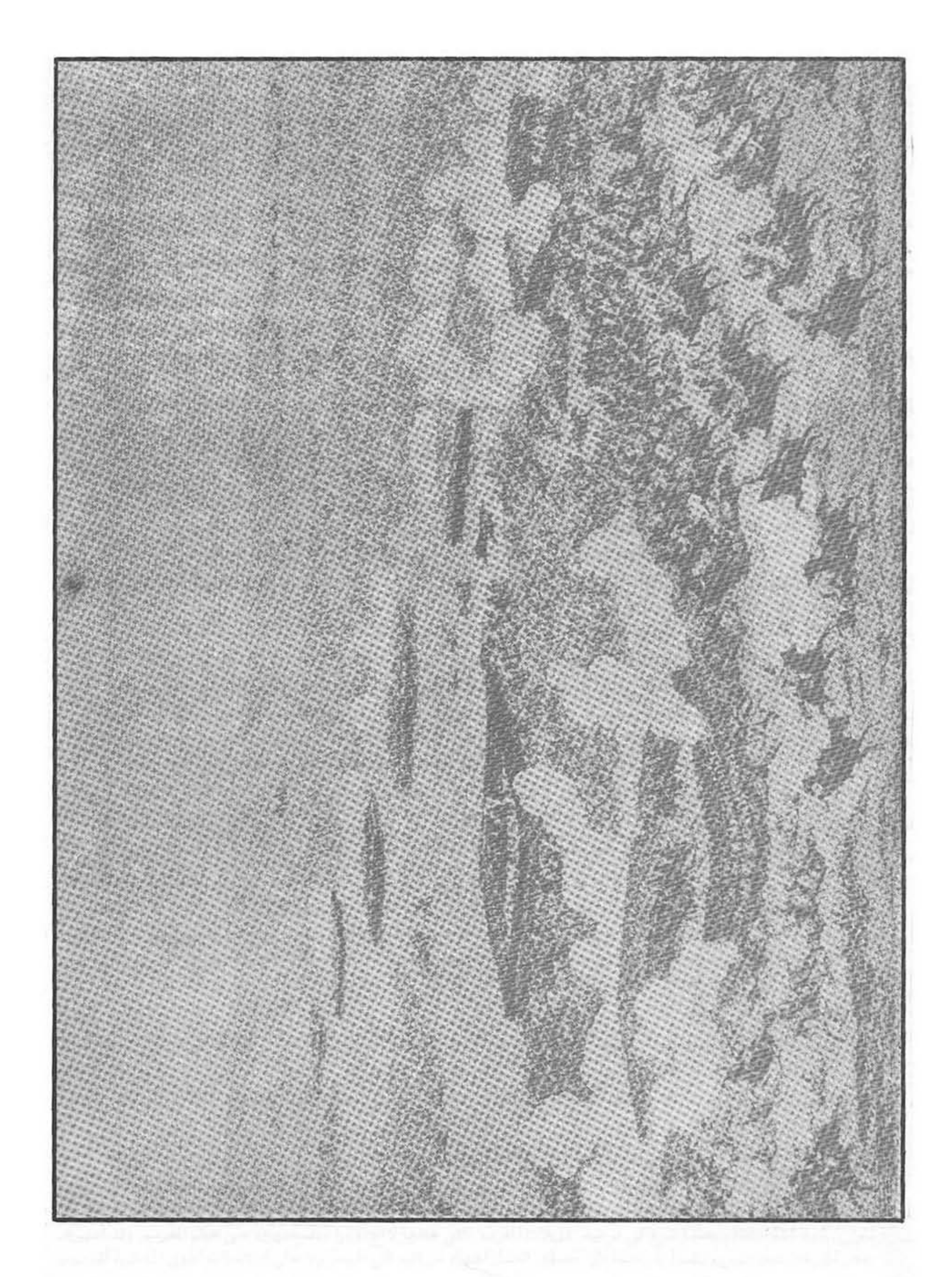
(38) كانت هولاندا تزود الدلائيين بالذخيرة الحربية من بندقيات ومدافع ومسحوق البارود. وتقول المستشرقة الألمانية "سيجموند هونكي" في كتابها : "شمس العرب تسطع على الغرب" بأن مدينة "جنوا" كانت هي الاخري تلبي نداء" سلطان مراكش" فتسلح له ثماني عشرة سفينة حربية لمساندة سلطان المومنين ضد الصليبيين القراصنة من الجليزيين وفرنسيين وغيرهم. (ص : 38) وقد كان قواد القصبة أو (رباط الفتح) يتراسلون مع الامراء المسيحيين (كشارل الأول ملك انكلترا) للحصول منهم على العتاد الحربي.

(39) د. شوقي عطا الله الجمل : محمد العياشي وجهاده ضد الاسبان والبرتغال (مجلة المناهل عدد : 9 ص : 118).

وفي حصاره للعرائش مثلا استعمل العياشي تكتيكه الحربي الخاص به : فبعد الاستنفار للجهاد تجتمع العناصر المجاهدة من مختلف القبائل في غابة قريبة من العرائش وتكمن هنالك حوالي الاسبوع انتظارا الفرصة تنتهزها في العدو. فلما تسنح الفرصة ويخرج الاسبان من المدينة يحيط بهم المغاربة من كل جانب و«يطحنونهم طحن الحصيد». (الخبر عن ظهور العياشي ص :91).

(40) عبد اللطيف الشادلي : الحركة العياشية ص 137 (بتصرف)

(41) مر الجهاد البحري كما رأينا من تلاث مراحل : في المرحلة الاولى : قاد عمليات الجهاد السعديون وفي المرحلة الثانية قادها الاندلسيون ضد الاساطيل الاوروبية، وفي المرحلة الثالثة قادها الدلائيون (انظر تفاصيل ذلك في كتاب "الاندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال قرني : 16 و17" لمحمد رزوق ابتداء من ص 210).



الجيش المغربي في عهد الدولة العلوية

يعد المولى رشيد هو المؤسس الحقيقي للدولة العلوية حيث استطاع أن يقضي على منافسيه أصحاب الإمارات المستقلة وأن يوحد المغرب من مراكش الى وجدة بجيش بلغ عدد جنوده 8000 من الفرسان و 32000 من المشاة ويقود حركة الجهاد ضد الاحتلال الأجنبي في المناطق الصحراوية مدة طويلة [1]. وقد استقصى الأمير مويط في رحلته التي دونها عن «تاريخ المولى رشيد والمولى اسماعيل ملكي فاس ومراكش وتافلالت» تحركات المولى رشيد السياسية والعسكرية. ووردت في حديثه عن هذه التحركات إشارات تدل على تكون الجيش العلوي ونموه السريع. فقد كانت العناصر العسكرية الأولى التي ناصرت حركته من عرب أنكاد وقبائل المغرب الشرقي ورجال تافلالت والغرب. وكانوا يكونون آلافا من الفرسان والراجلين. وقد قضى المولى رشيد بهذا الجيش على الثائر علي ابي حسون السملالي وهدم مدينة إليغ. ولما فر أمير إليغ الى السودان الصحراء وجد أمامه جيشا عرمرما من السودانيين فأحجم عن مقاتلتهم وهادنهم.

وقد طعم المولى رشيد أيضا جيشه بالأسرى الأروبيين مستعملا إياهم في المدفعية. فقد وجه المولى رشيد في الفترة الأخيرة من حكمه الى عاملي سلا وتطوان يطلب منهما أن يوافياه بالأسرى المسيحيين المختارين من بين رؤساء السفن والبحارة في حدود ألف رجل. وكان هؤلاء الأسرى الذين يعدون بالآلاف و مجودين في مختلف الثغور وفي المدن الداخلية. وتختلف جنسياتهم بين اسبانيين وبرتغاليين وفرنسيين وانجليزيين وهولانديين وقد وعدهم المولى رشيد بمكافئتهم اذا ما اعتنقوا الاسلام [2].

الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى إسماعيل بن الشريف

لما توفي المولى الرشيد تولى أبو النصر المولى إسماعيل الملك واستطاع أن يكون أول جيش منظم في عهد العلويين، قمع به الثورات الداخلية وأخضع به العصاة المتمردين ومنازلتهم كابن محرز بناحية مراكش والخضر غيلان - حليف الانجليز والأتراك بناحية الهبط - وإخوانه الثلاثة بجبل ساغرو وابنه بتادلة والدلائيين وغيرهم. وبذلك دانت له كافة القبائل الثائرة واستولى على تخوم السودان وامتد نفوذه الى حدود تلمسان.

وكان هذا الجيش العتيق مؤلفا من عشرات آلاف المتطوعين الوافدين على مركز قيادة الجيش - مكناسة الزيتون - من جميع نواحي المغرب وخصوصا من العناصر القارة الآتية :

- **جيش الودايا** (أو الجيش البيض أو الكيش) الذي كان يضم أفرادا من القبائل المخلصة للعلويين. وكان معظمهم من عرب معقل الذين استوطنوا الصحراء. كما ينتمي افراده الى أهل سوس والمغافرة (وقد تصاهر المولى اسماعيل مع المغافرة، إذ أهداه الشيخ بكار بن علي بن عبد الله المغافري ابنته خناثة التي ولدت له السلطان مولاي عبد الله)، والى أهل الرديف (الذين اعتمد عليهم المولى اسماعيل في استرداد كثير من المراكز المحتلة بالشواطىء المغربية) والى أيت يمور الخ.... [3].



أبو النصر السلطان المولى إسماعيل

وكـان جـيش الاوديا هذا يشكل النواة الأولى للجـيـش النظامي، وقـد قـسـمـه المولى اسماعيل الى قسمين. قسم بعث به الى فاس الجديد وولى عليه ابا عبد الله محمد بن عطية، وقسم تركه "بالرياض" بقيادة ابي الحسن علي المعروف "بأبي الشفرة".

- **جيش النار** : يتألف من 4000 من الأندلسيين و 1500 من الزواوين و 4000 من الاوروبيين (Renegats) القائمين بشواطىء المغرب تحت قيادة القائد علي بن عبد الله الريفي قائد السلطان على بلاد الهبط.

- **جيش البواخر** : (جيش العبيد أو الحرس الأسود) الذي كان يضم «الحراطين» وبقايا العبيد الذين أتى بهم المنصور السعدي من السودان الى المغرب. وقد بلغ عددهم 000 150 جندي. وبهم استطاع المولى اسماعيل أن يحكم المغرب من أقصاه الى أقصاه ويطرد الاسبانيين من معمورة والعرائش وأصيلا ويحرر طنجة من الاحتلال الانجليزي.

وكانت فكرة تأسيس هذا الجيش انطلقت من دفتر يجمع من كان منهم في جيش المنصور السعدي، قدمه أبو حفص عمر بن قاسم المراكشي المدعو : "كليلش" الى المولى اسماعيل. فأعطاه الأمر لجمع ما تبقى منهم.

وقد قسمهم بعض المؤرخين الى 3 أقسام : قسم يتكون من العبيد الخلص، وقسم حرر بعد عبوديته وهو الذي يدعى «بالحر الثاني»، وقسم من الاحرار الافريقيين امتازوا بشهامتهم وقوتهم.

وقد تلقى هؤلاء الجنود العبيد تكوينهم العسكري الاول "بمشروع الرملة" غير بعيد من أبي رقراق حيث تربوا على استعمال الأسلحة وركوب الخيل بدون سروج، وعلى الرماية بالبنادق والمدافع، وعلى الرماية والحراسة، وعلى جميع فنون الحرب وحتى على قراءة القصص والسير كسيرة عنترة بن شداد العبسي [4].

وبعد هذه التداريب العسكرية حشدهم المولى اسماعيل بمحلة قرب سيدي سليمان، ثم نقلوا منها الى مكناسة لتكميل تدريبهم العسكري. وكان من أشهر قادتهم : علي بن بركات، وعلي بن يشي الباشا مساهل...

وقد استطاع المولى اسماعيل بهذا الجيش أن يقر الامن في البلاد بعد أن اتسعت رقعة المملكة الا أنه بعد وفاة المولى اسماعيل أصبح "البخارى" مصدر قلاقل واضطرابات داخلية.

- **جيش الشراردة** : كتبهم المولي اسماعيل في الديوان وأمرهم بالتضييق على بني يزناسن أنصار الاتراك.[5].

وحدات الجيش الاسماعلي :

1 - **جيش المشاة** : بلغ عددهم 25.000 جندي، وكان الفيلق مشتملا على طوابير قبائلية وأخرى عادية. وكان الطابور القبلي يبلغ 3000 فرد والطابور العادي 500. وكان يترأس الطابور العادي قائد "الرحى" وله خليفة يساعده. وكانت الرحى تنقسم الى سرايا : ويبلغ عدد

حنود السرية مائة رجل يترأسها "قائد المائة" (قبطان). وتنقسم المائة الى جماعات تتركب كل واحدة من 12 شخصا يتقدمهم "مقدم" (ضابط الصف). وكان ينضم الى جيش المشاة هذا بعض المتطوعين لتقوية صفوفه عندما يواجه بعض الطوارئ.

2- **جيش الخيالة** : يبلغ عددهم 10.000 وكانت خيولهم كلها من الصافنات الجياد. وكان لكل فرس قيمان : أحدهما من الأسارى والآخر من الأرقاء وكان الفليق من الخيالة ينقسم الى طوابير. والطابور يشتمل على كوكبة من 600 فارس. ولم تكن كتائب الخيالة تشارك في "الحركات" الا عندما يظهر الانكسار في صفوف المشاة. وفي حالة السلم كانت هذه الكتائب تلعب دور فرسان الدرك وتقوم بحراسة مختلف المراكز العسكرية. وكان على كل مربي للخيول أن يقدم فرسا لما يكون صالحا للجهاد الى جيش الخيالة وذلك تعزيزا لجهاز الأمن في البلاد.

وقد بنى المولى اسماعيل قصرا يقال له قصر الخيل وذلك لماله من اعتناء بالخيل العتاق وانتخاب الصافنات الجياد. وقد أنشد الشاعر أبوحفص عمر الحراق على لسان هذا القصر :

أنا قصر العتاق من الجياد	✵	بناني الله في نحر الأعادي
على يد عبده المنصور حقا	✵	وصلت على القصور بكل نادي
وكيف لا أصول على المباني	✵	واسماعيل قد أسمى عمادي
وشيدني بتوفيق ويمن	✵	وعمرني بآلات الجهاد
وروع في الصليب وعابديه	✵	فنال العز من رب العباد(6)

3- **جيش الرماة الطبجية** : كان عدد جنود المدفعية يتراوح ما بين 3000 و 4000 رجل يرابط جلهم في فاس وفي المغرب الشرقي. وكان هؤلاء الجنود يحسنون استعمال المدافع (آلة كان يصنع بعضها بالمغرب بعد تذويب النحاس) والمجانيق والكور والقنابل (البنب) وآلات الحصار. ومما يجدر ذكره أن هؤلاء الرماة لما كانوا يفتحون العرائش "وضعوا المينات تحت خندق صور المدينة الموالي للمرسى تم أوقدووا النار وسط جانب من السور واقتحم الجند المدينة، كما استعملوا المفرقعات التي كانوا يصنعونها بأيديهم في حصار المدن الشمالية».

4- **المخازنية** : كان "المخازنية" يشكلون الحرس الملكي الذي كان يشتمل على 4000 من العبيد و 300 من الفرسان. وكانت هناك فرق منهم تتكلف بمهمة تحصين المدن وحراستها.

«ولم يكن هناك ديوان عام للجيش على ما يلوح اللهم الا فيما يخص العبيد وأهل سوس الذين كانوا يمثلون العنصر النظامي في الجيش الاسماعيلي. فكانت أسماؤهم وحياتهم تقيد في سجلات خاصة. وكان المولى اسماعيل في أول أمره يستمد جنده من القبائل حتى أطلعه عمر عليلش كما سبق القول على دفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في جيش المنصور الذهبي، وكانوا منتشرين في مراكش وأحوازها وقبائل إلدير، فجمع منهم 3000. وهذا يدل على أن السعديين كان لهم ديوان عسكري.» (7)

التكوين العسكري والنظام الحربي في العهد الاسماعيلي :

يقول المؤرخ المولى عبد الرحمان بن زيدان في كتابه "المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل الشريف» : وأما سيره في جيوشه الوافرة المظفرة فقد كان على نظام عجيب واعتناء غريب. ففي فاتح المائة الحادية عشرة أصدر أمره العالي لعبيده بالاتيان بمن بلغ من أولاد الذكر عشر سنين فيفرقهم على الصنائع والحرف... واذا أكملوا الثالثة عشرة دفعهم الى الجندية وكساهم ودفع لهم السلاح واشتغلوا بالخدمات الجندية وتعلم فنونها راجلين فإذا بلغوا الرابعة عشرة دفع لهم الخيل دون سروج وألزمهم ركوبها في كل بكرة وعشي يتعلمون الكر والفر والسباق. فإذا تمرنوا على ذلك وبلغوا الخامسة عشرة دفعت لهم السروج وألزموا تعلم الكر والفر والسباق والرماية، فإذا بلغوا السادسة عشرة صاروا من جملة الجند تجرى عليهم الجرايات ويكتبون في الديوان ...».

وكان السلطان هو الذي يتولى استعراضهم بنفسه - حسب شهادة أحد الأسارى الفرنسيين - يأتي بالمشاة على حدة والفرسان على حدة الى أن ياتي على سائر طبقات جيوشه. وكان يعرف كل واحد منهم بعينه ونفسه واسمه ويدفع لكل واحد منهم راتبه يدا بيد..... «وبلغ عدد من مارس هذا التدريب على هذه الطريقة 150.000 ».

وكان الجنود الاسماعيليون يتخذون في معاركهم تشكيلا يشبه الهلال : فيقترب طرفاه (الفرسان) من العدو ويقومان بالمناوشة ويقع الهجوم بواسطة المشاة والرماة الذين كانوا يحسنون الحرب الهجومية اكثر من الحرب الدفاعية [8].

وكان المولى اسماعيل القائد الأعلى لجيشه يمتاز نفسه بحماسة حربية وبمهارة كبيرة في قيادة الهجومات ونصب الكمائن يجعلانه يتبوأ مكانة في صف الفاتحين العالميين كالاسكندر ونابليون. فكان يستفيد كثيرا من طبيعة الأرض وحتي من العوامل الجوية كهبوب الريح الذي يساعد على توجيه غبار سنابك الخيل نحو جهة العدو. ولما خرج الى جبال "فازار" - مثلا - لاقتحامها أظهر موهبة كبيرة في "مناورة التطويق مع استغلال المفاجأة" واستخدم قوة نيران المدافع "وتأثيرها المعنوي" فقد كتب المؤرخ أحمد الناصري في الاستقصا أنه لما تهيأ السلطان للنهوض الى البربر سنة 1104هـ استنفر القبائل وحشد الجيوش واستعد الاستعداد التام بالمدافع والمهارس والمجانيق وسائر آلات الحصار" وضرب السلطان لأمراء الجيش لإنشاء الحرب موعدا معلوما وقال لهم : اذا كان وقت العشاء من ليلة كذا فليأخذ الطبجية في إخراج المدافع والمهاريس بالكور والبنب طول ليلتهم ليحصل للبربر الدهش.... ولما كانت الليلة المعينة لم يرع البربر إلا رعود المدافع والمهاريس تصعق في الجو ونيرانها تنقدح في ظلمات الليل وأصداء الجبال تتجاوب من كل ناحية.... فظنوا أن الأرض قد زالت بهم فزحفت اليهم العساكر واشتد القتال وتفرقوا في الشعاب والاودية شر مدر........».

القلاع الاسماعيلية : يعد المولى اسماعيل اكبر بناء للقلاع العسكرية (قصابي) بلغ عددها ما يناهز السبعين. وقد بناها في النقط الاستراتيجية من البلاد ما بين تازة

وتارودانت وتفصل بينها مسافة تقدر بيوم من المشي، وقد بناها المولى اسماعيل لمواجهة الهجومات المعززة بالأسلحة الثقيلة ولذلك أحاطها بأسوار عالية وأبراج مجهزة بالمدافع لقصف هجومات الاعداء المهاجمين بالمدافع أيضا. وكان بداخل القصبة دكاكين وخزائن للسلاح ومسجد للصلاة وساحة يحط بها الجند بأخبيتهم (خزاين) (3500 جندي على أكثر تقدير).

وكانت ترابط فيها حاميات عسكرية وتوفرت كل حامية على جمهرة من الفرسان يتراوح أفرادها بين 300 و 400 رجل. وكان على رأسها قائد مسؤول عما يقع في ناحية قصبته من أحداث. ففي قلعة باب الخميس مثلا كانت حامية تتركب من 500 فارس من شراكة كلفت بالسهر على الأمن في الطريق الواقعة بين السايس والمهدومة (اي واد مهدومة أو مكس : أحد روافد واد سبو). وكانت حامية فاس تضم عددا كبيرا من الخيالة : 3000 من شراكة و 4500 من شراردة و 2000 من الاوداية.

أما قصبة أكراي التي كانت توجد في جنوب مكناس فكان يسكنها الأسارى المسيحيون الذين كانوا مكلفين بتشييد القصور وخزائن الأسلحة والحبوب بمدينة مكناس. وهكذا.......

ومن جملة هذه "القصابي" التي مازالت قائمة الى الآن قلاع أكواري وتادلة ومديونة [9] وسلوان بالشمال لصد الهجومات على مليلية "ودار المخزن (1672م) بشفشاون (تلك الامارة التي أسسها علي بن راشد سنة 1471 م الذي كانت له جولات وصولات في محاربة النصارى بالأندلس بمساعدة الأندلسيين النازحين على شفشاون لاستعمالها كقاعدة لرد هجومات البرتغاليين الذين احتلوا سبتة والقصر الكبير، وبقيت صامدة حتى احتلها الاسبان سنة 1920) الى غير ذلك. وكانت هذه القصابي مجهزة بأبراج مربعة أو مستطيلة الشكل كانت تعلو كل واحد منها راية حمراء.

أعمال المولى اسماعيل الحربية : غزا المولى اسماعيل بجيشه الجرار الاطلس الثائر وواجه بجدية وحزم أكبر ثورة في عصره وهي ثورة إخوانه الحران هاشم وأحمد مع ثلاثة آخرين من بني عمهم الذين قاموا عليه في الصحراء، وانحازوا الى قبيلة آيت عطا. فقد نهض اليهم من مكناسة، وقامت بينه وبينهم معركة صاخبة وهي معركة "جبل ساغرو" سنة 1679 هـ ودارت المعركة بقيادة موسى بن يوسف. ولم يكن النصر رخيص الثمن، فقد فقد الجيش الاسماعيلي 400، ومات قائده في هذه المعركة الحاسمة [10].

وقد هدد المولى اسماعيل باحتلال المغرب الاوسط للوقوف في وجه زحف الأتراك الذين طردهم من بني يزناسن وتلمسان سنة 1683 م وأبرم معهم معاهدة صلح. وحررت جيوشه بقيادة عمر بن حدو البطوئي المهدية [11] سنة 1681 م بعد 70 سنة من الاحتلال الاسباني وجعل منها قاعدة لمعاركه البحرية. وغنم بعد المعركة - يقول مؤرخ انجليزي كان وقع في أسر مولاي اسماعيل في كتاب له «مغامرات طوماس بيلو» : 88 من المدافع النحاسية و 15 من المدافع الحديدية وآلات حربية متعددة وأحجارا كريمة....... وبعد نهاية المعركة توفي القائد البطوئي متأثرا بمرض أصابه نتيجة وباء. وتولى بعد ذلك قيادة الجيش شقيقه أحمد بن حدو البطوئي وابو الحسن بن

عبد الله المحامي الريفي الخبير بمكايد الحروب.

كما حاصر المولى اسماعيل مدينة طنجة [12] التي كانت مستعمرة انجليزية منذ 1662م حتى تم جلاء الانجليز عنها سنة 1684 م بدون طعن ولا ضرب ولا نزال. وفي هذا الحصار استرد الجيش الاسماعيلي بقيادة أبى الحسن علي بن عبد الله الريفي قصبة بأربعة أبراج قتل فيه أثناء العراك 350 من الإنجليزيين واستشهد 50 من الجنود المغاربة وغنم المغاربة مدافع اسبانية من نحاس نقلت توا إلى مكناس [13].

وأرسل المولى اسماعيل جيشا قويا لتحرير العرائش [14] تحت امرة أبي العباس أحمد بن حدو البطوئي. وقد حاصر الجيش المدينة مدة ثلاثة أشهر ونصف ولما طال الحصار دبر الجيش حيلة لفك الحصار بحفر خنادق تحت الأسوار وملأها بالمواد الملتهبة والمتفجرة التي أحدثت تغرات في الأسوار، ثم تبادل الجيشان "طلقات المهارس الصاخبة والمدافع الثقيلة وتسلق الجنود المغاربة إلى مرتفعات الأسوار لإبادة الحامية ... وانجلت المعركة عن استسلام المحتلين. وجرت فلول الجيش الإسباني إلى السفن التي وجدت الأسطول المغربي يحاصرها بخمس بوارج بحرية سنة 1689 م (1101هـ). «وغنم الجيش الإسماعيلي من البارود والعدة مالا يحصى كثرة ومن المدافع نحو مائة وثمانين» [15] (22 من النحاس والباقي من الحديد) ومدفعا طويلا يسمى "العصاب" (او القصاب طوله 35 قدما).

وحاصر المولى اسماعيل مدينة أصيلا[16] سنة 1691م ومدينة سبتة [17] سنة 1689م وذلك بخمسة وعشرين الفا من الجنود (من بينهم 500 رام ونابل) بعد احتلال اسباني دام 33 سنة. (وقد حاصرها مرة أخرى في نفس السنة وتم فتحها على يد القائد علي بن عبد الله الريفي). ولما بدأ المولى اسماعيل حصار سبتة سنة 1694 بنى معسكراً إزاءها سماه "معسكر الدار البيضاء". كما حاصر المولى اسماعيل مدن مليلية [18] والحسيمة وبادس [19].

ولم يمض ربع قرن على هذا الحصارات العسكرية للمدن الشاطئية المغربية حتى أصبح المغرب موحدا سياسيا وعسكريا. وقد تابع المولى اسماعيل سياسة حصاراته فنازل الجيوش الإسبانية قرب مدينة وهران بالمغرب الأوسط سنة 1701 م -1112هـ.

وقد غنم المولى اسماعيل في فتوحاته هذه عددا كبيرا من الأسلحة والعتاد من الجيشين الإسباني والبرتغالي. وقد بنى لها "دار للسلاح" بمكناس (الهري) أودع فيها آلافا من المكاحل والبندقيات والمدافع والمهاريس والسيوف والقرابلات من نحاس ودروع. وكان بهذه الدار كذلك بيوت مملوءة بالبنادق والسيوف التي غنمت من النصارى في مختلف المعارك وخزائن أخرى مملوءة بالهدايا والتحف التي أهديت للسلطان ومطامر لخزن الزرع والبارود والسلاح. كما كانت الدار تحتوي على معمل يصنع سيوفا تعد في حدتها كالسيوف الهندية واليمنية المشهورة والسروج ورايات البنادق وأغمدة السيوف. وكان يحرس هذه الدار 20 بحريا من أسارى الإنجليز [20].

الجيش الاسماعيلي يغزو السودان : غزا الجيش الإسماعيلي تحت إمرة المولى

حامد ابن أخ المولى اسماعيل السودان بعد أن ضم الصحراء إلى أرض المغرب واستطاع أن يصل إلى مدينة "تكزال" ويدخلها بقوة البنادق والمدافع. وقد غنم المولى حامد كمية كبيرة من الذهب حملت إلى سوس على ظهر 150 من الجمال مصحوبة بخمسة آلاف عبد سوداني. وكان هدف المولى اسماعيل من غزو السودان هو ضم الأقاليم المحيطة بالمغرب تحت راية الإسلام وجلب عدد كبير من أبناء السودان الأشداء واستخدامهم في وحدات الجيش وتعزيز صفوفه بهم لما اتسموا به من قوة وبأس. وهكذا امتدت مملكة المولى اسماعيل من وادي السنغال جنوبا إلى حدود تلمسان شرقا.

والخلاصة أن السلطان المولى اسماعيل هو الذي جدد وحدات الجيش المغربي وأعاد اليه القوة والبأس واسترد به مدنا عزيزة ومراسي نفيسة تحكم فيها الأجانب سنين طويلة وجعل المغرب قطرا عزيز الجانب منيع الحوزة زاخرا بالبروج الحصينة والقلاع المشيدة والقصبات المكنية والقصور الباذخة والمغاني الرائقة. ونظم الشاعر محمد الطيب العلمي قصيدته يمدح فيها المولى اسماعيل وينوه بمفاخر جيشه منها :

لك العز والتأييد والفتح والنصر ☆ أيا ملك يصبو له البر والبحر

جنودك كالليل البهيم مهابة ☆ ولكنها أبطالها الأنجم الزهر

تقدمها خيل عتاق اذا عدت ☆ تكاد تجاريها الرياح او الطير

فمن أدهم تبيض منه قوائم ☆ ومن أشهب حر على ظهره حر

يثور في أوجه القوم طاعنا ☆ فتحسبهم صيدا أحاط به الصقر

فكم راحة بيضاء تحمر بالدما ☆ إذا انعقدت للحرب ألوية خضر

وقائع ان مرت وفات زمانها ☆ سيبقى على مر الزمان لها ذكر

الجيش المغربي في عهد سيدي محمد بن عبد الله[21] :

«كان الجيش في عهد هذا الملك مؤلفا من الرماة و طلبة الحساب والطبجية والبحارة (2000 موزعة على مختلف الثغور) ومن حراس المراسي والمخازنية والأكواش (عبارة عن المسنين من لا طاقة لهم على الخدمة العسكرية) ومن مجموعات من حراطين الصحراء. (نقلوا الى معسكرات فاس ومكناس) ومن فرقة جديدة تدعى الليكشارية" جمعوا من حوز مراكش (وكان اختيارهم من العزاب على يد القائد عبد النبي المنبهي وتم تسريحهم بعد ذلك لما كانوا عنصر فوضى لا عنصر استقرار) [22]

«وقد كان علم الحساب والهندسة من جملة العلوم التي كانت محل اهتمام تام واعتناء زائد عند السلطان فكان يحث عليه ويشجع متعاطيه بزيادة في الرتب على سائر أفراد الجيش. وهكذا اشتمل جيشه على 100 طالب في الهندسة الحربية».

وكان هؤلاء الجنود يعملون تحت إمرة محمد بن حدو الدكالي.

ولما كـان ابنه المولى يزيد [23] مولعـا بصناعـة الرمي بالمهراس أسند اليـه أمر الطبجيـة والبحرية. وكان يوفده مع رؤساء البحرية والطبجية الى الثغور ليسهر على تعلمهم وسقل المدافع. ومما تجـدر اليـه الإشـارة ان "قـراصين" المولى يزيد بلغت في عـهـده سـتـة قـرصـانا تحـمل 306 مـن المدافع. وقـد أمـر المولى يزيد القـائد "الخطاب" بأن يجـمع 200 من أبناء الشـاوية قصد تعليـمهم الرمـاية بالمدافع وعين مـحلاً في بالدار البـيـضـاء لهـذه الغـاية، وكلف الطبـجي مـحـمـد غـسـلان الرباطي الماهر في الرماية لتعليمهم [24].

وكان للجنود في عهد سيدي محمد بن عبد الله كسوتان : كسوة الشتاء تامة بالملف الأحمر، وكسـوة الصيف من الكتـان الأحمر وحده. (وكانت آخر كسـوة سلمت للجيش من هذا النوع في أوائل عهد المولى عبد العزيز).

وكان قائد المائة في عهده يلقب "بالباشا" [25].

أعماله الحربية :

قـام السلطـان سيـدي مـحـمـد بن عـبـد الله بتـفـقـد الثـغـور المغـربيـة - ذهابا ومجيـئا - وتعـزيزها بالمدفـعيـة مند سنة 1759م من مـدينة مـراكش الى مـدينة تطوان. وهكذا أسس "ثغـر الصـويرة" سنة 1765م "لتـحصين مواقع السـاحل في الجنوب المغربي". وقد عـزز سيـدي مـحـمـد بن عبـد الله فيـمـا بعـد أي في سنة 1784م هذا الثغر" بحاميـة فـرنسـيـة مؤلفة من 250 جندي وكـانت تحت إمرته المباشرة".

وبعـد هجوم الاسطول الفـرنسي على العـرائش - الـذي استطاع البـحـارة المغـاربة كسـره، قـام سيـدي مـحـمـد بن عـبـد الله بزيارة هذا الثـغـر وعـززه بالمدافع والمهـاريس التي جلبـهـا من فـاس ومكناس بقيادة الأمير اليزيد (1765م).

وبعـد هذا الهـجوم الفـرنسي على العـرائش نازل سيـدي مـحـمـد بن عـبـد الله ثغر البريجة (الجديدة) - آخر مركز برتغالي الذي سبق للبرتغاليين أن احتلوه في العهد الوطاسي سنة 1502م (وقبل سنة 1514م) - بجيش جـرار مؤلف من 7500 مـحـارب ويضم مـتطوعين من مراكش والحوز وسـوس وشنقـيط (الذين كـانـوا يمتطون الجـمـال ويلبـسـون الجلود)، وطوقـه ب 35 مـن المدافـع بـرا وبحرا وأصلاه بالقنابل النارية «الكور»، وكانت كل كورة مصنوعـة من سبعـة معـادن تزن على مـايزيد على القنطار) وذلك بإمـرة القـائد الحـاج سليـمـان التـركي المجيـد في صناعـة الرمي بالمهاريس وبمساعدة "قنانشـة سلا" (1769) [26]. وبلغ عـدد الكور الألف. ودام ذلك عـدة أيام حتى استـسلم البرتغـاليـون الذيـن كانت لهم قوة بحرية عـاليـة لا يسـتـهـان بهـا. وعند مـغـادرتهم للجديدة (مازيغـان كمـا سمـوها) حطموا مـبانيـها وزرعوا المتـفجرات في كل مكان وهدموها حتى أطلق عليها "المهدومة". وقد جدد بناءها ورممها المولى عبد الرحمان[27].

كما حاصر المولى محمد ابن عبد الله مدينة امليلية "فأحاطت عـساكره - يقول الناصري في استقصاه - ونصب عليها المدافع والمهاريس وشرع في رميها سنة 1774م.

ولما فك حصـارها بطلب من الإسبـان - بمقتضى عـقد الصلح المبرم سنة (1775)م - أمـر

جنوده بحمل مدافعه ومهاريسه وكوره على مراكبهم وأمر بعضهم بالتوجه الى تطوان والبعض الاخر الى الصويرة الذي كان بها يومذاك 1500 من الطبجية والبحرية [28].

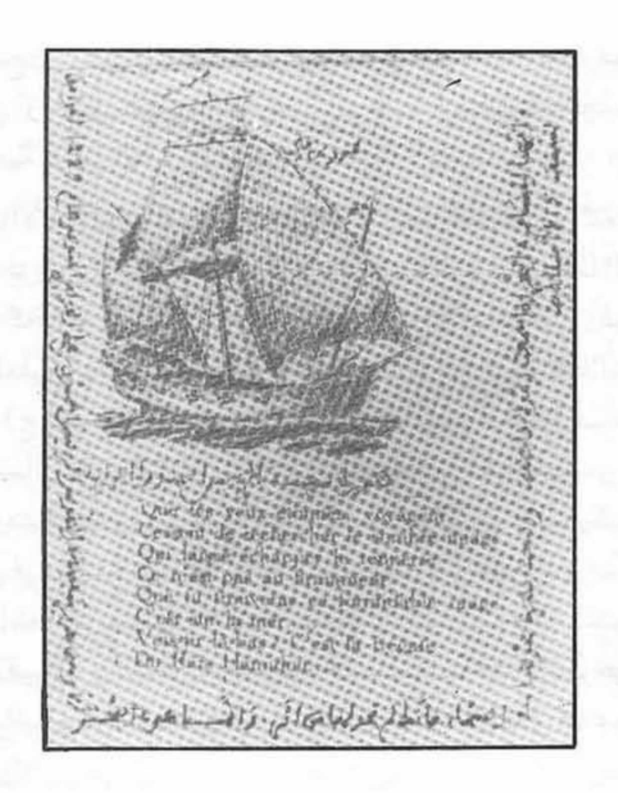
كما حاول سيدي محمد ابن عبد الله استرداد مدينة سبتة وأمر عسكره بضربها "بالتاروق" (المدفعية). فرد الإسبان بطلقات مدافعهم حتى "تزلزلت الجبال". فعدل عن ذلك وانتدب رماة أنجرة" للإقامة حولها ومراقبة تحركات الإسبان الذين كانوا يحمون سبتة برا وبحرا.

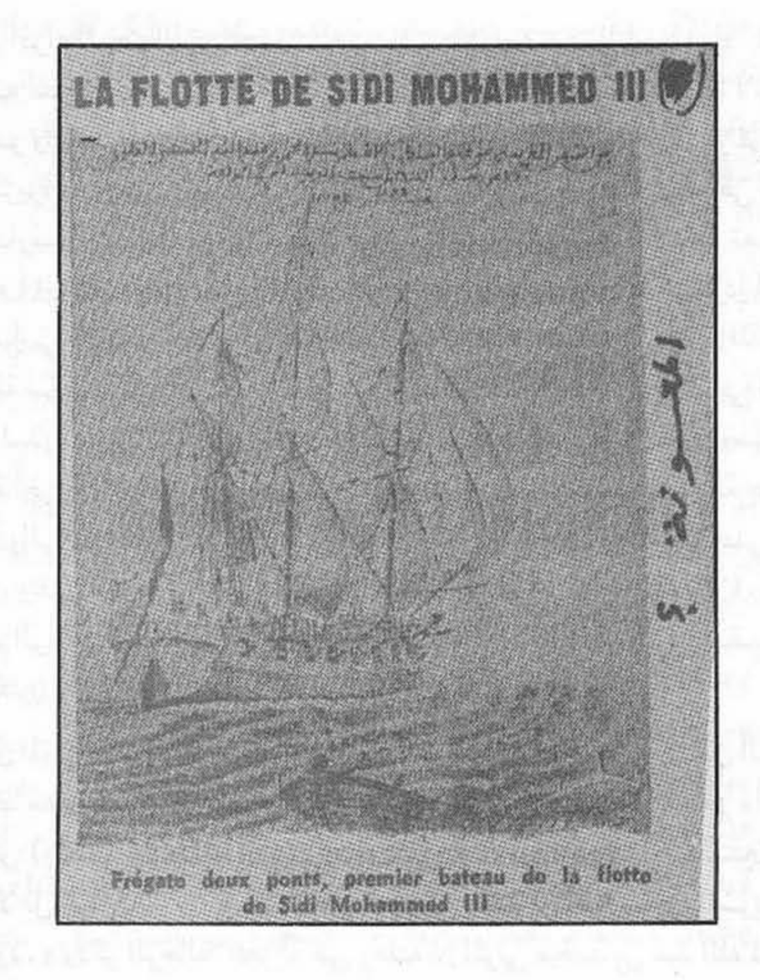
وبنى سيدي محمد بن عبد الله برباط الفتح [29] بستيونا معروفا ببرج "خنزيرة" وآخر مقابلا لمدينة سلا، وجدد قصبة المولى الرشيد وأقام بها قوات عسكرية - حسب "الضعيف الرباطي" - من البحرية والطبجية والبونبجية، وأمر أهالي الرباط "أن يعزلوا من أولادهم نحو الثمانين ليتعلموا الرماية بالانفاض والمهراز، وكتب لهم أن يزيدوا عددا آخر من البحرية ليسافروا في البحر فامتثلوا أمره".

وقد استعان سيدي محمد بن عبد الله كثيرا بخبراء عسكريين أتراك في تدريب فيالق جيشه على أساليب الحرب الحديثة وكذلك بخبراء فرنسيين. وبنى معملا لصناعة المراكب البحرية في العرئش وآخر بمدينة الرباط، ودرب جنوده المحتشدة بالشواطىء المغربية على ركوب البحر بقيادة ابي القاسم الزياني[30] . ومن أجل إحياء صناعة المدافع استقدم بعثة من "الاستانة" عاصمة الخلافة العثمانية لهذه الغاية (1768) م.

وكان المغرب في عهد سيدي محمد بن عبد الله يصنع النبادق وأنواعا من الأسلحة البيضاء كالخناجر والرماح في تطوان وفاس ومكناس، والبارود في فاس ومكناس، ويذوب نحاس المدافع ويصنع القنابل بتطوان (على يد الأتراك) [31].

عناية سيدي محمد بن عبد الله بالاسطول المغربي : لقد كان اهتمام المولى محمد بن عبد الله بالأساطيل البحرية عظيما حيث عمل جاهدا لاحياء اسطول والده المولى عبد الله وجده المولى اسماعيل وبلغ عدد مراكبه في عهده 50 قطعة بحرية، (30 من الفراكيط و20 من المراكب) ورؤساء البحرية 60 وعدد عسكره البحري من المشارقة (خصوصا الاتراك) الفا وكان له من المدافع اربعين ومن عسكر أرقاء العبيد 15000 ومن الأحرار 7000. وجعل على ظهر كل قطعة 40 مدفعا (وبلغ عدد مدافع الحراقة التي كانت تحت إمرة الرايس الطرابلسي : 40). ووزع 500 16 جنديا بحريا على عدد من الثغور المغربية : الصويرة - آزمور - آسفي - تيط - آصيلا - المهدية - طنجة - تطاوين - العدوتان سلا والرباط وأنفا [32]. وقد استقدم السلطان وفدا من القسطنطينة "يتركب من المعلمين الاختصاصيين العارفين بإنشاء الأساطيل وصب المدافع وعمل القنابل والمجيدين في الرماية وفنون الحرب". "فوجه بعضهم للرباط لبناء المراكب الكبرى وآخرين لتطوان لصب القنابل الضخمة وآخرين لتعليم رماية المدافع بالمدن المهمة كفاس". كما كان يستخدم " أجناس الروم" في أسطوله، ولما عاد سفيره الحاج عبد الكريم راغون التطواني من عند السلطان مصطفى العثماني (سنة 1180هـ) اصطحب معه هدية عظيمة (في مقابل الهدية التي بعثها اليه صحبة السيدين الطاهر بن عبد السلام والطاهر بناني الرباطي). وهي عبارة عن مركب موسوق بالمدافع والمهارس النحاسية وعلى ظهره بعثة فنية في شؤون





Frégate deux ponts, premier bateau de la flotte de Sidi Mohammed III

المدفعية. وقد اجتمع السلطان بأعضاء هذه البعثة في مكناس، وبعث معلمي البنب (القنابل المحرقة) الى تطاوين "ومعلمي الرمي بالمهاريس" الى الرباط ليدربوا طبجية الرباط وسلا. وأمر بإنشاء السفن الغزوانية بمرسى العدوتين والعرائش.

وكان رجال الأسطول يتألفون من الرؤساء و"رياس العسة" و"الدمانجية" والنكانجية و"الورديانات" و"البحرية" و"رجال النار". وكان بالبحرية العلوية في هذا العهد بحارة أفاقون يعملون في الاسطول كخبراء ومساعدين، منهم الطرابلسي والصابونجي وغيرهم (وعددهم 24)، كما تعزز الاسطول العلوي بـ 600 من رجال آل عطة و 400 من عبيد تافلالت تدربوا على ركوب "الغلائط" العشرين (ج غليوطة Galiot)[33]. وقد كلف المولى محمد عبد الله الحاج عبد الله يعقوب السلاوي "بسائر ثغور إيالته من مرسى مليلية الى أطراف سوس وأسند اليه سائر ما يرجع لابراج الثغور ومدافعها ومهاريسها ومتعلقاتها من بارود وبنب وكور وتنظيم رجال [34]. ويعد المعلم البعودي في عهده من العارفين بضرب المهاريس وهو الذي ضيق على الاسبان في حصار سبتة (ايام ابنه اليزيد سنة 1791م). وقد كان جنود البحرية يتدربون على العمليات الحربية بميناء طنجة "فيركبون السفن ويتطاردون فيما بينهم، فتارة يخرجون الى البوغاز وتارة يطوقون سواحل اسبانيا وتارة يرجعون الى طنجة وكان الاسكتلندي المدعو "عمر" يقود احدى سفن الجهاد في البحر.

ومن أفراد البحر الذين انجبهم المغرب في هذا العهد : "الرايس مراد" الذي ولد بفاس ولما داع صيته أغراه العثمانيون بالالتحاق بقواتهم البحرية وعينوه قائدا لاسطول السويس بالبحر الأحمر وامتد نشاطه الى المحيط الهندي، ولما توفي سنة 1902م وهو في الثمانين من عمره دفن بجزيرة" "رودس" وبنيت على قبره قبة. ومن أشهر البحارة ايضا في هذا العهد "ابو الحسن على مارسيل" الذي ألحق بالأسطول الفرنسي هزيمة نكراء عندما هاجم ثغر العرائش سنة 1765م فأفقده 11 سفينة من سفنه 15 وأسر نحو 50 (وقيل أن القائد البحري الحبيب المالكي كان له دور أساسي في سحق هذا الهجوم الفرنسي). وكذلك صلاح السلاوي الذي رمى في يوم واحد 180 قنبلة سقطت كلها في وسط قلعة شراردة أثناء الوقعة ؛ وابن العربي فنيش السلاوي الذي ورد من لندرة سنة 1275 هـ الى ثعر سلا ومعه مركب يحمل 17 مدفعا ومهراسين عظيمين وأدوات حربية أخرى [35]، والكوار الرباطي ، وأحمد القرطبي (كانت له سفينة جهادية اقتنصها الهولانديون) والرايس الطرابلسي السالف الذكر (قائد الحراقة)، والرايس علي عواد السلوي (قائد البحر)، وعلي القرضي (كان يجول في جفنته الجهادية بين الجزائر وسلا)، وعواد السلوي والعربي حكم الرباطي، وقنديل السلوي صالح، والرايس سالم (رئيس السفينة التي كانت مكونة من طبقتين....)[36].

وكان المولى محمد بن عبد الله من أكبر البناة للأبراج لتحصين المدن الساحلية. "فلما أقام في الرباط مدة أمر قائده فيها ابا علي مرسيل أن يبني برجا على البحر وأمر قائده بسلا عبد الحق فنيش (رئيس الطبجية) ان يبني مثله على البحر، وأمر بإنشاء سفينتين احداهما لأهل سلا والاخرى لأهل الرباط[37]... وبعث الحاج التهامي قدور الرباطي سفيرا للسويد لياتي بلوازم المراكب والبارود.» وذكر الرحالة "الغزال" في رحلته ان المولى محمد بن عبد الله لما "اختط مدينة

الصويرة وشحن الجزيرتين بالمدافع شيد برجاً على صخرة داخل البحر وشحنه كذلك فصار القاصد للمرسى لا يدخلها إلا تحت رمي المدافع من البرج والجزيرة معاً » . ولما وصل السلطان الى العرائش بعد قنبلتها من لدن الأسطول الفرنسي سنة 1765 م أمر ببناء "الصقائل والأبراج"، وأمر ابنه مولاي يزيد أن ينقل من فاس" رؤساء البحر والطبجية وأهل الاجادة في الرمي والمدافع والمهاريس النحاسية الى ثغر العرائش »[38]. وبالاضافة الى اهتمام سيدي محمد بن عبد الله بشؤون البحرية كان يهتم كثيرا بشؤون المدفعية أيضا ذلك أنه "لما عقد معاهدة مع ملك الدانمارك وجعل من شروطها أن يدفع له كل سنة 25 مدفعا تزن كراتها من 18 الى 24 رطلا"، وقد عقد معاهدة مماثلة مع دولة السويد[39].

هذا وقد اشتبك الأسطول "المحمدي" مع الأسطول الفرنسي في معارك بحرية مختلفة فثارت ثائرة "الفرنسيس" وشنوا هجوما على ميناء العرائش وتبادل الأسطولان القذائف وتضررت العرائش من جراء هذا القذف (1765م) [40]. كما شن الأسطول الفرنسي قبل هجوما مماثلا على ميناء سلا (1767م) تحت إمرة نائب البحر الفرنسي Le comte d'Estrées وذلك بواسطة 12 سفينة حربية (بقيادة الاميرال Du chaffaut (حيث رموا عليها البنب والأنفاض) فوجه المولى يزيد الى عامل قصبة سلا أحمد بن يكور رسالة بعدم التفاوض واستعمال لغة المدافع مع المهاجمين. وواصل مجاهدو البحر في عهد سيدي محمد بن عبد الله الاستيلاء في عرض البحر على السفن الاوروبية سويدية واسبانية وبرتغالية وفرنسية . لكن القوات الفرنسية كانت مصرة على تنفيذ أوامر الملك الفرنسي لويس 15، فحاصرت المجاهدين في سلا والمهدية والعرائش، واعترضت السفن الهلاندية والدانماركية التي كانت محملة بالعتاد إلى المغرب وقادتها إلى مدينة "تولون" الفرنسية. وأمام هذه الوضعية عقد السلطان هدنة مع فرنسا سنة 1767 م [41].

وكان لسيد محمد ابن عبد الله أيضا صراع بري ضد الجيش الفرنسي في جنبات أحفير وعلى ضفاف ملوية، في معارك دامت سنوات عدة. وبما أنه كانت لسيدي محمد بن عبد الله علاقة طيبة مع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الاول فقد أرسل اليها بعض السفن الحربية المغربية لتعينها في حربها ضد الروس.

قال أبو عبد الله الدكالي السلاوي "في أرجوزته" أتحاف أشراف الملا "منوها بأسطول المولى محمد بن عبد الله الذي صادفت نهضته فتاوي علماء العصر لبعث الأسطول المغربي لمقاومة الدخلاء وحماية الشواطئ المغربية :

ومصدر الأجفان عدوتا سلا	*	بها تشاد ولديها يعتلى
وبعضها ينشأ بالعرائش	*	ويل لمن لقيها بطائش
وبلغت أجفانه المئينا	*	وكان قصده به مبينا
فتح بلاد الغرب مما قد بقي	*	من الثغور مبهم التطرق
ورد ما يعرض من هجوم	*	على بلاده كمثل الروم
وكان بعضهم تعدى الحدا	*	فهاجم الثغور لكن ردا



أما في عهد خلفه المولى سليمان الذي قضى سنين عديدة في عراك مستمر لاستئصال خصومه الأقوياء (كالودايا وزمور وزعير وآيت يمور وابن مطير واجبالة وآيت عطا)[42] كان الأسطول المغربي أقوى من أساطيل الجزائر وتونس. كان يتألف من "47 قطعة بحرية مجهزة بالمدافع وستة آلاف من البحارة الماهرين" (10 فراكيط، 4 قلعيات، 14 غليونا (سفن شراعية صغيرة). و كان المولى سليمان يبعث برؤساء بحريته من ميناء الرباط وسلا ليعترضوا السفن القرصانية التي تخرج من ميناء آسفي ويغنموها. وكان يزود دار صناعة السفن بالرباط ويفرق الصلات على البحارة ويكسو رؤساءهم بكساوي من الملف ذات الألوان المختلفة. وكان قد اشتهر في عهده بالرمي بالمدافع أبو العباس أحمد عنيقد التطواني الذي كان "عجبا في صناعة الرمي بالمهراس". وفي عهده دارت معركة بحرية بين الأسطول المغربي والأسطول الأمريكي ذلك أنه في أوائل ق 19 م وجهت أمريكا أسطولها لحصار طرابلس فسارع الأسطول المغربي للاعتراض الأسطول الأمريكي، ودام الصراع بين الأسطولين حتى ركن الطرفان إلى المسالمة.

كما شارك الجيش المغربي - في عهده - في رد الهجوم الفرنسي (حملة بونابارت) على مصر. فقد وجه الخليفة العثماني سليم الثالث إلى المولى سليمان سنة 1799 م رسالة يخبره بالهجوم الفرنسي على مصر ويطلب منه تسهيل نقل الذخائر والسلاح عبر مضيق جبل طارق. ولم يقتصر المولى سليمان على ذلك بل ساعده أيضا بمتطوعين مغاربة [43]. وخوفا من هجوم الأسطول الفرنسي على الشواطئ المغربية أمر مراسي المغرب بالإستعداد لجميع الطوارئ وحذرهم من بني الأصفر (نصارى فرنسا). وأرسل الغازي بن المدني على قبائل الشاوية في محرم 1223هـ. وقد استعرض جيوشه يوم عيد المولد، وكان يوما مشهودا. وشيع أن النصارى نزلوا بمرسى تامرغت قرب أكادير. وكان الخبر غير صحيح[44]. وحسب بعض المصادر التاريخية فإن المولى سليمان حل الأسطول المغربي سنة 1818 م، بسبب حروب نابليون وأنزل منه المدافع، ووزع بعض قطعه على الجزائر وطرابلس وذلك لجعل حد لعمليات القرصنة والهجومات السافرة على الشواطئ المغربية[45]، "وتقليصا أيضا للصراع الحربي مع أوروبا".

وفي هذا الصدد استقبل في سنة 1808 م ببستان بوجلود بفاس مبعوث نابليون الأول القبطان "بيريل (Burel) الذي جاء ليقدم امتعاض الأمبراطور الفرنسي من النفوذ الإنجليزي. [46]، والذي كان يامل في إبعاد الوجود البريطاني من المغرب طمعا في احتلال المغرب. وقد ترك هذا الضابط الفرنسي Antoine Burel مذكرة عن نظام الجيش المغربي في العهد السليماني قدمها إلى نابليون سنة 1808 م. تقول هذه المذكرة بأن قوات الجيش النظامي كانت تبلغ 36 الف نصفها من العبيد و 8 آلاف من الودايا، والباقي من طنجة والعرائش وتارودانت والصويرة. وكانت هذه القوات موزعة على جل المدن المغربية تحت تصرف الولاة للمساعدة على استخلاص الجباية بها. وكانت مسلحة ببنادق تقليدية وسيوف ورماح ومدافع صغيرة الحجم تجر بالبغال والجمال. وكان راتب الجنود ضعيفا، ولم يكن لهم زي عسكري رسمي. وكان تموينهم تتكفل به المناطق الخاضعة لنفوذهم. ولاحظ هذا الجاسوس الفرنسي عناية المولى سليمان

بالتحصينات العسكرية في الجهات التي مر منها كفاس ومكناس والقصر والعرائش ووزان وسيدي قاسم وأصيلا. أما الأسطول فلم يكن يتجاوز سنة 1809 م حسب مذكرته - باخرة حربية وأربع بوارج صغيرة و 10 بواخر بالمجاديف... [47].

وكان الشاعر سليمان الحوات (شاعر الدولة العلوية) كثيرا ما ينشد القصائدمحرضا بها المولى سليمان على الوقوف في وجه الزاحفين على شواطئ المغرب وثغوره، بل حرضه حتى على اغاثة أهل وهران وتلمسان لما فتك بهم الأتراك سنة 1203 هـ. وفعلا بعث بجنده وانتصر عليهم.

وفي سنة 1211 هـ (1796)م بعث السلطان المولى سليمان من فاس إلى وجدة عساكره لاسترداد وجدة التي احتلها الأتراك. وكتب إلى الباي محمد باشا ليتخلى عن المدينة المغربية فامتثل الباي ولم يمانع، وترك، المدينة لآربابها وقفلت عساكره عائدة إلى فاس بعد أن تم الجلاء العثماني عن وجدة. [48].

أعمال المولى عبد الرحمان بن هشام الحربية :

أعاد المولى عبد الرحمان بن هشام بعد قضائه على أهل الفتن وأعداء الدولة كأهل زمور وغياثة والشراردة والودايا وآيت عطا تنظيم الجيش المغربي على نسق نظام الجيش التركي تحت إشراف ابنه المولى محمد، وأسند قيادته للضابط "عليا التونسي" وكان يطلق على هذا الجيش الجديد (16000 جندي) اسم "العسكر" أو النظام" [49]. وكان قائده يدعى "بالباشا". وهكذا عين المولى عبد الرحمان "باشا" مكناس وهو القائد الجيلالي بوعزة - قائدا على فيلق مكناس وفرجي "باشا" على جيش فاس وأحمد أهوس "باشا" على جيش سوس[50].

وكان للمرتزقة دور كبير في صفوف الجيش المخزني الجديد فقد قدم من الجزائر إلى المغرب المدعو الملازم عبد الرحمان بن سدرة (Joseph De Saulty)، وأسس داخل الجيش فرقة للمدفعية بمساعدة بعض المرتزقة الفرنسيين. وكان بمثابة المستشار العسكري للسلطان : ينصحه مثلا بالتخلي عن خوض معركة وادي إيسلي. كما أشرف على تأسيس مشور "باب البوجات" بفاس ليكون قاعدة لمناورات الجيش. وكان مرتزقة (اسبانيون وفرنسيون) آخرون فروا من صفوف جيوشهم أو من السجون ليعملوا في صفوف الجيش المخزني. ولكن منذ سنة 1895 م بدأ المخزن يرفض قبول هؤلاء المرتزقة في صفوف جيشه [51] . وقام المولى عبد الرحمان بتحصين فاس بالآلات الحربية وجلب لها المدافع [52].

وفي الميدان البحري أمر المولى عبد الرحمان بإنشاء الأساطيل وضمها إلى أساطيل جده سيدي محمد بن عبد الله وأصدر أوامره لبحارتها (الذين كانوا يستظهرون ورد الطريقة الشاذلية (حزب البحر) ويقومون بتلاوته للتحصن من القراصنة والمعتدين) بالسهر على سلامة السواحل المغربية واعتراض المراكب الأجنبية التي تدخل إلى المياه المغربية. من ذلك أن الأسطول المغربي "اعترض قطعا بحرية لمملكة نابولي الإيطالية وقادها إلى الموانئ المغربية فكان جواب مملكة نابولي الهجوم على العرائش" سنة 1245 هـ.

وأمر المولى عبد الرحمان ببناء الأبراج بثغر الرباط وبإنشاء بعض "القراصين" لتضم ما كان قد بقي من عهد جلالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأذن لرؤساء البحر بالعدوتين في الخروج فيها[53]، فخرج الرئيسان الحاج عبد الرحمان بركاش والحاج عبد الرحمان بريطل وغنما بعض مراكب النامسا. وكان من نتيجة هذا القرار تعرض مرسى العرائش ومرسى سلا لهجوم الأسطول النامساوي (الذي كان يطالب برد السفينة النامساوية " الاسيرة") وجعل حدا لنشاط الأسطول المغربي[54] حيث ان الأسطول النامساوي كان يضرب بمدافعه مدخل الوادي (نهر لوكوس)سنة 1829م ليمنع دخول النجدات من الضفة المقابلة وللظغط على مولاي سليمان لعقد الصلح مع النامساويين [55]. وهذا هو ما كانت تسعى اليه الأساطيل الاوروبية وهو ايقاف نشاط الأسطول المغربي الذي كان يضايقها في عرض البحر[56] وبذلك أصبح رئيس البحر «الذي كان يعتبر قائدا بحريا مراقبا بحريا فقط لأشغال المراسي برا وبحرا ولإيصال السلع الصادرة الى المراكب وإدخال المراكب الى المراسي».

ومن اهتمامه بشؤون المدفعية كان يوجه رسائله الى عماله بالمملكة[57] يحثهم فيها أن يامروا الطبجية وكبار الطلبة منهم بدراسة المدفعية والتدريب على معرفة استعمال المدافع. كما كان يوجه نفس التعليمات الى عمال المراسي المغربية. فقد كان عامل الرباط - مثلا - وبناء على التعليمات السلطانية - "يخرج بعد صلاة العصر من كل يوم الجمعة بهيئته الرسمية الى خارج المدينة عند المصلى القديم قرب ضريح سيدي عيسى ومعه باشا الطبجية لاجراء التمرينيات على الرماية بالمهراس. وكان شيوخ الرماة أحد عشر شيخا. لكل واحد عدة تلاميذ يدربهم على الرماية ويأمرهم أن يقولوا في أول عملهم : "ان ذلك بنية الجهاد في سبيل الله". كما كان فريق "المصاقرية" - وهم المتمرنون على الضرب بالسيوف - يقومون بتمارينهم بواسطة العصي وكان التدريب يجري بقيادة باشا الظبجية [58]. كما بعث السلطان العلوي الى عامله بتطوان القائد محمد أشعاش يطلب منه فيها أن يدرج المهاجرين الجزائريين من بحرية وظبجية والعارفين بصناعة البنب والكورة والمدفع والمهراس في حظيرة صفوف الجيش المغربي. كما بعث الى قواد الحاميات العسكرية رسالة يحذرهم فيها من هجمات الأسطول الفرنسيي ويحظهم على اليقظة والاستعداد لمواجهته[59]. ولتعزيز أبراج سلا بالمدافع أرسل سنة (1858م) سفيره في لندرة عبد الله بن محمد بن العربي فنيش السلاوي لاقتناء 17 مدفعا ومدفعين كبيرين من النحاس وعدة تجهيزات عسكرية[60]. وأخيراً أمر المولى عبد الرحمان بتوجيه مجموعة من الطلبة إلى أوروبا ليتعلموا ما "يكفي من ذلك وما يحتاج إليه في علم الهندسة وكيفية حرب النظام". وكان محمد علي (حاكم مصر وواليها) بعث الى السلطان مولاي عبد الرحمان كتابا تناول فيه فكرة الاصلاحات العسكرية عن طريق قنصل المغرب بجبل طارق. كما وصلت مجهودات "محمود الشاني" الإصلاحية إلى سلطان المغرب من خلال وزيره ابن ادريس وبواسطة قنصل أبريطانيا "هاي"[61].

هذا وقد أنشد أحد الشعراء قصيدة في وصف الجيش المغربي في عهد السلطان المولى عبد الرحمان، يقول منها :

وان ذكرت جيوش النصـر طـرا	✯	فهو لهـا المقدم والإمــام
يريـك إذا نظـرت لـه صفوفـا	✯	لها بالنصر جد واهتمـــام
تطيـر لهـا قلـوب الأسد خوفـا	✯	ويفزع عند رؤيتها الحمـــام
فعند الرمي تصلي الجو نـــارا	✯	وعند الضرب ينذف الحســام
وإن صفـــت فتحسبهـا بنـاء	✯	شديد الرص رصه انتظـام
وإن نطـقـت فبـرق أو رعـــود	✯	كساها من ملابسه الظــلام
وإن ســارت لحـــرب فـالمنـايـا	✯	تسير وطبعها جثث وهـــام
فقـل للديـن جـاء النصـر فاهنـأ	✯	ولا تجزع فقد نظـم النظـــام
وفاق نظــام جندك كل نظم	✯	وهل تحكي أسودهم الرئـــام
فعـن قـرب يكسر جيش كسـرى	✯	وترشق في قياصـره السهـام
فطـب نفسا بجنـدك فهو جنـد	✯	به الكفـار طـار لهم منـام

(ذكر ابن زيدان أن هذه القصيدة لشاعر مشرقي اسمه يوسف بن بدرالدين المدني ورد على المغرب).

ويقول الوزير ابن ادريس (في مقامة له) في وصف هذا الجيش العتيد : كنت منتظما في سلك كتابها (الدولة العلوية)، ومعهودا في خدمة أعتابها، وصحبت ركاب مولانا العلي العلوي (المولى عبد الرحمان) وجيشه المنصور المولوي في احدى قدماته من الحوز في سفر أسفر طالعه عن وجه الظفر والفوز

في عسكر ملا القلوب مهـابة	✯	والأرض خيلا بالعوارق يفهق
للفتـح والتمكين فيـه دلائـل	✯	وعليه ألوية السعادة تخفق

نهض لها أيده الله لمعهـود العناية ناشر والرعب يقدم جنوده، والسعـد ينشر الويتـة وبنوده والنصر تحت ظلال أعلامه، والجيش المنصور بحر متلاطم الأمواج يسير فيملأ الفضا ويغض الفجاج ويقيم فيكون هالة على بدر سعود وشرف وسور حفظ لا يوجد له طرف قد رصت صفوفه وتعددت ألويته وتنوعت أجناسه وصنوفه.... والخيل تسرح في أعنتها وتمضي في الخيلاء على سنتها، قد حليت من الأسلحة بما راق وراع وأعجز وصفه ألسن اللسن وأسلة اليراع [62].

(1) من مآثر المولي رشيد العسكرية : سور قصبة الاوداية بالرباط ذات الموقع الاستراجي، والقشلة" (السجن العالي) « التي عززها ب 30 مدفعا تتجه فواهاتها الى البحر في رقابة موصولة صارمة».

(2) د. محمد حجي : "الجيش والاسرى في كتابات مويط" (جامعة مولاي على الشريف الخريفية - الدورة 2 الريصاني دجنبر 1990).

(3) د. عبد الله العمراني : »مولاي اسماعيل بن الشريف» ص 106-108.

لقد انتهج السلاطين العلويون طريقة النظام القبلي في تكوين الجيش المغربي حيث تم استقطاب الجنود من قبائل تسمى "قبائل الجيش" وهي القبائل التي تقطن أراضي مخزنية وتعفى من الضرائب مقابل خدمتها العسكرية وذلك كجيش الشراكة في (عهد المولى رشيد) وجيش الوداية في عهد المولى محمد بن عبد الله والمولى اسماعيل. (انظر : تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب لأكنوش ص 125-128).وعند دخول الجيوش الفرنسية الى المغرب كانت أربع قبائل وهي : الودايا والشراكة والشراردة والبخارى تكون "الجيش" الذي كان الجيش الحربي الموالي للمخزن. (عن تاريخ الگيش ومراحل تكوينه عبر الدول انظر :

"Les Guichs Marocains" du Capitaine Delmas Fort - Documents du Centre des Hautes Etudes Administratives, sur l'Afrique et l'Asie Modernes Université de Paris (n 16660).

(4) لما تشكل هذا الجيش - يقول احمد الناصري - وظفر مراده (المولى اسماعيل) بعصبيتهم واستغنى بهم عن الاستنصار بالقبائل بعضهم على بعض جمع اعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم : "أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله (صلعم) وشرعه المجموع في هذا الكتاب. فكل ما آمر به نفعله وكل مانهى عند نتركه، وعليه نقاتل فعاهدوه على ذلك وأمر بالاحفاظ بتلك النسخة وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم كتابوت إسرائيل". تم اعطاهم الخيل والسلاح وولى عليه قوادهم وبعثهم الى "محلاتهم"، وسجلهم في ديوان الجيش" ليصبحوا خاضعين لنظام دقيق يحفظ هيبة الجيش ويحميه من العبثية والانحلال". (انظر تفاصيل ذلك في الجزء السابع من كتابه الاستقصا للناصري ص 56 وما بعدها. (مطبعة دار الكتاب).

وتحدث بعض المؤرخين الأجانب عن تنظيم عسكري خاص ضمن جيش البخاري يدعى : "قواد روسهم" وهم عبارة عن فريق من الضباط السود كانوا يقيمون بمكناس ليست لهم أي مسؤولية محددة وإنما هم دائما لتنفيذ أوامر السلطان كيفما كانت صيغة هذه الأوامر. (محمد المهناوي : التنظيم العسكري في عصر المولى اسماعيل (إشكالية المصدر) دراسات تاريخية مهداة لجرمان عياش (طبع كلية الأداب بالرباط 1994 ص 98)

(5) للمزيد من المعلومات تجب مراجعة بحث كتبته السيدة Magali Morsy وعنوانه :

"Moulay Ismaïl et l'armée de Metier" (Revue d'histoire Moderne et Contemporaine) Avril - Juin 1967

والرسالة الجامعية للباحثة Patricia Meuer بعنوان : "التطورات السياسية والعسكرية بالمغرب خلال العهد العلوي الاول (1659-1727) (جامعة لندن 1974). والفصل الخامس من كتاب عبد الله العمراني عن " مولاى اسماعيل بن الشريف - حياته - سياسته مآثره (1978).

- انظر : بحث محد بن عبد العزيز الدباغ عن "تنظيم جيش البخارة في عهد المولي اسماعيل بمجلة دعوة الحق (مارس 1980).

ومجموعة من الرسائل الفاسية صادرة عن المولى اسماعيل في موضوع هذا الجيش (مجلة تطوان 1962 – وهسبريس 1962)، ودفاتر وفتاوي متعلقة بجيش البخارى بالخزانتين العامة والحسنية، وكتاب :

"Les Débuts des troupes noires au Maroc" de Delafosse - Hesperis t : III 1923), وأطروحة لحسن أغـزادي عن : L'œuvre Militaire de My Ismaël" (1970)، ومحاضرة بعنوان : "أهمية التنظيم العسكري خلال العصر الأول" أو التنظيم العسكري وعلاقته بالمجتمع في العصر الاسماعيلي للدكتور محمد المهناوي (التي أشار فيها إلى بعض الدراسات الأجنبية في الموضوع في اطروحة أنجزت عن جيش العبيد بأمريكا 1974، وأخرى أنجزت بانكلترا، وقد طغت عليهما وصف الاحداث السياسية) – [الدورة الثانية لجامعة مولاي علي الشريف بالريصاني عن تاريخ العصر العلوي الأول – دجنبر 1990] ومخطوط لمؤلف مجهول : "جني الأزهار ونور الأنهار من روض الدواوين المعطار"بالخزانة الحسنية، "والتنظيم العسكري في العهد الاسماعيلي" (إشكالية المصدر) محمد المهناوي (العلم الثقافي) 29-5-93. الخ...

(6) انظر القصيدة في كتاب محمد الصغير اليفرني : "روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف "ص 62.

(7) *عبد العزيز بن عبد الله : "مظاهر الحضارة المغربية" ج 1 ص 39 (انظر كذلك : القوام العسكري في الحضارة المغربية* لنفس الكاتب - مجلة المناهل عدد 12).

(8) كودار : وصف وتاريخ المغرب ج 1 ص 153.

(9) عبد العزيز بن عبد الله : محاضرة حول تاريخ الفن المغربي. (هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان المولى اسماعيل قسم المغرب الى 3 مقاطعات عسكرية تافلالت - مراكش - فاس).

(10) د. عبد الله العمراني : مولاي اسماعيل الشريف ص 60.

(11) المهدية هي المعمورة الآن وسميت المهدية نسبة الى المهدي بن تومرت وكانت مأوى للسفن البحرية. وقد درات معركة في شأنها بين الوطاسيين بقيادة محمد الوطاسي (البرتغالي) والقوات البرتغالية أدت الى اغراق كثير من الجنود ومالبث ان احتلها البرتغاليون سنة 1517م ثم انتقلت الى المغاربة تم استردها البرتغاليون ثم رجعت مرة اخري الى المغاربة ثم انتشلها منهم الاسبانيون 1614م وبقيت في ايديهم إلى ان تم تحريرها على يد المولى اسماعيل.

(12) يرجع تاريخ طنجة الى ما بعد سنة 2000 قبل الميلاد. قد عرفها الفينقيون والقرطاجنيون وكانت من أهم المراكز التجارية في البحر الأبيض. استولى عليها الرومان سنة 105 ق.م. وكانت عاصمة مستعمراتهم بشمال افريقيا. وتعرضت لغزو الونداليين والبزنطيين. وبعد الفتح الاسلامي كانت القاعدة التي عبرت منها الجيوش المغربية البحر إلى الاندلس. وقام صراع عظيم بين المغاربة والاوروبيين للسيطرة على مضيق جبل طارق وكانت طنجة وسبتة وجبل طارق محورا لهذا الصراع. تم استولى عليها البرتغاليون سنة 1471م. والاسبانيون سنة 1580م واستردها البرتغال سنة 1640 م الى سنة 1666م بعد معارك طاحنة دارت في مياهها وفي ضواحيها. ولما تزوج ملك الانجليز تشالز II من كاترين البرتغالية قدمت البرتغال طنجة كهدية للانجليز. وقد عين الانجليز حاكما عسكريا فيها اصطدم كثيرا "بغيلان" الذي عزم على تحريرها. وفي سنة 1663م. عين الانجليز حاكما عسكريا آخر اشتبك في قتال عنيف مع القبائل التي كانت تحيط بطنجة ودارت الدائرة على الانجليز فتزعزع وجودهم بها وخصوصا بعد ان جلس على عرش المغرب المولى اسماعيل وعقد العزم على استردادها. وفي سنة 1684م، تم جلاء الانجليز عنها واستبدلها بجبل طارق سنة 1704م : وتعرضت طنجة لقنبلة الأسطول الاسباني في يوليوز 1791 (انظر وصفا لهذا في كتاب: Jean Potocki le Voyage dans l'empire du Maorc Varsovie " (1791)(أعيد طبعة سنة 1960). ولقد كتب قائد الجيش البريطاني الذي خسر طنجة سنة 1685 (حسب المصادر البريطانية) منوها بالقوات المغربية التي كانت تقاومه، ومما جاء في كلامه أنه لم ير أبدا رجالا أشجع من المغاربة في ساحة الحرب ولاشعبا من الشعوب أكثر يقظة واقداما .وصبرا وقدرة على العمل من الشعب المغربي.وحاولت فرنسا احتلالها بعد أن غارت عليها قطعها البحرية سنة 1699م. ولم تتوقف عنها الغارات البحرية الفرنسية إلا في سنة 1884 تم تحولت الى ميدان الصراع السياسي بين فرنسا وانجلترا الذي انتهي بمعاهدة ابريل 1904 بين الدولتين. وتم الاتفاق في مؤتمر لندن بينهما سنة 1923 أي بعد فرض نظام الحماية على المغرب ب 11 سنة ان يطبق فيها النظام الدولي الذي ألغي بعد الاستقلال بمقتضى اتفاق 5 يونيه 1956 بين المغرب ولجنة المراقبة الممثلة لكل من امريكا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا وانكلترا وهولاندا والبرتغال. وفي 29 اكتوبر 1956 ألغي محمد الخامس رحمه الله النظام الدولي لطنجة. (الاستاذ عبد المجيد بن جلون : «طنجة في وجه العواصف » (بتصرف) - مجلة الباحث السنة 3 ع : 3 - 1974).

(13) يذكر أحمد بن عبد العزيز العلوي المدغري - وهو مؤرخ معاصر للعهد الاسماعيلي في كتابه "الانوار الحسنية" (ص 92) أن العسكر الاسماعيلي بدأ بالحفير قرب "ساقية بوليف" فانحدر الماء وانعكس لموضع بقرب "وادي اليهودي" واشتغل العسكر بالحفير الى أن بلغوا الأبراج وهدموها بالبارود وزادوا بالحفير حتى بلغوا قصبة مرشان فدخلوها وفر من كان بها الى طنجة...

(14) يرجع عهد تأسيس هذه المدينة الى عهد جارتها ليكسوس الفينيقية. كانت مدينة عامرة الى أن غادرها أهلها لما احتل البرتغال طنجة وأصيلا سنتي 1471 م (875 هـ) و 1472 م (876 هـ). وقد اعاد اليها الحياة الملك الوطاسي محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي وجدد حصونها حتى لا يطمع فيها البرتغاليون وبنى بها قلعة اقام بها جنودا مسلحين بأقواس فولاذية وبالبنادق مع جيادهم. واحتل البرتغال العرائش سنة 710 هـ (1504 م) فحصنها وبنى قصبتها. وأدى التنافس بين المولى زيدان السعدي وأخيه محمد الشيخ المامون على العرش الي سقوطها في يد الاسبان وظلت كذلك الى سنة 1610 م إلى أن سار إليها الجيش الإسماعيلي وفتحها، وذكرت بعض المصادر الإسبانية أن ملك فرنسا لويس 14 أعان المولى اسماعيل على فتح العرائش لما حاصرها من جهة البحر بخمس "فراگط" (د. عبد الله العمراني : مولاي اسماعيل بن الشريف ص 81-82). ويذكر المؤرخ ابو العباس بن ابراهيم المراكشي في كتابه "الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام" أن جده نظم قصيدة في فتح العرائش يقول في مطلعها :

علا عرش دين الله كل العرائـــــــش — وهد بنصر الله حصن العرائش

الى أن يقول :

أباد حصون الكفر بالسيف والقـــــنا — وما أذعنت لقبله لمباشش

فسل غاوي معمورة عن فتوحه — وسل طنجة من قبل هذي العرائش (ج 3 ص 67 و 68)

(15) لقد استفاد ابنه المولى عبد الله - (الذي كان يستعرض جيشه دوما برأس الماء). من هذه المدافع عند حصاره لمدينة فاس. ولما قبض على محلة المولى المستضيء وأحمد الريفي خزن تلك المدافع والمهاريس والكور والبمب و 300 برميل

من البارود بدار الدبيبغ بفاس. وكان المولى اسماعيل يعهد الى الاساري المسيحيين باستخدامها وبصناعة المتفجرات.

(16) يرجع بعض المؤرخين عهد هذه المدينة الى العهد الفينقي والبعض الآخر الى عهد القرطاجني وبعضهم الى العهد الروماني. فلما غزاها مروان بن موسى بن نصير سنة 91 هـ (710م) ترك بها حامية من 10000 جندي. وقد ازدهرت في عهد الادارسة ونزل بها سنة 1264م اسطول بني العزفي حكام سبتة، وجعل منها ابو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي عاصمة موقتة لملكته واحتلها سنة 1471م 875 هـ الملك الفونسو V ملك البرتغال الملقب بالافريقي بمساعدة 100 سفينة وآلاف من الجنود. وشن السلطان الوطاسي محمد البرتغالي عليها هجوما هدم جزءا كبيرا من أسوارها وحرر الاسارى المغاربة. وبعد تحصينها من طرف البرتغاليين صعب استردادها حتى قام المغاربة بمحاولة ناجحة واستردوها سنة 985هـ (1577م) حتى احتلها الملك سيباستيان البرتغالي تم تحررت بعد انهزامه وفرار البرتغاليين عنها سنة 1589 م. وألف أدولفو خيبفارا وهو برتغالي ولد وتربى وعاش بأصيلا كتابا عن تاريخ أصيلا إبان الاحتلال البرتغالي لها في القرنين 15 و 16م. فتحدث في كتابه عن احتلال البرتغال لأصيلا وعن الحروب التي شنتها ضد حاميتي شفشاون وعن حراكاتها مع الوطاسين للاحتفاظ بالمدينة وعن اسوار أصيلا وعناصر الدفاع عنها خارجيا وداخليا وعن الوظائف العسكرية المغربية بالمدينة (كالقائد الأكبر للمدينة والعدل ورئيس الفرسان ورئيس المدفعية، والمقدمين) وكان سلاح الجيش المغربي القوي هو الفرس في هذا العصر ترجم فصوله الى العربية الشيخ بن عيسى عبد الكبير العيساوي في كتابه عن "أصيلة الماضي والحاضر". نشر جمعية المحيط الثقافية (1989م).

(17) بعد الفتح الاسلامي كانت سبتة تارة تحت النفوذ العربي وتارة تحت النفوذ البربري. تم صارت تحت امرة الادارسة. وبعد ذلك أصبحت تابعة للنفوذ الاموي. وبعد سقوط الامويين كانت تابعة للسلطة المرابطية تم الموحدية تم المرينية. وفي القرن 12م كانت بعض البواخر الايطالية ترسو بمينائها وكان بعض التجار من مرسيليا يقطنون بها وتحدثت بعض الوثائق الاسبانية ان البرتغال حاولوا الاستيلاء على سبتة سنة 1180م بدون جدوى، وكذلك سنة 1981، ولكن الأسطول المغربي المرابط بسبتة بقيادة عبد الله بن جامع رد هجوم الأسطول البرتغالي ودحره وغنم 20 سفينة منه. تم اعادوا الكرة سنة 1234م ورد هجومهم الخليفة الموحدي عبد الواحد الراشد بعد تحالفه مع دولة جنوة لقوة أسطولها. (محمد بن عزوز حكيم : "الجيوب السليبة" عدد 1-1988). وفي ق.17 بنى بها المرينيون منشآت عمرانية. وفي سنة 1415م احتلها البرتغاليون بأسطول بلغ عدد بوارجه 200. ذلك أن الملك البرتغالي قاد حملة بحرية عظيمة سنة 1415م احتل فيها مدينة سبتة التي كانت تحت آمرة صالح بن صالح (كما وجه خلفه حملة مماثلة لاحتلال طنجة سنة 1437) ولكن القوات المغربية استطاعت أن تفشل هذه الحملة وتجبر القوات البرتغالية على التفاوض. واشترط المرينيون الانسحاب من سبتة ورهن البرتغاليون على ذلك "دون فرناندو" أحد الاخوين الذين شنوا الحملة على طنجة عن طريق البحر. ولكن البرتغاليين لم يفوا بالعهد وبقي الأمير البرتغالي سجينا بفاس حتى توفي سنة 1443م. وبعد معركة وادي المخازن وما آلت اليه احتلها الاسبان. وما بين سنتي 1673 و 1689 م كانت محاصرة من قبل الجيش الاسماعلي وأثناء هذا الحصار الطويل جرت بين الجيش الاسماعيلي والجيش الاسباني عشر معارك (انظر تفاصيلها في مجلة الجيوب السلبية" عدد 1 (1988) من ص 101 الى ص 105. تم حاول إستردادها المولى عبد الله سنة 1732 م، كما حاصرها المولى يزيد للاستيلاء عليها سنة 1791م الى ان احتلها الانجليز سنة 1801، ولكنهم جلوا عنها لصالح الاسبانيين. هذا وقد وجه بعض علماء فاس رسائل جهادية الى المجاهدين المحاصرين لمدينة سبتة سنة 1720م باذن من المولى اسماعيل يستأثرون فيها المجاهدين ويشجعونهم على الصمود في وجه عدوهم ومواصلة الحصار مشيدين بماضي سبتة العلمي والديني والحضارى (انظر تفاصيل بعض هذه الاحداث في تعليق لمحمد ابن ابراهيم الكتاني على هذه الرسائل بمجلة "الثقافة المغربية" عدد 1 - 1971).

(18) يبتدأ تاريخ هذه المدينة حوالي القرن 10 الميلادي بنى أسوارها الأمير الاموي عبد الرحمان بن ناصر. حل بها الأدارسة والمرابطون والموحدون والمرينيون. وبذلك صارت بمثابة ميناء البحر المتوسط لمدينتي فاس وتازة اللتين عقدتا معاهدات تجارية وسياسية مع اسبانيا وايطاليا. وفي القرن 15 احتلها الاسبان سنة 1497م (بعد سقوط غرناطة بسنوات قليلة). ودامت محاصرتها مدة أربعة قرون. وحاول الأتراك الاستيلاء عليها لذى هجومهم على المغرب سنة 1558م وقد هاجمها الجيش المغربي عدة مرات لاستردادها : فحاصرها المولى اسماعيل سنة 1694 وسنة 1715م ونشر السيد حسن الفكيكي تقاييد لابن القاضي القلعي عن واقع الازمة التي عاشتها مليلية خلال عهدي المولى رشيد والمولى اسماعيل نتيجة الدعم الذي قدمه العاهلان للمجاهدين المتركزين بالقلع (دعوة الحق عدد 258 سنة 1986) (انظر تقاييد متعلقة بالجهاد حول حصن امليلية سنة 1668 و 1684 بالخزانة الحسنية رقم 2873). وهاجمها المولى محمد بن عبد الله في سنة 1774 من مدينة الناضور (التي اقام فيها قيادة عملياته) وأحكم عليها الحصار سنة 1775م. كما حاول استردادها المولى الحسن الاول. وكان هجوم القبائل المجاورة على التحصينات التي أقامها الاسبان بسيدي ورياش سببا في ضراوة الحرب في عهده. وقد وقع عن المغرب محمد بن المفضل غريط مع الاسبان اتفاقية لإيقاف المعارك. وفي الحرب الريفية دفعت جيوش الخطابي الجيش الاسباني الى داخل المدينة سنة 1125 وكادت أن تستردها ولكنها عدلت عن ذلك لأسباب اقتصادية (انظر أيضا في هذا الصدد : "المقاومة المغربية للاحتلال الاسباني لسبتة ومليلية لعبد المجيد بن جلون-الملحق الثقافي للاتحاد الاشتراكي). وبالاضافة الى سبتة ومليلية احتلت اسبانيا بعض الجزر الصغيرة قبالة سواحل الريف منها :

- الجزر الجعفرية او جزر ملوية (عددها : 3) وهي بمثابة حماية خلفية لمليلية. وقد طالب الفرنسيون بهامنذ احتلال

الجزائر. لكن الاسبان تمسكوا بها منذ احتلالها سنة 1775 م. - حجرة نكور (أو جزيرة نكور) قبالة الحسيمة، احتلها الاسبان سنة 1673م، قامت بشأنها حروب عديدة بين المغاربة والاسبان - حجرة باديس : استولى عليها الاسبان سنة 1508م وأقاموا بها تحصينات عسكرية. (جريدة العلم - 3 فبراير 1975).

(19) كانت جزيرة باديس محل صراع بين قراصنة الأتراك وقراصنة الاسبان للاستيلاء عليها لمكانها الاستراتيجي الحربي حيث كانت صلة الوصل بين مدينتي فاس وتازة وبين الأندلس. وقد احتلها الاسبان سنة 1508 م وحصنوها تم انتزعها الأتراك منهم سنة 1522م. وعندما احتلها الاسبان للمرة الثانية طردوا منها الحامية التركية تم استردها للمرة الثانية صالح الرايس التركي حاكم الجزائر سنة 1555م في عهد ابي حسون الوطاسي. ولما انهزم الأتراك أيام محمد الشيخ السعدي وخلفه الغالب بالله في وادي اللبن فروا وتحصنوا بالجزيرة. وفي سنة 1566 استردها فيليب II الاسباني من الأتراك بأسطول بحري ضخم، وذلك لقطع الطريق امام الاسطول التركي. (أحمد البوعياشي : بحث تاريخي عن احتلال جزيرة باديس - دعوة الحق - نونبر 1975). وفي العهد الاسماعيلي توجه القائد علي بن عبد الله الى ثغر باديس وحشر قبائل الريف حولها ونصبوا السلالم واقتحموا المدينة. ولكن الاسبان أعادوا الكرة واستولوا على الحصن الى الآن وبقوا قابعين به رغم تغير استراتيجيته العسكرية. كما احتل الاسبان جزرا أخري : جزيرة نكور سنة 1673 وجزر كبدانة سنة 1848 (لما حاصر سيدي بن عبد الله مليلية) وجزيرة البرهان في نفس السنة ومدينة غساسة (دام احتلالها من سنة 1506 الى سنة 1533) (انظر سبتة ومليلية في عهد الحماية لمحمد ابن عزوز حكيم ص 19).

وعن تفاصيل احتلال هذه الجيوب وحصاراتها انظر مجلة "الجيوب السليبة لمحمد بن عزوز حكيم ابتداء من عددها الأول (دجنبر 1988)، والباب السابع من كتاب "المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف" لعبد الرحمان بن زيدان في فتوحات المولى اسماعيل.

هذا وقد قام المسيحيون بالاستيلاء على الشاطئ المتوسطي المغربي انتقاما منهم للمغرب الذي ساعد المسلمين في فتح الأندلس، وللحيلولة دون قيام المغرب مرة أخرى بنصرة إخوانه المسلمين الذين ظلوا بالأندلس، وأخيرا لمتابعة حملتهم الصليبية ضد الاسلام بأرض المغرب. وقد بلغت هجوماتهم على هذه الجيوب ما يزيد على عدد المائتين.

(20) جاء وصف هذه الدار في مذكرات أحد الرحالة الانجليز أثناء حضوره الى مكناس بمناسبة قدوم بعثة انجليزية للمفاوضة مع المولى اسماعيل في شأن مبادلة الأسرى سنة 1721م (عبد الرحمان بن زيدان : الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة. ص 100 - 101) وقد أنشأ المولى اسماعيل وزارة " البحر" وعهد اليها بمعالجة شؤون أسرى الحرب. هذا وقد أسر المولى اسماعيل كثيرا من اسارى الحرب ومن القراصنة وقد بنى لهم سجنا عام 1673م، وقد صمم ذلك السجن مهندس برتغالي يدعى "قارة" وكان تشييده للسجن مقابل إطلاق سراحه. وتبلغ مساحة السجن 7 كلمترات مربعة تحت الارض. وكان للسجن 4 أبواب كل باب في اتجاه مدينة من المدن الآتية : الرباط - فاس - الحاجب- مولاي ادريس - وكان السجناء يخرجون من هذه الابواب حتى لايراهم أهل المدينة ليعملوا في النهار ويعودوا منها ليلا.

(21) اعاد عبد الله الاول بن اسماعيل تنظيم الجيش بعد وفاة والده ليهاجم به سبتة ومليلية وكان يزور بنفسه طلائع الجيش والنقط الاستراتيجية الهامة من البلاد. وقد قام المولى عبد الله بحصار بعض الثغور المغربية واسترجع آنفا سنة 1741م او "كازبلانكا" كما كان يسميها البرتغال والاسبان. وقد أسند قيادة الجيش لاحد المغامرين هو "الدوق ريبردا" دي الاصل الهولاندي والجنسية الاسبانية (د.ع. العمراني - دعوة الحق مارس 73).

(22) "Cet effectif se répartissait comme suit : 200 artilleurs et 200 marins à Safi, 500 gardes noirs à Azemmour, 2.000 artilleurs et marins dans les provinces ; 2.500 gardes noirs à Mehdia, 1.500 artilleurs, soldats et marins à Larache, 3.600 rifains à Tanger, 800 à Tétouan entre soldats, artilleurs et marins et 1.200 hommes de troupes dans les régions du Sahel.
Le nombre global des soldats défendant les forteresses, atteignait 16.500. Ces soldats percevaient, trimestriellement, 30 oukiya chaun, à titre de solde militaire».

(23) تنسب منظومة حربية لابن سيدي محمد بن عبد الله - على ما يعتقد - ذكر فيها آداب الحرب وفنونها وبلغت 72 بيتا منها :

الحرب قد عز الحرب من قدم ... فالحق بالحرب أضحى ثابت القدم
لاتبدرن الاعادي بالوعيد لهم ... واكتم وثب كوثبة الضيغم الضرم
وكن عليما بآداب الحروب ولا ... بغير حق تكن فيها بمقتحم
واقعد عن الحرب ما استطعت القعود فإن ... قومت في واجب من أمرها فقم

(24) هاشم المعروفي : "عبير الزهور في تاريخ الدارالبيضاء" ج 1 ص 163

(25) محمد بن سعيد الصديقي : "ايقاظ السرية لتاريخ الصويرة" ص : 23.

هذا وقد أحدث المولى محمد بن عبد الله - على ما يحتمل - ضريبة خاصة يخصص مدخولها لنفقات الجيش بدليل وجود مخطوط بالخزانة العامة (د 2201/2) ألفه عبد الرحمان بن ادريس الحسني المنجرة جوابا على استشارة السلطان في الموضوع.

(26) ابن قاسم المراكشية : "الحلل البهيجة في فتح البريجة"

(27) الناصري : الاستقصا ج 8 ص 35

والجدير بالذكر أنه لما كانت السنة الثالثة من ملكه تفقد جيش العبيد بمكناسة وقصد تطوان وسبتة وتحقق من حصانتها ومناعتها تم أم مدينة طنجة وأمر حاكمها بإنشاء السفن الحربية وتوجه الى العرائش وأنزل بها جيشا من عبيد مكناسة وأسند القيادة لعبد السلام بن هروعدي. تم عاد الى الرباط وأمر ببناء الحصون الحربية استعدادا للهجمات البحرية وأمر بها بانشاء سفينتين احداهما باسم الرباط والاخرى باسم سلا، وأمر أهل آسفي بشراء الادوات التي تتوقف عليها المراكب البحرية. (احمد بن المهدي الغزال : نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد - تحقيق الفريد البستاني).

(28) الناصري : الاستقصا ج 8 ص 40 انظر تفاصيل حصار مليلية من طرف سيدي محمد بن عبد الله ما بين سنوات 1774 و 1775 م في يوميات الاسباني فرانسيسكو سباستيان ميزاندا - ترجمها حسن الفكيكي في مجلة المناهل عدد 37 ص 235. وفي هذه اليوميات اورد صاحبها وصفا لهجومات الفيالق المغربية وقصفهم الحصن بواسطة قذائف وبطاريات المهاريز وحفرهم للخنادق حوله ودخول المراكب البحرية الاسبانية للميناء الخ...

وعرب أيضا د. حسن الفكيكي يومية الاسباني خوان كبيير بكتاب : "سيدي محمد بن عبد الله وقضية امليلية المحتلة 1774-1775 » (المطبعة الملكية 1996) ويستنتج منها أن عدد الجنود المغاربة المحاصرين لامليلية كان يتراوح مابين 2000 و 3000 محارب (من بينهم فيلق من رجال الريف)، معززين بقوة هجومية مؤلفة من 27 من المهاريس والأنفاض و 17 قطعة مدفعية وبالطبجية والبونجية...

وكان القصف لايفتر حول المدينة والتحصينات الإسبانية بقيادة القائدين عمر القيطوني وسيدي بوطيب. وقد أظهر هذا الحصار المغربي خطة حفر الانفاق والخنادق للتوصل إلى قصف الأبراج الاسبانية الخارجية...

(29) كانت مدينة الرباط مكان تجمع الجيوش المتوجهة الى الاندلس طيلة عهد المرابطين والموحدين والمرينيين وقد بنى بها يعقوب المنصور الموحدي مسجد حسان تلبية لحاجة المجاهدين والمتطوعين المتوجهين الى الاندلس والمرابطين "برباط الفتح" لجامع كبير يجمعهم وقت الصلاة. وقد شرع في بنائه بعد انتصاره في موقعه الأرك بالأندلس. "فجاءت العبادة في حجم انتصاره". وكان من ميناء الرباط تخرج الأساطيل البحرية الأندلسية للإغارة على المسيحيين الاسبان. وكانت هذه الأساطيل تصنع من خشب جامع حسان ومن خشب الغابة المجاورة بمعمل السفن البحرية واستمر الرباط معسكرا للجهاد حتى في عهد أبي سعيد المريني الذي كان أول من أسس أسطولا بحريا في دار الصناعة بسلا. وكان ميناء الرباط أيضا مأوى للسفن كلها في أيام الشتاء كما شاهد ذلك الأمير "مويط" وكان أهلها يشترون المواد الحربية من هولاندا وانكلترا وغيرها. وكان الرباطيون في طليعة رجال البحرية، وظلت مدينتهم زمنا طويلا معقلا للجهاد لا معقلا للقرصنة (من تاريخ الرباط : بين الجهاد والقرصنة - اللقاء -عدد 13) "وفي الفترة الأندلسية كثرت بالرباط المباني الاستراتجية كبرج القراصنة الذي تنحدر درجه من القصبة الى الوادي معززا بـ 76 مدفعا مع حامية قدر رجالها ب 1500 سنة 1622م" (ع. بن عبد الله : "التطور الحضاري في مصب أبي رقراق" - مجلة المناهل - عدد 10).

(30) اشتهر الرحالة ابو القاسم الزياني كقائد ماهر للجيش فقد طلب منه المولى محمد بن عبد الله أن يكسر شوكة عمه الحسن بن اسماعيل. ففعل ونجح في مهمته فجاء الحسن الى مكناسة ومعه "أولاده الثلاثة وعدد من المدافع والمهاريس والقذائف وطائفة من الطبجية الألمان وألف من عسكر الثغور". تم وجهه السلطان الى الغرب لياتيه بجيش من عبيد الثغور فنجح في ذلك أيضا. وقد تقلد مناصب هامة فولى عشرة مدن ودرب جنود الملك وتولى منطقة تافلالت العسكرية.

(31) عبد العزيز بن عبد الله : «كيف بدأ التصنيع في المغرب» (نقلا عن كودار ج 1 ص 147). وانظر كذلك "تأملات في الفكر الاصلاحي العسكري لسيدي محمد عبد الله للاستاذ محمد المهناوي بكتاب : "أشغال الدورة الثالثة لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية حول عهد سيدي محمد بن عبد الله" - مركز الدراسات والبحوث العلوية (الريصاني - دجنبر 1995).

(32) أنظر تفاصيل ذلك في الاستقصا للناصري ج 8، ص 61.

وذكرت بعض المصادر الأجنبية (كتاب السفير الدنماركي لدى سيدي محمد بن عبد الله) ان تجهيزات الاسطول المغربي في عهد سيدي محمد بن عبد الله كانت على الشكل التالي : 1er Batiment

Fregate deux ponts. 1er Bateau de la Flotte

2em Batiment

Commandé par le Slaoui Hadj Ibn Hassoun Aouad comprenant 150 marins et 24 canons,

3ème BATIMENT

Commandé par Larbi Al Mistiri, commandant du "Rabat" et ambassadeur du Sultan à Londres,

comprenant 130 Marins et 20 canons

4ème BATIMENT

(Le sonbouk) commandé par Mohamed Es Solhi il comprend 122 marins et 16 canons.

5ème BATIMENT

(Le Sonbouk également) Commandé par Omar Alej, chrétien converti à l'Islam. Ce bâtiment comprend 124 marins et 16 canons.

6ème BATIMENT

Commandé par Youssef Trabelsi et comprend 120 marins et 12 canons.

7ème BATIMENT (Kalyouta)

120 marins et 8 canons.

Commandé par Chérif Ibn Kalouâ, il comprend 120marins et 8 canons.

8ème BATIMENT (Kalyouta)

Commandé par Faraj et comprend 100 marins et 30 canons.

9ème BATIMENT

Commandé par Kddour Ech- Ekeikh Aynou er-Rbati, comprenant 80 Marins, 32 canons

10ème BATIMENT

Commandé par Idriss Lobariss, comprenant 150 marins et 20 conons.

ومما جاء في وصف السفينة الأولى "المعونة" في هذا الكتاب ما مؤداه : هي فركاطة ذات طبقين عليا وسفلى في كل طبقة صفان من المدافع النحاسية وكانت هذه السفينة في الأصل لأهل العدوتين صنعوها من بقية أخشاب جامع حسان فأخذها منهم سيدي محمد ووجهها لجبل طارق فتولى الانجليز اصلاحها وأعادوا صناعتها وسميت بركاطة. وبلغ عدد بحارتها 330 ومدافعها 54 وكان رئيسها يدعى سلام الطرابلسي. وتخليدا لدور هذه السفينة في حماية الشواطىء المغربية أطلق على احدى السفن البحرية الملكية اسم"المعونة".

(33) عبد الهادي التازي : "الأسطول المغربي عبر التاريخ "(نقلا عن كتاب السفير الدانماركي وعن الزياني) - مجلة البحث العلمي عدد 33 ص 31 ، 32.

(34) عبد الرحمان بن زيدان : " اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس" ج 3 ابتداء من ص 256 وما بعدها .

(35) لا يخفى ان ابن عائشة امير البحر في العهد الاسماعيلي كان هو الآخر يضايق السفن الفرنسية والانجليزية في شواطىء المحيط الاطلسي. وكان من أخر أمراء البحر العظام.

(36) انظر " سلا اولى حاضرتي أبي رقراق لعبد العزيز بن عبد الله ص 96 وقد كتب حسن أميلي رسالة دبلوم الدراسات العليا في موضوع : "الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17م" (كلية الآداب بالرباط – 1989)، تحدث فيها عن تراجم رياس الجهاد البحري السلاوي ورياس العهد السعدي، ورياسة عهد (القرصنة السلاوية)، ورياسة العهد الدلائي ورياسة العهد العلوي خلال القرن 17 م. كما تحدث عن العناصر التي تتكون منهم طاقم السفينة وفريقها الثقني، وقيادتها (نقلا عن : "Les corsaires de Salé de "Roger coindreau"

وتحدث أيضا عن "فريق الانفضاض" المختصين بالعمل العسكري وعن العناصر البشرية المكونة لرجال البحرية كالأندلسيين والمغاربة والعلوج... (انظر ملخصا لذلك بكتاب : "الندوة العلمية حول الرباط وسلا" ص 269 وما بعدها).

(37) ورد في تاريخ : " الضعيف" أن سيدي محمد بن عبد الله أنشأ في سنة 1191 هـ سفينة "الكوار" وسفينة "الرايس" العربي الرباطي كما أنشأ سنة 1187 هـ سفينة الحاج الهاشمي المستاري الرباطي التي أخذها المسيحيون منه.

(38) «سلاح المدفعية في عهد الدولة العلوية» عن مجلة القوات المسلحة الملكية - اعداد : 41-42-43

(39) وعن عنايته بالمدفعية كذلك انه جلب للمغرب عدة مدافع من اوروبا . ويوجد في قصر البطحاء مدفع نقش عليه : "الحمد لله هذا المهراس المبارك صنعوه في "لوندريس" على أمر سيدي محمد بن عبد الله سلطان المغرب نصره الله عام 1183هـ».

(40) في سنة 1579 هـ بعث السلطان ابو الحسن علي مارسيل الى بلاد الفرنسيس لتقرير الصلح بينهم وقبض مال اسارى العرائش. وبعد هذا الهجوم تولى الزياني ميناء العرائش (رحلة الغزال).

(41) انظر "الجهاد البحري في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله" للدكتور محمد رزوق (دعوة الحق – عدد 274 – ابريل 1989)

(42) من الوقائع التي خاضها المولى سليمان ضد خصومه من القبائل الثائرة وقعة "ظيان" بناحية مراكش حيث حشدلها عرب الحوز وجيش الودايا وشراكة وعرب الغرب وعسكر الثغور وبرابرتها لمحاربة برابرة فازار وقد عم "الوباء" الحواضر

والبوادي (الناصري : الاستقصا، ج 8 ص 134).

(43) محمد الفاسي : "مشاركة المغرب في الجهاد المصري ضد الحملة الفرنسية" - دعوة الحق (مارس 1974).

وفعلا لما غزا نابليون مصر سنة 1798 هب المغاربة يشاركون في الدفاع عنها فأصدر نابليون نداء يدعوهم للعودة الى بلادهم خوفا من أن يلعبوا دورا في هزيمته إلاّ ان المغاربة أصروا على الدفاع عن مصر ومقاومة الغزو الفرنسي. (الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج 3 ص 157) - ومن الطريف حسب الناصري أن السلطان العثماني مصطفى عبد الحميد طلب من المولى سليمان إقامة حراسة بحرية حول مضيق جبل طارق منعا للسفن الأوربية من المرور منه حيث كان في حالة حرب مع روسيا. وقد استجاب المغرب لنداء تركيا إلا أن الروس حسب Caillé لم يفكروا في المرور عبر جبل طارق، وحتى إذا مروا لم تكن للمغرب القوة الكافية لمجابهتهم (ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ج 3 ص 398).

(44) هاشم المعروفي : "عبير الزهور في تاريخ البيضاء وما أضيف اليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور" ج 1 ص 188.

(45) محمد المنوني : "مظاهر يقظة المغرب الحديث" ، ص 3

(46) كان السلطان المولى سليمان يعتقد أن فرنسا كانت تعمل لصالح المغرب فأرسل الى الامبراطور الفرنسي سفارة برئاسة الحاج ادريس الرامي حاملا اليه رسالة يهنئ فيها الامبراطور الفرنسي على انتصاراته في اوروبا ويامل في توطيد العلاقات المغربية الفرنسية (عمر بوزيان : جذور اتحاد المغرب والجزائر ، ص 24)...

(47) J. Caillé : "la petite histoire du Maroc", 2 : 145-147 وابراهيم وحركات : المغرب عبر التاريخ ج 3 ص 155-154

(48) الناصري : الاستقصا ، ج 8 ص 104

(49) محمد المنوني : "مظاهر يقظة المغرب الحديث " ص 55

(50) محمد بن الحسن الحجوي : " الابتسام عن دولة ابن هشام"

(51) لوتورنو : "فاس قبل الحماية" - Caillé (1949) مجلة معهد الدراسات العليا المغربية.

(52) منها مدفع بقصر البطحاء أهدي له من طرف فرنسا سنة 1846 م ونقش عليه "بأمر من أمير المومنين صنع هذا المدفع السعيد على يد خديمه مصطفى الدكالي عام 1261 هـ".

(53) «العدوتان» هما الرباط وسلا وتعتبر هاتان المدينتان منذ فجر الإسلام موقع انطلاق حركات الجهاد في أيام المربطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين، كما سبق ذكره وفي القرن السابع عشر عرف مصب أبي رقراق انطلاق سفن هذه الدول لمحاربة السفن الإسبانية المعتدية على السواحل المغربية. وكان هذه الحملات تعرف باسم القرصنة. ولما ألغى السلطان العلوي المولى سليمان هذا النشاط البحري استمر بشكل أخف في عهد السلطان المولى عبد الرحمان على يد رؤساء البحر مثل عبد الرحمان بريطل وعبد الرحمان بركاش وأحمد والحاج وبوبكر السبيع وعبد السلام الشريف.

واعتبرت المدينتان مدرسة حركية ضمت طائفة الطبجية والبونجية الذين دربوا رجال البحرية على استعمال المدافع والمهاريس والبنادق مثل أحمد التجام رئيس الطبجية بسلا سنة 1851 ومحمد سباطة، ومحمد الشديد من الرباط أيام السلطان الحسن الأول. وقد برز من قواد جيش الوداية الذين أسكنهم المولى عبد الرحمان في القصبة ولعبوا دروا كبيرا في حراسة منطقة الرباط من القبائل الثائرة : وهم ادريس الجراري، وعلال ابن ادريس الجراري، الذي عرف بكفاءة عسكرية كبيرة، وقاسم الودي...

وتمثل الوجه الحربي للمدينتين في بروز الأبراج. فقد شيد السلطان المولى عبد الرحمان بسلا "الصقالة" والبرج الكبير ودار البارود. وبني الحسن الأول برج روتنبرغ (قرب قصبة الاوادايا) الذي يحمل اسم مهندس ألماني.

وعرفت مدينة الرباط قدوم بعثة عسكرية فرنسية تعززت بعد سنوات بالقائد "أركمان" وقامت بتدريب فرق الاودايا. كما قامت فرقة ألمانية بتدريب الاودايا على استخدام المدافع. (عبد الإلاه الفاسي) : "أعيان مدينة الرباط خلال القرن 19 وبداة القرن 20" (دبلوم الدراسات العليا - كلية الآداب بالرباط - 1988) بتصرف.

(54) ابن زيدان : " الاتحاف" ج 5 ص 132. هذا وقد بقي ميناء العرائش متعرضا للهجومات كما سبق قوله - حتي تم احتلاله بصفة نهائية من طرف ج "سيبستري" الاسباني سنة 1911م وتقول مصادر اسبانية أخرى ان الكولونيل "ثيننتي" هو الذي احتل العرائش بمساعدة الريسوني ومنها زحف نحو القصر الكبير واخترق نهر لوكوس.

(55) وتقول مصادر تاريخية أخرى أن المغاربة انهالوا عليهم من كل جهة من الساحل وانكب عليهم أهل العرائش (بمناجلهم لان الوقت كان وقت حصاد) واحوازها من جهة الوادي الى أن فكوا حصارهم عن الميناء.

(56) «من تاريخ الرباط بين الجهاد والقرصنة» - مجلة اللقاء عدد 13.

(57) من ذلك الرسالتان اللتان بعث بهما الى عامله بسلا الطالب محمد بن عبد الهادي زنيبر السلاوي يقول في الأولى : وآكد ذلك الرماية وخصوصا بهذه الآلة الموجودة اليوم من مدافع وغيرها. فصرف البال اليها آكد والحاجة الى معرفة استعمالها

والتصرف بها أشد... وعليه فبوصول كتابنا هذا اليك كلف من رئيس عالم عندكم في هذا الفن يتعلم المعينون منكم من ديوان الطبجية بأن يتولى كل واحد تعليم طائفة في برج من الابراج يكون يعلمهم فيه ويقوم بحراسته وحفظه وصيانته، ثم يوم الشارة يجتمعون اليها على العادة القديمة وأمرهم أن يجعل هذا الامر من أهم أمورهم وأكد أشغالهم بجد وجزم واعتناء وعزم، ومن ظهرت نجابته واتضحت درايته أعلمانا به أنت والامتاء لنزيد له في العطاء ونمنحه ما يظهر عليه من جميل الاحتجاء والاعتناء...» "و يقول في الرسالة الثانية : " وبعد فبوصول كتابنا هذا اليك عين عشرين من الولدان النجباء لتعلم علم "تاطبجيت"، وانظرلهم معلما ماهرا أو معلمين من طبجية البلد يعلمهم ويشرعون في التعليم الآن، فيبدأون بمقدماته، ثم يتبدروبون منها الى الاخذ في تعلم رماية المدفع والمهراس، وهكذا حتى ينجبوا ويمهروا في الصنعة ويصيروا قادرين على الخدمة... وهؤلاء العشرون يكونون زائدين على من هناك من الطبجية ونامر الامناء ان يرتبوا لهم 15 أوقية في كل شهر للواحد. ثم من ظهرت نجابته منهم وفاق غيره فان نزيده في المرتب...» (ع. المرحمان بن زيدان : العزو الصولة في معالم نظم الدولة ج 2 ص 218 وما بعدها....)

(58) محمد المنوني : "مظاهر يقظة المغرب الحديث في الميدان التعليمي" (نقلا عن مجموعة الرسائل الشريفة) - مجلة البحث العلمي عدد 9

(59) عبد الوهاب بلمنصور - الوثائق - 1 ص 461-462

(60) Rabat et sa region p 105

(61) انظر كتاب عبد الله العروي عن أصول الوطنية المغربية ص : 272

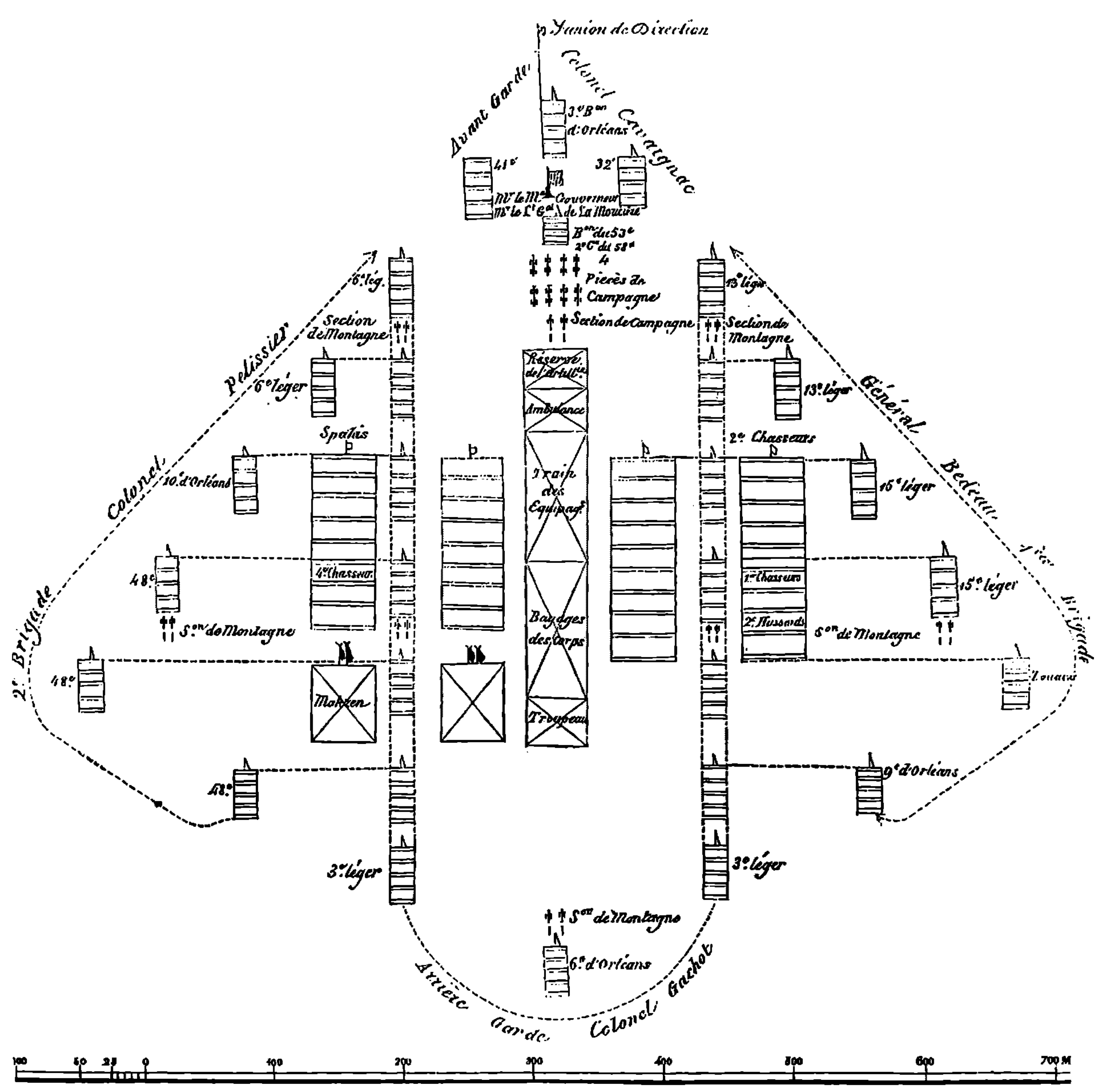
(62) عبد الله كنون : اللنبوع المغربي ج 2 ص 212-213

الحرب المغربية الفرنسية

معركة وادي إسلي : لما استولى الفرنسيون على المغرب الأوسط [1]، شرع سكان وجدة وبني يزناسن في مساعدة الجزائرعسكريا وقامت مواجهات عسكرية بين المغرب وفرنسا (في 30 ماي 1844 بقلب للا مغنية) وهجومات فرنسية برية وبحرية على وجدة[2] وطنجة في غشت 1844 م، فعمد المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي الى تقوية الدفاع عن الثغور والحدود الشرقية من البلاد ، ووجه ابن عمه المولى المامون في كتيبة الى وجدة لحمايتها وعززه بالقائد علي بن الكناوي الرباطي، تم أخذ في أساب الاستعداد وحشد الحشود. فدارت بني المغرب وفرنسا معركة على الحدود المغربية الجزائرية سميت بمعركة وادي إسيلي (1260 هـ - غشت 1844 م) وذلك على بعد بضع كلمترات من وجدة.

وقد شن المغرب هذه الحرب على فرنسا مساندة منه للجزائر[3] التي كانت تقاوم المد الفرنسي على مجموع التراب الجزائري بقيادة المجاهد الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري[4] .

ويحدثنا المؤرخ أحمد الناصري في استقصاه عن بلاء الجيش المغربي في هذه المعركة فيقول . " أخذ السلطان مولاي عيد الرحمان في أسباب الغزو والإستعداد التام فاجتمع له في هذا الاستنفار ثلاثون ألف فارس. ثم عقد هذه الجهود لولده وخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمان[5] وسار حتى نزل بوادي ايسلي من أعمال وجدة . ولما تراآى الجمعان أمر الخليفة الناس بالركوب والاستعداد وبعث الى بني يزناسن بالركوب فركبوا في ألف كانت تساري جيش الخليفة وسار الخيل نحو العدو مصطفة من البحر ورايتها تخفق على هيئة عجيبة وترتيب بديع. وكان الخليفة سائرا في وسطهم ناشرا المظلة على رأسه راكبا على فرس أبيض . ثم التقى الجمعان (عند الجرف الأخضر) وانتشبت الحرب ورصد العدو الخليفة وقصده بالرمي مرات عديدة ولما رأى الخليفة ذلك غير زيه فاختفى حينئذ. وكان المسلمون قد أحسنوا دفاع العدو وصدموه صدمة قوية برقت لهم بارقة وثبتوا في نحر العدو مقدار ساعة . ولما التفوا الى جهة الخليفة ولم يروه بسبب تغيير زيه قال المرجفون . ان الخليفة قد هلك فهاج الناس بعضهم في بعض . وكان أمر الله قدرا مقدورا ولم يهزم المسلمين الا المسلمون » . وفي هذه الحادثة ذكر ابن زيدان أيضا " أن الجزال " لامورسيير " الشهير عند العرب" بأبى هراوة " عسكر بجيشه بمغنية وهجم على الجيش المغربي ولما أشرف على إيسلي وتراء الجمعان ركبت " محلة " المخزن وكان أكثرها خيالة (فأحاطت بالجيش الفرنسي) وصارت تصب رصاصها . فعند ذلك أمر القائد الفرنسي بإطلاق المدافع من سائر الجهات إطلاقا متواليا حتى افترقت محلة المغرب.... » ولما تقدم الجزال الفرنسي الى مضارب المعسكر اصطدم بفرقة من جيش العبيد والطبجية التي أبلت بلاء حسنا في الدفاع، ولكن الجيش المغربي غلب على أمره . ولهذا تدعى هذه المعركة أحيانا بوقعة "أبى هراوة " .



Ordre général des troupes françaises lors de la bataille d'Isly d'après « l'Illustration ».

ومن الدواعي التي أدت الى انهزام الجيش المغربي في معركته هذه هو أنه لما نزل على ضفة وادي إيسلي حول مدنية وجدة ضرب الأخبية، والعدو متى رأى خباء مضروبا على الأرض الا وقصده وبدل كل طاقته للإستيلاء عليه. وقد نهاهم الأمير عبد القادر الجزائري عن ذلك ولكنهم لم يفعلوا ..... ومنها أن الجنود المغاربة " اذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لأمير الجيش لا يملك من أمرهم شيئا وإنما يقاتلون هداية من الله لهم » ... ومنها أيضا ، عدم أخذ الجيش المغربي بالأنظمة الحديثة التي كان خصمه متوفرا عليها . وكان هو على الضد من ذلك حتى أن المرشال"Bugeaud"لما أشرف على الجيش المغربي من علو قال : " ليس هذا جنذا وإنما هو غوغاء " لما كان عليه من الفوضى والضعف . ومنها أخيرا أنه لما كان جنود الجيش المغربي يصطفون، في معركتهم على شكل هلال (الرماة في طرفي الهلال والخيالة في قلبه) نظم القائد الفرنسي جيشه على شكل "معين" "Losange" وكانت نيران الفرنسيين تصب على الجيش المغربي من كل جانب .

فكانت وقعة إيسلي أول صدمة تلقاها الجيش المغربي فوق ترابه بلاده بعد أن فقد هيبته العسكرية التي ظلت مرهوبة منذ ما يزيد على القرنين وأصبح لأول مرة تحت تهديد مستمر لاستقلاله[6]، وخصوصا بعد النكبة الثانية وهي نكبة تطوان (1860) .

وتقول رواية تاريخية أخرى عن هذه المعركة وما آلت إليه ما مؤداه : قامت السلطات الفرنسية بأول خطوة عدائية ضد المغرب، حيث استولى الجنرال Lamorcière على قرية للامغنية (1844) بخمسة ألف جندي معزوزة بثمانية من المدافع، وظهرت بعض قطع الأسطول الفرنسي أمام المراسي المغربية تمهيدا لعمليات حربية . وكان هدف احتلال لالة مغنية هوتأسيس بها قاعدة عسكرية أمامية لمراقبة التحركات المغربية (المحال المخزنية) التي ربطت هناك استجابة للدعوة الى الجهاد .

وكانت القوات المغربية المتمركزة على مقربة من هذه المدينة تشكل آلافا من الجنود ، فرسانا من عبيد البخاري ، وراجلين متطوعين من قبائل شرق المغرب تحت إمرة العربي بن محمد الرحماني لقبيبي. وبينما كان وفدان من الجانبين يتفاوضان في الحلول السلمية، اندلعت معركة بين الجانبين، وشبت النار في المزارع لكثرة البارود وأحرقت بعضا من جنود المارشال Bugeaud المثخنين بالجراح . وفي يوليوه سنة 1844م عين المولى عبد الرحمان ابن هشام (علما منه بقروب المعركة) ولي عهده المولى محمد ابن عبد الرحمان قائدا على المحلة التي انطلقت من مراكش نحو وجدة، والتي انضم إليها في طريقها عدد كبير من المتطوعة . وكان على بينة تامة من تفوق الجيش الفرنسي ووفرة عدته وعدده، واستعراض الأساطيل الحربية الفرنسية والسويدية والدانماركية أمام المراسي الرئيسية كطنجة والصويرة . ولما وصل الأمير سيدي محمد ابن عبد الرحمان الى ضواحي وجدة، وبلغ عدد محاربيه المحترفين ما يناهز ثلاثين ألف رجل، وزعهم على عدة معسكرات بسهل أنجاد بالإضافة الى الفرق الجهادية التي كان على رأسها قواد القبائل ولم يذعن الأمير لشروط " بيجو" لإبعاد شبح الحرب : كالإعتراف بالحدود المغربية الجزائرية في عهد الأتراك وإبعاد الأمير عبد القادر الجزائري من المنطقة . فقام الأسطول الفرنسي بقيادة

الأمرال "Joinville" بقنبلة أسوار مدينة طنجة ومحاصرة ميناء الصويرة وقنبلته .

واستعدادا للمعركة وزع المارشال "بيجو" فرق جيشه داخل شبه مربع : في المقدمة الجينرال " لا مورسيير" ثم المرشال "بيجو" ، في الميمنة الجنرال " بيدو" ، وفي الميسرة الكولونيل "بليسي" وفي الساقة الكولونيل "كاشو" . وكانت هذه الفرق معززة بست عشرة قطعة من المدفعية، أما وسط الجيش فكان يضم المؤن والدخائر والفرق الطبية .

أما الجيش المغربي فكان يعتمد على أعداد وافرة من الفرسان مرتبين في صورة هلال فوق المرتفعات وفي الشعب والمنحدرات وكان يوجد الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمان بوسطه مع فرقة من المشاة معززة بثلاث عشرة قطعة من المدفعية وفرقة من عبيد البخاري بقيادة "فراجي" . فما أروع هذه الخيول وما أروع مشهدهم في اللحظات الأولى من المعركة، يقول شاهد عيان " Dutertre". وقدأبلى الخيالة البلاء الحسن في هذه المعركة وتوالت في هجوماتها بشكل عنيف رغم الحواجز الطبيعية ، وعززتها فرق المشاة التي لم تستسلم إلا بعد إسكات مدفعيتها.

ويستنتج من مساجلات وجولات معركة واد إيسلي بأن متاعب الجيش المغربي :
-ترجع الى أن حركة فرسانه عاقتها كثرتهم حيث كانت تتراجع وتتقدم (خطة عسكرية تقليدية) والحواجز الطبيعية المتمثلة في الأشجار (بينما كانت خطة الجيش الفرنسي خطة جيش حديث متمرس شحذته سنوات طويلة من الحروب الإستعمارية).

- وجدت القيادة العسكرية الصعوبة في التنسيق بين الجنود المحترفين والجنود المتطوعين (الذين بلغ عددهم ثلاثين ألف رجل) .

- وجود الخيمات الناصعة البياض بسهل أنكاد ألهب رغبة العدو في الحصول على الغنائم والأمتعة المغربية .

- صعوبة التنقل : ثلاث عشرة قطعة من المدفعية القديمة تجرها الجمال .

- قلة الدخيرة الحربية .

- سوء تخطيط القيادة المغربية .


الأمير عبد القادر الجزائري

- ورود خبر استشهاد الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي كان يمتطي فرسا أبيض . وبحصول الإرتباك في صفوف الجيش المغربي وقعت الهزيمة وتفرق الجنود شر مذر وأهلكهم الجوع والعطش والتعب- على حد قول الناصري -، وانسحب الأمير العلوي ، واستمرت المعركة بعنف على الضفة اليسرى للوادي . وكادت فرقة الكولونيل "بوريس" أن تنهزم لولا نجدة " الجنرال بيدو" بثلاثة فيالق قوامها 1200 جندي . وقد ترك المغاربة في الميدان: 800 قتيل و 1500 جريح و 1200 أسير، مقابل 27 قتيل و 96 جريح في صفوف الفرنسيين [7].

وتقول رواية ثالثة عن ملابسات هذه المعركة التاريخية التي دامت يوما واحدا ماياتي (بتصرف) : لقد تدخلت الجيوش النظامية المغربية سنة 1836 لنصرة المجاهدين الجزائريين . وكان السلطان المولى عبد الرحمان عين القائد القبيلي قائدا عسكريا على وجدة، وجعل تحت إمرته 600 فارس و 300 من المشاة من عبيد البخاري . ولما احتل الجيش الفرنسي مدينة مغنية أرسل السلطان عدة حاميات عسكرية بقيادة علي الطيب الكناوي لإخلاء مغنية من القوات الفرنسية . وقد جرت عدة مراسلات بين الجنرال " بيجو" قائد القوات الفرنسية بالجزائر ليوقف المخزن مساعدته للجزائريين وللأمير عبد القادر الجزائري . وأمام رفض المغرب احتلت قوات "بيجو" مدينة وجدة لإرغام المغرب على مراجعة موقفه وإيقاف المساعدات العسكرية للجزائر. (بنادق، مسدسات، سيوف، قناطير من البارود ، الكبريت، البيغال، الخفيف، الملابس العسكرية ...). ولما كان المغرب يستعد للرد بالقوة على الجيش الفرنسي واستنفار قبائل المغرب لتحرير عاصمة شرق المغرب ضرب الأسطول الفرنسي مدينة طنجة بالقنابل في 6 غشت 1844. ثم حدث اصطدام عسكري بين الجيشين المغربي - الجزائري والجيش الفرنسي يوم 14 غشت 1844، (معركة إيسلي) أعقبه ضرب الأسطول الفرنسي لمدينة الصويرة في 15 غشت 1844.

وعندما انهزم الجيش المغربي (لعدم توفره على خطة عسكرية حديثة لمواجهة جيش مسلح عصري مثل الجيش الفرنسي)، وعجز الأمير عبد القادر الجزائري على الصمود أمام الجيش الفرنسي في حرب منظمة ، خاض حرب العصابات ضده انطلاقا من التراب المغربي، معززا بأسلحة مغربية وبمتطوعين من رجال قبائل شرق المغرب وريفه ومهاجما المراكز الفرنسية العسكرية داخل التراب الجزائري (شتنبر 1845). ولما تراجع الجيش الجزائري أمام ضراوة القوات الفرنسية دخل عبر الصحراء الى مدينة فكيك في الجنوب الشرقي (1846 م) ومنها تنقل شمالا الى قصبة سلوان - الناضور- قرب ملوية لتلقي المساعدات من القوات الإسبانية. وقد انظم اليه طوعا أوكرها عدد من المتطوعين من بني يزناسن وأنجاد، الشيء الذي أثار احتجاجا فرنسيا صاخبا. وحاول المولى عبد الرحمان ابن هشام إقناع عبد القادر لإيقاف حركة الجهاد انطلاقا من التراب المغربي تفاديا للمشاكل مع فرنسا (بعد توقيع معاهدتي طنجة ولالة مغنية) وذلك للتخفيف من شقة الخلاف بين المغرب وفرنسا حتى يجعل حدا لإحتلالها لشرق المغرب ولكن عبد القادر أبى واستكبر وقلب ظهر المجن للمغرب وراوضته فكرة إنشاء كيان سياسي جديد لزعزعة العرش المغربي ، وبدأ يضرب قبائل شرق المغرب بعضها ببعض. فانقلبت ضده (بعدما نجح السلطان في إقناع بني يزناسن وأهل أنجاد لمهادنة فرنسا) وولى وجهه شطر ميناء الغزوات حيث استسلم لحاكم الجزائر الفرنسي سنة 1847م [8].

ومن الروايات "الفرنسية " عن هذه المعركة قول بعضهم :

LA BATAILLE DE L'ISLY

Les troupes marocaines avaient installé leur camp entre Oudjda et la rive droite de l'oued Isly, à BouNaïm. Il y avait là 25,000 cavaliers, 1,500 fantassins. canons servis par des renégats anglais ou espagnols, le tout sous le comandement du fils du Sultan, Sidi-Mohammed.

Non loin du camp se tentaient 8.000 Rifains, qui devaient intervenir pour accabler les Français, s'ils étaient vaincus, pour les arrêter, s'ils étaient vainqueurs et tentaient d'entrer dans le Rif.

A cette armée nombreuse, le maréchal Bugeaud ne pouvait opposer que 11.000 hommes environ : à savoir, 8.500 fantassins, 1.400 cavaliers, 400 irréguliers et 16 canons.

Les 25.000 cavaliers de l'armée marocaine semblaient surtout effrayants, mais Bugeaud ne s'en alarmait pas ; il estimait que, passé un certain nombre, 4 ou 5.000 par exemple, une cavalerie a d'autant moins de puissance qu'elle est plus nombreuse. D'autre part, les fusils des Marocains n'avaient pas tous le même calibre, et chacun, dans le cours de l'action, devait charger son arme à sa convenance, comme à la chasse. Enfin, les troupes marocaines étaient nombreuses, il est vrai, mais elles étaient composées d'éléments très divers et manquaient de cohésion.

Le matin de 14 août, les troupes françaises passèrent l'Isly au sud du camp marocain. Bugeaud les disposa "en tête de porc" ; c'est-à-dire en losange irrégulier, l'infanterie encadrant la cavalerie, et leur fit remonter la rive gauche de l'Isly . Arrivé à hauteur du camp, il leur fit franchir la rivière à gué et attaqua vivement l'armée marocaine.

Les Marocains essayèrent de l'envelopper avec leur cavalerie, mais en vain. Ils manquaient de discipline et leur manoeuvre se borna à de brillantes fantasias.

Ils eurent bientôt perdu leurs canons, 16 drapeaux, 800 hommes et s'enfuirent en désordre dans la direction de Taza.

Les Rifains jugèrent prudent de rentrer dans leur montagnes.

(Georges Hardy et Paul Aures : les grandes Etapes de l'histoire du Maroc - Mars 1921 p.81-82).

من تبعات ونتائج معركة وادي إيسلي :

أبرم المغرب مع فرنسا اتفاقتين :

1) إتفاقية طنجة المؤرخة بـ 10 شتنبر 1844م، التي ينص فصلها الأول على تحديد عدد جنود الجيش المغربي في شرق المغرب بـ 2000 جندي، وكل زيادة لا بد أن تكون بعلم من فرنسا ، وإيقاف المساعدة العسكرية للأمير عبد القادر الجزائري.

2) إتفاقية للامغنية المؤرخة بـ 18 مارس 1845 (بعد احتلال للامغنية نفسها) ، التي تنص في بندها الخامس على ابقاء الحدود المغربية الجزائرية على ما كانت عليه أيام الحكم التركي بين ملوك المغرب والأتراك.

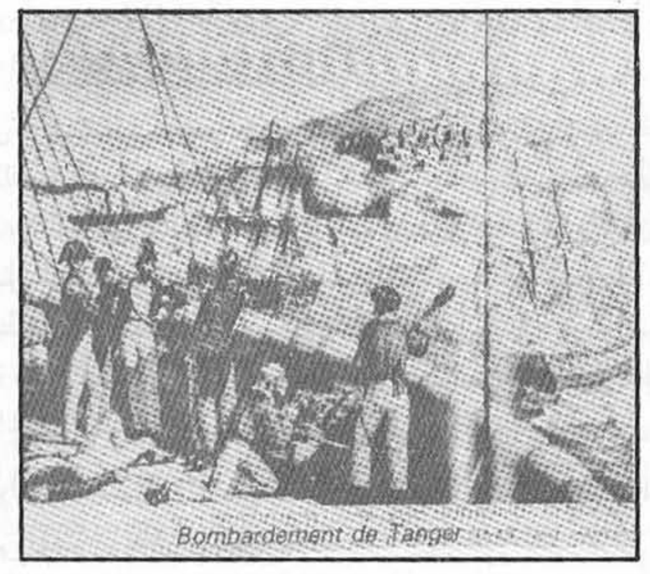
وبهذه الاتفاقية بدأ المغرب يفقد حدوده التاريخية بعدما تمسك بسياسة لاحرب - الناتجة عن الانكسارات السابقة -، ومهادنة القوات الفرنسية[9].

- وكان من ذيول هذه المعركة أيضا أنه لما بعث السلطان العلوي ابنه المولى سليمان لحماية ثغر طنجة اجتاز المرشال Bugeaud القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر وادي تافنا

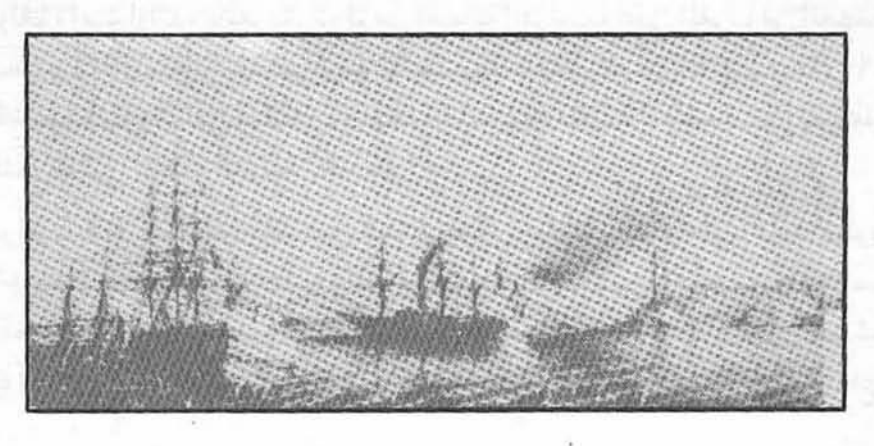


Ph. L'Illustration

Bombardement de Mogador par les Français, le 15 août 1844



Bombardement de Tanger



واحتل مدينة وجدة ثم انسحب منها وخلف حاميتين احداهما بالغزوات والأخرى بللا مغنية.

هذا وقد سبق للفرنسين قبل المعركة أن قنبلوا مدينة طنجة في 6 غشت 1844 م، وقد رمى الاسطول الفرنسي المدينة بمآت "الكور" في نحو 6 ساعات. وقد كان أهلها أخلوها قبل الهجوم الفرنسي.

- كما أطلق الاسطول الفرنسية مالا يحصى من الكور والبمب على ميناء الصويرة يوم 15 غشت 1844 بقيادة الامرال De Joinville .

وقد رد رجال البحرية والطبجية المغاربة "بالمثل ولم يستطع الاسطول الفرنسية احتلال الجزيرة الموجودة أمام الميناء. وقد كان الفرنسيون يرمون احتلالها إبان السعديين بأمر من "ريشليوه".

- كما نالت العدوتان الرباط وسلا نصيبهما من قصف الاسطول الفرنسي سنة 1851 م (1268هـ) بسبب نهب أهل العدوتين لمركبين محملين بأكياس القمح رماهما البحر الى شاطىء سلا وقد صادف ذلك سنة «جذب ومسغبة» [10]

- وبقيت المنطقة الشرقية للمغرب تعيش اضطرابات ومناوشات بين المغرب وفرنسا (في منطقة التخوم) من سنة 1843 الى سنة 1860 م. حيث هجم الجيش الفرنسي على بني يزناسن مرتين (1852-1859).

- ولما رحل الأمير عبد القادر الجزائري عن المغرب ظهر في شرق المغرب الثائر بوحمارة وبالجنوب الشرقي الثائر بوعمامة الذي كانت له تواطؤات مع الفرنسين على حساب المصلحة الوطنية، والمجاهد بوعزة الهري الذي نصب نفسه سلطانا للجهاد، إلا أن بني يزناسن فرقت جموعه. فغار الجيش الفرنسي على هذه الناحية من المغرب بقيادة الضابط "هنري" وقنبل مدينة فكيك. ولما قتل الطبيب الفرنسي "موشان"(Mauchamp) بمراكش في 15 مارس 1907م احتلت فرنسا مدينة وجدة في 25 مارس 1907 بقيادة الضابط الفرنسي الكولونيل «فلينو» من غير مواجهة. ثم واصل الجيش الفرنسي زحفه نحو داخل المغرب[11].

– ومن ذيول هزيمة معركة ايسلي كذلك انعقاد مؤتمر مدريد (1888) الذي فرضت فيه الدول الاوروبية على المغرب نظام الحمايات الخاصة ردا على طلب المولى الحسن الأول للدول العظمى بإلغاء امتيازاتها بالمغرب، ثم فرض الحماية الفرنسية على المغرب في العهد الحفيظي في 30 مارس 1912 ، وإبرام الاتفاقية الفرنسية - الاسبانية (27 نونبر 1912) التي تم بمقتضاها تقسيم المغرب الى منطقتين : منطقة فرنسية ومنطقة إسبانية. ثم اتفق على احداث منطقة ثالثة، تدعى المنطقة الدولية (طنجة)

وأخيرا عقد السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام العزم على اعادة "تكوين الجيش وتحديثه" واستشارة عشرة من علماء المغرب الذين كانوا ينتمون الى فاس وتازة وسجلماسة وتافلالت من أجل ذلك - والجدير بالذكر أن سيدي محمد بن عبد الرحمان أجرى استشارة أخرى بعد حرب تطوان مع علماء آخرين قصد الحصول على المال المطلوب من المغاربة لدفع الغرامة

المفروضة على المغرب ولتحديث الجيش وتسليحه من جديد.

- حركة انبعاث والمطالبة بتنظيم الجيش والدعوة الى الجهاد : وأمام هذه الكارثة العسكرية " ظهرت حركة انبعاث جديدة ويقظة في البلاد " وقد فتح هذه المعركة كتاب وشعراء يطالبون بمحو العار وتجديد قوات الجيش المغربي. ومن هؤلاء :

محمد بن عبد القادر الكردودي الذي وضع كتابا باسم السلطان مولاي عبد الرحمان وسماه : " كشف القمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة ". ومما ورد في هذا الكتاب في شأن تنظيم الجيش قوله : " .... وقد اعتنى الروم لوقتنا هذا بأمر الصفوف وبالغوا في ترتيبها وتسويتها بما لا مزيد عليه فجعلوا في المقدمة صفوفا أربعة أو خمسة : صفا وراء صف تتخللها مدافع كبار في الساقة والجناحين مثل ذلك والخيالة وراء الصفوف مما يلي القلب وملئوا القلب بالرجال والاثقال والجميع كبكبة واحدة يتكلم واحد في القلب معهم في بوق، او يقرع الطبل على هيئة يفهمون منها مراده فيصدر الكل عن رأيه فإذا التقى الجمعان رمى أهل الصف الأول المقابل للعدو رمية واحدة، تم يبحثون على الركب فيرمي من ورائهم كذلك. وهكذا فيصير الرمي متتابعا لا ينقطع وبندق الرصاص يقع كالمطر الوابل، وهم في أثناء ذلك يرمون بالمدافع الكبار فإذا رأت الخيل فرصة في عدوها اخترقت الصفوف لانتهازها تم تعود لمحلها.... وللمبالغة في تسوية الصف وإقامته لا تجد أحدا منهم خارج الصف فتختطفه خيل العدو، فإذا سقط واحد من الصف الأول مثلا خلفه من الصف الذي قبله وخلف هذا واحد من الذي قبله وهكذا إلى أن يصل ذلك إلى الأخير فيخلفه واحد من القلب ويحمل الساقط من هو معين لحمله لا غيره فيجعل في كراريط الموتى ان كان ميتا أو الجرحى ان كان جريحا وكل هذا محافظة على هذه الصفة هو المسمى بالنظام... ثم قتال الزحف بالصفوف هو الذي دل الكتاب والسنة عليه. » ويشتمل هذا الكتاب على أبواب عشرة على عدد الصحابة : الباب الاول في كيفية الحرب، والباب الثاني في أسباب الظفر والهزيمة، والباب الثالث في وصايا أمراء الجيش، والباب الرابع في آداب الحرب والباب الخامس فيما يستعان به على تدريب الحروب، والباب السادس في العدة، والسابع في الجند وما يتعلق به والثامن في الشجاعة والجبن، والتاسع في ذكر أفراد الشجعان للاقتداء بهم، العاشر في حكم جامعة وأمثال نافعة. وقد اهداه مؤلفه لمولى عبد الرحمان بن هشام لما رأى أن أسباب الجهاد قد أهملت وأن العدو سطا على الجزائر ويتأهب للاستيلاء على المغرب وأن الجيش المغربي توجه لمقاومة العدو وهو لا معرفة له بحقائق الحروب الحديثة.

– ومنهم ابن عزوز الذي ألف رسالة للسلطان مولى عبد الرحمان -(بعد أربع سنوات من هزيمة إيسلي) - وسماها : «رسالة العبد الضعيف إلى السلطان الشريف» في تنظيم الجيش المغربي سنة 1265 هـ[12].

– ومنهم الفقيه التسولي الذي كتب عدة توجيهات بخصوص تنظيم الجيش منها : « .... ولذلك قالوا يجب على الامام أن يهتم بأمور الجهاد فيأمر كل قبيلة بتلعم الحروب والتدريب، ...وأن يعين من كل قبيلة مائة أو أكثر تتعلم الحروب مهيئة نفسها لكلمة الامير... ومن رأى منهم كثير الاصابة والتدريب أحسن إليه وقربه [13] . واعتبر الجهاد فرض عين في

حالة نزول العدو بأرض الاسلام. وفي الحث على الجهاد يقول التسولي في رسالة أخرى : «أولا تعلمون أن الله وعدنا بالنصر وهو سبحانه إن وعد بشيء لا يخلف الميعاد فقال جل من قائل : «ان تنصروا الله ينصركم .... وليجدوا فيكم غلظة ... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ... وقاتلوهم يعذبكم الله بأيديكم ... وقاتلوا المشركين كافة .... أو حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ... ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ...».

وقد استفتى العلماء المولى محمد بن عبد الرحمان حول مشروعية تنظيم الجيش، فأعلنوا حماسهم للتنظيمات العسكرية الحديثة وطالبوا بتحقيقها وأعلنوا بوجوب تنظيم الجيش المغربي على الطريقة الحديثة (عسكر النظام) في عدة رسالات هامة منها :

«مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان ايجاب الاستعداد وحرب النظام» للغالي بن محمد الحسني الادريسي العمراني، و"تاج الملك المبتكر ومداده من خراج وعسكر" لمحمد بن محمد الفلات السفياني العبدلاوي، و"الرسالة السودية" لمحمد بن المهدي بن الطالب ابن سودة الذي حث في رسالته على اتخاذ البارود والرصاص بدل السهام والمجانيق وادخال النظام في صفوف الجيش : من ذلك أن الجيش يكون في الحرب مرتبا على طوابق أتت على جميع وجوه الحرب الممكنة، أن الجيش يكون على غاية الامتثال والانقياد لاميره، أن المقاتلين يكونون في الحرب صفا كالبنيان أو الجبال وأن التدبير في الحرب أكيد وتحصيل الحيل والخديعة فيه محمود (وفي الحديث : الحرب خدعة)، وأن المشورة المطلوبة في الحرب لإظهار وجه نافع وأن القوة في الرمي، وانه لابد من حكم العسكر حتي لا يضر بالناس ويوسع عليه أكلا وشربا ولباسا ودراهم وأنه بعد مدة يخير بين الخروج او البقاء. ومن بين الرسائل التي ألفت في هذا المضمار كذلك يذكر الاستاذ محمد المنوني في كتابه "مظاهر يقظة المغرب الحديث (ج 1)" : نزهة المجالس في علم أحكام المدافع والمهاريس" وهي منظومة مهلهلة الترتيب والوزن نظمها عبد النبي بن العباس الفاسي الصنهاجي الرباطي بأمر من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (قيل أنها للغزال الفاسي)،" والباز في علم المدفع والمهراز" لمؤلف مجهول، "وتذكرة المجالس في علم المدافع والمهاريس" وهي أرجوزة مهلهلة النظم لصاحبها المكي بن قصابة الرباطي نظم فيها قواعد لمحمد بن محمد سباطة الرباطي. «ورسالة في علم المدفع والمهراس من علم الطبجية» لابراهيم التادلي الرباطي" "والتفكير في عمل ما يصلح للطبجية" وهو كتاب في فن المدفعية موضوع بالفرنسية "، "والنشر اللائق لموارد الجهاد بالصواعق "لمؤلف مجهول،" ونزهة الناظرين وتعليما للمجاهدين وإعانة على جهاد أعداء الله الكافرين" لمؤلف مجهول ؛ وأرجوزة في الرماية للعماري. ومن مفهوم الآية الكريمة و«أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم»، يقول السيد ابو بكر البوخصيبي في كتابه "أضواء عن ابن يجبش التازي" [14]؛ انطلق فوج من مؤلفين اخرين يكتبون في هذا الموضوع : من هؤلاء أبو العباس أحمد العرائشي التمسماني الذي ألف كتاب" روضة الجهاد الفائق لمن أراد الغزو بالصواعق" يتكلم فيه على كفية تعمير المدافع والمهارس بالبارود وكفية قذفها على

العدو وهو منظوم من وزن الرجز، وأبو العباسي أحمد بن محمد المرنيسي الذي ألف كتاب في «نظام العسكر وكفيته»، وابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الخمسي الذي نظم قصيدة سماها : «نظم في علم الرماية والركوب على الخيل»، ومحمد بن أحمد العبدي الكانوني الاسفي الذي ألف كتاب "الرياضة في الاسلام" والفصل الخاص الذي كتبه الناصري في استقصاه عن تنظيم الجيش وعن آدابه (222/4=225).

ونجد في هذا الباب أيضا النداآت الموجهة لإعلان الجهاد ضد تهافت الأجانب على المغرب منها كتاب : « لباب مراقي الجنة في الجهاد والسنة، وفلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة (مخطوط ق 17) " وتحفة الراغب في السعادة في الترغيب لطلب الشهادة" لأحمد بن الهاشمي الادريسي الفلالي، و"سبيل المحسنين الى فضل الجهاد في سبيل رب العالمين" لمحمد بن ادريس القادري، ورسالة التهامي بن عبد القادر السوسي "غنية الإنجاد في مسائل الجهاد" الى غير ذلك من المؤلفات المخطوطة والمطبوعة التي توجد بالخزانة الملكية والخزانة الوطنية والخزانات الخاصة والتي تحض على الجهاد ومقاومة الغزاة وإعادة تنظيم الجيش المغربي على الأساليب الحديثة[15] .

وبعد هذا العرض يظهر أن التخطيط الجديد في ميدان المعارك للجيوش الاستعمارية مارس جاذبية على المؤلفين "العسكريين" المغاربة. إذا أصبح من اللازم مواجهة هذه الجيوش على نفس طرقهم الحربية الحديثة، وتبني طرائق تعاملهم مع المعارك، واستعمال نفس الوسائل العسكرية مع ثقنياتها وأسلحتها الجديدة.

فأسلوب حرب العصابات الذي يبرز تفوق المشاة في عمليات الإغارة في صفوف متراصة، والكر والفر في مواجهة الخيالة، أصبح في أواخر القرن التاسع عشر دون جدوى فعالية لمواجهة أسلوب أوروبي جديد منظم يقوم على التمارين العسكرية المكثفة، والتدرب على مختلف أشكال القتال، واستخدام أسلحة جديدة كالمدفعية مثلا التي أصبحت سلاحا حاسما يعتمد على الدقة والحركية[16].

الجيش المغربي في عهد المولى محمد بن عبد الرحمان (محمد الرابع)

صار الجيش المغربي في عهد محمد الرابع يتألف من "العساكر" أي الجنود المنتمين الى قبائل الودايا وشراكة (نسبة الى شرق المغرب) ومن "البخاري" و"المسخرين" - الذين كانوا يحرسون المركب الملكي في حله وترحاله وخصوصا في "حركاته" - ومن "عسكر العبيد" المؤلف من العبيد خاصة. وكان المجموع يحمل اسم "الكيش" ويرأسهم ضابط مصري[17].

- وحدات الجيش :

1- الرماة : كان عددهم يتراوح ما بين 1800 و 2000 وكانوا يحملون أسلحة مختلفة منها : "بوشفار" وهي مكحلة من الحجر استغني عنها عند استعمال البندقية، "تافلة" وهي بندقية تحمل في رأسها رمحا (بايونيت)، "الخنجر" "والشاقور" الى غير ذلك ... وكان هؤلاء الرماة يرابطون في "قصابي" فاس (كباب بوجلود) ومراكش، وكان قائدهم يدعي : الحاج عزوز الفاسي. وكان زي ضابطهم (قائد الرحى وقواد المائة والخلفاء والمقدمون) يتركب من سروال وقفطان ملونين ومزركشين وشاشية وبلغة من جلد أحمر.

2- جيش الخيالة : كان يتألف من 2000 فارس، وكانت مهمتهم تنحصر في تعزيز جيش المشاة في "الحركات" برماحهم. وكانوا يرابطون بأبراج فاس (كقصبة شراردة). وكان قائدهم أثناء حالة السلم وأثناء "الحركات" هو قائد "الرحى" التركي المدعو "خوجا التونسي".

3- طابور الطبجية أو المهندز (جيش المدفعية) : كان يوجد فيه ما يزيد على 600 جندي يستعملون عدة مدافع مختلفة الانواع تحمل فوق البغال بواسطة أساري اسبانيين. وكان من اختصاص ضباطهم "المهندسين" (عددهم 30) - زيادة على مهمتهم الاساسية - أن يدلوا الحملة (أي الفيلق الذي يرابط موقتا في ناحية مضطربة) على المواقع الاستراتيجية التي يجب أن تمر بها، وعلى القناطر التي تبتت لهم صحة بنائها عند عبور الوديان [18]. وكان يوجد من بين هؤلاء "المهندسين" «موقت يطلع قادة الجيش على الاتجاهات الصائبة وعلى أحوال الطقس المتوقعة». وكان أحد المهندسين مولاي أحمد الزواق يقوم بالاسعافات الضرورية للمجروحين والمصابين أثناء "الحركة".

أما من ناحية التغذية والتزويد بالسلاح فكان ذلك يرجع الى القبائل التي تزود الجيش برجالها. فكان قائد القبيلة هو مقتصد رجال القبيلة المنخرطين في صفوف الجيش. وقد أسس السلطان بمراكش معملا لصنع البارود لجنود الطبجية كان يدعى "فابريكة الحبة" وكان يصنع به "البرود المزدج". وكان موقع المعمل "بالسجينة" قرب "جامع الفناء". وقد بعث سيد محمد عبد الرحمان الى مصر- في عهد الخديوي اسماعيل - ثلاثة "معلمين" ليتدربوا على صناعة البارود. وكانت بعثة أخرى بصدد التوجه الى مصر سنة 1283 هـ لتتعلم خطط الجهاد والفنون الحربية والمدفعية وتتركب من 30 طالبا مختارين من جيش البُخاري ومن مدائن فاس وسلا والرباط والصويرة [19].

وفي ميدان البحرية كانت توجد في عهد محمد الرابع مركبتان عسكريتان راصيتان

بميناء العرائش لصد أي هجوم بحري. وقد بنى السلطان برج "الفنار" قرب ميناء طنجة على يد مهندس فرنسي. وكان يشتمل على ما يزيد على 600 شمعة ليهتدي بها البحارة ليلا. وكان رؤساء البحر في عهده مثل عبد الرحمان بريطل وعبد الرحمان بركاش وأحمد والحاج وأبوبكر السبيع وأحمد عاشور يخرجون في القراصين الجهادية للتطواف بسواحل المغرب ويقومون بتدريب "المعلمين" على شؤون البحر. ومن المعلوم انه لما اقتاد بركاش وبريطل سفينتين نامساويتين الى ميناء العدوتين هوجم ميناء العرائش.

وقد أتى الشاعر محمد أكنسوس بوصف لهذا الجيش العتيد في كتابه "الجيش العرمرم":

له العسكر الجرار تفرق في الوغا ✯ صوارم منه والمدافع ترعد

يعد الى الاعداء كل كتيبة ✯ من الرعد يحدوها الوشيج المسدد

وكل كمي كالغضنفر مغضبا ✯ وكل صقيل وهو ماض مجرد

يبيد العدا قبل اللقاء مهابة ✯ فصارمه يفري الطلى وهو مغمد

* * *

وعدد امثال الاسود عساكرا ✯ تخر له الاسد الضراغم سجدا

وتهتز منها الأرض عند ركوبها ✯ وتزحف أطواد الجبال تميدا

وتحسب أن الجو نار تأججت ✯ يضج لها باغي الفساد مشردا

وتخفق ريح النصر بين بنودها ✯ على غرة المنصور أكرم من غدا

وقال أيضا :

أعد عداه للعدا بعساكر ✯ مسمومة ركبان خيل ورجلان

ليوث افتراس كلما زارت على ✯ ديار أناس زارها كل أحزان

فوارس تغتال النفوس كأنها ✯ إذا صفحت أرضا عصائب عقبان

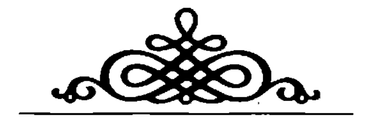
تصول بأسياف تحيض ذكورها ✯ وتسطو بأرماح كأنياب ثعبان

رسالة في تنظيم الجيش : ألف محمد بن أحمد الخوجة التونسي مؤلف كتاب" كيفية قتال " وأحد مدربي العسكر المغربي [20] رسالة في تنظيم الجيش المغربي برسم الامير محمد بن عبد الرحمان أيام خلافته عن والده المولى عبد الرحمان بن هشام.

يقول في خطبتها : الحمد لله الحميد المجيد الفعال لما يريد ... وبعد فإني لما نظرت في أحوال العسكر السعيد المصحوب بالسعادة والنصر والتأييد المحسوب على الجانب العالي بالله : جانب سيدنا وابن سيدنا الابر ومعدن الجود والافتخار مولانا الخليفة أيده الله، وأدام عز طلعته وأبقاه، وجدت قلة المعرفة مع أربابه وشاهدناه في بلاد الترك وفي بلاد الروم ودرسناه في كتب المهندسين من أرض مصر وجعلناه مختصرا لطيفا في خدمة العسكر وقوانينه وحروبه، لأن

الحرب خدع فينبغي للمعلم ان ينظر في أحوال القتال، فكلما أتى العدو بحيلة في الحرب لا بد له أن يصنع حيلة ضدها، ليبطل عمله بها، والقتال له أصناف عديدة : قتال في الجبال وقتال في الأودية والشعاب وقتال في الارض المستقيمة هذا اذا كان القتال بالعسكر مع عسكر العدو وإذا كان مع القبائل والعربان فله قوانين اخرى ... واعلم يا أخي ان الجهاد في بعض المواضع فرض عين واجب على كل واحد ولو علي المرأة، ومعظم الجهاد في زماننا هذا إنما هو بالبارود فلابد له من معلم رئيس حافظ لجميع القوانين صار وجودها كالعدم، فالواجب على العسكر التعليم والمسايسة والملاطفة فيه، حتى ترسخ صنعة الحرب في عقولهم، ويثبتون على القوانين والحيل اللازمة لهم عند مقابلة العدو، فإذا أراد مولانا نصره الله بهم قضاء أمرهم من الأمور السلطانية وجدهم في غاية الحزم والعزم ...

تم تشتمل رسالة الضابط بن خوجة «على مقدمة في لغة الجيش التي صارت آنذاك في البلدان العربية هي اللغة التركية المزيجة بالفارسية". كما تتحدث الرسالة عن رتبة المائة ورتبة الالف ومرتبة الجيش من العسكر والمحلة العسكرية وكيفية وقوف الجيش وترتيب كباره ورسم سفر الجيش في الطريق وعن مدلول ومهمة وترتيب كل فرقة من الجيش.... الخ[21] .



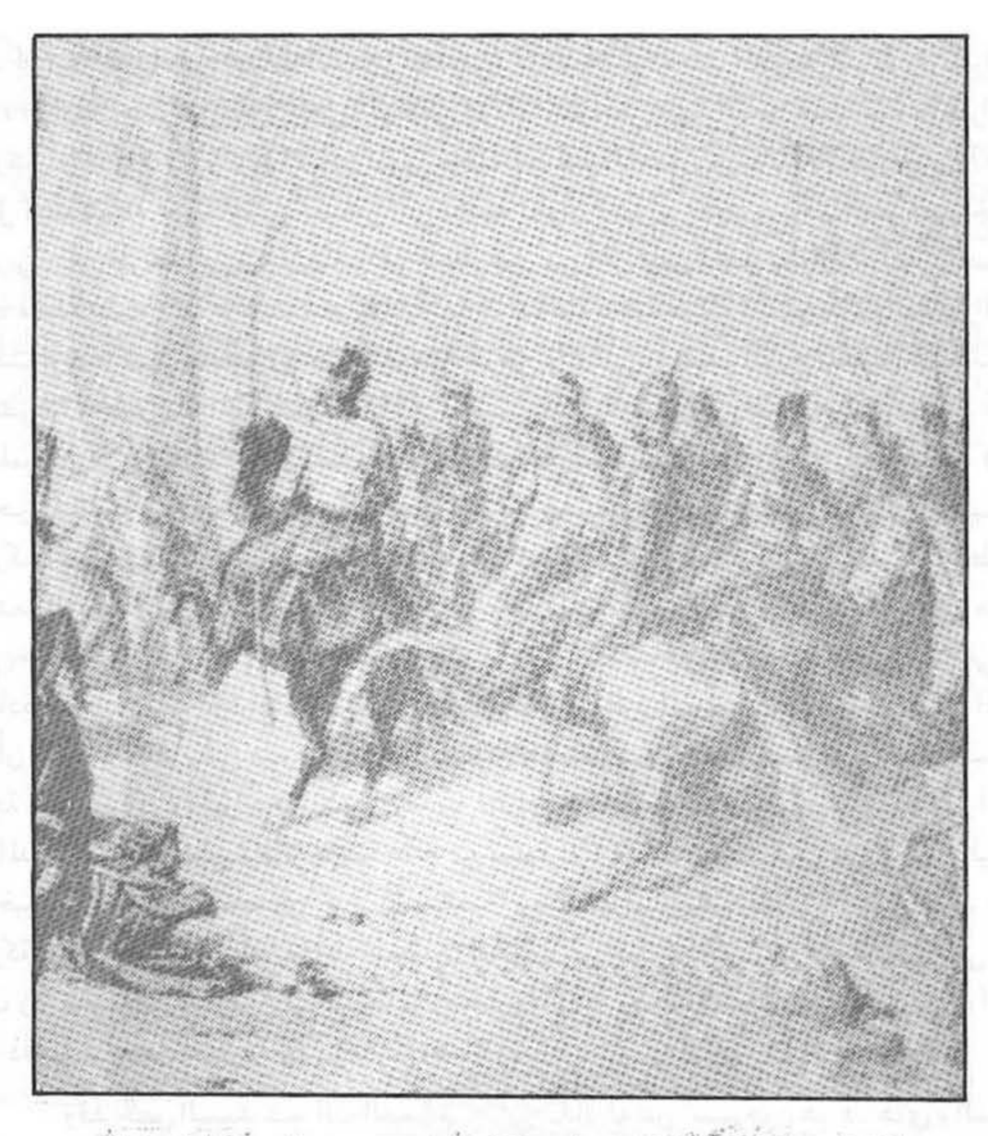
الحرب المغربية - الاسبانية
(1859-1860) - (1276 هـ) *

معركة تطوان : بعد معركة وادي إسلي وما آلت اليه في النهاية طمع الاسبان في عهد إيزابلا الثانية في احتلال الشمالي المغربي، فأعلنوا الحرب ضد المغرب المسالم وأرسلوا الى بلاده 20.000 جندي وأسطولا بحريا ليحمي هؤلاء الجنود من جهة البحر تحت امرة «الخنرالين» "أدونيل"(O'donnell) و"بريم" فبادر المولى محمد بن عبد الرحمان بإرسال 500 فارس و 20.000 راجل تحت قيادة أخيه المولى العباس الى ناحية تطوان (فبراير 1860). وقد انضم الى الجيش المغربي - في طريقه الى ميدان المعركة - متطوعون من أهل فاس وأهل تطوان. فالتقى الجمعان قرب مدينة تطوان[22] ، وكانت معركة بل معارك صاخبة دامية مليئة بالضوضاء والفتك والنهب ودامت أربعة أشهر مخلفة وراءها المئين من الجرحى والقتلى. ويصف المؤرخ المفضل أفيلال "في مخطوطة" احدى هذه المعارك قائلا : " ان الاسبان كانوا ينزلون في المواضع التي ينتقل عنها المسلمون. ولم يزل ذلك دأبهم كلما انتقلوا من موضع عمره العدو الى أن بلغ واد "أسمير" فهاج البحر وعظمت أمواجه وغرق مركب العدو وهرب الجميع». ووصفت بعض المصادر الاسبانية معركة أخرى بقولها : ان المغربيين قاموا فيه بالهجوم على الاسبانيين بقوة عظيمة اضطرتهم لاستعمال جميع قواتهم للاحتفاظ بمراكزهم وايقاف ذلك الهجوم الذي وصفوه "بأنه أعظم هجوم قام به المغربيون الى ذلك اليوم وقد جرح فيه الجنرال "اتاشاكوي" جرحا اضطره للتخلي عن القيادة فتولى مكانه الجنرال "كاسيط" ولكنهم تمكنوا من طرد المغربيين".[23] ومما زاد في الطين بلة أن الأسطول الفرنسي هدم برج مرتيل بتطوان بقنابله وكوره (كما سبق له أن قنبل ميناءي طنجة والصويرة). وأخيرا دخل الاسبان مدينة تطوان بعد جلاء الجيش المغربي عنها، وعثر العدو في المدينة الشهيدة على ذخائر حربية هامة من بينها 150 مدفعا وعدد كبير من الكور والبارود والأخبية.[24] ويعلل "الناصري" في "الاستقصا" سبب انهزام الجيش المغربي - مرة أخرى - في معركة تطوان بقوله : " وأما مقاتلة المسلمين فكانت غير منضبطة.... تم هم يقاتلون على غير صف ولا تبعية بل يتفرقون في الشعاب ومخارم الأودية وحول الاشجار فيقاتلون من ورائها، واذا دفعوا في نحر العدو دفعوا زرافات ووحدانا.».....

وقد لخص السيد عبد الله العمراني - في مقال له عن "سيرجون هـ. د. هاي» السفير الانجليزي بالمغرب[25] . وجهوده الدبلوماسية في الحرب الستينية بين المغرب واسبانيا - الأسباب التي حالت دون تحقيق النصر المغربي بقوله :

1- ان الجيش المغربي لم يكن مدربا تدريبا كافيا، بل لم يكن مؤلفا على الشكل المعهود وكل ما في الأمر أنه يتطوع المتطوعون فيعطوا السلاح ويهبوا للدفاع عن الوطن والدوذ عن حماه.

2- سوء القيادة المغربية (وعدم التنسيق بين افرادها) أوقع جيوشنا المدافعة في أخطاء لا تغتفر وأعمى عيونها عن استغلال فرص سنحت لو عرف المشرفون كيف يستغلونها لتبدل



Entrée des Espagnols à Tétouan, le 6 février 1860

الحال غير الحال ولصار المغلوب غالبا[26] .

«وكان أهل تطاوين يقاومونه مقاومة عنيفة بقيادة البطل المعروف " بأبى ريالة" واستولى العدو على برج مرتيل ليتوصل بالمدد عن طريقه. وأثناء ذلك وصل المولى أحمد بن عبد الرحمان في جيش من مكناسة والتحق بأخيه مولاي العباس فشن الاسبانيون هجوما عنيفا على تطاوين.» وهدموا أبواب أسوارها[27].

وذكرت جريدة تطوان في عددها 1 (15 ماي 1977) رواية أخرى عن حرب تطوان نثبتها تعميما للفائدة :

في سنة 1276 هـ 1859 م أعلنت اسبانيا الحرب على المغرب ووقعت ما يعرف في التاريخ المغربي بالحرب المغربية الاسبانية، وبعد سنة من هذه الحرب احتلت اسبانيا تطوان 1860م وكأنها تعيد أيام استردادها لغرناطة أو قرطبة فدخلت المدينة البيضاء وعسكر جنودها في الاضرحة والزوايا وغيرت المساجد إلى كنائس وكانت زاوية الشيخ المجذوب سيدي عبد الله البقال بساحة الفدان أول زاوية حولت الى كنيسة.

بدأت الحرب المغربية الاسبانية بسبب خلاف حول نقطة الحراسة الاسبانية على حدود سبتة مع قبيلة أنجرة المجاهدة، فاستغل الاسبانيون هذا الخلاف الذي تطور الى اصطدام بين الطرفين وأعلنوا الحرب على المغرب بعد استعدادهم الكامل في سرية وتكتم شديدين.

وفي يوم 23 ربيع الثاني 1276 هـ الموافق ليوم 19 نوفمبر 1859 خرج الجنرال الاسباني إيتشاكُوي من سبتة للشروع في احتلال المغرب عسكريا فكانت مواجهات مسلحة صمدت فيها قبائل أنجرة الحوز وادراس بني حزمر بني يدر ومجموعات من متطوعي قبائل الاخماس.

وقد لقي الجيش الاسباني عقبات كأداء في تقدمه نحو تطوان واضطر لعدة مرات الى الاستعانة بفرق عسكرية جديدة لمواجهة الجيش النظامي الذي كان على رأسه الامير مولاي العباس ومتطوعي القبائل الذين كان يتزعمهم الشريف سيدي عبد السلام ابن ريسون. وفي هذا الصدد يقول مؤرخ تطوان الاستاذ داوود في مختصر تاريخ تطوان صفحة 141 نقلا عن مؤرخ معاصر للاحداث هو الشريف سيدي المفضل أفيلال : «ثم ذكر أفيلال أن الخليفة السلطاني مولاي العباس دخل تطوان يوم 23 جمادي الاولى وأمر القوات التي كانت مرابطة بها أن تتوجه الى ناحية سبتة، وفي غد ذلك التاريخ توجه بنفسه لناحية القتال في جهة سبتة، تم لحقه الشيخ القدوة سيدي عبد السلام ابن ريسون في 25 منه ومعه حملة من أصحابه من فقهاء وشرفاء الخ....»

وبسبب وفرة عتاد الجيش الاسباني وحسن تدريبه ولأسباب أخرى يطول شرحها وللمقاومة الشديدة التي أبدتها القبائل الجبلية قرر الاسبانيون احتلال تطوان عن طريق الانزال البحري في ميناء وادي مرتيل الذي لا يبعد عن المدينة الا بعشر كيلومترات فقط وذلك بعد شهور من اعلان الحرب.

وعلى مشارف تطوان وفي يوم السبت 11 رجب 1276 هـ. الموافق ليوم 4 فبراير 1860م.

جرت معركة احتلال تطوان التي ذهب ضحيتها عدد كبير من جنود الطرفين وانتهت بتفوق الاسبان وتقدمهم نحو المدينة لاحتلالها نهائيا صباح يوم الاثنين 13 رجب 1276 الموافق ليوم 6 فبراير 1860م. وذلك بقيادة الجنرالين الاسبانيين أودنيل ويريم .

وكادت هذه المدينة واقليمها يدخلان في عداد الممتلكات الاسبانية لولا الموقف الذي أعلنه سلطان المغرب جينداك سيدي محمد بن عبد الرحمن بن هشام وتشبثه بتحرير المدينة مهما كلف ذلك من جهد ومال[28] .

وتحدث محمد داوود في دائرة حرب تطوان عن **معركة سمسة** التي وقعت بعد معركة تطوان : "ولكن ماذا عساه أن يفعل جيش لم يكن يملك في ذلك الوقت الذخائر الحربية أمام جيش منظم مزود بجميع ما تحتاج اليه حرب ضروس» ؟ وكذلك عن **معركة بوادراس** التي بذل الجيش المغربي فيها جهودا عظيمة : فما من مكان ارغم على الانسحاب منه الى وحاول استرجاعه بالقوة. وقد اشتبك المغاربة في هذه المعركة مع الاسبان بالسلاح الابيض عدة مرات.... وأظهروا - حسب المؤرخ ابن زيدان - من البسالة ما أبهر الاسبان حتى انهم كانوا يظنون أنهم سيلقون رجالا كالرجال الذين يعرفون فإذا بقوم مثل الجبال لا يضجرون من الحرب ولا يهابون الموت تحملهم شجاعتهم على مصادمة المدافع والقبض على رؤسائها باليد. «وكان سر القوات المغربية يقول احدى الاسبانيين اننا نجهل عنهم كل شيء لا نعرف عددهم ولا متى ياتون ولا من أين يجيئون، وان الارض هي التي تنشئهم وحضورنا هو الذي يوقظهم من حجورهم لا يعرفون إلا عندما يظهرون سيان كانوا مليونا اودورية من مائة رجل».

وخلاصة القول ان الاسبانيين لم يكن مطمعهم في هذه المعارك الاستيلاء على تطوان فقط بل كان هدفهم هو مدينة طنجة ذات الموقع الاستراتيجي الهام والجزر المغربية المقابلة لشاطىء المتوسط[29] . وقد استمرت المناوشات بين المغاربة والاسبان سجالا الى أن تم الاتفاق بين المغرب واسبانيا (مفاوضات مولاي العباس وسيدي محمد بن عبد الرحمان مع قادة الجيش الاسباني) على أن يخرج الاسبان من تطوان ومن الأراضي التي بينها وبين سبتة مقابل دفع السلطان لهم 20 مليونا من الريال (100 مليون بسيطة) نصفها معجل ونصفها مؤجل يقطع تدريجيا من مداخل الموانىء المغربية، وفي مقابل امتيازات اقتصادية أخرى. وكان خروج الاسبان من تطوان. في 10 ماي من سنة 1852م وسلمت تطوان لعاملها عبد القادر أشعاش.

وكيفما كانت النتيجة لهذه الحرب فلقد أجمع الباحثون في هذه الحروب ومعاركها أن هزيمة المغرب لم تنشأ عن الجبن أو قلة الشجاعة أو البخل بالتضحية وإنما السبب الاكبر راجع للفوضى، وقلة التنظيم، والجهل بشؤون الحرب العصرية، وعدم تنسيق الدفاع عنها بعد سقوط غرناطة بحوالي ثلاثة قرون ونصف - وفراغ الخزائن من الأسلحة والعتاد. وكان السلطان العلوي وكبار دولته من أول المفكرين بعد هذا النكبة لتنظيم الجيش المغربي من جديد وجعله من القوة حتى يستطيع أن يرد هجمات الأعداء الطامعين . وشرع السلطان في استفتاء العلماء والادباء في هذا الشأن[30] .

وفعلا خلفت مأساة تطوان واستفتاء السلطان للعلماء في شأنها مجموعة لابأس بها من أدب اليقظة المغربية كتبها كتاب وشعراء مرموقون حثوا فيها الجيش المغربي على استرجاع الأرض المغصوبة والحق المسلوب[31] .

وهكذا أعاد المولى محمد بن عبد الرحمان تنظيمه الجيش المغربي بعد استشارات مع رجالات المغرب. فأصبح الجيش المغربي مشتملا على الخيالة "والرجالة" وصار ينقسم الى عدة فرق، كل فرقة تسمى «الطابور» الذي يشتمل على 900 جندي وفيه عدد من حملة الشواقير. وكان لباس هذا الجيش من الملف الرفيع، وكسوة رؤسائه مزركشة ومرصعة بخيوط الذهب ونعالهم من جلد أحمر. أما سلاح الجيش فكان من أعلى طراز. وقد أحدث مولاي محمد "منصب العلاف الكبير" (اي وزير الحرب وقائد الجيش) وأسنده الى عبد الله بن احماد أخ موسى بن أحماد الحاجب المشهور . تم أجرى اتصالات مع الانجليز بواسطة سفيرهم بطنجة ليرسلوا ضباطا ليعملوا داخل الجيش المغربي ويدربوا جنوده ويساعدوه على تكوين أطره واستعمال الاسلحة العصرية.

---

(1) لما شرع الفرنسيون في احتلال الجزائر سنة 1803م طلب سكان تلمسان ووهران من السلطان إدماجهم في حظيرة المملكة المغربية، فأرسل لحمايتهم جيشا من الودايا والعبيد بقيادة المولى علي بن سليمان. وبهذه المناسبة نظم وزير السلطان الشاعر محمد إبن ادريس العمراوي قصيدة طويلة حماسية يحرض فيها المغاربة على الدفاع عن حوزة الوطن وعن الجيران، منها :

يا ساكني المغرب الجهاد الجهاد * فالكفر قد شارككم في البلاد

قوموا لنصر دينكم قومة * نحطم أهل الشرك حطم الجراد

موتوا كراما في جهاد العدا * فالموت في الله حياة تزاد

ياأيها الناس اتقوا ربكم * وجاهدوا في الله حق الجهاد

(2) لما هجم الجيش الفرنسي على وجدة (يونيه 1844)نظم الشاعر ابن ادريس قصيدة أخرى في التحريض على المقاومة :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم * إلى الجهاد فما في الحق من غلط......

(3) سبق للمولى عبد الرحمان بن هشام أن زود الجزائر بالخيل والماشية والبارود والرصاص والبنادق والمدافع الى جانب المؤن والرجال والخيام والكساوي والمال...... (الناصري :44/9).

ويقول لفيسك وهنري أورجي في مؤلفهما : «فرنسا والشمال الإفريقي» : حينما قاتل عبد القادر الجزائري الجنرال بوجو بالهضاب العليا شرق المغرب عام 1843 م، كان أهالي بوذنيب وتوات والقنادسة وبشار يكونون 90 في المائة من جنوده بينما العتاد الحربي كان يصله من فاس. وحينما خسر معركة الاغواط فر مع الاهالي المغاربة داخل التراب المغربي ليلتحق بالسلطان العلوي بفاس. فأعاد السلطان تجهيزه بالرجال والعتاد، وانطلق الجيش من وجدة، بمساندة الجيش المغربي بقيادة السلطان المولى عبد الرحمان الذي خاض معركة حاسمة في موقعة للا مغنية شمال وجدة. وعندما هجمت مجموعة من جنود السلطان العلوي على ثكنة الجنرال بوجو (10 غشت 1844م) ثارت ثائرته وخطط لمهاجمة المغرب في وقعة إسلي.

(4) ولد عبد القادر في قرية القيطنة (محي الدين حاليا) الواقعة على بعد نحو 25 كيلومترا غربي مدينة معسكر (او ام العساكر) التي اتخذها فيما بعد قاعدة لجهاده ضد الاستعمار الفرنسي، عام 1807، وتلقى العلوم على ائمة عصره في المشرق والمغرب. وذكر ليفي بروفنسال في أنسيكلو بيدية الاسلام انه من أصل مغربي وبالتحديد من الريف (ج1 1954).

«.... ولما طال على أهل الوطن الأمر، وتوالى عليهم الكرب والنكد.... تارة كانوا يدافعون عن البلاد، وتارة كان يقع بينهم الفساد، والحرب والجلاد. وسطا القوي على الضعيف، وتطاول اللئيم على الشريف» كما يقول كتاب تحفة الزائر، اجتمع العلماء والاشراف واعيان القبائل، وقدموا على محي الدين، والزموه ان يقبل البيعة على الامارة لنفسه او لولده عبد القادر، فاختارها لولده. وتمت البيعة بمسجد البيعة في وسط مدينة معسكر، وفيه انعقد اول مجلس حربي للجهاد في سبيل تحرير البلاد.

وبفضل ثقافة الامير وسعة اطلاعه وخبرته السياسية والعسكرية، استطاع ان يعبيء موارد بلاده لمواجهة الاستعمار الفرنسي. وظهرت عبقرية الرجل في تنظيماته الادارية والقضائية والتربوية الحديثة. وبدا ذكاؤه في نظامه العسكري الفريد الذي اذهل اعداءه الفرنسيين، فقد اسس مصانع الحديد لصنع المدافع والبنادق والعتاد الحربي، وابتداع تكتيكا عسكريا يعتمد على المباغتة وسرعة الحركة، مما جعل الماريشال الفرنسي بيجو، خصمه اللدود، يعترف بان «الأمير عبد القادر رجل عبقري»، وهو «بالتاكيد احدى الشخصيات التاريخية الكبرى لعصرنا»، وانه «عدو نشيط وذكي وسريع الحركة» حاز شهرة عالمية من واقع عبقريته، ونبل القضية التي يدافع عنها».

واكسبته عبقريته العسكرية احترام اعدائه. وصف الكابتين ج. بيشون، من الفيلق الثاني للجيش الفرنسي في الجزائر، المعركة التي خاضها عبد القادر ضد الجنرال لاموريسيير، فقال : «انطلق لاموريسيير لاقتفاء اثر الامير وملاحقته، وبينما هو يظنه امامه، اذا بالامير يفاجئه من الخلف. وعندما كانت قواتنا تجد في البحث عن هذا العدو السريع الحركة في مكان، كان يعلن عن ظهوره في مكان آخر». وبدوره يعترف الماريشال بيجو، في مذكرة لوزير الحرب الفرنسي، فيقول : «يجب ان يكون الانسان ساحرا ليتنبأ بحركاته، وان تكون لجنودنا اجنحة لبلوغه، فهو يمر حيث لا نوجد، او حيث لم نعد نوجد.»

في رسالة دكتوراه قدمها اديب حرب، الاستاذ بجامعة بيروت، فسر لنا قواعد استراتيجية الامير عبد القادر بقوله " «هي حسن التقدير، والتحرك حسب الامكانيات، والاهمية الكبرى للمعلومات المستقاة من شبكة هائلة من المصادر الموثوق بها، والكتمان، وتعبئة الوسائل والقوى، واختيار زمان ومكان المعركة، والسرعة في التنفيذ والمثابرة في الجهود. توفي سنة 1883م بدمشق (عند العثمانيين) بعد أن لجا إليها سنة 1855م. وشح نابليون الثالث صدره بوسام جوقة الشرف.

هذا هو ملخص حياة هذا الرجل الذي قاوم الاستعمار الفرنسي خمسة عشر عاما ولم يكن بطلا حربيا فقط بل كان رجل دولة، ومفكرا وشاعرا.

ومما تجدر إشارته أن عبد المالك بن الامير عبد القادر الجزائري أتى من الشرق الى المنطقة الخليفية قصد الجهاد ضد الفرنسيين والاسبانيين حتى استشهد بقبيلة بني توزين بالريف سنة 1343هـ. ودفن بالزاوية الحراقية بتطوان (عبد الله الجراري : شذرات تاريخية، 44).

(5) يقول ابو عبد الله السليماني في كتابه "اللسان المعرب عن تهافت الاجنبي حول المغرب" انه في سنة 1254 هـ خرج من فاس جيش كثيف تحت رئاسة سيدي محمد وأخيه مولاي أحمد قاصداً و جهة الامير ...» (ص191)

(6) ذكر المؤرخ الفرنسيJ. L. Miège في هذا الصدد قائلا :

"Ce qui s'est effondré à Isly c'est plus qu'un corps d'armée la reputation militaire du Maroc.
Depuis plus de 2 siècles nulle intervention armée européenne qui ne soit terminée par un echec".

وقال مؤلف كتاب : "Une Ambassade du Maroc 1887"

"Je connaissais l'armée marocaine pour l'avoir vue, rangée en bataille.
†Je savais à quoi m'en tenir sur cette horde de soldats en guenilles armés d'epouvantables fusils ; je ne doutais pas un instant qu'elle fût incapable de resister à une force européenne quelconque, tant soit peu organisée" :

وانظر تفاصيل اخرى على هذه المعركة في كتاب «الجيش العرموم الخماسي في دولة اولاد مولانا على السجلماسي» لمحمد بن احمد اكنسوس ج 2 ص 28

وكتاب : Charles André Julien "Le Maroc face aux Imperialismes" (p:29)

وكتاب : Dutertre : لـ La Bataille d'Isly (1906)

وكتاب : "La Bataille d'Isly" (14 Août 1844) - H. Rozet

وكتاب : "La Campagne de 1844 au Maroc, la bataille d'Isly ." لـ A. Latreille : (1912)

وبحث محمد زنيبر : بـ Mimorial du Maroc : la Bataille d'Isly - T : 4

(7) انظر د. اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي : "تاريخ وجدة وأنكاد في دو حة الأمجاد" ج 1 من ص 111 الى ص 155.

والتهامي الوزاني : تاريخ المغرب، ج : 3

وقد يختلف عدد القتلى والجرحى في هذه المعركة حسب ماورد في عدة مصادر.

(8) انظر : عمر بوزيان : "المساعدة المغربية لثورة عبد القادر الجزائري" في كتابه «جذور اتحاد المغرب والجزائر» ابتداء من ص 113.

ود. اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي : "تاريخ وجدة وأتكاد في دوحة الامجاد"، ج 1 ص 146-155

(9) عبد الرحيم بن سلامة : المغرب قبل الاستقلال ص 57.

(10) انظر الاعتداءات الاجنبية على مدينة سلا في كتاب "الاتحاف الوجيز" المهدى للمولى عبد العزيز لمحمد بن على الدكالي السلاوي (ملحق بقلم مصطفى بوشعراء ص 197). وانظر وصف اعتداء الاسطول الفرنسي على سلا بسبب هذه الحادثة وكذلك في القرنين 17 و 18 بسبب القرصنة وذلك من خلال رسائل عائلية قديمة نشرت بمجلة البحث العلمي عدد 39 من طرف الاستاذ الحاج أحمد معنينو (ص 83-94) ، وبحث محمد السماحي بعنوان : «لماذا هاجم الاسطول الفرنسي مدينة سلا سنة 1851» بكتاب الندوة العلمية حول الرباط وسلا ج 1 ص 173 وما بعدها.

(11) بعد حوادث الدارالبيضاء قامت القوات الفرنسية باحتلال المدينة يوم 7 غشت 1907. وبعد احتلال وجدة والدارالبيضاء جاهر العلماء بالدعوة الى الجهاد والمقاومة لانقاذ المدينتين «ونددوا» "بالسياسة العزيزية" مما جعل أهل فاس يبايعون المولى عبد الحفيظ كسلطان للجهاد و"لإخراج العدو من ثغور المسلمين". ولما انطلت المقاومة بالشاوية في شتنبر 1907 بدأت تحرشات قبائل بني يزناسن وقبائل أنجاد في شرق المغرب. فاستؤنفت المقاومة وطاردت القبائل المغربية الجيوش الغازية داخل التراب الجزائري. فاستقدم ليوطي أمدادات عسكرية من وهران الى المغرب وسيطر بها على بني يزناسن وجبالها (1908) تم على مدينة العيون الشرقية سنة 1910م.... (عكاشة برحاب : «شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي ص 371-375).

(12) تكلم في الفصل الاول منها عن التهيىء لجمع العسكر وفي الفصل الثاني عن استخدام الوسائل المرتبة والقوية لحشد الجيش بفاس ومراكش وبالمدن الأخرى تم يقدم المؤلف نصائح عملية حول توزيع الحراس وحول الخدمة العسكرية. وتوجد هذه الرسالة بالخزانة العامة تحت رقم 1623 (انظر التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية للدكتور ابراهيم حركات ؛ الجيش والتجهيز العسكري» (ص 126-130).

(13) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب - مجلة تطوان عدد 2 (1957).

(14) صاحب التائية المشهورة التي يتحسر فيها على ما أصاب المغرب، ويستعين بأهل الجد والعزم لنصرة دين الاسلام في هذه البلاد :

ابى القلب سلوانا ومن لي بسلوة * ونومي جفا من أجل مافي مقلتي

(15) ولما وصلت الى الشرق أصداء هذه الحركة الاصلاحية في صفوف الجيش المغربي أمام واقع التفوق العسكري الفرنسي، «أهدى محمد علي باشا والي مصر مجموعة من الكتب الفنية المتعلقة بالتنظيمات العسكرية" الجديدة الى المغرب.

(16) انظر في هذا الموضوع : "صفحات من الفكر السياسي والعسكري من خلال كتابات مغربية في القرن التاسع عشر لعبد الله ساعف - مجلة أبحاث عدد 20/19-1989

وتجدر الإشارة في هذا الباب بأن الرحالة المغاربة الذين جابوا البلدان الأوربية في القرن التاسع عشر تحدثوا في رحلاتهم عن التنظيمات العسكرية الحديثة لهذه الدول وعن تنوع أسلحتها المتكررة ومصانعها الحربية، وطالبوا بالتعامل مع هذه الدول عسكريا للاستفادة من خبراتها العسكرية فنيا وميدانيا. (انظر في هذا العدد "المظاهر العسكرية في الرحلة السفارية (الديبلوماسية) أثناء القرن 19 " لعبد الرحمان مودن – مجلة القوات المسلحة الملكية رقم 279-1995

(17) عبد العزيز بنعبد الله : "القوام العسكري في الحضارة المغربية" - مجلة المناهل - عدد 12.

(18) يلاحظ أن في عهد المولى محمد بن عبد الرحمان أصبح الاهتمام بالرماة والطبجية أكثر من الاهتمام بالوحدات الأخرى كالخيالة ذلك لان المدفعية هي التي تسببت في تفوق الجيش الفرنسي في معركة إيسلي. وبدأ المغرب يهتم بالمدربين المسلمين كعلي التونسي والخوجة التونسي اللذين وردا من تونس وكحمودة الجزائري. كما بعث بطلبة للتدريب في الجيش المصري على «عمل البارود» (بدليل الرسالة التي بعث بها السلطان محمد بن عبد الرحمان الى محمد بن سعيد السلاوي في هذا الشأن)

كما أرسل المخزن بعثات عسكرية الى الدول الغربية : كبلجيكا وايطاليا (تورينو) للتدريب في معامل سلاحها وأخرى لنفس الغرض في بونشتر بالولايات المتحدة كما بعث 200 من العسكر من مختلف القبائل الى جبل طارق ليصبحوا ضباطا وأطرا ممتازة للجيش النظامي (محمد الغماري : الاصلاحات العسكرية بالمغرب في القرن التاسع عش مجلة دار النيابة عدد 17 شتاء 1988).

(19) محمد المنوني : " مظاهر يقظة المغرب الحديث" ص 116.

(20) في عهد الحسن الأول كلف هذا الضابط بتلقين الضباط المغاربة الفنون العسكرية. وكل من تفوق منهم أهدى اليه السلطان كسوتين.

(21) محمد المنوني : "مظاهر يقظة المغرب - البحث العلمي - عدد 9 - هذا ويوجد كتاب مخطوط بخزانة القرويين بفاس عنوانه : "تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر للفقيه محمد بن محمد الفلاق السفياني المغيطي (1139هـ) ذكر في أحد فصوله أن الجيش المغربي لم يكن قبل السلطان مولاي عبد الرحمان وولده سيدي محمد مبنيا على قانون ونظام واضحين. "ودفعته هذه الملاحظة الى الحديث عن الجيش وتاريخه وضرورة وجوده وطرق الانفاق عليه» وبوجوب تنظيمه

وترتيبه واعداده للمقاومة وتقوية معنويته ودفعه الى الالتزام لمحاسن الصفات وخصال الجندية كالصبر والثبات وقد استفتى محمد الرابع علماء في شرعية "جيش النظام" فأجابه محمد المهدي بن سودة مما أجابه "بأن اتخاذ النظام اليوم هو غلظة على الكفار. وكل غلظة على الكفار واجبة. فينتج أن اتخاذ النظام اليوم واجب».

(22) تحدثت كثير من المراجع التاريخية عن بداية معركة تطوان سنة 1860، ولكن حسب بعض المراجع الاخرى فان حرب تطوان ابتدأت في الواقع سنة 1859م، من بينها : " حرب تطوان بالمغرب من العهد العزيزي الى سنة 1812" للحسين بوشامة، "كتابات ماركسية حول المغرب" لعبد الله ساعف ؛ "مختصر تاريخ تطوان" لمحمد داوود ؛ الاستعمار الاسباني بشمال المغرب" لميكيل مارتين ؛ "تاريخ المغرب الكبير (ج 3) للدكتور جلال بحي........

« حيث تذكر هذه المراجع مواجهات مغربية إسبانية ابتداء من شهر نوفمبر ودجنبر 1859 ؛ مخلفة عدداً من القتلى والجرحى. إلا أنه رغم هذا فإن الباحثين الذين يجزمون على أن سنة 1860 كانت بداية لحرب تطوان، يعللون هذا بكون تلك المعارك كانت عبارة عن مناوشات متقطعة، أقول أنا لا، بل كانت حرب، لأن المغاربة خلال هذه المرحلة اتبعوا تكتيكا حربيا أول الأمر، وهو ما يعرف اليوم بحرب العصابات، الذي أعطى للمغاربة انتصارات مهمة، إذ سرعان ما سيتغير هذا التكتيك الحربي بعد زحف الاسبان على تطوان الى تكتيك حرب المواجهة التي أدى المغاربة إثرها ثمنا غاليا نظراً لعدم تكافؤ ميزان القوى بين الطرفين الاسباني والمغربي». (مصطفى المرون : واقع البحث التاريخي بالمغرب المعاصر - مجلة الجسر تطوان - يناير- فبراير 1993.

ولقد كانت مدينة تطوان - يقول المؤرخ محمد داوود في كتابه "تاريخ تطوان" - تعتبر هي الخط الاولى للدفاع الوطني والرباط على الحدود أي لمواجهة أعداء الوطن وخصومه المهاجمين المعتدين. فكان كل من يقدر على حمل السلاح من سكانها يعتبر مرابطا في سبيل الله. وهو ان كان يقضي نهاره في معمله او متجره او حقله فان سلاحه يظل معلقا فوق رأسه او موضوعا الى جانبه حتى اذا ما سمع صوت النفير المعلن بوجود الخطر أسرع الى تقليد سلاحه وتسابق الى الاماكن التي كانت محددة لاجتماع الغزاة والمجاهدين لمقابلة الخطر والدفاع عن حمى الدين والوطن».

اما قصة تأسيس مدينة تطوان فهي كما يقصها علينا المرحوم الفقيه السيد التهامي الوزاني : «لما أجبر المسلمون على مغادرة وطنهم الاندلس تفرقوا أيدى سبا في المشرق والمغرب وكلهم غليل وبكاء ونحيب، ما عدا جماعة من جيش المتطوعين قوامها لا يزيد على 400 رجل يقودهم بطل يمثل الشهامة الاصيلة العربية في عهودها الاولى هو القائد علي المنظري رحمه الله، هذه الجماعة كرهت أن تضم الى هزيمتها روح الانهزام، فكانت مهزومة غير منهزمة فجلست هنا على ساحل البحر على مقربة من طنجة وشيدت مدينة تطوان سنة 666 هـ» والمنظري منسوب الى المنظر وهو حصن قرب غرناطة. وقد ابلى المنظري البلاء الحسن في جهاد غرناطة ثم هاجر الى المغرب وتولى رئاسة المجاهدين في شماله.

(23) محمد داوود : "تاريخ تطوان" المجلد 4. (وفيه يجد القارئ الشيء الكثير عن هذه الحرب التاريخية وجميع مراحلها وعن أسبابها ونتائجها وتبعاتها) وكذلك في كتاب «أبطال صنعوا التاريخ» لعلي الريسوني.

(24) دام زحف الاسبان على تطوان منذ فاتح يناير الى السادس من فبراير 1860 وسار محاديا للشاطىء انطلاقا من سبتة حتى مصب مارتيل. وبعد حشد الجند دخل الجيش الى تطوان يوم7 فبراير. وبقي الجيش بها الى غاية 22 مارس 1860 (عبد الله ساعف كتابات ماركسية حول المغرب (ماركس وانجلز والحرب الاسبانية المغربية 1859-1860)ص 50.

(25) كتب هذا السفير الانجليزي مذكرات هامة عن المغرب، ومما كتبه عن الاستقبال الذي خصص له بباب مدينة مكناس في طريقه الى القصر الملكي لمقابلة السلطان ما نصه : «وفي الساعة 7 صباحا وصل الضباط الراكبون الذين أرسلهم السلطان للترحيب بنا، وفي 8 وعلى بعد أميال من المدينة قابلنا قائد المشور الذي هو أول ضابط عسكري بالبلاد ولاحظنا من نحو 500 فارس و 1800 من المشاة بألويتهم الخفاقة وقد اصطفوا على طول المرتفعات المحيطة بالمدينة ومررنا عبر هذه الصفوف وقدمت الى كل الحكام والجزالات ووقع اطلاق النار عبر الصفوف مرارا..... » (مجلة البينة عدد7).

(26) وفي رواية احمد الناصري في الجزء 9 من الاستقصا (من ص 84 الى ص 103) عن هذه الحرب ما ملخصه :

كان سبب "انتفاض" الصلح مع الاسبان واستئناف القتال هو بناء اسبان سبتة في آخر دولة السلطان المولى عبد الرحمان مركزا للحراسة من حجر وطين بدلا من اللوح خلافا لاتفاق المبرم في هذا الشأن. فتقدم أهل سبتة من المسلمين وهدموه فشبت الحرب من جديد بين الجيشين المغربي والاسباني - بعد فشل المفاوضات - في عهد المولى محمد بن عبد الرحمان. وجهز المولى محمد بن عبد الرحمان الجيش بالسلاح وقدم القائد المامون الزواري الى تطاوين في نحو 100 فارس و 500 من رماة العسكر، وبرز جيش الاصبنيول من سبتة في نحو 20.000 من العسكر في غاية الاستعداد وكمال الشوكة (1276هـ) وقاتل الجيش المغربي نحو نصف شهر الجيش الاسباني وكان يقتل من الاسبانيين ضعف ما يقتل من المغاربة في ساحة المعركة لأن زحف المغاربة كان زحفا بالصف اما حرب الاسبان فكان مطاردة بالكر والفر ولكنه كان يحصن نفسه «بأشبارات والمتارزات وبخناشي الرمل» وبذلك لم يتمكن المغاربة من التغلب عليه. ثم بعث السلطان أخاه مولاي العباس في كتيبه من الخيل (نحو 500 فاس) فنزل بعين الدالية قرب طنجة ثم زحف الى العدو. وبعد ذلك انتقل الى "أبى كبدان" ووقف الجيش المغربي في وجه زحف الاسبانيين وردهم على عقبهم. وبعد ذلك تركت بعض الفرق الاسبانية

"بالفنيدق" عن طريق البحر. فطارد الجنود المغاربة الاسبانيين بالفنيدق فكانوا يحاربونهم نهارا. وبعد ذلك ارتحل الاسبانيون من هذه القرية الى تطاوين ونزلوا "بنيكرو" وكانوا يتلقون المساعدات العسكرية عن طريق سبتة وبدأ الاسبانيون يتقدمون رويدا رويدا لانهم وجدوا أمامهم جيشا لا يقاتل على ترتيب مخصوص وهيئة منضبطة وانما كان يقاتل متفرقاً. وبقي العدو يتقدم حتى وصل الى واد آسمير ونزل بالمضيق ومنه توجه نحو تطاوين.

(27) ما أن وطأت أقدام الاستعمار الاسباني مدينة تطوان حتي تأسست عدة رباطات شملت كل ناحية جبالة وغمارة. فكان رباط قرب القصر الكبير ورباط قرب مدينة آصيلة وآخر بأربعاء عياشة والبيوت ودار ابن قريش.... وقامت هذه الرباطات بمعارك بطولية ضد الاسبان أهمها معركة القصر الكبير ومعركة أصيلة (وثائق وتحقيقات عن المجاهدين (رباط دار بن قريش 1913م لمحمد الحبيب التجكاني)ص 46.

(28) يوجد بالمتحف العسكري الحربي الاسباني بمدريد مدفعان كبيران من النحاس مزخرفان بنقش مغربي، ومكتوب عليهما بحروف عربية مغربية : «هدية الى السلطان محمد بن عبد الله من ملك ايرلاندا 1757م »، ومسدس الامير مولاي العباس قائد الجيش المغربي، والرايات المغربية التي حملها المجاهدون، وكلها من المخلفات التي غنمها الجيش الاسباني بعد انتصاره في حرب تطوان. كما يشتمل المتحف على بندقيات تاريخية غنمها الجيش الاسباني في حروبه في العشرينات، وراية المجاهدين بالريف وهاتف بن عبد الكريم الخطابي الخ... (علي الريسوني : حفريات تاريخية ص 152 - 154).

(29) مما تجد ر الاشارة اليه ان انكلترا وقفت في وجه التوغل الفرنسي في منطقة الجنوب المغربي والتوغل الاسباني داخل منطقة الريف وخصوصا بعد احتلال تطوان.

(30) محمد داوود : "تاريخ تطوان" المجلد 5 (انظر نصوص الفتاوي ابتداء من ص 340) والفصل المخصص لهذا الموضوع في استقصا الناصري السلاوي.

(31) محمد المنوني : "مظاهر يقظة المغرب الحديث" ابتداء من ص 285

ومن الامثلة لأدب اليقظة قول الشاعر المؤرخ المفضل افيلال في قصيدة نظمها بعد كارثة تطوان :

يادهر قل لي على مه * كسرت جمع السلامة

يا آل تطوان صبرا * فما لخطب إدامه

دوام حال محال * وهل لظل إقامه

ان غاب نجم سعود * ولاح نجم شآمة

فسوف يطلع بدر * يمحو سناه ظلامه

فاعتصموا برجاء * وارعوا بصدق ذمامه

وحسنوا الظن تنجوا * دنيا ويوم القيامة

وفوضوا الامر لله * يكف عنا انتقامه

ورسالة " الفقيه العراقي" الذي رفض فيها الصلح مع الاسبان واقترح متابعة الحرب التي تفتقر الى تقويم وتدبير وجلب الطعام للمرابطين بالثغور، وإعطاء السلاح لمن لا سلاح له، وجعل على رأس كل مائة جندي أشجع الناس وأشدهم رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق، وغيرة على الاسلام ... (انظر :محمد ضريف : تاريخ الفكر السياسي بالمغرب - المسألة العسكرية - ص 206 - 210)

(32) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب - البحث العلمي - عدد 9.



القائد أحمد الخضر غيلان

كان القائد غيلان مثال الفارس المغربي المغوار الذي لا يشق له غبار، الذي وقف في وجه الزحف الأجنبي على مناطق الشمال.

كان يقود جيشا بلغ ستة وعشرين الفا من الجنود مدربين على منازلة الانجليز والبرتغال والاسبان، وكان يملك 20 قطعة بحرية وقد اندلعت المقاومة بطنجة بقيادته ضد البرتغاليين ودامت سبع سنوات. وقد حاصر مدينة طنجة لما آلت الى الانجليز سنة 1662. ولما هاجم العرائش هزم أمام القوات الإسبانية سنة 1664م الذين سبق له أن تحالف معهم لتعزيز موقفه. «وقد ساعده الانجليز سنة 1666م، عند حصار مولاي رشيد لاصيلا حيث بقي بها لا جئاً الى يوليوز 1668م تم فر الى طنجة على ظهر سفينة انجليزية ومنها ذهب للجزائر. وقد أبرمت معاهدة تحالف بين الانجليز وغيلان واستغلت فرنسا هذا الوضع فحرضت مولاي رشيد على مهاجمة الانجليز في طنجة بمساعدة القوات الفرنسية. ولكن سرعان ما انعقدت الهدنة بين فرنسا وانكلترا (عبد العزيز بن عبد الله : المعجم التاريخي ص 50)، وقد وقعت بينه وبين الدلائيين معارك رهيبة انهزم فيها الدلائيون وفروا الى تامسنا. وقد ظهر الخضر على مسرح السياسة والحرب في أيام المجاهد أبى عبد الله محمد العياشي. فقد عينه هذا الامير قائدا على الجيش الغازي ببلاد الهبط اي بناحية لوكوس. وبعد مقتل العياشي ثار على مولاي محمد الاول واحتل قصر كتامة (القصر الكبير الحالي).

وفي عهد المولى اسماعيل عاد من الجزائر للانقضاض على فاس ولكن المولى اسماعيل هزمه وظفر به وقتله سنة 1084 هـ 1673م[1].

وفي سنة 1693م ظهر مجاهد آخر هو «الرشاي» الذي كان يرأس سفينة جهادية ذات 14 مدفعا، وتضم مايربو على 100 مجاهد (روجي كاندروي قراصنة سلا، ص 77).

الاصلاحية العسكرية
في عهد الملك المصلح المولى الحسن الاول

(ليس له في مجال الحرب من مثل * جيوشه عضد لكل معتصم)

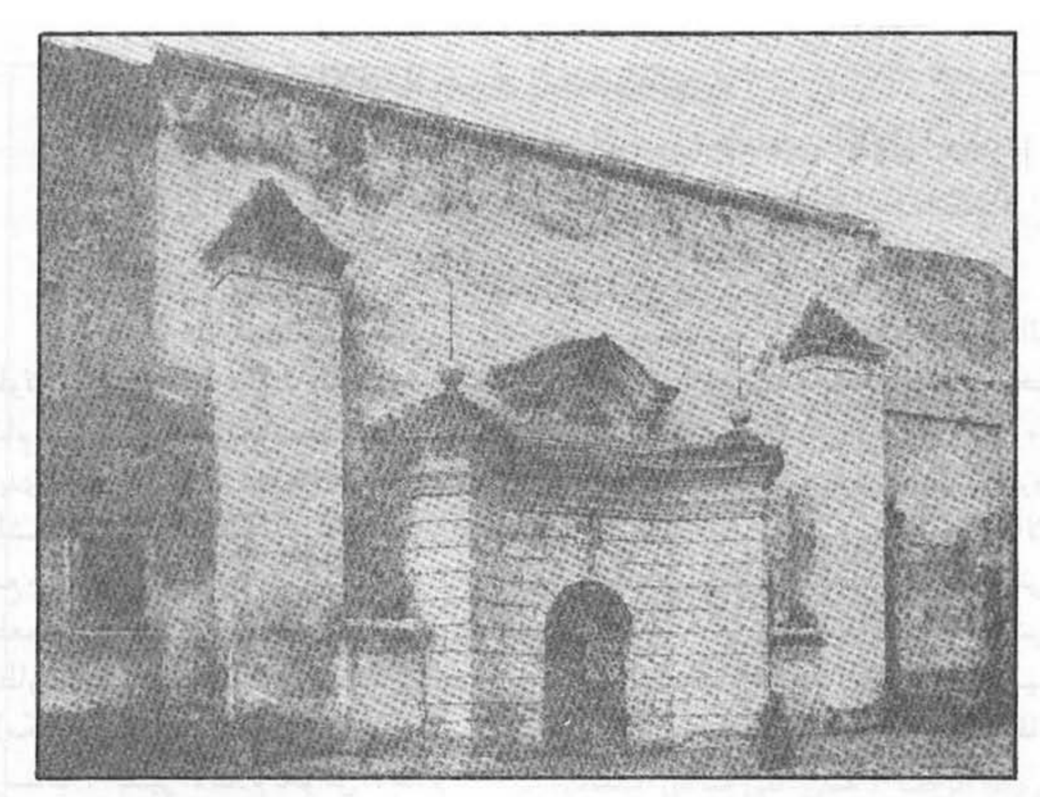
اشتهر هذا السلطان بأن عرشه كان هو صهوة فرسه حيث ظل طيلة حياته يجوب البلد طولا وعرضا لتقويم ما عوج من شؤون الدولة وإصلاح ما فسد منها سياسيا واجتماعيا حيث قام بتسع عشرة جولة عسكرية في نواحي المغرب كافة انطلاقا من فاس أو من مراكش. وقد أبدى قدس الله روحه عناية فائقة بالجيش المغربي [2]. "فسهر - بعد تضعضعه بسبب حروب الشمال - على تقويته وتدريبه وتسليحة بأسلحة عصرية حتى أصبح الجيش يحتل الصف الاول مع جيوش بعض الدول الاوروبية التي كانت تتحيز الفرص لجعل من المغرب - البلد الغنى - طعمة صائغة لها. » "وعمل على تجهيز القبائل بالعتاد العسكري" وزود فرقة الطبجية بعشرين بطارية وبالرشاشات، وفرقة الفرسان بالرماح والخناجر والسيوف والمسدسات وبالعدة الرومية » (مكاحل مركبة فيها توافلها)، وعزز الأسطول المغربي بباخرة حربية اشتراها من الدولة الايطالية وسماها : "بشير الاسلام بخوافق الاعلام" [3].

كما أسس أركان حرب لجيشه العتيد التي كانت تتألف من : وزير الحربية، خليفته كاتبه، قائد رحى البخاري (لعله القائد العربي بن الحاج الجيلالي)، قائد رحى الشراكة، قائد رحى الشراردة، قائد رحى الوداية، قائد رحى اهل سوس (ابراهيم بن سعيد الجراوي)، قائد رحى ولاد دليم، قائد رحى رحامنة. وكان لكل قائد خليفة وقادة المئين ومقدمون, وذلك حسب عدد خيله ورماته.

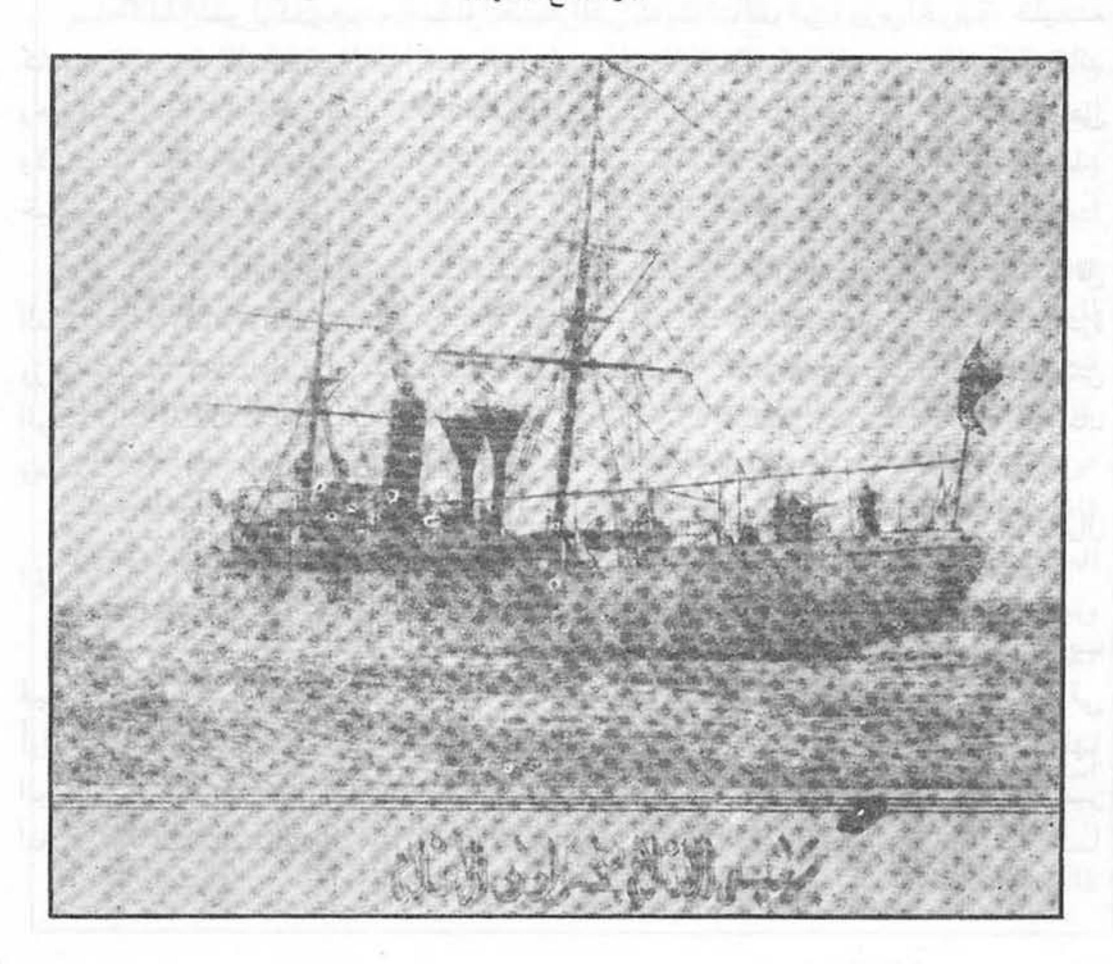
وكانت عناصر هذه الجيش مكونة من رجال دكالة وحاحة والشاوية ومن أفراد قبائل الدير ومن اهل فاس والعدوتين. وكانوا يكونون الرماة والفرسان والطبجية، ويعملون تحت امرة وزير الحربية : محمد الصغير الجامعي. وكان له خليفة يدعى أحمد الصويري الذي كان في نفس الوقت قائدا للمدفعية (وقيل أن رئيس المدفعية كان هو ادريس الشاوي), وصلة الوصل بين الملك ومهندسي الأبراج. (ضباط الطبجية).

وقد فرض في العهد الحسني على أهل المدن وعلى القبائل أن يسلموا للمخزن "رجال الجيش". حتى صار الجيش مؤلفا من 25 ألف جندي.

وقد أسند الحسن الأول الى بعثة من الخبراء الفرنسيين سنة (1877م)[4] مهمة تدريب فيلق الرماة بمراكش، بعدما كانت البعثة مستقرة بوجدة لتدريب الجيش المرابط بها. وكانت في أول أمرها مؤلفة من ثلاثة ضباط وأربعة ضباط صف وطبيب عسكري. وكان من بين ضباطها اليوتنان "إيركمان" Erkmann الذي مكث خمس سنين بمراكش. وقد تطورت البعثة وتنقلت عبر المغرب في عهد السلطانين : المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ حتى سنة 1912م.[5] كما

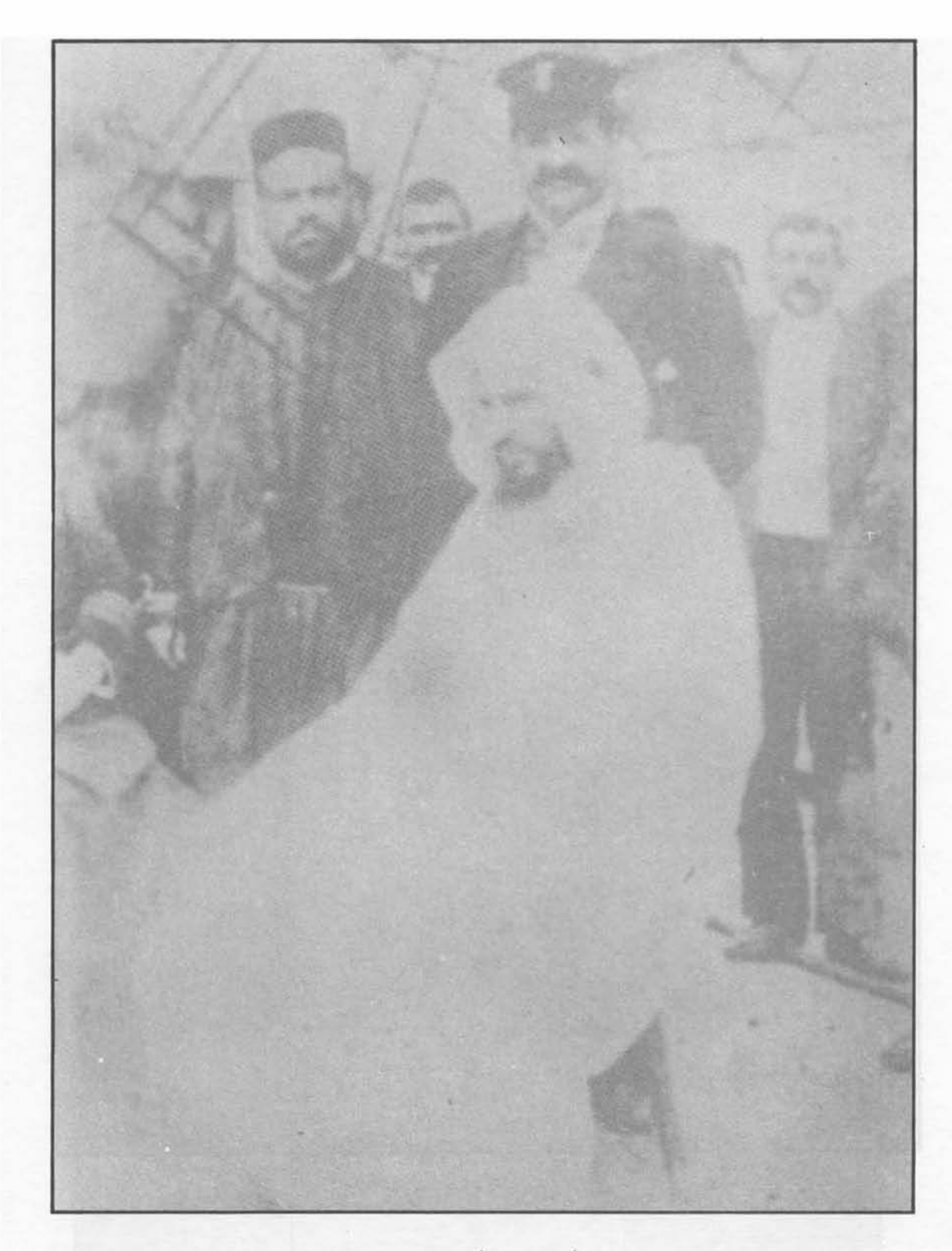


دار السناح (المكينة)

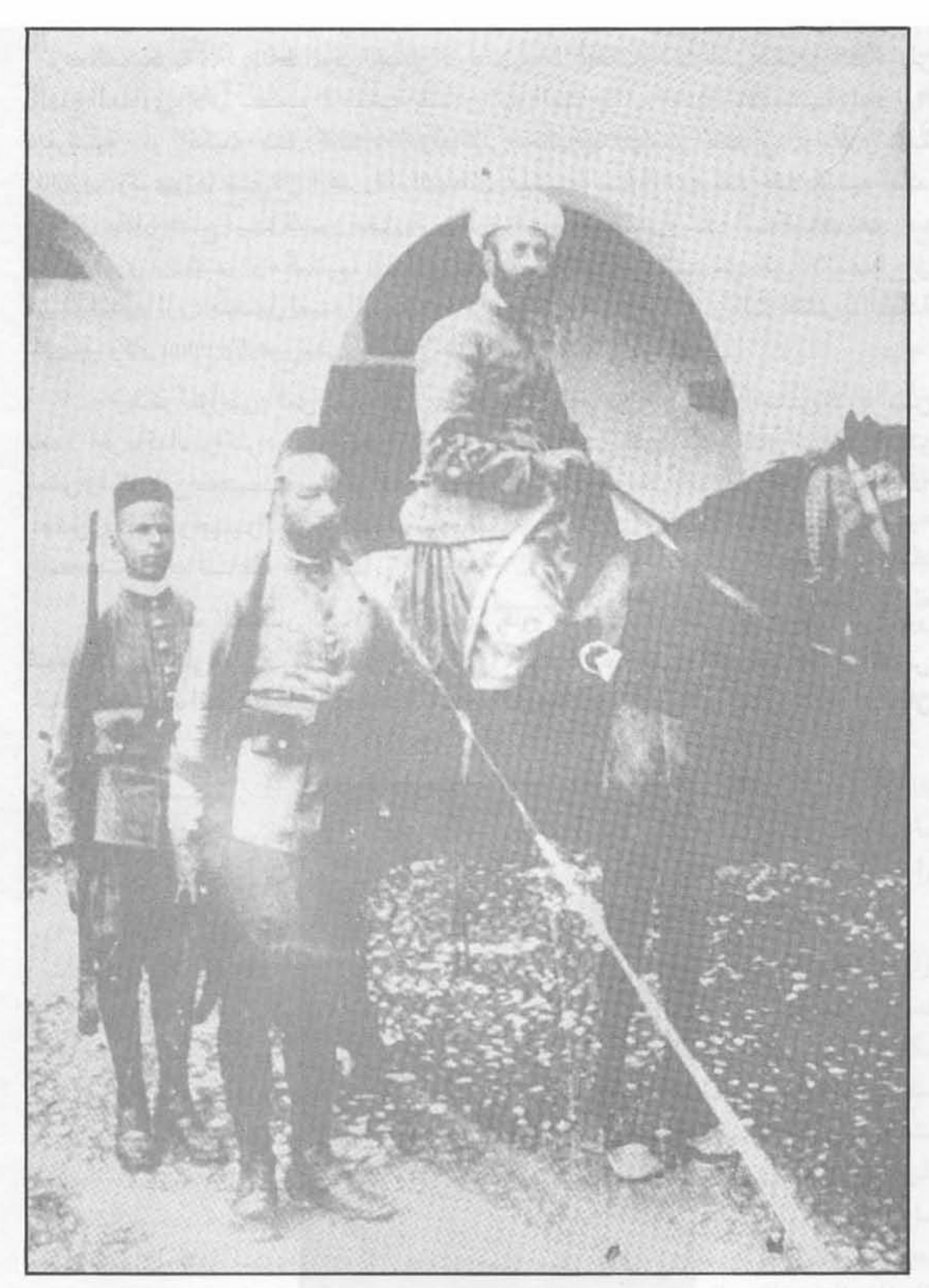




الرايس الحاج ابراهيم لحجمري (عن كتاب أبو اسحاق التادلي الرباطي لعبد الله الجراري)



الرايس أحمد بنطوجة أمام الباخرة بشير الإسلام



أحد قواد الجيش على عهد السلطان الحسن الأول

كلف الحسن الأول القبطان الفرنسي "طوماس" بتدريب مجموعة من الطلبة المغاربة على «أصول الحرب العسكرية». تم أناط المولى الحسن الاول بضباط إيطاليين ومهندس مغربي الطاهر بن الحاج العنادي إدارة مصنع الاسلحة بفاس (دار السناح) - Darsena بالاسبانية وArsenal بالفرنسية - أو "المكينة" سنة : 1878م [5] وقد تولى تخطيطها المهندس الايطالي "أولوطري" سنة 1305 هـ. وتم بناؤها سنة 1308 هـ. وقام السلطان بتدشينها سنة 1309هـ بعد حفلات عيد المولد النبوي. وكان يصنع فيها فنيون مغاربة - تخرجوا من معاهد أوروبية - البندقيات (من نوع مرتين هوري أوشنيدر أو مكسيم) والمدافع والرشاشات. وكانت تشتمل على ثلاثة معامل تستخدم بالماء : معمل لصنع البنادق، وثاني لصنع "القرطوس"[6]، وثالث لضرب السكة المغربية. وكان Campini هو رئيس البعثة الإيطالية المشرفة على "الماكينة".

ويذكر المؤرخون (من بينهم ابن زيدان في الاتحاف ج 3) أن المولى الحسن الأول أسس معملا آخر بأكدال بمراكش سنة 1310هـ، كان يدعى "معمل صنع القرطوس". وكان السلطان أصدر خمس رسائل إلى محتسب مدينة مراكش مولاي عبد الله بن ابراهيم البوكيلي في شأن بناء هذا المعمل ونفقاته وتجهيزاته. وكان يستخدم بالبخار، وكان يشرف عليه البلجيكي "كرينارد" واستجلبت أدوات صناعته من فرنسا.

وقد كلف السلطان الضابط الانجليزي "هاري ماكلين" بقيادة فيلق طنجة (أو طابور طنجة وتدريبه على المدفعية (كادنير ومكسيم)) ثم استدعاه لقيادة جيس الحرابة (الحرس الخاص) بالبلاط السلطاني [7] كما أسند قيادة الطبجية للفرنسي "إيركمان" وأمر السلطان



الطالب العسكري في العهد الحسني

بجعل كل فريق من العسكر في ديوان كل نفر باسمه وقبيلته ووصفه ولونه ومحل سكناه وفرقته ليمكن البحث عنه في كل آن». وأسس أخيرا فرقة للإسعاف داخل الجيش، كان يسيرها طبيبان فرنسيان هما : د. Jaffary و د. Linares. وفي سنة 1889م أتت بعثة طبية إسبانية إلى المغرب ولكنها لم تقم بشيء مهم يذكر باستثناء طبيبها الذي قدم بعض الإسعافات.

وكان لمولاي الحسن الأول - بعد أن أعاد الأمن والسلام إلى ربوع مملكته -[8] اعتناء كبير بتحصين الثغور وبناء أبراجها، وجلب لذلك مهرة المهندسين الأجانب من ألمان وانجليز[9]، وكذلك استيراد مدافعها من أوروبا[10]. كما جلب لطنجة ستة من كبار المدافع العظام من معمل (أم سطرونك) الانجليزي، وأمر بإصلاح أبراجها وتركيب مدافعها (وكلف بذلك المهندس الانجليزي : "ضولان" الذي كان يساعده المهندس المغربي الزبير سكيرج الفاسي)، وجلب لها ما تحتاج اليه من المقومات الحربية من بارود وكور... كما اعتنى أيضا بأبراج العرائش وثغورها، وتوجهت عنايته لتحصين جبل موسى وهو جبل واقع اتجاه جبل طارق (أما البعثة الاسبانية فقد تكلفت بتدريب بعض المغاربة على بناء طرق المواصلات). واثر حركته الى وجدة أصلح قصبة العيون التي تقع في الطريق الرابطة بين وجدة وفاس سنة 1876م، وأصبحت مركزا للعسكر النظامي (250 رجلا)، والقصبة السعيدة (عجرود) التي صارت مركزا (للعسة) - بسبب محاذاتها للحدود كي تراقب التحركات الفرنسية.

- وقد أسس المولى الحسن الاول بمدينة الجديدة التي سبق لمولاي بن عبد الرحمان أن قام بتحصينها وبناء أبراجها وأسوارها، ما يشبه "المدرسة المركزية للمدفعية".

وهكذا امتاز العهد الحسني بالتداريب العسكرية والاهتمام بصناعة "البارود" المعروف " بالمروج" وعدة من الأسلحة، وبتشييد سلسلة من القصبات خارج المدن الرئيسية (تولال - الحاجب، مثلا) والأسوار وتدعيمها في جميع المناطق ذات المواقع الاستراتيجية كالريف ونواحي وجدة وممر تازة والسهول الأطلسية وسوس وغيرها[11].

البعثات الطلابية العسكرية الى الخارج في العهد الحسني : أوفد الحسن الاول عدة بعثات الى المدارس العسكرية الاوروبية للتدريب على بناء الخنادق والتحصينات والتمارين النارية وغير ذلك من الفنون الحربية. فتوجه مثلا الى "لندريز" (لندرة) الكباص [12]. وسكيرج والشاوي - أحد كبار الطبجية - لتلقي متنوع العلوم الحربية بمدرسة "شاطم" التي كانت تصنع فيه المدرعات يومئذ ؛ كما توجهت عدة بعثات أخري الى اسبانيا (بن شقرون والفاسي والشدادي)، والى ألمانيا (التسولي والزيادي والنجار)، والى ايطاليا (الرغاي وبناني وعينوس) "الذين كانوا يقودون طوابير البوليس عند عودتهم (1908)"، والى فرنسا (الكعاب وقاسم بن الحاج الاودي) ودرست هذه البعثة في "مونبيلي" وكان سفرها عن طريق طنجة سنة 1885م صحبة "ميكيل دوكاسترو" قنصل البرتغال الذي أسلم ودخل في خدمة السلطان. ولما دخل الطلبة الى القلعة العسكرية الفرنسية (عددهم 12) تكبطوا على الطراز المغربي واحتفظوا بالطربوش، وقد كانو يدرسون العلوم النظرية في الصباح والتطبيقية في المساء (كالتمارين النارية والتحصينات وبناء الخنادق وأجهزة الدفاع وضرب الأخبية وتركيب آلات الحصار). وقد



البعثة العسكرية التي توجهت إلى برلين سنة 1893 لشراء المدافع الثقيلة تزور معامل Krupp الألمانية



البعثة الدبلوماسية التي بعثها المولى الحسن الأول إلى فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وانجلترا سنة 1876

الوقوف : قادة الجيش الحسني

تلقى اثنـان منهم دروسـا في التلغـراف الجوي. وقـد مكثت هذه البـعـثـة الى سنة 1888م [13].
"وبعث المولى الحسن الاول ايضا عدة وفود الى جبل طارق صحبة ماكلين الحراب ليتلقوا تكوينا عسكريا صحيحا في المدرسة الحربية الانجليزية هناك [14] فأوفد بعثة عسكرية سنة 1292هـ تشتمل على 25 من الطلبة برئاسة علي بن بلة المراكشي (وقد كتب في شأن هذه البعثة الحاجب الوزير موسى بن احمد النجاري الى أخيه عبد الله بن احمد باشا فاس)، وثانية سنة 1293 هـ تتركب من 85 من الطلبة و70 من الجنود و 10 من الطبجية و5 من أطباء الجيش (الزواف الشرادي، الجامعي، المخاري، ابن التهامي) وثالثة سنة 1294هـ تتركب من 170 من الجنود برئاسة الزروالي لتتعلم فنون المدفعية.

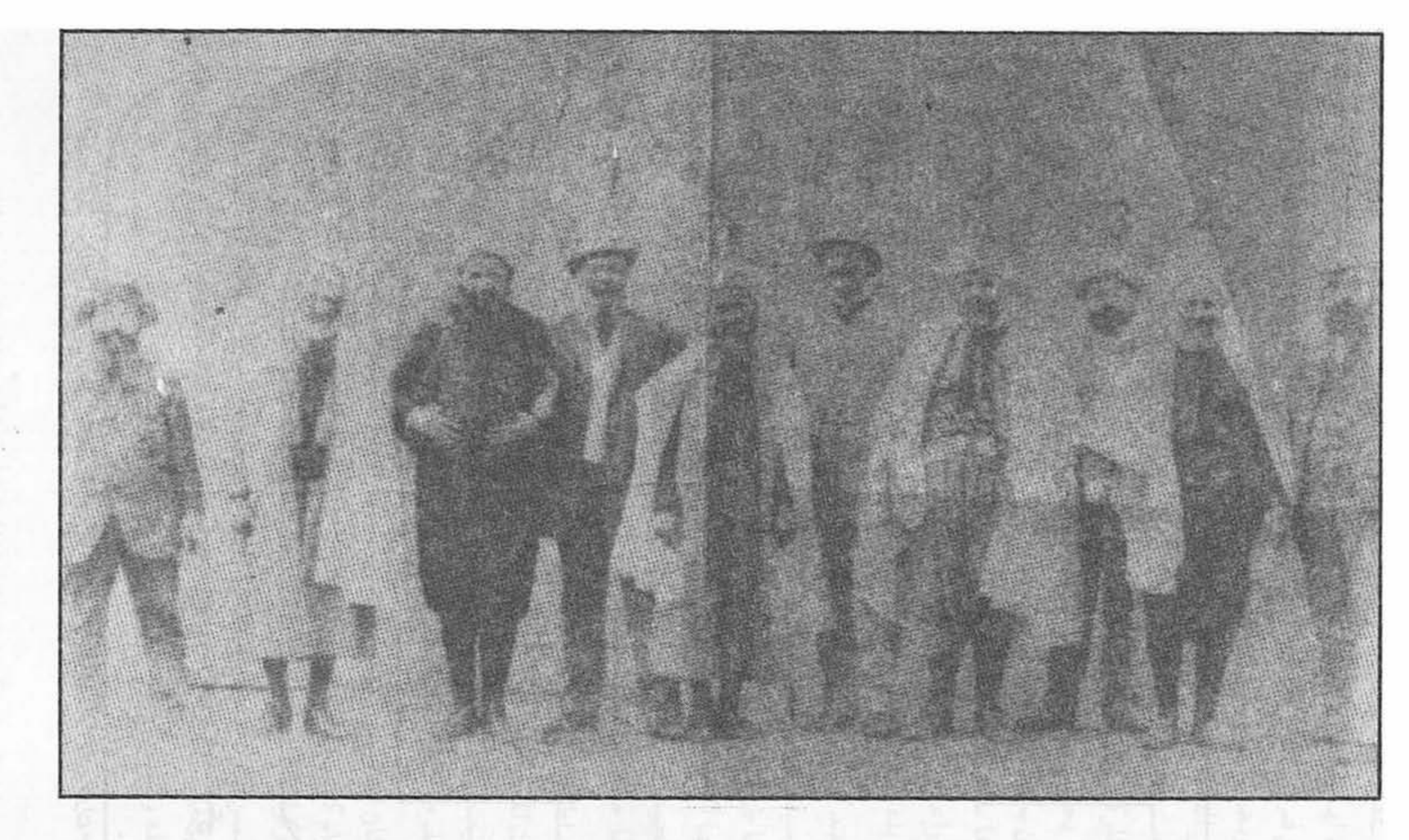
كما أوفد سنة 1888، بعثة طلابية الى "المدرسة الملكية الدولية" بمدينة "طورين" بإيطاليا (منهم الجبلي، وابن الحاج والعياشي والزعري [15] وحركات والتيال الخ...)[16] وأخرى الى بلجيكا لتتدرب على صناعة الذخائر الحربية. ولما عاد أفراد هذه البعثة عملوا في دار "السلاح" السالفة الذكر. " فكان "الاودي" يحتل منصب رئيس العملة بالدار والمقري منصب رئيس قسم صناعة الزنادات، وبن قاسم منصب رئيس قسم صناعة الجعاب. وفي سنة 1301 هـ وجه السلطان بعثة حربية تتركب من خمسة أفراد من طابور الحرابة و 15 من الجنود الى ألمانيا (في عهد الامبراطور غليوم) تحت اشراف الحاج محمد بركاش[17] لتعلم الرماية بالمدافع الجديدة ولتتدرب على العلوم العسكرية والطبجية. ولقد عادت هذه الوفود كلها الى مسقط الرأس وعملت في صفوف الجيش الحسني مدة قصيرة. وفي سنة 1302هـ بعث 12 من الطلاب لبلاد الفرنسيس "لتعلم بارود الديناميت والتلكراف ونصب القناطر) وقد كان المولى الحسن يبعث السيد الحاج محمد المقري الى الدول الاوروبية للحصول على المدافع الألمانية والبنادق البلجيكية وأسلحة أخرى انجليزية وليوصي بصنع أسلحة بإيطاليا.

وخلال هذه المدة التي كانت تتوجه فيها البعثات الطلابية العسكرية للخارج كان الحاج محمد سباطة يدرب فرقة من الجنود ويعلمهم الفنون الحربية وكيفية تسيير حركة المدافع مع فنون الرماية عدا جماعة المدفعيين التي كانت قائمة بحراسة الأبراج والقلاع القديمة وتتدرب على إطلاق المدافع. وكانت بسلا أيضا جماعة من المدفعيين تتدرب بالحساب على عيار المدافع وذلك تحت رياسة الباشا الحاج أحمد زنيبر. وكانت جماعة بالعرائش وأخرى أكبر منها بطنجة (وجل أفرادها من سلا) تتدرب على الرماية بالمدافع[18].

"وكان افراد الجيش المغربي يمارسون المناورات العسكرية أربعة أيام في الاسبوع إما في أرباط المدينة كأرباط فاس وإما داخل القلاع العسكرية كما كان الأمر في طنجة. وفي يوم الاتنين من كل أسبوع كان السلطان مولاي الحسن يحضر بنفسه في تمارين المدفعية وفي يوم الاربعاء كان يستعرض الجنود لمراقبة عددهم وعدتهم". وقد ضمن المولى الحسن لجنوده الكماة مرتباتهم وخصص لهم مواد غذائية تعطى لهم في أيام العيد[19].

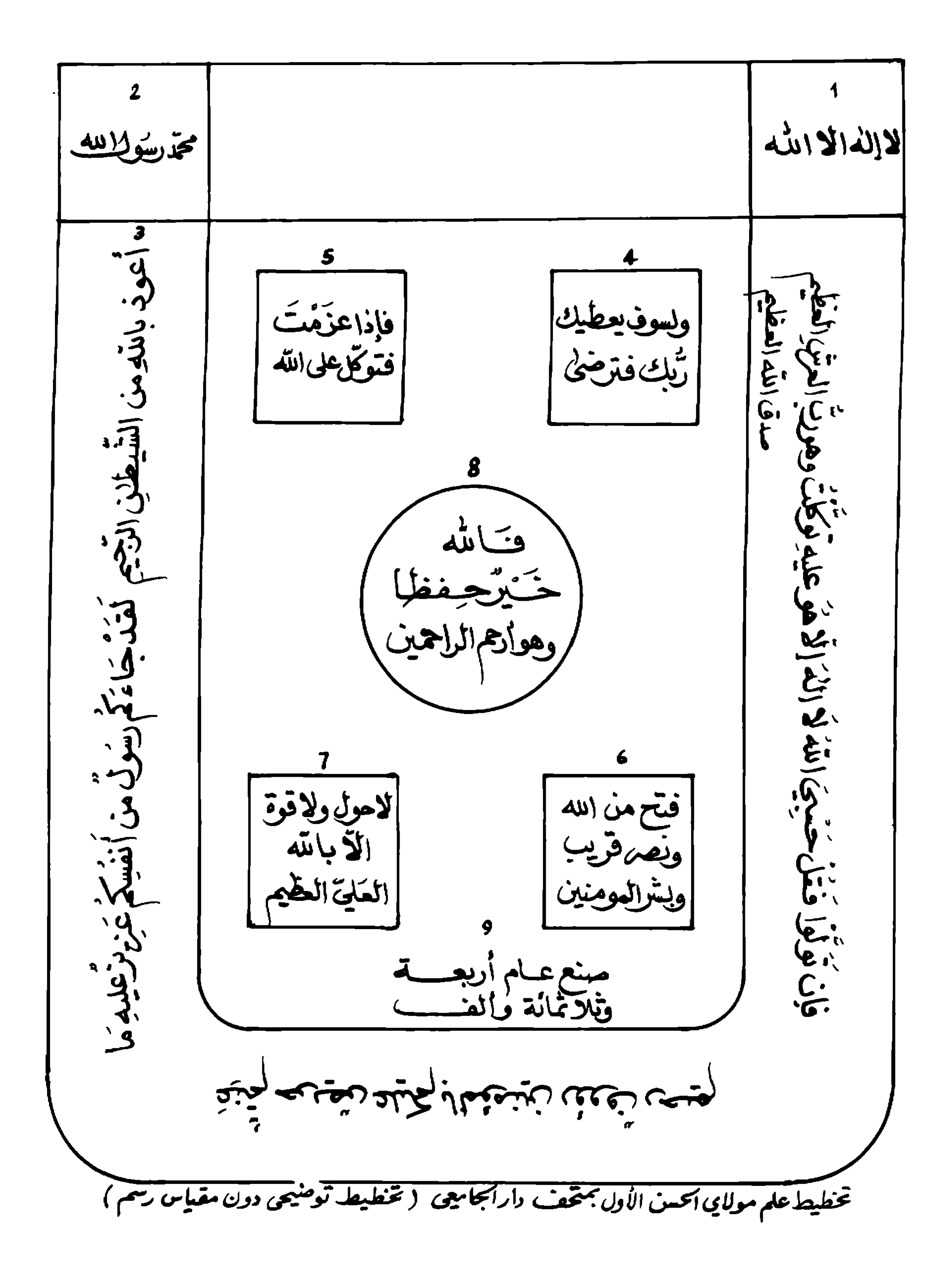
نظام التعبئة العسكرية العامة في العهد الحسني :

« أما في حال حركاته السعيدة - أيده الله- التي تحتاج للتعبئة الحسنة فإن علامة



بعثة المولى الحسن الأول إلى معامل كروب بألمانيا لشراء مدفعين، وزن كل واحد منهما 30 طنا لوضعهما في البرج الكبير الذي أمر ببنائه.

والبعثة تتكون من المهندس الزبير سكيرج، وعبد الخالق فرج، والحاج ادريس بن عبد الواحد، والقائد محمد الشدادي، والقائد محمد سباطة، ويظهر بعضهم في هذا الصورة بمدينة باسن الألمانية (1308 هـ)



تخطيط علم مولاي الحسن الأول بمتحف دار الجامعي (تخطيط توضيحي دو مقياس رسم)

الرحيل عنده للمحلة، هي ان يكلم اصحاب الكومي طبولهم، ويتقدم معهم العدد الوافر من رماة الجيش السعيد مستعدين مع قليل من الخيل فتتبعهم رماة المحلة السعيدة، لتنزل قبل وصول أهلها وتوجد بهيأة لهم تم بعد ذلك تنقل القبة السعيدة ، ويتقدمها ويتأخرها ما يليق بها من البنود، والخيل من فرق الجيش : ثم بعد ذلك يتبعها جيش الاوداية والشراقة في ابهاتهم واستعداداتهم وبنودهم ؛ تم بعدهم الطبجية بمهارزهم ومدافعهم وعدتهم مسامتة لسيدنا تم يمر سيدنا أيده الله في القلب وخلفه وحوله الجيش البخاري والسوسي وغيرهم من باقي فرق الجيش في شارة حسنة واستعداد على غاية الحزم وهذا بعد ان ياتي عمال النوائب ويبايعوا سيدنا - يؤدون له التحية الملوكية - أيده الله فيأمرهم بما يكون عليه عملهم في السير امام خلف المحلة أو أمامها أو حواليها بحسب ما يظهر له وهذا أيضا بعد اصطفاف العسكر عند ركوبه - أيده الله - يمينا وشمالا إلى ان يجد في السير فتبقي معه - أيده الله - بقية مع كبيرها ويتقدم غيرها أمام المحلة ايضا فيجدها سيدنا قد اصطفت على العادة وباشراق غرته المباركة تكلم النوبة والموسيقى والعسكر فرحا به وإعلاما بطلوع سني غرته فيدخل في شارته الحسنة لمحله بأفراك السعيد وفي كل ذلك لا يترك أيده الله الحزم...

..... وعند كل وقت من الأوقات الليلية يخرج المدفع إعلاما بحلولها وبعد العشاء تكلم النوبة تم الموسيقي تم يكلم العسكر نوبة الرقاد. هذا والعسة حائطة بجميع المحال السعيدة تطوف عليها بها طائفة الى نصف الليل وتخلفها أخرى والعيون عليها من بعيد بحيث لا يتمكن من طروقها الا من أذن له وكان له موجب يوصله اليها والولايات فيها على طبقاتها كالقاضي وغيره بحيث لا يتعطل أمر ولا يحتاج إلى جلبه من محل آخر. هذا حاله أيده الله في الحل والترحال وهذا حال تعبئة جنده وضبطه»[20].

وكان للسلطان الحسن الأول استراتيجية عسكرية هامة قائمة على اخضاع قلب المغرب دون إهمال جهات المغرب الأخري ، فكانت حملاته العسكرية الموجهة الى وجدة وتافلالت تستهدف التخفيف من الضغوط الفرنسية، و الحملات الموجهة الى طنجة وسوس تستهدف التخفيف من الضغوط الاسبانية الانجليزية وغيرها......

وهكذا كان للمغرب في عهد الحسن الاول - حيش عتيد ومسلح بأحدث الأسلحة، كان حصنا منيعا أمام كل دخيل غاصب ومقاوما عنيدا لكل من سولت له نفسه أن يمس بسوء استقلال المغرب وكرامة شعبه. ولولا بعض الخلل الذي أصاب الحيش المغربي بسبب وفاة قائده الداهية المولى الحسن الاول لبقي الجيش المغربي كما أخرجه السلطان المقدس للوجود : قويا، مخلصا، مدججا بالمدمرات والمدافع، ولقاوم أكثر من ذي قبل كل احتلال اسباني أو فرنسي جديد ولكان النصر حليفه ولاشك، ولكن كان أمر الله قدرا مقدروا[21].

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآلة وصحبه وسلم تسليما

(الطابع السلطاني الصغير بداخله الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

كاتبنا الأرضى الطالب علي المسفيوي (وزير الشكايات (العدل))

اعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد فان قصدنا بحول الله بهذا العسكر السعيد الذي شرح الله صدرنا لجمعه هو اخذ الأهبة والاستعداد واظهار ابهة الاسلام والارهاب الذي امر الله به.

وعليه فنامرك ان تجمع ثلاثمئة 300 من العسكر من خدامنا اهل ثغر طنجة واهل الفحص والغربية، واخترهم متأصلين معتبرين في قومهم من أهل النجدة والفائدة صغارا اصحاء، اقوياء على الخدمة سالمين من العيوب التي تنافي الخدمة العسكرية، وباشر امرهم بنفسك بغاية الاعتناء والحزم، واجعل ذلك من اهم امورك وآكدها، فان هذا امر ديني ينبغي الوقوف فيه والاعتناء به اكثر من غيره، فقم على ساق الجدٍّ في امره حتى يتم بحول الله وقوته، وان كان هناك من يحسن تعليمه وتحريبه فذاك، والا فاعلمنا لنعين لكم من هنا من يحسن ذاك.

وقد أمرنا الأمناء بأن ييسروا لك ما يحتاج اليه من كسوتهم وآلة تحريبهم، ويدفعوا لمن تجمع منهم مؤنتهم بحساب خمس اواقي للواحد في كل يوم، وان تم العدد المذكور وكمل جمعه وترتيبه على الوجه المطلوب فيبقى هناك مقابلا لحراسة ذلك الثغر السعيد المحروس بعناية الله الى حين الاحتياج اليه، ولا عمل على ما كنا قدمناه لك من توجيه الخمسين 50 فقط.

والله يعينك والسلام

10 صفر عام 1292

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

(الطابع السلطاني الصغير بداخله الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

وصيفنا الأرضى، القائد الجيلاني بن حم

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد، فقد وجهنا صحبته خمسة عشر من نجباء الطلبة بقصد التوجه لبر النصارى لتعلم تطبجت والهندسة وغير ذلك من أمور الحرب بعد تعلم الكتابة واللسان بطنجة، ليسهل عليهم مباشرة التعلم ببر النصارى، وأمرنا خديمنا الطالب محمد بركاش بان يقر كل فريق منهم بالمحل الذي يناسبه حتي يتعلموا ذلك ويوجه كل فريق منهم للمحل المعين له، كما امرنا الأمناء بأن ينفذوا لهم مؤونتهم مدة اقامتهم بطنجة، وأعلمناك لتكون على بال، وتنزلهم بالمحل الذي يناسبهم، والسلام.

في 25 رجب عام 1292

الحمد لله وحده

الحمد لله وحده
وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

أطال الله بقاء مولانا ونعمة الله التي خولنا وأولانا خليفة الله في ملكه
وأجرى برياح السعادة والنصر فلكه ينهي لعلمه الشريف علم مولانا بعد تقبيل
حاشية البساط الشريف بما هو أداء ما يجب على الخديم من التبجيل
والتشريف أنه ورد على خديمه الأمر الشريف منعما فيه على جيشه
أنعم الله به بثلاثة الآلاف مثقال وجعلته أزواجا بثلاثين
أوقية للفارس ونصفها للراجل وصبيانهم على الغاة في الجيش
من امتثلت للأمر الشريف وسردناهم وصرفنا عليهم ذلك
موجبا جميع ما تعين على الوداية مثقالا 19500
ثلثه الله أجر مولانا وبارك في عمره ومتعنا وإياه برضاه
وجعل الخلافة في عقبه ومتعبه إليه بمنه وكرمه آمين
والسلام بإتمام معاد على الحضرة الشريفة بتاريخ 18 ربيع الثاني عام
1263
خديم المقام الشريف عبيد
ربه ...
ابن علي ...

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

(الطابع السلطاني الصغير بداخله الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى، الحاج عمارة بن عبد الصادق

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فقد بلغنا ان الادالة التي بثغر أكدير من الجيش الصويري لا طائل تحتها ولا تجدي لضعفها، وعليه فنأمرك ان تجدد إدالة(*) كاملة مقومة، وعجل بتوجيهها للثغر المذكور على العادة واصلة لخديمنا الأرضى الحاج عمر بن سعيد المتوكي، وأعلمه بعددها وعدتها، واخترها من أهل النجدة والفائدة والعدة الصحيحة، والسلام.

في فاتح صفر عام 1293.

Dans la lettre datée de 1300 de l'Hégire dont nous publions le fac-simili, Moulay Hassan 1er informe le Caïd Houmane Burouk Attakni de l'envoi d'une armée et de canons. Le Caïd est invité à aller les chercher à Tiznit en vue d'accomplir la mission de défense de la patrie dont le Souverain l'a chargé.

* الإدالة في الاصطلاح العسكري المغربي القديم الحامية العسكرية تتداول حراسة مكان معين مع غيرها.





هذا زمام مستخرجة المكاحل ومن [illegible] لكل واحدة

أ	هكحلة ،،	نمرة 1000 المسمى شارستر بنكاوار ،،	،، ثمنها اريال ،	7	50
1	كرابيلة ،،	نمرة 1048 المسمى اي كنتبور ،،	،، ثمنها اريال ،،	8 ،،	
1	بفد ،،	نمرة 52 المسمى كرابيلة الصحيبة ،،	،، ثمنها اريال ،،	9 ،،	50
1	بفا ،،	نمرة 1092 المسمى مكحلة اي كنتبور ،،	،، ثمنها [illegible] ،،	6 ،،	75
1	بفا ،،	نمرة 1143 المسمى [illegible] ،،	،، ثمنها اريال ،،	8 ،،	
1	بفا ،،	نمرة 1145 المسمى [illegible] ،،	،، ثمنها اريال ،،	8 ،،	
1	بفا ،،	نمرة 1143 المسمى [illegible] ،،	،، ثمنها اريال ،،	8 ،،	
1	بفا ،،	نمرة 80 ابفا ،،	،، ،،	7 ،،	
1	بفا ،،	نمرة 1013 مكحلة [illegible] ،،	،، اريال ،،	9 ،،	50
1	بفا ،،	نمرة 1142 مكحلة [illegible] ،،	،، اريال ،،	11 ،،	
1	بفا ،،	نمرة 611 كرابيلة كوزنك ،،	،، اريال ،،	16 ،،	
1	بفا ،،	نمرة 771 كرابيلة اي كنيور ،،	،، اريال ،،	12 ،،	50
1	بفا ،،	نمرة 1111 كرابيلة [illegible] ،،	،، اريال ،،	10 ،،	

المجموع [illegible] 121 [illegible]

الجيــش المخــزنــي [22]

عنــاصــر الجيــش :

1- القبائــل الـمخزنيــة

كان الجيش يتألف من عناصر تدين بالطاعة للمخزن (وهي القبائل الرئيسية كالشراكة والوداية والشراردة وفروعها وقبائل أخرى كأهل سوس وارحامنة وعبدة ومنبهة)، ومن «الباخرة» (العبيد) الذين كان يتكون منهم الجيش الاسماعيلي كما سبق ذكره والذين أصبحوا يكونون الحرس الملكي، وكان على كل قبيلة من القبائل المذكورة أن تجعل رهن اشارة «المخزن» «رحى» من «المخازنية» أي الرجال الذين يتمركزون أينما استقر المخزن. فهكذا جعلت قبيلة شراكة تحت امرة المخزن 3000 من فرسانها وقبيلة الوداية المستقرة في الناحية الشرقية من البلاد 2000 في الفرسان وقبيلة شراردة الكائنة بالجنوب المغربي 4500 من فرسانها أيضا. وقد تمركز جيش الخيالة هذا في ضواحي مدينة فاس لكونها أصبحت عاصمة المغرب ومقر السلطة المركزية - كما جعلت القبائل الأخرى المذكورة تحت امرة الحكومة المركزية مائتين من «المخازنية» و«المسخرين» - استقروا بمدينة مراكش. وكانت هذه القبائل المخزنية تشكل مستعمرات عسكرية على أطراف المدن السلطانية تعمل على إخضاع القبائل المحيطة بها. إلا انه بقدر ما كانت عنصرا من عناصر توطيد الأمن أصبحت في آخر الأمر عنصرا من عناصر الفوضى حيث بدأت تتدخل في شؤون المخزن وتولي وتعزل[23] .

2- العسكر :

كان أيضا على كل قبيلة من القبائل المذكورة أعلاه أن تسلم للمخزن «طابورا» من أعضائها يضم 500 «عسكري». وكان مجموع هؤلاء العسكريين «الذين سلموا للمخزن ليكونوا تحت نفوذه يحمل اسم «العسكر» أي الجنود الذين يتجندون طول حياتهم لحماية المخزن سواء في حالة حرب أم سلم»، ويسمون أيضا «المسترزقة» لان أسماءهم تحفظ في «كناش» المخزن ويفرض لهم العطاء من بيت المال.

وقد كانوا يتمركزون في المناطق الرئيسية كطنجة ومكناس ووزان وتافيلالت وتيزنيت ووجدة وقصبة السعيدية. فكان العسكر يومئذ يمثل الجيش النظامي الرئيسي للمخزن. وفي حالة الحرب كان «العسكر» يستعين بما يسمى «بالنوايب» (النوايب : مشتقة من النايبة أي حملة عسكرية يقوم بها الخيالة). وقد لعب هؤلاء دورا حاسما في الحرب التطوانية كما سبق ذكره.

3- المتطوعون :

كان أغلبية المتطوعين في صفوف الجيش من أهل سوس وكان عددهم يبلغ في صفوف المشاة 20.000 وفي صفوف الخيالة 10 آلاف وفي صفوف المدفعية 4 آلاف، مما جعل جنود الجيش ووحداته يبلغ 70.000 . وكان يعبر عن التطوع بالعبارة الآتية : «كتب روحو في الطابور»، وهم الجنود الذين خرجوا من «التنفير».

وحدات الجيش :

1- عسكر المشاة

يتألف جيش المشاة من «العسكر» ومن المتطوعين وينقسم الى عدة «طابورات» وكان لكل طابور (500 جندي) قائد يدعي قائد الرحى (كولونيل) وله خليفة، وتنقسم الرحى الى 5 «مآت» يقود كل واحدة منها قائد المائة (كابتان أو عريف)، والمائة تنقسم الى 7 فرق وكل فرقة (12 عسكري) يقودها مقدم (ضابط الصف).

وكان كل طابور من هذه الطابورات يقيم بمدينة رئيسية كمراكش وطنجة وكان يحمل اسم المدينة التي يقيم فيها وكان طابور مدينة مكناس يسمى بطابور «عسكر العبيد» لكونه لا يضم الا رجال «الباخرة».

وكان زى جندي المشاة يتألف من كبوط أحمر أو أخضر وسروال أزرق وبدعية حمراء وشكارة من الجلد وبلغة صفراء وشاشية حمراء. أما ضابط جيش المشاة فكان يلبس بذلة مكونة من القميص والقفطان والفراجية والبرنس والتماك وحزامة لحمل الرصاص، وكانت البذلة توزع بواسطة قائد المسخرين بمناسبة الأعياد.

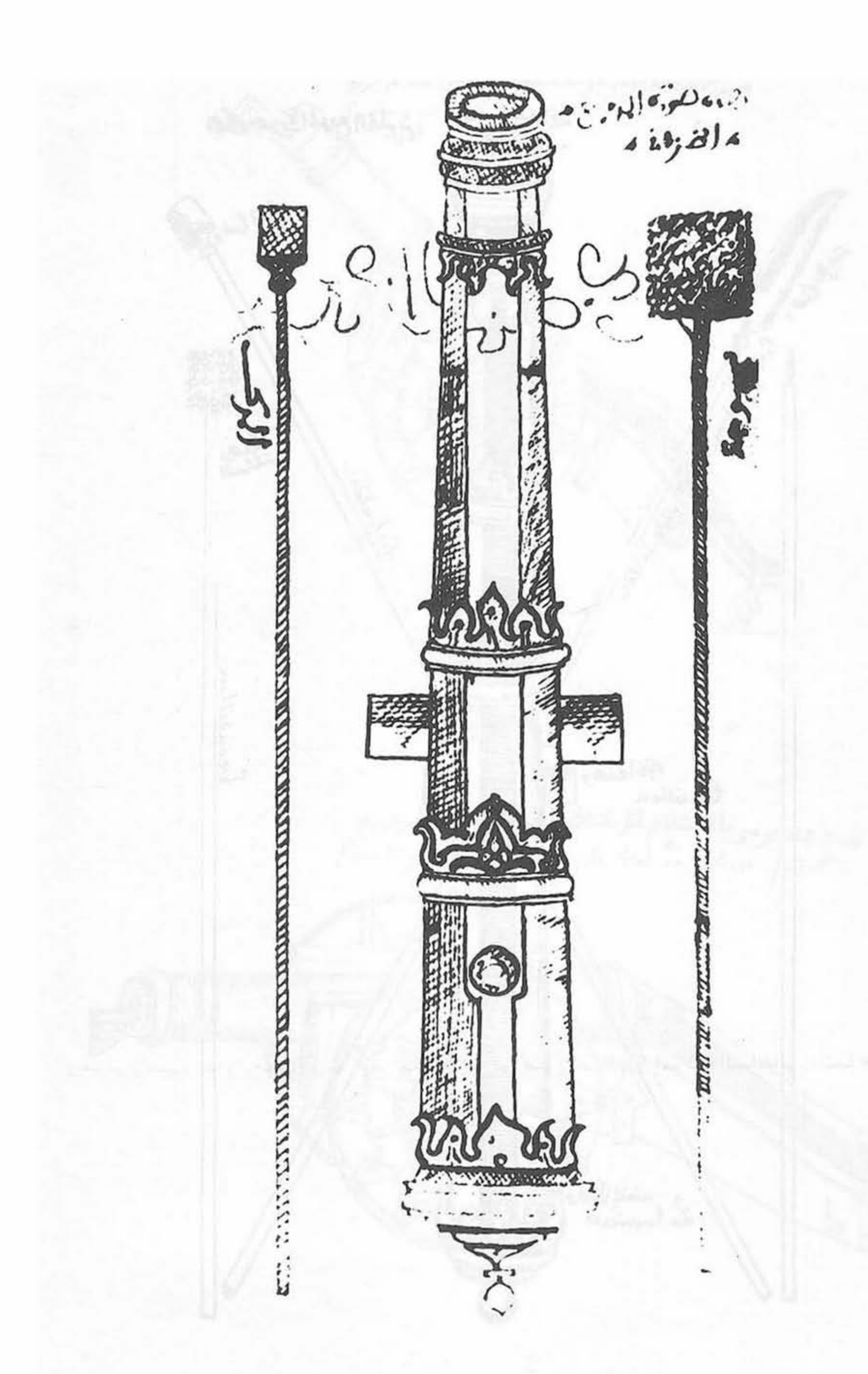
وسلاح المشاة هو المكحلة والكويبطة وتفالة وبوشويكة والشاقور. وكل ذلك كان يدعى «بليقامة الحرب». وقد استبدلت المكحلة الحجرية ببندقية من نوع 74. وكانت العبارات التي تستعمل أثناء التمرين العسكري هي : «عمر السكويبطة، نيش خرج على الاشارة، طيح على الاشارة، انصب التفالة (Croisez la baïonnette) السلام، ارفع السناح، حط السناح» الخ...
وكان حامل علمهم يسمى «بالطراد».

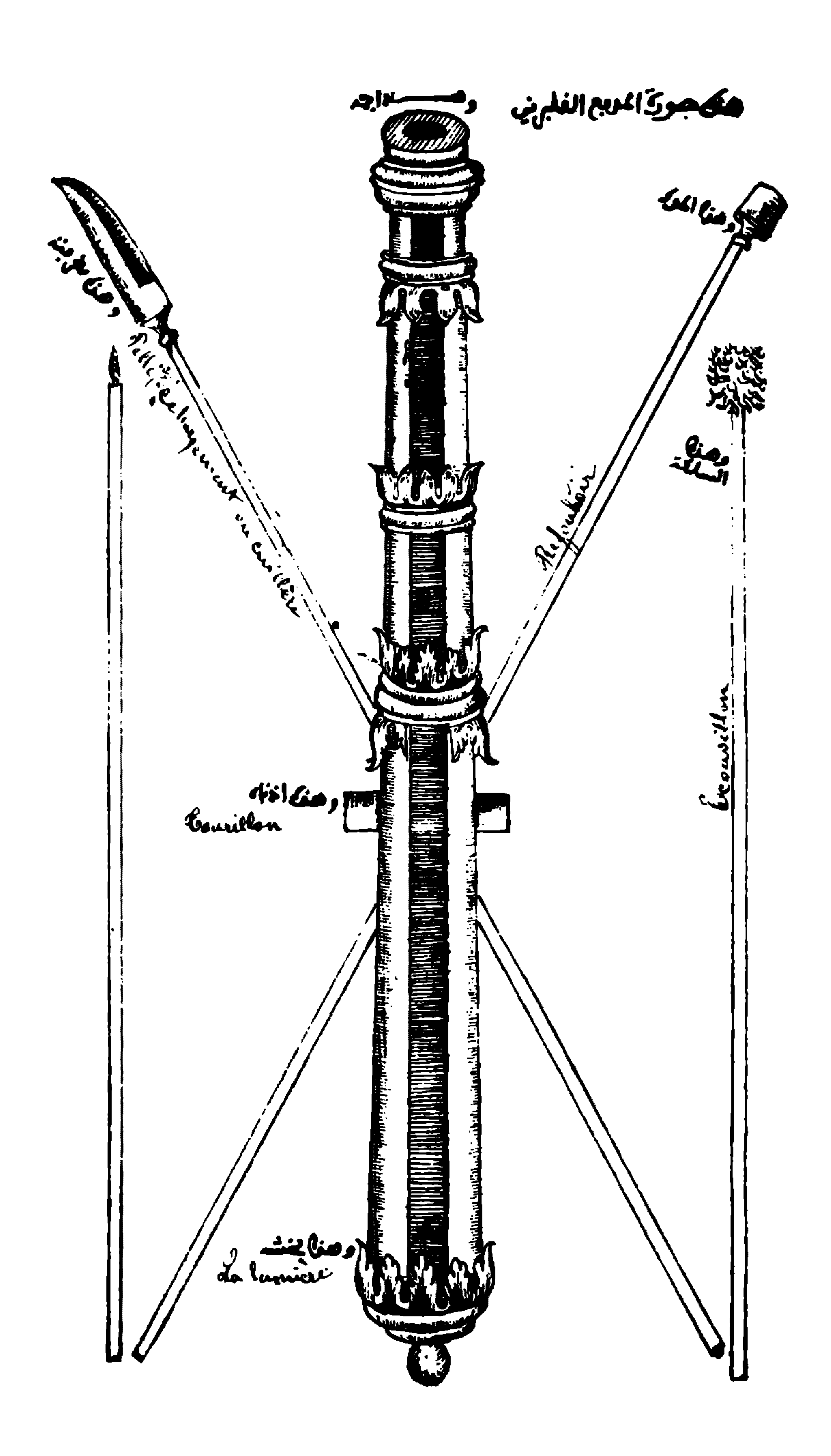
2- الخيالة :

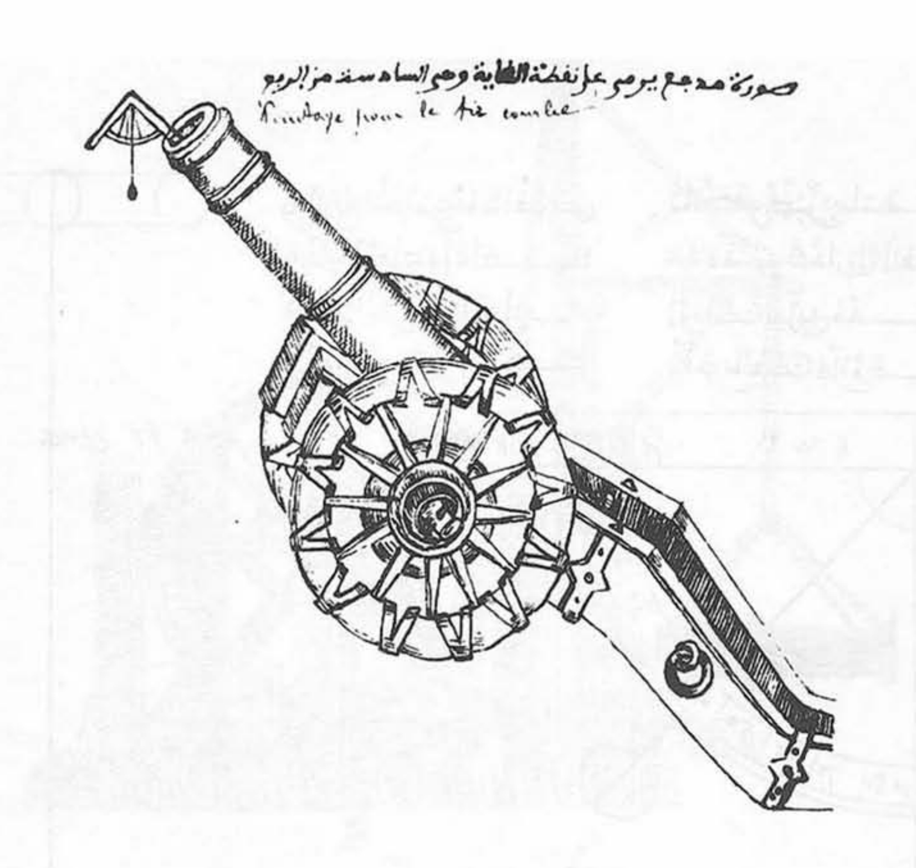
كان على القبائل أن تسلم للمخزن ما يقرب من 10.000 فارس. وكان جيش الخيالة هذا ينقسم الى «رحى» يبلغ عدد أفراد كل واحد منها 300 وتنقسم هي الأخرى الى «محلات» في كل «محلة» 100 فارس يقودها «قائد المائة» وكان هؤلاء الخيالة يعززون جيش المشاة في حالة حرب لمهارتهم الفائقة في فن الرمى، أما في حالة السلم فكانوا يوزعون على المدن المخزنية ويقومون فيها بدور رجال الدرك. وكانت 700 فارس منهم يصحبون الموكب السلطاني أينما حل وارتحل - كما كان الامر في عهد المولى عبد العزيز- وكان قائدهم الأعلى هو قائد المشور الذي كان ملحقا بالقصر المخزني. أما قائدهم في المدن فهو باشا المدينة وقائدهم خارجها فهو قائد القبيلة، وكانت بذلتهم العسكرية هي بذلة ضباط جيش المشاة الذين كانوا من أبرع الفرسان أيضا. وسلاحهم هو المزرقة والسيف والسكين والكمية والسكويبطة والكابوس.

3- الطبجية (جند المدفعية)

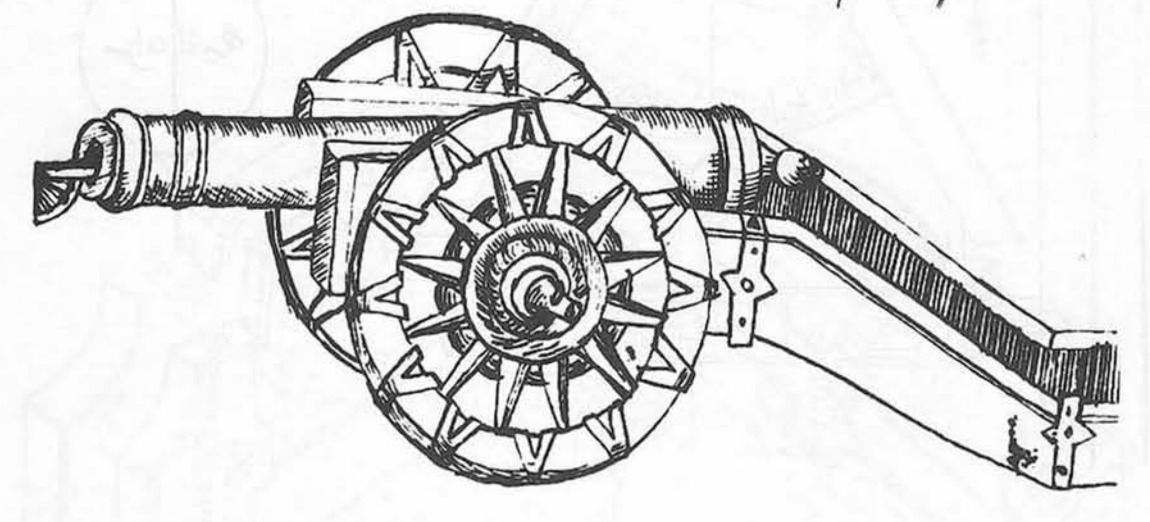
كان جيش الطبجية (كلمة تركية) يتكون من المتطوعين ومن الباخر ومن بعض رجال القبائل المخزنية بلغ عدد جنوده ما يقرب من 400 طبجي.

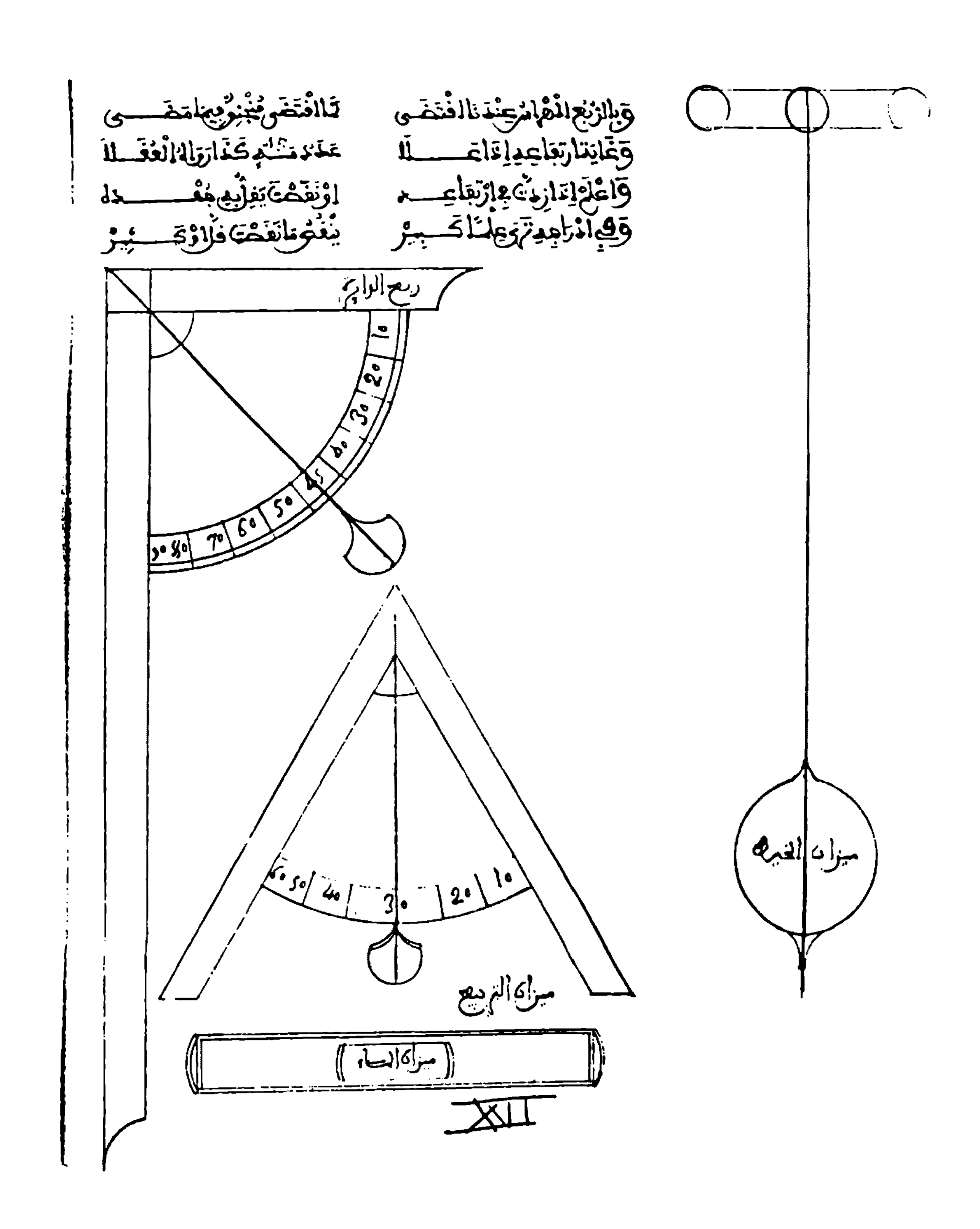



Refouloir
Écouvillon
Tourillon
La lumière

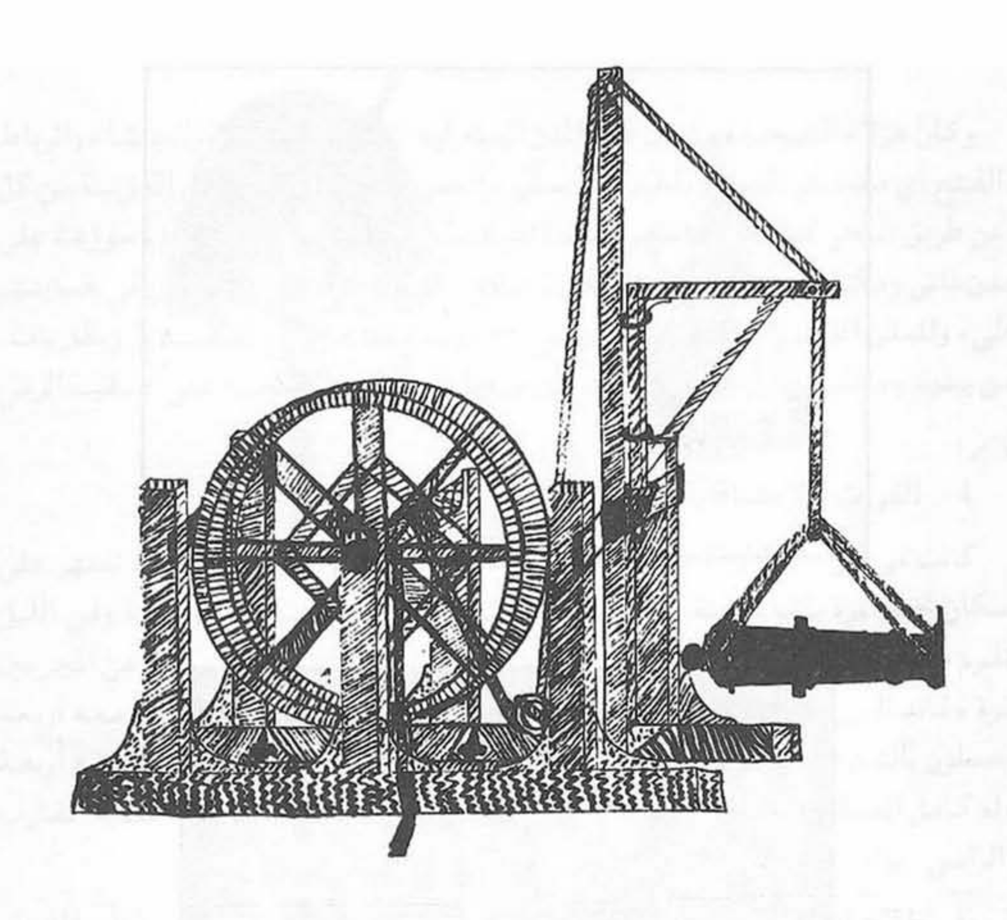


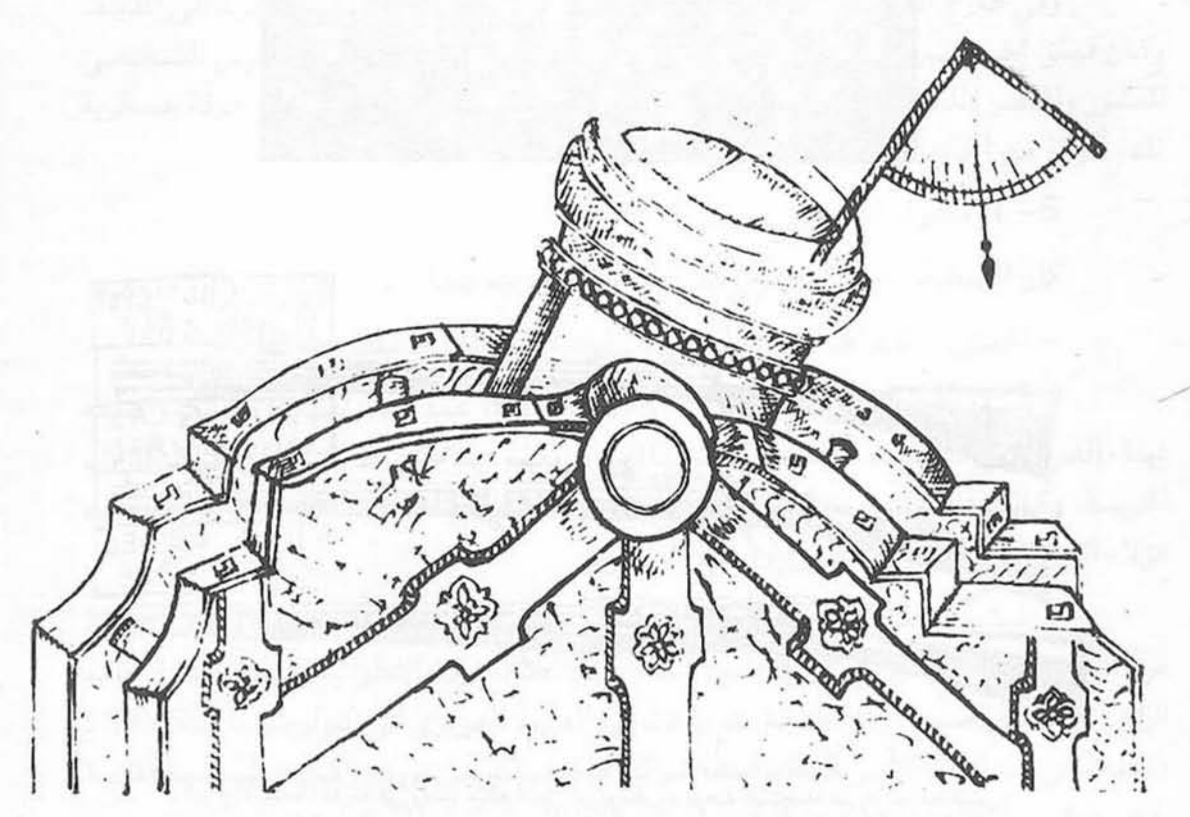
مدفع يرمي بالاستقامة [illegible] وموافق رميه بقياس الربع
Pointage du canon pour le tir de plein fouet

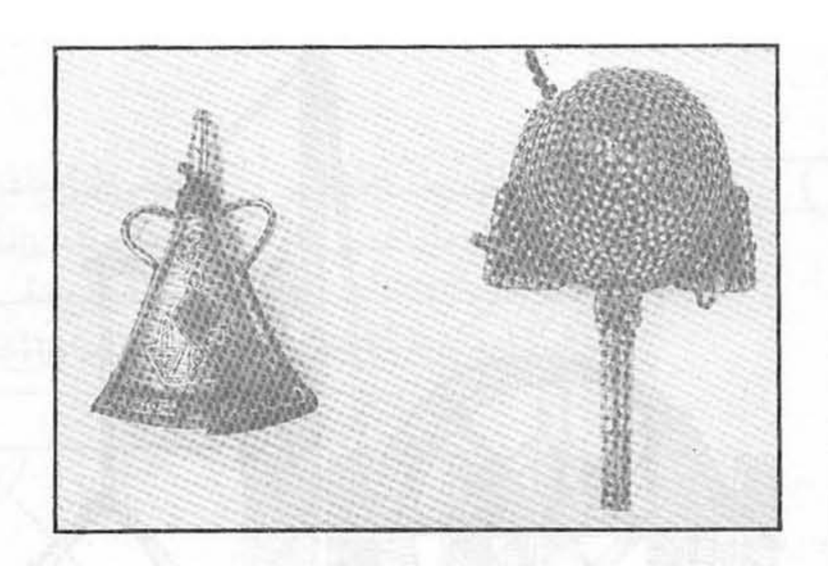


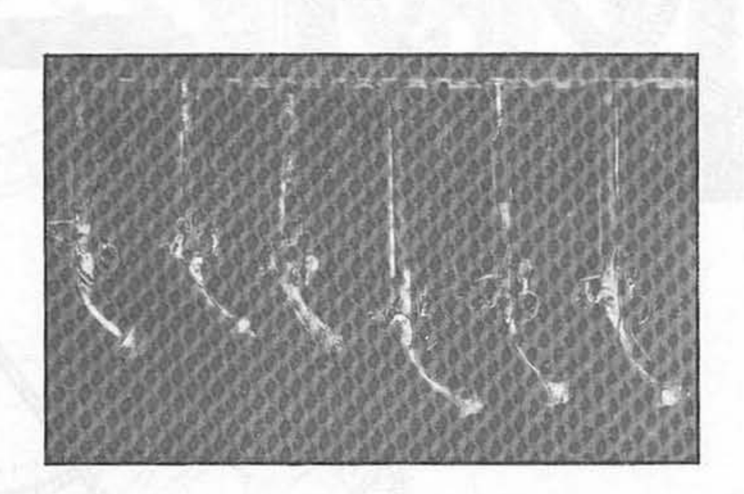


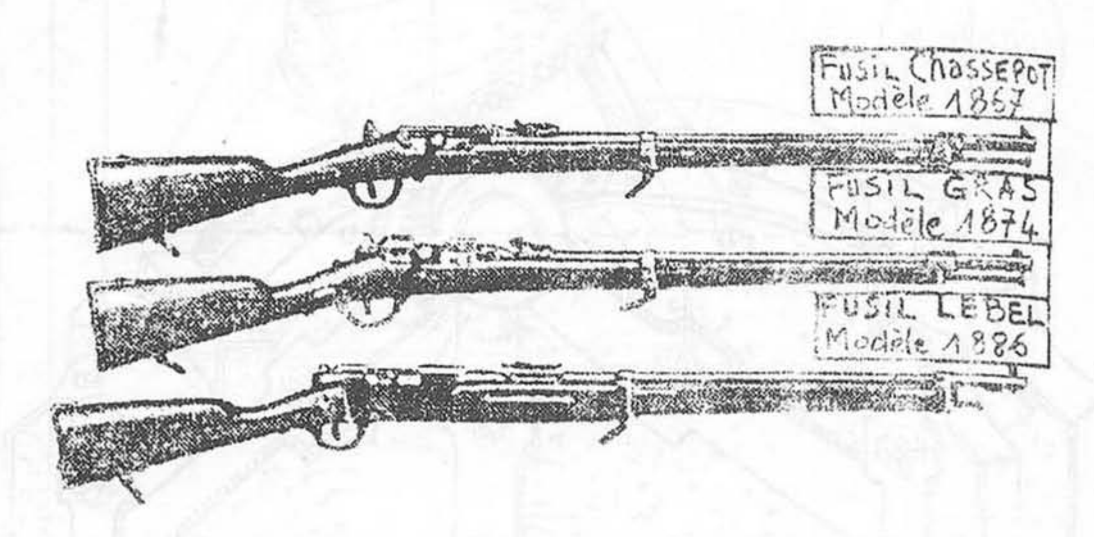
رسم بياني لكيفية توجيه المهراس : ويظهر فيه أن هذا المهراس لايمكن أن يحرك إلا بمقدار زاوية حادة (45°)











أنواع الأسلحة الجديدة في وقتها بقطع النظر عن بوشقر أو بوحبة المستعملة من طرف المجاهدين

وكان هؤلاء الطبجية موزعين على المدن الساحلية كطنجة والعرائش والبيضاء والرباط (رباط الفتح أي معسكر النصر) والجديدة وآسفي والصويرة يحمون السواحل المغربية من كل دخيل عن طريق البحر تحت امرة قائدهم «قائد الطبجية». وكانت فرق اخرى منهم موزعة على أبراج مدن فاس ومكناس ومراكش ووجدة المعززة بمدافع نحاسية. وكانوا يستعملون في حمايتهم للشواطىء وللمدن المذكورة مدافع ثقيلة من نوع 75 ورشاشات من نوع (مكسيم) وبطاريات. وكان من بينهم «مهندسون» تخرج بعضهم من أوروبا يساعدون الطبجية على كيفية الرمي بالمدافع.

4- القوات الاحتياطية :

كانت في كل مدينة فرقة مسلحة (عسة) مكونة من 50 فردا من أولاد البلد تسهر على أمن السكان تحت امرة باشا المدينة. ففى النهار كانت العسة تحمي البنايات الرسمية وفي الليل كانت تقوم مقامها دورية أخرى تسمى «بدوارة» تطوف في أزقة المدينة لتحميها من المجرمين تحت امرة «قائد الدور». وتتكون هذه الفرقة الليلية من قيادتين قائد الدور الاول ومعه أربعة أنفار يعملون بالتناوب من صلاة العشاء الى شروق الشمس وقائد الدور الثاني ومعه أربعة أنفار وله كامل الصلاحيات البوليسية لحماية النظام. ومن مهام هذه الوحدة حماية القارب الملكي الراسى بوادي أبي رقراق[24].

وفي خارج المدن كانت بعض الفرق العسكرية تحمي الطرق الرئيسية المؤدية الى المدينة. وكان فيلق آخر يسمى «المشورة» مؤلفا من 800 الى 1000 شخص يكون الحرس الشخصي للمشور وللقصر الملكي بجانب فيلق «المسخرين». كما كانت توجد أيضا بالمشور فرقة عسكرية تقدم ألوانا من ألحانها بالمشور عقب كل صلاة العشاء.

5- الاسطول المخزني :

كان الاسطول المخزني يحتوى على عدة بواخر حربية منها :

- الحسني : اشتراها المولى الحسن من انجلترا سنة 1885، عدد بحارتها 40 :

- سيدي التريكي : اشتريت من ألمانيا سنة 1890 عدد بحارتها 20 . كانت راصفة بميناء العرائش. وقد استخدمت في إنزال مدافع «كروب» بميناء الرباط ولتموين مراكز الريف الحربية. وكانت هاتان البارجتان تقومان بنقل الجنود الى قصبة السعيدية والى زمور ليتجه هؤلاء الى مدينة وجدة والى الصويرة ومنها الى سوس.

- البشير : صنعت في ايطاليا واشترتها الحكومة المغربية سنة 1899م وزودتها بـ 22 من المدافع وبمائة من «البحارة» الرباطيين السلاويين والطنجاويين والتطوانيين لتقاوم بها قراصنة الريف، وكانت راصية بميناء طنجة، ثم بيعت في العهد العزيزي الى كولومبيا سنة 1904 . وسلمت الى هذه الدولة الأمريكية بواسطة شركة فرنسية بمرسى بوردو وكان «رئيسها ألمانيا يدعى مثنى وأمين صائرها عبد الكريم زيوزيو التطواني» وكان المسؤول عنها هو محمد بن العربي الطريس.

وتحدثت «الدائرة الوجدية» عن قطعتين وجدتا في آخر العهد العزيزي وهما «طراد طوربيدى» بها 10 مدافع من عيار 12 م م وحمولتها 2200 طن. وقطعة أخرى تدعى «احسان». [25].

6- الحرس السلطاني :

«هم خدمة السلطان من الجند العسكري يتكونون من الارقاء السود برؤسائهم ومرؤوسيهم ويسمون «بطابور العبيد» ولهذا الطابور «قائد الرحى» وخليفة و «قواد مئين» وخليفة لكل واحد منهم ويعرف «بالشاوش»، ومقدمون (لكل مائة : أربعة) وخلائف للمقدمين يسمونهم «الانياشى» (وهى كلمة تركية)، وعلافان، «وعلام» يحمل العلم الخاص وهو من ملف أحمر».

- التدريب على الرمي :

كانت في جنوب المغرب مدرسة لتعليم الرماية للرماة بالقنابل والمدافع في قبيلة شيشاوة. وكان للرماة شيخ. وكان من أشهر الشيوخ في ميدان الرمي علي الزريقي وهو تلميذ للشيخ عبد الله الغزواني. وفي قرية الشماعية كانت توجد مدرسة أخرى للرمي يديرها سعيد وعلي بناصر الحمري. وكانت مدرسة ثالثة للرمي يديرها ثلامذة اليشخ أحمد بن موسى الجزولي السملالي المتوفي في القرن 16 م. وقد استمر التدريب على الرماية في هذه المدارس الى غاية العهد السليماني كما أنشأت مدرسة أخرى بقبيلة بني حسان. وفي منطقة سوس كانت مدرسة أخرى للمدفعية أسسها ابو العباس احمد بن ابراهيم الماسي. وكان الرماة الى عهد الحماية ينظمون مبارات في الرمي ويقيمون مآدب فاخرة على شرف الفائزين[26].

- الخدمة العسكرية :

قال صاحب «مصباح الساري» ما ملخصه :

«كانت مدة الخدمة العسكرية بين «أصيلة» و «رديفية» اثنى عشرة سنة. وشرط المستخدمين في العسكر أن يكونوا في سن العشرين الى خمس وعشرين سنة. واذا أريد أعمال القرعة بينهم اجتمع كل من هو في ذلك السن من أهل الناحية مثل مراكش وأعمالها وفاس وأعمالها والعدوتين وأعمالهما في يوم معلوم من السنة فيحضر نائب السلطان ويحضر القاضي والشهود وتكتب بطائق على عدد رؤوس الحاضرين. فاذا اجتمع لنا من البطائق مائة ونحن عرضنا استخدام خمسين أخذنا تلك البطائق حتى استوفى الخمسين ثم نفتحها فمن عثرنا عليه فهو عسكري في تلك المدة ومن أخطأته القرعة ذهب الى حال سبيله، لكنه اذا جاوز سن العسكرية الذي هو خمس وعشرون سنة ولم تصبه القرعة في صف «الرديف» الى سبع سنين (ومعنى الرديف انهم يكونون للدولة متى احتاجت اليهم في نازلة عظيمة أو حرب عامة) والذين أصابتهم القرعة يرخص لهم في الذهاب الى «محالهم» عشرين يوما لقضاء أوطارهم ثم يحضرون بعدها الى «القشلة»، ومن تخلف عن حضور هذا الجمع يثبت في الديوان بلا قرعة ويعفى كل من كان رب عائلة كبيرة وكل أحدب أو أشل أو أعرج وكل مبتلي بداء مزمن وطالب

العلم بعدما تظهر نجابته. أما اذا كان غبيا فانه يدخل في القرعة.

هذا واذا كان لرجل ولدان وأصابت القرعة أحدهما وأراد إبداله بالآخر فلهذا البدل شروط :

1- أن يكون سالما من الآفات المذكورة.
2 - أن لا يكون ممن استوفى مدة الخدمة العسكرية.
3- أن يكون من أهل تلك الناحية فلا يقبل مراكشي أو فاسي مثلا.
4- أن لا يكون من العبيد اللهم الا اذا كان في الجند صنف منهم.
5- أن لا يكون من الذين استعملوا في الجندية وأخرجوا منها لعارض خلقى أو فعل قبيح.
6- أن لا يكون البدل قد جيء به بعد ثلاثة شهور.

ثم اذا انتظم هذا الجمع العسكري فأول ما يعلمونهم أمر دينهم ثم يعملون الامور التي تدل على كمال المروءة وعلو الهمة، ويلقنون من أفضل الخصال الغيرة على الدين والوطن ومحبة السلطان ونصحه [27].

ولا بد من ترتيب مجلس يومي يستمعون فيه الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه ومغازى الخلفاء الراشدين وأخبار رؤساء العرب وحكمائهم ومحاسنهم وسياستهم، وينبهون على التحافظ على ثيابهم وأطرافهم من الاوضار والاوساخ التي تدل على دناءة الهمة ونقصان الانسانية، ويلزمون بترك استعمال الدخان. ثم إذا رسخت فيهم هذه الآداب في ستة أشهر أخذوا في تعليم الثقافة وأمور الحرب. ثم أهم ما يعتنى به في شأنهم أن لا يتخلقوا بأخلاق العجم ولا يسلكوا سبيلهم في اصطلاحاتهم وكلامهم وسلامهم. وان كان أصل العمل مأخوذا عن العجم كان المعلم الحادق يجتهد في تعريبه وليس ذلك بعسير، فليس فيه الا إبدال لفظ عجمي بلفظ عربي بأن يقول مثلا : أمام، خلف، دائرة، نصف دائرة، وهكذا.

وكان يختار للجنود من الاغذية أنفعها للبدن. وجعل لهم كسوتان : كسوة الشتاء وكسوة الصيف، واختيرلهم من المساكن أصلحها هواء. واذا تراخوا في الاعتناء بأبدانهم وتنظيف مساكنهم عوقبوا. وكان يرتب لهم الاطباء العارفون ليسهروا على صحة أبدانهم. ثم اذا ظهر من أحد الجند نجابة أو شجاعة او نصيحة في الخدمة السلطانية رفع قدره ونوه باسمه ليزداد في خدمته ويغبطه غيره وينافسه في خصاله[28].

بعض آداب الحرب، وتدبيرها الذي كان يلقن للجنود :

– قال بعض العلماء ان الله جمع آداب الحرب في آية واحدة : «ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين».

وتعتبر الآية الستون من سورة الانفال : "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة (كافة ادوات الرمي) ومن رباط الخيل (كل ما يخصص للركوب في المعركة) ترهبون به عدو الله وعدوكم

وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" هي الاساس القرآني للتعبئة العسكرية. كما تعد الآيات :

"يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم...." فانفروا ثباتا وانفروا جميعا وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة... انفروا خفافا وثقالا" دعوة للمسلمين ليكونوا مدربين عسكريا وعلى استعداد دائم للقتال[29].

– ويقول الرسول (صلعم) «من تعلم الرمي تم تركه فليس منا». وقال اذا بعث جيشا وسرية : «اغز وباسم الله وفي سبيل الله، تقتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا». – وقال أيضا : «الحرب خدعة».

– وكتب عمر رضي الله عنه الى سعد بن أبي وقاص رسالة في شؤون الحرب يقول فيها : "واختر للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل. واذا عانيت العدو فاضمم اليك.... سراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك".

– واوصي عبد الملك بن أبي مروان قائلا : «كن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك».

– وقال أحد الحكماء : «أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد».

– وعلى أمير الجيش أن يخفي نفسه على العدو قدر طاقته فلا تكون له حالة واحدة يعرف بها من ملبوس أو مركوب أو مستقر أو حيلة بل لا يزال يبدل ذلك ويغيره في أكثر الأوقات حتى يعمي أمره على عدوه. ذلك أن عبد الله بن ياسين قال لأميره يوسف بن تاشفين انه "وجب عليك حد سآخده منك" وضربه بالسوط 20 مرة بعد ان نزع قميصه وقال له «أخذت منك الحد لانك باشرت القتال بنفسك وغررت بالمسلمين».

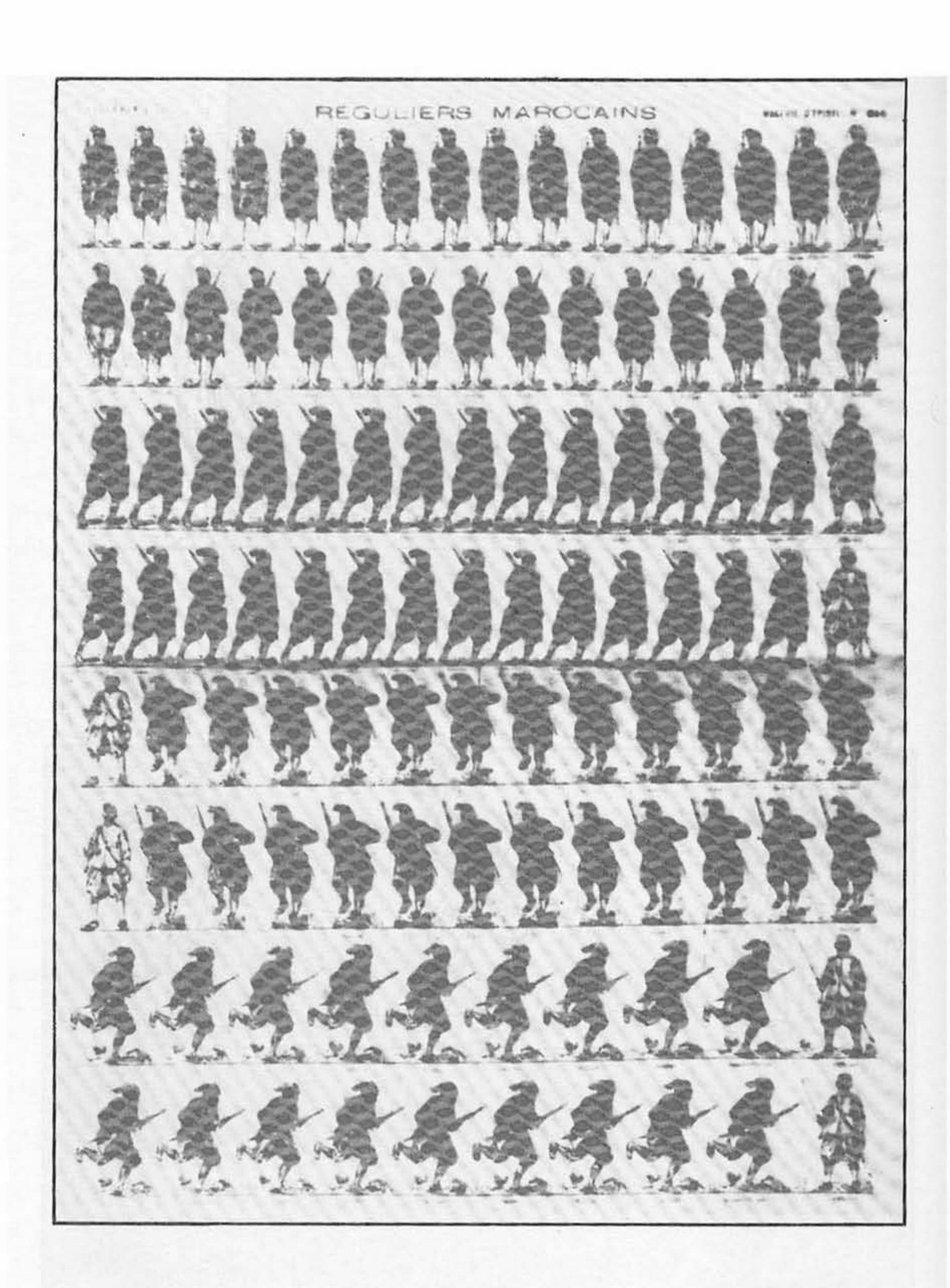
– ومن مكايد الحرب : اتخاد الكمائن، ويختار لها المواضع الخفية المنخفضة وينتخب لها من الجند اهل التيقظ والجرءة والنكاية.

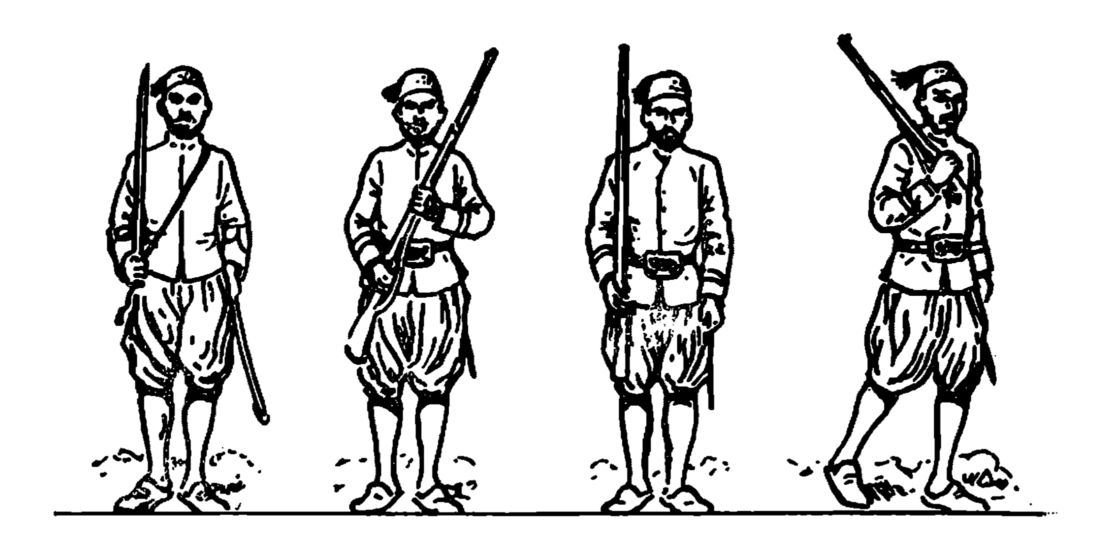
– ولابد من تنظيم جيوش الليل لتقوم مقام جيوش النهار.......الخ[30].

تمرينات الجيش الحربية واستعراضه :

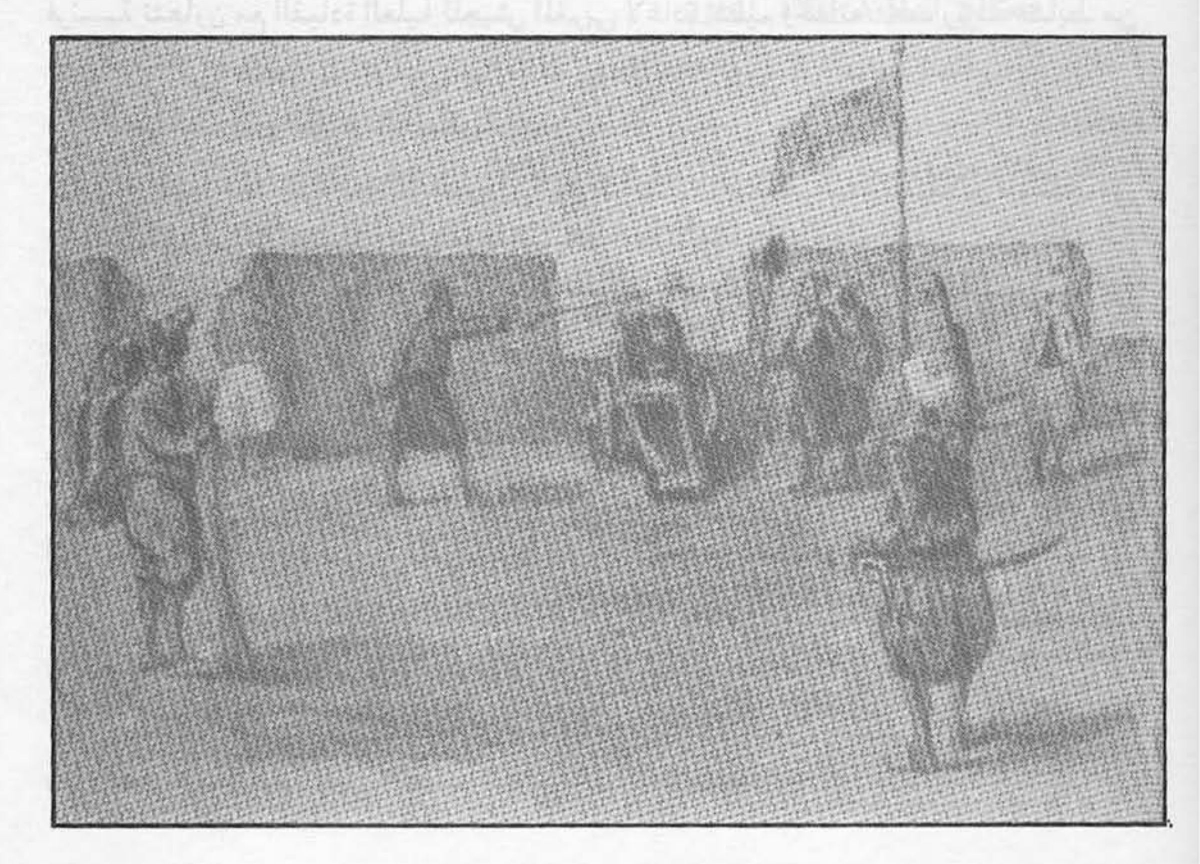
كان الجيش يقوم بتمريناته العسكرية في كل يوم أربعاء. وكان السلطان يمتطي صهوة فرسه «ويتبعه وزراؤه وأعيان دولته وجنوده حاملين للمدافع والمهاريس في موكب مهيب الى أن يصل الى المحل المعد للرمي والسباق». وكان الجنود يتلقون فيه الاسخبارات الخاصة "بكلمة السر» والأوامر الجديدة ويتدربون فيه على حمل السلاح واستعماله والمشي بالسلاح وبدونه وعلى العمليات الصغيرة وماجد حول الهجومات والتذكير بالمهام المنوطة بالجيش.[31].

ويقول مؤرخ الدولة العلوية المولى عبد الرحمان بن زيدان : «كان يخصص يوم الاربعاء لاستعراض الجيش فيباشر السلطان ذلك بيده وذلك أنه يأخذ جريدة تتضمن أسماء الجنود كل على حدته بوصفه الكاشف. ويقف وزير الحرب بجانب الملك وبيده جريدة أخرى كالتي بيند


REGULIERS MAROCAINS







السلطان ويقف كل قائد رحى أمام فصيلة، ويقوم قائد المشور بعرض كل فصيلة على حدتها الى أن ياتي الامير على آخر الجنود ويبحث عن من لم يحضر وسبب تخلفه.... »[32].

تعريف المصطلحات العسكرية :

كلف "الامير مصطفى بك ابراهيم" ذي كورتين (M.I.B.B.de Courten) أن يضع ألفاظا لتنظيم جيوش المغرب (جيوش الشرطة) لتقام على أسس قويمة وعصرية، فأدخل الفاظا جديدة كانت في السابق ممزوجة بكلمات فرنسية وانكليزية وإيطالية وألمانية واسبانية وذلك بموجب المدربين العسكريين الذين أوتوا بهم لتعليم الأصول العسكرية للجنود المغاربة. ونشر مصطفى بك ابراهيم ماقام به في كتيب فرنسي سنة 1906م وطبعه بمدينة طنجة. وهكذا بدأ الجيش المغربي يستعمل كلمة "القائد" العربية بدل "الضابط" التركية والملازم الأول بمعنى "القائم الأول" وقائد "المائة" أي السرية، وقائد الطابور (أو التابور) (وكلمة الطابور وجدت عند ابن خلدون)، وقائد "الرحى" أي رئيس الكتيبة (وكلمة الرحى تعني حومة الحرب وهي عربية)[33].

دور البعثات العسكرية الاجنبية :

منذ أوائل القرن العشرين قرر المخزن استدعاء ضباط فنيين أجانب ليساعدوا ضباط الجيش المغربي على تدريب جنود وحداتهم تدريبا عسكريا عصريا : فكانت بعثة اسبانية تعمل على تنظيم الجيش في مدينة طنجة وثانية انجليزية تدرب جيش الخيالة تحت إمرة القائد «ماك لين»وثالثة إيطالية تسهر على صناعة الأسلحة بفاس تحت رئاسة كولونيل ايطالي ورابعة فرنسية تتعاون مع القيادة العليا للجيش المغربي لاعادة تنظيم وحداته، تحت رئاسة ضابط من رتبة كومندار (فورنى).

الحصون والقلاع العسكرية :

ظهر هذا النوع من العمارة في أيام المرابطين، وضع أساسه يوسف بن تاشفين في بنايات تكون مراكز للجيش ومستودعا للأسلحة. وقد بلغ مجموع هذه الحصون في عهد ابن علي المرابطي 23 حصنا. ومازالت أطلالها ماثلة إلى الآن مثل حصن تاسنولت بقبيلة ماسة في إقليم تيزنيت.....

ولم تعرف العمارة الموحدية هذا الشكل من البناء العسكري حتى إذا جاء عصر بني مرين واهتم أحد ملوكهم بتشييد بعض القلاع الساحلية. وقد بنى أبو الحسن المريني أربعة حصون بسبتة وآخر ضخما بجبل طارق. كما شيد شبكة من القلاع الدفاعية على طول الشواطئ المغربية الأطلسية وذلك ليرابط بها جنود يقومون بالدفاع عن السواحل المغربية.

وفي العهد السعدي اهتم المنصور الذهبي ببناء الأبراج لاستخدام المدافع (بستيون). وبلغ عددها أربعة عشر موزعة ما بين فاس الجديد والعرائش وتازة.

وفي العهد العلوي شيد المولى اسماعيل 76 قلعة تمتد من وجدة الى وادي نون بسوس، وكل قلعة تشتمل على أبراج وتحصينات وقصبات ومخازن وأسوار (كما بمدينة سلا لحمايتها من

غارات الأساطيل الأجنبية). ويدأ بناء التحصينات الدفاعية على نحو التصميمات المعاصرة في عهد الحسن الاول [34] فقد شيد برج الرباط مهندسون المانيون، وجهز بمدافع ألمانية الى غيرها من الأبراج التي سبق الحديث عنها. وتذكر من بين القصبات العلوية : قصبة بولعوان وقصبة احميدوش وقصبة ابي الجنود وقصبة الخميس وباب الجدولية بالمهدية.

تمويل التجهيزات العسكرية :

كان شراء المعدات العسكرية والأسلحة المختلفة[35] والتجهيزات الدفاعية وتكوين الفرق العسكرية وتدريبها يكلف المخزن نفقات هائلة. وكانت مداخيل الديوانة تمول جزءا كبيرا من هاته النفقات. فكانت كل مرسى تتكلف بأداء ثمن ما يرد عليها من العتاد العسكري. أما اذا كانت التجهيزات العسكرية تفوق إمكانيات المرسى التي تصل اليها تؤمر المراسي الأخرى بالتعاون معها. (مثلا : عند تحصين مدينة طنجة بالمدافع شاركت مرسى العدوتين في دفع ثمن المدافع).

وكان أمناء هذه المراسي يسددون أيضا بواسطة "أمناء السيار" رواتب الضباط الأجانب والمنح الدراسية للبعثات العسكرية في الخارج ورواتب العساكر التي تعمل بالمرسى ونواحيها، وجريات نقدية للحاميات العسكرية المجاورة للميناء ونفقات طارئة عسكرية تقتضيها إجراآت الأمن والدفاع وكساوي الجيش في الأعياد... ومن الملاحظ أن بعض الجنود كانوا يشاركون الفرق المكلفة بجمع هذا النفقات على إجبار أصحابها على الأداء.[36].

مصانع البارود ببلاد المخزن :

كانت العناية بانتاج البارود بالغة أقصى حدها الى درجة أن كل مدينة من المدن كانت تتوفر على معامل ومصانع تخرج مقادير كبيرة من البارود والأعتدة الحربية والمتفجرات. ولازالت أطلال هذه المعامل قائمة في كل من فاس ومكناس والرباط وطنجة ومراكش وتارودانت وسلا وتعرف "بدور البارود". وكان ما يسمى بالحبة من أنواع البارود التي كانت تصنع فيها. ومن هذه المصانع نذكر على سبيل المثال : مصنع "فابريكة الحبة" و"مكينة العدة"، و"مصنع القرطوس" و"دار السلاح الحسنية (التي كانت تصنع فيها بنادق البيوضة مثلا). وكان للمحتسب في كل من مكناس ومراكش على الخصوص مهمة الاشراف على صناعة البارود واتقانها.

قيادة الجيش المخزني :

كان يعتبر السلطان هو القائد الأعلى للجيش المخزني [37] فيشرف بنفسه على "الحركات" المهمة، وكان العلاف[38] (وزير الحربية) صلة وصل بني الملك والجيش فيسهر على تموين الجيش المتنقل في "الحركات" - طبقا لمقررات السلطان - وتسليحه بالعتاد وينفد الأوامر الملكية فيما يخص تعيين الضباط والقادة [39]، وتوزيعهم على المناطق الذين كانوا في الغالب يرثون مناصب آبائهم، كما كان يمسك سجلا للعسكرية، يشتمل على أسماء تعين لهم «مونة» يقدمه للسلطان يوميا مديلا بإمضاء "الصدر الاعظم" حيث تسطر لائحة الجند مع التغييرات

الطارئة". ويمكنه ان ينوب عن السلطان في رئاسة "المحلة" كما فعل المنبهي عندما ثار "بوحمارة".

اما القائد الفعلي للجيش هو "قائد المشور" [40] ويليه قائد المحلة (أو الحاكم) الذي يشرف على قواد الرحى وقواد المائة والمقدمين ورجال الأمن. وكان ما يسمى "بقائد العسكر" قائدا للفيلق يقوم عمليا بدور ضابط التموين أو "الصاحب" تحت امرة قائد المحلة. وكان توزيع المواد والألبسة يتم بمحضر «عدول تموين الجيش والعسكر». وهناك ضابط آخر يعمل تحت امرة قائد المحلة وهو «زابط» الذي يلعب دور المسؤول عن الأمن داخل صفوف الجيش ويلقب "بقائد الدور".

اللباس العسكري :

في القرن التاسع عشر كان اللباس العسكري يشتمل على الجابذور المطروز المتألف في الغالب من صدرية حمراء وسروال أزرق (أو بغير هذه الالوان). أما الضباط فكان لهم قميص واسع الأكمام وقفطان وفرجية وبرنس خفيف.

العلم العسكري المغربي :

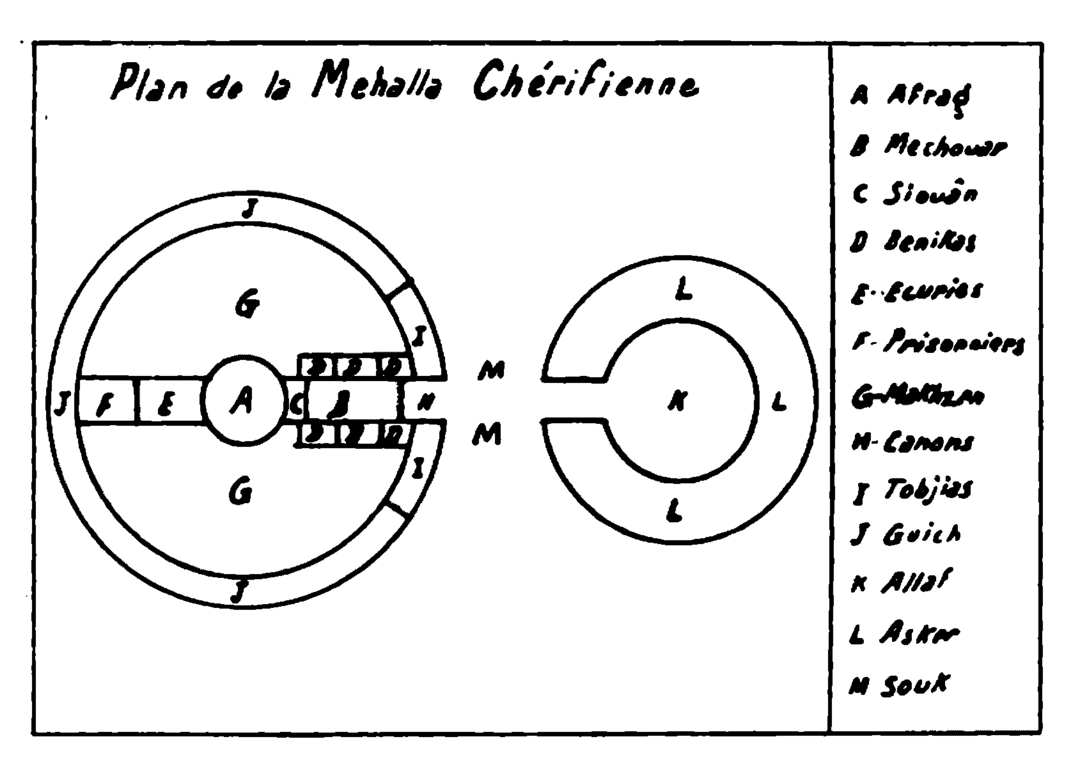
كان العلم العسكري أبيض في أيام الأدارسة ثم صار متعدد الألوان في عصر المرابطين وقيل أسود اللون - كشعار العباسيين -ثم صار أبيض في عهد الموحدين[41] والمرينيين [42] والسعديين[43]، تم جعله العلويون أخضر ثم أحمر حتى أضاف اليه مولاي يوسف الخاتم السليماني الأخضر[44] . يقول محمد بن الطيب العلمي في مدح السلطان المولى اسماعيل وجنوده:

فكم راحة بيضاء تحمر بالدما * اذا انعقدت للحرب ألوية خضر

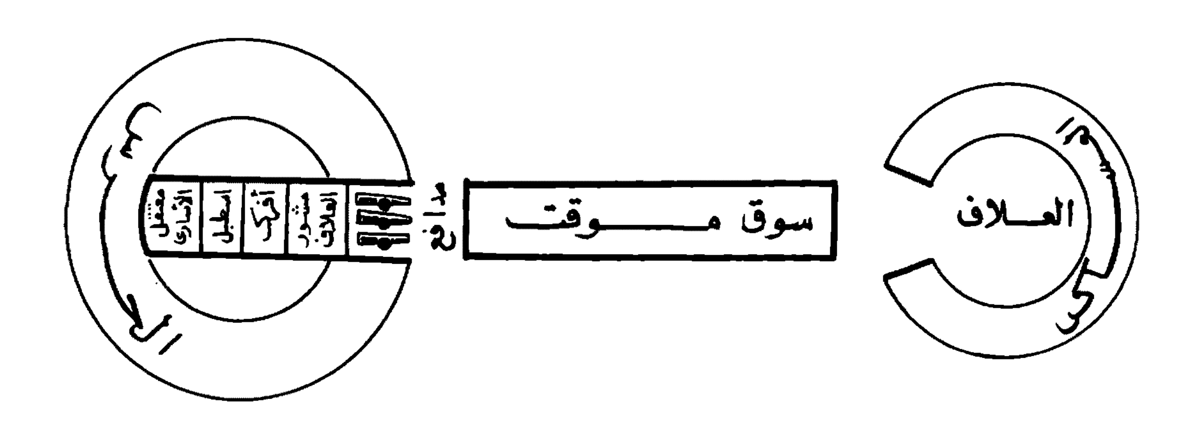
"*ولقد جرت العادة في العهد العلوي أن توضع أعلام الجيش* [45] ولا تخرج منه إلا عند تحرك الجيش في مناسبة من المناسبات"، وتنصب فوق جميع الأبراج وفوق المراكب الشراعية المخزنية عندما تخرج الى عرض المحيط وعلى متنها شخصية مخزنية أو قنصل من القناصل. وكان السلاطين العلويون يأمرون كذلك بربط نسخ من كتاب "البخاري" مع الأعلام لما تنصب على سفن الأسطول.

الجيش المخزني (أو المحلة) في ميدان "الحركة" ضد أهل السيبة :

لما كانت تثور بعض القبائل على السلطة الشرعية كان الجيش المخزني يقف لها بالمرصاد ويقضي على ثورتها. فكان جلالة السلطان القائد الأعلى للجيش يتوجه على رأس جيشه بمشاته وفرسانه الى الناحية الثائرة من البلاد ويقيم أولا بمكان ما يسمي "النازلة" وتدك له الخزائن الملكية "أفراك" [46] في المعسكر الذي اختاره المهندسون وتدك وراءها خزائن رجالات السلطة، وتبنى خزائن الجنود وجها لوجه "الخزاين الملكية" على شكل دائرة أيضا ويضع الجنود أسلحتهم فيما بين مجموعة "الخزاين" وهذا هو ما يسمى "بالمحلة" (أي كتائب الجيش المتنقلة لقضاء الأغراض الرسمية برئاسة الأمير أو ولي عهده أو أحد ولاته وقواده) وتمول بما يفرضه



Plan de la Mehalla chérifienne dressé par l'auteur en 1898



المخزن على بعض القبائل لأجل تزويد المجندين بالزاد والعتاد.

ولما يصل المركب السلطاني للمخيم العسكري تصطف الخيول صفين : فرسان القبائل عن اليمين وفرسان العسكر عن الشمال وتقوم بتحيته على نغمات عسكرية أندلسية تنشدها فرقة 55. ولما يصل السلطان الى الفسطاط ينزل من صهوة جواده ويرجع الفرسان والمشاة الى الأماكن المعدة لنزولهم.

وعندما تمتنع القبائل الثائرة عن وضع السلاح يعلن السلطان الحرب ضدها فيفتح قواد المائة" على الأثر صناديق أسلحتهم ويوزعون الأسلحة على المشاة والخيالة. تم يتجه الجميع الى ميدان المعركة وتتقدم، الجيش فرقة موسيقية تضرب على الطبول وتنفخ في المزامير تم يبدأ الخيالة بهجومهم المفاجىء على الثوار ويصلونهم نارا مستعملين الكر والفر او "المشالية" كما يسمونها ثم يتدخل المشاة بمختلف بنادقهم. وكان قواد المائة يقودون الزحف وتوجيه الحملات المضادة اما "بالتوافل" (à la baïonnette) او بالبارود أو "الحردون"(feu à volonté) تم يكون الهجوم العام (الطراد). وتدوم المعركة هكذا حتى تدق ساعة النصر ويرفع "العلاف" علم انتصار القوة النظامية (الغلبة) على قوة الفتنة التي قد تلوذ بالفرار (الكسرة أي الهزيمة)[47].

وتقول رواية أخرى : «أما نظام «المعركة» فإن أوروبا تعرفه من خلال معركة ايسلي فالفرسان ينقسمون الى قسمين متساويين يشكلان الجناحين ويتحركون على شكل هلال كبير، يتوسطه الرجالة، وفي اللحظات التي تسبق الهجوم يقوم كل جندي بقراءة بعض الأيات القرآنية تم يصيحون بصوت مرهب : "لا إلاه الا الله !». تم يهجم الجيش كله على العدو فإذا استطاع هذا الأخير أن يصمد لهذه الصدمة الأولى فإنه يكون قد ضمن الانتصار، لأن القواد والمقدمين يعجزون عن إعادة تنظيم صفوف جيوشهم ليقوموا بهجوم آخر. وايمان المغاربة بالقضاء والقدر يجعلهم يرجعون كل فشل لإرادة الله، كما أن انعدام المدفعية سيكون من بين الأسباب الرئيسية لانهزامهم أمام الجيوش الأوروبية"[48] -

وتوضح دراسة أخرى أن عدد جنود "المحلة" يتراوح ما بين 10.000 الى 30.000 من بينهم ما بين 4000 الى 5000 من رجال الخيالة البخارى وبضعة آلاف من رجال المدفعية (الطبجية) المكلفين بحراسة "خزانة" السلطان.

وكانت عناية كبرى تصرف لاعداد كل "محلة" تستغرق عدة شهور لرسم الطريق وتوفير المؤن والأسلحة وضبط الأهداف. وكانت المحلة أشبه بالسوق المتنقلة منها بالجيش المنظم المتطلع الى غايات عسكرية معينة. وكانت تعمها الفوضى أحيانا عندما تكون عابرة لأرض لا تدخل في حكم "المخزن". وكان لإنشائها عدة مرامي منها : فرض الجباية وتأديب القبائل الثائرة، وإظهار قوة المخزن، والتفاوض من مركز القوة - ان اقتضى الحال، وتفقد البلاد والسكان. وكانت "حركات" المولى الحسن الأول التي انتقل بها من فاس الى تافلالت تم مراكش مثالية من حيث الانضباط وبلوغ المقاصد[49].

وقد تحدث الناصري في كتابه الاستقصا (ج : 6- و 7 و 8) المخصصة للدولة العلوية

عن الصراع الذي كان قائما بين المخزن و"بلاد السيبة"، اي المناطق الثائرة ضد السلطة الشرعية لسبب سياسي أو اقتصادي والذي من أجله كان السلطان يتنقل في "حركته" على رأس "محلته" لاخماد الفتنة وارجاع المنطقة الى السلطة المركزية. ومن أخطر الفتن التي حدثت في هذا العصر ثورة القبائل بالأطلس المتوسط ضد المولى سليمان حيث انهزمت "محلة السلطان" «وثورة الشرادي" بناحية مراكش حيث انتهت بهزيمة "الجيش المخزني" «مما جعل المولى سليمان يتخلى عن العرش لابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام. وترجع أسباب الهزيمة الى أن الجيش المخزني كان يستنفر فقط اذا دعت الحاجة الى ذلك، فهو إذاً غير مستعد للحروب باستمرار وغير عارف بطوبوغرافية مكان الحرب. » ولم تكن هذه السيبة أصيلة في المغرب بل هي فكرة خلقها الاستعمار الذي كان يحرض القبائل على الثورة ضد السلطان ليتخذ ثورتهم ذريعة للدخول للدفاع عن المخزن وللتدخل في شؤون المغرب للمحافظة على الأمن. ولما يكون هناك خطر حقيقي وشيك الوقوع على المغرب، فإن القبائل لا تردد في الالتفاف حول السلطان - لرد ذلك الخطر الأجنبي - بصفته الزعيم الروحي للبلاد [50].

هذا وقد اقتضت الظروف التاريخية والسياسية التي عاشها المغرب في القرن الماضي أن يكون دور الجيش المغربي دورا هجوميا أكثر منه دفاعيا. اذ كان يحشد الخيول السريعة والمكثفة ليغير على الحصون التي احتلتها القوات الإسبانية والبرتغالية بالشواطئ المغربية. وقد تكون هذه الهجومات دون النتائج المرجوة لأن عمليات الكر والفر التي بقيت القاعدة الأساسية لدى الجيش المغربي لا تجدي نفعا أمام حملات الجيوش الأوروبية المجهزة بالمدافع والأسلحة العصرية.[51].

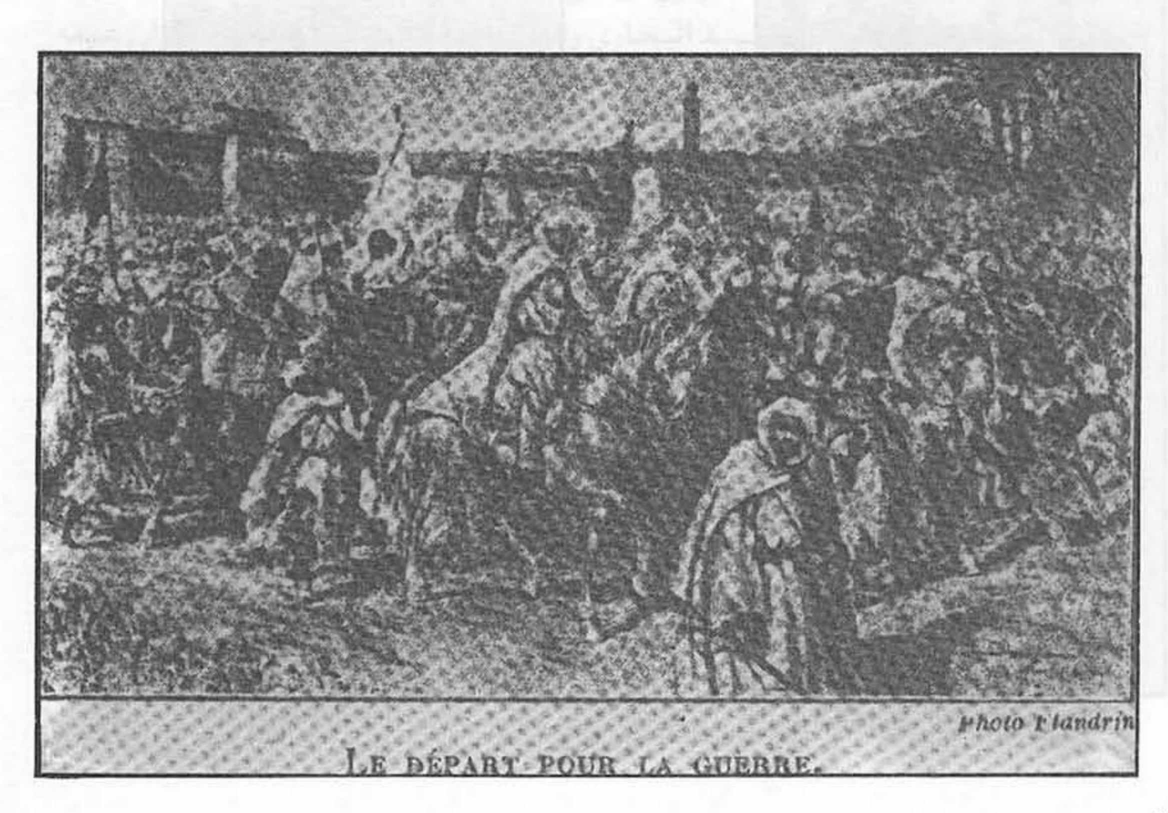
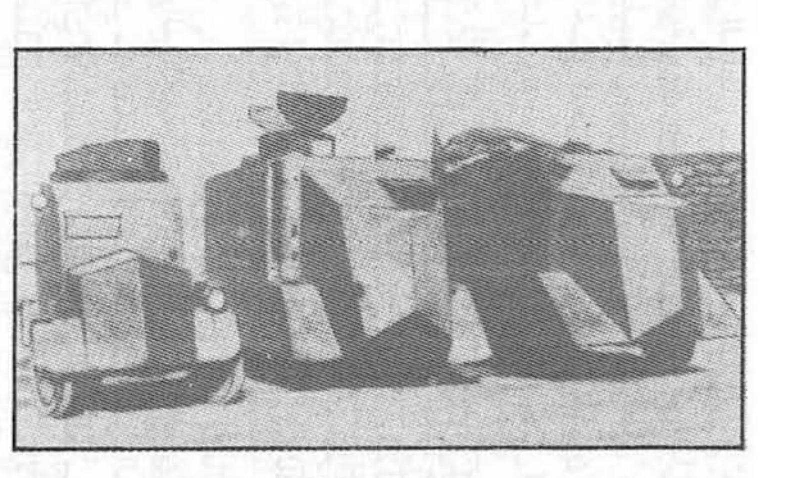
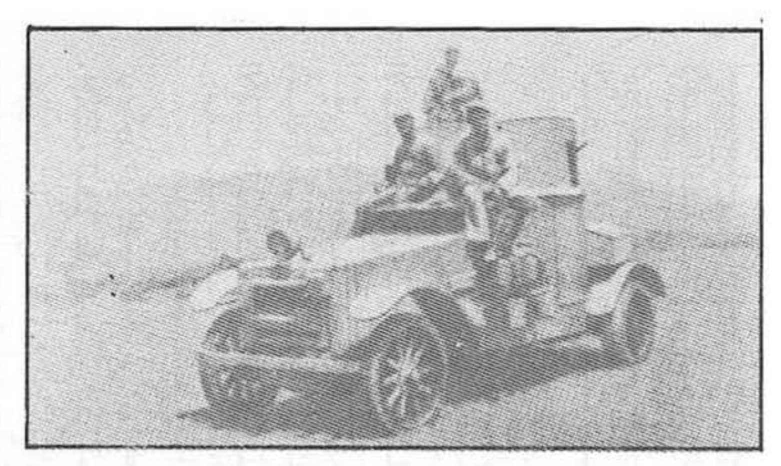


Photo Flandrin

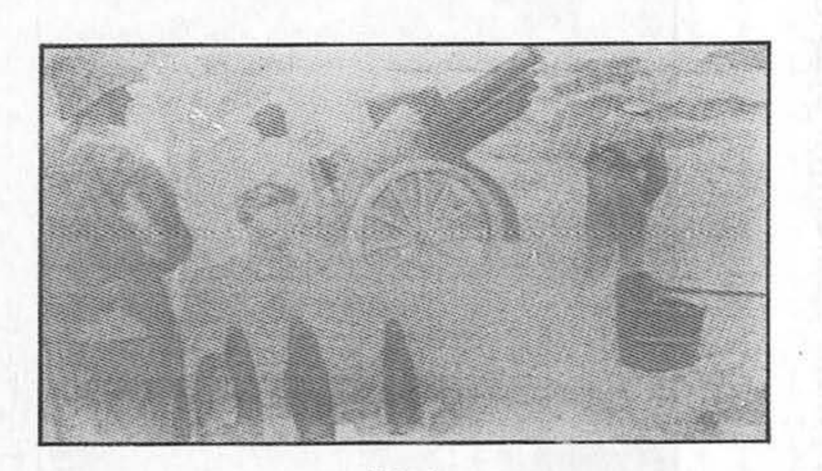
LE DÉPART POUR LA GUERRE.



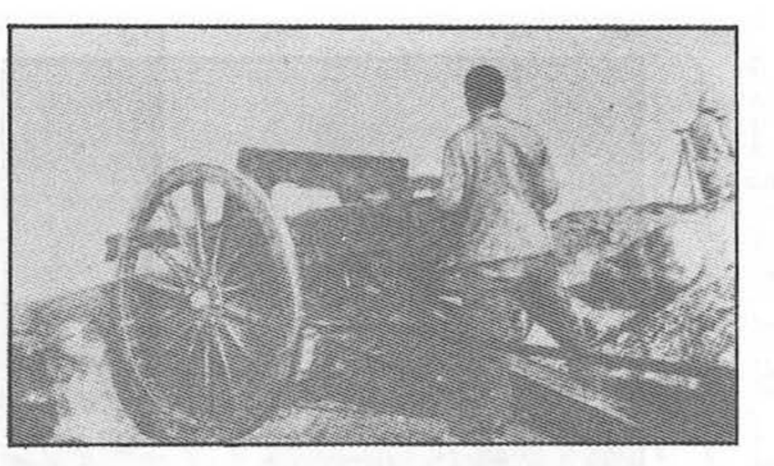
رشاشة أوتوماتيكية



مدفع بطاريات 75



شاحنات مصفحة

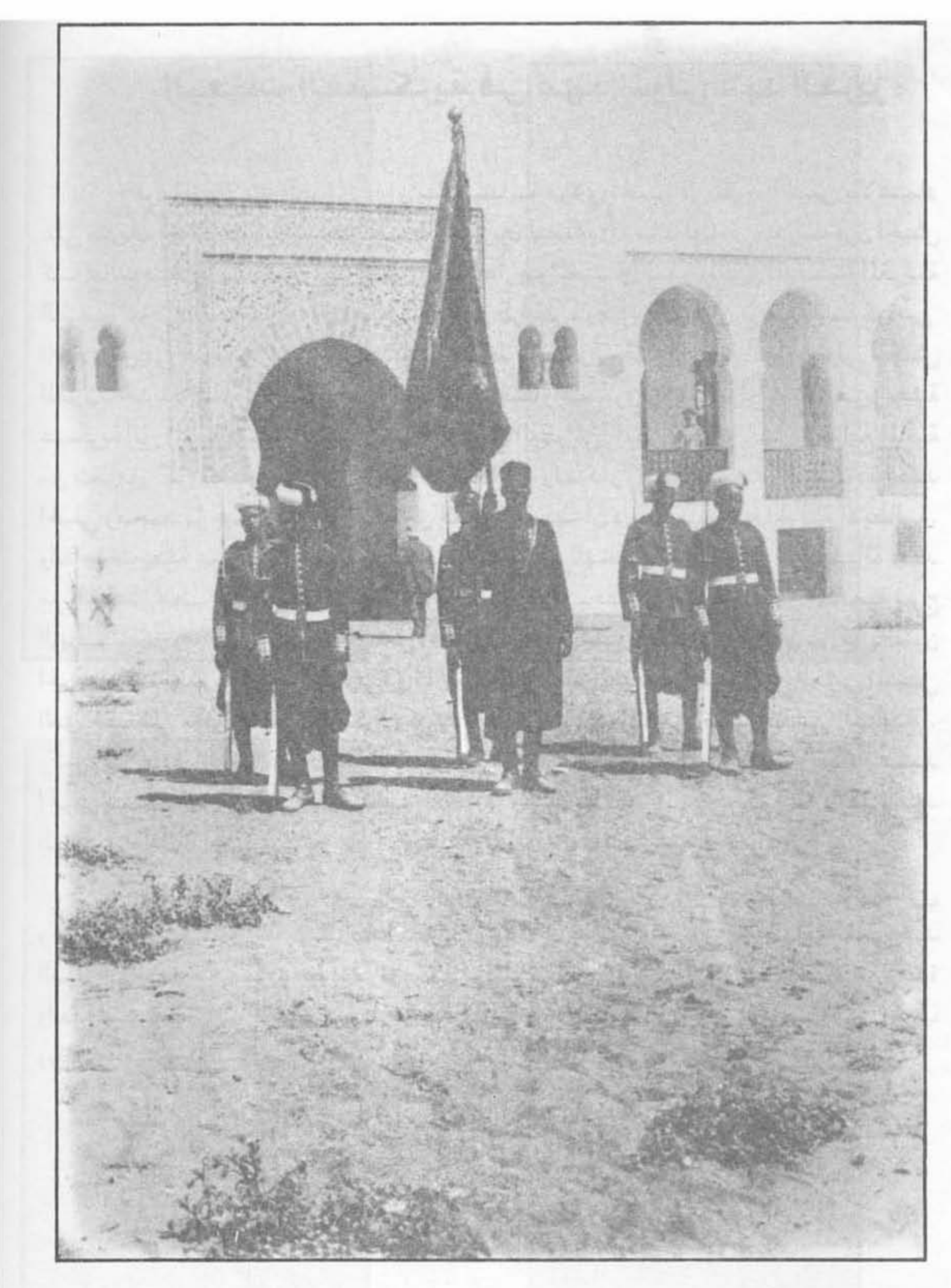


مدفع 155

البعثات العسكرية في عهد المولى عبد العزيز :

قرر المولى عبد العزيز [52] أن يتابع سياسة مولاي الحسن في تقوية الجيش بالاعتماد على مدربين أجانب فطلب السلطان ضباطا اجليزيين ليساعدوا "ماك لين" في تدريب فرق الجيش كما طالب ضباطا فرنسيين (يتكلمون اللغة الدارجة المغربية) ليدربوا فرق المدفعية المغربية الطبجية عوض الضباط الأتراك الذين قدموا من طرابلس. وقبل جلالته أن تؤلف فرنسا قوة من 3000 رجل في طنجة يدربها ويشرف عليها ضباط فرنسيون يكونون بمثابة النواة الأولى للجيش المغربي الجديد. كما أبدى استعداده لقبول مستشار عسكري وأوفد المولى عبد العزيز بعثة عسكرية الى ألمانيا برئاسة السيد محمد الزكاري التطواني "أمين الصيار" لشراء مدافع ألمانية من معامل "كروب" في شهر أبريل من سنة 1900م. وقد كان أعضاء البعثة هم السادة أحمد الجبلي ومحمد بن عمر ومحمد التادلاوي الذين سبق لهم أن درسوا بالمدرسة الحربية الايطالية. وقد جاءت بعثة عسكرية ألمانية في عهده برئاسة قبطان للهندسة العسكرية وآخر للخيالة قصد مد المساعدة للضباط المغاربة[53]. وكان المولى عبد العزيز يحضر بنفسه في تمارين المدفعية ببرج الرباط [54]" . وقد لمع في عهده المهندس الحسين بن الحاج خلوق الاودي الذي كان عارفا بالفنون الحربية وقام بتمرين الجيش المغربي. وكان وزير الحرب في عهده هو المهدي بن العربي المنبهي الذي خلف سي سعيد كبير العسكر. وكانت البنادق التي أدخلها من انكلترا تدعى "المنبهية". وكان "من قادة" الجيش في العهد العزيزي هو علي بن رشكون الدليمي، وكانت قيادة عبيد الجيش مقسمة بين بن كنور قائد عبيد البخارى والقائد ابراهيم المنبهي. كما عين المولى عبد العزيز عبد المالك الجزائري (الضابط) رئيسا لفرقة الشرطة بطنجة سنة 1915م.

وكانت أيضا قيادة الجيش في العهد العزيزي من نصيب القائد بوشتى بن البغدادي وكان شقيقه سعيد بن البغدادي قائدا للجيش الحفيظي لما كان في صراع مع شقيقه المولى عبد العزيز في عهد خلافته له بمراكش وناحيتها وذلك لما عجز عن رد العدوان الفرنسي عن وجدة والدارالبيضاء وتوات وفكيك . وبعد أن عزل المولى عبد العزيز المنبهي أسند منصب وزير الحرب ورئيس العسكر للفقيه السيد محمد الجباص.



كوكبة من جنود الحرس السلطاني

الحمد الله وحده

جدول بيان الأعمال التي يطلب من العسكريين أن يقوموا بها طيلة ايام العمل في العهد العزيزي :

جدول بيان خدمة الفئات العسكرية الشريفة

الحرب يكون في الصباح غدا يوم الخميس والجمعة المعدين للاستراحة ويوم السبت الذي تعطى فيه المونة.

الصباح

عند الساعة الثامنة تفريق الزاد بمحضر قائد الرحي والحراب.

من الساعة الثامنة ونصف الى التاسعة ونصف تحريب القواد والمقدمين والخلفوات يكون على الساعة الثامنة ونصف، والخليفة الكبير لكل طابور يدفع بيد الحراب جريدة اسماء الغائبين عن الطابور.

على الساعة الحادية عشر، مناولة الاكل بكل طابور.

بعد الزوال

على الساعة الثانية التسراط بكل طابور ومن الساعة الثانية الى الرابعة ونصف كل عسكري ينبغي أن يكون حاضرا في الحرب. قواد الرحى يدفعون للحراب جريدة تشتمل على بيان اسماء من حضر ومن غاب من العسكر وبيان السبب في غيبتهم.

أرباب الرتب يعلمون الأنفار مساء ماتلقوه صباحا من الحرابة.

على الساعة الخامسة عشية اكل الانفار وعلف الخيل.

شراء الازواد وتفريقها على الطوابير

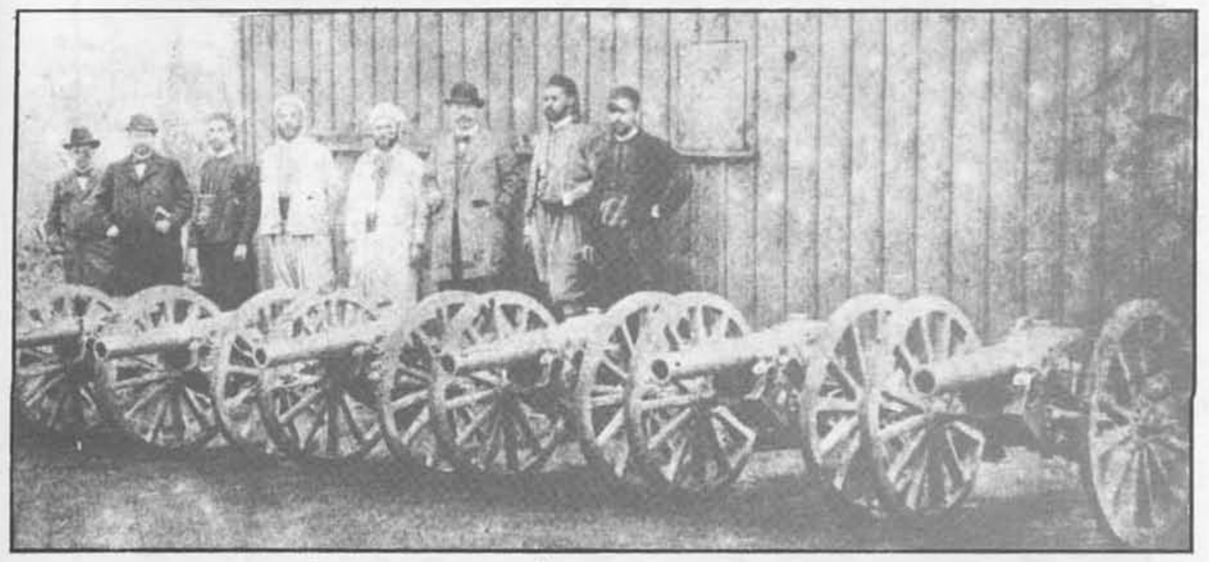
علاف كل طابور يكلف في كل صباح بمقتضيات الأكل بمحضر خليفة من خلفاء الطابور وأحد المقدمين يعنيهما قائد الرحا بالأمس على الساعة الخامسة لمراقبة شراء الأقوات على مقتضي ما أمر به القائد المذكور. والخليفة والمقدم والأنفار المكلفة بشراء الأقوات وحملها ثم ينبغي ان تكون الأقوات واللحم موجودة والزاد واصلا للمحلة في كل صباح على الساعة الثامنة وبعد أن يقف الحراب على هذه الأزواد ويسلمها، يوزعها العلاف حينا على أصحاب الكشينة كل فرقة مشتملة على عشرة أنفار يكون لها طباخ واحد. الخليفة والمقدم المعينين يراقبون بعد ذلك تفريق الزاد على الطوابير ويحررون في ذلك اليوم من الخدمة كما يراقبون ايضا تقسيم الطعام. ثم ان قائد الرحاء يامر عشية كل يوم على الساعة الخامسة بتفريق العلف والتبن على الخيل بمحضر الحراب. وكما ان دراهم شراء الازواد تعطى كل يوم بيد العلاف على الساعة الخامسة عشية لشراء غد والعلاف ينبغي له أن يتخذ كناشا أو دفترا يسجل فيه كل يوم بيان ما ياتي.

أولا : العدد المقبوض

ثانيا : بيان الشراآت الواقعة وثمنها

ثالثا : اسم الخليفة والمقدم والانفار الذين كلفوا في ذلك اليوم بشراء وتوزيع الاقوات ثم بعد هذا ينبغي للخليفة أم يمضي هذا الكناش بخط يده كل يوم والعهدة في ذلك على قائد الرحاء لا في أمر المالية ولا في صحة اجراء العمل كما ينبغي وتسجيل الكناش على وجه الاتقان.





الوفد العسكري المغربي الذي تفاوض مع الحكومة الألمانية في شأن تزويد المغرب بالمدافع الألمانية سنة (1900*)

(*) ذكر أحمد الجبلي العيدوني والد الطبيب الأول الرباطي الحاج أحمد الجبلي العيدوني والذي كان طالبا بإيطاليا (1887-1896) في وثيقة كتبها عن حياته في سجن لعلو لما كان معتقلا في قضية الظهير البربري سنة 1930. وقد كتبها بالفرنسية وقام بتعريبها السيد مصطفى بوشعراء في كتابه "الاستيطان والحماية بالمغرب" ج 4 (الهجرة في المغرب وإليه) ص 1394-1996) أقول ذكر أنه كان في سنة 1200 رئيس وفد عسكري عينه المولى عبد العزيز بوصفه طالبا في المدفعية للذهاب إلى ألمانيا لشراء ذخائر حربية بمعمل "كروب" على رأس وفد يتكون من 3 ضباط متخرجين من مدرسة المشاة والخيالة بمودنيا (إيطاليا) : وهم محمد بن عمر الرباطي ملازم في الخيالة (قائد طابور للبوليس بطنجة). ومحمد التادلاوي الرباطي ملازم في المشاة ومحمد بن الوزاع الرباطي وهو ملازم بالمشاة وأمين صائر الوفد أحمد مدينة التطواني.



البعثة العسكرية التي توجهت برئاسة السيد المهدي المنبهي بلندرة (1901)



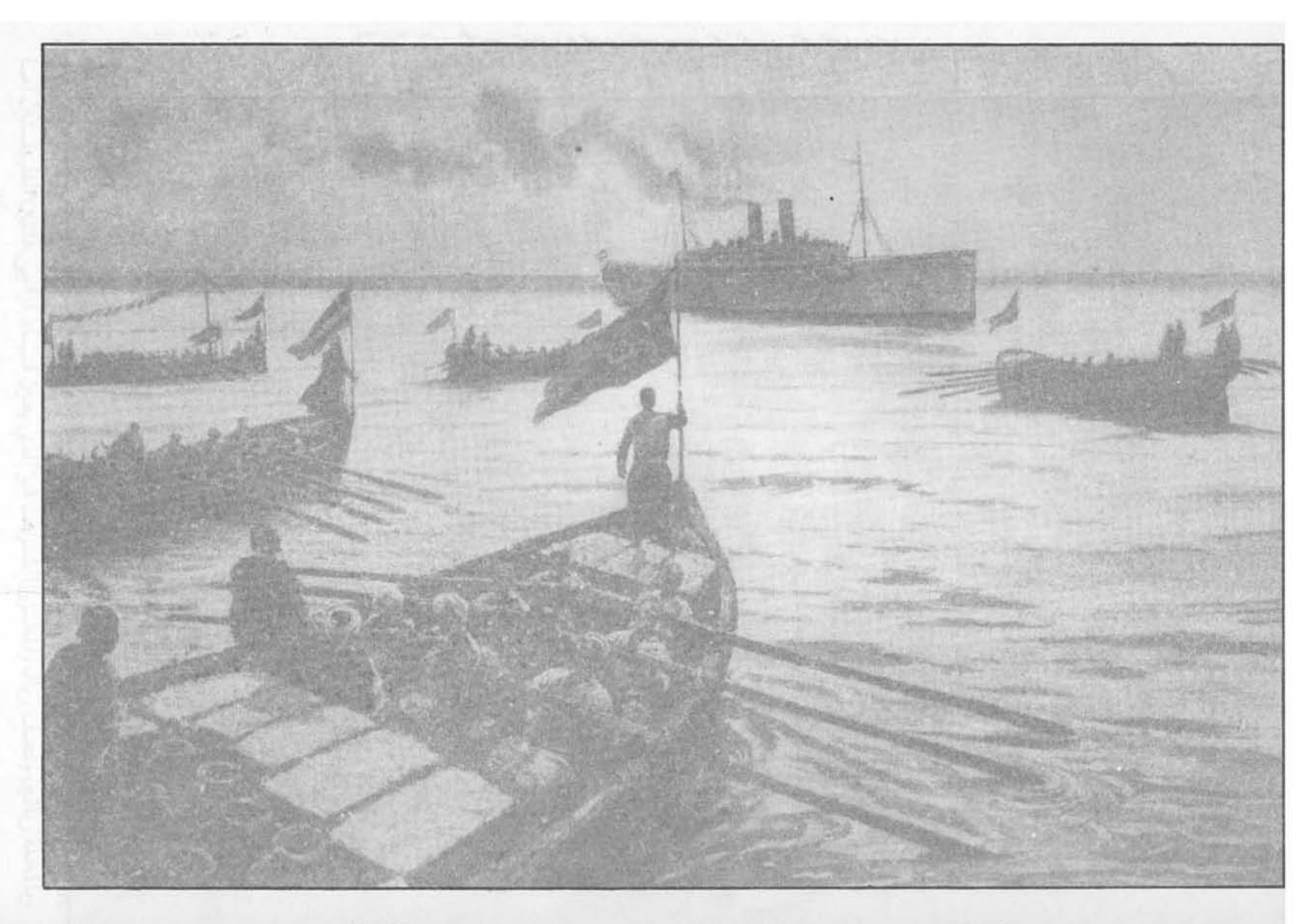
"العلاف" الحاج المهدي المنبهي مع مستشاره العسكري الانجليزي ماكلين (1901)



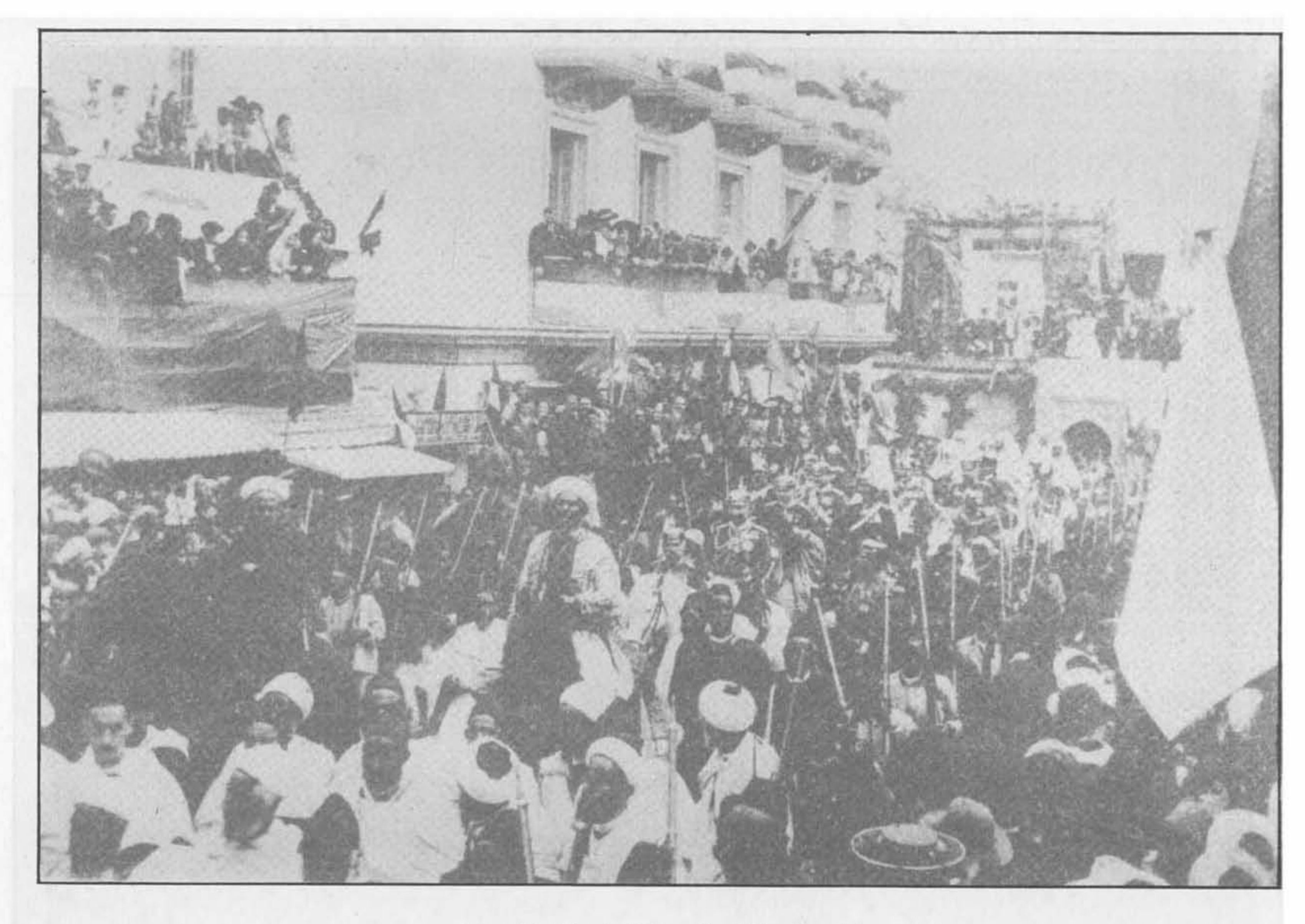
"العلاف" الحاج المهدي المنبهي في العهد العزيزي بلباس الميدان



دخول الفيلق المغربي إلى الرباط خلال الاحتلال الفرنسي (1907-1914)



الأسطول المغربي يستقبل بميناء طنجة الباخرة "هامبورغ" التي وصل على متنها الامبراطور الألماني گيوم الثاني (31 ماي 1905)



دخول الامبراطور الألماني إلى مدينة طنجة محفوفا بالجيش المغربي

النظام الجديد للجيش المغربي في سنة 1909

الحمد لله وحده

كيفية التنظيم والتهذيب الذين يعتمد عليهما استقبالا في الجند الشريفى نصره الله

ان جلالة الحضرة الشريفة أيد الله سلطانها تامر بتنفيذ مايلقى تحت من الاوامر حينا وبتمكين أيدى كل مستخدميها من هذه الأوامر ليمعنوا نظرهم فيها ويختاروا إما البقاء حسبما يذكر أو الذهاب في حال سبيلهم.

كيفية التجنيد

ان القياد وأصحاب الدرجات والعساكر المعترف لهم بسلامة ذاتهم بواسطة الطبيب يمكنهم الدخول في الجند الشريفي لمدة أربعة أعوام بعدما يحلفون للجلالة الشريفة بعدم الخيانة ويمكنون وقتئذ بموجب يسمى موجب التجنيد وهذا الموجب يبقى عندهم

ومن هرب منهم أوفعل فعلا يخالف قواعد التجنيد يعاقب العقابات الآتى بيانها اما الذين يفوزون منهم بخدمتهم فانهم يجازون بما ياتي بعد من الجوائز.

المئون	في المستقبل تفرق المئون على النمط الاتي	
	بفاس	بالمحلة
الخليفة الكبيرة	٢٠ بليونا	٣٠ بليونا
الخليفة الصغير	١٠	١٥
قائد المائة	٨	١٠
الملازم	٥	٦
المقدم	٤	٥
المعاون	٣ وربع	٤وربع
العسكري	٣ بليون	٤ بليون
الافراس والبغال	٣	٤

أما الطنا برجية وأصحاب الأبواق فانهم يسلكون حسب نصحهم في خدمتهم اما كالعساكر أو كالمعاونين وأمناء الطبقة الأولى ياخذون مونة الخليفة الكبير.

وأمناء الطبقة الثانية يأخذون مونة الخليفة الصغير
وأمناء الطبقة الثالثة ياخذون مونة قائد المائة.

وقياد الأراحى يكونون على طبقتين فأهل الطبقة الأولى ياخذون خمسة دورية في كل يوم سواء في فاس وفي المحلة وأهل الطبقة الثانية يأخذون بفاس ريالا واحدا ونصف ريال وبالمحلة ريالين ونصف ريال والمخزن الشريف هو الذي يعين قياد أراحى هاتين الطبقتين أما

بقيتهم فانهم يسلكون على الكيفية الآتية فالذين لهم أقل من مائة وخمسين نفرا وأكثر من مائة ياخذون مونة الخليفة الكبير والذين لهم أقل من مائة جندي وأكثر من خمسين ياخذون مونة فائد المائة.

ويمنع منعا كليا في حق كل قائد أو كبير على الاطلاق ان يلزم من هو أقل منه درجة بدفع شئ ما

وفي المستقبل تدفع المئون في كل أسبوع وعلى سبعة أيام غير أن اللباس والسلاح وجميع التجهيزات تبقى ملكا للمخزن ولايجوز لأحد أن يبيعها اصالة

(التهذيب) على كل قائد أوصاحب درجة أو عسكرى أن يعتبر بشدة قواعد التهذيب الآتية

الجرائم العظمى ضد التهذيب	جراؤها
1- العصيان باليد المسلحة والقيام على المخزن	الموت
2- الهروب بالأسلحة والأثاث المخزنية	الموت
3- النهب بالسلاح أو القتل	الموت
4- تخلية المركز أمام العدو أو الخديعة قدامه	الموت
5- تعرية وقتل الجرحى	الموت
6- الهروب بدون أسلحة وأثاث المخزن	عامان سجنا
7- بيع أو سرقة أثاث وأسلحة المخزن	من عامين الى أربعة سجنا ومغرم يساوى ماسرق
8- اشتراء أو إخفاء أثاث المخزن	كذلك
9- اعتماد إتلاف أثاث المخزن	كذلك
10- إتلاف دارهم المخزن في جميع ما يرجع الى الجند	من عام الى أربعة سجنا ومغرم حسب ما سرق من ماله الخاص لامن المونة

ويمنع على من هو في الجند ان يتجر أو يخدم أي خدمة كانت سوى خدمة الجند وقياد الأراحى الذين لا يمتثلون لما في هذا الفصل بأن يتجروا أو يرتكبوا ما يخالف القاعدة الجندية يعاقبون بخمسة أعوام سجنا وأصحاب الدرجات والأمناء تختلف معاقبتهم من عام الى اربعة سجنا حسب الجريمة المرتكبة والعساكر والمعاونون بستة أشهر سجنا.

وجميع الجرائم المزبورة أعلاه تقدم الى جناب الحضرة الشريفة وهي التي تقضي بها حدها وتعاقب مرتكبيها

ومما يعتبر من الجرائم لكنها ثنوية ما سيحصى

(1) ومن الكبير

كل شيء يوهم ضعفا أو تعديا فى الحكم أو مخالفة لواجباته

(2) ومن العسكري

1- ترك العمل اللازم بدون إذن
2- الحضور مؤخرا أو التخلف كليا عند الحاجة في التمرينات أو في كل ما يطلب منه
3- الدخول مؤخرا لمركز المعسكر أو للخيمة بعد الساعة المعلومة
4- الوسخ والتهاون في القيام باللباس والسلاح والتجهيز
5- مخالفة الأوامر أو عدم تنفيذها بعد سماعها في كل ما يرجع الى الخدمة الجندية
6- السكر
7- اللدد والتشاجر مع العساكر أو مع الغير
8- سيرة المخالفة أو الغير الأدبية مع كبير
9- التهديد الغير الباهظ
10- اخبار الأكابر بغير الحقيقة في كل مايعود الى الخدمة أو إلى التهذيب
11- عدم تعيين اسمه وطابوره حين يطلبان منه
12- انقطاع عقوبة التهذيب المحكوم عليه بها
13- التداخل الممنوع مع المسجونين
14- شتم أصحاب الدرجات
15- النعاس في وقت العسة
16- التهاون الذي يمكن بسببه هروب المسجونين
17- الأضرار التي تقع في أملاك الناس «نهب مافيها وسرقته بدون سلاح

والحكم على هذه الجرائم الأخيرة مفوض لقائد الرحا لكن لا يحكم إلا على أهل طابوره ويتبع في الحكم المعاقبات الآتية

١ نقصان ربع أو ثلث المونة
٢ إعطاء أزفل بدون أن يجاوز خمسة وعشرين ضربة في اليوم
٣ السجن بدون فوات خمسة عشر يوما

ولاينفذ أي عقوبة كانت قبل موافقة العلاف والحراب المكلف من قبل الكومندان عليها وقبل تدقيق البحث فيها ويجب ان تكتب العقوبات في السجل المعين لها الذي يقدم كل يوم الى نظر العلاف والحرابة ومن لم يمتثل لهذا من قياد الأراحي يعاقب عقابا شديدا.

وللعلاق الحق في الزيادة على ماذكر من العقاب عندما يتحقق النفع في ذلك

والعساكر المسجونون يجبرون على القيام بنفع عام كتشطيب وتنظيف الأزقة ونواحي البلدة والمراكز أو البناآت الى غير ذلك من المنافع العامة وياكلون مادامو في السجن لكنهم لا يقبضون مؤونهم.

(الجوائز) فمن حسنت سيرته من العساكر وفاق أقرانه شجاعة وقوة في القلب يجازى إما بتعلية رتبته وإما بأخذ مكافاة نقديه أو النياشين الشريفية.

وليس لقياد الأراحي عزل الخلفاء وقياد المائة وكل من له درجة كيفما كانت ان ذلك

للمخزن وحده ولا يسقط العسكري المعين لدرجة عند ما يرتكب جريمة عظيمة أو يتحقق بعد أنه غير قادر على القيام بواجبات الدرجة التي هو فيها الا المخزن الشريف فقط

ويلزم أيضا الامتثال إلى القواعد التي اتخذها المخزن الشريف في التحديدات الحربية

فالكومندان والحرابة يدلون على الأوامر الشريفة المذكورة في هذا التحديد ويواضبون على اتباعها واعتبارها ويخبرون الحضرة الشريفة بجميع قياد الأراحي والأمناء وأصحاب الدرجات الغير القادرين على القيام بواظائفهم أو التاركين من كل جهدهم في خدمتهم.

هذا وإن الجلالة الشريفة تركت لنفسها الحق في قلب معاقبات الموت إلى سجن حسب ما يظهرلها أو الاعفاء مطلقا حين تريده.

مذكرة في إصلاح الجيش

بعث كاتب مجهول مذكرة إلى المولى عبد العزيز سنة 1906 ضمنها أراءة وتوجيهاته وذلك على إتر مطالبة الدول "بالاصلاحات" في مؤتمر الجزيرة.

وتحتوي هذه المذكرة على عدة مشاريع متعلقة بالتمتيل النيابي والإصلاح القضائي وعلى مشروع يتعلق بكفية تشكيل جيش حديث (دون تكليف المخزن بمصروف أفراده مدة الإقامة).

وكفية ذلك : هو أن تبدأ الدولة بتكوين مجموعة من الضباط الأكفاء من طرف نخبة من الضباط الفرنسيين ليكون للجيش إطار وطني نافع بعد الاستغناء عن الضباط الأجانب. أما الجيش فيكون متركبا من :

- جيش نظامي مشتمل على الخيالة والمدفعية ينظمه المخزن وينفق عليه ويستكتب جنوده من الفقراء المغاربة (من 20 الى 40 سنة).

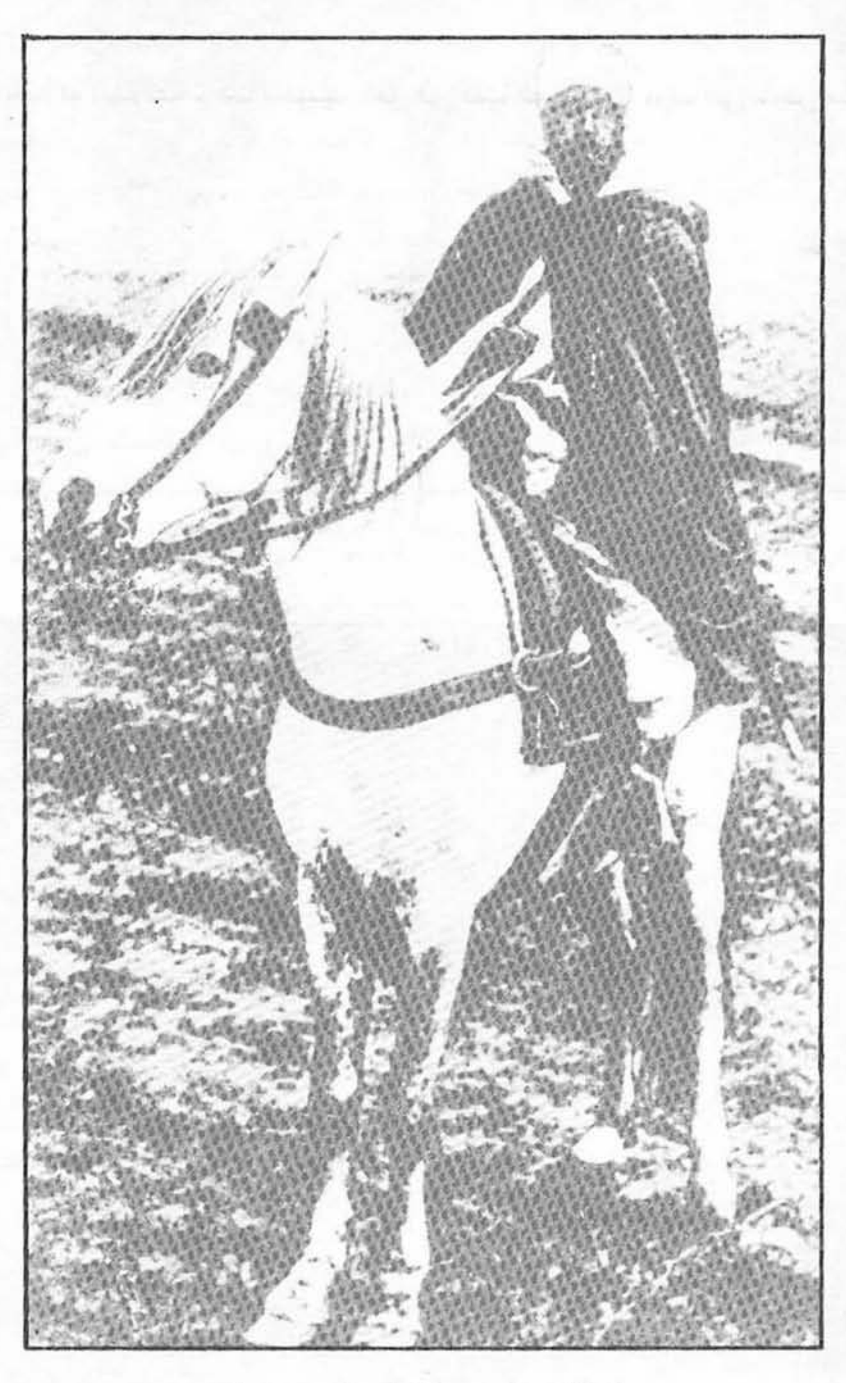
- جيش شعبي : عدد أفراده الالاف يتراوح سنهم بين العشرين والأربعين عاما يقضون النصف الأول من نهارهم في أشغالهم أما النصف الثاني فيقضرنه في التداريب العسكرية وعلى كل واحد من هؤلاء المجندين أن يدفع ثمن بندقيته أو على كل عشرة منهم ان يتحملوا ثمن "وثاقهم". وتنحصر مهمة هذا الجيش الشعبي في " :

- مشاركة الجيش النظامي في الدفاع عن حوزة الوطن
- وقمع المتمردين داخل الوطن
- والاشراف على أمن المدينة والطرقات[55]

فصول من مشروع الدستور في العهد الجفيظي لإصلاح الجيش :

في العهد الحفيظي (الآتي ذكره) اقترح القائد عبد الله بن سعيد السلاوي مشروعا لإصلاح الأحوال في البلاد ضمنه فصلين 15 و 16 متعلقين بإصلاح الجيش المغربي. ذكر في هذين الفصلين : وجوب ترثيب العسكر، وجعل المؤونة الكافية له، واختيار الحرابة من مهرة المسلمين، وأن يأذن "سيدنا" جميع من بإيالته لتعليم العسكرية، ويأمر بتدريب" الأولاد" على

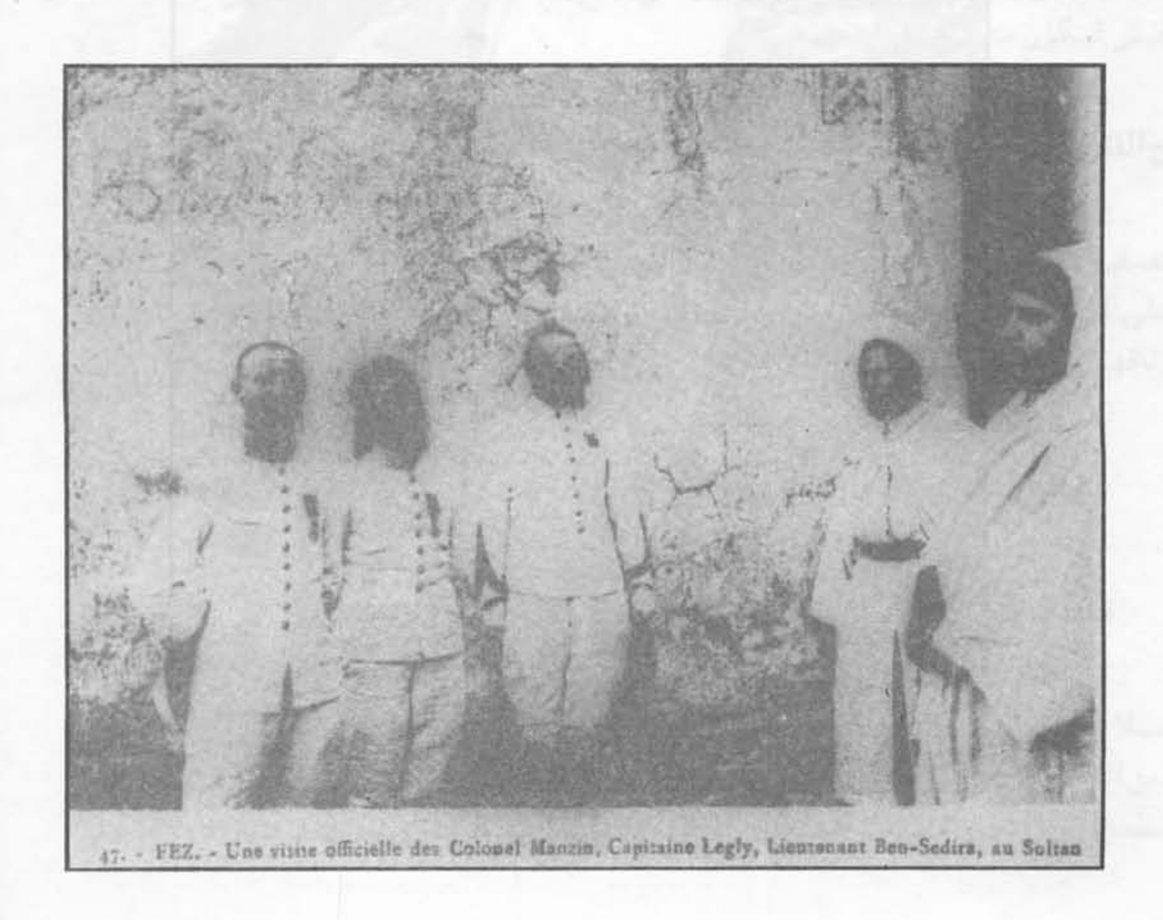
الرماية وركوب الخيل..... وتعليمهم الرماية والحرب مرة في كل يوم جمعة بادية وحاضرة، أغنياء وفقراء، ويؤمر كل موسر بشراء فرس يكون عنده سواء ركبه أم لا. كما اقترح أن يتخذ المخزن عددا وافرا من السلاح الجديد وما يكفيه من "القرطوس" ويدخره بخزائنه، والأولى هو السعي في الاقتدار على صنعه، «وأن يتولى السلطان القيادة العليا للجيش ويشهر الحرب ويعقد الصلح وأن تنشأ وزارة خاصة للحرب وقوانين خاصة بالجيش المغربي... »[56].



السلطان مولاي عبد الحفيظ يمتطي صهوة جواده



السلطان مولاي عبد الحفيظ مع شخصيات مخزنية وضباط فرنسيين



47. - FEZ. - Une visite officielle des Colonel Manzin, Capitaine Legly, Lieutenant Ben-Sedira, au Soltan

أعمال المولى عبد الحفيظ الحربية :

لما بايعت مدينة مراكش المولى عبد الحفيظ ملكا على المغرب -«اشترطت البيعة الحفيظية بفاس أن تكون أولية الأوليات في صرف الجبايات المالية لصالح التجهيز الحربي» وتطهير المواطنين من "الحمايات" وإخراج المحتل من البلاد- ، قام للجهاد وتصدى لمحاربة الاحتلال الفرنسي فأرسل جيشه الى الشاوية واستطاع أن يحرر قصبة مديونة القريبة من البيضاء. ولما امتنعت فرنسا من الجلاء عن الشاوية والمغرب الشرقي(57) إلا بعد تحقيق شروط بعثت بها ضمن مذكرة الى المولى عبد الحفيظ الذي كان قد دخل الى عاصمة ملكه فاس(58) قام السلطان "واعتمد على وسائله الخاصة لإرغام فرنسا على الانسحاب من الشاوية والدارالبيضاء" ولما عقدت هدنة بينه وبين فرنسا تمكن من الحصول منها خلال مفاوضات معها - على عدد من المدافع الثقيلة والبنادق، كما طلب من وزير ماليته ومبعوثة الى الدول الأوروبية السيد الحاج محمد المقري أن يسعى للحصول على عدد من المدافع الأمانية والبنادق البلجيكية وذخيرة حربية أخرى انجليزية ويوصي بصنع أسلحة بإيطاليا. ثم بدأ "يثير همم القبائل لتقديم ما تستطيع من المال والرجال للاستئناف القتال. ولكن "رينو" (Regnault)مبعوث الحكومة الفرنسية وجه انذارا الى المولى عبد الحفيظ للرجوع عن فكرة استئناف الجهاد. "ولم يجد السلطان بدا من الرضوخ" نظرا لعدم وصول الأسلحة المطلوبة في إبانها(59).

وقد وجه السلطان المغربي بعد ذلك رسالة احتجاج الى الحكومة الاسبانية بواسطة وزيره وكاتبه ابن المواز يحتج فيها على السياسة التوسعية التي تسلكها في الريف المغربي وخصوصا بعد المعارك التي جرت حول مدينة مليلية (1909) والاستعراض العسكري الاسباني الذي ترأسه الجنرال "مارنيا" بالمدينة. ولكن القوات الاسبانية اضطرت بنفسها أن تحد من عملياتها العسكرية نظرا للخسائر التي تكبدتها من جراء المقاومة "الريفية" الشديدة لها.

ومند سنة 1909 بدأت محاولات فرنسا لتقوية دور بعثتها العسكرية في المغرب بصورة تؤدي الى الاشراف على الجيش المغربي. وكان بعض أفراد هذه البعثة يشتركون في الحملات التي يوجهها السلطان ضد القبائل الثائرة بقيادة الكمندار "مانجان"(Magin) رئيس البعثة (60). ومما يذكره المؤرخون أن المولى عبد الحفيظ كان يعتمد أولا على بعثة عسكرية تركية لتدريب الجيش المغربي. فقد طلب من عباس حلمي باشا المصري على يد وزير خارجته محمد المقري أن يبعث له ببعثة عسكرية لتدريب جنوده وكانت هذه البعثة مكونة من أحد عشر ضابطا وضابط صف (الذين كانوا يعملون في جيش عبد الحميد التركي) وكان يقودها القبطان «عارف بني» من أصل لبناني وضابط صف من أصل لبناني أيضا . وكانا يقودان الخيالة والمدفعية وقد شرعت البعثة العسكرية في عملها خلال شهر نونبر من سنة 1909. وحصلت البعثة على نتائج سريعة في تدريبها لجنود الجيش المغربي الذي كان متعودا علي الإشارات العسكرية التركية. وكانت مهمة هذه البعثة ناجحة، لولا تدخل الحكومة الفرنسية وإنذارها للسلطان مولاي حفيظ بتسريح أعضاء البعثة. وبقي السلطان مولاي حفيظ متشبثا بصلاحية التداريب التركية حيث بعث حماد المقري ابن "الصدر الأعظم" محمد المقري إلى القسطنطينة لإجراء محادثات مع وزير

COLONNE DE FE

19. Fez. - Caïds de la Méhalla Chérifienne





Le caïd Annou, en tête de son tabor, défilant après le paiement de la solde.

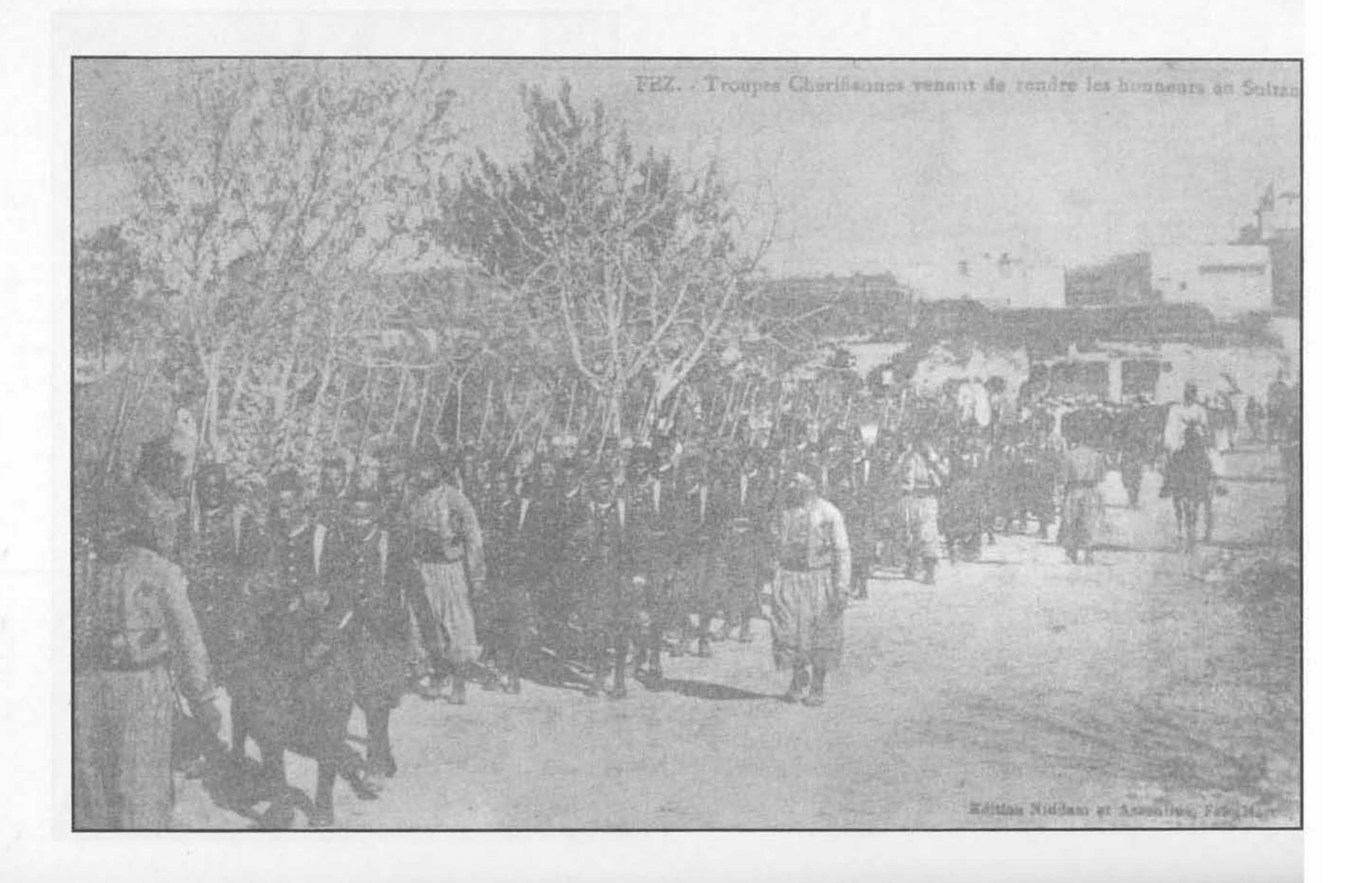
الحربية محمود شوكت باشا بهدف تجنيد ضباط أتراك للعمل (دوما) في الجيش المغربي. ولكنهم اشترطوا دفع تسبيقات مالية هامة. فرجع المبعوث المغربي بخف حنين في فبراير 1910م[61] . ولما صرف السلطان البعثة التركية (تحت الضغط الفرنسي) قامت البعثة الفرنسية بقيادة الضابط "مانجان" بنفس الدور التركي. (23 اكتوبر 1910) وعملت على إعادة تنظيم الجيش على أسس جديدة وذلك بمقتضى الظهير السلطاني الذي قرأه "مانجان" على الجنود المغاربة المرابطين بمشور فاس. "وقد بين الظهير شروط التجنيد والتعهدات والمخالفات والمكافآت. "ومن بين 5500 جندي وافق حوالي 4000 على النظام الجديد. وعند الكشف الطبي تبين صلاحية 3000 جندي للخدمة العسكرية» تم سهر "مانجان" على تكوين 5 طابورات من المشاة (500 رجل) و3 من الخيالة (130 رجل) و 2 من المدفعية وواحد من الهندسة (80 رجل) و2 من "الحراس الملكي" الذي كان يدعى "الحرس الاسود" (350 رجل) بواسطة وحدة من المدربين (170 رجل) وأدمجت في هذه الطابورات فيما بعد "محلة" مولاي يوسف [62].

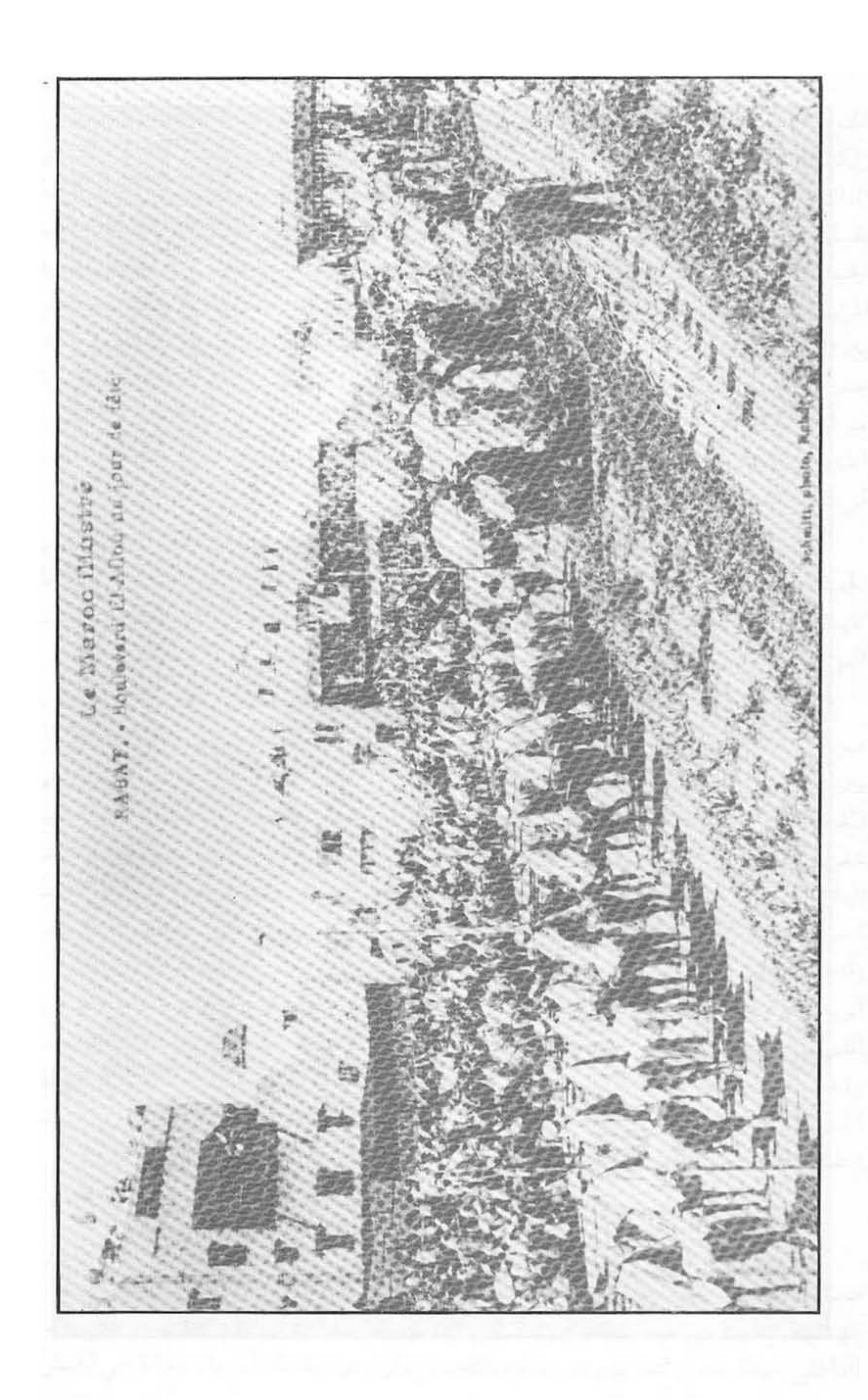
وليظهر مانجان صرامته في تطبيق الظهير أعدم جنديين مغربيين في فاس لهروبهما من الجيش. وقد كان يرغب مانجان في تعزيز البعثة بضباط مشاة وخيالة وضباط مدفعية وضباط للهندسة و 7 ضباط صف، الا أن هؤلاء الضباط لم يكتب لهم الالتحاق بفاس نظرا للحوادث التي قامت بها سنة 1911 م وللمعارضة الاسبانية لنشاط البعثة الفرنسية [63].

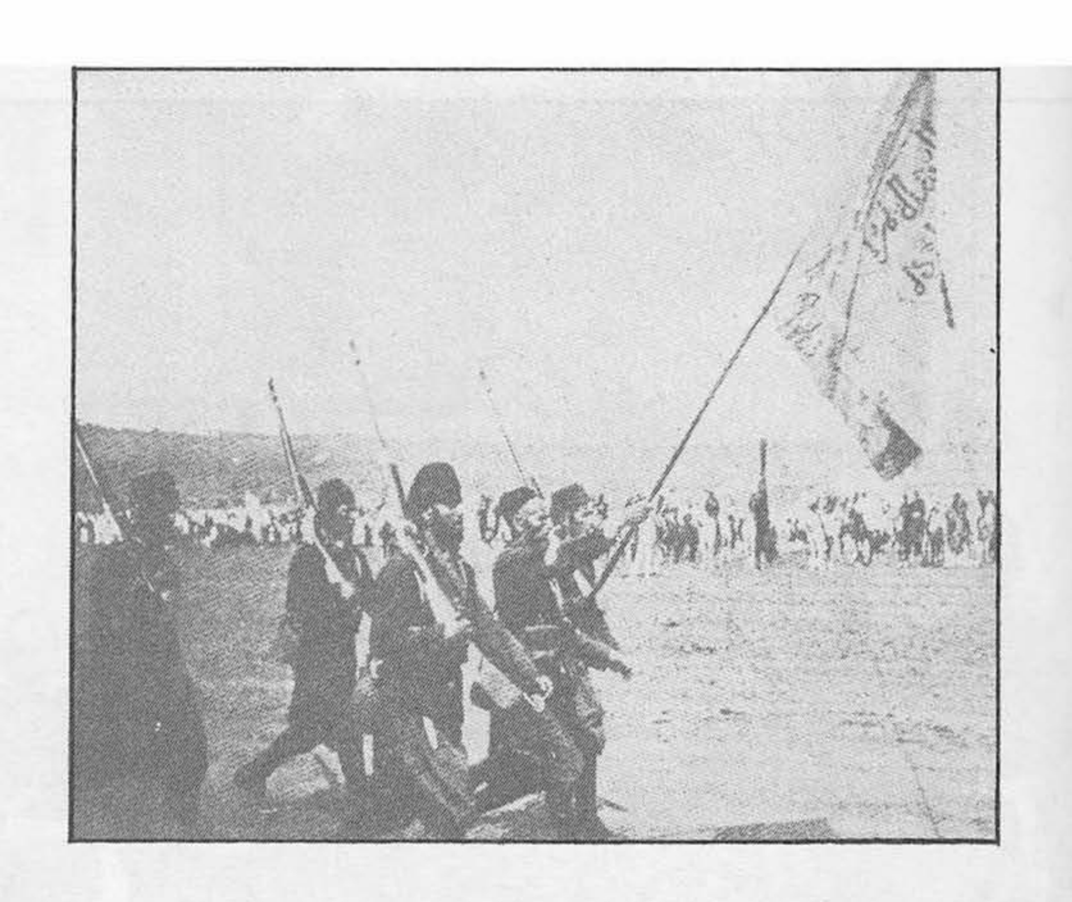
إلا أن ابتداء من مارس 1912 نظم الجيش المغربي من جديد وأصبح له حرس وطني مكون من 200 جندي وجيش مكون من 13000 جندي وبلغ عدد الضباط الفرنسيين المؤطرين 190 وضباط الصف ما يزيد على 500 تحت قيادة الجنرال Brulard وذلك تمهيدا لفرض الحماية على المغرب[64] . ولما أدت تحرشات الجيش الفرنسي الى بداية احتلال المغرب[65]، وشاع خبر التوقيع على معاهدة الحماية" وغادر المولى حفيظ فاس الى مدينة الرباط قبل تنازله عن العرش العلوي[66] احتجاجا على فرض الحماية على المغرب أعلن المجاهدون المغاربة الثورة في مدينة فاس بقيادة محمد الحجاجي من قبيلة الحياينة (قرب مدينة فاس) وقتلوا 40 ضابطا فرنسيا و40 من الجنود تم انتشروا في مدينة فاس داعين السكان الى الجهاد ومحاربة المحتلين (17 ابريل 1912)[67] ولكن الفرنسيين تمكنوا من القضاء على هذه الثورة بفضل النجدات العسكرية القادمة من مكناس. ولما وصل المرشال ليوطي الى فاس اشتعلت الثورة العسكرية من جديد وشلمت جل المناطق المغربية. وكانت خطورة الموقف تتمثل في انتشار 2000 جندي مغربي تركوا الجيش النظامي وانتشروا في صفوف القبائل الثائرة مزودين بسلاح جيد "معلنين بذلك عن انطلاقه المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الاجنبي."

البوليس الحربي في العهد الحفيظي :

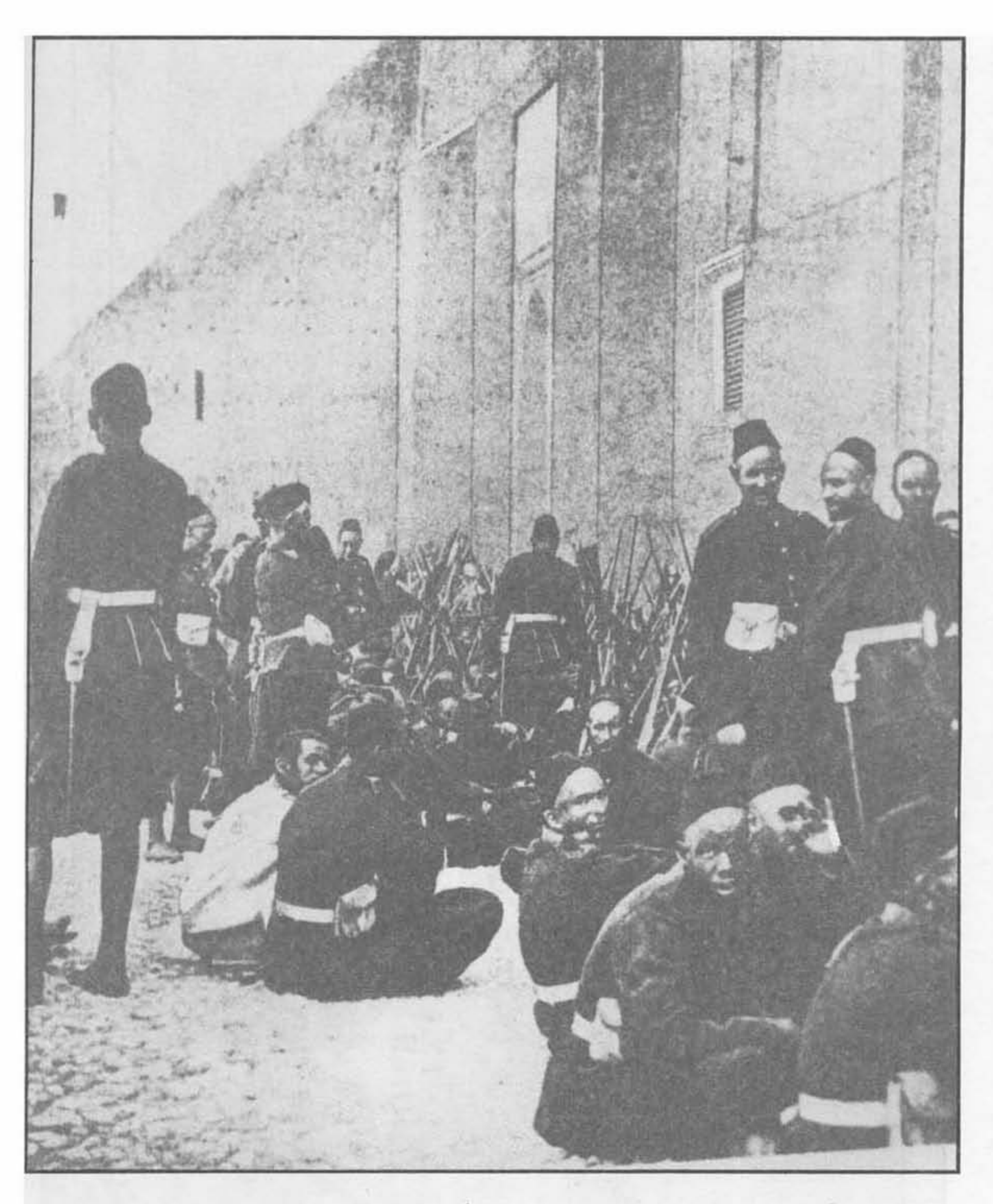
حسب اتفاقيات الحدود المبرمة بين المخزن الحفيظي والحكومة الفرنسية تألف "بوليس" مغربي مشتملا على 1400 جندي يشرف على تدريبهم ضباط فرنسيون وجزائريون. وكانت مهمتهم تنحصر في حراسة منطقة وجدة وبني يزناسن ومراقبة أسواق الشمال والسهر على الأمن الداخلي بصفة عامة، كما كان ضباطهم مكلفين بالإدارة ومراقبة الأداآت والانخراط في الجيش.


FEZ. - Troupes Chérifiennes venant de rendre les honneurs au Sultan


Le Maroc illustré
RABAT. - Boulevard El-Alou un jour de fête







الجيش المغربي بقيادة الكباص بأبواب طنجة سنة 1906
(فترة استراحة)



السلطان مولاي يوسف وحاشيته المخزنية

وفي هذا الصدد ينص عقد الجزيرة على أن تدريب الشرطة المغربية وتكوين إدارتها سينتج عن اتفاق يبرم بين وزير الحرب أو مندوب عنه (وهو مفتش عام للشرطة المغربية لمدة خمس سنوات جنسية سويسرية) وبين مدربين فرنسي وإسباني من أكابر الضباط وذلك لحماية الشواطئ المغربية[68] .

ومهما كان الأمر فقد حاول الجيش المغربي جسب امكانياته وقدراته قبل إعلان الحماية - أن يحمي وحدة التراب المغربي ويدافع عن كيانه ويستعيد الثغور المغتصبة ويحافظ على النظام في مجموعة البلاد .

أما الجيش المخزني في عهد المولى يوسف فقال عند أحد الشعراء :

تألق ما بـين الاسنة والظبــا	*	سناه وبحر البيد بالخيل طافــح
بجيشين جيش النصر يعبق نشره	*	بوارقه للمخلصين لوائــــح
وجيش يرى من كل قوم مدجج	*	يدافع عن سوح العلى ويكافـح
كتائب كالعقد النفيس تناسقا	*	تحلت بها تلك الربى والاباطح
تخالهم مثل الحدائق رونقــا	*	بها من شعاع المرهفات مصالح

وكان قائده المولى يوسف -رحمه الله- فارسا مغوارا صهر على أمن البلاد واستتبابه.

---

(1) . د. عبد الله العمراني : مولاي اسماعيل بن الشريف - (بتصرف)
وانظر كذلك عن هذا القائد : A. Peretie : Le Raïs El khadir Ghaïlane Arch. Vol. XVIII - Paris 1912
«ولمحات من تاريخ زاوية أولاد غيلان "لعبد السلام بن محمد بن أحمد غيلان. فصل : أحمد الخضر غيلان ص 28 ومابعدها.

(2) وكيف لا وهو البطل الشجاع والليث الضرغام الذي من هيبة صولته سجدت الأسود ولدعوته لبت الرايات وأجابته البنود ولسطوة كلمته المطاعة جمعت العساكر والجنود بلغت "حركاته" بين سنتي 1873 و 1894 م تسع عشرة حركة. عن هذا القائد العظيم انظر : د. محمد التهامي الوكيلي : «موجز تراجم ملوك المغرب» - جلالة السلطان مولاي الحسن الاول - ومجلة دار النيابة عدد 22 ربيع 1989م.

(3) لقد أولى السلطان الحسن الأول عناية خاصة بالأسطول المغربي فوجه رسالة الى عامله بسلا لما حاول تجديد الأسطول المغربي يقول فيها : "فنامرك أن تبحث في الثغر السلاوي عمن له خبرة بالرياسة البحرية ويعرف كيف يسافر في البحر ببابور الكوشطة ماهرا بذلك بحيث لا يخفى عليه شيء من او تلك الرياسة. ولابد أن يكون البعض أقوى مهارة من البعض فليبينهم لنا بأسمائهم وأنسابهم ومراتبهم في الرياسة وما يحسنه كل واحد منهم من ذلك على الانفراد . »

(4) لما انتصر المولى الحسن على ثوار تازة التحق بوجدة، فطلب من السلطان السيد Tissot وزير فرنسا بطنجة أن يقدم عند جلالته الجنرال Osmond الحاكم العسكري لوهران ليستعرض امام جلالته بعض فيالق القوات الفرنسية بمحضر بعثة الخبراء الفرنسيين.

(5) عن نشاط هذه البعثة انظر : عبد الحفيظ حمان : "البعثة العسكرية الفرنسية ودورها في تركيز النفوذ الفرنسي"، مجلة دار النيابة عدد : 22 - ربيع 1989 .وقد سبقتها بعثة أخرى بقيادة بيريل.

(انظر : Jacques Caillé : la mission du capitaine Burel au Maroc en 1808 - Paris 1953)

وتعد البحوث التي كتبت عن نشاط هاتين البعثتين الى جانب تقرير الألماني Guedinfeld عن قوات الدفاع في المغرب (l'examen des forces defensives au Maroc) مرجعا لنشاط الضباط الفرنسيين الذين دخلوا الجيش المخزني في إطار

البعثات العسكرية الاوروبية منذ سنة 1876م (ثريا برادة : دراسات حول الجيش المغربي في القرن 19 - البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم (1989).

بالاضافة الى هذه البحوث تجب مراجعة المراجع الآتية عن التنظيم العسكري بالمغرب في القرنين 18 و 19

Le Maroc Moderne de Erchmann - la cavalerie et l'Artillerie au Maroc, Revu Scientifique

Situation Militaire au Maroc, Bulletin, socité géographique d'oran 1885.
Trois mois de compagne au Maroc de Weisguber, 1904.
-l'Oeuvre Militaire (politique de Roformes) Le Maroc et l'Europe de J.L. Miege t : 3 P 224, les Effors Militaires t : IV ch. II p : 95.

(5) لقد أودع فيها المولى الحسن آلافا من المكاحل والمدافع والمهاريس والسيوف. وكان يوجد بها أيضا مدافع دنماركية كان قد استوردها المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله. وقبل بناء هذه "المكينة" كان يوجد بفاس معمل آخر يدعى "مكينة العدة".

(6) " Outre les instruments de travail, Fez fournissait les armes à la Campagne voisinante. Jusqu'au XVI siècle, on y fabriquait des epées des poignards, des fers de lance ou de pique, des boucliers, des hullebandes, des arbulets. L'industrie des armes blanches, subsistait encore au debut du XXe siècle, mais bien reduite. Par contre, malgré la concurence des armes automatiques européennes, Fez produisait encore une quantité respectable de fusils et de pistolets à peine fabriqués par quelques 150 ouvriers, presque tous rifains de la region de Taghzoute". (R. le Tourneau : "la Vie quotidienne à Fez en 1900, P : 98).

وقال أحدهم في وصف آلات هذا المصنع الحربي :

Trois turbines de 75 HP y produisaient la force motrice, et d'immenses ateliers, dont le toit repose sur des piliers massifs, contenaient un outillage fort complet : plusieurs marteaux-pilons, des tours à bois et à métaux, des raboteuses, des perceuses, des scies mécaniques, une fonderie de canons, et une frappe de monnaies. La Makina était, pour l'époque, une usine modèle.

(7) كان هاري ماكلين (Harry Maclean) ملازما بالجيش الانجليزي المرابط بجبل طارق. كان فارق الجندية (وقيل انه فر من جبل طارق). ولما مر السلطان الحسن الاول بطنجة عام 1880م أخذ يبحث عن بعض الضباط الاوروبيين السابقين لاستقدامهم الى المغرب قصد تنظيم مشاة الجيش المغربي، فرشح له ماكلين، فاستقدمه الى المغرب لتدريب الحرابة فأدى مهمته بكل جد وحزم .فرقاه المولى الحسن الى رتبة "كرونيل" اي كولونيل. وهو الذي كان ينظم الجيوش ويستعرضها في الاعياد وحفلات الاستقبال ويتقدمها على جواده ماشقا سيفه. "وكان يشتري للجيش السلاح من مختلف مصانعه بأوروبا ويعلم حاشية السلطان استعمال الاسلحة الجديدة التي كان يهديها اياهم السفراء "الاجانب" (عن ترجمة "لهري ماكلين في كتاب "العز والصولة" كتبها الاستاذ عبد الوهاب بلمنصور). «وكانت سكناه بعرصة الناعورة في حومة المخفيه». وكان ماكلين الحراب وأخوه آلن يهتمان أيضا بجلب الاسلحة الى المغرب وبيبعانها للمخزن سنة 1894 وحتى لبعض القبائل كبني مطير التي كان تملك معامل من نوع :Winchester مما أغاظ السلطان الحسن الاول. وكان أيضا مستشار المولى عبد العزيز. وقد ألقي عليه القبض الريسوني وتوفى سنة 1904. (انظر عبد العزيز التمسماني خلوق : "قضية أسر هاري ماكلين من خلال الوثائق المغربية - (العلم الثقافي 16-6-84).

(8) قام الحسن الاول بعد توليته بحركة عظيمة من مكناس الى مراكش قضى فيها على جميع الثوار والمشاغبين. وقد نظم الشعراء المرافقين للسلطان قصيدة وصف فيها مراحل هذه "الحركة" ووقائعها (انظرها في "الاتحاف" لابن زيدان ج 2 ص 168). وانظر ما كتبه عنه السيد مصطفى العلوي بكتابه : «المناورات الاجنبية ضد السيادة المغربية - الجهاد الاكبر 1900 - ج 2 ص 27 و

"Les expeditions du Moulay Hassan de Nordman Danel - Essai statistique - Tamuda V : XIX

(9) البرج الرباطي هو من بناء مهندس ألماني اسمه W. Rottenbourg بمساعدة المهندس المغربي سكيرج الفاسي، وهو معزز بمدفعين من نوع "كروب" داتي العيار الضخم. (دشنه المولى عبد العزيز) ؛ برج أكادير من بناء المهندس الفرنسي Cornut في أواخر ق 18. والأبراج الاخرى الموجودة في الموانئ المغربية منها ما هو اسباني ومنها ما هو برتغالي. اما قصبة القنيطرة فهي من وضع المهندس المغربي صالح بن محمد التدلاوي الذي الى جانب معرفته بالهندسة كانت له ثقافة تقنية عسكرية حيث تعلم صناعة "المكاحل" ببلجيكا وكانت كل مكحلة صنعها تحمل اسمه منقوشا.

(10) بدليل وجود أحد المدافع بفاس وقد نقشت عليه العبارة الاتية : «هذه صنعت للامام العالي المنصب السلطان المؤيد الهمام بالمغرب المحلى بالعز والتمكين والظفر المبين امير المؤمنين الحسن بن محمد بن امير المومنين.»

(11) محمد اللحية : التدابير العسكرية بمكناس في القرن التاسع عشر - مجلة السفير المكناسي دجنبر 1986.

(12) تدرج محمد الگباص الفاسي في سلم المناصب الحكومية الكبرى : فتولى منصب العلاف الكبير (أو وزير الحرب) في عهد المولى عبد العزيز ثم منصب النائب السلطاني في الشؤون الخارجية وأخيرا منصب "الصدر الاعظم" في عهد

السلطان مولاي يوسف رحمه الله.

(13) انظر : Jacques Caillé :

Les Marocains à l'Ecole du Genie de Montepellier (1885=1888) (Hesperis 1er et 2è trim - 1954)

و"في يونيه 1888. تبوذلت المذاكرة بين البلدين في شأن تعويض المتمرنين المتخرجين بـ 15 من الشباب المغاربة يوجهون الى فرساي حيث ترابط فرقة للمدفعية وأخرى للهندسة ولكن ذلك لم يتم لاسباب مجهولة " (ع. بن عبد الله : تاريخ المغرب ج 2 ص 88 - 89). هذا ومما تجدر الاشارة اليه انه في السنة 1889م قدم سفير فرنسا(Pantenôtre) الى جلالة السلطان هدية وهي عبارة عن قارب بمحرك خلاف ما كان يقدمه السفراء الى جلالته من أسلحة حديثة وثياب وجواهر. كما تلقى من اليزا بيث ملكة انكلترا 3 مدافع كهدية.

(14) من بين أعضاء هذه البعثات كان يوجد أحمد بن منصور بن مولى احمد بن منصور نائب وزير الحرب على عهد الحسن الاول. ولما جرت حوادث الريسوني ذهب الى طنجة مع المحلة المخزنية بصفته ضابط منظم من سنة 1903 الى سنة 1907. وبعد رجوع المحلة عين قائدا لطابور البوليس العسكري المختلط بالعاصمة الرباطية من سنة 1907 الى 1912. ثم عين قائداً للفرقتين 10 و 11 من الجيش المسمى (الجيش المعين) من سنة 1912 الى 1913» (جريدة السعادة - ماي 1912). ومما تجدر إشارته في هذا المضمار أن بعض المصادر التاريخية الانجليزية ذكرت أن اسبانيا سبق لها أن استعانت ببعض جنود المغرب ومليلية لصد احتلال نابليون للبلاد الاسبانية. وهذا من الدوافع التي دفعت بانكلترا للتقرب من المغرب وقبول فيما بعد تدريب ضباطه وجنوده بجبل طارق.

(15) كتب السيد حسين الزعري في مذكراته أن البعثة كانت تتركب من 24 طالبا من الرباط وسلا والعرائش وطنجة وفاس مرتدين كساوي المحصور من ثوب الملف. وانها غادرت ميناء طنجة سنة 1306 هـ (1888)م. وقد انقسم الوفد الى 3 فآت : فئة لدراسة تربية الجنود وفئة لتعلم علوم البحر وفئة لتعلم صناعة السلاح (دعوة الحق - نونبر 1968) "وعندما رجعوا عملوا بالدائرة المخزنية، وألف منهم المخزن لجنة عسكرية توجهت إلى ألمانيا لشراء المدافع الحربية وغيرها : (انظر تفاصيل هذه المذكرات في كتاب "مظاهر يقظة المغرب الحديث لمحمد المنوني ، ج 1).

(16) وعبد الرحمان بن زيدان : "اتحاف اعلام الناس" ج 2 ص 465 وما بعدها (بتصرف)

(17) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث" ص 142، ج 1

وكان محمد بركاش نائبا للسلطان بطنجة، وعين الحسن الاول ابنه محمد بن محمد بركاش وزيرا للحربية بعد حضوره في مؤتمر مدريد سنة 1880م.

(18) المصدر السابق.

(19) توجد بالخزانة الحسنية كناش ووثائق تتعلق بصوائر الجيش ومؤونته وعتاده وكسوته ورواتبه ومراسلات واحصاآته ولوائح ضباطه وجنوده وبتعاقد المخزن مع الدول الاوروبية في شأن تزويده بمختلف الاسلحة وبتقاييد مختلفة في شؤونه وبيانات حول تحركاته وسكناته، وذلك في عهود الحسن الاول ومولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان وسدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي عبد العزيز ومولاي يوسف (انظر فهارس الخزانة الحسنية قسم الوثائق المجلد الاول - فهرس الكناش أعده عمر عمور ص 39-46) .كما يوجد بالخزانة الحسنية مخطوط يحمل عنوان : "عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة "للفقيه علي بن محمد السوسي ألفه بعد الاستشارة التي أجراها المولى الحسن الأول مع العلماء حول فرض معونة مالية لتحديث الجيش قصد مقاومة الزحف الأجنبي على المغرب (انظر الاستشارات السلطانية في مجال الاصلاحات في ق: 16 لعمر أفا - مجلة كلية الآداب بالرباط عدد 16).

ولما كان الرحالة المغاربة يقومون برحلاتهم في أوروبا، كانوا يحرصون على مشاهدة «الفرجة العسكرية». ولانغفل أن كلا من الرحالة محمد الصفار وادريس العمراوي ومحمد الطاهر الفاسي - الذين كانوا شهودا على واقعتي واد إسيلي وحرب تطوان - وادريس الجعايدي - الذي كان على بنية من رغبة الحسن الأول في إحداث إصلاحات عسكرية- لم يغفلوا في كتابة رحلاتهم "السفارية" الإخبار عن هيكلة الجيوش الأوربية الحديثة ومدى تطورها، ونظام استعراضاتها تنبيها للذين يريدون أن يطبقوا نظام تحديث الجيوش المغربية (انظر في هذا العدد : "اوربا في مرآة الرحلة لسعيد بن سعيد العلوي - فصل لحظة الهزيمة والاكتشاف- منشورات كلية الآداب بالرباط 1995).

(20) الشيخ علي المسفيوي : «الدرر السنية في محاسن الدولة الحسنية» (كان علي المسفيوي وزير المظالم في الحكومة الحسنية وأستاذ المولى الحسن في أيام والده رحمه الله الجميع) (عن ملحق جريدة الثقافة المغربية عدد 9 السنة 2 1938م).

(21) قال المرشال ليوطي في خطبة له عند تدشين مسجد باريز (اكتوبر 1922) لقد صدق الحسن الاول حين قال : «ليبلغ بعضكم البعض أن الأيام صعبة وان الحذر والحيطة وحدها تنفعكم الى أن تتمكنوا من أن تردوا للكفار ما عملوه فيكم من شر».

(22) كان الجيش المغربي يدعى فيما بين الفترة التي توفي فيها الحسن الاول الى عهد الحماية - بهذا الاسم او بالگيش وكان على العموم يتألف من العناصر والوحدات.... التي سناتي على ذكرها.

(23) كان رجال الجيش يشغلون المركز الاول في المخزن حيث كانوا يكونون "استقراطية" عسكرية وإدارية».وكان معفيين من أداء الضرائب مقابل الخدمة العسكرية بخلاف القبائل "النائبة" التي كانت تؤدي الضريبة لتمويل خزينة الدولة والتي كانت

معفاة من الانخراط في الجيش. (انظر : "الجيش المغرب قبل الحماية" نقلا عن بحث بالفرنسية لمحمد بلوط : (horizons Marocains)- انوال الثقافي عدد 373 يناير 1988.

(24) ابن خلدون الصغير : "مذكرات ضابط في الجيش المخزني - (جريدة الانباء عدد 1668).

كما تحسن مراجعة كتاب الطبيب Lamartinière (ذكريات عن المغرب) Souvenirs du Maroc

(25) للتعمق في تاريخ البحرية المغربية العسكرية منها والتجارية يجب الرجوع الى كتاب عبد القادر تمول :

"Le Maroc à travers les chroniques maritines" (1988)

ومخطوط جعفر بن احمد الناصرين : "الاسطول المغربي" «والاسطول المغربي عبر التاريخ» لعبد الهادي التازي (مجلة البحث العلمي عدد 33

(26) انظر بحثا عن :«الرماية الشعبية بالجنوب» لمحمد المنوني - مجلة الباحث م : 1 س : 1 هذا وفي عهد المولى يزيد جمع عامله الحطاب ماتين من اولاد الشاوية وأمر محمد بن عسيلة الرباطي بتدريبهم بمدينة الدار البيضاء على رماية "الانفاض" (تاريخ الضعيف ص 213).

(27) كان المجاهدون المدافعون عن الشواطئ المغربية ضد الاحتلال الاجنبي لما لهم من تربية دينية - يتغنون دائما ببردة وهمزية البوصيري تبركا وتيمنا، و"بالناصرية" التي كانت بمثابة نشيد الجهاد لهم.

(28) الناصري : الاستقصا ج 9 ص 103 وما بعدها. وقال أحد الشعراء مخاطبا احد ملوك الدول العلوية :

وفر جنودك بالارزاق توسعهـا	*	فالزرع يزكو اذا وفرت سقيـاه
وافعل بهم وادعا ما أنت فاعلـه	*	فأنت يوم انشعال الحرب نجـداه
آمر على الجيش من ترجو كفايته	*	ودع سواه وان ناجتك قربـاه
فراية النصر مكتوب بطرتهـا	*	بيت على اثر هذا من كتبنـاه
ماللجبان ومالي لست نسبتـه	*	أما الشجاع فيهواني وأهـواه

(29) لما استفتى الحسن الاول العلماء حول موقف الشريعة من تقوية الجيش ومضاعفة عدته وعدده، اعتمد العلماء في فتواهم على المبدأ : «الشيء لا يقابل إلا بمثله أو بأقوى منه».

(30) اكنسوس " الجيش العرموم (فصل آداب الحرب وتدبيرها) ج 2

(31) قد ضمن الظهير المؤرخ بـ 1328 هـ - 1910 م بعض الاصلاحات الجوهرية : فالأوامر العسكرية التي كانت تلقى على القادة والجنود في هذا اليوم أصبحت تمس تتبع الاخبار الخارجية والداخلية وتتبع أخبار الثوار كأبي حمارة وحركات الاجانب المقيمين بالمغرب كما شملت تنظيم مؤونة الجيش. فمؤونة الجيش أصبحت تخضع لنظام قار هو كما يلي :

للعسكر 7 واق في اليوم والكسوة والبلغة . خليفة القائد 30 وقية و «علف العود». وللقائد نفس العدد مع فرق في نوع الكسوة. وتؤدى هذه المؤونة عن طريق العلاف في كل شهر. (القائد محمد زلو الانباء عدد 1668).

(32) ع. بن زيدان : "العز والصولة في معالم نظم الدولة" ج 1 ص 55.

(33) "مجلة المغرب" (بتصرف) - فبراير 1937.

(34) محمد المنوني : "الحصون والقلاع العسكرية كفن أصيل في العمارة الاسلامية» (مجلة الفنون - السنة 4 - العدد 2 دجنبر 1977).

وانظر كذلك l'Architecture Militaire de Abdelaziz Ben Abdallah

La grande Encyclopedie du Maroc - Arts et Traditons v : 1 p : 198

وفصل "العمارة الحربية في عصر الأشراف العلويين" بالجزء 5 من كتاب «العمارة الاسلامية» للدكتور عثمان عثمان اسماعيل ص 187.

(35) كان المخزن يصنع بعض أسلحته بالمغرب ويقتني جلها من الخارج (شركات فيليكس وترومان بلبيج وشركة كروب بالمانيا ونشتر بامريكا) وخصوصا منها الاسلحة النارية. إذ أن الاسلحة للجيش المخزني كانت تنقسم الى اسلحة بيضاء وأسلحة نارية :

Les Armes Blanches jouent au Maroc un rôle important tant au point militaire que du point de vue sociale (emblême de tribu). elles sont :

-Les sabres (mimcha) qui sont souvent d'origine européenne (styriennes, c'est à dire autrichiennes, allermandes, françaises.......);

-Les poiganards (koummya) à lance courbe sont souvent d'origine européenne (marques de Birmingham, Sheffield ou Solingen), les plus rares sont les "Khanjar" à lame courbe également.

-Les poignards droits comprennent trois modèles : les "genouis" (poignard à la genoise), les "sboula"

à lame à un seul tranchent provenant des baïonnettes ou de lames de sabres retaillées et les "mous" qui sont de simples couteaux.

-Les adargues (daraqa) (boucliers) grands boucliers oblongs en cuir, fabriqués à Fes jusqu'au XVIIe siècle selon des procédés traditionnels.

Les sabres marocains Hesperis t : IV 1939 p 117-118

Les poignands et les sabres marocains: Hesperis, t : XXVI 1939 p 1-28

Les Armes blanches Islamiques : a b c Collection : Juillet 1975.

-Les Armes à feu :

-Les longs fusils (moukhla) demeurerent inchangés depuis le XVIe siècle jusqu'au debut du XXe siècle.

[Il est propable que l'influence européenne au Maroc en ce qui concerne ces armes a commencé d'assez bonne heure : Il y avait des arquebuses au Maroc en 1517. Plus tard on releve la présence d'esclaves chretiens travaillant dans les arsenaux et fabriquant des armes de type européen. Mais c'est très probablement les pirates de salé qui étaient les renegats d'origine angloflamande, qui apporterent le type de platine qui allait devenir par excellence le modèle de tous les systèmes de mise à feu des "moukhlas" marocaines, c'est à dire la platine à chenapan du type assez primitif anglo-Hollandais. (les fabriquants de liège avaient même des représentants à Tanger et dans tout le Maroc). Si la Platine hollandaise predomine sur les fusils marocains, il arrive cependant qu'on trouve beaucoup plus rarement d'autres systèmes, comme la platine à silex à la française (apportée propablement au temps de Louis XIV qui avait de bonnes relations avec le Sultan Moulay Smaïl) ou une platine à la miquelet].

Les canons de ces fusils sont toujours d'une longueure extraordinaire rappelant ainsi les anciens fusils de Sardaigne.

-La morphologie des crosses est variable et permet de distinguer les différents types de "moukhlas" marocains correspondant approximativement aux différentes regions du pays (Marrakeche- Fez-Taza).

-Les Pistolets : Soit des armes dites "de traite", fabriqués avec des pièces tout à fait hétérogenes, provenant pour la plupart d'Europe, montés sur place et redécorés. Souvent on trouve des pistolets fabriqués à Liège et importés au Maroc.

-Les Poires à poudre et les Pulverins :

permettent d'amouer les armes en versant de la poudre dans le bassinet de la platine et sont de modeles assez divers : des cornes, des poires (circulaires ou triangulaires), des pulverins cylindriques, des poires en forme de violon inspirées des formes européennes du XVI et du XIXe siècle.

(Pour tous les details voir : Revue A B C (decor) du 15 Mai 1974 et Contrebande d'Armes et anarchies dans le Maroc Precolonial de Mohamed Konbib.

(مجلة دار النيابة (4) 1984)

(36) السيدة نعيمة هراج التوزاني : "الامناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن" (بتصرف) ج 1، ص 98-99 و 107-108.

(37) قسم المؤرخ الناصري في الاستقصا "الجيش السلطاني" الى ثلاثة فرق :

1) الاصحاب : وهي طائفة من الجند تلازم الملك حضرا وسفرا وهم ارباب الوطائف المخزنية وأرباب الفراش وأرباب الوضوء والكتاب. - 2) المسخرون : وهم ملازمون للملك حضرا وسفرا وشأنهم أن يكونوا فرسانا وقد يكون فيهم الرماة وهم الموجهون في المهمات - 3) الجيش : أصل الجميع وهو عسكر السلطان الذي يحويه ديوانه. وكانت القيادة العليا لهذا الجيش تتألف من العلاف وقائد المسخرين وقائد "أفراك".

(38) لاشك أن هذه الكلمة مقتبسة من العبارة القديمة (صاحب العلافة) الذي كان يقوم بمؤونة الجيش ولم يكن العلاف سوى مقتصد عام ثم أطلق عليه اسم «الميلالي» ولم يكن لمنصبه أهمية كبرى الا في زمن الوزير ابا احمد والسلطان عبد العزيز. وقد احدثت وزارة الحرب لاول مرة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان. وأول من تولى هذا المنصب هو عبد الله بن أحمد أخو الحاجب موسى بن أحمد تم تولاها في عهد السلطان مولاي الحسن خال موسى : ابن العربي الجامعي تم تولاها اخوه الصغير الجامعي تم سعيد بن موسى تم المهدي المنبهي.

(39) كان قائد عسكر الرباط وسلا هو القائد بنسعيد السلاوي. وكان مسؤولا عنهما من الناحية الادارية الى جانب القاضي

والمحتسب.

هذا وتوجد في ملكية السيد ج العربي بن سعيد من احفاد القايد بن سعيد عدة وثائق عسكرية مهمة ترجع الى عهد الحسن الاول ومولاي عبد الرحمان بن هشام ومولاي عبد العزيز وتتعلق باصلاح الاسلحة والعتاد وتموين العسكر وإحداث ضوابط لترتيب العسكر وتعويض مانقص منه وإعفاء كبار السن من جنوده، وما يتعلق بمؤونته وكسوته وشؤون ثكناته وتدريب الراغبين في الولوج الى سلكه وتنفيذ الذخيرة للعسكر بقصد الدفاع عن البلاد وبرواتب الضباط والجنود وبوضعية العسكريين الفارين من الجندية، وبحيازة البارود والعتاد والكبريت وبالاهتمام بالثغور وبالطبجية وتنقلاتهم وتدريبهم وتأطيرهم وبفرقه الموسيقية العسكرية واختيار الشبان للتعليم في اطاليا الى غير ذلك مما يهم "العسكر" من قريب أو بعيد.

(40) حسب ظهير 3 أكتوبر 1912 فإن خليفة السلطان هو الذي يعين في منصب القائد العام للجيش.

(41) كان الموحدون ينصبون راية على رأس كل مائة جندي. ويتقدم الكل العلم الابيض المكتوب عليه : "لا إلاه إلا الله محمد رسول الله ولا غالب إلا الله." وكان علمهم أحمر في عهد الناصر الموحدي.

(42) كانت راية ابي سعيد بن عبد الحق المريني من الحرير المنسوج بالذهب. وقد كتبت عليها عدة آيات قرآنية (عبد الله الجراري : "الغاية من رفع الراية") وكان العلم الخاص بالملك يسمى العلم المنصور " أو سعد الدولة" وهو الذي أشار اليه ابن الرندي في مرثية الاندلس : يا أيها الملك البيضاء رايته * أدرك بسيفك أهل الكفرلا كانوا. "وتحتفظ بعظ بعض الكنائس الاسبانية براية يعود تاريخها الى محرم 712 هـ من أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب».

(43) كان علم السعديين يدعى أيضا " باللواء المنصور". عن تاريخ الراية المغربية انظر : "رايات العرش المغربي لمحمد المنوني جريدة : الرأي العام" سنة 1947م.

وإلى هذا العلم أشار عبد العزيز الفشتالي في مطلع قصيدته المرفوعة للمنصور السعدي بعد فتح السودان :

جيش الصبا على الدجى متدفق * فبياض ذا السواد ذلك يمحق

وكأنه رايات عسكرك التي * طلعت على السودان بيض تخفق

وكان من سنن السعديين أن تعقد ألوية الغزوات المهمة في كبريات المساجد، كما فعل المنصور السعدي في غزوة وادي المخازن فقد عقد أوليته المنصورة بجامع المنصور بمراكش.

(44) انشأت الراية المغربية الحديثة بظهير يوسفي المؤرخ بـ 9 م 1334 هـ موافق 17 نونبر 1915م الذي ينص على أن لون العلم المغربي أحمر وفي وسطه نجمة خماسية خضراء. ويشير اللون الأحمر الى الدم المراق في سبيل الله والوطن وتشير النجمة الخماسية بلونها الاخضر الى العزة والمجد والخصبة وبأركانها الخمسة الى مبادئ الاسلام. ونص الظهير اليوسفي هو: "نظرا للتقدم الذي أحرزت عليه دولتنا الشريفة واعتبارا للشهرة اللامعة التي نالتها وبناء على وجود ضرورة إنشاء ميزلها يجعلها تكون مميزة بين الدول الاخري حيث ان اللواء الذي اتخذه اسلافنا يمكن تشبيهه بألوية أخرى بخاصة منها تلك الالوية التي تتخذ كعلامة للبحرية أصدرنا أمرنا الشريف بما يلي : فصل تميز رايتنا بجعل خاتم سليمان المخمس ذي اللون الاخضر في وسطها. والله يقود هذا الرمز الى طريق المجد والازدهار في الحال والاستقبال". (عبد الله الجراري : «شذرات تاريخية» ص 40 و 41). هذا وتدعى النجمة الخماسية كما ورد في الظهير "بالخاتم السليماني" نسبة لمولاي سليمان الذي رسمه في الفلس فحمل اسمه.

(45) كانت راية السلطان العلوي مولاي عبد العزيز تحمل اسماء الرسول والخلفاء وكتب عليها : "باسم الله الرحمان الرحيم " : ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تجم.

(46) "قباب يحيط به سياج تضرب امامه قبتان توأمتان"كما كان الشأن في عهد المنصور السعدي.

(47) عن نظام "الحركة" انظر : عبد الرحمان بن زيدان : العز والصولة، ج 1.

(48) ثريا برادة : الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر ص 73 (نقلا عن مصدر أجنبي) وتتضمن هذه الرسالة الجامعية مراحل تطور الجيش المغربي في هذا القرن ومجالات إصلاحه وتجديده وتدريبه وتسليحه وتجهيزه بتجهيزات عسكرية حديثة.

(49) انظر : مقال : Nicolas Michel مجلة هسبريس تمودا (Vol XXIX, Fas 2-1991) عن :

"L'Approvisionnement de la Mhalla au Maroc au XIX siècle"

(50) انظر في هذا الصدد : G. Ayache : "Etudes d'histoire Marocaine" p : 169

وعمر بوزيان : "جذور اتحاد المغرب والجزائر" ص43 وما بعدها و Nordman Daniel : "حركات مولاي الحسن " (essai statistique) هسبريس 1980 ، ومحمد عفيف : "الحركات الحسنية من خلال كتابات عبد الرحمان بن زيدان " هسبريس 1980-1981.

(51) ثريا برادة : "الجيش المغربي وتطوره في القرن 19" ص 78 . وعن الجيش المغربي من سنة 1658 إلى سنة 1912 أنظر :

A. Agnouche : "Contribution à l'Etude des stratégies" Casablanca 1985

وعن الجيش العلوي من سنة 1912 إلى سنة 1930 انظر :

A. Laroui : "Les origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain 1830-1952" Paris 1977

(52) قبل أن يتبوأ المولى عبد العزيز العرش المغربي تولى أبا حمد - حاجب المولى الحسن - أمور الدولة وعين أخاه ادريس حاجبا للمولى عبد العزيز وأخاه سعيدا "علافا" ليسيطر على الجيش. «ولما تولى المولى عبد العزيز الملك تولى محمد الجباص منصب "العلاف" وفي عهد المولى عبد الحفيظ كان منصب العلاف من نصيب السيد المدني الكلاوي والذي صار فيها بعد صدرا أعظم» سنة 1909م (توفي في 14 غشت 1918).

(53) يظهر أن محاولات تدريب الجيش لم يتوفر لها النجاح التام - حسب المؤرخ الفرنسي طيراس - اذ كان الهروب من الجندية كثيرا خصوصا عند الاعلان عن قيام حملة عسكرية (حركة) وذلك بسبب قلة الاجور وعدم تنظيم توزيعها. وكان الجنود يتغيبون عن التمارين العسكرية لاسباب أخرى.

(54) إلى جانت اهتمام المولى عبد العزيز بالمدفعية كان له اهتمام خاص بالزي العسكري ذلك أنه بعث الى أمناء الصويرة برسالة يقول فيها : "وبعد فنامركم أن تكسوا عسكر طبجية وبحرية ذلك الثغر المحروس بالله النفر بكسوته المعتادة المشتملة على كبوط وبدعية من الملف وغليلة وسروال من الكتان وطربوش وبلغة، "والزياط" بكسوتهم المعتادة المشتملة على كبوط وبدعية وسروال من الملف البندقي وغليلة من الكتان وطربوش على نفقة مراتبهم وأن تكسوا الجيش السعيد بالكسوة المعتادة له حسب قائمة رواتبهم. كما نامركم أن تزيدوا لكل نفر في مؤونته اليومية عشر موزونات بحيث تصير مؤونة النفر أربع أواقي» (محمد المنوني : "مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 1 ص 62).

(55) المرحوم علال الفاسي : "حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية" (سلسلة الجهاد الاكبر) رقم 6 ص 16. ذكر محمد المنوني في الجزء الثاني من كتابه المظاهر ص 406 أن هذه الاصلاحات وردت ضمن مشروع دستور قدمه عالم سوري مكث بفاس من سنة 1906 إلى سنة 1907م اسمه عبد الكريم الطرابلسي المدني استنادا على نسخة مخطوطة من المشروع اكتشفها عند أحد الكتبيين. هذا وذكر محمد الباقي الكتاني في مؤلفه عن والده : «الشيخ محمد الكتاني الشهيد" 1920 - أنه أشار على المولى عبد العزيز «بإنشاء جيش مغربي عتيد على الشكل الموجود بدول أوربا إذ ذاك، وجلب خبراء عسكريين من البلاد الإسلامية المستقلة كآل عثمان لتدريسه وتنظيمه وتزويده بأجود الآلات الحديثة، وفرض التجنيد الاجباري على كل مسلم بالمغرب...» وللمزيد من التفاصيل تجب مراجعة ماكتبه محمد بن الحسن الحجوي في مذكراته عن "المؤسسة العسكرية" بعنوان : "انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره" - تقديم وتعليق محمد الصغير الخلوفي (ص 36 ومابعدها) - مطبعة المعارف الجديدة 1994.

(56) المنوني : المظاهر ج 2 ص 134.

(57) كان احتلال هذين الاقليمين من جانب فرنسا بعد مقتل الطبيب "مرشان" بالدارالبيضاء (1907) وبعد اشتباك دامي قام بين العمال المغاربة والأجانب بالميناء الذي على إثره نزلت فرقة عسكرية من دراعة فرنسية بالميناء لأجل حماية القنصلية الفرنسية بالمدينة سنة 1908م.

هذا وقد كانت قبائل الشاوية قد قاومت القوات الفرنسية امام احتلالها لمدينة الدارالبيضاء. في شهري يوليوز وغشت من سنة 1907م. فسارعت فرنسا الى شحن من وهران كتيبتين من الرماة الجزائريين والبليدة ومستغانم وفرقة أجنبية من المشاة (2400 رجل)، ومن رماة المدافع ومن الفرسان (بقيادة ج. Drude) كما بعثت اسبانيا 500 جندي وأرسلت دارعة حربية اسبانية التي أنزلت 20 من الجنود في الدارالبيضاء. كما أنزلت بارجة فرنسية (galilé) 75 من الجنود، ووصل الاسطول الفرنسي الى الميناء يوم 7 غشت 1907م. وعن معركة وقعت يوم 18 غشت 1907 فقد حمل المغاربة على المراكز الفرنسوية وأحاطوا بها على شكل نصف دائرة وأخذوا يطلقون الرصاص في الصباح الباكر وحينئذ دوت أصوات المدافع من الطراد "جلوار" وبدأ المغاربة يتقدمون فلم يبق بينهم وبين الفرنسيين غير مسافة قصيرة وهم لا يبالون بما كانت تقذف المدافع من أفواهها وقد استغرب الضباط الفرنسيون لمهارة المغاربة في اطلاق الرصاص وعلى رأسهم الجنرال درود (Drude) وكان يتولى قيادة المغاربة رجل أظهر دراية فائقة في قيادته للجنود ومهارة في التدبير. ولولا البوارج الحربية الفرنسية والجنود الجزائريون والجنود الفرنسيون (3000 جندي بمعداتهم) لا نتصر المغاربة في هذه المعركة بخفة حركتهم وإتقانهم لفنون الرمي. وكان من اشهر المقاومين للاحتلال الفرنسي للشاوية «المصوير الزمرني» الذي كان يحرض الناس على الجهاد ويخوض المعارك المفتوحة والطاحنة مستبسلا مقاتلا غير عابئ بالقنابل التي تتساقط حوله حتى اشتشهد. ومن هذه المعارك التي افشلت اهداف قوات الاحتلال معركة دار بوعزة بن مسيك (28-8-1907) ومعركة سيدي مومن (3-9-1907) ولكن لما تقوى الجيش الفرنسي من جديد شن عدة معارك ضارية على القبائل في عقر دارها بقيادة الجنرال داماد(Damade) تدعى معارك الشاوية (يناير ماي 1908 (انظر تفاصيل هذه المعارك كمعركة فخفاخة في فصل 14 من كتاب «التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب» لعلال الخديمي). ومن احتلال الشاوية كان التأهب لاحتلال زعير سنة 1910 والشروع في الزحف نحو فاس سنة 1911 بقيادة الجنيرالMoinier ومن تم خطط لاحتلال باقي المناطق المغربية. (عن مقاومة الشاوية للاحتلال الفرنسية انظر : انتفاضة الشاوية سنة 1907 لأحمد الزيادي، وكتاب علال الخديمي "التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب" (حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية 1894-1910) وكتاب :

Histoire Militaire de la Chaouia depuis 1894 (Casablanca) : Conjeaud

André Adam : Histoire de Casablanca des Origines à 1914 (Pairs 1969)

– " Les debuts de l'intervention de la Marine Française au Maroc par Sylvain (operations de la La Marine française au Maroc 1913 - Ministère de la Marine Etat Major Général - 1er section - Paris 1913).

و "مقاومة الدارالبيضاء والشاوية ضد التدخل الفرنسي في مطلع ق 19 " لمحمد المنوني (اعمال ندوة الدارالبيضاء

.(1982)

(58) عند وصول عبد الحفيظ الى فاس "تكونت لجنة ثورية برئاسة محمد الكتاني وفرضت على أسر "المخزن العزيزي" مبالغ كبيرة شكلت بفضلها قوة ارسلتها الى طريق تازة لمنع الفرنسيين من التقدم عن طريق وجدة. كما أشرفت هذه اللجنة على صنع الذخيرة والسلاح.

(59) في 25 غشت من سنة 1907 وجه المولى عبد الحفيظ رسالة الى عامله بتافلالت مولاي رشيد يقول فيها : " لقد استجبنا لدعاء المغرب في سبيل التحرير بتافلالت ليبقى المغاربة في وطنهم أحرار وأسيادا، وأن يبقى كل واحد في حدوده والله ينصر من يشاء، وسيكلل عباده الصالحين بالنصر من عنده ذلك النصر الموعود. وقد أسسنا جيشا من الجنود ورجال القبائل سيكون على رأسه أحد المقربين الى عائلتنا، وسيصل هذا الجيش عندكم كما سيصلنا دعم مادي وعسكري قريبا لنطرد الفرنسيين من الدارالبيضاء ، (مصطفى العلوي : المناورات الاجنبية ج 2 ص 188).

وقامت المعارك بين المقاومين المغاربة والجيش الفرنسي واحتلوا الموقع الفرنسي في "تادرت". ووصلت جيوش المولى عبد الحفيظ من مراكش بقيادة محمد ولد مولاي رشيد. وجرت معركة صاخبة في قلعة مديونة سنة 1908 وانهزم الجيش الفرنسي فجاء الجنرال "داماد" من الجزائر على رأس جيوش فرنسية واعترضت طريق جيوش المولى عبد الحفيظ بسطات المدعمة بفيالق من جيوش ماء العينين. ولما وصلت نجدات أخرى بقيادة القائد السكتاني هاجمت جيوش المقاومة الجيش الفرنسي ببرشيد وجرت بينها وبين الجيش الفرنسي معركة بابن احمد بقيادة الكولونيل طوبان الذي انهزم ولم يتمكن من الوصول إلى الرباط (انظر : مصطفى العلوي : مولاي حفيظ سلطان الجهاد ص : 125-130).

(60) لما صار الضباط الأجانب على رأس القوات المغربية" كانت القبائل الثائرة ترى في هؤلاء الضباط نواة الاحتلال الاجنبي"، مما كان يثير ضراوتها في القتال ويتسبب أحيانا في خسران القوات النظامية وهذا ما وقع مثلا في حصار مكناس من لدن القوة الثائرة حيث استطاعت أن تدخل هذه المدينة وتنادي بمولاي الزين سلطاناً على المغرب مع وجود مولاي عبد الحفيظ شقيقه بفاس (كما أعلن مولاي عبد الكبير شقيق آخر لمولاي حفيظ نفسه سلطانا بالاطلس). وأعلن بنومطير ثورتهم على فاس سنة 1911م. فقامت حرب مفتوحة بين جيوش بني مطير والجيش الفرنسي وعرفت في هذه الحرب بطاح سايس ومرتفعات زالاغ مآت القتلى والجرحى من الجانبين. وشارك فيها جل ضباط الاحتلال الفرنسية للمغرب مثل: مواني وكورو ومانجان... وآلاف من الجنوب الفرنسيين والجزائريين، واتسعت رقعتها الى ضفاف نهر سبو. أما مدينة مكناس فكانت تحارب بالسلاح الابيض في معركتها الصاخبة مع الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال مواني الى ان استسلمت للقضاء.

(61) انظر علال الخديمي : المغرب والدولة العثمانية بداية القرن العشرين" - المغارب في العهد العثماني- منشورات كلية الآداب بالرباط - ومما تجدر الإشارة إليه أن المختار السوسي ذكر رواية عن الباشا ادريس منو الذي عزله الفرنسيون عن باشوية مراكش على إثر فرض الحماية سنة 1912، «ذكر ادريس منو أن أباه الحاج منو كان قد انخرط في الجيش العثماني على إثر سفره للحج. ولما أنهى مهمته الجهادية (هكذا) رجع للمغرب ودخل الجيش فسُهل عليه أن يترقى بسرعة حتى أصبح هو الخليفة الأول للخواجة التركي القائد العام للجند المغربي" معنى هذا أن حركة تجديد الجيش المغربي بعد معركة وادي إيسلي قد تمت أولا بمساعدة تركية (المرجع السابق). وكتب Jean Deny بحثا في موضوع مهمة هذه البعثة عنوانه :

"Instructeurs Militaires Turcs au Maroc Sous My Hafid"

نشره بـ "Memorial Henri Basset"(I. - 1928)(مطبوعات معهد الدراسات العليا رقم 17) 1928 . ومما ورد فيها عن وضعية الجيش المغربي في العهد الحفيظي قوله :

"L'armée (sous le regne de My Hafid) était composé de 2 armées. Il y avait une grande difference entre les effectifs réels et ceux qui étaient inscrits sur les états. La mission de ces troupes consistait à percevoir par la force des impôts dont on avait frappé des différents tribus. L'ordre et la discipline étaient des choses inconnues parmi les troupes. Il y avait 2 sous officiers français et 2 anglais qui etaient des instructeurs et des observateurs. Après avoir pris en main l'armée, nous fixames tout d'abord l'effictif réel et distribuâmes en consequence les allocations. Les commandements comme "haras dour" (garde à vous) et "salams dour" (presentez armes) employés à l'excercice ont été emprintés aux Turcs et nous les avons conservés tels quels. nous introduisimes de l'ordre et de la discipline de l'armé. Nous apportames le plus grand soin à l'instruction et à l'éducation des soldats, tachant de leur mettre entre les mains des armes d'un modèle moderne et nous leur apprimes à s'en servir. Ainsi furent jetées les basés d'une formation militaire regulière au Maroc":

(62) انظر : Dr F. Weisgerber : Au Seuil du Maroc Moderne

وتحدث كذلك Gustave Babin في كتابه :"Au Maroc par les camps et par les villes. (Paris 1912)"عن هذه البعثة الفرنسية التي توجهت الى المغرب في اوائل القرن العشرين لتدريب الجيش المغربي الذي كان مكونا على الخصوص من "الحرابة""Fantassins" "والخيالة" وقد عملت البعثة الفرنسية بقيادة الكولونيل Mangin والكمندار Bremond على تنظيم فيالق الجيش المغربي من جديد كما جاء في الكتاب :

" Quand à l'armée elle même, elle va comprendre : neuf Bataillons d'infanterie, cinq de cavalerie, quatre batterie d'artillerie, un bataillon du génie à deux compagnies, une compagnie du train des equipages, des troupes d'administration et un service de santé"..........

"La garde du sultan se composera (sous le commandement d'un chef d'escadron français assisté d'un caïd), comme infenterie d'un bataillon negre à 2 compagnies et 2 bataillons à 4 comme cavalerie, d'un escadron à 2 pelotons et d'un escadron à 4, comme artillerie d'une batterie de 80 de montagne de 4 pièces ; de soldats d'administration et d'infermiers ; enfin de la fameuse musique du palais aux caftans versicolores.........."

وقد أتى المؤلف بشهادة مدربي الجيش المغربي الذين اندهشوا لحماس الجنود المغاربة وشجاعتهم المنفردة ومهارتهم في جميع الفنون الحربية التي دربوا عليها .الا أن المورخ الحجوي أثبت في مذكراته أن "الحرابة" (أي المدربين العسكريين الفرنسيين) كانوا يهينون الجنود المغاربة بالضرب واللطم والرمس - عند قيامهم بمهمتهم العسكرية - وبالتنقيص من راتبهم الشهري

(63) يقول الدكتور محمد الحبابي في كتابه "le gouvernement marocaine à l'Aube de XX siècle" لما كان يتحدث عن وزارة الحرب : ان غاية البعثة العسكرية الفرنسية كانت هي تهييء غزو حربي للمغرب بدليل ما جاء في المجلة الفرنسية la nouvelle revue (1905) «كيف يمكننا ان نصل الى تكوين وتدريب جيش مغربي يؤيدنا في أهدافنا وأفكارنا ؟ فيجب أن نستعمل إذن مع الجيش المغربي السياسة وكذلك الحزم حتى لا ينقلب ضدنا !».

(64) عن هذه البعثة الفرنسية انظر :

"Histoire de la mission militaire" (Archivre de la guerre -Paris -Notice sur la mission militaire Mangin.

(65) ردا على هذا التدخل الفرنسي أرسلت ألمانيا الطرادة "بانتر"Panther (في يوليوز 1911) الى أكادير فتنازلت فرنسا لالمانيا على أراضي بالكونكو الفرنسي وتقاسمت مع اسبانيا المغرب (30 مارس 1912) واتفقت الدولتان على جعل طنجة منطقة دولية.

كما اتفقت الدولتان سنة 1900 بمقتضى اتفاقية "موني" على تحديد ممتلكاتهما بالصحراء كما اتفقتا فيما بعد في يونيه 1934على تجزيئ ما بقي من المغربي الى : سبتة ومليلية والجزر الجعفرية وحجرة نكور من جهة والى منطقة سيدي ايفني وطرفاية والعيون ووادي الذهب من جهة أخرى. وأصل بدء هذه الاتفاقيات هو البروتوكول المفروض على المغرب من طرف فرنسا في 20 أبريل 1902 بعد احتلالها للساورة والواحات وبلاد التوارق. وبعد احتلالها للمغرب قامت لجنة مختلطة برئاسة محمد الكباص وزير الحربية والجنرال الفرنسيGauchemez بزيارة هذه المناطق المحتلة.

(66) عن المولى عبد الحفيظ والحماية الفرنسية انظر الجزء الخامس من مذكرات محمد حسن الوزاني. ص 84.

(67) للاطلاع على اخبار هذه الأيام الدامية "لمدينة فاس وعلى الاشتباكات التي خاضها الفاسيون ضد الاحتلال الأجنبي يجب مراجعة الفصل الأول من كتاب " الحماية الفرنسية بدءها وتمامها" تعريب عبد الهادي التازي وكتاب أيام فاس الدامية للكاتب الفرنسي "هوبير جاك" وكتاب الضابط الالمانيAlexandre Kreuter عن المغرب (الذي صدر 1911) والذي وصف فيه الهجوم الفرنسي على فاس وتنبأ بالغزو الفرنسي لمجموع البلاد.

(68) قد فرضت معاهدة الجزيرة الخضراء (7 أبريل 1907) الاعتماد على الضباط الفرنسين والاسبانيين لتدريب الفرق الجيش المغربي في كل من صويرة وآسفي والشاوية وفاس والرباط والجديدة والدارالبيضاء وطنجة والعرائش وتطوان وكان يشرف على هذه التداريب "ماسوتيي" بالصويرة و"مانجان" بفاس و"دماد" بالشاوية حيث تولى تنظيم الكوم.

كما كان ينص عقد الجزيرة على مراقبة استيراد الأسلحة ومنع بيعها في الأسواق وينظم قوة البوليس في المغرب حيث لا يزد عددهم على 2500 في الموانيء المفتوحة للتجارة ويكون تحت سلطة السلطان يساعده عدد من الضباط الفرنسيين والاسبان (20). وهذا يدل على ان الجيش المغربي أصبح تحت المراقبة الفعلية للضباط الأجانب ومندمجا في القوات المحتلة لاحول له ولا قوة وصار وزير الحرب 1912 قائدا صوريا لجميع القوات الموجودة في البلاد. وللمزيد من المعلومات عن هذه الاصلاحات انظر :

Bahija Simou «l'islah au maroc, les reformes militaires de 1844 à 1912» (Paris 5)



دخول الفيلق المغربي إلى الرباط خلال الاحتلال الفرنسي (1907-1914)

دخول الكولونيل ماجان إلى مراكش يوم 7 شتنبر 1912

جيوش التحرير تقاوم الاحتلال الفرنسي للبلاد المغربية

بعد التنافس الذي جرى بين بعض الدول الأوروبية كاسبانيا وانجلترا أو ألمانيا للاستيلاء على اقتصاديات البلاد المغربية اتفقت في آخر الأمر على إفراغ الميدان لفرنسا في المغرب. فخلا الجو لهذه الأخيرة وشرعت في احتلال القطر المغربي بقوة الحديد والنار[1]. فكان من حق فرنسا أن تجد في المغرب يومئذ جيشا جرارا كفيلا بماضيه المجيد، لكن النزعات الداخلية بين المخزن والقبائل - التي أشعل نارها بعض المتمردين - زعزعت أركان الجيش المغربي وفرقت صفوفه بعدما كانت متراصة كصفوف الصلاة وقوية كالقصر المشيد والحائط الممتد.

فصارت كل ناحية من نواحي المغرب أو قبيلة من القبائل أو مجموعة قبائل تقاوم على حدتها الاحتلال الزاحف بكل ما لديها من قوة وتتفنن في الدفاع عن حوضها بكل أنواع التضحية والبسالة. ورغم أن فيالق الجيش المغربي المبعثرة هنا وهناك بين صفوف القبائل لم تتوفر لها حينئذ ولو نصف ما لقوة الجيش الفرنسي من عتاد حربي فإن الاشتباكات بين الطرفين كانت دامية وصاخبة. وكم من مرة فرت القوات الفرنسية أمام قوة إيمان الجنود المغاربة ورجال القبائل والمجاهدين وتفانيهم في حب استقلال وطنهم، رغم مدافعها ورشاشاتها، واذا ما رجحت كفة الجيش الفرنسي في واقعة ما فإن المجاهدين المغاربة كانوا لم يعرفوا طريقا للاستسلام بل يقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم[2].

ولكن المقاومة المغربية كانت رغم ما حققته من انتصارات مشتتة وينقصها التوحيد في التخطيط والتنسيق في المسار.

ورغم هذا وذاك فقد امتاز المقاومون المغاربة في عراكهم المرير مع الجيش الفرنسي - كما سيأتي بسطه - بهجوماتهم الليلية على المراكز العسكرية الفرنسية - جماعات وفرادى - حيث ينقضون على أعدائهم وهم نائمون ويشبعونهم طعنا بخناجرهم ورماحهم. وكم لاقى ضباط سامون حتفهم في هذه الهجومات. وعندما يشتبك الطرفان في هجوم مفاجىء بسلاحهم الأبيض فإن الغلبة تكون في الغالب للجنود المغاربة لمهارتهم في هذا النوع من الصراع ولما يحسنونه من أنواع التكتيك في هذا الميدان. وفي النهار كانت الفيالق المغربية تستعمل في معاركها "حرب العصابات"، حيث «كانت تقض على مضجع العدو وتوجه له ضربات مباغتة وهجومات سريعة، وتترصد له بنصب الكمائن والفخاخ في كل مكان للايقاع بجنوده والاستيلاء على ما عندهم من أسلحة ومؤن حتى أن قيادات الجيوش الفرنسية كانت تأخذ الحيطة وتمتنع أحيانا عن الرد وتلافي الانزلاق الى المغامرة.»

- هكذا قاوم أهل الشاوية[3] وزمور ووجدة[4]، وكذلك أهل تازة الذين نصبوا الكمائن لاعدائهم، ولما وقعوا فيها صبوا عليهم وابلا من النيران «مما أدي بالجنرال ليوطي نفسه أن يقول في ذلك الوقت : إن معركة تازة هي أخطر معركة خاضتها فرنسا في المغرب!». وبعد أن تجاوزت القوات الفرنسية بقيادة "مرشان" حدود الشاوية اصطدمت بمحاربين من قبيلة زعير، فقتل مارشان وعدد من جنوده.

وكانت لمقاومة آيت شخمان وللغزو الفرنسي بجنوب الأطلس المتوسط (غشت 1934) ذكر وأي ذكر .

وقامت قبائل ورديغة وبني خيران واسماعلة بدور كبير في مقاومة احتلال البيضاء والشاوية. وفي سنة 1908 شارك بنو خيران في معركة الغابة بأرض الشاوية. وبعد مناوشات عديدة انتقلت المواجهة من الشاوية الى وادي زم.

ففي شهر دجنبر 1912 نزلت القوات الفرنسية بمدافعها بوادي زم من أجل مركز عسكري لمراقبة تحركات القبائل ومن أجل الاحتلال النهائي لتادلة. ولما علم موحا وحمو الزياني بهذا الزحف الفرنسي عبر وادي كرو وعسكر بمكان يدعى وارغوس وشنت المقاومة المغربية معركة عنيفة ضد الغزاة. (25 مارس 1913). فقد هاجمت القبائل القوات الفرنسية في دار القاضي مما اضطر بالجنرال الفرنسي Gueydon Dives لدفع كل قواته للميدان لانقاد المركز العسكري. وشنت آيت الربع وأمازيغو تحت قيادة موحا سعيد الوراوي هجوما موفقا. تم استمرت الاشتباكات بين قبائل اسماعلة وبنوخيران وورديغة والجيش الفرنسي قرب وادي زم، ودارت بينهم معركة بني اسمير. فجعل ليوطي الكولونيل مانجان على رأس قوات، قوامها 8000 جندي و3 فرق من المدفعية فاندلعت المعارك الصاخبة وتعرض معسكر موحا وحمو لهجوم عنيف وتمكن المجاهدون من رد العدو على أعقابه، ولكن الدائرة دارت مرة أخرى على رجال القبائل لكثافة القصف المدفعي الفرنسي. وما هي إلا بضعة أشهر حتى انتقموا من الجيش الفرنسي في **موقعة القصيبة** التي تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة مما أدى بليوطي الى عزل مانجان[5].

- وفي أقصى الجنوب المغربي كان يقود المعركة ضد الجيش الفرنسي الحاج الحسين الافراني. كما أن الشيخ ماء العينين هو الذي أوقف سنة 1906 دبيب الاحتلال الفرنسي في أقصى الجنوب المغربي بعسكر صحراوي لجب. وعندما اكتسح الكولونيل Gouraud بجيوشه سنة 1909 موريطانيا الشمالية ووصل الى حدود الساقية الحمراء، كانت لماء العينين مع المحتل معارك ضارية كثيرة. تم قدم الى "الداخل" مارا من مراكش ليطلب مساعدة عسكرية من المولى عبد العزيز، وكان متجها نحو مدينة فاس على رأس قبائل صحراوية كالتكنة وأولاد دليم والرقيبات. ولكنه هزم في تادلة امام قوة فرنسية يقودها :Gl Moinier سنة 1910 م. فرجع الى تيزنيت حيت توفي في نفس السنة.

وقد نظم شاعر سوس الطاهر بن محمد الايفراني قصيدة يناشد فيها أستاذه أحمد بن عبد الرحمان الجيشتيمي سنة 1909م لتحريض الناس على الجهاد ضد المعتدين على الصحراء والشاوية وجهات أخرى منها :

تدارك ذماء الدين واسمع صريخه	وشمر الى نصر الهدى وتجلد
فقد أنشب الكفر المداهن نابه	ومد الى سرح الهدى كف مفسد
فقد طبق الصحراء بالنحس شؤمه	وأعدى نواحي التل بالخبث الردي

الى أن يقول : بعد أن أشاد بالمجاهدين الأولين :

وناد عباد الله مستصرخا وسر بسيرتك المثلى تعن وتسدد
وقص لهم ما في الجهاد وما روى رواة الحديث الغض من كل مسند[6]

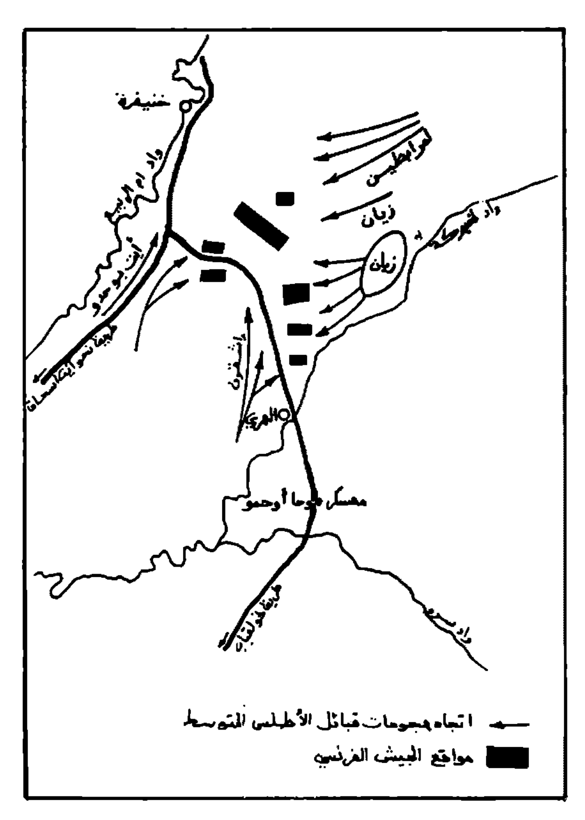
- وتابع حركة الجهاد بالجنوب القائد مولاي أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين على رأس جيوش من الساقية الحمراء ووادي الذهب ووادي درعة وسوس ودادس وأكادير وتارودانت.... وكان قاب قوسين أوأدنى من مراكش سنة 1913م ولكن حاصره أمراء الأطلس : "الكلاوي" و"المثوكي" و"الكندافي" [7]، والانفلوسي في الصويرة وعيسى بن عمر في آسفي. ففر الى سوس واستقر بتارودانت وأوقد نار المقاومة هناك، حتى أن الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال "دولاموصا" حاكم مراكش لم يستطع احتلال جبال "ولتيتة" الا بعد عشرين عاما من احتلال تيزنيت (أي بعد وفاة القائد الهيبة سنة 1337 هـ).

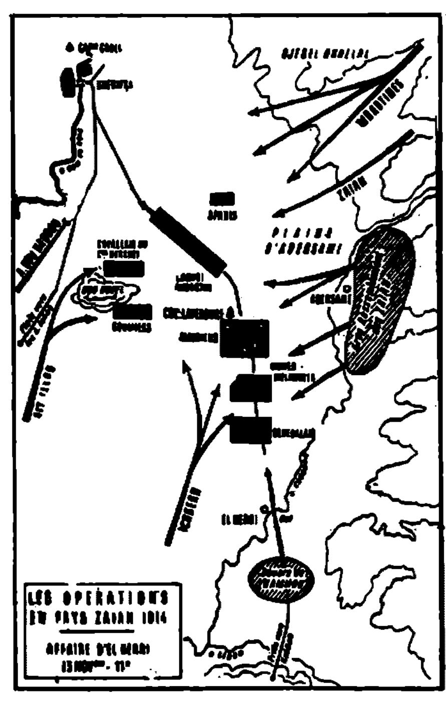
وحاول القائد الهيبة إخراج الجيش الفرنسي من الشاوية وكانت المعركة المشهورة بسيدي بوعثمان في 6 شتنبر 1912. ولكنه انهزم ورجع الى الجنوب وذلك من أجل التفاوت الحاصل بين الجيشين، حيث كانت الجيوش الفرنسية مكونة من السنغاليين والسبايس ومن الزواف (Zouaves)، ورجال المدفعية, ومن الخيل والبغال، وتحت قيادة مانجان Mangin. أما الجيش المغربي فقد كان معززا فقط بأربعة مدافع برتغالية قديمة. ورغم ذلك فقد تكبدت الفيالق الفرنسية التسعة خسائر فادحة واستشهد مآت من المجاهدين المغاربة. ورغم أن الفرنسين وعدوه بأن يصبح خليفة لمولاي يوسف اذا ما استسلم اليهم أبى الا أن يتقدم مرة أخرى نحو مدينة مراكش لتحريرها، فانضم اليه القائد عيسى بن عمر العبدي قائد سوس وطابور الشرطة الحارس لبعض الموانئ المغربية. وبما أن هجومه على مراكش لم يكن محكما فقد انهزم وولى الى قلب سوس حيث تابع جهاده وكفاحه الى أن انهزم أمام الجنرال "لاموط". وتوفي سنة 1919م.

وقد استلم أخوه مربيه ربه مقاليد قيادة الجيش من هذه السنة الى سنة 1934م. وكان دعامة قوية للوحدة الترابية المغربية رغم المكائد الاستعمارية. وتوفي مسموما في ماي من سنة 1942م. بالساقية الحمراء [8].

- وكان من بين ضباط قائد الهيبة الذين واصلوا مسيرة الجهاد : الأغضف مصباح، والقائد ابن عمر "الناجم" الذي كان من أبرز قادة الجيش المغربي في عهد السلطانين : المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ. فقد امتاز بدفاعه عن العرش المغربي ضد الثوار : كأبي حمارة الذي هزمه وسلمه بيده للمولى عبد الحفيظ سنة 1327 هـ[9].

- ولما احتلت فرنسا مدينة مراكش سنة 1330 هـ فر منها الناجم مع جماعة من السوسيين الى قلب سوس وشارك في المعارك التي خاضتها سوس ضد الاحتلال الفرنسي. ولما تم احتلال الجنوب المغربي سنة 1352 هـ استقر بآيت باعمران. «وعندما خلف مولاي عبد حفيظ مولاي عبد العزيز جاء إلى مراكش وفد برئاسة أمير الترارزة سيدي محمد ولد فال ومعه أخوه ابن عمير طالبا النجدة. فأرسل مولاي حفيظ الى موريطانيا جيشا مغربيا برئاسة مولاي ادريس





La retraite française d'El Herri vers Khénifra.

معركة لهري 13 نونبر 1914



حسن بن موحا في مفاوضات مع ضباط الجيش الفرنسي



بطل معركة لهري موحى أوحمو الزياني

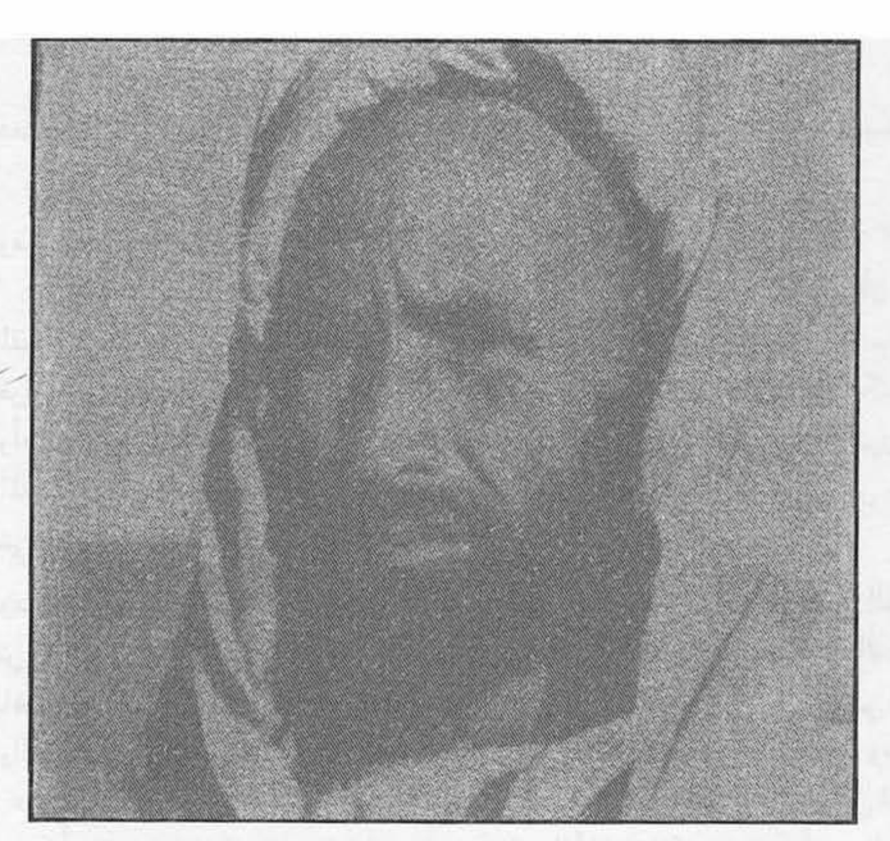
وبمعونة ماء العينين وأمير الترارزة واستمر القتال في موريطانيا الى سنة 1924" [10]. وقد وصلت حملة مولاي ادريس الى حدود جبال "طاكنت".

وكانت آخر معركة في موريطانيا هي معركة "أم التونسي" قرب نواكشط التي قتل فيها الجنرال "ماك ماكون" سنة 1934م. وعندما هاجم المجاهدون الصحراويون على تمز يست وأسروا الاب "فوكو" لم يحاسبوه على عمله التبشري وانما استخبروه عن مخازن السلاح وتحركات الجيش الفرنسي.

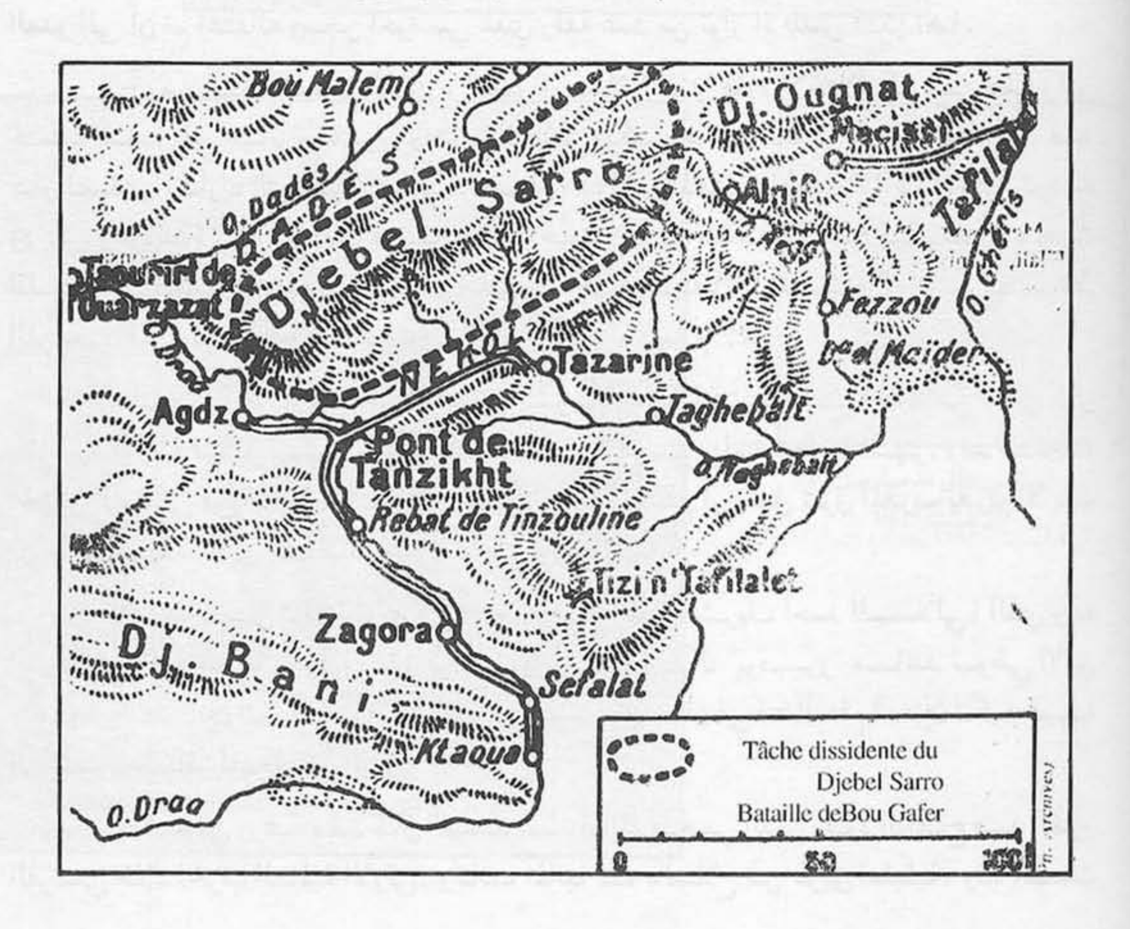
– ومن أبطال التحرير في الجنوب المغربي كذلك : "عداً أو تناس" الذي قاد معركة في ناحية حديدو، ومبارك بن الحسين التوزنتي (بطل معركة تيغرمت) الذي ثار ضد الجيش الفرنسي وأخرجه من تافلالت بعد احتلال لها أكثر من سنة – على رأس جيش صحراوي جعل له كقائد لوحداته بطل أرفود محمد بلقاسم النكادي (بطل قبائل أيت عطا وبوبلمان وأيت حمو). وقد خلف بلقاسم النكادي التوزنيني في الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي للصحراء المغربية. ولما احتل الجيش الفرنسي تافلالت للمرة الثانية فر النكادي الى سوس وضم فرقه الى فرق الشيخ ماء العينين لصد العدوان الأجنبي. ولكن لحقت هذه الفرق طيارات العدو وألزمتها على الاستسلام ففر النكادي الى قبيلة أنكاد وبقي بها حتى توفي سنة 1908م.[11] .

ومن المجاهدين أيضا موحى وسعيد (من القبائل المجاورة للقصيبة) بطل تادلة وموحى وحمد أوعقا بطل زيان الذي عينه الحسن الأول قائداً لزيان سنة 1877م فقد ذكر أحمد بن قاسم المنصوري[12] عن مقاومة موحي وحمو للاحتلال الأجنبي ما نصه : «ان موحى وحمو قاوم جيش الاحتلال هو وقبيلته زهاء 26 سنة (من احتلال الدارالبيضاء عام 1908 الى عام 1933م) حيث استسلم أخر بطل من البرابرة الأطلسيين، ذلك أنه لم يكد يصل اليه نبأ الاحتلال حتى أخذته حمية بربرية فطار على فرسه وراء جيشه الباسل حتى وقف على أبواب الدارالبيضاء وسط قبائل الشاوية. وهناك وجد بربريا من المحاربين الأطلسيين قد سبقه الى ساحة الوغى وهو القائد موحى وسعيد الويراوي من قصبة موحى وسعيد. كان الفارس المغوار قد خاض معارك مع الجيش الفرنسي في بعض من خاضها من قبائل الشاوية كالمذاكرة. تم لما عقدت الحماية أخذت فرسان زيان برئاسة قائدهم موحى وحمو الزياني تغزو الجيوش الفرنسية كلما سنحت لهم فرصة بذلك فهاجموها على أبواب مكناس تم بوادي بهت تم بقبيلة زعير تم على أبواب مدينة خنيفرة نفسها وفي هذه المعركة الاخيرة – وهي معركة الهري[13] هاجمت فرسان زيان (وعددهم 2500 بمساعدة 2000 من رجال القبائل) الجيش الفرنسي هجوم المستميت بسيوفها وخناجرها وبنادقها غير عابئة بمدافع فرنسا ولا بنجداتها، خائضة غمار الموت حتي تم النصر (13 نونبر 1913)[14] .
وبينما كان قائد الجيش الزياني موحى وحمو يوما ما آمنا في سرية اذا بكوكبة من الخيالة تهاجمه، فارتمى على صهوة جواده وتسابق لرد غارات العدو ولكن البطل أصيب برشاشة طائشة (معركة ازلك نتزمورت 21 مارس 1921) قرب "تاوجكالت" فحمل ودفن : "بتاملوكت"[15].

– وقد خلف موحو وحمو في كفاحه ضد الجيش الفرنسي ثلة من أبنائه كبوعزة وحسين وأمهروق وإخوانه – وعلى رأسهم البطل "موحى وعقا" – كان يختلط رجالهم على حين غفلة



عسو وبسلام قائد مقاومة صاغرو (فبراير مارس 1933)



برجال المدفعية الفرنسيين في عوالي الجبال، تم يشتبك الجيشان في الشعاب والأودية بسلاحهما الابيض.

ومن الأبطال الأطلسيين الذي قاوموا على رأس جيوشهم الاحتلال الأجنبي : "العايدي بن سعيد" . فقد قاوم العدو على بعد 35 كلم من مكناس. ولما علم الجيش الفرنسي بأن خنيفرة خلت من المقاومين الذين تفرقوا في نواحيها بدأ يتحرك نحو المدينة فهرع العايدي بن سعيد مع جماعة اخرى من أبناء إخوان موحى وحمو وهاجموا جيش الاحتلال في طريقه من مكناس الى خنيفرة وأصلوه نارا من بنادقهم. ولكن ذلك لم يحل دون احتلال خنيفرة مرة أخرى فطوق الزيانيون المدينة وصاروا يخوضون المعارك ضد الفرنسيين. وكانت أهمها معركة : رأس جبل ابى موسى" التي استشهد فيها عدة من أبطال زيان".[16]

ومن المجاهدين الأبطال لاجل تحرير البلاد من قبضة الاحتلال "على أمهاوش" الذي جدد نظام الجيش الأطلسي ورد به غارات العدو المتكررة. وبعد وفاته حمل راية التحرير رجال صناديد أخرون جاهدوا في الله حق جهاده "كولد الفاسية" الذي كافح على رأس جيشه في الأطلس المتوسط والكبير وفي تافلالت وحتى في سوس مع " مربيه ربه" الشنكيطي. ولما وصل الى إيفني لجأ عند الإسبان الذين نقلوه إلى تطوان ثم إلى القصر الكبير حيث وافاه الأجل المحتوم. ومنهم محمد اسي حماد ومولبه حمودا الذي ثار في قلب الأطلس الكبير وامتنع عن الصلح مع العدو الى أن تم اعتقاله وسُجن اخوه سي عدي رفقة عدد من ثوار الأطلس (1352هـ).

– ومن أبطال التحرير كذلك : "عسو أو بسلام" الذي قاوم الاحتلال الفرنسي على رأس جيشه الباسل في جبال "صاغرو" وجنوب الأطلس الكبير ما بين سنة 1933 و سنة 1943. فقد كان لصدى المعارك التي خاضها ضد الجيش الفرنسي المعزز بالطائرات (في مناطق تودغة ودادس والودغة) رنين في قلب فرنسا نفسها حيت أثارت احتجاجات صاخبة بعد أن عجزت القوات الفرنسية عن مقاومته... وخصوصا في آيت عطا[17] وقد شارك أغلب الضباط الفرنسيين المعروفين اليوم في الحرب ضد حيش عسو أو بسلام[18].

وفي سنة 1914 قاد الجنرال غورو أكثر من معركة عنيفة ضد "الحجامي" الذي كان يتزعم مقاومة قبائل التسول وغياثة ضد الجيش الفرنسي دامت زهاء 5 أشهر. وقد استخدم الجيش الفرنسي في هذه المعارك سلاح الطيران. ولم يستطع أن يصل شرق المغرب بغربه الا بعد أن خاض معركة أخري ضد قبائل غياثة دامت اربعين يوما.

– وهناك بطل تافلالت موحى أو حمد نيفروطن (الشريف أحمد السملالي) الذي وجه الفرنسيون اليه جيشا (سنة 1917) من مكناس بقيادة الجنرال "بومبيرو" مساعد ليوطي الأيمن وأمدوه بجيش عين الصفراء من الجزائر. واستمر الجيشان في قتال دام 4 سنين تكبد فيها الفرنسيون خسائر فادحة.

– أما في ورغة فقد كان السيد عبد المالك محيي الدين يقود الكفاح ضد الغزو الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى. وكانت ألمانيا تمده بالسلاح عن طريق امليلية. وقد انضمت



Le général Huré, commandant supérieur des troupes françaises recevant la reddition de Assou Bassalam



• *De gauche à droite, les généraux Gouraud, Lyautey et Baumgarten*



زايد اسكنتي بطل ملحمة جبل بادو
29 غشت 1933

تحت لوائه كل قبائل وادي ورغة الا أهل وزان لتأثرهم بنفوذ "الدرقاوي". وقد دارت بين المغاربة والفرنسيين معارك صاخبة في هذه الناحية التي تضم حدود المنطقتين الفرنسية والاسبانية والممر الاستراجي : فاس - تازة. وقد اضطر الجنرال "بومبيرو" أن يخوض معارك عنيفة سنة 1921 ليثبت بقاءه في وزان لما لها من أهمية دينية واقتصادية.

معركة بوغافر : (12 فبراير - 24 مارس 1933)

يقول الجنرال هوري (Huré) في كتابه "تهدئة المغرب" : «ان منطقة "صارغو" (التي تبعد عن ورزارات بـ 200 كلم) لم تكن معروفة لدى السلطات الفرنسية، وكانت غير صالحة للعمليات العسكرية للجيش النظامي". وكان الجنرال "Catroux" يتصور أن منطقة صارغو لا يمكن "تطهيرها" إلا بواسطة "الحركة" التقليدية التي يجب أن تنطلق من بومالن وتازارين وغيرهما من المراكز. وهذا يتطلب حسب ج "كاترو" قائد منطقة مراكش 7 فرق من الحركة تتكون من 1000 رجل و 6 فرق من رجال الكوم وفرقة خاصة من جنود الجبال. وقد عزز الجنرال "جيرو"(Giraud) هذه الفرق بـ 900 محارب من رجال الكوم. وهكذا أصبح عدد الجنود الذين تم استنفارهم لضرب حصار على المنطقة 8000 جندي و 9 فرق من الكوم، وبعض الوحدات النظامية المعززة بالطيران. ووقع الهجوم على المنطقة يوم 13 فبراير 1933، وحققت القوات الغازية الأهداف الاولى الا أن مجموعة من المجاهدين (1200) هجموا على قافلة البغال. واستحوذوا على دخيرتها، وقتلوا جنودها. تم استأنفت المعركة وقد مني العدو بهزيمة منكرة، فتسلم قيادة الجيوش الغازية الجنرال "كاترو" الذي استعمل سلاح المدفعية والطيران. ورغم ذلك فقد كانت فرقه تتقدم ببطئ نظرا الصعوبة المسالك وللمقاومة العنيفة التي كانت تتعرض لها من طرف المجاهدين. وحتى القبطان"، "بورنازل" الذي تمكن من الاستيلاء على قمة جبل يطل على جزء كبير من المنطقة توصل المجاهدون الى دحره بواسطة هجوم مضاد عنيف وجرحه في فخده (وقالت بعض المصادر أنه قتل سنة 1933).

وبعد أن استطاعت قوات الاحتلال السيطرة على نقط الماء زادت المقاومة المغربية ضراوة فاستعمل الغزاة آليتي" 75" وبطارية "65" و 6 أسراب من الطائرات قصد الاستيلاء على الجهتين الجنوبية والشرقية لقمة بوغافر. وقد دافع المجاهدون - حسب القبطان "فيال" (Vial) في كتابه "المغرب البطل"-، عن أنفسهم دفاعا مستميتا، وهم محتمون بالصخور وفي مغاراتهم لا ينفكون عن اطلاق الرصاص في كل صوب. وقد كانت خسائر الجنود الفرنسيين في هذه المعركة فادحة، حيث امتنع المغاربة المنضمين تحت لوائهم بالتدخل في المعركة. فأعطي الأمر بتوقيف المعارك نظرا لتزايد عدد القتلى والجرحى في صفوف الضباط والجنود.

وبعد أن تعزز الجنرال كاترو بأسلحة جديدة وتعززت قيادته بضباط آخرين سامين، شرع في ضرب مغاور المجاهدين ليل نهار بواسطة البطاريات والطيران. واستطاعت الدوريات أن تتسلل وتأسر بعض المجاهدين، الى ان تم لها السيطرة شيئا فشيئا على قمم الجبال. وعند ذلك طلب عسو أو بسلام قائد الجهاد (أمغارنوفلا) في هذه المنطقة أن تنسحب قوات الاحتلال من المنطقة حتى يجعل حدا للصراع القائم.

ويرجع سبب هذه المعارك حول هذه المنطقة الاستراتيجية الى أن عسو أو بسلام ظل ينازع فرنسا على رأس قبيلته في منطقة "تينغير"، أي في الجهة الشمالية الشرقية منذ سنة 1931. وقد انضمت كل القبائل التي لم تخضع بعد الى الاحتلال الفرنسي، وكذا مقاتلوا آيت عطا إلى عسو أو بسلام والتحقوا به بجبل "صارغو". وهذا مما أدى الى قيام معارك بوغافر التي كانت احدى قمم معارك المقاومة المغربية[19].

وكان من ذيول هذه المعارك معركة ثورة أسكيس" و"أمسميرنة" (1933) وآيت بها وآيت عبد الله قرب تافراوت (1934) وحوادث حمدون - جبل بادو (أغبالو تكردوس) التي امتدت خمسين يوما، وحوادث زيد أحمد من أهالي تنغير (1936). وقد تفوق المجاهدون في ثوراتهم هذه لتمركزهم في المواقع الاستراتيجية ولمعرفتهم الدقيقة بميدان معاركهم. وكان بطل معركة جبل بادو هو من أيت مرغاد زايد اسكونتي . ولقد شارك هذا المقاوم في كل معارك تافلالت : معركة الريش عام 1916م ومعارك أرفود والريصاني، وكذا في معارك تودغة وتنغير (1919)، ومعركة تونفيت عام 1930، ومعركة تاردة (بقيادته) ضد القوات الفرنسية التي اشتدت ضغوطها على الأطلس الكبير الشرقي وتافلالت، فأعد اسكونتي كمينا لها قرب جبل "إغري"، وانتصر عليها وخلف الجيش الفرنسي عدة قتلى. وغنم المقاوم حمولة 13 بغلا من الذخيرة والتموين. تم لجأ اسكونتي ومن معه من آيت مرغاد وآيت عطا وآيت حمو وغيرهم الى جبال أسول وبادو. ووجه الجيش الفرنسي ضرباته ضد هؤلاء المجاهدين لمحاصرتهم بقيادة ج "هوري". وصمد المقاومون في كردوس طيلة شهر يوليوز من سنة 1933م.

وبعد حصار كردوس بواسطة القصف المدفعي وغارات الطيران نظم أسكونتي مقاومته للدفاع عن النفس وعشيرته في جبل بادو الذي يبلغ ارتفاعه 3000م. فأمر الجنرال هوري قائد التخوم الجنرال كاترو بتجميع القوات الفرنسية المعسكرة بمكناس وتادلة ومراكش لمهاجمة مقاومي جبل بادو. فحوصروا من كل جانب وقطعت عليهم الامدادات، ونظمت هجومات مركزة من جهات متعددة، وعمليات قصف مراكز المياه والمواشي لافنائها. فاضظر القائد اسكونتي للتفاوض والاستسلام. وبذلك أسدل الستار على ملحمة جهادية في 29 غشت 1933 [20].

- ولما أرسلت اسبانيا بارجة حربية لاحتلال إيفني[21] تصدت قبيلة آيت باعمران [22] لهذا الاحتلال واردت الاسبانيين على أعقابهم منهزمين. كما تصدت لهجومات الجيش الفرنسي بقيادة جنرال "لاموط". وقد ارتكز من قبيلة آيت باعمران جيش منظم بمدينة تيزنيت لصد العدوان والقضاء على الفتن الداخلية. وكان المخزن يمده بالمدافع والقنابل والمتاع.

وفي عهد الوزير ابا حمد قاوم أهل "توات" [23] الاحتلال الفرنسي تحت قيادة الحاج "المهدي باجودة" الذي استشهد في احدى المعارك سنة 1899م. وقد أبلى التواتيون في معركة "عين صالح" البلاء الحسن واستشهد منهم الكثير. وقد وصف كوتي هذه المعركة بقوله : «لا أعتقد انه وقعت في التاريخ مجزرة مماثلة للتي جرت سنة 1901 ».ويعني بها معركة "عين صالح» [24].

ولم تكن تعلن الحماية على المغرب حتي التفت قبائل آيت وراين الشرقية والغربية

وغزوان وبني يازغة وآيت علاهم ومرموشة وآيت حسان وغيرها حول سيدي محمد بلقاسم أزروال، وأعلنت الجهاد في سبيل الله، وكانت ثورة منسقة. وكان المشرف على الشؤون العسكرية والمخطط للمعارك هو أعمرو بلقاسم، وكان على اتصال وثيق ببطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي لدراسة الأوضاع وطريقة تبادل الثقنيات وتنسيق الخطط الدفاعية.

- وامتدت اتصالات ثورة بني وراين الى الصحراء حيث توجه عبد القادر بن محمد أزوال لدى محمد أو بلقاسم المكنى "بلارج" لينظم له جيش المجاهدين إلى أن عاد بعد سنة إلى الأطلس المتوسط لينظم أيضا جيشا يقاوم به احتلال "بويعقوبات" من طرف الفرنسيين ومحاصرة الجيش الفرنسي لمدة ثلاث سنوات. ولم يفك الحصار الا في سنة 1920.

- ولقد خاضت ثورة بني وراين معارك رهيبة مع العدو مثل معركة "أمراضة" سنة1921، ومعركة تيزي أنديدال سنة 1926 وغيرهما. وكانت أعنف معركة خاضها المجاهدون ضد العدو هي معركة " أملول"، بعد أن استسلم محمد بن عبد الكريم الخطابي للفرنسيين، وحوصروا فيها مدة أربعة شهور من عشر جهات بجيوش فرنسية، كان يقودها أربعة جنرالات هم: "دوفيو وفينوا وفرد أمبريك، وضوص"، واستعمل في هذا الحصار الجيش الفرنسي الطائرات والقنابل المحرقة. وفي يوم 9 فبراير 1927م كان استسلام آخر معقل من معاقل الثورة المسلحة ضد الاحتلال الأجنبي بشرق المغرب.

- وفي التخوم المغربية خاضت قوات الاحتلال بقيادة ك. دوري معارك كثيرة ضد المجاهدين المغاربة في أرض حمادة كير ووادي زيز الى قصر السوق عبر الريش، وقد اضطر الطيران الفرنسي للانسحاب سنة 1918 لما تعرض لهجمات المكافحين التي شملت واد زيز وأرفود وقصر السوق. وقد أعلنت الثورة في الشمال المغربي على الجيوش الفرنسية سنة 1918 وخصوصا بجبالة، وكان هدفها إخراج الفرنسيين من وجدة.

- وقاومت منطقة تافلالت بقيادة البطل أحمد بن لحسن السبعي شيخ الزاوية الدرقاوية بدويرة السبع قرب تالسنت. واستطاع هذا الشيخ توحيد قبائل تافلالت ضد الغزو الفرنسي. وشهدت سنة 1908 معارك ضارية بين المقاومين المسلحين بأسلحة خفيفة كبوشفر وبوجفرة، والغزاة الفرنسيين الذين حاولوا الاستيلاء على بودنيب. وفي فجر يوم 16 أبريل 1908 هاجم المجاهدون بقيادة مولاي أحمد السبعي مخيم الكولونيلPierron الذي كان مرابطا في المنابها. وجرت معركة عنيفة أظهر فيها المجاهدون شجاعة نادرة كانت على حد قول A.Bernard «أخطر معركة تعرضنا لها منذ بداية المسألة المغربية وتكبدنا خلالها خسائر جسيمة تمثلت في 19 قتيل، من بينهم *الضابط الملازم كوست و 101 جريح من بينهم 9 ضباط* »........ وحاول الفرنسيون الانتقام بشن هجوم مضاد على مواقع المقاومة بقيادة الجنرال Vegy بأسلحة متطورة ومدفعية ومتفجرات ورشاشات. وانتهت المعركة باحتلال بودنيب. وخلال شهر غشت 1908 تجمع المجاهدون بأوفوس (25000 رجل)، وتقدموا نحو سهل الحرب على بعد 7 كلم من بودنيب. ووجه مولاي أحمد السبعي رسالة *الى القائد الفرنسي* Fish يدعوه فيها الى خوض معركة مفتوحة في *سهل الجرف*. فرفض *القائد الفرنسي*. فضرب المجاهدون *حصارا* في شتنبر 1908. ولكن جاءت

قوات ضخمة من كلومبشار بقيادة الكولونيلAlix وأغرقت الحرب في بحيرة من الدماء[25].

– ويجب التذكير في هذا الباب أن الخليفة السلطاني مولاي ادريس بن عبد الرحمان سبق أن أعلن الجهاد ضد الفرنسيين لما بدأوا في غزو البلاد لاسترجاعها الى حدودها الطبيعية. وقد توجه سنة 1905 في باخرة اسبانية من الصويرة الى سمارة حاملا الا مدادات العسكرية (500 بندقية بذخيرتها) فاعترف الفرنسيون بطاعة الصحراويين للخليفة السلطاني. وكانت فرنسا قد احتلت جزءا من ادراد قبل سنة 1911، ولكن المقاومة الموريطانية المعززة بالقوات المغربية استرجعت إقليم دراد. تم توالت حركات الجهاد ضد الفرنسيين التي ابتدأت سنة 1908م. وكان الشيخ ماء العينين حاجزا يحمي ظهر بلاد أدراد من الزحف الفرنسي بصفته ممثلا لسلطان المغرب. وفي سنة 1909 استسلم «سي ولد سيدي بابا"للجيش الفرنسي الذي كان يقوده الجنرال "كورو".

– وهناك أبطال وأبطال آخرون مثل زايد أو حماد بتودغا (1934-1936) في جنوب الأطلس الكبير الشرقي. وقد شملت مقاومته أراضي تافلالت ومراكش وتادلة. وقام بعمليات جريئة في تينغير وكوليمة ودادس وايمليشيل، تتلخص في مقتل عدد كبير من ضباط الاستعمار وأعوانهم وعملائهم. وكانت عملياته تقوم على عنصر المباغتة مما أثار الرعب في صفوف الجيش الفرنسي، واستمر في المقاومة حتى قتل والسلاح في يده بقصر تادفالت بتنغير يوم 5 مارس 1936".[26]

– وهناك موحا أوزكار بتلسينت وميمون أورحو بطل تازة (الذي استأنف القتال ضد الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى) ومولاي علي أمغار (الذي كان يملك أكثر من ألف بندقية) قائد قبيلة أيت مغروشن ومرموشة وبطل الدفاع عن جبل تشوكة بالأطلس المتوسط، وسيدي المكي قائد مقاومة تازكزاوت بالأطلس الكبير الذي كان مسرحا لأخطر معارك المقاومة والتحرير؛ والحاج بنعيسى بن عبد الكريم البخاري الذي كان "كبير المحلة" في عهد المولى عبد الحفيظ. وكان باشا لمدينة مكناس سنة 1911 ولكنه كان يخطط لحركة تحريرية في ابريل سنة 1918، وخصوصا لما انتصرت الجيوش الألمانية على الجيوش الفرنسية في معركة لامارن (ماي 1918). وكان له اتصالات مع احمد الريسوني ورؤساء المقاومة في الأطلس المتوسط وتافلالت والريف. ولكن القوات الفرنسية أجهضت "الحركة" قبل انذلاعها.[27]؛ والمجاهد الشريف محمد بن عبد الكبير الكتاني، (1905)، ومحمد بن الطيب البوعزاوي (الذي قاد المقاومة بدكالة ضد التغلغل الأوروبي (1906) والشريف محمد الحجامي الذي جابه الجنرال القري Henri Eugene Guraut ،والشريف احمد تازية الوهابي (المشهور بالبكار) في نواحي لوكوس (المهبط) الذي قاوم الاحتلال الاسباني منذ سنة 1911 حتي اشتشهد سنة 1927 عندما كانت الطائرات الاسبانية تقصف مداشر قبيلة بني عروس، ودفن بحبل العلم قرب مولاي علي بن مشيش (موقع اجتماع قادة المقاومة المسلحة لإثارة الحماس الجهادي وجمع شمل القبائل)، ومنه يخططون للجهاد[28].

وغيرهم كثير وكثير قادوا –البرابرة الأشبال من أطلسيين وجبالة وريفيين وسوسيين في معارك التحرير دامت اثنين وعشرين عاما فأوقعوا العدو في كمائن عدة، وأنزلوا به خسائر

منكرة دهش لها ضباط الجيش الفرنسي والإسباني أنفسهم[29] .

طريقة رجال المقاومة للاحتلال الفرنسي

ذكر علال الخديمي في بحث له عن مميزات المقاومة المغربية للاحتلال الفرنسي مامؤداه :

« أمام الامكانيات الهائلة لجيش الاحتلال كان المغاربة يعتمدون -بالدرجة الأولى- على شجاعتهم وعلى معرفتهم الدقيقة بميدان المعركة. كانوا يستفيدون من تلال بلادهم وجبالهم وأوديتها وصخورها، لتنظيم هجومهم الساحق الخاطف. وتميز فرسان المغاربة، بقدرتهم الفائقة على سرعة الحركة والمناورة واتقان الرمي وهم راكبون. بخلاف فرسان العدو الذين كانوا لايجيدون الرمي إلا بعد النزول إلى الأرض وكثيرا ماكان المغاربة يبحثون عن الالتحام بقوات العدو المتقدمة اذا كانت غير محمية بالمدفعية والرشاشات. أما إذا تحرك العدو بكل قواته في جبهة عريضة، فكان المجاهدون يعمدون إلى الالتفاف حول الأجنحة ومهاجمة الفرق المنعزلة كما كانوا يهاجمون مقدمة العدو أو مؤخرته عند كل تراجع.

وهكذا كان المغاربة يبحثون عن أضعف نقطة في صفوف العدو، ويقتحمونها في هجوم خاطف سريع، يتكبد خلاله العدو خسائر فادحة. كما كانوا يقومون بمعارك وهمية لجلب اهتمام العدو، في حين يعدون خطة الهجوم في جهة أخرى من الزاوية الميتة التي لايتصور العدو أن الهجوم سينطلق منها. كما كان المغاربة يعدون كمائن للعدو، من الفرسان أو المشاة فخلال كل هجوم تقوم به خيالة جيش الاحتلال، كان الفرسان المغاربة يتراجعون بسرعة جارين وراءهم العدو الذي تفتك به تلك الكمائن وتحدث في صفوفه خسائر فادحة في الأرواح. وقد كان المغاربة، يدخلون المعركة وهم مجردون من كل لباس ثقيل يعوق حركتهم.

...لم يكن المغاربة يخضعون لقيادة موحدة بل كانوا يتبعون زعماءهم ومقدميهم. وكان المقاتلون من مختلف الأعمار، من الصبيان (15 سنة) إلى حد الشيخوخة (65 سنة) وكانت المرأة تقوم بدور فعال بجانب الرجل وقد أبانت المرأة المغربية المجاهدة عن شجاعتها وصبرها وثباتها خلال المعارك الأمر الذي أثار اعجاب العدو. و"تحملت المرأة المغربية عبء الجهاد وعواقبه : تحملته وهي تسوق القطيع وتحمل الأثاث هاربة بعيدا عن أرض المعركة. وتحملته صابرة وهي أرملة أو أما تدفع ابناءها للقتال مع الجماعة. وتحملته وهي تسهر الليل لتهيء المؤونة للمقاتلين.

إن تكتيك المغاربة، كان فعالا في قتال المحتلين، وهذا مايفسر استمرار المقاومة قرابة ربع قرن فقد واجه المغاربة وهو مسلحون بأسلحة لايمكن مقارنتها بأسلحة جيش الاحتلال، قوات أكثر عددا وتنظيما، وتمكنوا من دحرها في معارك عديدة وكبدوها خسائر بشرية ومادية ثقيلة. وقد حققوا هذه النتائج بفضل ذكائهم وبفضل تعبئتهم الماهرة في القتال. تلك التعبئة التي تعلموها من طبيعة بلادهم ومن شجاعتهم » ("بعض مميزات المقاومة المغربية للاحتلال الفرنسي بالشاوية وجبال الأطلس" لعلال الخديمي ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900-1934 نشر المندوبية السامية 1990- ص : 91-92)

- وأخيرا تم احتلال المغرب من طرف الجيش الفرنسي بقيادة الضباط الآتية أسماؤهم : الجنرال Nieger (احتل ناحية مكناس) والجنرال Catroux (احتل ناحية مراكش) والجنرال Giraud (احتل ناحية المغرب الشرقي) والجنرال De Loustal (الذي احتل ناحية تادلة المنيعة -التي جرت على الجيش الفرنسي كثيرا من ويلات الحرب (1928-1933)- والذي لم يستطع احتلال الضفة الشمالية لوادي العبيد الا بعد معارك دامية دامت من سنة 1921 الى سنة 1931)، والجنرال Polymiraux (قائد ناحية مكناس سابقا (1917-1925) الذي لقي حتفه في احدى معارك الأطلس)، والجنرال Huré (الذي قاد آخر معركة فرنسية لاحتلال المغرب حيث بدأ هجومه في 23 فبراير 1934، واحتل "كردوس" التي كان يقطن بها مربيه ربه (أخ الهيبة ابن ماء العينين) وقد أفلت من قبضته ووصل الى طرفاية سالما). وبذلك فقد المغرب استقلاله وتجزأت أراضيه الى عدة مناطق منفصلة رغم تضحيات جيوشه[30] ورغم الخسائر الجسيمة التي تكبدتها جيوش العدو [31]. وتلك سنة الكون وعجلة التاريخ....! [32].

أما مقاومة الجيش المغربي للتدخل الأجنبي في صحرائه فهي كما ياتي :

كان على رأس الجيش المغربي عام 1906 عم السلطان المولى ادريس وأفراد الترارزة والبراكنة وتاكانت والحوض وقبائل بوسبع وايدا أدايش ومشدوف. وقد حاصر طوال ثمانين يوما مدينة تيد جكيجا حيث قطع صلات الفرنسيين مع الجنوب وانتصر على القوات الفرنسية في تيبملان وانضمت إليه قبائل أخرى. وبعد ورود فيلق ميشار Michard من سان لوي نقل الجيش السلطاني مركز قيادته الى وادان. وقد قام جيش الغزاة الفرنسيين في نفس الوقت بعمليات متواكبة في كل من الحدود من وجدة الى ايغلي شرقا وبالدارالبيضاء والشاوية غربا لقطع صلة المغرب بفيالقه في موريطانيا. فقام السلطان المولى عبد العزيز بعمليتين متوازيتين في آن واحد رد بهما على تدخل مفوضية فرنسا بفاس ضد ما سمته بتصرفات المولى ادريس في الجنوب حيث كان يوجه الأسلحة والعدد مطالبا بالرجوع الى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء لضمان سيادة ووحدة المغرب الترابية جنوبا وشمالا من طرف ثلاث عشرة دولة. وفي عام 1907 استنجدت موريطانيا بالسلطان لارسال وحدات عسكرية وصفها Gillier في كتابه :"Penetration en Mauritanie" بأنها انطلقت تهاجم فيالق وقوافل الفرنسيين وتقطع الخطوط التلغرافية مركزة جهودها صوب مركز اكجوجط وضد وحدات جمال المهاري التي كانت تشكل خطرا على جنوب الامارات الموريطانية، وفي بضعة أشهر من عام 1908 قام الموريطانيون بـ 135 هجوما قطعوا خلالها الأسلاك الكهربائية وشلوا مراكز الحاميات كما غمروا الوحدات المهارية وعطلوها[33].

والخلاصة أنه حين إعلان الحرب العالمية الأولى كانت مقاومة الجيوش المغربية ترتكز في المناطق التالية (حسب محمد خير فارس) :

1- في أقصى الجنوب المغربي بقيادة الهيبة. وقد تضعضع مركزه بعد فشله في حملته على مراكش.

2- في الوسط : في الشمال الشرقي قبائل غياثة، وبني وراين وفي الجنوب الشلوح بقيادة موحى وسعيد وزيان بقيادة موحا أو حمد. ولكن مقاومة هؤلاء الثوار ضعفت على إثر



Le capitaine Bourhazel peu avant sa mor



Les goumiers marocains: une contribution précieuse et déterminante.

محاصرتها بقوات فرنسية قوية.

وبعد انتهاء الحرب كانت الثورة ترتكز في المناطق التالية :

الحدود الاسبانية الفرنسية الممتدة من الغرب الى الملوية محاذية شمال ممر فاس - تازة - فكان وادي ورغة مركز نشاط عبد المالك الذي عاود النضال سنة 1912. وقاوم أهل وزان حملة الجنرال بويميرو الذي خاض ضدهم معارك عنيفة سنة 1921 . وخاض الفرنسيون معارك واسعة في الأطلس المتوسط (خزان مياه المغرب) ضد كتلة بني وراين في الشمال الشرقي وضد كتلة زيان والشلوح في الجنوب الشرقي. وبعد موت موحا أو حمو نجح الفرنسيون في احتلال طريق فاس - مكناس خنيفرة (1923) وتم بذلك احتلال "المغرب النافع".

وبعد حرب الريف تحقق للفرنسيين سنة 1926 اخضاع القسم الشمالي من المغرب وتصفية الثوار في قطاع تازة. وكانت عمليات 1930-1931 عمليات تمهيدية تهدف الى تطويق مناطق الثوار في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير معززة بالطيران. فتم بذلك احتلال واحات في مناطق الجنوب الصحراوي وإتمام تطويق الأطلس الكبير وذلك لمنع ثواره من الوصول إلى المناطق شبه الصحراوية. ولكن بعضهم لجأ إلى جبل صاغو في الجنوب. وكانت معركة جبل بوغافر التي تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة، واضطر الجنرال هوري إلى وقف الهجوم والاكتفاء بالحصار. وتكبد الفرنسيون كذلك خسائر فادحة في معركة "مسدريد" تم استمرت عمليات الأطلس الكبير حتى فبراير 1934 حيث تم اخضاع كل مناطق الثورة (السيبة) وانتهى بذلك احتلال المغرب[34]. وهكذا كما شاهدنا اتسعت في مجموع البلاد شبكة المقاومة المسلحة في الأطلس والشمال والجنوب والصحراء وكانت قوية وعنيفة في زيان وبنى مكيلد (1923) وفي وادي العبيد (1929-1931) وفي آيت يحيى وآيت اسحاق والبحيرة (1923) وفي آيت ملول واعالى الأطلس (1933).........

ولخص بعضهم احتلال المغرب من طرف الجيوش الفرنسية على مراحل أربع :

مرحلة 1907-1910: اتجهت فيها المقاومة المسلحة المغربية ضد النزول الفرنسي بالدارالبيضاء والشاوية بقيادة الجنرال "درود" أولاً والجنرال" دامادا" ثانيا والجنرال "موانيي" ثالثا. وخلال هذه المرحلة قام الجنرال ليوطي القادم من الجزائر باحتلال جبال بني زناسن بناحية وجدة. تم امتد احتلاله الى تاوريرت. وغزا الجنرال "أليكس" - الحامي للحدود الجزائرية - بوذنيب [35].

مرحلة 1911-1912 : تم فيها احتلال فاس ومكناس. وفك فيها الحصار عن مدينة فاس، وفرضت الحماية على المغرب (30 مارس 1912) التي وقعت من جرائها حوادث الأيام الدامية لمدينة فاس التي قاومتها القوات الفرنسية بقيادة الجنرالين موانيي وكورو.

مرحلة 1913-1919 : دافعت فيها الجيوش الفرنسية عن النقاط المحتلة وخصوصا عن الخط الممتد بين مراكش وفاس عبورا من مكناس.

مرحلة 1920-1934 : واجه الفرنسيون مقاومة الأطلس والجنوب والشمال وتكبدوا

فيها خسائر فادحة، وبقى العراك سجالا الى أن تم احتلال الأراضي المغربية[36].

«وقد سخرت فرنسا جميع وسائلها الاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية للانفراد بالمغرب : مثل منح الحمايات القنصلية للأفراد ، إثقال كاهل المغرب بغرمات وتعويضات، مد المخزن بقروض مرهقة، إثارة الاضطرابات الداخلية وتشجيع الحركات المناوئة للمخزن كحركة بوحمارة مثلا، عقد اتفاقيات مع دول أخرى (كانجلترا والمانيا) لكي يصفى لها الجو بالمغرب.»

– وحسب الكاتب الاسباني "ميگل مرتين" فإنه لم تمر أشهر قليلة على تقديم السلطان مولاي حفيظ استقالته من الملك احتجاجا على الاستعمار الفرنسي حتى كان المغرب كله باستثناء المدن الكبرى في صراع ضد الاحتلال الاجنبي.

وكانت الاقاليم المتمردة تشمل المناطق التالية :

الأطلس المتوسط : لقد دارت به عدة معارك منذ سنة 1911 حتى سنة 1933. واذا ما اعتبرناها في كليتها يمكننا أن نقسمها الى أربع مراحل تكتسي أهمية بالغة :

– *اقتراب الجيش الغازي ومحاولته الوصول الى الجبال :*

1- معارك بني مطير سنة 1913
- مقاومة تادلة الى حين احتلالها سنة 1913.
- معارك خنيفرة سنة 1914
- عمليات تادلة من سنة 1915 الى سنة 1917

2- الهجوم على كتلة قبائل الأطلس المتوسط :
- اختراق أزرود ميدلت سنة 1117.
- معارك زيان وبني مكيلد في سنوات 1920-1923

3- الهجوم على الضفة الشمالية لوادي العبيد
- مقاومة عريالة في سنة 1926
- الهجوم على وادي العبيد في سنوات 1929 و 1930-1931.

4- الهجوم على الأطلس المتوسط :
- مقاومة آيت يحيى في سنوات 1931-1932
- مقاومة آيت اسحاق في سنة 1932
- الهجوم على بساط البحيرة في 1932
- معارك ملول والأطلس الكبير في 1933
- محاصرة كردوس وبادو في سنة 1933
- معركة الكوس سنة 1933
- الأطلس الكبير بجنوب المغرب :

حارب الشيخ ماء العينين وابنه لهيبة الفرنسيين. ولما هزم الهيبة في معركة سيدي

عثمان واصل المقاومة في الساقية الحمراء حتى سنة 1935.

- تافلالت وآيت عطا بالجنوب المغربي :

دام الكفاح ضد الفرنسيين في هذه المنطقة تلاثا وعشرين سنة - كان الكفاح بقيادة الشريف السملالي الذي هاجم جيش مكناس بقيادة الجنرال بوميرو المساعد الأيمن للجنرال ليوطي. وبعد معارك قتل الجنرال الفرنسي واستشهد القائد المغربي الذي خلفه بلقاسم النكادي الذي واصل الكفاح إلى أن استسلم في سنة 1935[37].

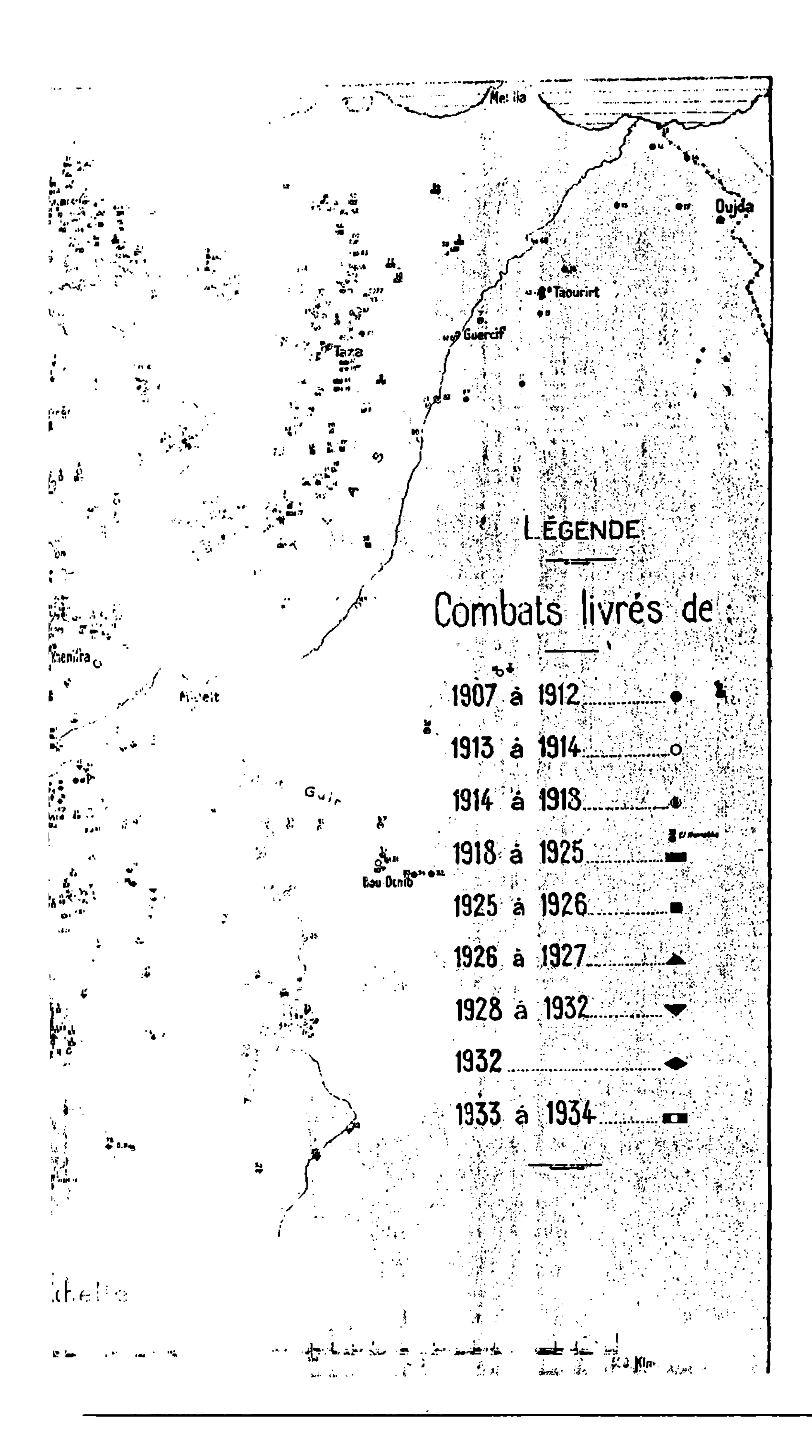
فرنسا واسبانيا تعتبران المغرب مدرسة حربية : هكذا كانت فرنسا واسبانيا تعتبران إلى عهد غير بعيد المغرب كمدرسة حربية لتخريج قادتها العسكرية. وكانتا ترسلانهم إليه لامتحان شجاعتهم في الحروب وفي العمليات العسكرية ضد المجاهدين المغاربة الذي كانوا يدافعون عن وطنهم، واستمرت مقاومتهم المسلحة من 1907 الى 1934، وأغلبية مارشالات فرنسا واسبانيا جاؤوا الى المغرب برتبة ضابط تم ارتقوا الى رتبة مارشال أوجنرال يعد نجاحهم في تلك العمليات العسكرية على رأس 725 ألف عسكري[38].

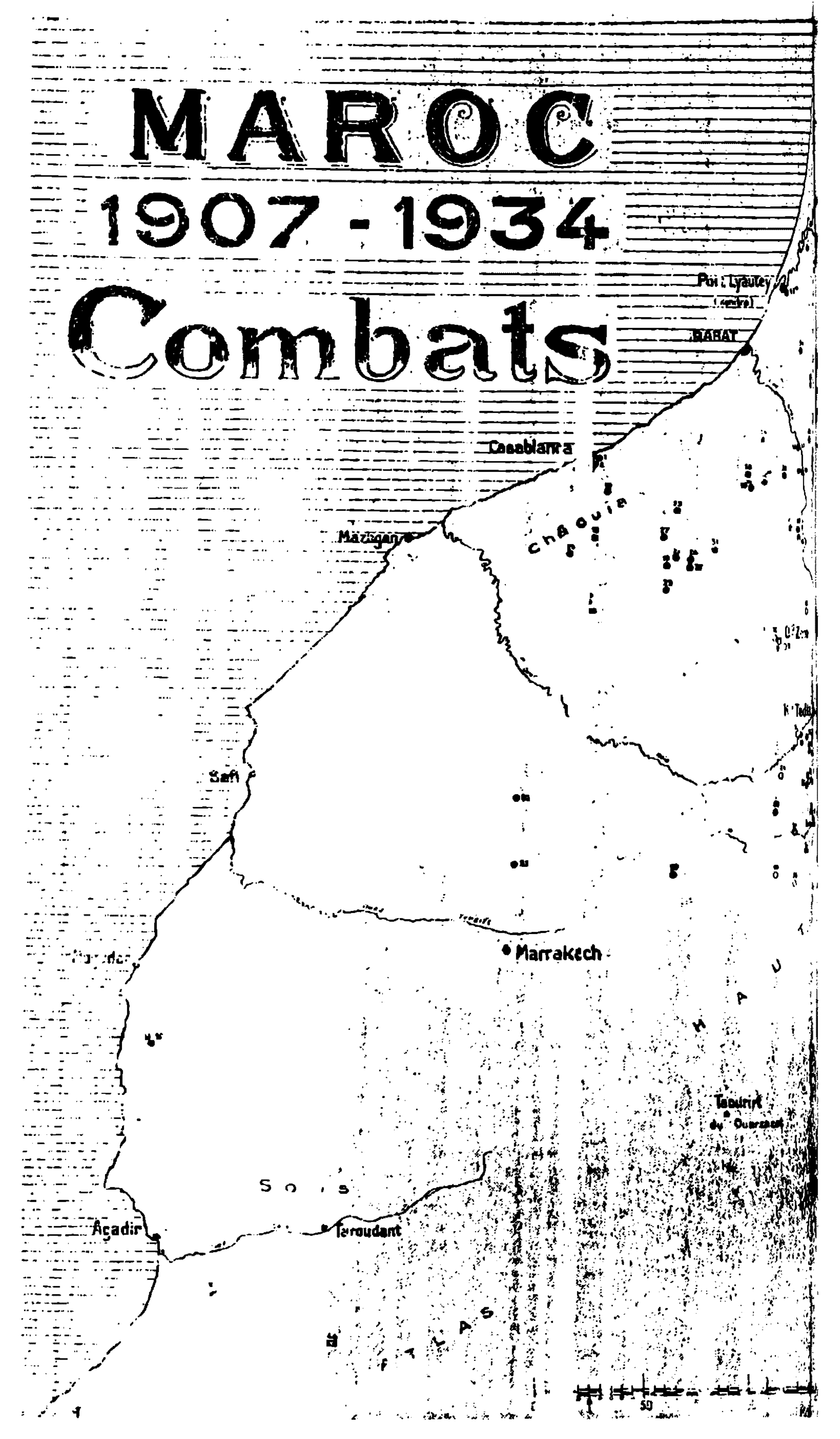
ونخص منهم بالذكر من الفرنسيين المرشال ليوطي والمرشال Leclerc (الذي كان من أساتذة المدرسة الحربية بمكناس) والجنرالات : نوكيس (المقيم العام السابق) وبوايي دولاتور، ودولاتر دوتاسني (الذي جرح شمال تازة سنة 1925 وهو برتبة قبطان)، وجيرو، وجوان (الذي كان رئيس الديوان العسكري للجنرال نوگيس، وقد جرح بالمغرب سنة 1914 وهو برتبة قبطان)، وكيوم. ومن الاسبان : الجنرال فرانكو[39]، والجنرال كارسيا فالينو....

ويقول السيد عبد القادر القادري في هذا المضمار ما مؤداه :

يعتبر الشعب المغربي من الشعوب الحربية القوية الشكيمة التي ذاق على يدها الاستعمار البرتغالي والاسباني والانجليزي والفرنسي الأمَرَّين. فلم يعرف تاريخ الحروب الاستعمارية في العصر الحديث شعبا مثل شعب المغرب قاوم زحف الجيوش الاستعمارية مقاومة مسلحة دامت زهاء ثلاثين سنة اي من 7 أكتوبر 1907 ابتداء من معركة تاوريرت بإقليم وجدة إثر مقتل الطبيب الفرنسي الدكتور مرشان بمراكش وانتهاء بمعركة واحة تندوف التي انتهت بدخول الجيش الفرنسي الى مدينة تندوف تحت قيادة الجنرالين الفرنسيين جيرو Giraud وكاترو Catraux في 10 مارس 1934. حتى بلغ عدد المقابر التي نصب فيها الاستعمار الفرنسي النصب التذكارية لتخليد المعارك التي خاضتها جيوشه في المغرب ضد المجاهدين المغاربة نحو 116 نصبا تذكاريا عدا النصب التذكارية الخاصة بمقابر الجيوش الاسبانية في شمال المغرب والصحراء المغربية. كما بلغ عدد القتلى من الضباط والكولونيلات والجزالات الفرنسيين والإسبان المآت حتى ذهب بالانجليز القول : "إن المغرب أرض الأسود".

وتجدر الإشارة الى أن فرنسا واسبانيا كانتا تعتبران المغرب اثناء زحف جيوشهما عليه مدرسة حربية لتدريب ضباطهما في المعارك التي كانت تدور بين جيوشهما الغازية وبين أبطال المقاومة العسكرية المغربية أمثال : موحا احمو بخنيفرة في قبائل زايان والشريف أمزيان بقبائل


Melilla
Oujda
Taourirt
Guercif
Taza
LÉGENDE
Combats livrés de :
1907 à 1912
1913 à 1914
1914 à 1918
1918 à 1925
1925 à 1926
1926 à 1927
1928 à 1932
1932
1933 à 1934
Bou Denib


MAROC
1907 - 1934
Combats
RABAT
Casablanca
Chaouia
Mazagan
Safi
Marrakech
Agadir
Taroudant
Taourirt du Ouarzazat
50

الريف ومحمد عبد الكريم الخطابي بطل حرب الريف والشيخ ماء العينين وولده الهيبة بالصحراء المغربية ومربى مربو بتافيلالت وعسو في جبل صفرو - بطل معركة صغرو حيث بقي يقاوم بعد معركة جبل بوغافر الى أن سلم نفسه في 20 مارس 1933 إلى الجنرالات الفرنسيين الثلاث : - هوري Huré وكاترو Catroux وجيرو Giraud -وسي محند بقبائل مرموشة وموحا حمو نيفروطى بتافيلالت وسيدي رحو بقبيلة بنى مطير وبلقاسم النكادى بتافيلالت واحنصال ببنى ملال.

فالقادة العسكريون الفرنسيون أمثال المريشال ليوطي والجنرال نوجيس والجنرال كاملان والجنرال جوان والجنرال كيوم والجنرال بوايى دولاتور الذين كانوا مقيمين عامين في المغرب - مندوبين سامين - والجنرال بورنازيل والجنرال ترانكى والجنرال غورو - الذي كانت إحدى ثانويات الرباط تحمل اسمه - والجنرال كوسط والجنرال لوكراند والجنرال لاكروا والمارشال فرانشى ديسبنيري والجنرال هوري Huré والقادة العسكريون الاسبان أمثال الجنرال نافارو والجنرال كوديد والجنرال بيير بنكير والجنرال فرانكو كلهم ارتقوا الى رتبهم العسكرية العالية وهم يعملون في المغرب في الميادين العسكرية.

وصدق الزعيم الراحل علال الفاسي حين قال : «ولو اردنا ان نفصل المعارك ونتحدث عن رجالها لاضطررنا الى كتابة مجلدات كلها مليئة باخبار البطولة وأنباء الشهامة المغربية التي لم يسبق أن سجل التاريخ الحديث مثلها لشعب من شعوب الارض على الاطلاق.» [40].

وقديما قال الاغريقيون على لسان "هيرودوت" : اذا غضب إلاه الأطلس - وهو إلاه الحرب - فلتعلموا إنها القيامة!". وكذلك كان. إذ بسبب احتلال المغرب من طرف القوات الأجنبية الفرنسية والإسبانية قامت الحرب الكونية الأولى (1914-1918).

مرحى ليوث المغرب الأقصى لقد
أدَّيتم حق العـــروبة بالـــدم
خطّطت صوارمكم على راياتها
آي البطـولة كالطِّراز المعلـم
كم وثبة لكم بساح فخارها
أدنت من الراحات هام الأنجم
وا خيبَةَ الطَّاغي يُفرنس أمة
تأبى لغير أصولها أن تنتمي

(أسد موسى - شاعر مهجري)



ضباط سامون جنرالات وكولونيلات رصدتهم الدولتان الفرنسية والإسبانية للوقوف في وجه زحف الجيش الريفي



(1) سبق للسلطان الحسن الاول أن جمع في مدريد مؤتمرا دوليا حضره عدة دول سنة 1880 وذلك لضبط الحماية والمحاكم القنصلية. ولكن الاتفاقية الناتجة لم تجعل حدا لأطماع فرنسا. فبعد أن جهزت نفسها من جديد بعد حرب السبعين مع المانيا واحتلت تونس سنة 1881 بادرت الى احتلال أقاليم توات وبشار وشنكيط" كخطوة تمهيدية لاحتلال المملكة المغربية."

(2) شهد ج كيوم نفسه في مذكراته التي كتبها سنة 1946م قائلا :" ان أي قبيلة مغربية لم تستسلم لقواتنا الفرنسية إلا بعد نفاذ عتادها الحربي عن آخره. وقد اتسمت كل مرحلة من مراحل تقدمنا بالقتال، وكلما توقفنا أنشأ المغاربة جبهة جديدة احتفظوا بها بواسطة سلسلة من التحصينات أرغمت قواتنا سنوات طويلة أن تقف موقف اليقظة والحذر معرضة للاخطار وفي موقف عسكري مشين. وقد سبق للمرشال ليوطي أن قال أيضا قبل كيوم : "انني أعسكر في مدينة ثائرة ومحاصرة" وذلك لما ثار الجنود المغاربة في أبريل 1922 وانتشروا في مدينة فاس داعين السكان الى الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين.

(3) شنت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال D'Amade منذ شهر يناير 1908 عدة هجومات على قبائل الشاوية في سهول الشاوية وأوديتها. ودارت عدة معارك بين المقاومين المغاربة والجيش الفرنسي منها : معركة سطات (15 يناير 1908) انسحب على إثرها - بعد اشتباكات دامية - الى برشيد، ومعركة القصابي أو القصيبات. وفي هذه المعركة فقد الجيش الفرنسي 85 من رجاله (منهم 5 ضباط) كما فقد عددا كبيرا من الخيول والبغال. وللأخذ بثأر الجيش الفرنسي ارتكب الجنرال داماد مذبحة سيدي الغنيمي في 18 مارس 1908 بهدف التأثير على معنوية المقاومين. ولم تحتل القوات الفرنسية الشاوية إلا في صيف 1908 بعدما أعلنها المولى عبد الحفيظ ثورة دامية ضد الجيش الفرنسي بهذه الناحية، وقد برز في هذه العراك المقاوم القائد البوعزاوي. (عن الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي (23-8-87) بتصرف. وأنظر في هذا الباب :
H.G. Conjeau : Histoire Militaire de la chaouia depuis 1894-(1939)

وعن مقاومة أهل الشاوية للاحتلال الفرنسيي : انظر : "انتفاضة الشاوية" سنة 1907 لأحمد زيادي، و"حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية" لعلال الخديمي، وأرجوزة المرحوم كنوني الحاج أحمد المذكوري الذي خصص جزءا كبيرا منها للحديث عن مقاومة الدار البيضاء، والمذاكرة للاحتلال الفرنسي، وقد تعرض فيها أيضا لذكر وقائع "يوم أمكون" و "يوم السدرة" وحادثة "بئر ورد" (1908) ، التي أبلى فيها المذاكرة البلاء الحسن. (انظر الأرجوزة منشورة في كتاب "ندوة المقاومة المسلحة المغربية" (1800-1934) ص 67 (نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - نونبر 1990) وقد اكتشف المرحوم محمد زنير هذه الأرجوزة الفريدة عند صاحبها قبل وفاته وللقائد البوعزاوي المجاهد «يرجع الفصل في تحويل الشاوية الى قلعة صامدة ضد الاحتلال الفرنسي». فقد امتدت حملاته ضد الغزو الفرنسي الى ناحية الرحامنة ومراكش (انظر حياته في كتاب : مارتان : "أربعة قرون من تاريخ المغرب". ومن المقاومين البارزين أيضا في معركة الشاوية محمد بن العربي المذكوري.

(4) لقد قاسى سكان المغرب الشرقي - بعد معركة إيسلي - من تحرشات الجيوش الفرنسية القاطنة بالجزائر. ولذلك لم يتوان الجنرال الفرنسيDe Martimprey في إعداد العدة وحشد قواته قرب وادي كيس في سنة 1859م لاستعمال القوة واستغلال الظروف المواتية لذلك. وقد تحملت قبائل بني يزناسن عبئ المقاومة ضد الفرنسيين أكثر من غيرها. وكانت الهجومات التي شنها الجيش الفرنسي في هذه المنطقة من البلاد تحت إمرة عدة جنرالات، منهم : الجنرال De Montauban (بوادي كيس) وج Deligny بتابو غالت، وج Archimard بوادي تاكما وج Desvaux وج Durrieu بقصبة العيون سيدي ملوك، وج Thomas بجبال بني نرناسن. (انظر د. اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي : تاريخ وجدة وأنكاد، ج: 1 ص 155-168 و L.Voinot : la Campagne de 1852 contu les Beni Snassen (Revu Afraicaine)(1912) وقد كان احتلال وجدة من طرف الجيش الفرنسي بقيادة الكولونيل Flineau سنة 1907م وذلك بسبب التحرشات المتكررة للمجاهدين المغاربة على الحدود المغربية - الجزائرية، وفشل المفاوضات بين المغرب وفرنسا في هذا المضمار، واحتماء عدة قبائل بفرنسا وطلبها لامتداد الحكم الفرنسي الى شرق المغرب بسبب الفتن التي أشعلها الثائران : بوحمارة وبوعمامة... وبعد وجدة كان احتلال منطقة بني يزناسن وتاوريرت (1910) ودبدو (1911).

و يذكر بعض المؤرخين أن احتلال مدينة وجدة كان بسبب مقتل الدكتور مرشان بمراكش سنة 1907م وكان الهجوم الفرنسي على وجدة «بخمسمائة من المشاة وعشرين من الخيالة مدعمين بالمدافع والآلات الحربية المتطورة». ولم يجد الجيش الفرنسي أي مقاومة. فكان مقتل الطبيب الفرنسي ذريعة للفرنسيين ليبدإ احتلال المغرب الشرقي. وقد جادت قريحة أحد الشعراء المغاربة بقصيدة يتحسر فيها على احتلال مدينة وجدة منها :

وجد تسعّر في الاحشاء والتهبا	مذ قيل ركن من الاسلام قد ذهبا
آه على وجدة قد اسلمت جزعا	من غير سيف ولا قتل ولا حربا
قد أصبح الدين ينعى كل ناحية	وآخذ الثأر في لهو وقد لعبا
ان لم تخوضوا غمار الموت دونكم	لباس زوجاتكم والتزموا الحجبا

(مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 2 ص 500)

«وكان الشيخ ماء العينين أرسل ابنه الى فاس ليستأذن المخزن في الدعوة الى الجهاد بالحدود والهجوم على المحتلين لانتزاع وجدة من أيديهم» (السعادة عدد 132).

(5) معركة وارغوس - جريدة الاتحاد الاشتراكي (30-3-93) .

(6) المنوني مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 2 ص 501-505 نقلا عن المعسول ج 6 ص 111-115.

(7) لقد كان المتكي والكندافي والكلاوي والعيادي الرحماني يحكمون الأطلس وضواحيه مدة الحرب العالمية الاولى (1914-1918) فلقبوا بأمراء الأطلس"Seigneurs de l'Atlas" . وقد اعترف أحد أعوان ليوطي Woldemi d'Ormesson أنه لو أظهر هؤلاء أدنى مقاومة في وجه الجيش الفرنسي لما تردد في الرجوع الى الوراء لعدم قدرته على الوقوف في وجه جيوشهم القوية. وقد كانت قبيلة كلاوة تحتل جبل تلوات وتيزين تشكا وكندافة جبل تنزنتيست ومتوكة جبل سيدي معاشو. وبذلك كانت هذه القبائل القوية تتحكم في الأطلس الكبير.

(8) عن الشيخ ماء العينين والمجاهد مولاي أحمد الهيبة الخبير بدروب الحرب والحذق في اساليبها وطرائقها، انظر : "المعسول" للمختار السوسي ج : 4 ؛ "والاعلام" للمراكشي ج : 2، وثورة الهيبة بن ماء العينين لابراهيم كريدية. و Abdallah Laraoui : Ahmed El Hiba le Memorial du Maroc T : 5

(9) كانت ثورة الروجي (نسبة لقبيلة رواكة) بوحمارة الجيلالي اليوسفي الزرهوني بالمنطقة الشرقية أخطر حركة ثورية تعرض لها المولى عبد العزيز في المرحلة الاولى من حكمه. ولكن لما وقف الروجي على أبواب مدينة فاس (قادما من قلعة سلوان بقلب الريف) معززا بأسلحة فرنسية مستوردة من الجزائر، ومدعيا أنه سيدي محمد ولي عهد المولى الحسن الأول، تمكن المولى عبد الحفيظ من القبض عليه بتازة سنة 1909م والطواف به في قفصه المشهور، تم اعدامه رميا بالرصاص واحراقه حسب شهادة المرحوم المختار السوسي في كتابه "حول مائدة الغداء" (ص 62-63). وقيل انه سجن تم رمي به للسباع لافتراسه. وكان بوحمارة قد اتخذ لنفسه حكومة كان وزير خارجيتها فرنسيا ووزير حربيتها ضابط صف جزائري (عبد الملك بن الامير عبد القادر الجزائري). وقد تمكن من الوصول الى ما وصل اليه من قوة (680 فارس و2600 راجل) لان قيادة الجيش المخزني أسندت إلى أشخاص ليست لهم دراسة كافية بفنون الحرب كما يقال.

ولما كان يدعي قبل عهد المولى عبد الحفيظ انه المولى محمد اخ المولى عبد العزيز القاطن بمكناس ارسل اليه السلطان المولى عبد العزيز "حركتين". فانهزمتا أمام قواته وأصبح واقفا على مدينة فاس. فتدخل الجيش النظامي وانقض عليه واسترجع منه مدينة تازة. لكنه استردها من جديد بعدما تحالف مع الريسوني الذي ثار في ناحية طنجة، ومع الجزائري الأصل بوعمامة (السالف الذكر) الذي كان محاصراً لمدينة وجدة قبل تواطئه مع الفرنسيين. ولما تبوأ المولى عبد الحفيظ العرش المغربي تصدى له وفتك به. واذا كان ج التهامي الكلاوي قد استطاع القضاء على الثائر «موحى نيفروتن» في العهد الحفيظي فان المدني الكلاوي الذي شارك في الحملة العسكرية ضد بوحمارة لم ينتصر فيها في عهد السلطان المولى عبد العزيز - وذلك لعدم تلقي العون العسكري في ابانه وبقي محصوروا في تازة. ففر منها الى وجدة ومنها الى الجزائر وأبحر من احدى موانئها الى طنجة والتحق رفقة شقيقه التهامي بمدينة مراكش. ولما كان أول من بايع المولى عبد الحفيظ سلطانا على المغرب عينه وزيرا للحربية وعين شقيقه التهامي باشا على مدينة مراكش، وابنه محمد الكبير علافا (انظر احمد بن الشرقي حصري : ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش ج 2 ص 82-83)

وكان من اهتمامات بوحمارة تكوين «جيش نظامي وفعال». فقد ضم جيشه : فرقة للمشاة (1500 محارب مسلحين ببنادق غنموها من الجيوش المخزنية)، ورجال المدفعية (الذين توفروا على 45 مدفعا من المدى البعيد) : والخيالة (عددهم 1200 ينتمون في أغلبيتهم لقبيلة غياثة). وبهذه الجيوش واجه بوحمارة الجيوش العزيزية الموجهة ضده من فاس (1902-1903) والجيوش الفرنسية في عدة جهات. وهكذا نجده يتصدى بهذا الجيش للحملة التي قادها محمد بوشتى البغدادي الى مدينة تازة، ولحملة مولاي الكبير الذي لم يستطع تجاوز بلاد الحيانية. وقد بلغ عدد الجيوش المجتمعة ضده مايقرب من 20.000 محارب ما بين فارس وراجل. واستطاع بوحمارة هزم هذه الجيوش والاستيلاء على أسلحتها تم رحل عن مدينة تازة وتوجه الى مدينة وجدة ونواحيها. وقد استطاع مولاي عبد العزيز استرداد مدينة تازة بعد أن تخلى عن بوحمارة بعض قواده. ولما عزم بوحمارة على استرجاع نفوذه اصطدم بحملات عسكرية عزيزية معززة بالمدفعية القوية. وبدأ تقلص نفوذ بوحمارة لفائدة الجيش الفرنسي الذي احتل وجدة سنة 1907 . ولما غادر بوحمارة عاصمته سلوان استولى عليها الاسبان، وتصدى له سلطان الجهاد المولى عبد الحفيظ بجيش معزز بالكلاوة والمتوكة وكندافة وبفرقة مدفعية بقيادة الملازم الجزائري عبد الرحمان بن سيديرة وتمكن بعد ذلك من القاء القبض عليه سنة 1909م (كما سبق القول). (انظر تفاصيل هذه الاحداث بكتاب «بوحمارة من الجهاد الى التآمر» لمحمد الصغير الخلوفي ص 37 وما بعدها). (دار نشر المعرفة 1993)

(وللمزيد من المعلومات عن "بوحمارة وثورته" انظر : كتاب «كشف البيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان وأخبار مقاومته وإخوانه الريفيين لأبي حمارة» للحاج العربي الورياشي، وكتاب "اعلام المغرب العربي" لعبد الوهاب بمنصور (ص 303-405)، وكتاب ابراهيم كريدية : " ثورة بوحمارة"، وكتاب د. اسماعيل مولاي احمد العلوي : "تاريخ وجدة وأنجاد" (ج 1 فتنة بوحمارة من ص 207 الى ص 224)، وكتاب "شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي" لعكاشة برحاب، (قبائل عمالة وجدة بين المخزن والروگي (ص 341-344)، وكتاب "مولاي حفيظ سلطان الجهاد "لمصطفى العلوي (فتنة الروگي بوحمارة ص 64 وما بعدها)، و"انتحار المغرب الاقصى بيد ثواره" لمحمد الحجوي (مخطوط).

(10) عبد الكبير الفاسي : "الصحراء المغربية وامكانياتها الاقتصادية" - مجلة البينة يونيه 1962.

(11) هذا وتقول رواية أخرى أنه وقع في كمين الجيش الفرنسي في جبال آيت باعمران فانقاد واستسلم ونقل الى واد نون الى مراكش حيث وضع تحت الاقامة الاجبارية، وعندما قامت ثورة فرانكو في شمال المغرب نقل الى تندرارة في صحراء المغرب الشرقي وبقى هناك منفيا الى أن بلغ من العمر 112 سنة، وتوفي بقبيلة بني زكري في نونبر من سنة 1957 (اي سنة بعد الاستقلال) (انظر : احمد معنينو : ذكريات ومذكرات ص : 51-52)
(وقد اورد المؤلف في "مذكراته هذه فصلا عن "الحركة الجهادية ضد المستعمر" من ص 47 الى ص 60).
في هذه السنة 1908 وجهت القوات المغربية ضربة مفاجئة للمعسكر الفرنسي في بوذنيب الذي كان يتواجد فيه 4000 من الجنود الفرنسيين والسنغاليين والجزائريين وضربت الحصار حوله، وجاءت قوات فرنسية بقيادة الجنرال "اليكس" لفك الحصار ودارت حرب ضروس على ثلاثة محاور وتكبد الطرفان خسائر فادحة.

(12) جعل المولى الحسن قاسم المنصوري أحد قادة الجيش المغربي ووالد المؤرخ أحمد المذكور رئيسا على فرقة المهندسين الذين كانوا مكلفين بهندسة المدافع ورمايتها. وقد توجهت هذه الفرقة الى مدينة خنيفرة لتساعد الاطلسيين على مكافحة الدخلاء. فاستقرت بجبل "أقلال" الذي يطل على المدينة. وقد كانت مدافعها تصيب جميع طلقاتها مما جعل العدو يتكبد خسائر فادحة. (مخطوط لأحمد بن قاسم المنصوري عن تاريخ موحى أو حمو).

(13) وانظر عن هذه المعركة : G. Bernié : "Moha Ouhamou Guerrier berbère" Ed. Gauthey Casablanca 1945.
François Berger : Moha Ouhamou le Ziani (Ed. Atlas Marrakech 1929).
وكتب الجنرال كيوم وصفا رائعا لهذه المعركة الحاسمة في كتابه الذي أصدره سنة 1946 :
"Les Berbères Marocains et la Parification de l'Atlas Central (1912-130)"
وقال فيه : "لم تمن قواتنا قط في شمال افريقيا بمثل هذه الهزيمة المفجعة"
والهري : اسم قرية صغيرة تبعد عن خنيفرة بـ 12 كلم نحو الجنوب. وقد قتل خلال هذه المعركة 650 جندي من بينهم 40 ضابطا وجرح 170. واثر المعركة أنشد شاعر بربري قصيدة مطولة نوه فيها بشجاعة المحاربين اذكاء لحماسهم الديني والقومي معا اذ لم تكن الحرب قد انتهت بعد. (محمد شفيق :"التراث المجهول". مجلة الآفاق عدد 4). وكتب الضابط الفرنسي Maurice le Glay - الذي شارك في تنظيم الجيش المغربي للسلطان المولى عبد الحفيظ، وساهم في حروب الاحتلال، والذي كتب قصة "Badda fille Berbère" (1921) يصور من خلالها معاناة البربر أثناء محاربتهم للاحتلال الفرنسي - كتب وصفا دقيقا لمعركة الهري في كتابه : "Les sentiers de la guerre et de l'Amour" 1930.

وفي قصته الأولى "Badda fille berbère" أتى بذكر دور المقاومة البربرية "دو هو نعيشة" في معركة تاز يزاوت (التي وقعت بعد موقعه الهري سنة 1917) واستشهادها قبل وصولها عند البطل موحا أو حمو الزياني لإخباره بأسرار حربية عن الجيش الفرنسي الهاجم. وقد أخرت معركة الهري احتلال زيان مدة 7 سنوات. ويقول الشاعر الإماراتي د. مانع سعيد العتيبة عن مدينة خنيفرة في هذه الحقبة :

خنيفـــرة ارتضـاك العـز دارا	لانـك قلعـة الـشـرف الرفيـع
لكـم قـارعت فـي عهـد قديـم	جيـوش المعتديـن ولـم تطيـعي
وتذكر ما فعلـت بهـا فرنســا	و"بيجو" قائد الجيـش الصريـع
دم الشهداء خط كتــاب نصــر	تضـيء حروفـه مثـل الشمـوع
ليبقـى المغرب العـربي حــرا	ويسمو الموت عن عيش الخنوع

(14) وفي نونبر من سنة 1914 حاول قائد سرية خنيفرة الفرنسي الكولونيل لافيردور - دون اشعار رؤسائه - بالدخول خفية الى مركز قيادة موحى اوحمو بالهري ولكنه سرعان ما طوق بجنود الزياني وقتل هو و 30 من ضباطه وعدد كبير من جنوده وغنم الزيانيون مدافع .وكان موحا اوحمو يثير الرعب "بروحه النضالية" في كبار الجنرالات الفرنسيين الذين يقفون في وجه نضاله منهم الجنرال يوميير و"كلوديل ودرسلين" وكوليا (الفأر الأبيض).

هذا وقد استمر موحا اوحمو بعد معركة الهري في شن الهجومات في خنيفرة "وسيد الأمين" وأكلموس" و"عزم العلي" سنة 1917 وقد حقق فيها بعض الانتصارات التي شجعت المقاومين على خوض معارك أخرى خلال سنة 1920.

(15) وتقول بعض المصادر الفرنسية في هذا الموضوع :أن الجيش الفرنسي احتل مدينة خنيفرة سنة 1914 بقيادة الجنرال Hen-rys .فحاصر موحى أوحمو المدينة وقام بهجوم عنيف عليها قتل فيه 33 من الضباط و590 من الجنود الفرنسيين وغنم موحى اوحمو 8 مدافع وعشرات الرشاشات ويعد هذا الانهزام أعظم صدمة تلقتها فرنسا في تاريخها الاستعماري. ثم أعاد الجيش الفرنسي الكرة واستولى على المدينة من جديد ففر موحى اوحمو الى الجبل ومكث به الى سنة 1920 حتى لقى حتفه في إحدى المعارك في 27 مارس من سنة 1921م، ومن المعلوم ان ليوطي نفسه اضطر لتولية القيادة العسكرية سنة 1917 لمواجهة المقاومة المسلحة للأطلس المتوسط.

(16) عن جميع حركات المقاومة الزيانية ضد الجيش الفرنسي ، أنظر : كتاب :

"Les Zayens, bastillon de la Resistance Militaire Marocaine"

وكتاب الضابط الجزائري القبطان سعيد كنون: "La Montagne Babère" Edi-omnya - Rabat (1933)

(17) كتب السيد المحجوبي أحرضان في كتابه "La Masse ira" ص 102عن آيت عطا :

"Aït Atta, Saghro et la cuvette de Bougafer ou durant quarante cinq jours a été encerclée une formation de cette tribu par plus de 8000 soldats français. Trois généraux de grand renom ont conduit cette bataille : Huré , Catroux et Giraud. Bombardée et mitraillée nuit et jour sans relaché. Une epopée qui a couté aux troupes d'ocupation plus de 3000 hommes et 120 officiers dont le capitaine Bournazel, (l'homme au barnous rouge) tué le 28 fevrier 1933. Les Aït Atta du nombre de 1200 sous la conduite du magnifique "Assou ou Basselem" ont tenu malgré la mort de beaucoup de guerriers, d'enfants et de femmes. Assou a dit : "Nous nous battons tant qu'il y aura des munitions et puis avec des pierres tant qu'il y aura des bras pour les jeter".

وكتب Henri Bordaux في كتابه " Henri de Bournazel"
عن كفاح قبيلة آيت عطا قائلا :

"Deux milles fusils aux mains d'excellents tireurs, et avec eux les femmes plus enragées qu'eux-mêmes dans la volonté de la lutte, prêtes à faire le coup de feu à la place des morts et qui même devaient huer leurs hommes lorsque ceux-ci à bout de force parlèrent de se rendre". Henri Bordeaux ajoutait :" .... leurs femmes veillent à rassembler les isolés, distribuent les munitions, prennent la place des mourants et font rouler sur les assaillants d'énormes pierres qui sèment la mort jusqu'au fond de l'Oued..."

وكتب القبطان Georges Spillmenn هو الآخر كتابا عن آيت عطا بعنوان :
"Les Ait Atta du Sahara et la Pacification du Haut Dra Moncho Rabat-1936

(18) بقي عسو اوبسلام - بعد استسلامه منفيا الى أن عاد محمد الخامس رحمه الله وأطلق سراحه وعينه قائدا، واستقبله ببلدته بتازارين في شهر فبراير 1958 (آيت عطا الجنوبية باقليم ورزازات) ولما توفي في 16 غشت 1950 عن سن يناهز الثمانين عين ولده أولحاج قائدا، على أكناون الى غاية 1974.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أنه عثر مؤخراً على مخطوط (مذكرات قصة غزوة صاغرو) للسيد الطالب لحسن بن احماد بن لحسن بن موحى العزاوي المتوفى سنة 1991 . وقد واكب المؤلف التغلغل الاستعماري في واحة توات عام 1907 إلى غاية معركة صاغرو في سنة 1933 ، وكان هو من بين المشاركين فيها . ويحتوي المخطوط على تفاصيل المعركة وعلى أنواع الأسلحة التي استعملها الجيش الفرنسي مثل «البارود والأنفاط والقرطاس والطيارات والمهابلة والكور والطوبيلات والمصورات»...
وكان يقوده مهندس عسكري القبطان بورنازيل صاحب الفستان الأحمر. وكان عدد الجنود المغاربة سبعمائة رجل في هذه المعركة... زادهم الأساسي ماكانوا يكسبونه من معز وغنم وإبل وبغال وحمير... (انظر: عبد الله ستيتو : نظرة مغربية عن معركة بوغافر - جريدة العلم وغشت 1995).

(19) عن مقال لحمادي الغازي عن معركة بوغافر" (بتصرف) - العلم -27-2-1984. ولمزيد من التفاصيل ارجع الى كتاب الجنرال Georges Spilmann "Souvenirs du colonialiste" (أو المغرب من الحماية إلى الاستقلال -1955 (1912). [يعتبر هذا الجنرال من "تلامذة ج ليوطي فقد عمل إلى جانبه سنوات عديدة. كما عمل حاكما لمراكش ونواحيها ولوادي درعة أثناء مقاومة آيت عطا وشارك في اقتحام جبل صاغرو، وعمل مستشارا خاصا ليوطي أثناء حرب الريف. كما عمل مستشارا في شؤون افريقيا الشمالية لدى حكومة الجنرال دوكول المؤقتة وحكومة إدكارفور، وتولى مهام عسكرية في الجزائر والفيتنام. ترك عدة مؤلفات عن المغرب خاصة فيما يتعلق ببلاد درعة زاكورة ونواحيها، وآيت عطا والزاوية الناصيرية، ووضع تاريخا للطوائف الدينية وترك مذكرات واكبت تاريخ احتلال المغرب من لدن فرنسا. توفي سنة 1980م (بوخريص : وثيقة المطالبة بالاستقلال ص 163 - بتصرف)].

- واستجواب علي ابن عسو أو بسلام بجريدة الاتحاد الاشتراكي (25-3-90) عن ملحمة بوگافر التاريخية".

- وكتاب الكولونيل : L. Voinot
"Les Traces glorieuses des Pacificateurs du Maroc" (Ed. Charles Lavauzelle et Cie Paris 1939).

- ومقالا بعنوان : "La pacification du Jbel Saghro" بمجلة: "L'Illustration" (30 Mai 1933)

وللافادة نورد هنا باللغة الفرنسية مقالا لمولي احمد العلوي عن هذه المعركة الفاصلة، واصفا ومحللا عنوانه :

La Bataille de Bou Gafer

Les Aït Atta occupent depuis plusieurs siècles une vaste zone de steppes et de montagnes entre les derniers contreforts du Grand-Atlas et le Sahara. C'est une véritable région pré-saharienne située entre la ligne Dadès-Ferkla-Ghris au Nord, le Tafilalet et la Douara, à l'Est le Drâa inclus à l'Orient et l'Iguidi saharien au Sud.

Les Aït Atta forment une vaste confédération constituée de cinq Khoums (ou cinquièmes) : Aït Ouallal, Aït Ounir, Aït Ouahlim, Aït Yasfoul, Aït Alouane, Aït Jazza, Aït Khalifa, Aït El Fersi, Aït Ounebegui, (Aït Khabbach, Aït Omlasf).

Les partisans Aït Atta ont opposé à l'armée français la résistance la plus longue, la plus acharnée et la plus opiniâtre et se sont illustrés, en février-mars 1933 à la mémorable bataille de Bou Gafer, sous le commandement de leur prestigieux chef, Assou ou Bassallam qui, à une lettre des autorités français, lui demandant en 1930 de cesser ses attaques, fit la réponse suivante : que celui qui a rédigé cette lettre vienne chercher ici, la réponse".

Après avoir résisté dans leurs villages de Taouz, de Mecissi, d'Alnif, de Tazarine, d'Imiter, de Nekob, les Aït Atta s'étaient partagés en trois fractions, La plus importante se retrancha dans le massif du Sorgho à Bou Gafer, les deux autres au Jebel Baddou et à Goulimine.

La bataille de Bou Gafer dura du 12 février au 23 mars 1933 et se déroula en deux phases, l'une du 12 février au 1er mars, l'autre du 1er mars au 24 mars.

Au cours de la première période, toutes les attaques français sous le haut commandement du général A. Huré, sont repoussées malgré les nombreux effectifs engagés et l'utilisation de l'aviation et de l'artillerie alors que les Aït Atta ne disposaient que de 1.000 fusils artisanaux (bouchfer).

Devant cet échec, le général A. Huré écrit dans son livre (la Pacification du Maroc, p. 110 : "Faut-il essayer de venir à bout de nos adversaires par la famine et par la soif ? Ce furent des considérations d'ordre moral qui emportèrent ma décision. L'interdiction des points d'eau et le blocus se traduisaient tous les jours par des luttes à l'arme blanche, entre nos goumiers et les dissidents chargés de la corvée d'eau.

"Faire le blocus, c'était faire la guerre aux femmes et aux enfants, ce qui n'était pas dans les traditions de l'armée d'Afrique".

Pourtant pour venir à bout de la résistance des Aït Atta, le général Huré n'hésita pas à violer ces "traditions" et à faire la guerre aux femmes et aux enfants. "Pour amener à la soumission les défenseurs de Bou Gafer, écrit le général Huré (page 114 du même livre), "je prends le parti d'user de deux puissants moyens de pression. D'abord, un implacable investissement interdisant, d'une façon absolue toute communication des défenseurs avec l'extérieur et toute utilisation des sources auxquelles, dans les vallées de l'Abba n'Oulili et de l'Akka n'Kouta Brahim, ils essayaient encore de venir s'abrever, ensuite un bombardement sévère exercé de jour par l'artillerie, les engins d'infanteries, de l'aviation et continué sans interruption la nuit, par l'artillerie sur les quelques points d'eau existants à l'intérieur de Bou Gafer sur les pistes que les assiégés ont l'habitude de suivre sur les abris qu'ils utilisent et sur les ressemblements qui peuvent se former".

Malgré le blocus et ce déluge de feu, les partisans résistèrent jusqu'au 24 mars et ne furent réduits que par la famine et la soif. Avant de se rendre, leur chef Assou Ou Bassallam imposa au commandant français de nombreuses conditions.

Quelque temps après, Assou Ou Bassallam qui n'avait pas l'âme d'un soumis entre, de nouveau, en conflit avec les autorités français qui le destituèrent et l'exilèrent.

وتتميما للفائدة نورد هنا قائمة الضباط الفرنسيين المشاركين في معارك الأطلس المتوسط :

1- الجنرال ليوطي واضع مخطط الهجوم على خنيفرة يوم 5 أكتوبر 1914

2- الجنرال هنريس حارب سنة 1913 ضد بني مطير، بني مكيلد، كروان

3- الكولونيل مانجان الذي الحق به موحى وسعيد هزيمة نكراء سنة 1913

4- الكولونيل لافيردير الذي قتل في معركة لهري سنة 1914

5- الجنرال بويمير وحاكم ناحية مكناس الذي قتل خلال مهمة عسكرية سنة 1924.

6- الجنرال دولوسطال حاكم منطقة تادلة 7- الجنرال هوري

8- الجنرال كاترو 9- الجنرال جيرو 10- الجنرال كودو

كما قاد الجنرال "درود" هجوماته على الدارالبيضاء والجنرال فيجي على تافلالت وفجيج والجنرال داماد على الشاوية وموني على مكناس.

(20) محمد أبو يونس : "ذكرى معركة جبل بادو" - الاتحاد الاشتراكي (29-8-91)

(21) مما تجدر إشارته أن اسبانيا قبل احتلالها ايفني والساقية الحمراء سنة 1934م بقيادة الكولونيل لكاباص بدأت باحتلال الريف سنة 1912. وكان الجيش الاسباني يلقي انكسارا تلو الآخر في السنوات الأولى من حملاته العدوانية وكان أفراده يبلغون 63000 بينما كان عدد الجنود الريفيين لا يتجاوز 2000 فعند الاصطدام كان الجيش الاسباني يفر من المعركة مذعورا وتاركا وراءه كميات من الأسلحة والذخيرة وعددا كبيرا من القتلى أيضا حتى لقب الاسبانيون أنفسهم الريف المغربي بقبر الشباب الاسباني (كما سيأتي توضيحه). (عبد الكبير بن المهدي الفاسي : "الصحراء المغربية وامكانياتها الاقتصادية "- البينة - يونيه 1962). وكان الاحتلال الاسباني لإيفني من مخلفات حرب تطوان (1860) (التي أبلى فيها البلاء الحسن شباب من أهل فاس وزرهون وقبيلة الحيانية) ولكن النصر كتب فيها للجيش الإسباني لأنه كان أكثر نظاما وعدة وللمعونة البحرية التي أسدتها فرنسا لاسبانيا بعد معاهدة الصلح بينهما (كما وقع في هزيمة إسلي) لحفظ التوازن في البحر المتوسط. وكان من أهم بنود الصلح : تعديل حدود سبتة ومليلية والترخيص لرهبان الفرنسيسكان بالمقام بفاس والتنازل لاسبانيا عن قطعة من التراب المغربي تدعى "سانت كروس" لصيد الحوت (عبد الكبير الفاسي : مقال برسالة المغرب - اكتوبر 1947). ولما أعلن استقلال المغرب ورفضت اسبانيا اعترافها باستقلال ايفني وناحيتها سنة 1957 قام جيش التحرير ودخل منطقة إيفني ودارت معارك طاحنة أدت الى قتل عدد كبير من الضباط والجنود الاسبانيين.

وقد سبق لاسبانيا قبل هذه السلسلة من الاحتلالات أن احتلت مرسى الداخلة بالصحراء المغربية وسمته-"Villa Cisne-ros" سنة 1884. فقام الحسن الأول بحملتين عسكريتين داخل الصحراء المغربية ووصلت حملته الاولى الى أكلو بقبائل آيت باعمران.

(22) منذ سنة 1913 وبعد عقد الحماية - قامت معركة بين آيت باعمران والجيش الفرنسي الذي حاول احتلال منطقتهم (الجنوب المغربي وعاصمته ايفني). وقد طرده الباعمرانيون مرات عديدة الى حدود تيزنيت. وهيأت بعد ذلك فرنسا جيوشا أخرى بقيادة "حيدة مايس" المنبهي لإذلال الباعمرانيين. وقامت بينهم معركة "ايكالفن" سنة 1916 اسفرت عن انهزام جيش "حيدة" وقتله. وجهز الفرنسيون جيشا آخر بقيادة الجنرال "لاموط" (Lamoth) وقامت معركة سميت بمعركة «الجنرال لاموط» وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين في هذه المعركة الواقعة في رقبة تيزي" (إيبمغ تيزي) فأبرم اتفاق بين فرنسا وآيت باعمران يقضي بإيقاف المعارك. واحتجت اسبانيا على فرنسا لهذا الاتفاق (مع أن فرنسا هي التي ساعدت اسبانيا على احتلال مناطق الجنوب المغربي باحتلالها أقاليم سوس وورزازات وتافلالت وشمال شنكيط) وتدخل هذه المعركة في اطار المعارك التي شنتها فرنسا على قبائل آيت باعمران لربط الشمال بالجنوب (كما ربطت بين شرق المغرب وغربه عبر ممر تازة) ذلك انها لما توغلت في الصحراء المغربية وغزت الشمال المغربي لم يبق لها الا جيوب المقاومة في الاطلس الصغير وآيت باعمران إذ أن آيت باعمران كانوا يمثلون العمود الفقري في الجيوش المجاهدة ضد الحماية. فقد انخرطوا في جيوش أحمد الهيبة بن ماء العينين انطلاقا من تيزنيت الى معركة سيدي بوعثمان ضد الجنرال "مانجان" بالاضاف الى دورهم في المعارك حول تارودانت واشتوكن وإيلالن وفي معركة ايكالفن"Igalfne" ضد حيدة بن مايس ممثل المخزن.

وقد شن الجشي الفرنسي معركة لاسترداد المدافع التي غنمها آيت باعمران في معركة إيكالفن ودفنتها في بئر. وقد بيت العدو حيلة حيث أشعل النار في علف الدواب ليوهم الباعمرانيين انه أخذ في الانسحاب ولكنه اراد بذلك الاستعانة بدخان النار ليتسلق المنحدر الصعب. ولما تلاقى الجمعان "اختلط الرجال بالرجال والفرسان بالفرسان بالبارود والخناجر والمزاريف من طلوع الفجر الى عاشرة النهار" وتكبد الطرفان خسائر فادحة في الأرواح والعتاد أبرم بعدها صلح (عن هذه المعركة ومعارك آيت باعمران : انظر معركة تيزي لجهادي الحسين الباعمراني - الثقافة الشعبية بين المحلي والوطني - (ص 261-278).

وواجهت أيضا قبائل آيت باعمران الاحتلال الاسباني. ففي سنة 1934 أنزل الكولونيل الاسباني "كباص" بإيفني وأراد أن يقنع أهلها بأنها داخلة في الممتلكات الاسبانية نتيجة اتفاقية تطوان سنة 1859. وأبرم اتفاق بين اسبانيا والباعمرانيين التزمت فيه اسبانيا بالدفاع عنهم. وفي سنة 1947 - سنة خطاب طنجة - قام الباعمرينون ضد التجنيس والادماج التي عزمت عليه اسبانيا تطبيقهما بمنطقة إيفني وتشبثوا بمغربيتهم وسلطانهم محمد الخامس رحمه الله. وبقوا مع الاسبانيين في الأخذ والرد حتى جاءت أزمة 1953 فكانت منطقتهم مدرسة للوطنية وملجأ للمجاهدين ومصدرا لتزويد المقاومين بالأسلحة والعتاد. وبقي آيت باعمران يجاهدون ضد الاحتلال الاسباني- بعد الاعلان عن استقلال المغرب - حتى استقلت منطقتهم عن النفوذ الاسباني. ذلك أن أهم معركة قامت بينهم وبين الاسبانيين هي معركة "بيزري" التي استعمل فيها الباعمرينون مدافع الهون (نونبر 1957) كما اشتبك المجاهدون مع قوات الاحتلال في مركز تل برقوقت وكانت معركة حامية الوطيس انتهت باحتلال المركز من طرف المجاهدين وأسر حامية اسبانية وفي معركة تلوين استسلم الجنود الاسبانيون للمجاهدين. وقد شارك الطيران الفرنسي الطيران الاسباني في قصف المجاهدين في جبل نيموشا. ولكن رغم هذا القصف فقد استمر المجاهدون في استرجاع مراكزهم وقطع الطريق المؤدية الى إيفني. وكانت المدفعية الملكية تتدخل في المعارك لتبعد الطارات المغيرة وبذلك تمكن المجاهدون من أجلاء الجيش الاسباني عن مركز بيوتاط.

وظل الباعمرانيون يكافحون لتحرير الصحراء المغربية. وهكذا جرت بينهم وبين الاسبان معركة "العركوب" بقيادة مبارك الرامي (الذي استشهد سنة 1976 وهو يطارد عصابة ما يسمى "بالبوليساريو"، في الحكونية). كما شاركوا في معركة "تافودارت" (التي تحالفت فيها القوات الفرنسية والإسبانية) وفي معركة "الرغيوة" ضد الجيش الفرنسي. وقاموا بهجومات على مراكز إسبانية مثل تلوين وتمسوت أمرطيط وغيرها، (1957) وكبدوا الإسبان - المجهز بقوات سلاح الطيران والبحرية - خسائر فادحة في معركة الدشيرة (22 دجنبر 1957). واتسعت دائرة المعارك لتشمل المناطق الموجودة جنوب إيفني والساقية الحمراء ووادي الذهب. ولم يبق في يد الاسبان إلا العيون وإيفني مما دفع الجيش الفرنسي للتحالف مرة أخرى مع الجيش الاسباني في عملية "إيكفيون" (10 فبراير 1958) لقمع المحاربين وإعادة احتلال الصحراء. إلا أنه بعد خمسة أشهر من العراك اضطرت اسبانيا إلى إعادة إقليم طرفاية إلى المغرب المستقل في أبريل 1958 وتمت عودة إيفني إلى حظيرة الوطن سنة 1969 (اتفاقية فاس) بعد أن سبق لمحمد الخامس رحمه الله أن أعلن عن الانفراج الحاصل في إيفني لما زار مدينة مراكش سنة 1959. وكادت الصحراء أن تتحرر كليا في هذا التاريخ. (للمزيد من المعلومات يجب مراجعة كتاب المعسول للمرحوم مختار السوسي، وكتاب "أطوار الصراع مع الاستعمار في سيدي إيفني وآيت باعمران" لحسن وكاك، و"معالم كفاح آيت باعمران ضد جيوش الاحتلال" (بجريدة المحرر 27 نونبر و 4 دجنبر 1977).

(23) في يوليوز 1902 أرسل ليوطي على رأس الفرقة 14 الى عين الصفراء بالجزائر حيث كان الجنرال جونارت يخوض معارك الحدود مع المغاربة في توات وبشار وتيندوف. ولما احتل ليوطي بشار رقى الى رتبة جنرال. فقام أهالي بني يرناسن وشراقة بالدفاع عن وجدة. واحتج مولاي عبد العزيز على فرنسا بمقتضى اتفاق الجزيرة الخضراء (1907). وفي سنة 1910 قام ليوطي بحملة على بوذنيب وسفوح الاطلس المتوسط للتخفيف من حدة المقاومة بتوات وتيندوف وبشار. وكانت فرقة ليوطي من أقوى الوحدات الموجودة فيما وراء البحار. ولما اندلعت الثورة في جميع ربوع الأطلس بعد الاعلان عن الحماية أرسلت فرنسا المجندين والعتاد الحربي والمرتزقة وجنرالاتها (مثل Gouraud و Garnier و Duplessis و Henrys و Chenier و Poey Mirau و Delmas و Berian) الى المغرب لمقاومة الثائرين ضدها. فاتجه Gouraud لبوذنيب وبشار وبوعرفة وميدلت وتافلالت (1917) وقام Poey-Mirau حاكم منطقة مكناس بمساندة ناحية قصر السوق وزيز. واتجه ليوطي نحو بني وراين وزايان. واستمرت المعارك سجالا حتى سنة 1925 حيث قامت ثورة الخطابي والتي كانت من أسباب مغادرة ليوطي للمغرب في اكتوبر من سنة 1925. ("جان سيرماي" : "بحث تاريخي" - مجلة "كروكي المغرب" الفرنسية).

وقد الف ضابط فرنسي يدعى "Martin" (شغل منصب الترجمان العسكري في توات) كتابا عن المغرب عنوانه : "اربعة قرون من تاريخ المغرب" جمع فيه عددا من الوثائق المغربية والمعلومات حول هذه الصراعات الفرنسية بين الفيالق المغربية وجيش الاحتلال كما ألف جان كلود آلان كتاب "اكادير 1911" عالج في عدة قضايا تتعلق بالغزو العسكري الفرنسي والاسباني للمغرب وقضية القروض، والرخص المنجمية....

(24) كانت بداية احتلال الصحراء الشرقية من طرف القوات الفرنسية القادمة من الجزائر في بداية سنة 1900م، ودارت من أجلها معارك صاخبة منها معركة عين صالح هذه ومعركة اينغار ومسجد هدكة في إقليم تيد كلت. وكان الجيش الفرنسي معززا في هذه المعارك بالمدافع والميحاريست والخيالة الجزائريين المسلحين بالسيوف. وقد أوقع الجنود المغاربة الفرنسيين في عدة كمائن وتركوا في ساحات المعارك ما يقرب من 500 شهيد حسب المصادر الفرنسية. وفي سنة 1901 تم احتلال اقليم توات بعد أن دارت معركة طاحنة في ناحية ادرار بهذا الإقليم بين الجنرال سيرفيير الحاكم العسكري للجزائر والمجاهدين المغاربة حيث تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة بعد ان أهلكه الجوع والعطش والعياء. وهكذا تم احتلال اقليم كوررات وتيد كلت وتوات وفي شهر دجنبر من سنة 1907 م أسس أحد الشرفاء الفيلاليين يسمى مولاي الحسن (السبع) "حركة" وأعلنها حربا شعواء على الفرنسيين لاسترداد توات. وحاول الجنرال الفرنسي (Vegy) "فيجي" منعه من ذلك، وبقيت الحرب سجالا. وفي عهد المولى عبد الحفيظ انتشرت المعارك من توات الى اسمارة (1909).

(انظر التفاصيل في كتاب : مصطفى العلوي : "المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية" ج 2 الجهاد الأكبر ابتداء من ص 87... وص 165-166.

كما قاوم المجاهد عبدين الخنتي على ثلاث وجهات : التوارك وتافلالت وشنقيط.

(25) محمد بكراوي : مقاومة تافلالت للاحتلال الأجنبي في مطلع القرن 20 (1900-1908) - الملحق الثقافي للاتحاد الاشتراكي (17 غشت 1987) وفي هذه السنة 1908 أقام الجنيرال "داماد" أول استعراض عسكري فرنسي بالبيضاء. وقبل أن تتطور الامور الى هذا الحد شهدت منطقتا تافلالت وورزازات عمليات باهرة من الكفاح الوطني المسلح. وابتدأت هذه العمليات من بوذنيب (1908) مرورا بمعارك المنگوب والمعاضيد (1916)، ومعركة قدوسة "فم العمشان"، وموقعة "الرجال" بسكي (1919)، ونورة بلقاسم النجادي وحمد احمو بتالسنت (1925)، وموحا زكاغ بيني تجيت، ومعارك آيت يعقوب ببلاد آيت حديد، وحنابو بتافلالت، وأغنبو بكلميمة وتازكزاوت قرب أملشيل (1932) الى غيرها من المعارك. وهذا مادفع بالاقامة العامة الفرنسية الى انشاء ما يسمى بقوات التخوم المغربية - الجزائرية لإحكام الخناق على المقاومة المغربية. (علي شرويط : حول معركتي صاغرو - بوكافر وبادو - جريدة الاتحاد الاشتراكي (29-2-1988). ويتضمن الفصل الثاني "مواجهة قبيلة آيت عتاب للغزو الفرنسي في مرحلة الاحتلال" من كتاب " مقاومة سكان قبيلة آيت عتاب ضد الاحتلال الفرنسي (1908-1956) لعيسى العربي (مطبعة العاصمة (1995) إشارات إلى أهم المعارك أيضا التي عرفتها منطقة بني مسكين وواجهة بني ملال وسهل بني عمير وبني موسى ومنطقتا الشاوية وتادلة ودير آيت عتاب (1913-1916) وذلك كمعارك سيدي صالح والعين الزركة بني موسى، ومعارك بني ملال ومنطقة الدبر المحادية لسهل بني موسى، وواجهة هنتيفة. أزيلال، والقصبة والهري... كما يتضمن الفصل عددا من المجاهدين والمقاومين الذين برزوا في هذه المعارك أو استشهدوا فيها. مثل سيدي محا الحنصالي شيخ الزاوية الحنصالية بإقليم أزيلال (الذي هو غير أحمد الحنصالي شهيد تادلة الذي أعدمه الفرنسيون في 26 نونبر 1953). وقد قاوم سيدي محا الحنصالي الفرنسيين في دمنات وفي آيت علا قرب أزيلال (1956)، وحركات التهامي الكلاوي في المناطقة وقد كان يقود الجيش الفرنسي ضد قبيلة آيت عتاب الجنرال دولاموط.

(26) أنظر تفاصيل أخرى عن مقاومة زايد أوحماد بمجلة تاريخ المغرب عدد :5 س 14 نونبر 1994.

(27) محمد بكراوي : أضواء على العمل الوطني بمكناس - مجلة دار النيابة عدد 26-27 صيف 1990.

(28) أنظر : العياشي المريني : "صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة"، ود. عبد العزيز التمسماني خلوق : "دكالة وحركة المقاومة المغربية عشية الحماية" (العلم الثقافي).

(29) والحق ما شهدت به الاعداء يقول الجنرال كيوم (الذي قاسى الأمرين في تهدئة ثورة الأطلس (1934-1936) في كتابه :

"Les Berbères Marocaines et la Pacification de l'Atlass Central" : (de 1912 à 1933) "L'ennemi est partout et nulle port : le plus souvent est invisible. Avant qu'artilleurs et fantassins aient le temps d'imaginer un plan de feu et d'installer leurs transmissions, l'attaque se declenche avec une soudaineté decevante. En quelques instants un detachement exposé en pointe est abordé au couteau, submergé ou rejeté avant d'avoir pu esquiser la moindre resistance. Si une colonne d'effectifs insuffisents s'aventure dangereusement c'est sur toutes ses faces l'attaque en masse d'un adversaire qui toujours recherche le corps à corps dont lequel la superiorité de nos armes ne compense plus son incroyable agilité. L'assaillant se glisse instinctivement sur nos arrières pour couper la retraite. La lutte s'engage acharnée, à l'avant garde et l'arrière garde, la moindre defaillance conduit à l'extremination totale. Il sait sacrifier deliberament ses biens, sa famille et plus failement encore sa vie pour defendre sa liberté...... Nous avons parfois sur lui la superiorité du nombre, toujours celle de l'armement, mais ils connait les effets meurtriers de notre feu et aura garde de s'y exposer inutilement. Rarement il se cramponne ou sol, il a pour lui une legéreté extrême, une mobilité deconcertante tandis qu'alourdis par nos equipements, nos armes, nos numitions et embarrassés par d'interminables convois, nous offrons des cibles magnifiques à son tir ajusté." "Pour nos echecs graves, defaites ou escarmouches malheureuses allaient se chiffrer chaque fois non seulement par des pertes humains mais par des pertes d'armes et de munitions"......

ويقول ضابط آخر :

"C'est une vritable vague d'assaut qui se precipite sur le bataillon de legion et sur le Goum. L'un et l'autre executent leur repli en combattant et ripostent par plusieurs retours à la baïonnette...."

ويقول آخر في حق الفرسان المغاربة :

"Les Cavaliers berbères sont connus par leur tenacité leur courage et leurs exploits guerriers. Extrêmement rapides ils sont de redoutables adversaires........"

«ولاحظ أحد الضباط الفرنسيين في معارك الدارالبيضاء، فقال معلقا على أحد الهجومات التي قام بها المغاربة في 28 غشت 1907 ضد جيش الاحتلال:

ماذا تفعل مع هؤلاء الفرسان المندفعين (...) انهم متحمسون جدا وواثقون من شجاعتهم. فهم يتبعون تكتيكا ماهرا. وفرسانهم أسرع من فرساننا. والكوم يقاتلون متراجعين فلايصيبونهم...»

- وكتبت الجريدة الفرسية "Le journal des débats" الصادرة في 11-1-1935 قائلة بعد ان تمكن الجيش الفرنسي من اكتساح الأطلس كله : «اننا لم نسجل اسم معركة واحدة على صفحات أعلامنا، وكأننا لم نخض حربا.... مع أنه قد أريق هناك في الاطلس كثير من الدماء الفرنسية ؛ أريق كثير من أزكى الدماء الفرنسية وأنبلها»

ومما يلاحظ ان الشعر الأمازيغي كان له دور كبير في المقاومة الأطلسية حيث كان يهدف في المرحلة الممتدة من 1912 الى 1920 الى إثارة الحماسة وإلهاب الشعور الديني معززا بحب الأرض، وفي المرحلة الثانية (1920-1930) كان يعد سجلا لما أحس به المقاومون الأطلسيون من دبيب اليأس في النفوس أمام قوة العدو الجبارة (محمد شفيق : الشعر الامازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الاطلس الكبير (1912-1934) مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد 4 نونبر 1987)، ص 73 و 74.

وكتب Georges Hardy و Paul Aurés في كتابهما : "Les Grandes étapes de l'histoire du Maroc" (Mars 1921) (p.17) مامؤداه عن شجاعة البرابرة المغاربة :

Le Courage Berbère : ce que les Berbères apprécient le plus, parmi les inventions venues d'Europe, c'est certainement la poudre.
Les Berbères sont soldats dans l'âme. La guerre est pour eux un état permanent, qu'ils acceptent sans tristesse et qu'ils mêlent tout naturellement aux travaux de la paix. Ils cultivent leurs champs, élèvent des troupeaux, mais leur fusil ne les quitte pas, et le butin qui provient des combats leur apparaît comme une source de revenus aussi nécessaire que le produit des champs et des troupeaux.
A mener, depuis des siècles, cette existence batailleuse, les Berbères ont acquis de remarquables qualités militaires. Ce sont des adversaires très redoutables, que rien n'intimide, que nul effort n'arrête et qui traitent avec férocité l'ennemi vaincu.
La mort leur importe peu pouvu qu'elle soit glorieuse et qu'elle serve à sauvegarger l'indépendance de la tribu. Aussi les pires audaces leur sont familières : en face de Berbères dissidents, pas un instant de repos ou d'inattention n'est permis ; la sentinelle qui s'assoupit ne rouvre jamais les yeux.
Même les femmes sont animées de cet esprit guerrier ; au cours des combats, elles transportent les munitions et les vivres, ramassent les blessés et les morts, et, quand par hasard un homme a manqué de courage, elles l'accablent d'insultes, jettent sur ses vêtements du henné, attachent un bouchon de paille à la queue de son cheval.
Quand on a le Berbère pour ennemi, on peut le haïr, mais on n'a pas le droit de le mépriser.

(30) والجدير بالذكر أن المرأة القروية المغربية كانت تقوم بدور فعال في جل هذه الحروب حيث كانت تقوم بتموين الجنود بالطعام وتزودهم بالسلاح وتشجعهم على الصمود أمام العدو حتى ينتصر الحق على الباطل فقد لاحظ «كابريل شبارمس، في كتابه (سفارة الى المغرب) «أن البطلة البربرية التي كانت تحكم قبيلة آيت زدك الجبلية والتي تسمى رقية بنت حديد كانت تتقن الفروسية رغم بلوغها الستين. وقد هاجمت مرة تشكيلة فرنسية يقول الجنرال أزمون الوالي العام للجزائر بالنيابة عن الجنرال شاتري» ولما وقع تبادل الأسرى بين جيش حمو الزياني والجيش الفرنسي في نونبر 1921 تسلم خلالها الفرنسيون جثث موتاهم والجيش المغربي امرأتين اسيرتين :وتزخر المصادر والوثائق الاسبانية والبرتغالية بعدد من أسماء المحاربات التي شاركت في المقاومة المسلحة ضد الغزو البرتغالي والاسباني للمغرب (انظر :المرأة المغربية والمقاومة المسلحة في شماله لمغرب لغزوز حكيم ومحمد مولاطو بمجلة التعاون الوطني عدد 23 الخاص بالمرأة المغربية والمقاومة انظر كذلك كتاب عبد الحق المريني «دليل المرأة المغربية في عهد الاستقلال». ويقول J.d'Esme في كتابه : "Bournazel, l'homme rouge" عن المقاومات في معارك التحرير :

"Avec un extraordinaire courage, les femmes se glissent jusqu'aux trous d'eau bien qu'ils soient sous le feu de nos mitrailleuses. La plupart sy font tuer, mais les survivantes n'en poursuivent pas moins leur héroïque besogne de ravitailleuses. De leurs You-You stridents distribuant les munitions, prennent la place des mourants et font rouler sur les assaillants d'énormes pierres qui sèment la mort jusqu'au fond de l'oued."

(31) بلغ عدد الضحايا الفرنسيين في هذه المعارك ما بين سنة 1907 و 1935 : 27000 قتيل و 15000 جريح. وبلغ عدد المقابر للجنود الفرنسيين 300 مقبرة موزعة في المغرب. انظر :

(Le colonel L. Voinot : "Sur les traces glorieuses des Parificateurs du Maroc" Paris 1939 (p : 33)
Coutarol : "Au Maroc contre la montagne insoumise, Methodes d'action politique et militaire" - Revue d'infanterie Mars 1929.

(32) انظر في هذا الصدد :

Maurice Bernard : "les etapes de la Parification marocaine - l'Afrique française -1936
Pierre Vallerie : La pénétration Militaire au Maroc" - 1934.
Jean vial : "Le Maroc Héroïque".

واعترف المرشال ليوطي في أكتوبر 1922 « أن فرنسا ارتكبت غلطا فادحا باحتلالها المغرب لأن هذه الدولة لن تكون في يوم من الايام مملكة مستعمرة مثلما لن تكون فرنسا في يوم من الأيام مملكة إسلامية ».

(33) عبد العزيز بن عبد الله : "معلمة الصحراء" (الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية).

(34) د. محمد خير فارس : "تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب" من ص 104 الى ص 129.

(35) قصة ذلك أن فرنسا احتلت ما بين 1899 و 1900 الواحات المجاورة للجزائر كتوات وتيد كلت وكوارة، وانتزعت من المغرب سيادته على هذه الواحات بواسطة معاهدة 1901. ورغم احتجاج المخزن العزيزي استمرت فرنسا في احتلال المغرب. فاحتلت فكيك سنة 1903. ولما عين الكولونيل ليوطي قائدا عاما لمنطقة عين الصفراء في شتنبر 1903 (احتل بشار (اكتوبر 1903) وعين بني مطهر (بركنت) في يونيه 1904، ثم احتل مدينة وجدة والدارالبيضاء سنة 1907 وتوغل في منطقة الشاوية وفي نفس التواريخ شرعت اسبانيا في احتلال مناطق الجنوب المغربي كسيدي ايفني (1911) والساقية الحمراء. وبذلك أصبح المغرب مطوقا من شرقه وجنوبه (الملحق الثقافي للاتحاد الاشتراكي - 17-8-1987).

(36) انظر مذكرات محمد حسن الوزاني - حياة وجهاد وبعبارة أخرى فقد استمرت المعارك بين المغاربة والقوات الغازية الفرنسية :

بالاطلس المتوسط من سنة 1912 الى سنة 1934
وبالجنوب المغربي من سنة 1907 الى سنة 1934
وبالشرق المغربي من سنة 1912 الى سنة 1932
وتقول رواية أخرى عن المراحل التي قطعتها المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي خلال انتشاره بالمغرب :

1907 : Au lendemain de la Conférence d'Algésiras, tenue du 15 janvier au 15 Avril 1906, le Maroc était victime de plusieurs incidents visant son indépendance et sa souveraineté. La France l'attaque à partir de la côte antlantique et à travers la frontière algérienne. Elle occupe Casablanca (où elle avait envoyé un corps de débarquement) ainsi qu'une zone frontière aux confins de l'Algérie. Elle prend également le contrôle de la police à Agadir, Rabat, Essaouira et Safi.
1908-1913 : L'installation française s'affirme et s'élargit autour de bases implantées à l'Ouest et à l'Est.
Avant la signature, le 30 mars 1912, du traité du protectorat par le Sultan Moulay Hafid, les troupes françaises pénètrent à Fès le 21 juin 1911.
Le général Lyautey a été nommé commissasire-résident général de France au Maroc.
1914-1918 : Une des premières nécessités qui s'est imposée à la France a consisté à unir le Maroc Occidental au Maroc Oriental. Ce fut chose faite en mai 1914 par l'occupation de Taza. En 1917, la Moulouya a été reliée au Sud Atlas.
1919-1924 : La résistance nationale à l'envahisseur est divisée en front nord, face à la côte espagnole, front Taza-Moulouya-OUm Rebia-Moyen Atlas, front des grands caïds sur le versant sud du Grand Atlas et front sud dans la région du Tafilalet.
De 1919 à 1924, la répression française se concentre sur le front Taza-Moulouya et Oum Rebia-Moyen Atlas. En 1922, elle embrasse le Moyen Atlas. Une année plus tard, le Maroc occidental est mis en communication avec la vallée de la Moulouya.
1925-1930 : La guerre du Rif, conduite par Mohamed Ben Abdelkrim Khattabi, fut un morceau d'anthologie dédié à la bravoure. Elle ne prend fin que lorsque forces françaises et espagnoles s'allaient dans un combat inégal contre cet homme dont le courage constituait la seule arme. En juillet 1926, les troupes coloniales françaises réduisent Taza et leur progression s'accentue sur le front sud où elles occupent une région montagneuse au sud de Marrakech avant d'aborder le Grand Atlas par l'Est, à savoir à travers la vallée de l'Oued Ziz.
1931-1932 : La campagne lancée par les troupes coloniales est particulièrement féroce. Dans l'extrême sud, elle porte sur la ligne de Tata-Foum Zguid. Elle voit s'effectuer la liaison entre la région de Marrakec et celle de Bou Denib et l'occupation du Tafilalet. La dernière résistance dans le Haut Atlas est encerclée sur la face nord et sur le front sud-est. Les opératins pernnent fin avec l'hiver 1932, fixant le front d'occupation de ce que Lyautey appelait le "Maroc utile".
Ne restaient plus que deux zones de résistance, l'une dans le Grand Atlas et l'autre dans la région de l'extrême sud de delà de l'Anti-Atlas et du Djebel Sargho.

(37) الاستعمار الاسباني في المغرب 1860-1956- ترجمة عبد العزيز الوديي (ص 25-26).
وللتوسع في هذا الباب يجب الرجوع - عن تاريخ المقاومة في الأطلس المتوسط - الى "كفاء العنبر في تاريخ زيان والبربر" لمحمد بن قاسم المنصوري (م.خ.ع. بالرباط تحت رقم 946)، "الغزو الاستعماري في الأطلس المتوسط" (1913-1930) رسالة جامعية للمالكي الملكي. (كلية الآداب بالرباط).
وعن جهاد سوس : الى المعسول لمحمد المختار السوسي (ج : 4)، وعن مقاومة الشرق المغربي إلى : تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الامجاد (جزآن) لاسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي (1989). وعن مقاومة تافلالت الى المعسول (ج : 16) وعن تاريخ المقاومة بصفة عامة الى :"المغرب من المقاومة للتغلغل السلمي الى حركة التحرر الوطني (1845-1958) أطروحة جامعية للدكتور زكي مبارك. والي : "الكفاح المغربي المسلح في حلقات لمحمد المعزوزي ومولاي هاشم العلوي" (وزارة الاعلام 1987)، وعن انتفاضة قبائل وادي زم (غشت 1955) التي أسقطت طائرة قائد الجيوش الفرنسية بالمغرب ج ديفال (Duval) الى (جريدة العلم - 19 غشت 1990) وجريدة الاتحاد الاشتراكي 20 غشت 1990)؛ وعن حوادث بوفكران ومكناس الدامية بين فيالق الجيش الفرنسي مع الدرك الفرنسي والجماعات المسلحة المغربية (شتنبر 1937) انظر : «أحداث بوفكران بمكناس» لبوشتى بوعسرية. وقد عبر الشاعر المكناسي الطيب العلوي احسن تعبير عن هذه الحوادث بقوله في قصيدة :

لله في أرض المغارب جنــــة	*	سحرت قُبيلا فكرة الشعراء
فتفننت في مائها وهــوائهــا	*	نظما ونترا جلة الفصحــاء
مأوى العساكر والملوك ومن لهم	*	ذكر اذا دارت رحى البأساء
ولكم أظل عروشها أرماحهــم	*	وجرت جداولها بكل فنــاء إلى آخر القصيدة (المصدر السابق ص 222)

- ويستحسن أن يطلع الباحث في المقاومة المغربية للجيوش الفرنسية المحتلة الى البحوث الاتية :
"جوانب مغمورة من المقاومة المسلحة في جبال الأطلس المتوسط : معركتا تقا ايشعان والبقريت 1920-1921) » لمحمد بلحسن" و"مقاومة الجنوب الشرقي المغربي للاحتلال الفرنسي : بوذنيب نموذجا" لمحمد البكراوي
"ومقاومة آيت حديدو للاستعمار الفرنسي من خلال بعض الوثائق الفرنسية" لاحمد العلمي
"واستعراض وقراءة أهم وقائع وأحداث مقاومة تافلالت خلال الفترة الممتدة ما بين 1928-1933" لعبد القادر بوراس (انظر ندوة تاريخ المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في المنطقة الوسطى الجنوبية 1908-1955- كلية الاداب والعلوم الانسانية بمكناس).
- ومصطفى العلوي : الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية 1906-1936(1994) (الجهاد من فاس الى تادلة (1912) - (معارك الاطلس المتوسط) - (معارك الاطلس الكبير) - (معارك تافلالت 1908-1935)- (معارك سوس وآيت باعمران) - (ربع قرن من المعارك على طريق وجدة - فاس) - (حرب الريف)، وكتاب "ندوة المقاومة المسلحة المغربية" 1900-1934 نشر المندوبية السامية للقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير (1990)، "ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار (1904-1955)"، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير (1991)

(38) عبد القادر القادري : "ملامح الجيش المغربي" - وانظر قائمة الجنرالات الفرنسيين والاسبانيين الذين شاركوا في العمليات العسكرية بالمغرب بكتاب مصطفى العلوي «الحرب المغربية- الفرنسية الاسبانية 1906 - 1936 » المناورات الاجنبية ضد السيادة المغربية ج 4 ص 22-24.

(39) لايخفى أن الجيش المغربي (الوحدات النظامية المغربية) هو الذي ساعد الجنرال فرانكو على الانتصار على خصومه الجهوريين في الحرب الأهلية الاسبانية (1936-1939)، ذلك أنه حينما انضمت الوحدات العسكرية الاسبانية تحت لوائه وكان وقتئذ في جزر الكناري، أسرع الى المغرب ونزل بفاس وثار بقوة أغلبها من المغاربة. (متطوعون محاربون شجعهم قوادهم أصحاب النفوذ للانخراط في جيش المتمردين الاسبان). ومنها توجه الى بلاده عبر امليلية في قوارب الصيد للقضاء على خصومه (أي قبل الحرب العالمية) وقد وعد فرانكو - اذ اما نجح في خطته - أن يمنح الاستقلال الداخلي للمنطقة الشمالية، ولكنه لم يف بوعده رغم أن المغاربة كانوا في حركة غزوه لبلاده "ذرعه الحصين وسيفه البتار وقوته الضاربة" حتى ان أحد قواده الجنرال Varela صرح قائلا : "إنني افتخر بان أكون على رأس هؤلاء المحاربين الذي أستطيع أن أفتح بهم العالم". وقد احتج جلالة السلطان محمد بن يوسف رحمه الله - يقول المرحوم محمد لحسن الوزاني في مذكراته (ج 4 ص 235-236) على مشاركة الجنود المغاربة في حرب داخلية لدولة أجنبية للمغرب صلة بها. وقال جلالته رحمه الله : «إننا نشاهد بكآبة عظيمة المعارك التي تمزق شمل بلد صديق يمارس نفوذه بمقتضى معاهدات في جزء من مملكتنا. فإلى الانفعال الذي تحدثه فينا آلام رعايانا ينضاف الأسى العميق الناجم عن كون بعضهم يساقون للانغمار في حرب لا تبقى ولا تذر، وليس هذا رد لعدوان أجنبي على حكومة لنا صلة بها، بل بالعكس لصالح عمليات أبنائها الذين يحاولون قلبها" وقد أصدر رحمه الله ظهيرا يمنع المغاربة من الانخراط في جيش المتمردين الاسبانيين.

(40) وانظر في هذا المجال : «المغرب والحرب الأهلية الاسبانية-» رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ تقدم بها بوبكر بوهادي بكلية الاداب بالرباط وهي تلقي كثيرا من الأضواء على عدد المغاربة المشاركين في هذه الحرب وعملية تجنيدهم في صفوف الجيش الجمهوري الاسباني والمشاكل التي اصطدموا بها..... (انظر عرضا عن الرسالة للدكتور عبد العزيز التمسماني خلوق بمجلة دار النيابة عدد 25 - شتاء 1990).

وانظر كذلك عن عمليات تجنيد المغاربة لها الحرب (1700 نفر من نواحي جباله وغمارة والريف والناحية الشرقية) وموقف الحركة الوطنية في الشمال من تجنيد المغاربة في الحرب الأهلية الاسبانية بمجلة "الوثائق الوطنية عدد 3 - 4 (1988) و 5-6 (1990) أعداد : محمد ابن عزوز حكيم. جريدة العلم - 28-2-1983

الـــجيش المغربي بعد فرض نظام الحماية على المغرب

في سنة 1877 وصلت إلى وجدة بعثة فرنسية مؤلفة من ملازم ثاني وأربعة ضباط للصف وذلك لإعادة تنظيم القوات المغربية طبقا للاتفاق الذي أبرم بين السلطان مولاي الحسن الأول والحكومة الفرنسية[1] وفي نفس السنة أرسلت بعثة فرنسية أخرى الى مدينة مراكش. وفي سنة 1910 أخرج المولى عبد العزيز ظهيرا يقضى بإعادة النظر في شروط الانخراط في الجيش وتنظيم فرقة على أسس عصرية متينة، وأسندت هذه المهمة الى بعثة عسكرية فرنسية أخرى مؤلفة من 13 ضابطا. وبعد إعادة تنظيم القوات المغربية، أصبح عدد جنودها يناهز 2500 وقد ساعدت هذه القوات المنظمة على إعادة النظام والاستقرار في نواحي فاس.

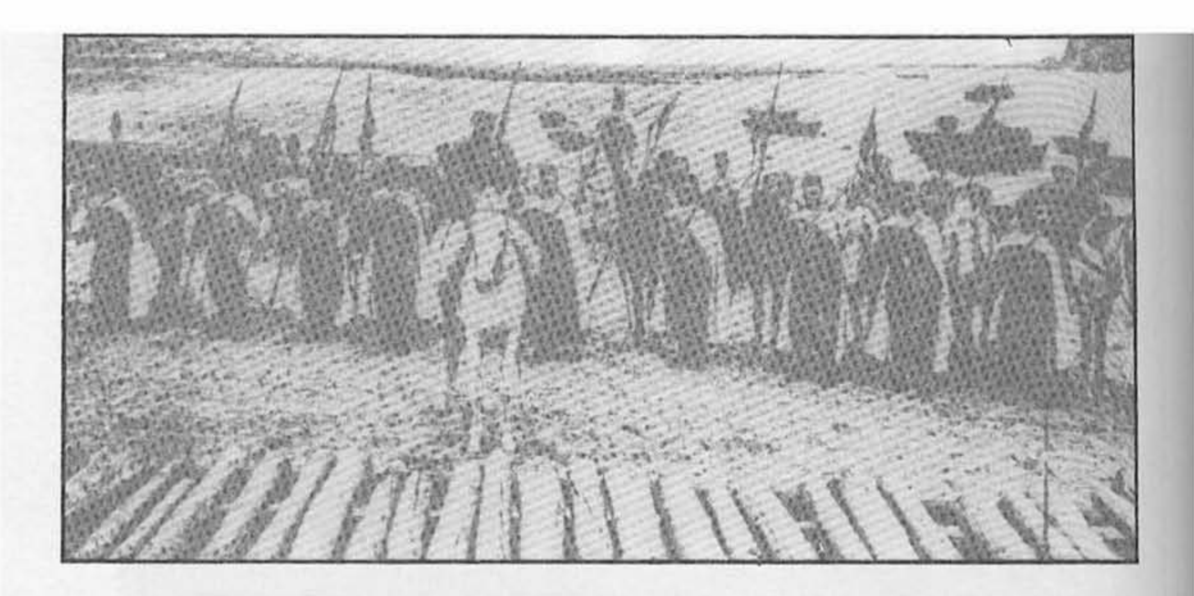
وفي سنة 1912 أصبح عدد أفراد الجيش المغربي 3200 يرابطون بفاس وصفرو والحاجب وأكوراي، وصاروا يكونون ما كان يسمى **«بالكتائب المساعدة»** وأسست لهذه الكتائب قيادة صغيرة كان مقرها مدينة الدارالبيضاء. أما أطر هذه الكتائب فكانت كما يلي :

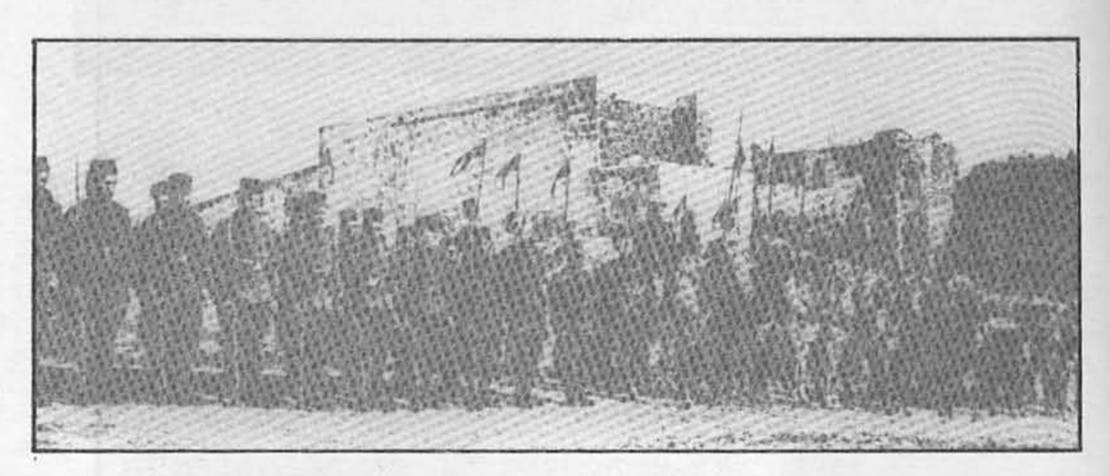
مغاربة :
- 1 خليفة
- 2 قائد المائة
- 4 المقدمين
- 17 الموانيم (Mounimes)
- 165 من الرماة

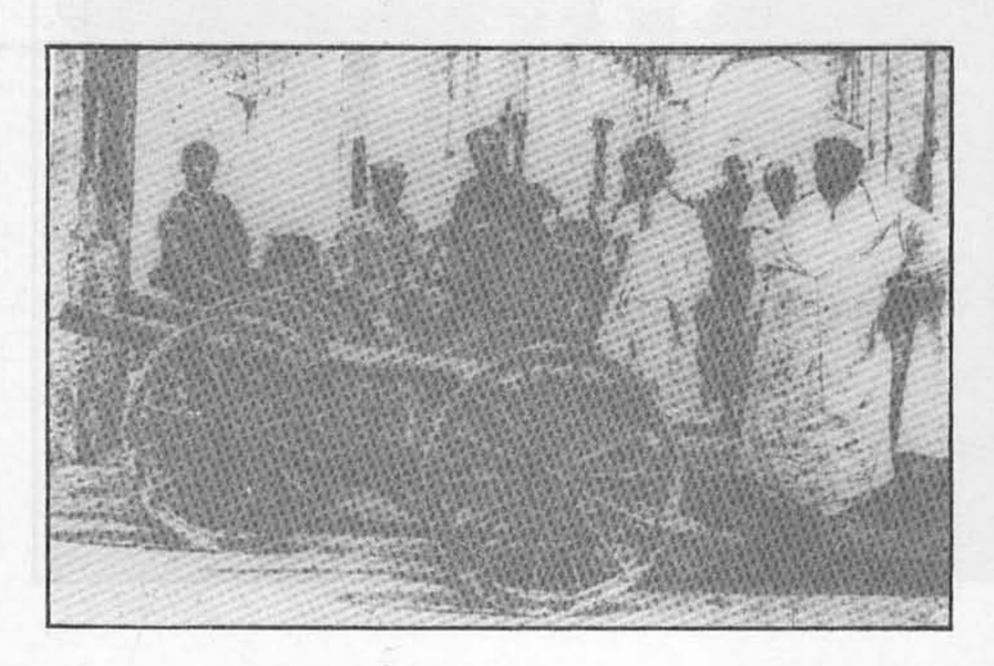
فرنسيون :
- قبطان
- ملازمان
- 4 ضباط الصف
- 6 ضباط صغار

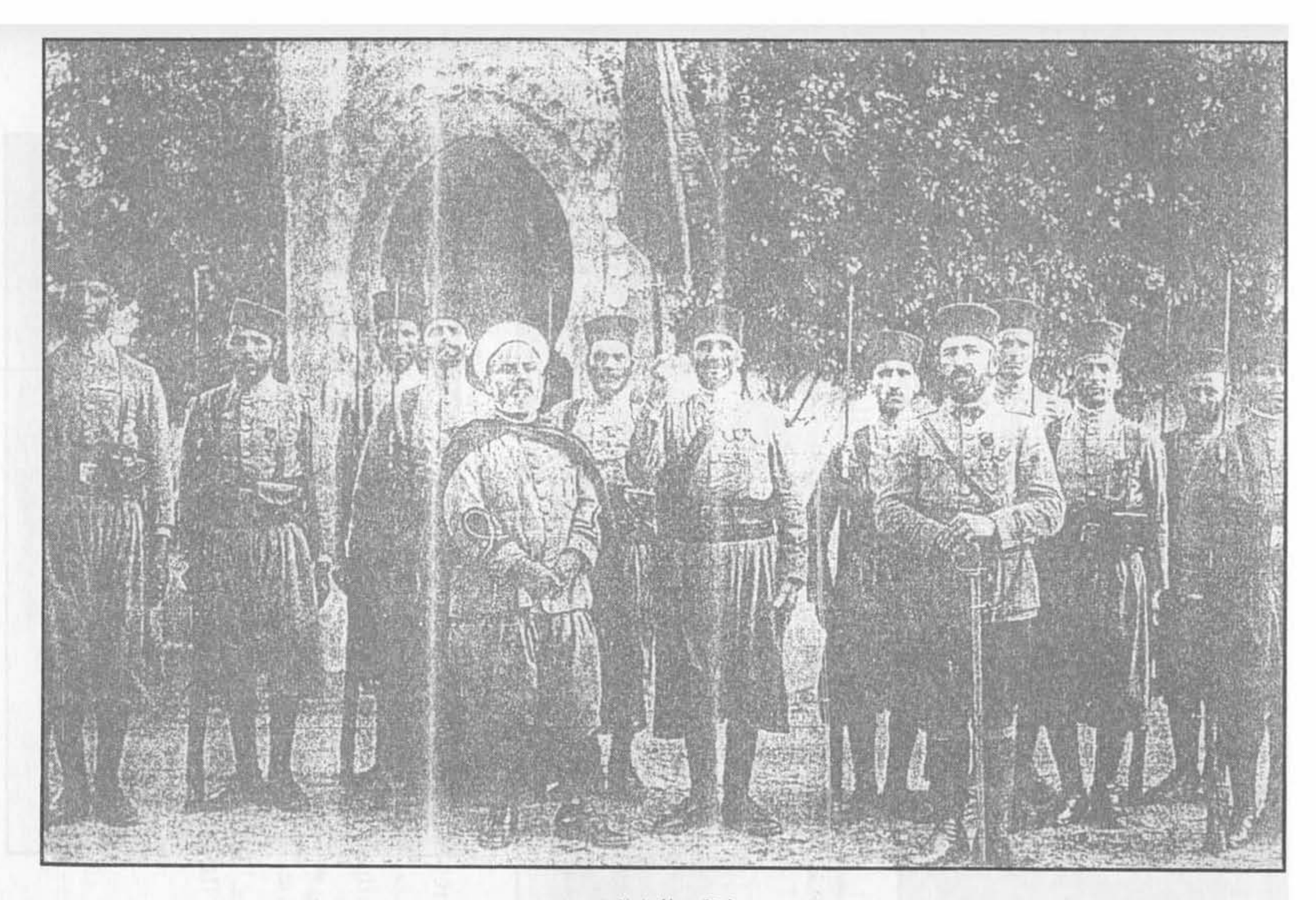
جزائريون :
- 28 من الرماة
- ضابطان للصف

ثم أسست كتيبة أخرى للخيالة وسميت «السبايس» المساعدة. وفي شهر أكتوبر من سنة 1912 أصبح الجيش المغربي يتألف من 10 فرق من المشاة و 10 كوكبات من الخيالة و 4 فرق من المدفعية للحرب الجبلية وفرقة هندسية، زيادة على فرق الحرس الملكي المكون من مشاة وخيالة ورجال المدفعية. وفي سنة 1913 نمت هذه الفرق العسكرية وتسلحت بأسلحة جديدة وصار الجيش المغربي يحتوي على 16 فرقة من المشاة و 10 كوكبات من الخيالة و4 فرق من رجال المدفعية وفرقة هندسية وفرقة لبناء السكة الحديدية. وبلغ عدد أفراد هذه الفرق 6200 جندي تحت قيادة 120 من الضباط ما بين مغاربة وفرنسيين و600 من الضباط الصغار. وفي سنة 1914 بلغ عدد الجنود المغاربة 7800 وصاروا يكونون ست كتائب مسلحة ومدربة أحسن تدريب.



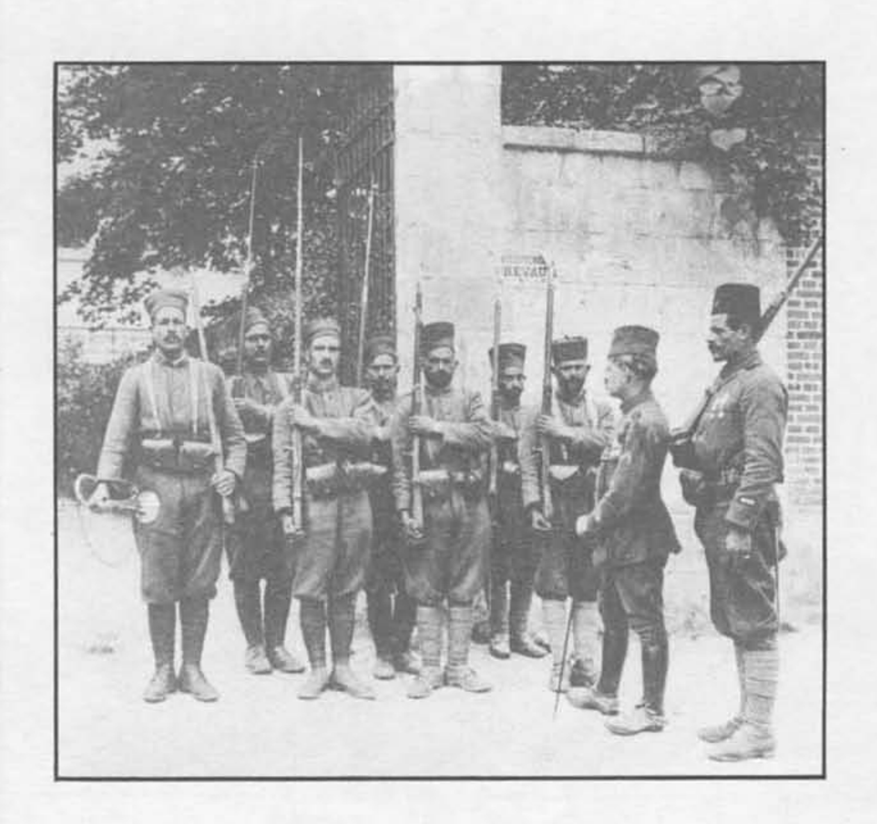






فرقة من المشاة المغاربة





رسالة مغاربة (1916)



الفوج الأول المتخرج من "المدرسة العسكرية" (الدار البيضاء) بمكناس من بينهم المرحومان الجنرال الكتاني والجنرال مولاي حفيظ


ECOLE MILITAI
DAR E

الجيش المغربي يشارك في الحرب العالمية الأولى :

من المعلوم أن الحرب العالمية الأولى وقعت بين انكلترا وفرنسا وأمريكا ثم إيطاليا من جهة وألمانيا والنامسا وتركيا (الدولة العثمانية) وبلغاريا واليابان من جهة أخرى.

وفي هذا النطاق :

توجهت خمس كتائب من الجيش المغربي (المحلات) إلى فرنسا وشرعت أولا بتحرير لامارن في سنة 1914.[2] وفي شهر ديسمبر من سنة 1914 ألحقت بهذه الكتائب كتائب أخرى جديدة من الجنود المغاربة وأصبحت كلها تحمل اسم جيش الرماة المغاربة (2500 جندي) شارك هذا الجيش العرمرم في جميع معارك الحرب العالمية الأولى[3] فخاض المعارك الصاخبة في (St Gond) وفي فردان Verdun سنة 1916 وفي"Somme" وفي"Eparges" وفي Chemin des dames (1917) وفي"Champagne"(1925)، وأبدى بطولة منفردة بقيادة الجنرال"Joffre" في استرجاع حصني «بو» و «رومون» حيث اكتسح خطوط الدفاع وأرغم الألمان على الانسحاب[4] . كما شاركت كتيبة الخيالة المغاربة (السبايس) مشاركة فعالة في معارك أوربا الوسطى حيث انتصرت في معركة ازكيب Uskub بالبلقان سنة 1918، ومن البلقان اتجهت الى بيدابيست ببلغاريا ثم إلى الدانيب حيث أسرت في هذه الناحية المارشال الألماني «مكانسن» وجميع أفراد قيادته بعد معركة دامية بينها وبين الجيش الألماني[5] .

وكان عدد الجنود المغاربة في هذه الحرب العالمية 25000 جندي من بينهم (2100 من الرماة و 3500 من الخيالة) ولقي 2500 جندي حتفهم فيها. وفي مدة هذه الحرب العالمية الاولى (1914-18) بقيت بالمغرب كتيبة واحدة تألفت منها فيما بعد النواة الأولى لجيش الكوم [6].

تحركات الجيش المغربي فيما بين سنة 1920 وسنة 1939 :

وفي فجر سنة 1920 أعيد تنظيم ثلاث كتائب من المشاة أرسلت واحدة منها لاحتلال البلاد الألمانية. وفي شهر مارس من نفس السنة أطلق على الفرق المغربية اسم **«كتائب الرماة المغربية»** ورقمت من 61 الى 65 وفي سنة 1934 بعثت ثلاث فرق من الرماة الى ألمانيا وفرنسا. وفي 27-1926 [7] أرسلت فرقتان من الرماة المغاربة أيضا الى سوريا للمشاركة في معارك «جبل الدروز» ثم إلى لبنان. وكان أحيانا يفر أفراد الفيلق المغربي من صفوف الجيش الفرنسي ويلتحقون بأسلحتهم بصفوف المجاهدين السوريين. وفي سنة 1928 أرسلت كتيبة من الخيالة الى قسطنطينة بتركيا. وبعد أن احتلت فرنسا جميع المناطق المغربية أرسلت سنة 1934 فرقا من الجنود المغاربة لترابط في بعض النواحي الفرنسية وتحميها من الخطر الألماني كفردان وبورك وساندى. وفي سنة 1923 أعيد تنظيم كتائب المدفعية وسلحت بمدافع من نوع 65 وذلك لتعزيز جميع اخواتها التي كانت ترابط بالشمال الإفريقي. هذا وقد قامت فرق الهندسة ما بين 1908 وسنة 1939 ببناء عدة طرق رئيسية وسكك حديدية وقناطر وكانت هذه الفرق ترابط بمدينتي القنيطرة وفاس [8]. وكان جنود الجيش المغربي في هذا التاريخ ينتمون الى جبال الأطلس المتوسط (ناحية فاس ومكناس)، والأطلس الكبير (ناحية مراكش)، وإلى زمور (الخميسات –

تدارس) والى تادلة ودكالة وسيدي بنور وعبدة والناضور والغرب وسبو... والمغرب الشرقي....

الجيش المغربي في مداكسكار (1947-1948) :

بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الأولى أرسلت أربع فرق من الرماة المغاربة الى جزيرة مداكسكار للقضاء على بعض الفتن الداخلية بين القبائل، وفعلا أعادت هذه الفرق الأمن إلى نصابه في جهات عديدة من الجزيرة وخصوصا في الجبال وعلى ضفاف الأنهر، وطول الطرق الرئيسية. ولم تقتصر مهمة الجيش المغربي على إعادة الأمن الى نصابه بل شارك أيضا في أشغال مدنية هامة : فبنى 226 كلم من الطرق المرصفة و100 من القناطر وغير ذلك.

رجال الكوم :

أسست فرق الكوم[9] في شهر نونبر من سنة 1908 بالشاوية ووزعت على الشكل الآتي:

فرقة بسيدي على أزمور.
فرقة بأولاد سعيد.
فرقة بسطات.
فرقة بقصبة بن أحمد.
فرقة بدار بوعزة. (Camp Boucheron)
فرقة بابن سليمان. (Camp Boulhaut)

وكان قائد هذه الفرق هو الكمندار(Simon) وكانت تتكون من المشاة والفرسان وكان سلاح المشاة هو «المكحلة» من طراز 86 وسلاح الفرسان هو «العوانية» والسيف. وفي سنة 1919أعيد تنظيم رجال الكوم من جديد بفاس فأصبح عددهم 820 من الرماة و 230 من الخيالة يعملون تحت امرة 174 ضابطا وقد تسلحوا ببندقيات من طراز «1886». وفي سنة 1933 ارتفع عددهم الى 6000 من الرماة و 2000 من الخيالة. وفي سنة 1933 أضيف اليهم فرق الكوم الاحتياطية (Goums Auxilliaires) التي كانت تدعى بـ:Mehallas cherefiennes

وفي سنة 1939 بلغ عدد رجال الكوم 2600 نظموا على شكل «طابورات» (طابور «الجبليين»، طابور الرماة، طابور رجال «المصفحات» و «الدبابات») . وفي سنة 1942 دخلوا ميدان الحرب ضد الألمان فوجهوا الى تونس تحت امرة الكمندار «بوايى دو لاتور» ودارت بينهم وبين الجيش الألماني معارك بجبال LaDorsale. وبعد نهاية المعارك أسروا 900 ما بين ايطاليين وألمان. وبطلب من الجنرال الأمريكي توجه فريق منهم الى ايطاليا ليحمي مؤخرة الجيش الأمريكي بـ "Palerme". وفي هذه الناحية أسر رجال الكوم 500 من الجنود الألمانيين.

وفي سنة 1943 توجهوا الى جزيرة كورسيكا لتحريرها وكانوا هم أول من دخلوا الى Bastia المنيعة في الواحدة صباحا من 4 أكتوبر.

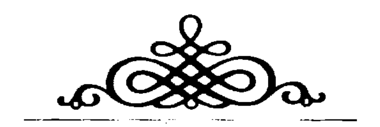
وبما أن الجيوش الأمريكية والانجليزية والفرنسية كانت لا تحسن المعارك الجبلية كجبال

Alrruzzes تقدم رجال الكوم ليخوضوا هذه المعارك النارية بالجبال الايطالية تحت قيادة الجنرال كيوم فأبلوا البلاء الحسن وتوفقوا على الجيش الألماني نفسه في خوض المعارك الجبلية وفتحوا طريق روما للجيوش المتحالفة لتدخلها سالمة غانمة.(10)

وفي شهر يونيه من سنة 1944 توجهوا الى جزيرة Elbe وحرروها من الاحتلال الالماني بقيادة «دولاتر دو تاسيني». وقد دارت بين رجال الكوم والجيش الألماني معارك دامية تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة.

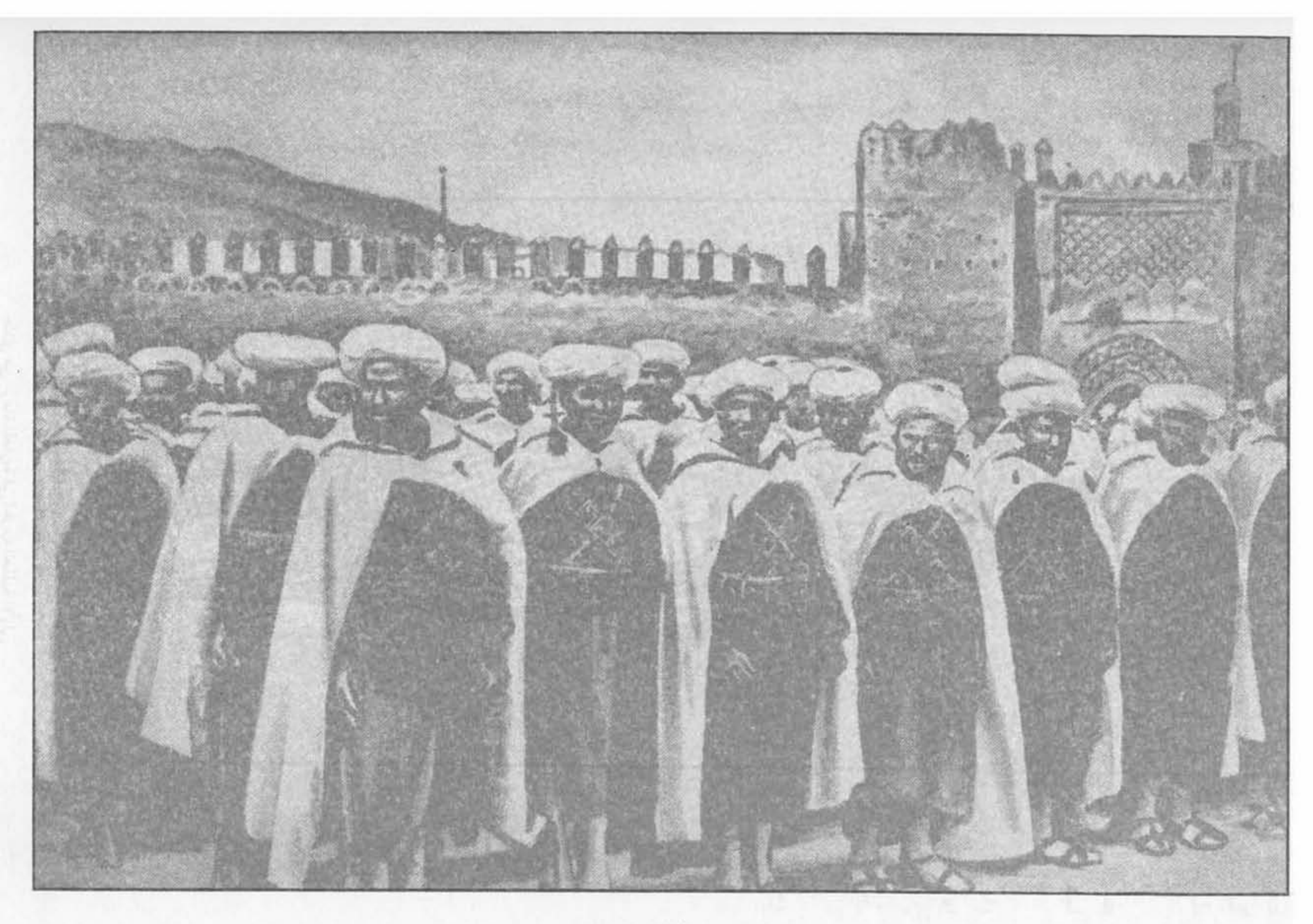
وتوجه فريق من رجال الكوم (10.000) أيضا الى مرسيليا في غشت سنة 1944 واستطاع أن يحررها تحريراً شاملا من الاحتلال النازي وأسر 1250 جنديا ألمانيا بمركز القيادة الألمانية الذي كان يوجد بـ Le Tunel de St Loupوكان من بين الأسارى جنرال و 3 «كلونيلات» و 49 من مختلف الضباط(11). وقد تركوا في ساحة القتال 700 قتيل وجريح. وبعد معارك "برينسون" (شتنبر 1944) شاركوا في معركة الفوج (أكتوبر 1944).

وقد بلغ عدد ضحايا الكوم في هذه الحرب العالمي الثانية 9200 ما بين قتلى وجرحى و 70 من المفقودين ووقع في قبضتهم ما يقرب من 3000 أسير(12).





جندي من الرماة المغاربة في الحرب العالمية الأولى



فرقة من رجال الكوم الاشاوش



وفي سنة 1956 أصبح هذا الجيش العتيد -الذي ضوخ أوروبا بمهارته الحربية وببسالته التي أصبحت مضرب الأمثال في أوساط جيوش أوروبا وأمريكا إبان الحرب العالمية الأخيرة- يكون النواة الأولى للقوات المسلحة الملكية (12 مايو 1956)[13]

الجيش المغربي في "المنطقة الخليفية" : كان الجيش في المنطقة الخليفية يشتمل على 3 وحدات :

1- النظاميون (الريغولاريس) (Regulares): وهي وحدة مغربية كانت تابعة للجيش الاسباني ومقسمة الى فرق تدعى Croupeos de Regularés بلغ عددها بعد عودتها من الحرب الأهلية الاسبانية (1936) عشرة، وهي عبارة عن فيالق للمشاة ورجال المدفعية (90 في المائة من الروافة) وأضيف إليها فيما بعد فيلق للخيالة. وقد اقتيدوا جميعا الى الأندلس سنة 1936 ليعينوا فرانكو في احباط مؤامرة العسكريين الفرنسيين[14].

2- المحلة الخليفية (Mehl-las Jalifinas) : كانت بمثابة "الجيش الخليفي" وكان يقودها ضباط مغاربة تحت امرة "الرايس" وهو ضابط من رتبة ليوتنان كولونيل. ويقوم بتدريب جنودها ضباط اسبانيون. وكان علمها مغربيا وهي تشتمل على فيلقين الأول للرماة والثاني للخيالة. (أما الحركة فكانت تطلق على تجمعات القوات المتطوعة).

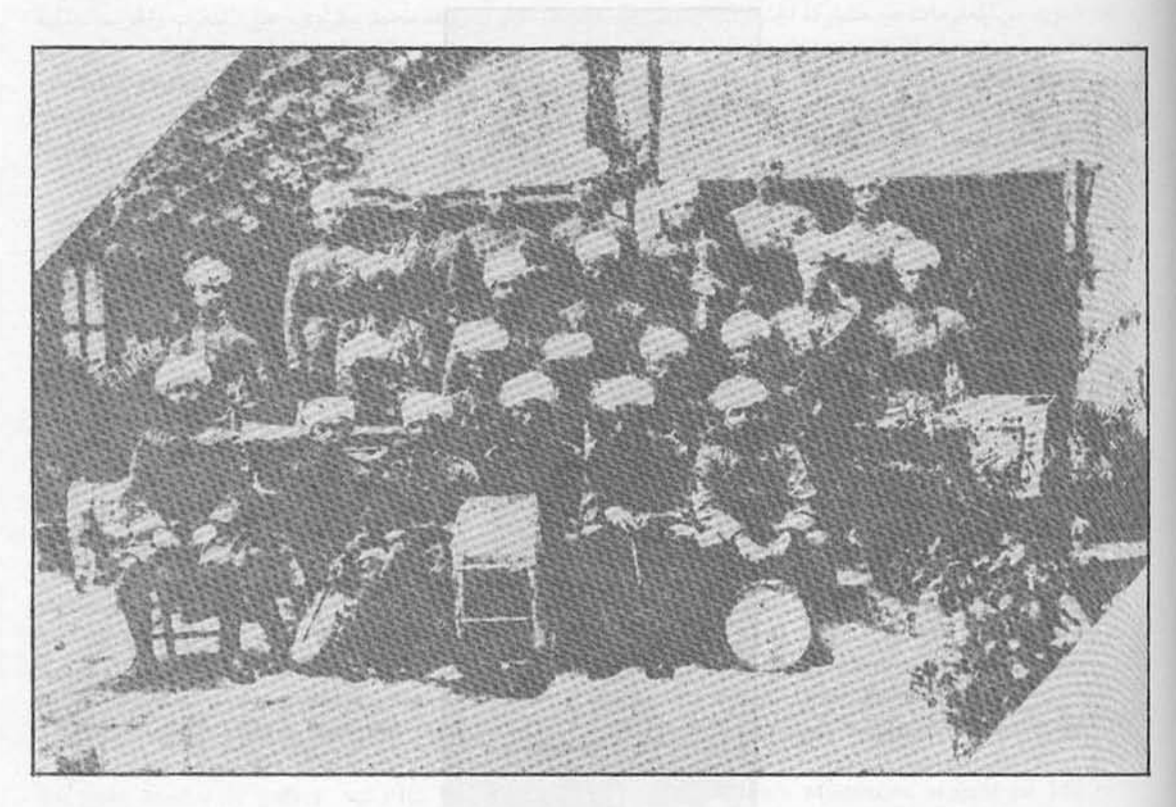
3- المخازنية المسلحون (Mejaznia Armada): كانوا يكونون فرق الدرك التابع لوزارة الداخلية الخليفية.

وكانت أهم مراكز هذه الوحدات هي : تطوان، أمليلية، سبتة، الحسيمة، العرائش، الشاون، الناضور، القصر، تاركيست.

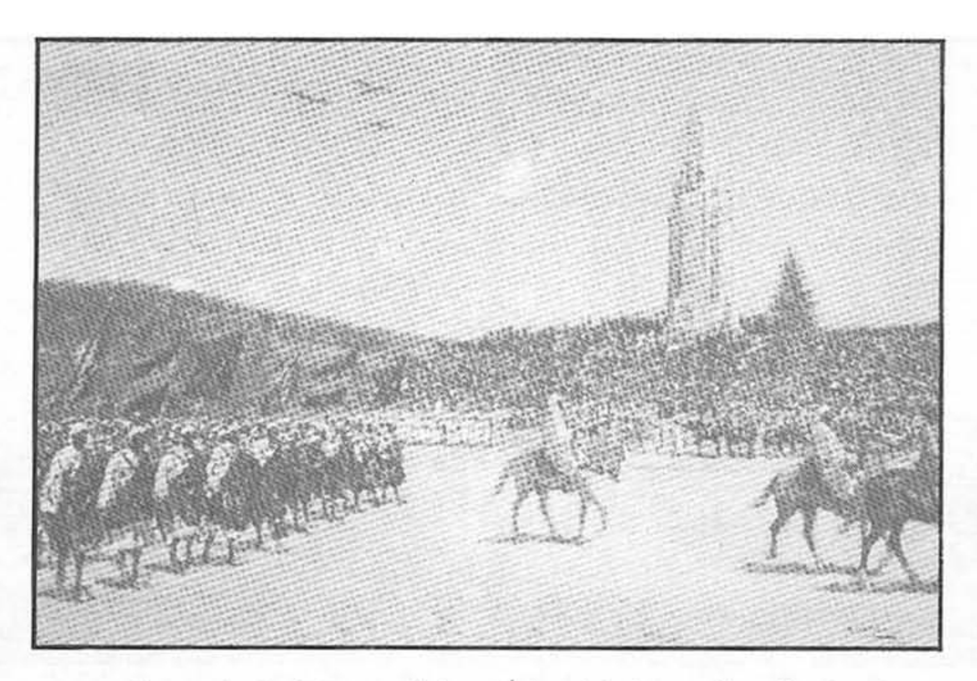
وأنشأت لخليفة السلطان محلة تدعى المحلة الخليفية "المليلية"، ألفت من عساكر البوليس الأهلي المليلي القديم وسميت بهذا الاسم سنة 1928، وجعلت في مصاف العساكر المنظمة العصرية لتفننها في العمليات الحربية. وقد شاركت في جميع العمليات والوقائع الحربية "بالمنطقة الشمالية" وقد كان لها علم خاص فيه نجمة سداسية وفي جوانبه كتبت الشهادة.



كتيبة من عساكر ريغولارس الحسيمة مؤلفة من الطلايع والبوافين والطبالين وحامل الراية على فرسه يتقدم الرئيس



موسيقى الحرس الخليفي



استعراض الجيش المغربي بإقليم كتامة قبل أيام من انطلاق ثورة فرانكو العسكرية من المغرب
اللوحة للرسام الإسباني Mariano Bertuchi



الجنرال فرانكو في المغرب سنة 1921

(1) كانت المفاوضات الأولى بين المخزن والحكومة الفرنسية تجري في موضوع الإصلاح العسكري فكان يمثل الجانب المغربي وزير الخارجية عبد الكريم بنسليمان والجانب الفرنسي مبعوث الحكومة الفرنسية «تاباندييه» وقد أعلن ابن سليمان أن المغرب لا يقبل الا وجود 4 طوابير مسلحه في وجدة وطنجة تشمل المشاة والمدفعية والخيالة، ولا يسمح لهذه الطوابير بالتوجه الى الصويرة أو تطوان كما لا يوافق إلا على وجود ضابط فرنسي مدرب لكل طابور وضباط وكلاء جزائريين، وعلى إنشاء مدرسة عسكرية في إحدى مدن الشاطئ. ولكن هذه المفاوضات لم تنجح نظرا لكون المخزن اشترط على المدربين الفرنسيين أن ينسحبوا من كل مدينة ترسل اليها فرقة نظامية.

وبعد إعلان عقد الحماية ألغي منصف "العلاف"، وغداة حوادث فاس حل الجنرال ليوطي الطوابير المغربية وأعاد تأليف قوة مغربية بصورة قطعات ملحقة بالقوات الفرنسية وضعت تحت إمرة المقيم العام. وفي سنة 1923 صار لهذه القطعات نظام محدد ودخلت بمقتضى قانون 13 فبراير 1923 باستثناء "الحرس الشريفي" والسرية المساعدة في طنجة ضمن إطار الجيش الفرنسي. وأصبح للحرس السلطاني استقلال ذاتي ووضع تحت إشراف المقيم العام. (A. Michel : Traité du Contentieux au Maroc p.52-53 ود. محمد خير فارس : تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب ص 202).

(2) " Lorsque avait eclaté la première Guerre Mondiale en Août 1914, le Maroc s'était rangé sans hésiter aux côtés des Alliés. Le sang de nos tirailleurs coula sur les champs de bataille de la Marne, de Verdun. "Ils se battirent ecrira de Rabat le général Lyautey à Milherand ministre de la guerre, le 11 Juin 1914 avec une bravoure incomparable. Ils ont dépassé toutes les esperances...." (Sa Majesté Hassan II : Le Defi p : 19-20)

وقد يعد القتلى من المغاربة في معارك لامارن بالالاف حتى قيل في ذلك الوقت في " Soissons دفن المغرب راسو".

هذا وتعود اللقاءات الأولى بين المغرب وفرنسا على ساحة المعركة إلى أكثر من قرن وبالضبط في القرم سنة 1854م.

(3) "كان المغرب من جملة الأسباب التي دعت ألمانيا لإشهار الحرب على فرنسا فارتأى الفرنسيون أن يرسلوا الجنود المغاربة إلى فرنسا حيث أن مسألة مصير المغرب لا تفصل بالمغرب نفسه بل في "اللورين" هناك. وكان ما أرسله الفرنسيون في أول الأمر 40 فرقة من الرماة و 40 كوكبة من الخيالة التي كان لها الحظ الأكبر في المعارك الأولى" (عن ترجمة مخطوطة لمقال كتبه الوزير الفرنسي "لويز بارتو" لمجلة فرنسية توجد بخزانة السيد زين العابدين الكتاني)

(4) للمزيد من المعلومات عن مشاركة الجنود المغاربة في هذه الحرب، انظر أطروحة محمد بكراوي، عن "المغرب والحرب العالمية الاولى" (Le Maroc et la Première guerre Mondiale) بجامعة Aix En Provence (شتنبر 1988) وخصوصا الفصل الثالث منها. وما جاء فيه : "إن الجنود المغاربة شاركوا في جميع المعارك أكثر ضراوة مثل (لامارن) وعاشوا قساوة البرد والحرمان في الخنادق وأبانوا عن شجاعة نادرة اعترف لهم بها خصومهم الألمان. كما قتل عدد كبير منهم بسبب وجودهم دائما في الخطوط الأمامية، كما أنهم اكتسبوا تجربة عسكرية بالغة الأهمية أهلتهم لاستعمال الاسلحة المتطورة والتكييف مع النظام العسكري الحديث (مجلة دار النيابة شتاء 1989).

ويقول أحد قادة الجنود المغاربة عن المجهود الحربي الذي بذله العسكر المغربي في هذه الحرب :

"Dès l'ordre de mobilisation, a écrit un de leurs chefs, les tirailleurs marocains partirent pour la France. Organisés en infanterie légère, toujours en route ou prêts à partir en colonne, ils abandonnèrent au Maroc leurs équipages muletiers, les animaux fétiches qui faisaient leur originalité, comme le bélier à quatre cornes de la Ire compagnie qui fièrement défilait en tête de la nouba. Leur étrangeté surprit à leur débarquement. Vêtus de toile kaki, couverts de la djellaba nationale, leurs chechs aux formes différentes suivant les unités, leur barda porté sur le dos roulé dans la toile de tente, leur teint bronzé, leurs mollets de coq, leurs grands nouaders de vieux guerriers, leurs yeux vifs aux cruels regards, leurs dents blanches, leur promptitude au rire comme à la colère, étonnaient les populations et soulevaient l'enthousiasme. Sur leur passage à Oran, à Bordeaux, à Séte et pendant les longs trajets en chemin de fer jusqu'au camp de Châlons, ils ne cessaient de répéter, accompagné de gestes suggestifs, le refrain qu'ils avaient vite appris : " Couper la tête à Guillaume."

Débarquée à Séte le 15 août 1914, la brigade marocaine est violemment engagée dès le 5 septembre à la bataille de la Marne. Héroïquement fauchée au feu, elle est réduite à un régiment d'élite. Les tirailleurs marocains - les hirondelles de la mort, comme les ont baptisés les Allemends - conquièrent immédiatement et conservent une place éminente au premier rang de nos troupes de choc.

L'Aisne, Beauséjour, Les Eparges, Souchez, Champagne, Verdun, jalonnent les étapes glorieuses de leur campagne."

En trois années de guerre, sur plus de 12000engagés, les Tirailleurs Marocains avaient eu 148 prisonniers.

(Voir : André Lichten Berger : La France au Maroc - Paris 1918 P 47-49)

ويقول مصدر فرنسي آخر :

"Les Tirailleurs marocains ne tardèrent pas à se placer au permier rang de nos troupes de choc. On les

vit dans l'Aisne, à Beausejour, aux Eparges. à Souchez. en Champagne, à Verdun, toujours ardents et prêts aux besognes heroïques.
Sur 23000qui furent envoyés en France. 4.432 sont morts ou dispaurs, 7.312 ont été blessés. Quoi de plus beau que les sept citations de leurs regimants!".

وانظر كذلك مقتطفات من مذكرات قادة الحرب العالمية الاولى جمعها أحد الصحفين الاجانب بجريدة :

le Matin du Sahara بتاريخ فاتح أكتوبر 1994

تحت عنوان : "les soldats marocains participaient à la victoire de la Marne"

- وذكر محمد بكراوي -السالف الذكر- في بحث له عن المشاركة المغربية في الحرب العالمية الأولى مامؤداه بتصرف :

منذ سنة 1911 أصبح الجيش المغربي تحت مراقبة جيوش الاحتلال وعند التوقيع على عقد الحماية أصبح الجيش المغربي تابعا للقيادة فرنسية. وفي أبريل 1912 كان عدد الجنود المغاربة 5500 اختبر منهم من هو صالح للعسكرية وكون منهم في يونيه 1912 ما دعي بـ : الفرق المغربية (les Troupes Auxiliaires Marocaines) (T.A.M) مؤطرين من طرف ضباط فرنسيين وفي يوليوز 1912 صار عدد جنود هذه الفيالق المغربية 2025 نفرا. تم بدأ ينمو باستمرار من سنة 1912 الى سنة 1914.

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى بلغ عدد جنود الجيش المغربي : 12856 نفرا، وشكلوا :

5bataillons de 20 compagnies ; 14 goumes à pied, 14 goums à cheval ; 2 sections d'artillerie ; 1 peloton du Génie:

ولما أضيف لهذه الفرق رجال المدفعية ورجال العلاجات الطبية والمخازنية والمتطوعون أصبح عدد الجنود 20.000 رجلا.

وبعد ما تدرب هؤلاء الجنود بمراكز التدريب العسكري في كل من أكادير والصويرة ومراكش وخنيفرة وتازة... قودوا الى الشاطئ المغربي لنقلهم الى بوردو و Sete بفرنسا.

Les T.M. ont ainsi constitué 2 regiments de la 2ème Birgade. commandée par le colonel Pellé, qui a formé avec la Brigade Blondlat la 1ère Division du Maroc sous les ordres du général Humber De plus, le Resident Leyautey organise avec les 11 escadrons des T.A.M. un regiment de marche de 4 escadrons de spahis Marocains "

وحمل الجميع اسم : "les chasseurs Marocains"

La Brigade Marocaine constitue l'aile droite de la 6ème armée Maunoury et elle prend une part active dans le bataille de la Marme. elle capture une compagne allemande et s'empare du village de chaudun. Les marocains se revelent d\excelents conbattants parmi les meilleurs de l'Armée française reconnait Millerand ministre de la guerre. Leur bravour a forcé l'administration de tout le monde. Ils seront uti - lisés desormais comme troupes de choc dans toutes les offensives, toujours au premier rang.

وقد ضحى الجيش المغربي في هذه المعارك الأولى فيsomme وLa Marme بأرواح عديدة حيث كان عدد رجاله 4000 لم يبق منهم صالحا للجندية سوى 400 جندي.

وفي سنة 1915 شاركت الفرق المغربية بعد تعزيزها بالآف الجنود في حرب الخنادق (Guerre des Tranchées)

فأقحمت في معارك Soissons و Artois وفي هجوم (offensive) (champagne) وفي معركة Verdun (ابريل 1916)وفي هجوم Aisne، وفي معاركCompiegne وAmiens و Artois (الى جانب الجنود الانجليز) وهضاب Curty

أما فرقة الخيالة فقد شاركت في معارك La Marne و Danube ، ثم بعثت إلى الشرق (Levant) للمشاركة في تحرير Uskud (Serbie).

وفي سنة 1917-1918 كان قد زود المغرب هذه الحرب العالمية ب 45000 من أبنائه، مات منهم في ميادين المعارك 12000 رجلا.

وبعد هذه الحرب العالمية الأولى ظهر للعالم أن المغاربة جنود شجعان ورجال حرب لا يتراجعون عن كسب المعركة مهما كانت ضراوتها. وقد شارك جل جنود المغرب العائدين الى وطنهم في حرب الريف والمقاومة الوطنية.

(Aspects de la Contribution du Maroc à la Première guerre Mondiale - Mohamed bekraoui, Memorial Germain Ayach. Publications de la Facultés lettres de Rabat n -° 32-1994)

عن مشاركة المغاربة في هذه الحرب انظر :

Colonel G.Spillman : Historique du premier regiment de tirailleurs marocains (RT 1948) 1914-1947

وكتاب : Juin A. Historique Succint du 1er R.T.M. (Paris)

(5) شاركت وحدة مغربية أيضا الى جانب وحدات أخرى من الشمال الافريقي في معارك"Les Dardanelles"

سنة 1915 بتركيا (مضيق يفصل بين بحري Egée وبحر مارمارا) وذلك للضغط على تركيا للخروج من الحرب والاتحاد مع روسيا. ولكن لم يجد شيئا. اذ كانت ألمانيا تنشر الرسائل المتعددة باسم سلطان الاستانة وتوزع ذلك بين سائر المسلمين المنخرطين في سلك الجندية تحثهم على الفرار والمحاربة تحت راية "العلم العثماني".

(6) بعد نهاية الحرب الحّ السلطان مولاي يوسف رحمه الله على الحكومة الفرنسية في وجوب مشاركة المغرب في مؤتمر الصلح مع ألمانيا (فرساي 1919) نظرا لمساهمته برجاله الى جانب الحلفاء. وقد ألح أيضا المرشال ليوطي على الحكومة الفرنسية في ذلك، فرفضت فلما بلغ الرفض لمولاي يوسف لم يسع جلالته الا أن يقبل الواقع على مضض. (قاسم الزهيري : كفاح الملوك العلويين في سبيل الكيان المغربي - نقلا عن مؤلف فرنسي معاصر - رسالة المغرب - نونبر 1951)، «فكان من حق المغرب ان يتمتع بحق المشاركة كدولة محاربة ومنتصرة ولكن فرنسا كانت تعتبر مشاركة المغرب مجرد خدمة واجبة على المغلوب للغالب». ويلاحظ القارئ أن عدد القتلى والجرحى والمفقودين يختلف باختلاف المصادر التي أتينا على ذكرها مما يدل على أن قيادة الجيش الفرنسي لم تفصح عن العدد الرسمي للقتلى والمفقودين في هذه الحرب الكونية الأولى. وعند انتهاء هذه الحرب بعث قيصر روسيا نيكولاي II إلى السلطان مولاي يوسف بواسطة قنصل روسيا بطنجة في أكتوبر 1916 وساما روسيا منبثا بالجواهر (Alexandre Neoski) . ولما تسلم السلطان الوسام بمدينة فاس طلب من القنصل أن يدفع تشكراته إلى قيصر روسيا
(T.L. Moussatov : "Russie Maroc, un passé lointain mais tant proche)

(7) في هذه السنة توجه السلطان مولاي يوسف في زيارة رسمية الى فرنسا. وبهذه المناسبة لحن ضابط فرنسي من جوقة الحرس الملكي النشيد المغربي.

(8) كاد المغرب أيضا في عهد الحماية مقسما من الناحية العسكرية الى نواحي عسكرية متعددة (كفاس ومكناس وتازة ووجدة ومراكش والبيضاء......) تحت امرة حكام عسكريين (Commandants de Regions) وكانوا تابعين مباشرة للمقيم العام الفرنسي. وكانت هذه النواحي مقسمة بدورها الى دائرات والدائرات الى مراكز تحت امرة ضباط فرنسيين تختلف مراتبهم العسكرية حسب أهمية الدائرات والمراكز ويكونون تابعين لقائد الناحية العسكرية. وبجانب المراقبين المدنيين بهذه النواحي كان يوجد أيضا ضباط الاستعلامات الذي يراقبون كل تحركات المواطنين وجميع نشاطاتهم السياسية والاقتصادية.

(9) أصل لفظة الكوم هو "القوم". (أو الجموع) كان الجزائريون يستعملونها قبل الاحتلال الفرنسي للتعبير عن الفوارس التي تنهض لحماية المداشر تم اخذها الفرنسيون عن الجزائريين وجعلوها اسما لبعض فرق الجنود.

Bien adapté au pays, bien armé, le goum se présente comme un puissant instrument de combat, léger, souple, rustique et mobile.

Le goum type a un effectif de 161 goumiers. Il comrend 3 sections d'infanterie, 1groupe de mitrailleurs, 1train de combat et 1peloton de 38cavaliers. Son encadrement français est de deux officiers et neuf sous-officiers.

Tous les goumiers sont armés du mousqueton et du sabre baionnette. L'armement collectif comprend deux mitrailleuses Hotchkiss, quatre fusils mitrailleurs (soit une par section ou peloton) et un fusil mitrailleur de réserve, spécialement affecté à l'instruction. Les 51goums mettent ainsi en ligne 102mitrailleuses et 255fusils mitrailleurs.

Une autre caractéristique de l'organisation des goums qu'il convient de signaler, est son extrême souplesse qui lui permet de s'adapter à toutes les situations.

En effet, dans les pays de plaine ou sur les plateaux propices à l'emploi de la cavalerie, le goum diminue le nombre des fantassins pour augmenter celui des cavaliers. Le goum de type A a ainsi un effectif de 145 hommes et comprend 2sections d'infanterie, 1groupe de mitrailleuses, 1train de combat et 2pelotons de 30cavaliers chacun.

En pays saharien, le goum a un effectif de 205hommes répartis en trois sections d'infanterie, 1groupe de mitrailleuses, un train de combat et un peloton méhariste de 75hommes.

Sur le front rifain, les goums sont à l'effectif de 206hommes. Ils comprennent un élément mobile fait de 3sections d'infanterie, 1groupe de mitrailleuses, un train de combat, 1peloton de 38cavaliers, et un élément fixe fait d'une section d'infanterie, disposant d'un groupe de mitrailleuses de position.

En résumé, le commandement modifie comme il l'entend le type des goums au gré des circonstances locales ou du moment à condition de rester dans la limite des crédits budgétaires alloués par le département de la Défense Nationale.

(Cne Spilimann : les Forces suppletives marocaines - Documents du Centre des hautes études administratives sur l'Afrique et l'Asie Modernes - Université de Paris n 407)

(10) من الدوافع التي دفعت بفرنسا الى تأسيس وحدة من الكوم هو تدريبهم الطبيعي على حروب الجبال (لأن أصلهم من جبال الاطلس) مما أهلهم لمحاربة الالمان بجبال الألب. وقد اكد ذلك الجنرال كيوم قائدهم في كتابه Homme de Guerre الذي ألفه سنة 1937 بقوله :

Dès le mois d'Août 1940 les Goums étaient transformés en "Mehallahs cherifiennes" [en 1941 les Allemands exigerent brutalement la dissolution des "Mehallas" ou leur integration dans l'armé de transistion au detriment des forces regulières]. Sous l'etiquette des Mehallas furent ainsi formés clendestinement des tabors de 3 ou 4 goums, puis 4 groupes de "supplétifs marocains" de 3 tabors chacun auxquels on ajoute 10 tabors supplementaires. L'entrainement des unités se poursuit en pays berbère au nord de khenifra (region montagneuse). Plus de 5000 hommes à l'issue des manoeuvres - defilent devant le général Nogués..... En 1942 les effertifs totalisent 50.000 hommes.

وعن تكتيكهم الحربي يقول Jean de chaffal في مجلة

"Revue de l'historique de l'Armée" (1957 n° : 1) : "Soudaine et enveloppante leur manoeuvre était la seule efficace. S'ils desarticulaient leurs lignes c'était pour se regrouper au loin au coeur de l'ennemi. Ils sautaient de rocher en rocher, de buisson en buisson, s'identifiant avec la nature. La nuit ils étaient dorcés d'un sixième sens , ils sentaient la chaire humaine et devinaient les assauts de l'assaillant avant de l'entendre. Le jour, plaqués au sol, ils semblaient tâcher le paysage de doigt tendu pour le mieux fouiller, puis ils s'élançaient en hurlant à la mort."

اورد P. Dugrais في تقريره : "La conditions sociale des Anciens Militaires" صورا عدة لبطولات فرق من رجال الكرم لا تتعدى أصابع اليد وفتكهم بالعدو في اشتباكات متتالية داخل المدن وخارجها مدليا بأسماء أصحابها وتواريخ هجوماتهم.

(Document du Centre des H.E. Administratives sur l'Afrique et l'Asie Modernes Université de Paris (n : 1179) bis.

(11) لما زار جلالة المغفور له محمد الخامس فرنسا في سنة (1945) توجه الى المانيا واستعرض رجال الكوم الموجودين بها قرب le lac de constance بقيادة ج دولاتر دوتاسيني

(Defilé d'oberstdorf dans les Alpes Bavaroises)

هذا وقد أقامت جمعية "أصدقاء الكوم المغاربة" بفرنسا نصبا تذكاريا (ماي 1995)) بالمدينة الألمانية Mulhouse-Bale تخليدا للمشاركة الفعالة لرجال الكرب المغاربة في تحرير جبال "Les voges" من الاحتلال الألماني النازي.

(12) انظر فصل : "الجيش المغربي يخوض معارك الحرب العالمية الثانية" في الصفحات المقبلة.

(13) القى الكولونيل "d'Aunis" - آخر قائد لرجال الكوم - يوم انفصالهم عن الجيش الفرنسي بتاريخ 9 ماي 1956 بالنخيلة نص القرار الذي يقضي بضم جيش الكوم إلى الجيش الملكي ، ومما جاء فيه :

"Les Goums marocains quittent l'armée française. Toute leur histoire est incluse entre deux dates : 1908-1956, la pacification du Maroc (1908-1934), la Tunisie (1942-1943), la Sicile (1943), la corse (1943), l'Italie (1944), l'Ile d'Elbe, la France (1944-1945) l'Allemagne (1945), l'indochine (1941-1945), l'Aurés...... Ils ont été de toutes les campagnes et peu de troupes ont cueilli, en si peu de temps autant de gloire..... leur rayonnement dans la "Pacification" du Maroc, leur fougue dans la reconquête du sol français sous l'impulsion des chefs prestigieux, leurs sacrifices en extrême Orient, ont inscrit une fulgurante epopée dans les plis de leur drapeau et de leurs fanions....."

وللمزيد من المعلومات عن رجال الكرم وتنظيمهم وتحركاتهم انظر :

"Les Forces suppletives marocaines" (n° 407) de Cne Spilimann.

"Le Retour des Goumieres au Pays" de Cne de Mareuil (n° 759) (Documents du Centre des hauts Etudes Administratives sur l'Afrique et l'Asie Modernes-Université de Paris.

وكتاب : "صولاتي" : " الكوم المغاربة"

(14) التحق فرنكوا "بالريكولاريس" يوم 15 ابريل 1913، فشارك في حملة مليلية تم في مواقع تطوان التي شن فيها الريسوني حروبه.

الجيوش الريفية المغربية
في حروبها الطاحنة ضد الجيوش الإسبانية

يقول الأستاذ محمد بن عبود في كتابه : "تاريخ المغرب" : "وقف زعماء قبائل المنطقة الشمالية في وجه الجيوش الاسبانية، وقامت حروب عظيمة بينهم وبين هذه الجيوش دامت أكثر من 18سنة. (من بينها معركة سيدي ورياش 1893[1] وقد تزعم قبائل الناحية الغربية الشريف سيدي أحمد الريسوني, وتزعم قبائل الناحية الشرقية السيد محمد أمزيان (من سنة 1909 حتى استشهد سنة 1912) تم أولاده بعده وذلك لطرد الثائر الجيلالي الزرهوني سنة 1908، وللدخول في ثورة مكشوفة ضد الاسبانيين الذين بدأوا يتطلعون الى احتلال الريف كله. وقد سقط محمد أمزيان شهيدا في معركة "كدية حامد" بقبيلة بني سيدال سنة 1912م [2].

وكانت المعارك التي دارت بين الريسوني والجيوش الاسبانية تارة قوية وتارة ضعيفة حتى أحس الريسوني بالضعف وقلة العتاد ، ففر الى جبل العلم واعتصم به، (تازورت سنة 1920). وقد القي عليه القبض في يناير سنة 1925 بتازورت وتوفي في أبريل سنة 1925 [3].

وقد أنذر السيد عبد الكريم الخطابي (والد محمد بن عبد الكريم الخطابي وقائد قبيلة بني ورياغل)[4] الاسبان بأن يكفوا عن بطشهم بسكان الريف الآمنين. ولكن الاسبان لم يعبؤوا بأنذار الخطابي. فنظم هذا الأخير جيشا من قبائل الريف وصار يخوض معركة تلو الأخرى ضد الاسبان حتي وافاه الأجل المحتوم. وقد كان الخطابي يتقاسم الزعامة في هذه المنطقة الريفية مع محمد أمزيان الذي نازل قوات الاسبان على رأس جباله وصدهم عن التوغل في التراب الوطني من قاعدة مليلية وحال بينهم وبين الاستيلاء على معادن "أوكسان"، واشتبك معهم في معارك ظافرة سنة 1909 قتل في أحداها الجنرال"Pintos"[5] .

وكانت أهم معارك القبائل الجبلية والغمارية ضد الاحتلال الاسباني هي معركة "اللوزيين" بقيادة الريسوني (15يونيه 1913) التي وقعت نتيجة خروج الجيوش الاسبانية نحو قبائل جبالة (دارابن قريش مركز قيادة المقاومة الجبلية) لاحتلالها عسكريا من مدينة تطوان بعد أن استولت القوات الاسبانية على هذه المدينة للمرة الثانية بقيادة الجنرال ألفا و(22 فبراير 1913)[6] . ومن المعارك الضارية ضد الغزو الاسباني التي شنتها فيالق المجاهدين بالشمال المغربي أيضا معركة "الغربية" بين أصيلا والعرائش التي دارت بين رجال القبائل وقوات الاحتلال الاسباني وذلك قصد وقوف هذه القبائل في وجه الاحتلال الاسباني لمثلث المحور بين تطوان - أصيلا - العرائش بقيادة ج سلفستري.

وبعد معارك متفرقة هنا وهناك امتدت من سنة 1913 الى سنة 1915 احتل الاسبان

مدينة شفشاون سنة 1920[7].

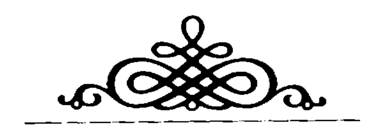
والخلاصة أن منطقة الشمال عرفت منذ التدخل الاسباني العسكري أربع انتفاضات :

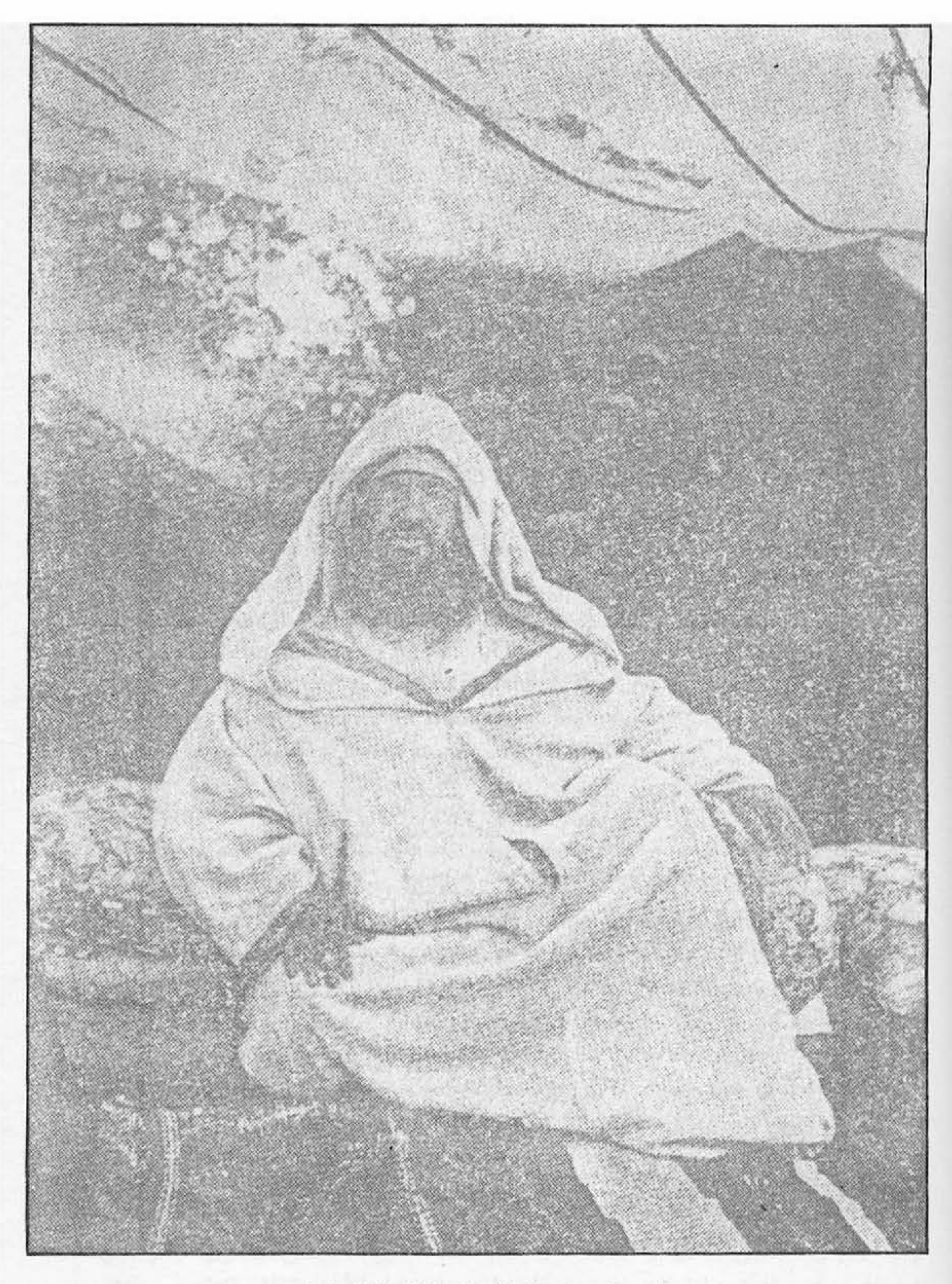
1- الحرب الريفية التي تزعمها محمد أمزيان من 9 يوليوز 1909 الى 15 ماي 1912 (ناحية الكرت بالقرب مليلية) وكان من أبرز المجاهدين في هذه المرحلة المجاهد أحمد تازية الوهابي الذي قاوم المد الاسباني بنواحي لوكوس. وقد توافدت عليه عدة قبائل للمشاركة في المقاومة.

ومن المعارك التي قادها الشريف محمد أمزيان في هذه الحقبة : معركة واد الذيب ببني أنصار قرب مليلية (27 يوليوز 1909)، ومعركة إزرون (27 دجنبر 1911)، ومعركة وكسان، ومعركة بني بوغافر. ولم يكن الجيش الإسباني يتقدم داخل التراب الوطني من امليلية دون أن يضحي بعدد من القتلى جنودا وضباطا، أمثال الجنرال سلبادور (14 أكتوبر 1912) والكولونيل فرانسيسكو كوميز (1912).

2- الحرب الجبلية الغمارية التي قادها مولاي أحمد الريسوني من 3 ماي 1913 الى يناير 1925

3- الحرب الريفية التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي من فاتح يونيه 1921 الى 27 ماي 1926 والتي سنتحدث عنها[8].





أحمد الريسوني قائد الثورة الجبلية الهبطية الغمارية

محمد بن عبد الكريم الخطابي يتسلم قيادة الجيش ويقود معارك التحرير في الريف المغربي :

عمل محمد بن عبد الكريم الخطابي على متابعة رسالة أبيه وأخذ أهبته لمتابعة الحرب التحريرية الكبرى وأعلن الحرب بصفة عملية حين هجم على مركز "بداريرا". وكان انتصاره في هذا الهجوم قوة معنوية دفعت به الى خوض معارك أخرى ضد الاسبان [9].

الاصطدام الاول :

معركة أنوال (21 يوليوز 1921)

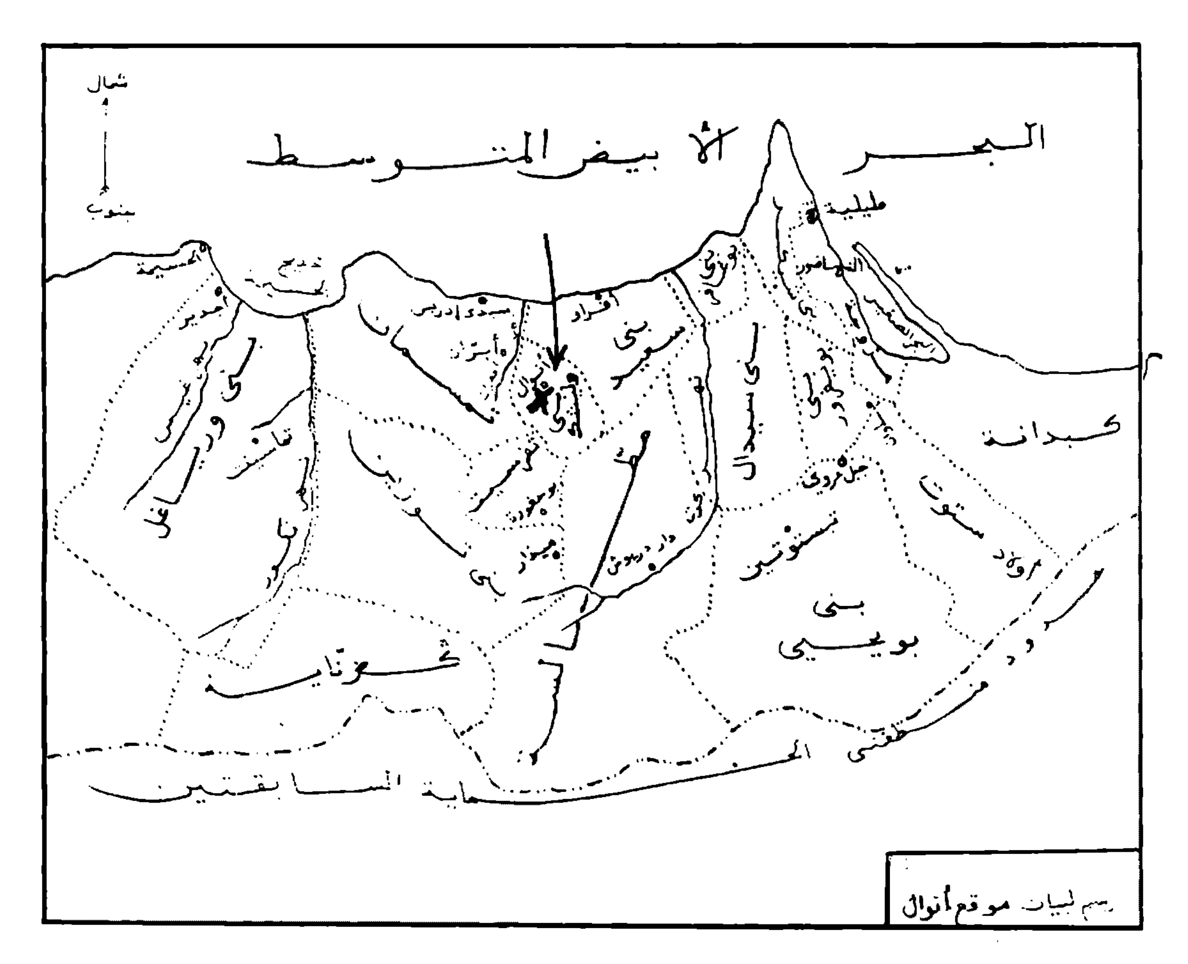
كانت الشرارة الأولى لحرب الريف العظمى هي استيلاء الريفيين بقيادة الاخوين الخطابيين على قلعة جبل أبران بعد مناوشات متعددة بين الجيشين. وقد اغتنم الريفيون في القلعة - بعد أن اقتحموها من فوق جدرانها وانقضوا على جنودها الاسبانيين بسلاحهم الابيض - 400 بندقية ومدفع "مورتر" وأربع رشاشات ومدفعا جبليا وأربع آلاف رصاصة.

ولما احتل الاسبانيون أغربين ألقى الخطابي بقواته بين الهضبة وأنوال واندفع رجاله إلى الأرض يحفرون خنادق في مواجهة أغربين. وبدأ تبادل إطلاق النار. وقامت المدفعية الاسبانية بقصف الخنادق الريفية. ولم يرد الريفيون بالمثل حتى اقترب الاسبانيون. وعندئذ أطلقوا عليهم النيران، فحدثت فجوات في صفوف الجيش الاسباني وولى الأدبار نحو أنوال الواقعة بقبيلة تمسمان[10].

فانقسم الجيش الريفي الى قوتين : طوق محمد الخطابي باحداها قرية أنوال ليلا واحتلت القوة الثانية بقيادة شقيقه امحمد الجبال المحيطة بالممر. وما أن طلع الفجر حتى كانت القوة الريفية قد احتلت المرتفعات المشرفة على الطريق. وأرسل محمد الخطابي قوة من رجاله المختارين تسربت داخل القرية. وحينما طلع النهار اختلط الحابل بالنابل وكانت المعركة صاخبة ودامية، فتراجع الاسبان (حوالي 30 ألف جندي) عن أنوال وتحول هذا الرجوع الى هزيمة منكرة حيث اضطر الجنرال "Navaro"- الذي أسر بعد هذه المعركة - إلى إخلاء جميع المراكز العسكرية بعد أن حاول الفرار الى مليلية. وتخلت بطارية من المدفعية الاسبانية عن مدافعها في جبل "عرويت". فأصبح الجيش الريفي واقفا على أبواب مليلية شرقا وأبواب تطوان غربا من فوق جبل "غرغيز" المطل على تطوان. وبعد هذا الانهزام المر الذي أصاب الجيش الاسباني (آلاف من القتلى) انتحر قائده الجنرال فيونا نونس سيلفستري (Sylvestre)[11]. وقد غنم الريفيون في مجمل هذه المعارك آلاف البندقيات العتيقة (بوحفرة) والحديثة، ومئين الرشاشات وعدة مدافع وقنابلها، زيادة على الأدوية والماكولات والخيم. كما أسروا آلافا من الأسرى[12]. وكان هدف محمد بن عبد الكريم الاساسي من هذه المعارك هو نزع هذه الأسلحة الفتاكة من يد الاسبان. وكذلك كان.



القائد محمد بن عبد الكريم الخطابي أمام مركز قيادته



رسم لبيان موقع أنوال



الجنرال الإسباني فيرنانديث سيلفيستري الذي قتل في معركة أنوال يوم 21 يوليوز 1921

ولما كان الخطابي يقود مسيرته العسكرية نحو مليلية قام باحتلال الناضور. ولما وصل الى مليلية حاصرها تم أحجم عن دخولها لافتقاره الى مدفعية الحصار. وكان احجامه هذا غلطا عسكريا فادحا اعترف فيه فيما بعد.

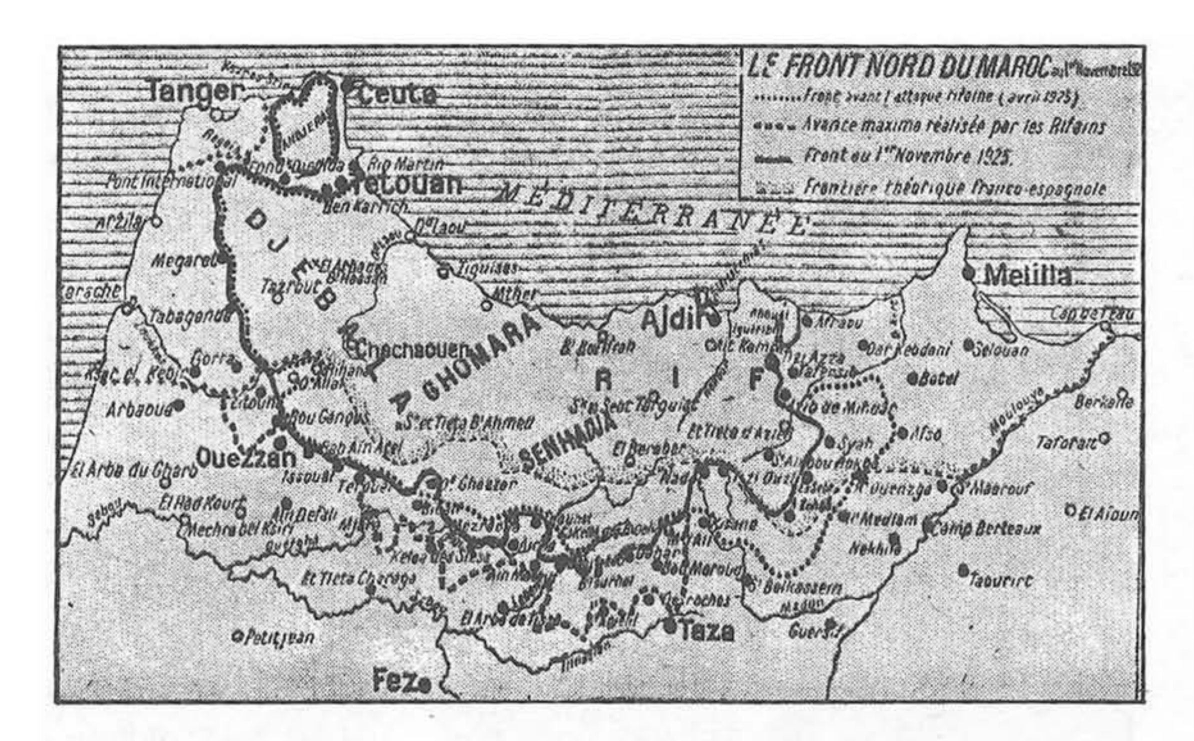
تنظيم الجيش الريفي من جديد :

أعاد محمد بن عبد الكريم الخطابي تنظيم جيشه بعد معركة أنوال، وسهر على تدريبه على استعمال الأسلحة العصرية وعلى خوض المعارك بطرقها النفعية الحديثة، وجعل للجيش إطارا خاصا، وأصبحت كل زمرة من المجندين تعمل تحت امرة قائد محلي.وقد سمى الخطابي رجال "الحركة الأصلية" - بعد معارك أبران وأنوال - نقباء وفقا لأعمارهم وخبرتهم، وجعلهم على رأس كتائب كثيرة مختلفة الأعداد، سميت بالمحلة، (ألف جندي) أو الطابور (500 جندي)، أو (المائة أو الخمسين، أو الخمس والعشرين، أو اثني عشر. وكان تحت امرة النقيب قواد المائة. وكان تحت امرة قائد الخمسين قواد "25".

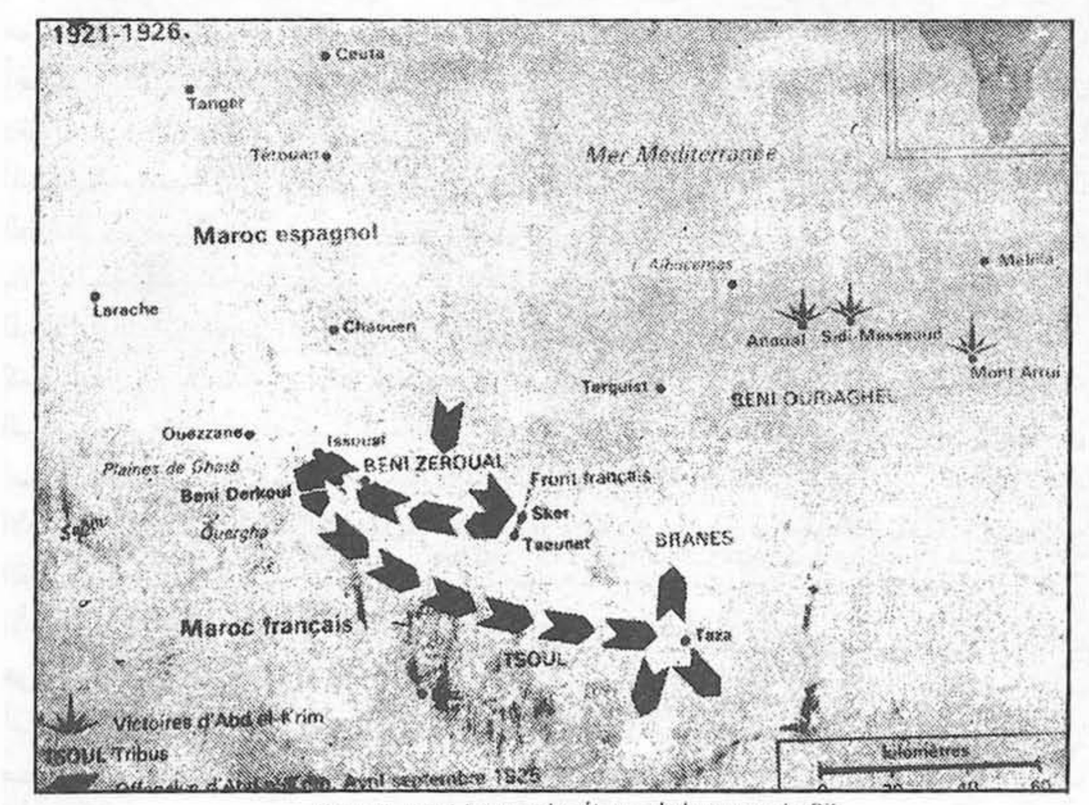
وكان جنود هذه الكتائب يبلغ سنهم ما بين 15 و 50 سنة يتم تجنيدهم في القبائل ولمدة خمسة عشر يوما في المعدل. وقد بلغ عددهم ثلاثين ألف يستعمل ما صلح منهم في الحرب ويترك الباقي كجيش احتياطي.

وقد عين القائد الخطابي محمد بودرا مسؤولا عن الدفاع، وعبد السلام الحاج موحند مسؤولا عن الشؤون الحربية، وصهره محمد حتمي مسؤولا عن التدريب العسكري بمؤازرة فنيين أجانب. وجهش جيشه بالأسلحة التي استولى عليها من الاسبان أو التي ابتاعها من فرنسا قبل دخوله في الحرب، كالرشاشات من نوع "هوتشكيس" ، والبنادق من طراز "شنيدر" والقطاع المدفعية من عيار 75م. وشكل كتيبة مدفعية ووضعها تحت قيادة محمد البرنوصي. وعين الضابط «بوحوث» الذي فر من الجيش الإسباني سنة 1921 مدربا للقوات الريفية وذلك لمعرفته بالأساليب الحربية المستعملة من طرف الاوروبيين، كما عينه أيضا ضابطا مسؤولا عن المخابرات، ليخبر القيادة الريفية بكل تحركات الجيش الاسباني ويقف على خطوطه الحربية [13] كما أنشأ فرقة للاسعاف وأسند قيادتها الى طبيب أجنبي. وأسس فرقة لتقوم بصنع المفرقعات اليدوية. وأمر بمد شبكة هاتفية تربط بين قاصي المغرب الشمالي ودانيه بقيادة شقيقه المهندس امحمد الخطابي. وقد استخدمت الأشجار والأدغال لربط بعض "الكابلات". كما اتخذ الادجودان:"KLEM" الالماني الجنسية - الذي أسلم وتزوج بريفية - كمساعد تقني له في حرب العصابات (وهو التكتيك الحربي الذي كان مستعملا في حرب الريف)، واتخذ سراديب لخزن الأسلحة. وكلف المعلم محمد التلمساني بإصلاح الأسلحة والمعدات الحربية. (وكان هذا "المعلم" هو الذي اخترع فيما بعد كورا للمدافع مسمومة من عيار 75 تقضى على الحرث والنسل، وتفر أمامها القوات الفرنسية التي كانت ترمى بقنابلها المحرقة على القرى الريفية). وعين الخطابي صديقه في الدراسة بفاس محمد ادريس بنسعيد للتفاوض مع الاسبانيين في شأن تبادل الأسرى[14].

ثم وضع الخطابي أسسا جديدة لنظام الخدمة العسكرية، و«سن قانونا يحتم التجنيد



♦ Les divers fronts et les points stratégiques du Nord qui ont servi de théâtre de bataille en 1925



Carte illustrant les grandes étapes de la guerre du Rif

الإجباري بالتناوب على القبائل، حتى تظل القوات المحاربة على استعداد دائم لا تعرف التوقف سواء تعلق الأمر بزمن الحرب أو بزمن الحصاد. »

وقد احتفظ الخطابي بالقيادة العليا للجيش الريفي وأسند الى شقيقه امحمد قيادة الجبهة الغربية وإلى اليعقوبي قيادة جبهة مليلية، كما عين أحمد هرير مساعدا له.

وقد أوجد الأمير محمد بن عبد الكريم أيضا قوة تسهر على حراسته تتألف من 600 جندي ورياغلي بضباطها ومعداتها يترأسها القائد «حديدان». وكانوا يضعون فوق رؤوسهم عمامة خضراء بينما كان رجال المدفعية يحملون عمامة سوداء. وأعد لجيشه راية هي علم أحمر قان طرز عليه نجمة بيضاء وهلال أخضر. فأصبح الجيش المغربي الريفي في سنة 1923 قوة مجهزة منظمة على حرب الغوار وقادرة على الحركة وماهرة في الرماية وبارعة في استخدام عناصر المفاجأة وحفر الخنادق. مما دفع بالجنرال الاسباني غوديل أن يصرح بقوله : "فالحرب في المغرب هي مع عدو دائم التحرك ويصعب ضبطه للقضاء عليه» وقد طبقت الصين هذا التنظيم العسكري المحكم في مراكز تكوين جنودها.

استئناف القتال :

الجيشان الفرنسي والاسباني يتحالفان ضد الجيش الريفي

تابع الجيش الريفي زحفه لاسترداد المدن التي احتلها الجيش الإسباني فاسترد مدينة شفشاون سنة 1924 بفضل مدفعيته وتقهقر الإسبان إلى تطوان وسبتة. وهاجم الخطابي من جهة أخري المراكز الإسبانية على طول وادى لكوس.

وتفصيل ذلك أنه قامت معركة "عين الحمراء" التي جرت في السهل الرابط بين شفشاون (التي احتلها الإسبان يوم 14 اكتوبر 1920) وتطوان في دجنبر من سنة 1924 وهزت أركان الحماية الإسبانية. وكان تغلغل الجيش الاسباني لاحتلال شفشاون المنيعة سنة 1920 انتحارا عسكريا حيت أحاطت بهم عند احتلال المدينة جيوش ريفية بقيادة الريسوني وقطعت عنهم جميع الامدادات. وغامرت القوات الاسبانية مغامرة أخرى - لتخفيف حدة الحصار - بدخولها الى تازروت سنة 1922. ولكن لم يكن في حسبانها قيام ثورة ريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي. فانسحبت من شفشاون والاخماس ومن قبائل غمارة لتلتقي في "دار أقوباع". وأثناء ذلك تجمعت القوات الجبلية والريفية متهيئة للهجوم المباغث. ولما حلت القوات الاسبانية بسهل "سوق الاربعاء بني حسان" انقضت القوات المغربية عليها، وكان يقودها الجنرال " كارلوس كاسترو خيرونا" (حاكم امليلية من سنة 1925 إلى سنة 1927) وكان في المؤخرة الكولونيل فرانكو "كقائد للفيف الأجنبي. وتسلل المجاهدون من المرتفعات في وسط الضباب بسلاحهم الابيض وكانت مجزرة تاريخية فقد فيها الاسبان عدة ضباط سامين وتجاوز عدد قتلاهم المآت وغرقت مدافعهم وعرباتهم في الأوحال لكثرة الأمطار فسميت معركة عين الحمراء بمعركة "خندق الموت". وقتل فيها الجنرال "سيرانو" والكولونيل "كونصالص"[15].

وإثر هزائم الاسبانيين هذه استولى الجيش الفرنسي على وادي ورغة. فغارت الجيوش

الريفية وسطت على مراكز الفرنسيين الواقعة في منطقة قبائل بني زروال (الواقعة بين الحدود الوهمية بين المنطقتين الجنوبية والشمالية). تم عبر الريفيون نهر ورغة. وأصبحت بذلك طرق تموين الجيوش الفرنسية القادمة من الجزائر مهددة بالحصار. وكانت الحرب سجالا حول المراكز الاستراتيجية كتونات وبيبان (الباب المؤدي الى فاس) وسوق الأربعاء [16]. وقد خسر الجيش الفرنسي في معاركه هذه عددا كبيرا من المدافع والبندقيات وفقد ذخيرة حربية هامة فدبر الجيش الاسباني والجيش الفرنسي خطه عسكرية للقضاء على الجيش الريفي. وبدأ الهجوم المشترك في أبريل من سنة 1925م.

ولما كانت تحركات الخطابي متجهة نحو الجنوب، قسم الجنرال "ذي شمبران" القائد العام في فاس الجيش الفرنسي إلى ثلاث فرق " بعث الفرقة الأولى إلى تازة والثانية إلى عين عيشة والثالثة الى ناحية وزان. وأمر هذه الفرق بانقاد المراكز المحاصرة الممتدة على الحدود الريفية."

وكان هم المرشال ليوطي الوحيد هو الدفاع عن تازة ومنع الخطابي من الوصول الى الشاطئ الأطلسي. ولما بدأ الخطابي يخترق خط الدفاع الفرنسي في أماكن عدة من وادي فاس وأصبحت قواته تهدد بالاستيلاء على ممر تازة، ووصلت الى عين عيشة وتسة ووقفت على أبواب عرباوة وطنجة، عزلت فرنسا المرشال ليوطي من منصبه - كمفتش عام للجيوش الفرنسية وكقائد للعمليات العسكرية - لأن خطته العسكرية لم تكن فعالة لمواجهة الهجوم الريفي، رغم أنه صرح علنيا بأن «خطر الحالة الحاضرة في الريف تتجاوز افريقيا الشمالية. وأن العالم الاسلامي يرقب الحرب بين محمد بن عبد الكريم الخطابي وإسبانيا باهتمام عظيم، وأن إفريقيا الشمالية كلها تنظر باهتمام الى الثورة الريفية». وقد اعتبر ليوطي عزله من مناصبه العسكرية تحقيرا لشخصه، فقدم استقالته من مهام مقيم عام بالمغرب الذي عين فيه منذ 30 مارس 1912، وترك المغرب يوم 15 أكتوبر 1925 [17].

فعينت فرنسا مكانه مقيما جديدا هو ستيغ (Steeg) والجنرال بتان -(Petain) قاهر فردان - قائدا للجيوش الفرنسية، وزودته بالإمدادات الحربية كالبطاريات والمدفعية والدبابات. ولم يمر شهر حتى كان 3 مرشالات وأربعون جنرالا[18] و2000 جندي فرنسي وآلاف من رجال القبائل التي كانت في ركاب فرنسا (حبا أو كرها) قد اصطفوا ضد الثورة الريفية. وبدأت المعارك. وكان النصر فيها سجالا، غير أن موقعة البيبان وموقعة الكيفان زعزعت أركان الجيش الفرنسي، وجعلت "بيتان" يجلب الى المغرب «جميع القوات الفرنسية التي سبق لها أن قهرت القوات الألمانية في معركة فردان».

وفي نفس الوقت تجمع الجيش الإسباني في سبتة ومليلية بقيادة الجنرالين "سارو" وفرناندو". ولو كان الخطابي احتل هذه المدينة الأخيرة سنة 1921 لما وقع هذا التجمع بها، وقد اعترف بهذا الخطأ فيما بعد. وقد نزلت هذا القوات الفرنسية والإسبانية مجتمعة بالحسيمة وبحجرة نكور لتضرب الجيش الريفي وهو يدير ظهره[19]. وكان هذا النزول بقيادة الجنرال الإسباني "ذي ريفيرا" (الذي كان مقيما عاما لإسبانيا بشمال المغرب منذ سنة 1924). وقد أسندت مهمة الهجوم على بعض المرتفعات الريفية الى الضابط فرانكو. وكان يعزز هذه القوات

الأسطول الإسباني بقيادة الامرال "يوليف" والأسطول الفرنسي بقيادة الأمرال "هاليمي" وقد عمدت هذه البوارج الحربية الى قصف السواحل المغربية بالمدفعية. وكانت معززة بالطائرات التي كانت تلقى بقنابلها السامة على المراكز الدفاعية ببني زروال [20].

فأصدر الخطابي أمره بالهجوم على تطوان. فقاد أحمد خرير معركة "كدية الطاهر" ومعركة أخرى عند أبواب المدينة (شتنبر 1925). كما استولى "هريرو" على الجبال المحيطة بالمدينة وحفر الخنادق وزرع الالغام في الطرق لإيقاف الزحف الإسبان إليها. واندفع الفرنسيون في احتلال بني زروال، واستردوا حصون ورغة معززين بالطائرات والدبابات التي كانت تدمر الكهوف الريفية التي كان يتحصن بها الجنود الريفيون.[21]

تم وقع اللقاء بين الجيشين الفرنسي والإسباني (عدة آلاف من الجنود) ووحدوا خطتهما، واندفع الجيش الفرنسي شمالا من تاونات، وانطلق الجيش الإسباني جنوبا من الحسيمة. «وبذلك حوصر الخطابي بطوق من فولاذ» في ماي سنة 1926م.[22]، وتحول بذلك الشمال المغربي كله الى ميدان حرب مستعرة ضروس، ميدان مليء بالاوحال والأشلاء نتيجة رداءة أحوال الطقس وضراوة المعركة[23].

فانسحب الخطابي الى تاركيست بعد أن أصبحت أكدير - مقر قيادته - مهددة. ولما سقطت تاركيست في يد قائد الجيوش الفرنسية الجنرال بواشو في 22 ماي 1926، قاد الخطابي معركته الأخيرة مع القوات الفرنسية. وأخيرا سلم نفسه للجنرال إيبوس Ibos يوم 27 ماي 1926 في "تيزمورن". و«كانت تلك نهاية ثورتنا» كما أكد ذلك القائد الخطابي في كتابه "قصة حربنا" بعد أن فشلت مفاوضات وجدة[24].

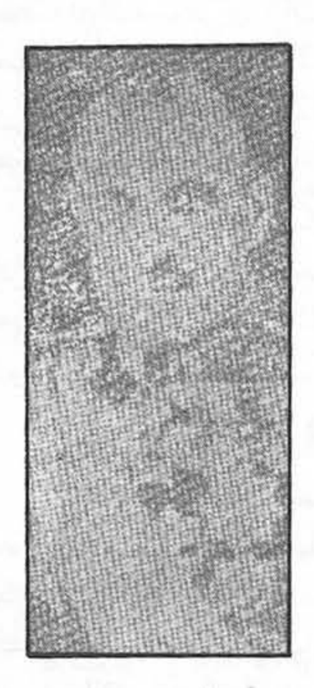
وانتهت بذلك «المقاومة المسلحة التي انبثقت من صفوف القبائل الجبلية والغمارية والريفية والغربية ضد الحماية الإسبانية من سنة 1913 الى سنة 1925، وشكلت تراثا نضاليا وجهاديا مليئا بالبطولات والملاحم الخالدة». وبعد ذلك أعيد الخطابي إلى تاركيست وسلم نفسه لليوتان كولونيل الفرنسي جيرو.[25].

مساهمة الجيش الفرنسي الفعالة في حرب الريف :

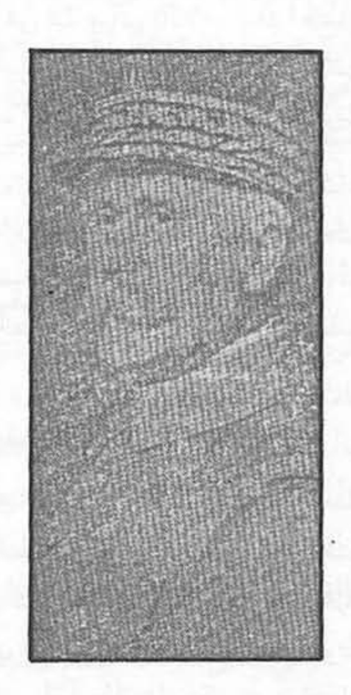
لقد كابد الفرنسيون الأمرين من هذه الحرب وكان المرشال ليوطي القائد الأعلى للجيوش الفرنسية بالمغرب قلقا على مصير الوجود الفرنسي بالمغرب من جرائها، إذ كان يعتبر خطر الحرب الريفية على فرنسا أكثر من خطر حرب 1914. لقد كان ليوطي حائرا في أمرها هل يكتفي بوضع "حصار اقتصادي" حول الريف أم يهاجم الريفيين في قعر دارهم. بل كان ليوطي يفكر في الانسحاب من تازة حتي يضمن الدفاع عن مدينة فاس. لقد طلب ليوطي عدة نجدات عسكرية ولكن حكومته كانت تماطل في ذلك لانشغالها بالحرب مع الألمان ولأنها كانت تامل في مفاوضة محمد بن عبد الكريم الخطابي. وفعلا فاوضته ولكن فشلت المفاوضات لان الخطابي كان يطالب باستقلال منطقة الريف وكانت هي تطالب بنزع السلاح من جميع جنوده. وأمام تردد الحكومة الفرنسية في اتخاد قرار نهائي اتجاه هذه الحرب الريفية ولصد الهجومات المتكررة كان



الخصمان اللذوذان لمحمد بن عبد الكريم الخطابي



الجنرال بريمو دي ريفيرا
Le général Miguel Primo de Rievera



المرشال بيتان
Le maréchal Philippe Pétain



المرحومون : محمد مزيان ، امحمد الخطابي، محمد الخطابي، وعبد السلام الخطابي بجزيرة رونيون، نونبر 1927



• Les partisans de Mohamed Ben Abdelkrim. Au premier plan : le caïd de Tafersit, le caïd Haddou et le caïd de Midhar (1924)

الجيش الفرنسي يكتفي بمحاصرة تافرانت، وتاونات والكيفان (في هذه الجهة الأخيرة رد الجيش الفرنسي 4 هجومات خطيرة). وأمام كثرة الأمطار والأوحال وصعوبة التنقلات والحركات والاتصالات بمنطقة جبلية ريفية وعرة بقي الجيش الفرنسي (16000 جندي) محاصرا من طرف الجيش الريفي بورغة وشمال الكيفان (1925) وقد صد الجنرال Biollotte هجوما ريفيا مدبرا على فاس، والكولونيل Giraud حملة هجومية أخرى على تازة والتي على إثرها قام الكولونيل ستيك بهجوم مسلح في شمال فاس[26]، وبقيت تازة وتاونات ووزان مدنا مهددة بالاحتلال الريفي من حين لاخر[27].

ولم يكن الجيش الفرنسي واقفا وحده في الميدان بل أشرك معه عدة محاربين من قبائل بني مطير وبني مكيلد وعين معطوف (من ناحية تازة) وكذلك محاربين أخرين من ناحية وجدة و3 فيالق من بلاد السنغال. ورغم ذلك كان في وضعية حرجة وصعبة كانت تهدد بالانفجار [28]. وفي نهاية المطاف تم الاتفاق بين الفرنسيين والإسبانيين على مواجهة الحالة الخطيرة بالمغرب، فاجتمع المرشال "بتان" الذي تقلد القيادة العسكرية بالمغرب - بعد أخد ورد وتردد - بالجنرال الإسباني Miguel Prino de Rievera بتطوان يوم 29 يوليوز بمر بالمضيق في 21 غشت واتفقا على الخطة العسكرية التي سيطبقها كل من الجيشين الفرنسي والإسباني بقيادة الجنرالين الإسباني Riquelem والفرنسيFrey denbug على خط وادي لوكوس. وبذلك استطاع الجيش الإسباني (40.000 محارب) أن ينزل بشاطئ أجدير (مركز عبد الكريم) بمساعدة الاسطول الفرنسي الذي كان يقوده الامرال Hellier وكذلك بمليلية لضرب الجيش الريفي من الوراء بمساعدة المرشال "بيتان" الذي وجه ضربته على رأس : (10 bataillons , 9 escadrons, 20 batteries et 10 escadrilles) يقودها عدد كبير من الجنرالات ومعززة بالطائرات المقنبلة (44) شمال شرق تازة وتافرانت وتاونات.

تم كان ما كان وسلم محمد بن عبد الكريم الخطابي نفسه بتركيست للجيش الفرنسي كما سبقت الاشارة الى ذلك[29].

وتقرر مصير أسرة الخطابي في مؤتمر عقد بباريز في يونيه من سنة 1926 حيث اتفق على نفيها بالمحيط الهندي. وقد توجهت أسرة الخطابي إلى فاس عن طريق تازة. أما الخطابي فقد توجه إليها عن طريق أجزناية وسوق الأربعاء وأقام بفاس مدة 6 أشهر تحت الحراسة الشديدة الى أن نفي خارج المغرب[30].

ولما كان البطل المغربي عائدا من منفاه "بلارينيون" (La Reunion)بالمحيط الهندي الذي مكث فيها منذ سنة 1926 - في طريقه إلى فرنسا وهو سجينها - فر من البارجة الفرنسية "كاتوميا" بإيعاز من "مكتب المغرب الغربي" ونزل بقناة السويس، وأحل ضيفا على مصر (2 يونيه 1947) بعد نفي دام زهاء 22 سنة.[31] وقد دام مقام المجاهد الخطابي في أرض الكنانة ثلاثين سنة، ووافاه الأجل المحتوم في يوم 6 فبراير 1963م عن سن الواحدة والثمانين (ازاداد في أجدير سنة 1882) ودفن بمقبرة الشهداء بالقاهرة رحمه الله [32].

وكان لحرب الريف صدى قوي في أشعار مغربية ومشرقية نورد بعض الأمثلة منها :

فقد نظم المرحوم علال الفاسي قصيدة في حرب الريف بقي منها مثبوتا في ديوانه (ج 1 ص 34) أربعة أبيات هي :

لنـا رايـة حمـراء تطلـب حقهـا وطالب حق كـان أول غـالـب

تشيـر الى أن التمـدن والعـلا يكـون بإهـراق دماء المحـارب

وسيروا الى صف الجهاد لتبلغوا لخدمـة ديـن مبلـغ للمـآرب

وسيروا تنالـوا النصر بالسيف عاجلا والا فنامـوا بين ذات الترائب

وعندما استسلم الخطابي تساجل المرحومان الشاعران علال الفاسي والمختار السوسي والشاعر المديني العلوي في قطعة شعرية عنوانها : (استسلام البطل) مطلعها :

قضـي القضـاء وحقـق الأمـر وعرا الذي ما خلته يعرو ومنها :

عبد الكريم فنحن نعلم والورى والله أنك مسلم حـــر

اذهب فقد أديت للاوطـــان ما ترجو وإن أحنى بك الدهر

(انظرها في ديوان علال الفاسي ج 1 ص 35-38)

ولما استسلم الخطابي أنشد المرحوم الشاعر الأديب عبد الرحمان حجي قصيدة يقول في مستهلها :

أحـق ما بـه تاتي الجرائد
فقد جزعت له حتى الجوامـد
وخـرت من تـأثرة الرواســـي
وألقت حملها منه الخرائـــد
وهـل عبد الكريـم غـدا طريـــدا
أسيـرا عاجزا عن أن يجالـد
وكيف وقد هززت الأرض رعبـا
بسيفك والعدو بذاك شاهـد

تم يقـول :

قد انضمت لك الأحزاب طوعا
وصدت عن سبيلك كل جاحد
تريد الموت في شرف وعــز
وأنت لها لدي الهيجاء قائـد

(انظر ديوان عبد الرحمان حجي ص 185-186 دار الغرب الاسلامي 1991).

ومن أناشيد الثورة الريفية النشيد الذي نظمه ابو بكر بناني، وكان يتردد على لسان

المغاربة أنذاك، تغنوا فيه بأمجاد الثورة وبطولة قائدها :

مطلعه :

يابنـــي المغـرب ما هذا الرقـــاد   مالكم صرتم كأمثال الجمـاد

منه : يابنـــي المغـرب سيــروا للأمــام   وارفعـــوا رايــة عزنا الهمـام

فاحملـوا الصمصـام مع سمر القنى   واسألوا الله انتصار المسلمين

يابنـــي المغـــرب ان الـــوطنـــا   تقتضـى سمعتـه ترك الونـى

يا بنـــى الـمغرب موتـــوا شهـــدا   لا تعيـشوا تحت إذلال العدا

فـرقـوا الكـفـر أشــراك الـــردى   واسألوا الله انتصار المسلمين....

(مذكرات الوزاني ج 3 ص 456).

ويضم كتاب "أناشيد النصر" مجموعة من أناشيد الريف ، منها "نشيد الريف" و"الثورة الريفـيـة" (انظرهـمـا في كتـاب الشعـر المغـربي مقـاربة تاريخيـة لمحـمد أديب السلاوي (ص 127-129).

ونظم ابراهيم طوقان نشيدا في حرب التحرير الريفية يقول فيه :

في تنايـا العجـــاج * والتحام السيـوف

بينـــمـا الجـــو داج * والـمنايا تطـوف

يتهادى فيـــها نسيم * فيه أزكى سـلام

نحو عــبـد الكـريـم * الأميــر الهمام

ريفنا نحميه كالعرين * نحن فيه الاسود

ريفـنـا نحـميـه

(انظر مـجلة الرسـالة 17 أكـتـوبر 1985) وأناشـيـد عـهـد الكفـاح (سلسلة طريق الخير رقم 5).

وقد تغنى شباب فـاس بنشيـد آخر لما أصبح الجيش الريفي منظما ومسـتـعدا لمواجهة التحدي الإسباني وقد حرر مدينة شفشاون :

اليوم هيو للحروب هيـو   ونرجع للبلاد ظافرينـا

أثائر سل التاريخ يـملي   بأننا نحن خير الثائرينا

ومن القصائد التي تغنت أيضا ببطولات قائد حرب الريف قصيدة المؤرخ الشاعر محمد بن الأعرج السليماني مطلعها :

دع الفتيان تمرح في القصور * ويمم مسعفا وادي نكور

مـشـيـرا بذلك الى مكان انطلاق الحـرب الريفـيـة. نشـرها بمجلة : "العـصـر الجـديد" التونسية.

وردد الشاعر محمد اليمني الناصري صدى انتصارات البطل الريفي في قصيدة منها:

انظر لما تلقى فرنسا منــه إذ ... قصدت بشامخ مجده استخفافـا
جاءت بمعظم جيشها وعتادها ... فاستنزفتـه رجالهـا استنزافـا
سل عنهم باب المروج وتـازة ... وسـلاس والبيبـان والأجراجـا
وسل البرانس والتسول وجاية ... والسبـت والكيفـان والاكنافـا
تلك المواقع روعت أبطالهـم ... وجلت لنا عن روعهم اسجافا
تلك المواقع حطمت أبطالهـم ... وأرتهمو من ويلها أصنافـا

(محمد بلحسن الوزاني : مذكرات حياة وجهاد (حرب الريف) ص 458)

وقد نظم الشاعر الجزائري محمد العقون قصيدة يحيى فيها رئيس المجاهدين الخطابي منها :

أيا بطلا خاض المعامع وانبـرى ... لإجلاء أعداء البـلاد عن الوكـر
فما أنت الا السيف سل على العدا ... يذوقون منه الموت بالفتكة البكر
وقفت بوجه الظلم تهدم صرحـه ... بصدق وايمان وسيفـك والفـكر
وعلمتنـا كيـف النضـال الذي بـه ... نحطم أغلال الطغاة ذوي الغدر

(انظرها في مجلة البصائر ع : 7 ص 6 - 1947) وفي مجلة "عالم الفكر" المجلد 21-
عدد :2 (أكتوبر دجنبر 1991)

ويقول الشاعر المصري علي محمود طه من قصيدة يرحب فيها بالخطابي لما نزل ببور سعيد :

لا السيف قر ولا المحـارب عادا ... ويـح البشيـر بأي سلـم نـادا
في المغرب الاقصى فتى من نورها ... قـدحت به كف السمـاء زنـادا
سلتــه سيفـا كي يحـرر قومـه ... ويـزيـل عن أوطـانـه استـعـبادا

(ديوان علي محمد طه ص 402 (دار العودة - بيروت))

ويقول الشاعر المصري علي الجارم أيضا لما لجأ الخطابي الى مصر من قصيدة :

حلق النسر كما شاء وصـــاح ... ورمى بالقيد في وجه الصبـــاح
وجـلا عن ريشـه العار كمـــا ... تنجلي الاصداء عن بيض الصفـاح
وأطاح القفـص المشــؤوم ... لا تعرف الجن متي أو أين طــاح
كم قضى الليل به مستيئسا ... جزعــا بيـن أنيـن ونـــواح
ولكم حـن إلى أوطـانــه ... قلق الأضـلاع خفاق الجنـــاح

(انظرها في ديوانه : ج 1 ص 237 دار الشوق ص 2- 1990)

ونجد للشاعر ابراهيم الوائلي قصيدة بعنوان : "الأندلس الثانية" يتحدث فيها فيما يتحدث عن معركة الريف :

والمغرب الأقصى وأعلامه	والريف تحميه الأسود الغضاب
قد روعت (باريس) أيامه	وجللت تاريخها بالضباب
وزلزل الغرب والمنامة	حين (تقرتها) أكف الشباب

(الرسالة لأحمد حسن الزيات عدد : 3 يناير 1949 ص 42)

وفي القصيدة التي، يؤبن فيها الشاعر محمد الحلوي القائد الخطابي ومطلعها :

أرثيك بالدمع أم أرثيك بالقلم

ياناشر الموت في الآجام والقمم

يقول مشيرا الى معركة أنوال :

يا يوم وقعة أنوال وقد تركت	أشلاؤهم عندها لحما على وضم
لم يلبسوا قبلها خزيا كخزيهم	فيها ولا ذبحوا بالسيف كالغنم
جرعتهم أكؤسا بالموت مترعة	بلا نديم ولا ساق ولا نغم

(انظرها في ديوانه : الشموع ص 300)

وللشاعر الحلوي ملحمة شعرية عن هذه المعركة سماها : "أنوال - لوحات شعرية" (1986).

ومن الملاحم المغربية التي تطرقت إلى حرب الريف : ملحمة محمد بنشقرون التي يقول في مطلعها :

انعقد اللواء واصطفت جيوش الحملات

وطلعت أشباله تسوس في المقدمات

(ابراهيم السولامي : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، ص 289)

ومما أنشده الشاعر عبد الغني سكيرج مشيدا ببلاء هذا البطل المغربي في ذكرى وفاته الخامسة عشرة من قصيدة :

هو أول الاحرار جرد سيفه	في وجه كل مخادع ومرابي
ركب الوغى متحفزا بقرابه	أرأيت حربا تمتطى بقراب
بطل له في كل قلب روعة	وبكل نفس رائع الإعجاب
يبدو كأن الليث في أثوابه	ولو أنه يلتف بالجلباب
راع العدا بمضائه ودهائه	وأذاقهم في الحرب شر شراب

(انظرها في ديوان حب الحصيد ص 184)

وقد أثارت حرب الريف انتباه شعراء المهجر بالبرازيل أيضا ، فنظم إلياس فرحاتي قصيدة يمجد فيها بطولة "الريفيين". في معركة أنوال وبطولة قائدهم الخطابي مطلعها :

لك الصارم القاضي على كل صارم   لذبح العدى يرجى وكبح المظالم

وحولك أساد غضاب تبدلت   من اللبدات الغبر بيض العمائم

منها : فقلت لأوروبا وسيفك مصلت   رويدك لسنا بعض تلك السوائم

وصلت على الاسبان صولة مومن   بقوة حق الشعب لا بالتمائم

لقد علمت مدريد أنك غولها   وان بلاد الريف غيل الضراغم

(انظرها بتمامها في كتاب "اسلاميات أدباء المهجر "لمحمد العربي المساري(1990) نقلا عن ديوان فرحاتي : الربيع، ج 1 (1954).



البطل المجاهد عبد السلام التمسماني الذي قاد الحرب الريفية
في شكل عصابات بعد أن سلم الخطابي نفسه إلى الفرنسيين

(1) تعتبر الحوادث التي تفجرت بحدود مليلية في خريف 1893م امتدادا للصراع الطويل التي خاضته قبائل قلعية ضد مطامع إسبانيا في الريف. واندلاع حرب مليلية لايمكن فهمها بمعزل عن الضغوط الاوروبية التي جعلت المغرب يقع فريسة الفوضى.

ذلك أن فرنسا طالبت بواحات توات سنة 1891م. وشقت قبيلة أنجرة المتاخمة لسبتة عصا الطاعة على السلطات المغربية سنة 1892م بزعامة عبد السلام الحمام، وكان حكام مليلية العسكريون يتحرشو بالريف رغم المقاومة الجماعية التي ضربت حول مليلية.

وهكذا قام حاكم مليلية ج خوان كارسيا ماركايو سنة 1893 ببناء قلعة بجوار سيدي ورياش. فنشبت المعارك بين المجاهدينَ الذين تذمروا من هذا الاجراء - والجحافل الإسبانية، وأسفرت من خسائر فاذحة تكبدتها القوات الاسبانية والمجاهدون، وقتل الجنرال كارسيا ماركايو.

وقد أرخ عدد المؤرخين الأجانب لهذه الأحداث الريفية وأعجبوا بالروح الجهادية للقبائل الريفية التي تمسكوا بها لاجل التحرر من الاستعمار الإسباني.

وبعد هذه الهزائم تحمست الجيوش الإسبانية للحرب من جديد. فعبىء عشرون ألف رجل إسباني لمواجهة خمس آلاف مجاهد ريفي بقيادة الجنرال ماسياس(Macias) الذي أبدى استعداداً للتعاون مع السلطة المخزنية التي تجنبت الدخول في هذه الحرب وقامت بفرض تدابير حالت دون دخول القبائل الريفية في رحاها. (انظر في هذا الصدد : يطو المغاوي : "السياق التاريخي لحوادث امليلية في خريف 1893م" (شهادة استكمال الدروس بكلية الآداب بالرباط - 1993)، وحركة الجهاد الريفية في تسعينات القرن الماضي" للدكتور عبد العزيز التمسماني خلوق - العلم الثقافي - 8 يناير 1994).

(2) لمعرفة المزيد عن حياة هذا المكافع يجب مراجعة كتاب : "الكشف والبيان عن سيرة محمد أمزيان وأخبار مقاومته هو اخوانه الريفيين لابي حمارة تم الإسبان" للحاج العربي الورياشي.

(3) اتفق المؤرخون الأجانب على ترجمة الشريف الريسوني كما يلي : استسلم الشريف لحياة المغامرة والاختطاف وأعمال النهب حتى أصبح يهدد مدينة طنجة بالاستيلاء عليها. وقد سجنه المولى الحسن الأول وأطلق سراحه المولى عبد العزيز كما قيل. ورجع إلى حصنه الجبلي لينتقم من الذين تسببوا له في هذه الأتعاب. وفي سنة 1907 قام الريسوني باختطاف دبلوماسيين أمريكيين ولما فاوضه مستشار السلطان السيرهاري ماك لين في شأن سراحهما أسره هو الآخر ولم يطلق سراحه إلا بعد أن افتدي فاعتبره المولى عبد العزيز خارجا على القانون. ولما بدأ احتلال فرنسا واسبانيا للمغرب سنة 1912 كان الريسوني، يراقب هذا الاعتداء باهتمام. ولما تقدم الإسبانيون إلى القصر هددوا باحتلال أصيلة معقل الريسوني. وكان مطلبه للاسبانيين هو أن يعين ممثلا للسلطان في المنطقة الإسبانية. وقد اشتبك الريسوني عدة مرات مع الاسبانيين في حملاته التي كان يقودها كما قيل من أجل النهب والسلب وانتزاع الجزية عنوة من الناس (وقيل أيضا لتحرير القصر الكبير وقطع الموصلات بين تطوان وسبتة في وجه الإسبان). ولما انسحب الإسبانيون من شفشاون رفض الريسوني أن يترك قلعته في تازورت ويتوجه إلى أزيلال ورفض دعوة الخطابي للاستسلام لما استولى هذا الأخير على جبالة سنة 1925 : فحاصره القائد هريرو فسلم نفسه وحمل هو وحرمه عند الخطابي وبقي أسيراً عنده بأكادير حتى قضي بعد بضعة أشهر متأثرا بمرضه. هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن ألمانيا كانت تزود الريسوني بالعتاد العسكري طمعا في الاستيلاء على بوغاز جبل طارق. وكانت اسبانيا أعدت هجوما على مدشرة "بالزينات" بقيادة الجنرال سلفستري وبمساعدة عدة المقيم العام الاسباني الجنرال "مارينا" وتقول بعض المصادر التاريخية أن الريسوني كان على خلاف مستمر مع ملوك الدولة العلوية. فلما عزم على احتلال طنجة مثلا منعه المولى عبد الحفيظ بجيش تحت قيادة محمد الكباص حتى وصلت فرقة عسكرية فطردته بالمدافع وفر إلى جبالة. ولما كان يقوم بعمليات اختطاف الأوروبيين - مما دفع بالانجليز والأمريكانيين أن يبعثوا بأساطيلهم إلى طنجة سنة 1904 مهددين بقنبلتها - قلد السلطان المولى عبد العزيز بوشتة بن البغدادي قيادة حملة عسكرية للقضاء عليه وجعل حد لعمليات الاختطاف. والجديد بالذكر أن المولى عبد العزيز كلف هذا القائد العسكري بن البغدادي بالقضاء على القبيلة الريفية : "بقيوة" التي كانت تقوم بعمليات القرصنة بالشواطئ المغربية الشمالية.

وبما أن الشيء بالشيء يذكر فقد أسند المارشال ليوطي لهذا القائد العسكري لمهارته في البطش والمكيدة - القضاء على "الوطنيين" بفاس عند قيامهم "بمظاهرة أبريل" فقبض عليهم وجلدهم جلدا فهجاه الشاعر ابن ابراهيم المراكشي بقصيدة مطلعها".

إسأل من الأجفان عن صدره نهرا ليطفئ ما بالقلب متقدا جمرا

(انظرها بكتاب احمد الخلاصة عن شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر ص 134-137) و (للمزيد من المعلومات عن هذا القائد الريفي يجب مطالعة كتاب السيد محمد ابن عزوز حكيم : "الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب" (جزآن)، و"الشريف الريسوني والحرب الريفية" (جزآن).

(4) يمتاز بنو ورياغل بمهارة كبيرة في فنون الحرب كالرمي والهجوم المفاجئ وذلك لشدة بأسهم وقوتهم وخفة حركتهم. وكانوا يكونون النواة الأولى للجيش الريفي المقبل.

(5) من المعارك التي قامت بين الإسبان والشريف محمد أمزيان بعد مغادرة ابي حمارة لقلعة "سلوان" والاتجاه نحو تازة بعد ماخضعت له قبائل الريف : "معركة وادي الذيب (1909) أجدياون وبر زوف (التي قتل فيها الجنرال بكاريو) وأزرورا (التي انتصر فيها الريفيون) ومعركة "أرحافا وامعروفا" (التي قتل فيها الجنرال سلبادور سنة 1911).

(6) وبعد استيلاء الإسبانيين على تطوان قامت مقاومة جهادية شعبية بقيادة الشريف محمد ولد سيدي الحسن، والمقاوم ابن قريش الحزمري (الذي قصفت الطائرات الإسبانية رباطه الجهادي)، وكان أغلب المجاهدين من قبيلتي الغمارية والهبطية ومن أهل تطوان الذين فروا من المدينة والتحقوا بصفوف المقاومين. والمجاهدين، وبذلك وجهت ضربة قاسية للزعامات المحلية التي كانت تهادن العدو وتتقاعس عن المشاركة في مجهود الجهاد. (عبد العزيز التمساني خلوق : الغزو الإسباني لبلاد جبالة والمقاومة المغربية من سنة 1912 الى سنة 1927 - مجلة دار النيابة عدد : 2 ربيع 1984).

(7) تحدث د. عبد العزيز التلمساني خلوق في مقال بالملحق الثقافي لجريدة العلم (30-5-92) عن ظاهرة الانسحاب العسكري الإسباني من الجبهة الجبلية والجلاء عن مدينة شفشاون والمواقع العسكرية الأمامية (شتنبر 1924 - فبراير 1925) بسبب الحصارات الضرورية على الجيش الإسباني ووعرة الطرق ورداءة الطقس، واستماتة مجاهدي الهبط الذين تعرضوا للتحركات

الإسبانية بمنتهى الشدة والقسوة. فعجزت القوات الاسبانية عن التسرب داخل المناطق الجبلية الريفية رغم حروبها الطاحنة وقتالها العنيف. فلم يسعها إلا الانسحاب وسط معارك ضارية بلغت في حدتها معركة انوال الشهيرة.

وتجدر الإشارة في هذا الباب يقول د. عبد العزيز خلاق التمسماني حول مواقف المقاومة الريفية من الإنزال العسكري الإسباني في خليج الحسيمة (الملحق الثقافي للعلم : 16-12-95) إلى أن اسبانيا نهجت عشية الحماية سياسة التسرب السلمي محاولة استقطاب الشخصيات الداعية إلى المهادنة واستمالة عدد من الأعيان، واجتذاب الزعامات المحلية، آملة السيطرة على الأصقاع الريفية انطلاقا من «جون» الحسيمة. (ميناء نكور).

في تلك الأثناء، كانت الحكومة الإسبانية قد بعثت إلى مليلية الجنرال لوكي، وزير الحربية الذي قدم مشروعا عسكريا تمثل في النزول على الساحل الريفي. غير أن الحركة الجهادية اضطلعت عليه قبل تنفيذه، فوقعت هناك معارك رهيبة وضارية في أكتوبر 1911، حيث أن القبيلتين الورياغلية والبقيوية حصنتا شاطئ أجدير، ووقفتا في وجه الجيوش الإسبانية التي فشلت في مسعاها واضطرت إلى الرجوع من حيث أتت، حاصدة الفشل الذريع.

وهكذا، كانت الخطة الإسبانية تهدف إلى الزحف من مليلية إلى «جون» الحسيمة، وتتطلع إلى التوغل داخل قبل الريف، معتمدة في عملها العسكري على فريق الأعيان الموالين لها. وهنا أشير إلى أن الرأي العام الإسباني وجه، في تلك الأثناء، إلى القيادة العسكرية أشنع التهم عن لسان الأحزاب اليسارية والمنظمات النقابية، مساندا تجربة الشريف محمد أمزيان المتميزة بقوة الباس وروح الإقدام.

وسيتغير الوضع من الانقلاب العسكري الذي أنشأه ابتداء من 13 شتنبر 1923 النظام المديري الدكتاتوري، وستبدأ مرحلة جديدة تختلف اختلافا كليا عن الفترة التي امتدت من 1913 إلى 1922 حيث سيصادق رئيس هذا النظام بريمو دي ريفيرا على مشروع الإنزال بخليج الحسيمة عن الطريق البحري يوم 9 ماي 1925 وسيعمل على تنفيذه في 8 شتنبر من نفس السنة بتنسيق مع القوات الفرنسية.

إن المذكرات واليوميات والتقارير العسكرية الإسبانية والفرنسية تتضمن معلومات طفيفة تشير إلى أن المجاهدين أبلوا بلاء حسنا لصد النزول، وخاضوا المعارك العنيفة، واشتبكوا مع الجحافل الغازية منذ بداية العمليات وأخذوا اتجاها متصلبا في مقاومتها، وتفيد هذه الوثائق المخطوطة والمنشورة أ ن المواجهة كانت قاسية، وكان الأمر فيها سجالا بين الغزاة والمجاهدين الريفيين.

(8) للمزيد من التعمق في الموضوع تجب مراجعة العرض التاريخي الهام الذي ألقاه د. عبد العزيز التمسماني خلوق في الندوة الوطنية حول تاريخ المقاومة المغربية (1904-1956) المنظمة بأكادير (نونبر 1991) حول الجوانب المغمورة من المقاومة المسلحة في شمال المغرب (1913-1925) والمنشور بالملحق الثقافي بجريدة العلم (23-11-1991)، مركزا عرضه على «أعمال القصف الجوي والبحري الإسباني لتدمير وإبادة "جبالة" منذ ربيع 1913»، وعلى «التجاوب العميق بين قبائل الشمال من أجل التحرير ورفع الضيم غداة احتلال تطوان،» وعلى «انضمام مجاهدي جبالة الى ثورة الريف التحريرية»..... وكذلك تصفح المراجع الاتية :

محمد أزرقان : "الظل الوريف في محاربة الريف" (مخطوط)

أحمد سكيرج : "الظل الوريف في محاربة الريف"

العربي اللوه : "المنهال في كفاح أبطال الشمال" - تطوان (1982)

محمد ابن عزوز حكيم : "ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني" الرباط - 1986.

الشيخ التهامي الوزاني : تاريخ المغرب" ج 3

"والاستعمار الإسباني في المغرب 1860 - 1956 لميكيل مرتين تعريب عبد العزيز الوديي.

(9) سبب ثورة محمد بن عبد الكريم على الاسبان هو «أنه يعود أساسا الى التهمة الملصقة به في شأن تسهيل قيام حركة عبد المالك بن محي الدين الجزائري في النواحي الشرقية ضد القوات الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى بايعاز من أعدائهم الألمان وبمعاونتهم له ماديا وعسكريا حتي يشغلوا جانبا من القوات الفرنسية عن نجدة جيوش الحلفاء بأوروبا... فقامت السلطات الفرنسية والانجليزية باحتجاجات وتهديدات ضد السلطات الاسبانية التي تظاهرت بالاستنكار. والقت التهمة على محمد بن عبد الكريم وزجت به في السجن، وتدمر منه الخطابي وأثناء فراره حصل له كسر في رجله فألقى عليه القبض وأعاد اليه الإسبان اعتباره وردوه الى منصبه في القضاء... إلا أن القلوب المنكسرة كالزجاج يصعب جبرها..» (معلومات عن العائلة الخطابية للدكتورة أمينة اللوه - الثقافة المغربية - عدد 7).

(10) يقول السيد محمد بن عزوز حكيم في كتابه (معركة أنوال 21 يوليوز 1921) ان المعركة الحقيقية التي كانت أكبر هزيمة عرفها (الإسبان) لم تجر بأنوال كما يعتقد الجميع بل جرت بأغريبا يوم 21 يوليوز 1921 وذلك لأن الذي وقع في يوم 22 وما يليه كان مجزرة تعرض لها الجيش الإسباني في حالة فرار. فلم تكن هناك بأنوال معركة بالمعنى الصحيح (ص15). وفي كتاب المؤلف يجد القارى تفاصيل كثيرة عن هذه المعركة معززة بوثائق إسبانية.

(11) كان أول احتكاك لهذا الجنرال مع افريقيا في سنة 1908م حيث نزل على رأس قوات اسبانية - اثناء حوادث الدارالبيضاء ومقتل د. مرشان الفرنسي بمراكش - متوغلا داخل التراب المغربي. كما كان قائدا للقوات الإسبانية لناحيتي العرائش والقصر الكبير من سنة 1911 م الى سنة 1915م.

وكان من أثر هذه الهزيمة على إسبانيا أيضا أنه قام الجنرال Primo de Riviera بانقلاب باسبانيا في 12 شتنبر 1923، واستولى على الحكم الى غاية يناير من سنة 1930م.

(12) ذكر محمد عمر القاضي (مرافق القائد الخطابي في حروبه) في كتابه : «أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي» (ص: 109-157) أن الخطابي استعمل من جهته في جميع المعارك التي خاضها ضد الإسبان - كمعارك : الدهر أبران، وسيدي ابراهيم، وجبل أعروي وجزيرة نكور، وتفرسيت، وسيدي حساين....- أسلحة كثيرة كالمكحلة العشارية والسباعية والسداسية (10, 7 , 6 Palmes)، والكلاطة وبوجعرة، وبوزكروم والخموسية، والكابوس، وبوضفلة، والبوري، والسكين..... بينما كان جيش سلفستري يتوفر بالإضافة الى عدد جنوده (25.710 جندي من بينهم 5089 Regulares marroques يؤطرهم جنرالان و 10 كولونيل و22 ملازم كولونيل و41 كمندار) على آلة عسكرية رهيبة في عدتها : 5250 بندقية رشاشة ، و40 رشاش، و150 مدفعا، وملايين الرصاصات وآلاف القذائف المدفعية، و22 شاحنة للنقل، و162 عربة، و5338 حصان وبغل. (انظر تفاصيل ذلك في كتاب : كريدية ابراهيم : معركة أنوال ونتائجها (ص . 32).

وبالمقارنة بين القوتين يظهر أن هذه المعركة الرهيبة كانت "معركة المعجزة" كما وصفها قائدها الخطابي، وبادرة في تاريخ الحروب قلبت مخططات المعارك رأسا على عقب في بحر القرن العشرين، وأصبحت نموذجا متجددا لحركات التحرير الوطني في العالم، مما دفع الكاتب الفرنسي "فانسان منتل" في كتابه "المغرب" بتشبيه هذه المعركة بمعركة "ديان بيان فو" - التي انهزم فيها الجيش الفرنسي القوي أمام الجيش "الهند - الصيني" - ونعت بطلها الريفي بلقب «نابليون الريف».

وفي استجواب للقائد الخطابي مع الصحفي البلجيكي الشهير Jean Wolf: ادلى بتصريحات مهمة عن مسيرة هذه المعركة تختلف شيئا ما عن ما ذكره المؤرخون والمحللون والواصفون :

"Ce fut une bataille d'une folle sauvagerie, qui tourna bientôt à la boucherie, me racontait trente ans plus tard le vieil Emir. Nous nous sentions grisés par cette victoire inespérée. M'étant ressaisi, j'ordonnai à mes hommes de faire quartier à ceux qui désiraient se rendre, mais ils ne m'écoutaient pas, tuant tous ceux qui leur tombaient sous la main. Je dus menacer de mort les combattants déchaînés qui voulaient achever les blessés.

"Anéanti par cette catastrophe, Silvestre tenta sa dernière chance. Au cours de la nuit qui suivit la débâcle d'Igueriben, il rassembla les officiers de son état-majore et les soldats, abandonnant artillerie et charroi à Anoual. Ils se glissèrent dans l'obscurité et prirent à pied le chemin de Mellila qui traversait obligatoirement un très long défilé aux parois escarpées. C'est là que nous les attendions. Ce fut un massacre auquel personne n'échappa. L'état-major fut anéanti et le général Sivestre se tira une balle dans la tête. Au total, nous avions tué plus de 12.000 Espagnols et nous ne fîmes que 700 prisonniers. Je vous répète ce que j'ai déjà dit souvent : Igueriben fut le fossé de boue et de sang qui devait, à tout jamais, me séparer de l'Espagne."

Parmi les morts, il y avait le colonel Gabriel Moralès pour lequel Abd el Krim éprouvait une profonde estime et dont il avait été l'ami. Longtemps auparavant, cet officer, qui avait été chargé au Maroc des problèmes politiques dont il fut un grant spécialiste, l'avait protégé au cours de sa carrière dans l'administration hispanique et l'avait même entouré d'une certaine affection. L'Emir, pendant des heures, rechercha son corps parmi les gisants du sinistre défilé. L'ayant découvert, il pleura, lui ferma les yeux, ordonna à ses troupes de lui rendre les honneurs militaires, le fit déposer dans un cercueil plombé et l'envoya à sa veuve. Cet épisode illustre une fois de plus la complexité sentimentale des séculaires relations hispano-marocaines.

Mais Abd el Krim poursuivait : "Il n'y a donc jamais eu de bataille à Anoual, quoi qu'on en ait dit, puisque personne ne s'y est battu. Mais l'essentiel est bien que nous avions capturé un incroyable butin puisque nous nous emparâmes de 40 canons de 65, 60 de 75, 50 de 77, 25.000 fusils, 400 mitrailleuses, 5.000 revolvers, dix millions de cartouches et d'obus, d'un imposant matériel de transmission. La plupart des armes que nous conquîmes ce jour-là avaient été vendues par l'Allemagne

et la France à l'Espagne. C'est ainsi que s'accrédita la stupide légende selon laquelle j'aurais été ravitaillé par ces deux pays.

"Nous n'en sommes pas restés là. Un bon chef est celui qui sait exploiter immédiatement la victoire que Dieu lui a donnée. Nous avons évacué vers l'arrière les blessés, les prisonniers, les armes, le butin. Et, tout-de-suite, j'ai donné l'ordre de nous lancer à marche forcée à la rencontre de la colonne du général Navarro qui était à Mont-Arruit.

"Cette fois, les Espagnols se défendirent comme des lions, à l'arme blanche, car on n'avait même plus le temps de recharger les fusils. Mais mes hommes étaient galvanisés par leurs victoires successives ; ils sentaient sur eux le souffle du Tout Puissant. Ils battirent une fois de plus nos ennemis et nous capturâmes le général Navarro. ("Jean wolf : Maroc, la Vérité sur le protectorat Franco-Espagnol l'époque d'Abdel Khaleq Torres Eddif - Balland Paris 1994)

(13) كان الجيش الريفي يستعمل النساء في عمليات التجسس على العدو ذلك أن امرأة تدعى فريدة حسن كانت تقوم بدور التجسس متنقلة بين المعسكرات الإسبانية في المغرب وإسبانيا.

(14) في أواخر حروبه توفر للخطابي ما يقرب من خمسمائة أسير، تم حشدهم بتركيست.

(15) مجلة تطوان - عدد : 8 السنة الاولى - (يناير 1978).

(16) أكد السيد ادريس الخطابي للسيد روبرت فورنو مؤلف كتاب : "عبد الكريم أمير الريف" أنه كان في مقدورة أبيه احتلال فاس وتازة وان تقصير أبيه في اتخاذ مثل هذا الأمر هو إحدى كبريات أخطائه" (ص 185).

وذكر بيير فونتين في كتابه : (ص 131) "Abdelkrim, origine de la Rebellion Nord-Africaine" أن الخطابي احتل في أبريل 1925 - 50 مركزا فرنسيا. ولم يبق بينه وبين مدينة فاس الا 27 كلم. وارتكب نفس الغلطة التي ارتكبها الألمان سنة 1914 لما تراجعوا عن احتلال باريز. فلما لم يجد أمامه أي قوة فرنسية خشي أن يكون هناك فخ لتطويقه، فتراجع الى المرتفعات على بعد 50 كلم منتظرا الهجوم الفرنسي، فضيع بذلك الاستيلاء على فاس لضعف مصلحة مخابراته.

(17) ذكرت بعض الوثائق الفرنسية أن مجموع القوات الفرنسية التي طالب بها ليوطي في غضون شهر يونيه 1925 كانت كما ياتي : 77 كتيبة (منها 56 في جهة الشمال) و23 كوكبة من الدبابات و 31 فرقة مدفعية و17 مجموعة من الهندسيين و16 سرب من الطائرات (عبد الرحيم الورديغي : نهاية حرب الريف 1925-1926 ص 19).

(18) منهم : دوغان، ويواشوط ولاموط، وجونشيبي (القادمون من الجزائر)، ونولان، وبيوط (الذي كان وزيرا للدفاع الفرنسي سنة 1955)، ودو ص...... ومن الإسبانيين : الجنرالات فرناديز بريز وسانخوخو، وكروصو، وكاستيو، وباليس.... (محمد عزوز حكيم : ومضات مضيئة عن الحرب الريفية" ص 215).

(19) نورد هنا زيادة في الايضاح اسباب ونتائج النزول الاسباني بنكور نقلا - بكامل التصرف - عن البحث التاريخي للاستاذ د. عبد العزيز التمسماني خلوق : "الانزال العسكري الاسباني بخليج الحسيمة" المنشور بملحق العلم الثقافي (13-2-93): أثارت المغامرات الاسبانية بالريف في صيف 1909 حمية القبائل الريفية ضد الغزاة التي وجهت ضربات قوية لهم وأفشلت خطتهم الجهنمية.

فبعثت الحكومة الاسبانية الى مليلية الجنرال لوكي وزير الحربية للنزول بثقله على الساحل الريفي فوقعت معارك ضارية بينه وبين الحركة الجهادية (رجال قبيلتي ورياغلة وبقيوي) التي حصنت شاطئ أجدير وصدت القوات المعتدية.

وحاول حاكم مليلية الجنرال «فرانسيسكو كوميت خوردانيا» جاهدا شل المقاومة الريفية الشعبية بمخططه العسكري سنة 1913 الرامي الى احتلال أجدير. وفشل المخطط بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى، تم أحيى مشروعه الحربي لما عين مقيما عاما بالمنطقة الشمالية في سنة 1915. ولما عين الجنرال فرنانديث سلفيستري قائدا عسكريا بامليلية كان يتهيأ لاحتلال الساحل الريفي الأوسط ولكنه لقي مصرعة في ملحمة أنوال.

وبقي الاسبان - بعد تنازلهم موقتا عن النزول على شاطئ نكور - متمسكين بسياستهم العدوانية لمواجهة حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي في أجدير. وصادق الجنرال بريمودي ريفيرا على مشروع الانزال بخليج الحسيمة سنة 1925 بتنسيق مع القوات الفرنسية. وهكذا اتجهت انظار المرشال بيتان والجنرال بريمودي ريفيرا الى أكدير للقضاء على ابن عبد الكريم الذي واجه هذا الهجوم المشترك بخطط عسكرية هامة. فتحركت الجيوش الغازية في 6 ستنبر 1925 بقيادة الجنرالين سانخو روخو حاكم امليلية و ج بريفيرا القائد العام للحملة وكانت المواجهة الحربية قاسية - كما ذكر ذلك الجنرال فرانكو في مذكراته ("F.Franco : Rapeles de la guerra de Marruecos) بسبب حدة المقاومة الريفية وبسبب أحوال الطقس السيئة وقد لاقت حاميات الجنرال سارو الذي أبحر من سبتة والجنرال فيرناندو بيرث الذي انطلق من امليلية في معاناة كبيرة. وبعد هذا الحصار الشديد تم الانزال الاسباني بمناء النكور (الحسيمة الحالية) أيام 8-9-10 شتنبر 1925

وأمطرت البوارج الإسبانية والفرنسية (60) التي كانت تجول بخليجه القرى القريبة منه بوابل من القنابل الفتاكة والتي كانت معززة بأسراب الطائرات المقنبلة التي شنت الغازات الخاطفة على المجاهدين الذي واجهوا بكل قواهم الهجوم المشترك لجيشين حليفين. فتوغلت القوات الغازية الذي ارتفع عددها الى حوالي 18514 رجلا في القبيلة الورياغلية ممارسة التخريب واشعال النار في القرى حتي وصلت الى أجدير فدمرتها تدميرا.... (قلما تعرضت المراجع المغربية الى هذا الانزال العسكري بنكور باستثناء العربي اللوه في كتابه : "المنهال في كفاح أبطال الشمال" ومحمد محمد عمر القاضي في كتابه "حرب التحريرية الريفية" (ج2)).

(20) كان الخطابي - حسب شاهد عيان إسباني - يملك هو الاخر عدة طائرات حربية غنمها من حروبه السابقة الا أنه لم يستطع استعمالها لعدم توفره على المعدات الضرورية. وعن القنابل السامة انظر كتاب : «حرب الغازات السامة بالمغرب : عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيميائي» من تأليف مؤلفين ألمانيين وتعريب عبد العالي الأمراني (منشورات فيدباك 1996).

(21) عن معركة ورغة انظر كتاب الجنرال 1854-1934 "Lyautey Marechal de France: Durosoy "

(22) روبيرت فورنو :"عبد الكريم أمير الريف".

(23) وتقول بعض الروايات التاريخية عن هذه المرحلة الحاسمة من حرب الريف ما ياتي :

"Et le 12 avril 1925, la deuxième phase de la guerre du Rif commence : Mohamed ben Abdelkrim lance une grande offensive sur le front de l'Ouergha. Il encercle et enlève les postes installés sur la rive droite de l'oued qu'il franchit. Il progresse vers Taza et Fès et ses forces arriveront jusqu'à Aïn Aïcha et Tissa.

Du côté français la doctrine de Lyautey est evidemment abandonnée. Le gouvernement français limoge son représentant, dépêche des renforts, nomme Steeg en tant que résident général et pour diriger les opérations, nomme Pétain à la tête de ses forces au Maroc.

De 100.000 hommes, les effectifs étaient passés à 160.000 hommes, soutenus par de nombreux supplétifs et commandés par 42 généraux. En 1925, il y a 325.000 hommes de troupes régulières, 400.000 supplétifs, soit au total 32 divisions, commandées par 60 généraux. Ces forces disposent d'une importante artillerie et sont soutenues par 44 escadrilles d'aviation. Mohamed ben Abdelkrim se heurte maintenant aux gros bataillons de Pétain. Ses mouvements sont décelés par les avions, ses convois de ravitaillement sont mitraillés.

Dans le courant de 1925, Français et Espagnols désormais alliés vont concerter leur action. Le 10 août les forces françaises et espagnoles font leur jonction à Larache et menacent Chaouen : le 28, Pétain lance une offensive de grand style sur le front de l'Ouergha. Partout les Rifains résistent avec bravoure, parviennent parfois à repousser les assauts.

Mais le coup de grâce va être porté le 8 septembre par le débarquement franco-espagnol à Al Hoceima.

Primo de Rivera assiste en personne à l'opération sur la passerelle d'un torpilleur dans la baie d'Al Hoceima.

"J'ai promis au maréchal Pétain de débarquer aujourd'hui, dit-il. Voilà qui est chose faite".

Une véritable armada a été rassemblée. Une escadre française comprenant le cuirasse "Paris", deux croiseus, deux torpilleurs et de nombreux navires auxiliaires commandée par l'amiral Hallier a bombardé Sidi Driss pour fixer les effective de Mohamed ben Abdelrim et faciliter ainsi le débarquement espagnol. Celui-ci est protégé par 2 cuirasses, 5 croiseurs, 6 canonnières, 2 contretorpilleurs. Les navires auxiliaires comprennent 4 remorqueurs, 6 cargos, 25 barcasses et des chalands, qui vont débarquer des chars et des mitrailleuses.

Le général Sanjurjo commande le corps de débarquement. Sous un déluge de feu, une tête de pont est constituée. Attaque au sud, à l'est, à l'ouest, au nord Mohamed ben Abdelkrim se bat avec bravoure et ne cède le terrain que pas à pas. Mais le 20 octobre Ajdir est occupé et l'étau se resserre. L'hiver apporte un répit. Les assaillants en profitent pour consolider leurs positions. Mohamed ben Abdelkrim est contraint d'en faire autant. Mais il n'est pas équipé pour une guerre de ce genre. A l'inverse de ses adversaires."

انظر دراسة عن الحلف العسكري الفرنسي الاسباني ضد الثورة الريفية والمنعقد بمدريد خلال شهر يوليوز 1925 في مجلة

الوثائق الوطنية عدد : 5 - 6 (1990).

(24) لقد تقرر انعقاد مؤتمر وجدة في شهر أبريل من سنة 1926 لفتح المفاوضات بين الريف وفرنسا وإسبانيا قصد وجود حل سلمي للحرب الريفية والضغط عليه لقبول الحكم الذاتي في حال اعترافه بالمعاهدة «الإسبانية الفرنسية لسنة 1904 التي تقسم المغرب الى منطقتي نفوذ منفصلتين». ودام مؤتمر وجدة من 26 ابريل الى 4 مايو 1926.

(25) صرح القائد الخطابي في هذا الظرف العصيب من حياته بقوله :

«لقد كنت أحارب دولتين قويتين، لم يكن لي من الرجال غير عصبة قليلة بعددها وأسلحتها وذخائرها وكنت على كامل اليقين - كما قلت - من أن فشلي قد أصبح أمرا منظورا، فرأيت أن الحكمة الانسانية تقضي علي بالتسليم ورمي السلاح رحمة بسكان الريف وقبائله قبل أن تلم بهم ويلات حرب لم يبق فيها أمل فنذهب بالباقية منهم، ولكنني كنت قررت قبل أن أهاجم الإسبان على رأس فرقة مخلصة من رجالي أن لا أرجع عنهم الا بعد أن أسقط في ساحة الوغى قتيلا دفاعا عن بلدي ووطني ولكن أنصاري لم يرضوا فكرتي هذه وأخذوا يحاورونني بما يصيب عائلتي من بعدي فعدلت عندئذ عن فكرتي هذه وقررت أن أسلم نفسي لفرنسا» (عمر أبو النصر : بطل الريف الامير عبد الكريم ص 234).

هذا وفي 14 يوليوز 1926 اقيم استعراض عسكري ضخم حضره رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس الحكومة الاسبانية الجنرال ذي ريفيرا والمرشال بيتان........

وبذلك انتهت ثورة مغربية حاربت الجيش الإسباني من يونيه 1921 الى أبريل 1925، والجيشين الإسباني والفرنسي المتحالفين من أبريل 1925 الى ماي 1926 وكان مجموع المعارك التي خاضتها تعد بالمآت، تركت في ساحة الوغى - كما أعلن عن ذلك رسميا نائب كاتب الدولة لدى وزير الحرب الفرنسية يوم 23 دجنبر 1925 - خسائر بشرية هامة : القتلى 140 ضابطا و 2500 من الجنود من بينهم 1800 فرنسيا، المفقودون : 200 ضابطا و 12000 من الجنود، من بينهم 225 فرنسيا.

(26) وأمام هذا الوضع الخطير أمر السلطان مولاي يوسف بجمع الحركات "واستعرض أمامه" المحلة" التي اسند قيادتها لاخيه مولاي المامون. وكان يساعده في القيادة محمد البغدادي وذلك من أجل المحافظة على الأمن في البلاد التي كانت تحت سلطة المخزن.

(27) كان الجيش الريفي قويا حيث كان يتوفر على 75000 محارب من بينهم 20.000 محارب مسلح. وعند ماسلم الخطابي نفسه كان في حوزة رجاله سنة 1926 : 135 مدفعا و40.000 بندقية و240 رشاشا آليا و8 مدافع و كميات كبيرة من القنابل والذخائر التي كانوا قد استولوا عليها من الاسبان والفرنسيين. (ولتزهاريس : فرنسا واسبانيا في الريف). كما كان بين يديه صبيحة استسلامه (26 ماي 1926) من الأسارى : 6 ضباط و 27 جنديا فرنسيا و 112 جنديا جزائريا وسنغاليا و 105 إسبانيا و 25 فردا لايرتدون الزي العسكري.

(28) كتب عنها أحد الضباط الفرنسيين قائلا :

Partout, du Bibane à Tanouat et au Leben. Les Rifains à bout de souffle ont été repoussés, leurs pertes sont telles qu'Abd el Krim doit d'urgence y dépêcher d'importants renforts. Notre progression dépasse 20 kilométres sur un front de 50.

Ces journées marquaient un incontestable succès et beaucaoup pensèrent avec raison qu'exploité par une masse de dix à vingt bataillons ce succès aurait pu sinon mettre un terme immédiat à l'agression rifaine, du moins nous permettre de reprendre l'initiative, d'obtenir de nombreux ralliements et de poursuivre une fructueuse action politique.

Il n'en fût malheureusement rien. Les quelques renforts reçus sur les 12 bataillons demandés d'urgence le 30 avril, n'arrivent que par fractions infimes appelées, dès leur entrée dans la lutte, à remplacer plutôt qu'à renforcer des unités exsangues, recrues des fatigues de combats incessants depuis quarante jours, sans repos, sans sommeil, les uniformes de toile en loques, les chaussures crevées, le tout sous un soleil ardent, parfois sous des coups de "chergui", ce vent d'est brûlant.

Pas question de relève et pour personne, ni combattants de toutes armes dont certaines unités ont perdu près de 50 pour cent de leurs effectifs, ni aviateurs aux dix missions par jour, ni officiers de Renseignements, ni partisans dont les harkas sont désormais fondues, avec nos bataillons ; ni les chantiers qui sans relâche, en pleine montagne, créent et entretiennent les pistes et maintiennent les communications ; ni les Services attelés nuit et jour à faire monter vers l'avant des tonnes de vivres et de munitions et les pousser souvent en zone de complète insécurité jusqu'aux exécutants, les rames de

camions, les convois de mulets n'arrêtant jamais leur haletante noria ; ni le Service de Santé portant les premiers soins sur le front même du combat, pour des évacuations sur cacolets, à dos de mulets, seules praticables en montagne, jusqu'aux ambulances de l'avant, jusqu'aux hôpitaux où l'on opère jour et nuit.

(29) هذه وجهة نظر فرنسية عن الحرب الريفية ومقاومة الجيش الفرنسي لقائدها وجيوشها كتبها شاهد عيان وهو الجنرال :"Maurice Durosoy ": Avec Lyautey, homme de guerre, homme de Paix" (Mai 1976)

نقلناها بتصرف وقد كان مؤلف الكتاب رئيس الديوان السياسي للمرشال ليوطي برتبة ملازم.

هذا وقد ظل بعض المجاهدين يقاومون احتلال الجيوش الإسبانية والفرنسية في جيوب مختلفة خلال الشعاب والجبال.

وقد استطاع أهل «تاغزوت» الأشبال - سكان قلب الريف المجاهد - أن يتابعوا الكفاح سنة أخرى بعد الحرب الخطابية. وجدير بالذكر أن أهلها كانوا وما زالوا مشهورين بصناعه البنادق، وقد استطاع شخصان منهم أن يصنعا مدفعين في أيام الجهاد، فبواسطة المدفع الأول تمكن البطلان من أن يردوا هجومات الإسبان على شفشاون ولكن الإسبانيين حطموه في معركة قرب تطوان. أما الثاني فكان البطلان يردان به هجومات الفرنسيين على مدينة تاونات ولكن الفرنسيين أيضا توصلوا الى تحطيمه مما أدى إلى استشهاد البطلين.

والجدير بالذكر أن قبيلة غزاوة نسقت هي الأخرى خطتها الحربية مع قبيلة بني مستاوة - بعد توقف الحرب الريفية- لتحصين المنطقة الجبلية ضد المعتدين، ولم تسقط في يد الغزاة الا بعد سقوط أجدير سنة كاملة. وأشرف قائدها الفقيه المجاهد محمد العبودي على تبادل الأسرى بين مجاهدي المنطقة والقيادة الفرنسية بعد معركة وزان سنة 1925. وبعد ذلك هاجمت القوات الفرنسية المنطقة بسرب من الطائرات أسقط المجاهدون واحدة منها قرب تروال ببني فركلدة وثانية بمدشر الفرحة. وقتل في هذه المعركة عدد من الجنود الفرنسيين. وذكر بعض المؤرخين أن أهم معركة وقعت بغزاوة هي معركة "أسردون" حيت انتهت بانتصار الجيوش الأجنبية سنة 1927. وبعد احتلال المنطقة من لدن الجيش الفرنسي تولى الفقيه العبودي منصب القضاء بغزاوة الي أن توفى رحمه الله سنة 1950 عن سن يناهز 84 سنة. (جولة مع اعلام مغمورين : العلم - 8 ماي 1977).

وتقول مصادر أخرى أن الحرب استمرت في شكل عصابات يقودها البطل المجاهد عبد السلام التمسماني لمدة سنة ونصف الى أن قضت عليه الجيوش الإسبانية وسلم نفسه الي فرنسا التي سجنته بسجن لعلو بالرباط تم سلمته لإسبانيا التي فرضت عليه الإقامة الإجبارية بتطوان الي أن توفاه الله. كما أن بعض القبائل الريفية الأخرى (كبني خالد وبني أحمد) واصلت عملياتها في غمارة وجليف والأخماس بقيادة قائد عنيد أحمد خرخورة الملقب بأخريرو، (الذي امتاز بمواهب عسكرية منذ صغر سنه حيث قام بحرب العصابات ضد الإسبان المحتلين لمدينة تطوان قبل اندلاع حرب الريف)وأحمد الحزمري، مولاي احمد البكار(انظر اسماء مغمورة لقادة الجهاد في المغرب للتمسماني خلوق أحمد خريرو، تازية الوهابي، محمد ولد سيدي لحسن -مجلة دارالنيابة ع 1988،14،12،9). ومحمد البنيانو بمدينة شفشاون سنة 1921. (فبعد احتلالها من طرف الإسبان شن الشيخ بن محمد بن عبد الكريم البنانيو حرب العصابات على الاسبان بمدينة شفشاون سنة 1921، وكان يصاحبه المكي بن التهامي الوزاني، وقد بثت هذه الحرب الرعب في صفوف الاسبان، وتابع البنانيو حملاته على الاسبان والفرنسين معا في حرب الريف، وقد بعثه محمد بن عبد الكريم الخطابي داعيا للحركة الريفية في قبيلتي الاخماس وبني عروس اللتين كانت تدوران في فلك احمد الريسوني.

وعندما جلى الاسبان عن شفشاون تولى قيادة الجهاد ضد الفرنسين حول منطقة وزان، وعندما استسلم الخطابي ظل البيانو مجاهدا بقبيلة الاحماس على رأس كتلة من المحاربين الذين لجأوا اليها للصمود في وجه الهجوم الاسباني (1927) وفي سنة 1933 شارك في انتفاضة ضد الاسبان بباب تازة بقبيلة الاخماس قرب شفشاون. وساهم في "تمرد آخر ضد المحتلين وكاد أن يقبض عليه ولكنه فر إلى طنجة وبقي بها إلى عهد الاستقلال. (عن جريدة "الشرق الاوسط (31-8-92) بتصرف("سيرة آخر قادة الجهاد بجبال الريف").

(30) للمرحوم القاضي احمد سكيرج مخطوط أسماه الظل الوريف في محاربة الريف". سجل فيها معلومات قيمة عن حرب الريف وأميرها أدلى بها المجاهد محمد أزرقان وزير خارجية القائد الخطابي عند ما نفي الى مدينة الجديدة رفقة السيد محمد بوجبارة. وفي هذا المخطوط معلومات مهمة عن حركة الجهاد بالريف وظروف استسلام القيادة الريفية (انظر بعض فصولها في «مجلة دار النيابة» العدد 9 السنة الثالثة 1986).

(31) انظر عن نزول عبد الكريم الخطابي إلى أرض الكنانة كتاب : د. امحمد بن عبود "مكتب المغرب العربي بالقاهرة - الرباط 1992 (ص 39 ومابعدها).

(32) هذا وقد انتقل شقيقه وساعده الأيمن في حرب الريف السيد امحمد الخطابي الى رحمة ربه يوم 17 دجنبر سنة 1967م ودفن بمسقط رأسه أجدير بعد أن قضى أربعين عاما خارج بلاده .

وللمزيد من المعلومات عن هذه الحرب وحياة قائدها الخطابي تجب مراجعة - بالإضافة الى الكتب التي أتينا على ذكرها

في الهوامش - الكتب الاخرى الاتية :

Abdelkrim, origine de la Rebellion non Africaine par Pierre Fontaine (1958), Memoires d'Abdelkrim de Roger Mathieu (1927) - Abdelkrim et les évenements du Rif de léon Gabrielli (Casa)

"سيرة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي بطل الريف" لرشدي الصالح (من نابلس بفلسطين، ألفه سنة 1943) (المطبعة السلفية القاهرة)، و"عبد الكريم الخطابي" لجلال يحيى (دار الكتاب - القاهرة)1968، "وأسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي" لمحمد عمر القاضي، و"بطل الريف الامير عبد الكريم" لمحمد أبو النصر، (دمشق 1934)، و"الامير محمد عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الافريقي" لمحمد المحامي (دمشق 1934) ومحمد الصوفي (سلسلة أعلام حربية)، و"عبد الكريم أمير الريف" لروبير فورنو، ترجمة د.فؤاد أيوب، "وعبد الكريم وأحداث الريف" لليون كابريلي، ترجمة عبد الكريم الامراني، و"عبد الكريم وحرب الريف" لدافيد وولمان - (برشلونة 1971). و"جدور حرب الريف" (1909 - 1921) لجرمان عياش (منشورات السوربون 1981) (les origines de la guerre du Rif)، عربه محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق (1992). وقد كتب عثمان بناني تحليلا لهذا الكتاب تحت عنوان : "قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي"،. وأكد في هذه الدراسة أن عياش اعتمد كثيرا علي مخطوطة ضابط إسباني المعروفة "بمخطوطة ساني" (Sanges Manuscrit) (دراسات تاريخية مهداة لجرمان عياش - منشورات كلية الآداب بالرباط رقم 32-1994) ؛ "وثروة الخطابي" لروجي مانيو "وحرب الريف" (أطروحة من جامعة ليدس البريطانية) لريتشارد Pennel و"الاستعمار الاسباني في المغرب : 1860-1956 لميكل مارتين، ترجمة عبد العزيز الوديي (من ص 55 الى ص 85).

و"ابن عبد الكريم وحرب الريف" (1921-1926) لحسن أغزدي (أطروحة دكتوراة الدولة بفاس) و"حرب الريف التحريرية ومراحل النضال لأحمد البوعياشي" (جزآن) "وحرب التحريرية الريفية" (جزآن) لمحمد عمر القاضي، "والمنهال في كفاح ابطال الشمال الثلاثة" (الشريف محمد أمزيان والشريف أحمد الريسوني والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي) للعربي اللوه. وأطروحة عبد الرحماني اليوسفي : المقاومة المغربية للتغلغل الأجنبي في الفترة من 1904 إلى 1934. احتلت فيه دراسة عن الثورة الريفية مركزا متميزا). وأطروحة لحسن أغزادي بعنوان "ابن عبد الكريم وحرب الريف" (1921-1926) - (كلية الآداب - بفاس) و"عبد الكريم الخطابي" لثابت كريم خليل القاهرة 1925، و"الحرب الريفية وسر انتصار الأمير عبد الكريم الخطابي" للعمري أ- ف بغداد 1925 و "Abdel-Krim" لـ : - Londres 1967 Rapert Furneaux ترجمه الى العربية فؤاد أيوب (دمشق). و"عبد الكريم الخطابي ودوره في لجنة التحرير المغربية (1947-1955)" رسالة الماجستر في التاريخ من جامعة بغداد (1988) للسيد محمد أرسلان مزيان (اعتمادا على مذكرات الخطابي التي توجد في ملكية والده). وكتاب محمد سلام أمزيان : عبد الكريم الخطابي وحرب الريف (القاهرة 1971) "والأمير عبد الكريم الخطابي والثورة الريفية، ومعارك الثورة الريفية، ومعركة أنوال (21 يونيه 1921)، «وومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مشاهدات شاهد عيان بإسبانيا» (ص 91) لمحمد بن عزوز حكيم. و"معركة أنوال ونتائجها" لكردية ابراهيم، و"أنوال 1912 كارثة اسبانيا في الريف» للمؤرخ الإسباني : 1996 Manuel Leguineche (كتب عنه عبد العزيز خلوق التمساني في عرض بالملحق الثقافي للعلم (7-12-96) بعنوان : «حركة الريف التحريرية في مواجهة حرب الغازات الكيمائية السامة» ؛ وحرب الريف (محمد بن عبد الكريم) «لمحمد زنيبر(Memorial du Maroc) ج : 5؛ و«حرب الريف» الجزء الثاني من "حياة وجهاد" لمحمد بن الحسن الوزاني (مذكرات)؛ و«زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي» لمحمد العلمي (1969)؛ "ونهاية حرب الريف" 1925-1926" لعبد الرحيم الورديغي (1987)، و"دور المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في حرب الريف " للتهامي الوزاني (الجزء الثالث من تاريخ المغرب). و"قصة نزول الأمير الخطابي" لسلام امزيان (مخطوط) "وماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية" لمحمد ابن ابراهيم الكتاني (العلم 21-7-1990) وأنجز الأستاذ محمد خرشيش عملا جامعيا في موضوع : "فرنسا وحرب الريف" (1921-1926) (La France et la guerre du Rif) (université Lumière Lyon II 1989) ونشر الباحث الطيب بوتبقالت أطروحته بعنوان : "حرب الريف وردود فعل الرأي الدولي " (1921-1926) .(La guerre du Rif et la réaction de l'opinion in-ternationale) Casablanca 1992. وتوجد مجموعة كبيرة من المراسلات المتبادلة بين الشخصيات الريفية والسلطات الاسبانية استثمرها المؤرخ شارل ريتشارد في نيل أطروحته المتمحورة حول المجتمع القروي والحرب الريفية.

(انظر عرضا في الموضوع لعبد العزيز خلوق التمسماسي في الملحق الثقافي للعلم 16 يناير 1993). الى غير ذلك من المراجع وبحوث الندوات عن حرب الريف (كندورة : Ibn Abdelkrim et la Republique du Rif" 'actes du colloque international d'études Historiques et sociologiques(18-20 Janvier 1973 Maspeo (1976)) Paris شارك في هذه الندوة عدد من الباحثين الأجانب والمغاربة مثل : R.Blachères, J. Berque , ch. A Julien M. Morsy , J. L. Miège , V. Monteil وابراهيم بوطالب، وعبد الله العروي، ومحمد زنبير...).

وكذا الأعداد الخاصة من المجلات المغربية كالعدد الخاص من مجلة دار النيابة (عدد 9-1986) والملحق الثقافي لجريدة العلم عن معركة أنوال (22 يوليوز 1977). و"ملفات من تاريخ المغرب" العدد الأول (يونيه 1996) : محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة : لجوء أم مؤامرة. و"معركة أنوال" والحدث العظيم بقلم سعد عبد الكريم الخطابي (العلم 18- 7 - 96)، ومجلة أمل (عدد خاص) : قضايا في حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي (عدد 8 - 1996).



بطل من الرماة المغاربة 1939

الجيش المغربي يخوض معارك الحرب العالمية الثانية

كلمة عن الحرب العالمية الثانية :

كانت المعركة الشهيرة بالعالمين بمصر التي انتصر فيها الحلفاء بمصر بداية النهاية او المسمار الأول الذي يدق في نعش امبراطورية الرايخ الثالث. ثم تابعت قوات الحلفاء انتصاراتها بقيادة الفيلد مارشال مونغمري فوصلت الى برقة وبنغازي وطرابلس الغرب وتونس وصقلية وايطاليا... ثم بدأت عملية الغزو الكبير لجيوش الحلفاء عبر بحر المانش البريطاني بقيادة كل من ايزنهاور ومونغمري فأحرزوا الانتصار الساحق في معركة «نورماندي» ومعركة «أرلنهم» غير ان القوات الأميركية تعرضت للخسائر الفادحة في معركة الأردين ولكنها استطاعت النهوض والانتصار وواصلت قوات الحلفاء الزحف الى برلين وجعلت تلك المدينة حطاما ركاما. واستسلمت المانيا النازية، وحقق الحلفاء النصر في الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها خمسون مليون فرد. ولقد علق الجنرال ديغول في معرض حديثة عن تلك الحرب المدمرة فقال «لقد خسرت كل الدول وتعرضت دولتان للهزيمة».

ان الذين شاهدوا حرب الخنادق في معارك دنكرك ونورماندي والاردين وشمال افريقيا والعلمين والغارات الوحشية التي كانت تقوم بها الطائرات يعرفون جيدا مدى ما أحدثته تلك الحرب من ويلات ودمار تعجز الأقلام عن وصفها. لقد عاشت أوروبا كلها والكثير من المناطق ستة اعوام عجاف في الملاجىء وفي ظلام الليل الحالك، وتعرضت الكثير من المناطق للجوع والنقص في الأغذية وخاصة الشعب الألماني بعد استسلامه وسقوط امبراطورية الرايخ الثالث.

وفيما يلي بعض التفاصيل المتعلقة بمشاركة الجيوش المغربية في هذه الحرب الضروس:

شارك المغاربة أولا في هذه الحرب تلبية لنداء جلالة السلطان محمد بن يوسف لأجل محاربة الفاشية والنازية إزاء فرنسا والحلفاء حتى ترفع راياتها مكللة بالمجد والفخر.

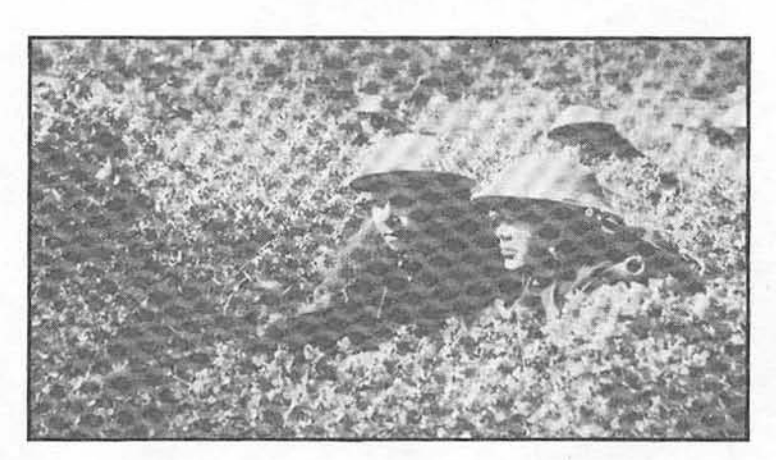
فعند الاعلان عن الحرب العالمية الثانية صدر تصريح لملك المغرب رحمه الله بتاريخ 7 شتنبر 1938 قال فيه : «أستطيع أن أؤكد بأعلى صوتي أن سلطان المغرب وجميع رعاياه سيقومون قومة واحدة ويكونون بجانب فرنسا». وهكذا اختار المغرب ملكا وشعب معسكر الديمقراطية ضد معسكر الديكتاتورية الفاشستية وساند فرنسا مساندة غير مشروطة وأمدها بكل ثرواتة البشرية والمادية. وفي 3 شتنبر من سنة 1939 تلي على منابر مساجد المغرب نداء سلطاني يدعو المغاربة "بعد ماتركت الحرب العالمية الأولى أسرا منكوبة ونواحي مغصوبة ومدنا مهدومة وثروات محطمة" الى بذل «الاعانة الكاملة لفرنسا وتعضيدها بكل ما لديهم من الوسائل للقضاء على زوابع الفتنة وعواصف الاضطراب، وتعميم اظمئنان القلوب وإزالة وسائل

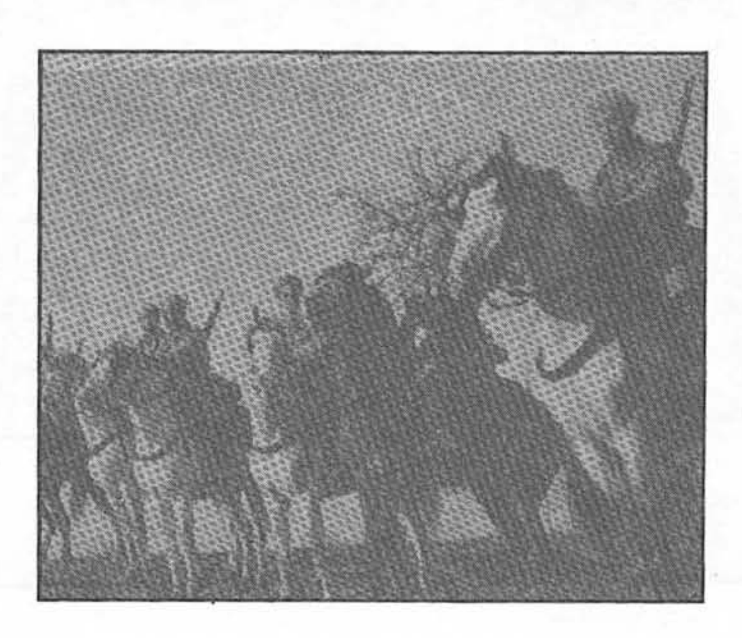


Un goum se dirige vers le front.









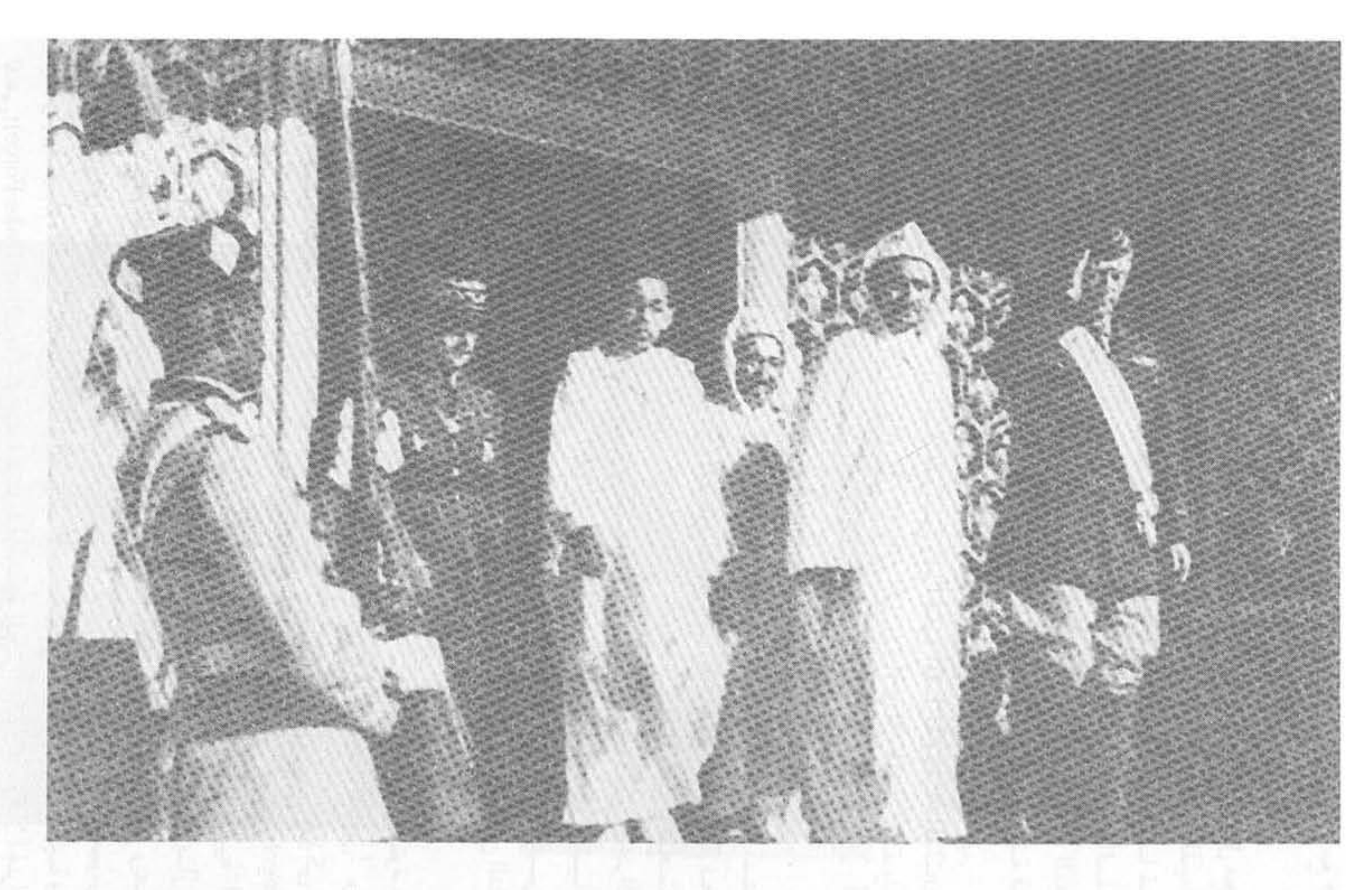
رجال الكوم والسبايس في مناورات عسكرية

الكروب، حتى يعم السلم كل الآفاق وسائر الأماكن»[1] وقد علق جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه "التحدي" على اتخادجلالة والده قرار إعلان الحرب على ألمانيا والتضامن مع فرنسا ضدها بقوله : "لقد أسدل والدي ستار النسيان على الباقي، كل الباقي"[2].

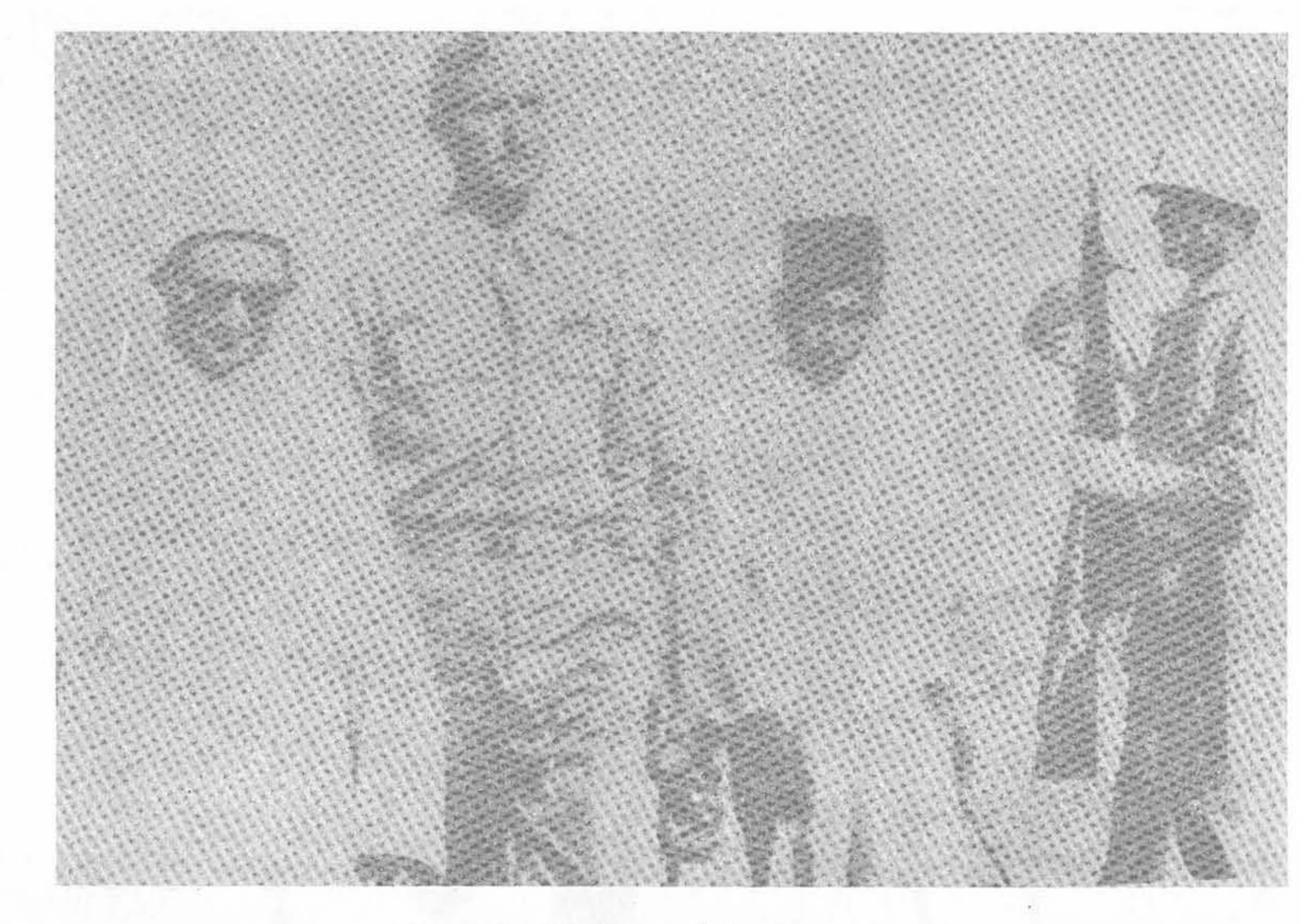
وتشبثا بموقفه الراسخ رفض السلطان سيدي محمد بن يوسف التعامل مع لجنة الهدنة الألمانية التي قدمت الى المغرب بموافقة حكومة بتان[3] . كما رفض السلطان طلب المقيم العام الجنرال نوكيس القاضي بنقل عاصِمة المغرب موقتا من الرباط الى فاس عندما شرعت قوات الحلفاء في النزول بالدارالبيضاء وأسفي والقنيطرة يوم 8 نونبر 1942. وصرح السلطان للمقيم العام بأنه لا خطر على المغرب من نزول الحلفاء بأرضه، وأن الحرب ليست موجهة اليه اذ أنه سبق له أن أعلن بجانبهم الحرب على ألمانيا، ونصح المقيم العام بالتوقف على مناهضة قوات الحلفاء لمنعها من النزول. وفي هذا كتب جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه "التحدي" : "قال والدي للجنرال نوكيس يوم 9 نونبر : إن الدم الفرنسي ودم الجنود المغاربة ودماء المدنيين تراق. وقد أعلن الرئيس روزفيلت والجنرال إيزنهاور أن القوات الحليفة أتت الى المغرب كقوات صديقة، وأنت تعرف هذا أكثر مني، ان هذه القوات لاتغلب، فعليك إذن أن توقف القتال. أما بالنسبة لي كملك للمملكة المغربية فإن أول واجب علي هو حقن الدماء" [4].

وبعد أن قطع الحلفاء على أنفسهم الوعد بأن يهبوا الاستقلال للبلدان المستعمرة إذا ما شاركت بشعوبها في إنقاد العالم من التوسع الألماني شارك المغرب مشاركة فعالة في هذه الحرب بمقتضى مؤتمر أنفا (14-24 يناير 1943) الذي حضره جلالة السلطان محمد بن يوسف والرئيس روزفيلت. وفي المؤتمر الذي ضم روزفيلت وتشر شنيل والجنرال دگول والجنرال جيرو بآنفا اتفق على إنزال جيوش الحلفاء بأرض المغرب لضرب الجيش الألماني الموجود بليبيا تحت قيادة الجنرال الألماني الشهير "رومل" من الخلف والدخول الى إيطاليا . وفي نونبر 1944 أنزل الأمريكيون والبريطانيون قوات كثيرة بقيادة الجنرال إيزنهاور، وعلى مقربة من الدار البيضاء ووهران والجزائر استعداد للزحف المشهور.

هذا وقد حاول هتلير أن يكسب عطب الإفريقيين الشماليين قبل خصومه ليصل عن طريق بلادهم الى سد الطريق في وجه زحف الحلفاء. ولكن : ولات حين مناص! والغريب في الامر أن الجيش الفرنسي الموالي لحكومة فيشي بالمغرب قاوم نزول الجيش الأمريكي بالشواطيء المغربية تحت قيادة الجنرال Giraud وبإيعاز من المقيم العام الفرنسي الجنرال Nogues (1942). وكانت القوات الفرنسية المرابطة بالمغرب تظنه أنه هجوم قامت به القوات الفرنسية الحرة على المغرب أو أنه احتلال أمريكي للمغرب. فقنبلت المذرعة الفرنسية "جان بار (Jean Bart) الراسية بميناء الدارالبيضاء، السفن الأمريكية. ولكنها دعنت في آخر الأمر وبعد ثلاثة أيام للواقع المفروض عليها بعد مقاومة ذهب ضحيتها جنود من الطرفين. ودخلت الجيوش الأمريكية المغرب بقيادة الجنرال Patton قائد القوات الأمريكية بإفريقيا الشمالية والتي كانت تدعى:(Western Taske Force)، وتحت القيادة المباشرة للجنرال كلارك (وكلا الجنرالان اعترفا بهذا الفضل لمحمد بن يوسف رحمه الله، وبكفاءة رجال الكوم الحربية). وبعد عملية النزول عزل



محمد الخامس رحمه الله رفقة الجنرال الأمريكي "Patton" والجنرال نوكيس وولي عهده "الأمير مولاي الحسن"
(13 يناير 1943)



محمد الخامس رفقة الجنرال الأمريكي Clark و "الأمير مولاي الحسن"



"الأمير مولاي الحسن" يتفقد طائرة حربية أمريكية



محمد الخامس رفقة الجنرالين باتون ونوكيس و "الأمير مولاي الحسن" يستعرضون القوات الأمريكية المرابطة بالمغرب (12 يناير 1943)

الجنرال دكول الجنرال نوكيس (الذي فر إلى البرتغال وحكمت عليه حكومة دغول غيابيا بعشرين سنة سجنا) وكان الجنرال كيوم (مدير الشؤون السياسية في عهد نوكيس) سيلاقي نفس المصير، ولكنه كان محميا بالجنرال Giraud الذي أسند اليه توا قيادة طوابير الكوم المغاربة. وفي مقابل هذا النزول الأمريكي احتل الألمان تونس. فجهش كيوم طابورين من رجال الكوم المغاربة وبعث بهما الى جبهة القتال بتونس حيث اندلعت الحرب العالمية الثانية على أشدها. وقد أطلق على غزو شواطئ المغرب الأطلنطيكية (المهدية - القنيطرة والجزائرية (وهران) من قبل الحلفاء الغربيين اسم عملية الشعلة (Torch). وكان الهدف منها هو كسب مواقع استراتيجية وسياسية عالمية. وكانت من وحي الجنرال الامريكي ايزنهاور. وكان الصراع فيها حادا بين انصار النزول وأضدادهم مثل المرشال بيتان والامرال دارلان وجيرو وجوان وميرفي ونوگيس وكيوم وغيرهم الذين كانوا يتقاسمون النفوذ العسكري في شمال افريقيا[5].

وتقول رواية أخرى في هذال الصدد :

لما هاجم الطيران الياباني (300 طارة) الأسطول الأمريكي الراسي بالبحر الهادي(Pacifique) سنة 1942 قرر الحليفان (الأمريكان والانجليز) النزول بافريقيا الشمالية بثقلهما لقطع الطريق على الألمان للاحتلال حوض البحر الأبيض المتوسط (لأن من احتله انتصر في الحرب)، ولاتخاذ بلدان افريقيا الشمالية قاعدة للانطلاق والهجوم على الجيوش الألمانية بأوروبا. وأطلق تشرشيل على هذا النزول عملية Torch بناء على جملته" : "il faut que la Torche flambe" . ولما كان الجنرال نوكيسNogues المقيم العام الفرنسي بالمغرب مواليا لنظام فيشي قام ضد هذا النزول بينما كان الجنرال Giraud الموالي لدكول مؤيداله.

فجيش نوكيس الجيوش لمقاومة هذا النزول الذي اعتبره مؤامرة مدبرة من قبل القوات الحرة التابعة للجنرال دوكول فقامت معارك بين الجيشين الأمريكي والفرنسي في شواطئ آسفي والمهدية وبوزنيقة وحدثت الخسائر في صفوف الطرفين وفي عتادهما. وطلب ج نوكيس من المغفور له محمد الخامس مغادرة الرباط والتوجه الى فاس ولكنه امتنع عن ذلك معبرا عن تأييده لجيوش الحلفاء.

ولما نزلت الجيوش الأمريكية بقيادة ج Patton (حوالي 5000 جندي و 250 دبابة) في مواني آسفي وفضالة ومهدية احتلت الدارالبيضاء معززة ب 170 طائرة أمريكية بعد معارك صاخبة.

وكان هدف القوات الامريكية من احتلال الشواطئ المغربية الأطلنطيكية هو حماية إفريقيا الشمالية من أي احتلال إلماني أو ايطالي كما عبر عن ذلك مخطط عمليات النزول الامريكي الجنرال دويت د. ايزنهاور.

وبعد ذلك قامت القوات الأمريكية بالدخول الى الرباط. فتلقى الجنرال الفرنسي Darlan من المرشال بيتان الأمر بمقاومة الجيوش الأمريكية حتى تجلو عن المغرب (المحمية الفرنسية).

فطالب ج دوكول والمغفور له محمد الخامس إيقاف المعارك حفاظا على أرواح الجنود المغاربة والفرنسيين. وقرر بيتان إيقاف المعارك. *والتقى نوكيس بايزنهاور بالجزائر لتوقيع* الهدنة.

وقد حضر الجنرال "نوكيس" و "باطون" حفل عيد العرش (18 نونبر1942) الذي أقامه محمد الخامس رحمه الله بقصره بالرباط، وتلقى جلالة المغفور له محمد الخامس رسالة تنوية على موقفه من نزول الجيوش الأمريكية بشواطئ المغرب من طرف الرئيس روزفيلت. وقامت الجيوش الأمريكية الفرنسية- المغربية باستعراض هام بالدارالبيضاء بحضور الجنرال ماجورKeys نائب القائد العام للجيوش الأمريكية بالمغرب والجنرال نوكيس وباشا الدارالبيضاء الحاج حماد المقرى[6].

الجيش المغربي يخترق خط هتلير :

ألفت فرنسا من الجنود المغاربة فيلقا من الرماة وآخر من رجال المدفعية المضادة للطائرات وفيلقا للهندسة (مايقرب من 12000 جندي).... ودربتهم أحسن تدريب على استعمال الأسلحة الفتاكة التي أمدت بها أمريكا فرنسا بمقتضي اتفاق آنفا.

وعندما اشتعلت الشرارة الأولى من الحرب العالمية الثانية تحرك الجنود المغاربة[7] من تلمسان (مركز تدريبهم الجماعي) في اتجاه تونس وحاربوا في صف واحد مع الجنود التونسين (ضد وحدات"La Wehrmacht" لمدة 6 شهور)، وفي صقيلة ومع الجنود الجزائريين في جزيرتي كوسيكا (Corse)[8] وElbe(إلب) لإجلاء الجيش الألماني عنهما وفتح مضيق Messine ، وفي بلجيكا مع جنود جزائريين وتونسيين[9] . ولما تم الجلاء قصد الجيش المغربي إيطاليا عن طريق البحر ونزل بمدينة نابل[10] وهناك وقف الجيش المغربي وجها لوجه مع الجيش الألماني العتيد (نونبر 1943 - يناير 1944) - ومن ورائه جيوش الحلفاء - فاشتد الساق بالساق وصار الجيش المغربي يشق طريقه نحو ناحية "كسينو" ينزع المراكز الدفاعية من العدو ويحتل قمم الجبال (البالغ ارتفاعها ما بين 1200 و2400م)[11] ويواصل سيره غير عابئ لابالمفرقعات التي تنفجر في كل متر مربع من الأرض ولا بالقنابل التي تاتي من كل صوب، ولا بالشهب النارية التي تهب على رأسه كالصاعقات في كل لحظة وحين حتي دخل مدينة "كسينو" (Cassino)(في هذه المعركة قتل الملازم المهدي بن الحاج التهامي الكلاوي) واخترق على رأس جيوش الحلفاء بكل شمم وإباء خط (Gustav) (كما اخترق فيما بعد خط Sieg fried)وخط «هتلير» المنيع الذي كانت ترتعش أمامه قوات الحلفاء (ابريل - يونيه 1944)[12] ، وفك الحصار الألماني الذي كان مضروبا حول الأمريكيين في "Le Port d'Anzio" [13] بعد معركة حامية وجها لوجه دامت عشرين يوما والتي فقد فيها ما يقرب من الألف من رجاله. تم تابع الجيش المغربي طريقه موليا وجهه نحو "روما" عاصمة "موسوليني" وبعد أن شتت القوات الألمانية وكبدها خسائر فادحة، وأسر المئين من الجنود الالمانيين (في معارك صاخبة مثل معركة كركليانو (11 ماي 1944) دخل مدينة روما في فاتح يونيه منتصرا، وتنفس الحلفاء الصعداء!. فصفق العالم الحر للجيش المغربي الباسل. وكان لهذا النصر الذي أحرزه جيش المغرب صدى كبير في الأوساط الدولية !

الجيش المغربي يشارك في تحرير فرنسا :

وبعد أن تسلح الجيش المغربي (6000) بعتاد حربي جديد تابع سيره قاصدا جبال "الآلب" لتحرير فرنسا من الاحتلال الآلماني(Fuite en avant) فجرت بينه وبين الألمانيين معارك صاخبة في وسط الثلوج وبين جبالToscane لفتح الطريق أمام الجيوش الفرنسية لتحرير نواحي Sienne (يوليوز 1944) وFlorence .وفي غشت 1944 نزلت فرقة من الكرم بقيادة الجنرال كيوم [14] و3 من الضباط السامين :Leblanc, De latour du Biast بسواحل فرنسا لتحرير مارسيليا و Toulon [15] بقيادة الجنرال De Monsabert كذلك (الذي كان يقود فيلق الرماة الجزائريين) . وتابعت زحفها لتحرير La Province (غشت 1944)وSenguedor.وبعد أن عبر الجيش المغربي جبال الألب صار يتقدم رويدا رويدا داخل التراب الفرنسي المغطى بالثلوج طاردا الألمان من Les Vosges بقيادة الجنرال De Lattre (قائد الجيش الأول الفرنسي) ، ومن ضواحي واد le Rhin (اكتوبر - نونبر 1944) ، ومن مدن أخرى ومعطبا مصفحاته ومدمرا مراكزه الاستراتيجية ومحطما طائراته رغم البرد القارس والعواصف الهوجاء والثلوج المتراكمة والضباب الكاثف والاوحال العائقة لكل حركة من الحركات.[16]

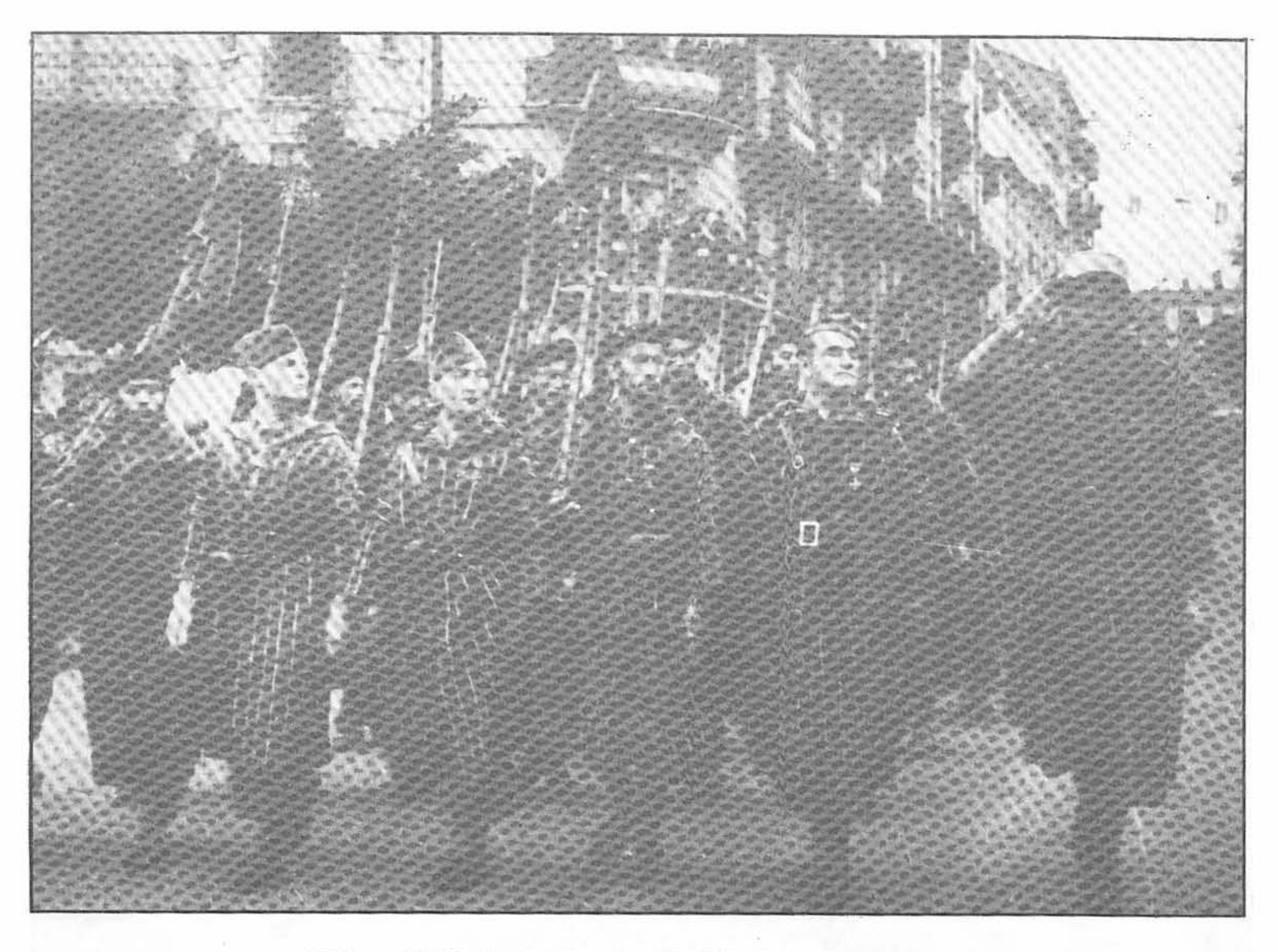
الجيش المغربي يدخل الى المانيا

ولم يقف الجيش المغربي عند هذا الحد بل شارك في احتلال البلاد الألمانية نفسها وضرب عدو الحلفاء في الصميم. وقد أبلى الجيش المغربي في ألمانيا مثل ما أبلى في إيطاليا. فاحتل مدنا ألمانية عديدة[17] ولم يقف زجفه إلا عند وادي Danube وقد أسر 15000 أسير ألماني.

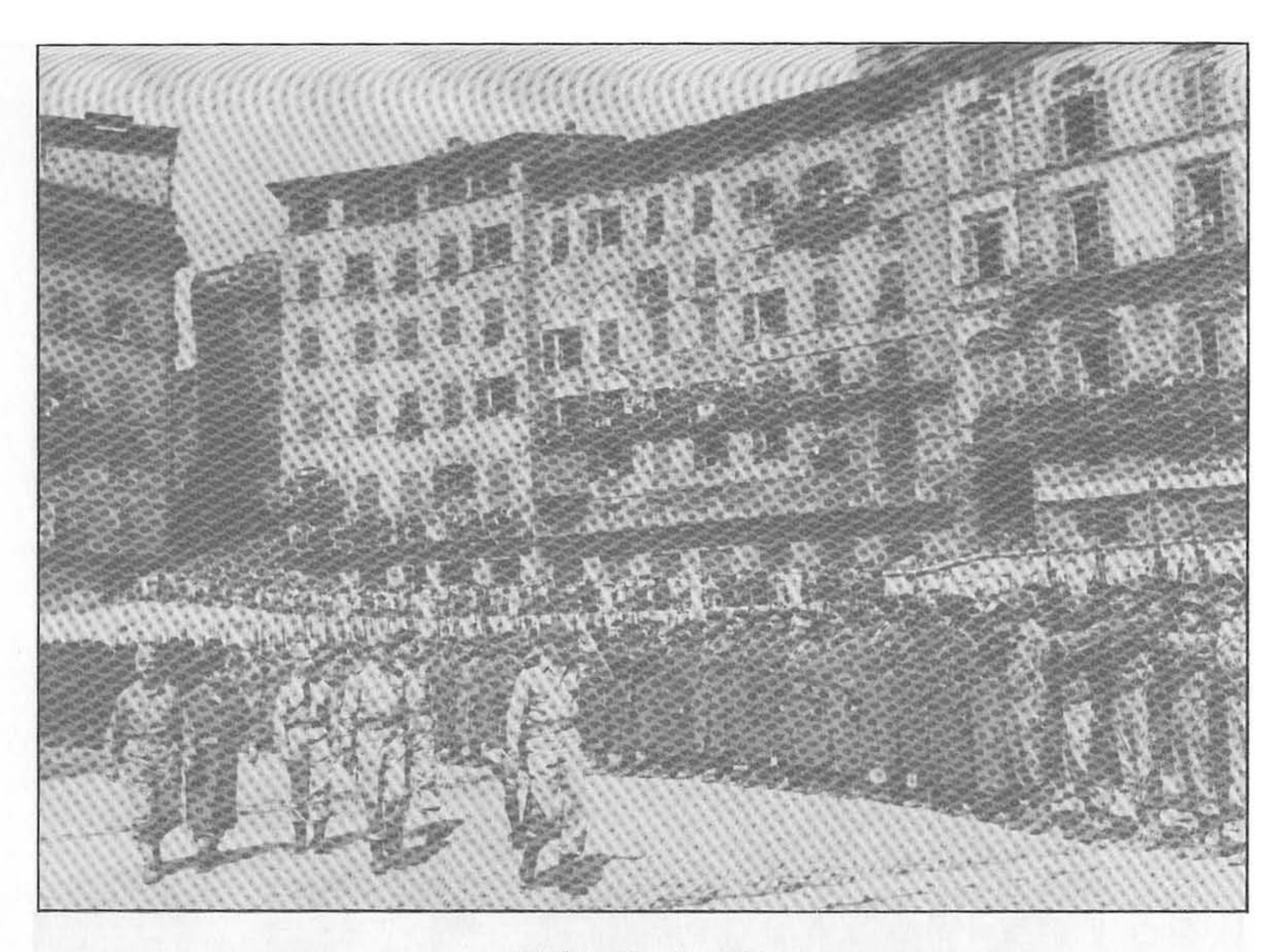
وبعد ألمانيا دخلت فرقة من الجيش المغربي الى بلاد النامسا ووصلت الى ناحية "البيرك" بقيادة الجنرال "بوايي دولاتور". وبقيت فرقة من الرماة المغاربة ضمن الجيش الفرنسي الأول مستقرة بألمانيا المحتلة.

وهكذا لعب الجيش المغربي دورا هاما في الحرب العالمية الثانية وأعان الحلفاء على الانزال بالجيوش الهتليرية هزيمة نكراء تاريخية مخلفا في ساحات الوغى ما بين سنتي 1939 و 1945 ما يناهز 8000 قتيل و 28000 جريح و 7000 أسير، وإن لم يكن له فيها أخيرا لاناقة ولا جمل. ولكنه خلد في سجل تاريخ الحرب العالمية أعظم صور البطولة والشجاعة والنجدة.

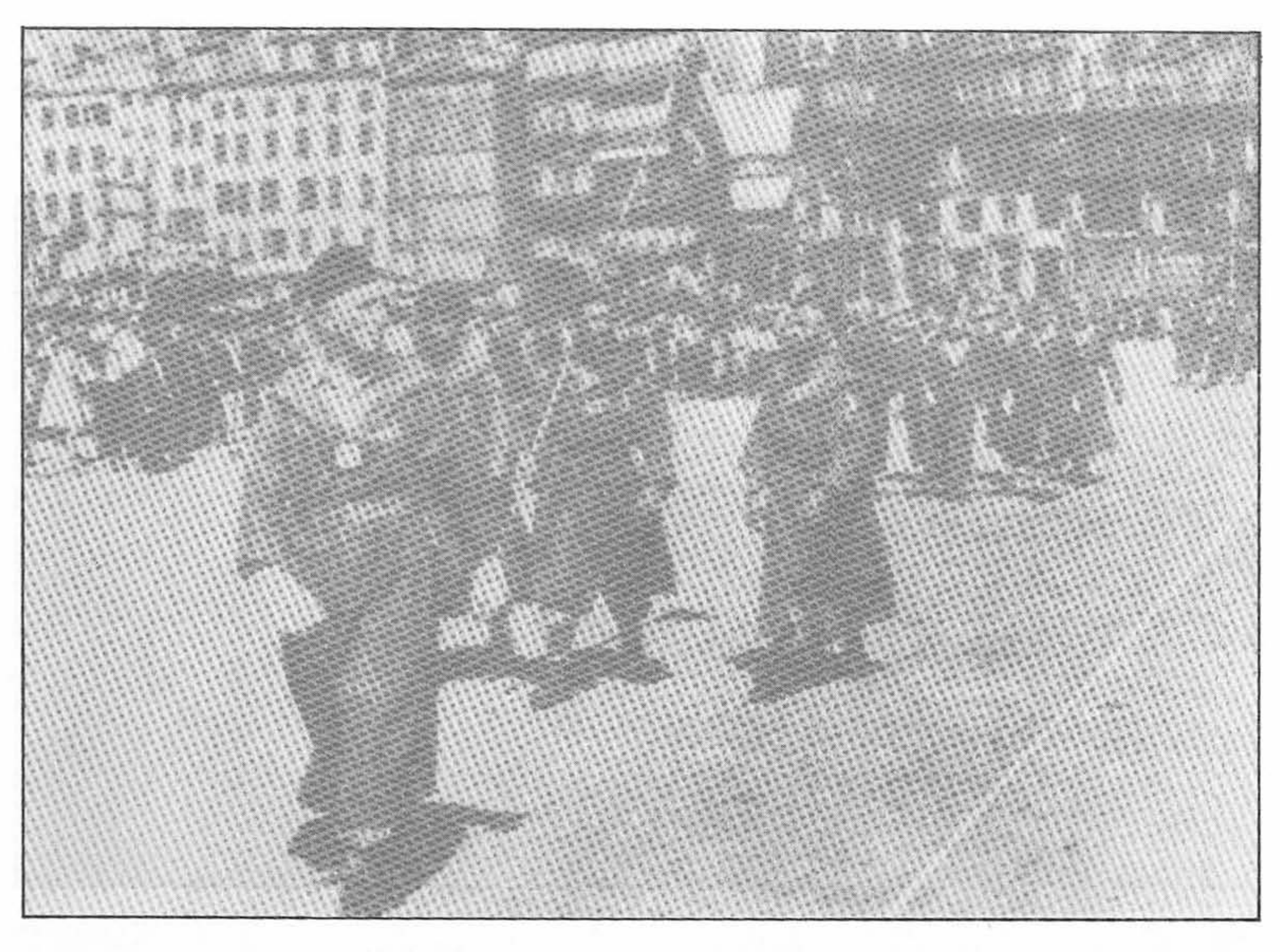
- واعترافا بجميل الجنود المغاربة قام الجنرال ديغول بتوشيح السرية الأولى من الفيلق الثالث للفرسان المغاربة عندما قام بتفقد فيلق الحملة الفرنسية في 17 و 18 ماي 1944. كما استقبل جلالة المغفور له محمد الخامس وولي عهده "مولاي الحسن" بفرنسا في 18 يونيه 1945 ووشح جلالة المغفور له بوسام التحرير.



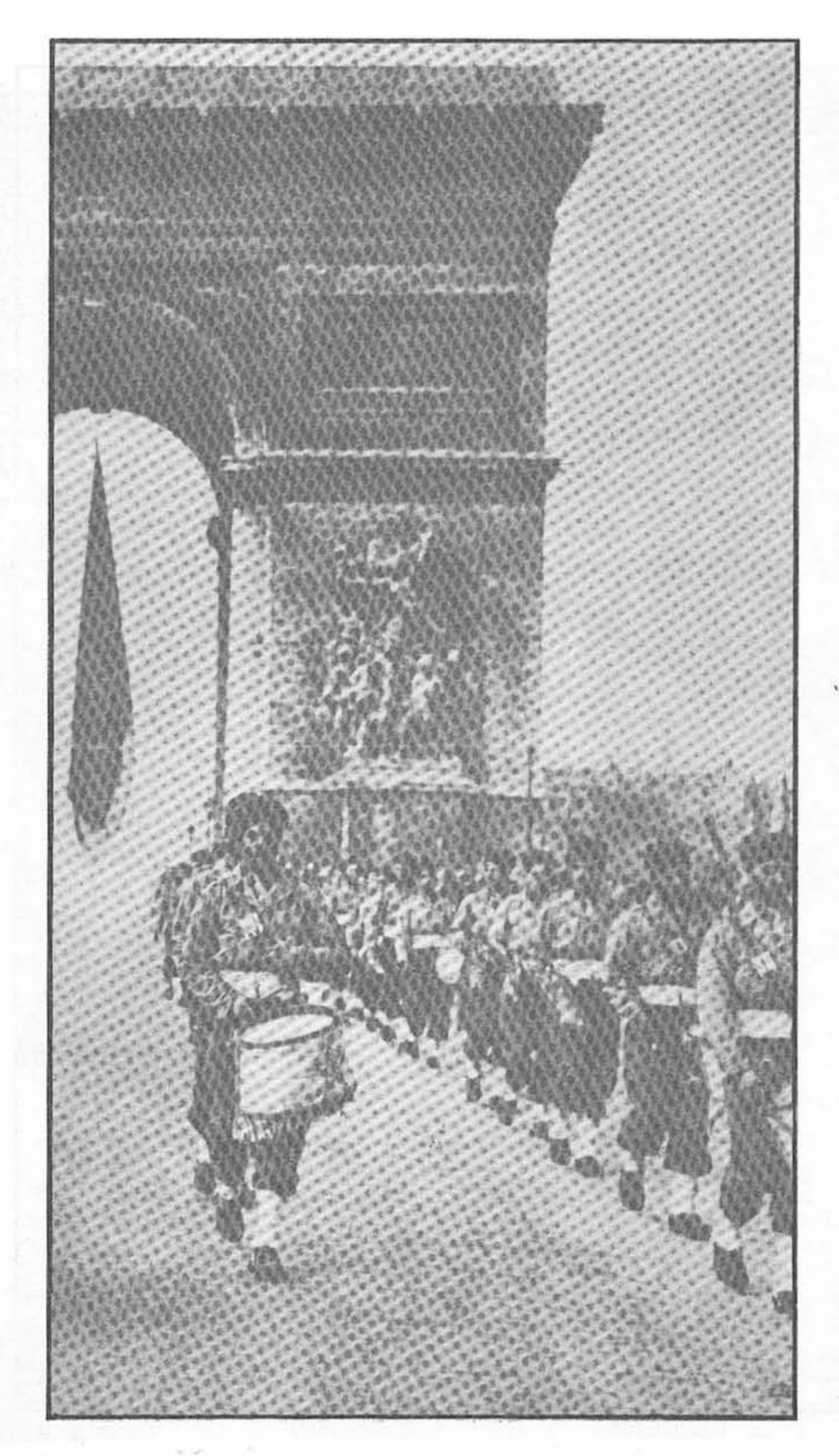
استعراض الجيش المغربي بباستيا (Bastia) بعد تحريرها من السيطرة الألمانية (شتنبر 1943)



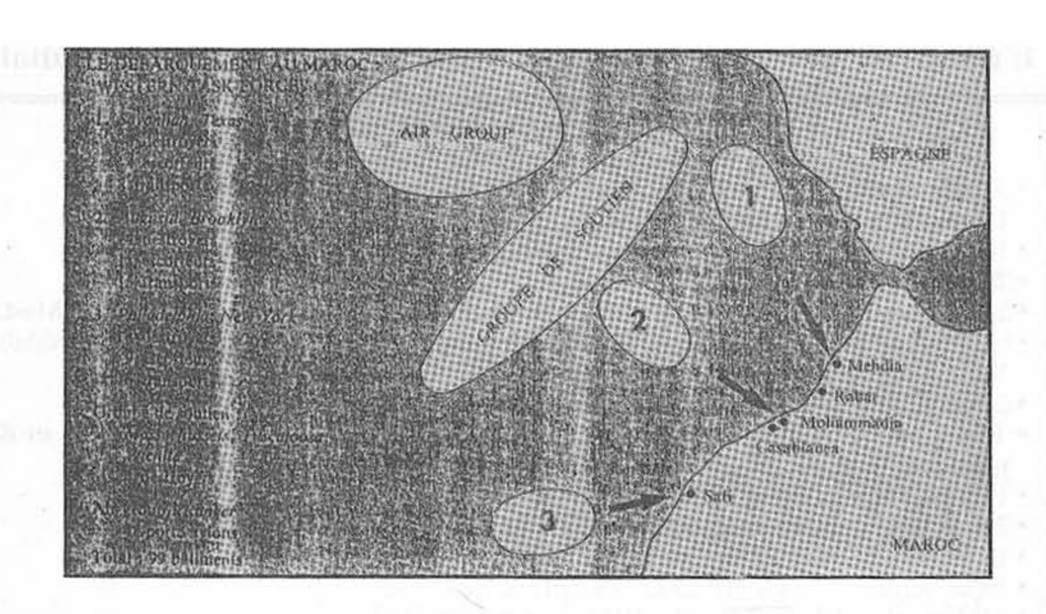
دخول الجيش المغربي إلى روما (1944)

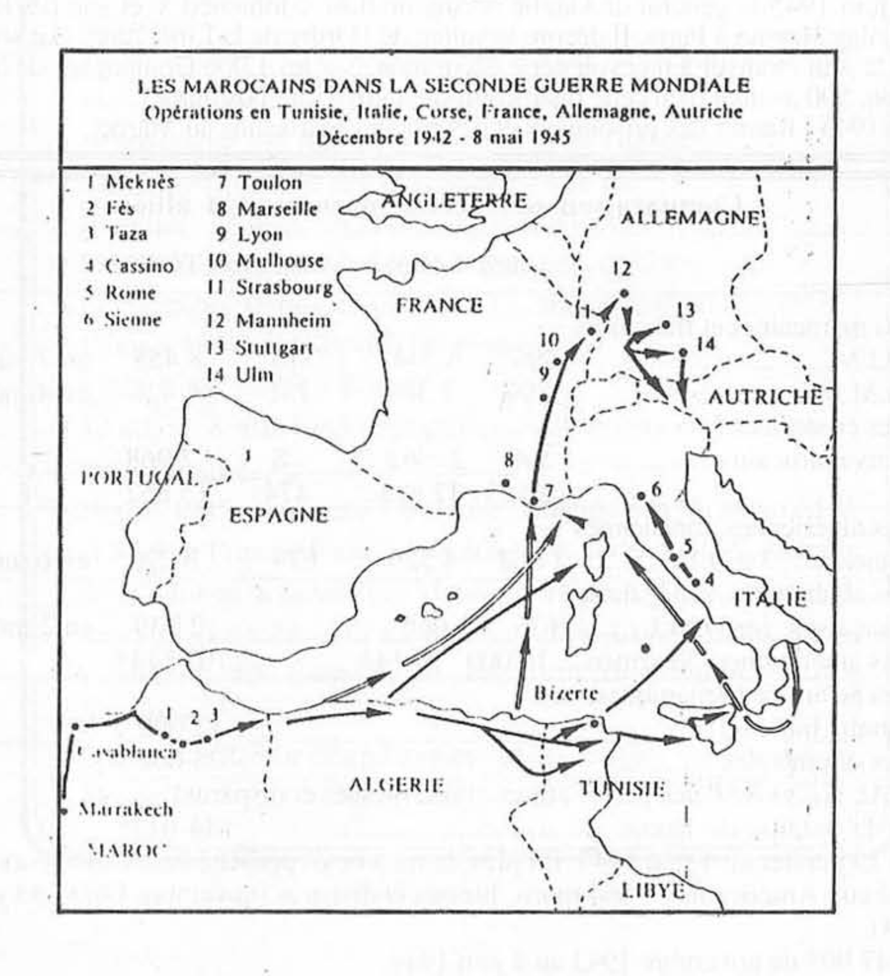


الجيش المغربي يستعرض بمارسيليا بقيادة الكولونيل "دولاتور" (غشت 1944)



استعراض الجيش المغربي بباريز بعد انتصار الحلفاء


AIR GROUP
GROUPE DE SOUTIEN
ESPAGNE
1
2
3
Mehdia
Rabat
Mohammadia
Casablanca
Safi
MAROC


LES MAROCAINS DANS LA SECONDE GUERRE MONDIALE
Opérations en Tunisie, Italie, Corse, France, Allemagne, Autriche
Décembre 1942 - 8 mai 1945
1 Meknès
2 Fès
3 Taza
4 Cassino
5 Rome
6 Sienne
7 Toulon
8 Marseille
9 Lyon
10 Mulhouse
11 Strasbourg
12 Mannheim
13 Stuttgart
14 Ulm
ANGLETERRE
ALLEMAGNE
FRANCE
AUTRICHE
PORTUGAL
ESPAGNE
ITALIE
Bizerte
Casablanca
Marrakech
MAROC
ALGERIE
TUNISIE
LIBYE

L'effort de guerre du Maroc dans la seconde guerre mondiale

Chronologie des événements

- 3 septembre 1939 : entrée du Maroc dans la Seconde Guerre mondiale. Déclaration de S.M. Mohamed V.
- 10 mai - 25 juin 1940 : campagnes de Belgique et de France.
- 25 juin - 8 novembre 1942 : armistice.
- 23 octobre 1942 : entrevue secréte à Cherchell (Algérie) des généraux Clark et Mast.
- 8-11 novembre 1942 : débarquement américain au Maroc (Media/Bouknedel, Fédala, Safi). Combat naval devant Casablanca.
- 24 décembre 1942 : bonbardement aérien de Casablanca par les Allemands.
- 14-24 janvier 1943 : conférence d'Anfa. Renconcres de S.M. Mohamed V et du président Roosevelt.
- 19 novembre - 13 mai 1943 : campagne de Tunisie.
- 7 mai 1943 : entrée des Britaniques à Tunis.
- 10 juillet - 17 août 1943 : campagne de Sicile.
- 13 septembre - 4 octobre 1943 : campagne de Corse.
- 11 décembre 1943 - 22 juillet 1944 : campagne d'Italie.
- 4 juin 1944 : entrée à Rome.
- 30 mars - 8 mai 1945 : campagne d'Allemagne et d'Autriche : Rhin - Danube.
- 18 juin 1945 le général de Gaulle accueillie S.M. Mohamed V et son fils le prince Moulay Hassan à Paris. Il décore le sultan de l'Ordre de la Libération. (Le souverain fut le seul étranger à recevoir cette décoration. Sur les 1 000 Compagnes de la Libération, 500 avaient reçu cette distinction militaire à titre posthume).
- Eté 1945 : Retour des prisonniers et des troupes marocains au Maroc.

Comparaison des pertes marocains et alliées

	tués	blessés	disparus	TOTAL	
pertes marocaines et françaises					
2e D.I.M................	1396	6 744	315	8 455	en 7 mois /12
4e D.M.M.	899	3 389	151	4 426	en 4 mois 1/2
Armes et services					
Goums marocains	598	2 362	8	2 968	
	2 883	12 495	474	15 852	
Pertes algériennes, tunisiennes et françaises, 3 e D.I.A.	1 068	4 529	679	6 276	en 6 mois
pertes algériennes, sénégalaises et françaises, 1er D.M.I...........	673	2 066		2 739	en 2 mois
Pertes américaines, 5e armée ...	14 000	93 144		107 144*	
Pertes 8e armée (Britaniques, Polonais, Indiens)				12 000	
Pertes allemandes				25 000	
TOTAL GENERAL des pertes alliées (tués, blessés et disparus) pour la bataille de Rome				144 011*	

* du 15 janvier au 4 juin 1944. En plus, la marche d'approche vers Cassino avait coûté aux Américains 15 864 morts, blessés et disparus (novembre 1943 - 15 janvier 1944).

** 147 908 de novembre 1943 au 4 juin 1944.

Chronologie des campagnes et principaux événements relatifs à la participation du Maroc à l'effort de guerre Allié

- 3 septambre 1939 : entrée du Maroc dans la Seconde Guerre mondiale.
  Déclaration de SM Mohammed V
- 10 mai - 25 juin 1940 : campagnes de Belgique et de France.
- 25 juin - 8 novembre 1942 : armistice
- 8 - 11 novembre 1942 : débarquement américain au Maroc (Mehdia/Bouknadel, Fédala, Safi), Combat naval devant Casablanca.
- 24 décembre 1942 : bombardement aérien de Casablanca par les Allemands.
- 14-24 janvier 1943 : Conférence d'Anfa, Rencontres de SM Mohammed V et du Président Roosevelt.
- 19 novembre - 13 mai 1943 : campagne de Tunisie.
- 7 mais 1943 : entrée des Britanniques à Tunis.
- 10 juillet - 17 août 1943 : campagne de Sicile.
- 13 septembre - 4 octobre 1943 : campagne de Corse.
- 11 décembre 1943 - 22 juillet 1944 : campagne d'Italie.
- 11 mais 1944 : bataille du Garigliano.
- 4 juin 1944 : entrée à Rome.
- 30 mars - 8 mai 1945 : campagne d'Allemagne et d'Autriche : Rhin-Danube.
- 18 juin 1945 : le général De Gaulle accueille SM Mohammed V et SAR le Prince Moulay Hassan à Paris. Il décore le Souverain de l'Ordre de la Libarétion. (Le Souverain fut le seul étranger à recevoir cette décoration. Sur les 1.000 Compagnons de la Libération, 500 avaient reçu cette distinction militaire à titre posthume.)
- Eté 1945 : Retour des prisonners et des troupes marocaines au Maroc.

Belfort rend hommage à un soldat marocain

qui a ouvert la ville à l'entrée des alliés pour la libérer

BELFORT, 21 NOV. 1986 (AFP.) – 42 ans après la libération de Belfort, le maire de la ville, M. Jean-Pierre Chevenement, et les autorités militaires ont rendu hommage, jeudi après-midi, à un soldat marocain qui fut le premier tué dans les combats qui permirent aux troupes alliées de prendre la ville.

La cérémonie s'est déroulée à l'heure et à l'endroit précis où le soldat marocain a trouvé la mort. Une plaque où est gravé le nom de ce combattant, Ali Smaili, a remplacé la plaque anonyme qui existait jusqu'alors.

Comment pourrait-on frapper d'exclusion d'autres Ali, leurs fils et leurs filles, qui on suvécu aux convulsions et au déchirement de notre histoire et qui ont, comme tout homme libre, deux patries : leur pays et la France ?", a déclaré M. Jean-Pierre Chevenement. "Là où il se trouve - sans doute le paradis d'Allah - , Ali Smaili nous regarde, nous juge, avec la sévérité exigeante qui est l'apanage des héros, et nous interroge : serais-je mort pour rien, les arabes ne seraient-ils bons que lorsqu'il s'agit de mourir pour la France ?" a-t-il ajouté.

Originaire de Rabat, le soldat Ali Smaili, alors âgé de 24 ans, chargeur dans le char de tête du 2ème escardon du 6ème R. C.A., avait péri brulé vif après que son véhicule eut été touché par roquette allemande, dans l'après-midi du 20 novembre 1944. Ses compagnons étaient parvenus à s'extraire du blindé et avaient eu la vie sauve.

شهادات للتاريخ :

– تقول جريدة "الفيكارو" الفرنسية في عددها الممتاز (11 ماي 1944 – 11 ماي 1984) :

منذ أربعين سنة خلت وبالتحديد في ربيع عام 1944 قامت قوات فرنسية مؤلفة من 120 الف جندي بغزو ايطاليا حيث حطمت خط غوستاف وفتحتب بذلك طريق روما أمام قوات الحلفاء وبالتالي ارغام الجنود الالمان المرابطين اذ ذاك في منحدارات مونتي كاسينو على الانسحاب..

وقد كان جيش الغزاة الفرنسي الذي انطلق في زحفه من منعطف كاريغليانو بقيادة الجنرال الفونس جوان مؤلفا من أربع ألوية هي اللواء المغربي الثاني للمشاة واللواء الرابع المغربي للجبال واللواء الجزائري الثالث للمشاة واللواء الأول للمشاة المتنقلة..

وتخليدا لهذا الانتصار الكبير والحاسم الذي حققه جنود الحرية ضد الفاشية والنازية أصدرت بعض الصحف الفرنسية أمس شهادات حول التضحيات والبطولات التي أبان عنها الجنود المغاربة خلال هذا الهجوم التحريري الفاصل..

ومن ضمن هذه الشهادات ماجاء على لسان العريف الأول السابق فيرناندو سافيلا الذي قال بانه كان قائدا لاحدى المجموعات العسكرية اذ ذاك وأشار إلى أن وحدات الجيش كانت تضم رجالا قدموا من كل حد وصوب ومقاتلين تدربوا على القتال جيدا في شتاء 1943 القارس لاحتلال جوناتانو ومايناردو وموناكزال..

وقال ان الجنود المغاربة من قبائل زيان وزمور هم رجال محاربون بالفطرة وذوو جرأة ومتبصرون في نفس الوقت وحادو النظر يرون كل شيء وفي أي مكان وكل ما يتحرك أو يتغير في تشكيلات العدو. كما انهم متخصصون في عمليات الكوماندو...

وأضاف العريف الاول الفرنسي أن من بين هؤلاء الجنود المغاربة صديقي الحميم بنعيسى الذي يعد ظاهرة فريدة من نوعها ويتوفر على كل صفات الجندي الشجاع والمنضبط، فهو الذي علمنا كيف يمكن ان نسبق العدو في إطلاق النار من الرشاشات والبنادق...

وقال إن هناك مغربي آخر هو ادريس بن الطاهر وهو قائد المجموعة الأكثر شهرة في السرية والذي تعرض لوابل من الرصاص بعد تحرر «مونبيليار» بالإضافة إلى جميع أصدقائي المساعدين ومن ضمنهم العريف الأول الجيلالي وأحمد وهو جندي من الدرجة الأولى وكثيرون غيرهم...

وأضاف قائلا إننا كنا جميعا بدءا من قائد السرية الى قائد المجموعة نشكل وحدة متراصة وكنا أحسن سرية في الفوج...

ومن جهته أشار الرقيب الفرنسي السابق فرانسوا كاستيس الى ان الهجوم ابتدأ في ليلة مظلمة بعد أن تشكلت مواقع الانطلاق على الساعة العاشرة والنصف ليلا واعطى الامر بالهجوم الذي تدخلت فيه المدفعية حوالي الساعة الحادية عشرة...



الجنرال "كورت" Curt يوسم أحد الأبطال المغاربة بفرنسا (أبريل 1940)

وبعد أن قدم وصفا حيا لهذا الهجوم الكاسح الذي كان فيه جنود شمال افريقيا يكبرون في وقت كان فيه الفرنسيون يرددون النشيد الفرنسي أوضح أن القوات الفرنسية اجتازت مراكز العدو المتقدمة ووقع اشتباك استعملت فيه حراب البنادق والقنابل اليدوية والرشاشات واستمر الى وقت متاخر من الليل..

وأضاف انه على الساعة الرابعة صباحا تمكن فوج «لابدي» من احتلال جبل فياتو الذي لم يتم تظهيره تماما إلا على الساعة الثالثة زوالا...

واوضح ان الفوج الذي ينتمي اليه قام بهجوم مضاد دام 24 ساعة مبرزا انه عندما شعر جنود الفوج، بقرب نفاذ الذخيرة لجأوا الى استعمال الحجارة الشيء الذي شجع الجنود الالمان على الاقتراب منهم اكثر ليستقبلهم الجنود الفرنسيون بالقنابل اليديوية المتبقية لديهم..

وأشار الى أن التعزيزات وصلت بعد ذلك حيث تم القضاء على الالمان يومي 13 و 14 وتم اكتساح خط غوستاف...

وذكر شاهد آخر أن الجنود المغاربة زحفوا يوم 13 ماي على الساعة الرابعة صباحا على المقاومة الألمانية المحمية من طرف جدار من 105 جندي وهم يرددون لا اله الا الله تم مـالبث الجنود الالمان يتساقطون تحت وابل من النيران فاشتعلت الحرب التي استخدمت فيها الأسلحة الأوتوماتيكية والمتفجرات والقنابل والالغام واستولى المغاربة على جميع النقط التي تكسر فيها هجومهم بالامس وبدأت مناطق كاراسولا وجيروفانو وفايتو وفوسي تسقط في أيديهم الواحدة تلو الاخر. وكان الجنرال شاييت يقود المدفعية بيد من حديد تتبعه فرق المشاة مصوبة نيرانها من هدف لاخر...

- ويقول الكاتب الانجليزي الشهير «روم لاندو» في كتابه : «تاريخ المغرب في القرن العشرين» (ترجمة الدكتور نقولا زياد) في موضوع مشاركة المغرب في الحرب العالمية الثانية ما نصه :

«لما اندحرت فرنسا في ربيع سنة 1940 كان باستطاعة الوطنيين ان يستفيدوا من الفرصة فيطعنوا في الظهر، فقد كان معظم الجنود الذين يحاربون في صحراء ليبيا تحت امرة فرنسا من المغاربة، ولقد خاض الجنود المغاربة بعد ذلك معارك ضارية في شمال افريقية وبرزوا فيها. فقد أعانوا جيوش الجنرال «اندرسون» في معارك الخمير وبنزرت، وقد طلب الجنرال باتون من الجنود المغاربة ان يرافقوه في حملته ضد صقلية، وفي شهر شتنبر 1943 قاموا بدور فعال في فتح جزيرة «كورسيكة» تم في فتح جزيرة «البا» بعد ذلك ببضعة شهور. وقد اثبتوا مقدرتهم الكبيرة في حملات «ابروزي وغرى غانوا .وبتراه» وقد حاربوا عند اقدام مونتى «كسينو» وأسهموا في الزحف على رومة وأعانوا في تطهير «السين» من النازيين وتحملوا مسؤولية تحرير مرسيلية عندما نزلت جنود الحلفاء على الشواطئ الفرنسية للبحر المتوسط في غشت 1944. وأخيرا بعد أن اجتازوا خط «زيغفريد» ساروا باتجاه «شتو تغارت» ووصلوا الى شواطئ «الدانيب» الذي استلمت فيه المانيا. إن أرض شمال افريقيا وكورسيكة وألبا وصقلية وفرنسا

وإيطاليا وألمانيا مخضبة بالدم المغربي. إن المتطوعين المغاربة الذين ساعدوا فرنسا على تحرير نفسها والذين كانوا في الوقت نفسه يقومون بعمل هام من أجل الأمم المتحدة بلغ عددهم 300.000 رجل وبعد انتهاء الحرب منح الجنرال ديغول باسم فرنسا السلطان وسام صليب الحرية اعترافا بجهوده الكبيرة العسكرية».

- ويقول الأستاذ عمر أبو النصر- أول مؤرخ عربي للحربين العالميتين - عن مشاركة الافريقيين في معارك الحلفاء ما مؤداه : «لقد اعترفت كل كتب التاريخ الحديثة بأن الجنود العرب (من الافريقيين) الذين ساقتهم فرنسا الى الجبهة الغربية والذين أوقفوا الزحف الألماني في عدد من الجهات قد ثبتوا في مراكزهم ثباتا أدهش العالم وأدهش ضباطهم الفرنسيين وكانوا باجماع المؤرخين من أهم الأسباب التي مكنت فرنسا من الثبات في الجبهة الغربية والانتصار أخيرا على الألمان بعد أن تتابعت عليها الامدادات من جميع حكومات العالم خصوصا من أمريكا وانجلترا. وأما مصير الجماعات (الافريقية) التي حاربت دفاعا عن فرنسا والتي وعدتها فرنسا باستقلالها لم تف بوعدها فمعروف ومشهور. فقد خسرت فرنسا بموقفها السلبي هذا خسارة لا تعوض. لانها لن تجد بعد اليوم جنديا عربيا يحارب معها!».

- وفي نفس الموضوع يقول الاستاذ يونس بحرى في كتابه «دماء في المغرب العربي» : قد اعترف المارشال «سيلسارنيغ» قائد القوات الألمانية في صقليا بأن جنود جيشه في شمال ايطاليا كانوا يتحاشون الاشتباك مع الجنود المغاربة في المعارك لأنهم ذاقوا مرارة الطعن العربي! لقد طلب مني - يزيد قائلا يونس بحرى - وأنا أدير الاذاعة العربية في برلين - أن أوجه الى جنوب المغرب العربي المقاتلين في صفوف الحلفاء نداء للكف عن مقاتلة الجيش الألماني في إيطاليا ، فاعتذرت بحجة أن المغاربة عرب وأن العربي اذا وعد وعمل في الصفوف سواء أكان منتصرا أم خاسرا، فهو يعمل بالاخلاص حتى النهاية... والعربي اذا أطعم أشبع واذا ضرب أوجع[18].

- وكتب اللواء الركن محمود شيت خطاب العراقي يقول كذلك :

..«لقد استغلت فرنسا الطاقات البشرية لكل من الجزائر وتونس والمغرب بالدرجة الأولى ولبنان وسورية بالدرجة الثانية في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وفي الحرب العالمية الثانية (1939-1945)[19] . وقد دربت العرب المجندين تدريبا عسكريا فرنسيا في المدارس والمعاهد والكليات الفرنسية فقاتلوا مع جيش فرنسا بإمرة قيادتها العسكرية المباشرة في الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الأولى، في شمال إفريقيا وسوريا ولبنان وإيطاليا والجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الثانية.

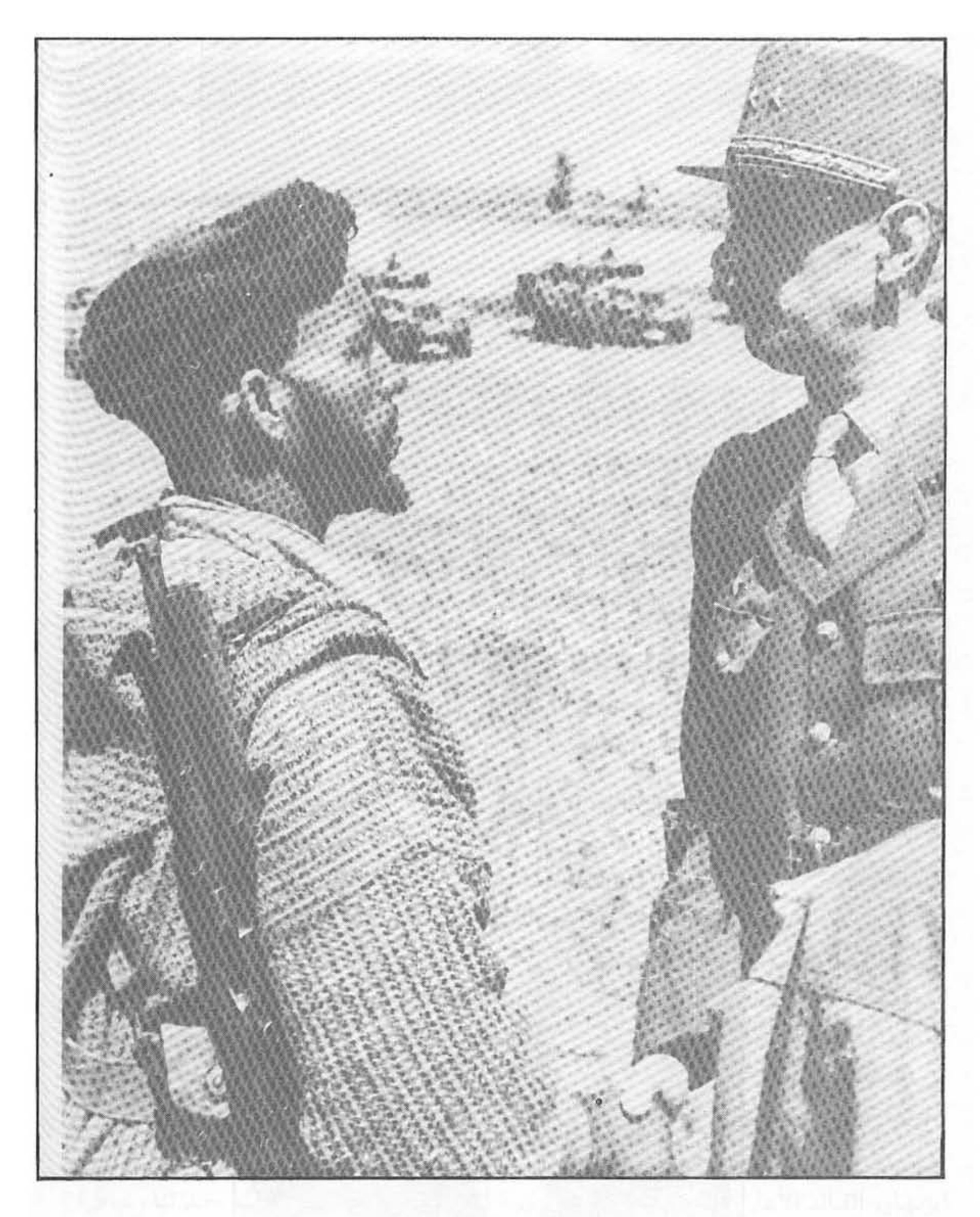
.. والذين قرأوا كتب تاريخ الحرب ومذكرات قادة الحلفاء خاصة مذكرات الجنرال ايزنهاور القائد الأعلى لجيوش الحلفاء في اوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية يجد ثناء عاطرا على شجاعة رجال المغرب العربي. ومما ذكره إيزنهاور بالتقدير والإعجاب في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية في ايطاليا أن القوات المغربية انتصرت على القوات الألمانية في معركة : «دير كاسينو» واحتلت مواضعها الحصينة في قمم الجبال الايطالية بعد عجز القوات البريطانية



«Maréchal Alphonse Juin, comandant le Corps Expéditionnaire Français en Italie (1943-1944) décorant pour sa bravoure à Monte Cassino un soldat marocain



الجنرال لوكلير (Leclerc) يوشح "ملازم مغربي" بوسام الحرب (croix de Guerre)



الجنرال دوكول يهنئ أحد أبطال الكوم بالنصر

والأمريكية والكندية والنيوزيلندية والاسترالية عن احتلال تلك المواقع الجبلية الحصينة..»[20].

وفي يوم 11 ماي 1945 وجه الجنرال كيوم[21] قايد.D.I.A ورجال الكوم[22] خطابا جاء فيه:

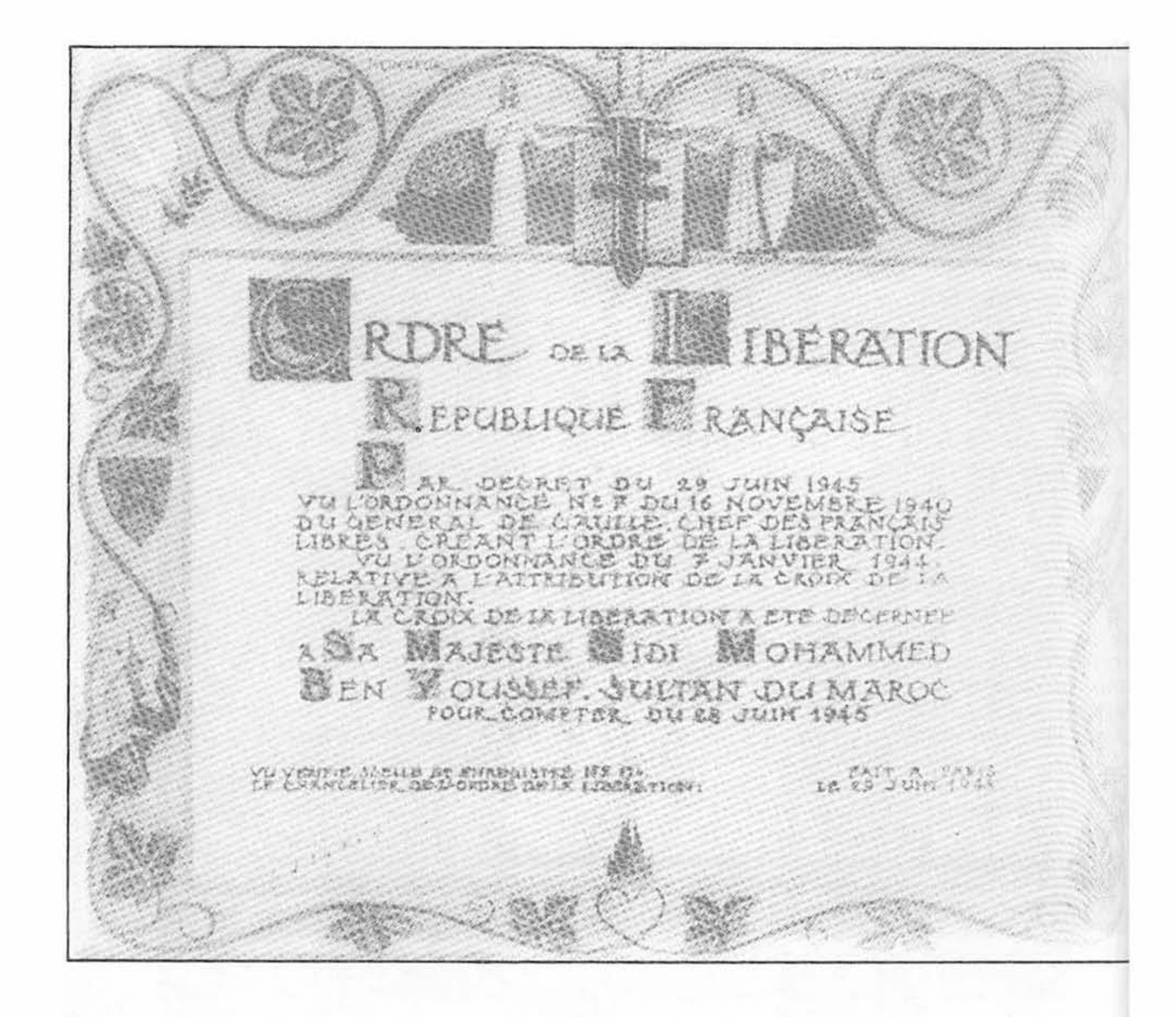
Office, sous officiers, goumiers des 1e, 2e, 3e, 4e, 5e, G.T.M.

L'Allemagne est vaincue.

Le 8 mai à Berlin, le général de Lattre de Tassigny commandant en chef de la 1ere armée française a reçu , au milieu des représentants des armées alliées, la capitulation des dernières forces ennemies. Cette victoire éclatante, vous l'avez obstinement préparée sur tous les champs de bataille de Libération de novembre 1942 à avril 1945 de la Tunisie au Neckar et au Danube. En Tunisie sommairement armés et équipés, vous avez acquis par vos exploits le droit de poursuivre la lutte en Europe à l'avant garde des alliés. Vous avez en Sicile, vaillamment représenté l'armée française. En Corse vous avez libéré Bastia en attendant de prendre une part prépondérante à la conquête de l'Ile d'Elbe. En Italie votre marche foudroyante en tête du corps de montagne à travers les massifs soussoni, surunci Lepini a déconcerté l'ennemi et ouvert la route de Rome. Un mois plus tard, liant votre effort à celui de la 3e D.I.A. vous avez fait tomber Sienne. En France vous avez participé brillamment à la libération de Marseille, dégagé au passage Briançon contribué de nouveau aux côtés de la 3e D.I.A. à chasser l'ennemi des Vosges, puis à sauver Strasbourg. A partir du 15 mars 1915 vous avez sur la rive gauche du Rhin traversé la forêt de Haguenan infestée de mines, puis pénétrant en Allemagne forcé la ligne Siegfried. Sur la rive droite vous vous êtes enfoncés dans la Forêt-Noire en même temps que plus au nord vous joueriez un rôle essentiel dans la marche du Neckar, l'encerclement de Pforzheim enfin dans la victoire de Stuttgart. En Tunisie, en Italie, en France en Allemagne votre apparition soudaine aux heures décisives de la bataille a jeté l'effroi dans les rangs de l'adversaires Au cours de 30 mois d'une lutte interrompue, vous avez asserré à l'ennemi les terribles coups lui faisant vingt tois milles prisonners et vous emparant d'un immense materiel. Vos pertes ont été lourdes. Depuis la Tunisie 8300 des votres sont tombés tués ou blessés, dans le combat, sans ralentir jamais votre course endiablée vers la victoire. Vous avez paré vos fanions d'une gloire impérissable. l'Allemagne vous craint la France vous acclame, les alliés vous admirent. Votre chef qui aux heures les plus graves de la défaite, mit sa foi en vous et vous prépara dans l'ombre pour la retanche et qui, tant de fois vous lança à l'assaut est fier de vos succés. Vous pouvez rentrer au Maroc, la tête haute. Déjas vos hauts faits sont entrés dans la légende. La France n'oubliera jamais la part prise par vous à sa libération."Guillaume Commandant la 3e D.I.A. et les Goumes marocains".[22]



الجنرال شارل دوكول يقلد محمد الخامس قدس الله روحه وسام التحرير



ORDRE DE LA LIBÉRATION

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

PAR DÉCRET DU 29 JUIN 1945
VU L'ORDONNANCE N° 7 DU 16 NOVEMBRE 1940
DU GÉNÉRAL DE GAULLE, CHEF DES FRANÇAIS
LIBRES, CRÉANT L'ORDRE DE LA LIBÉRATION.
VU L'ORDONNANCE DU 7 JANVIER 1944
RELATIVE A L'ATTRIBUTION DE LA CROIX DE LA
LIBÉRATION.
LA CROIX DE LA LIBÉRATION A ÉTÉ DÉCERNÉE
A SA MAJESTÉ SIDI MOHAMMED
BEN YOUSSEF, SULTAN DU MAROC
POUR COMPTER DU 28 JUIN 1945

VU VÉRIFIÉ SCELLÉ ET ENREGISTRÉ [illegible]
LE CHANCELIER DE L'ORDRE DE LA LIBÉRATION:

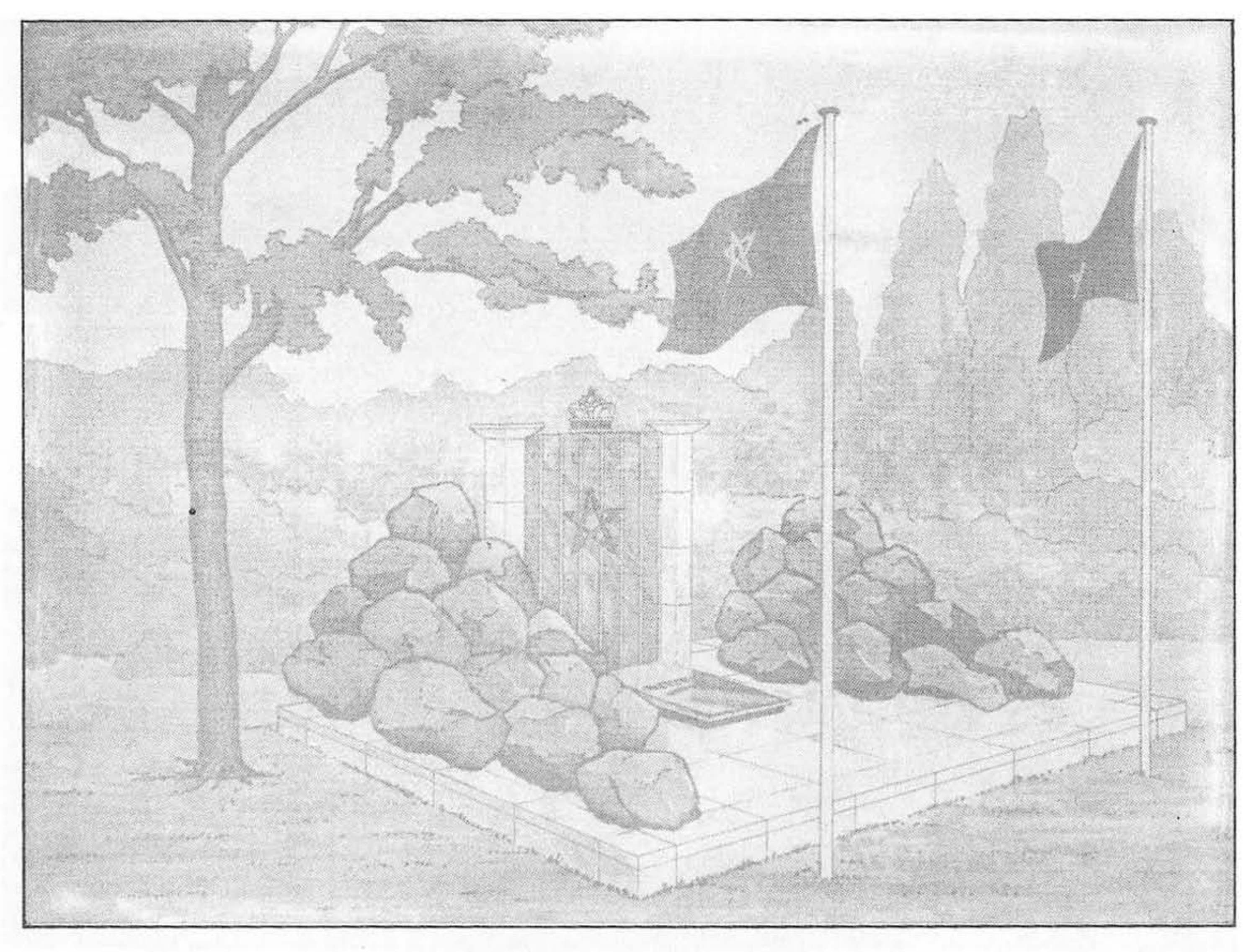
FAIT A PARIS
LE 29 JUIN 1945



جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله يوسم أحد الأبطال المغاربة "بكو نستانص" بعد تحرير فرنسا وبجانبه الجنرال دولاتر دوتاسني (يونيه 1945)



صاحب السمو الملكي "الأمير مولاي الحسن يتلقى تدريبه العسكري على متن باخرة جان دارك الفرنسية (1949)



نصب تذكاري في لاهاي للمغاربة الشهداء في الحرب العالمية الثانية

- الجيش المغربي يشارك في حرب الهند الصينية (1948 - 1954)

كما أرسلت فرنسا فيالق من الجيش المغربي الى الهند الصينية لمساعدتها على الانتصار في حربها القاسية بالشرق الأقصى، فحارب الجنود المغاربة في بلاد مليئة بالوديان والأوحال وفي غابات كثيفة وشائكة خلال جبال شامخة ومتشعبة لا يعرفون الكل ولا يستعصون الحواجز الطبيعية أو غير الطبيعية، فحاربوا في نواحي "الطوكان" و"أنام" وعلى ضفاف النهر الأسود وفي ناحية اللاووس والكمبودج.. حتى انتهت الحرب الهندية الصينية بالمعركة الخاسرة المشهورة «ديان بيان فو» (ماي 1954).

---

(1) انظر النداء السلطاني في جريدة السعادة المؤرخة ب 6 شتنبر 1939

(2) قدمت الاذاعة الفرنسية في ذلك التاريخ برنامجا حول حياة الجنود المغاربة من خلال الحرب. وقد التقى «مندوبها بمولاي الحسن» وادلى لها بالتصريح التالي :

"Mon père, Sa Majesté Sidi Mohammed - que Dieu lui accorde la victoire ! - nous a délégué pour vous envoyer son salut et celui du Maroc tout entier. Nous espérons que grâce à vos exploits, les habitants de ce pays seront fiers de vous et que vous reviendrez bientôt dans vos foyers, vainqueurs et couverts de gloire."

والجدير بالذكر أن المغرب في هذه الظروف الحرجة (1940-42) زود فرنسا وباقي مستعمراتها بعدد كبير من الأطنان من القمح والشعير والذرة والقطاني والخضر اليابسة.

(3) لما انهزمت الجيوش الفرنسية أمام الهجوم الألماني في بداية الحرب العالمية الثانية، فرضت الهزيمة على فرنسا قبول الرقابة الألمانية بواسطة لجن الهدنة. وقد دبر الفرنسيون مكيدة لاخفاء القوات المغربية التي يتم اعدادها وتقوية تدريبها وتوفير الاسلحة لها حيث عسكروها في المناطق الجبلية الوعرة المنيعة. وأول ما لجأت اليه السلطات العسكرية الفرنسية في غشت 1940 هو تحويل وحدات الكوم الى محلات شريفة" تؤلف الجيش المغربي ليست تابعة للجيش الفرنسي حسب زعمهم وفي سنة 1941 اهتم الالمانيون بوجود هذه الوحدات فألحوا على حلها وادماجها في "جيش الانتقال"، ولكن الفرنسيين بقوا متشبثين برأيهم حتى يقاوموا بهذه "المحلات" أي ثورة محتملة بالمغرب ضدهم. فتوبعت مضاعفة عدد وحدات الكوم الى أن بلغ عددهم 26.000 وفي سنة 1942 تم حشد مجموعتين بجوار خنيفرة للقيام بمناورة حربية شارك فيها ازيد من 50.000 جندي استعرضها الجنرال نوكيس وذلك دون علم بلجنة الهدنة. (محمد بلحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد ج 6 ص 37-40). ويقول P. Dugrais في مقدمة تقريره عن La Condition Sociale des Anciens Militaires. "l'Armée de l'Armistice au Maroc - La conclusion de l'Armistice, puis les exigences successives des commissions allemandes, nous imposèrent de ramener l'Armée Régulière au Maroc à 46,480 hommes (officiers compris) et les goums, appelés désormais Mehalla Chérifiennes, à 16.000. La réorganisation qui en suivit conduisit à la démobilisation de 40.000 marocains dont 12.000 purent être camouflés dans 5 groupements de travailleurs entretenus par le Protectorat, et à conserver dans les formations régulières et les goums respectivement 17.000 et 16.000 hommes. Il en résulte que sur les 83.000 indigènes sous les drapeaux pendant la période 1939-40 - et déduction faite des tués, blessés, disparus et prisonniers - 33.000 furent maintenus en service actif dans les unités reconnues par les commissions d'armistice et 12.000 transformés, pour les besoins de la cause, en inoffensifs travailleurs dont le jeune âge et le degré d'instruction permettraient leur récupération par l'Armée, le moment venu.

(4) عبد الهادي بو طالب : ذكريات وشهادات ووجوه جريدة الشرق الأوسط (الحلقة 80)

وبهذه المناسبة نظم الشاعر محمد ابن ابراهيم قصيدة في هجاء هتلر والتنديد بأعماله الاجرامية. «وقد توجه في هذه القصيدة بالخطاب الى الجنود المغاربة البواسل الذين سيشاركون في الحرب" وحثهم على تلبية النداء الملكي :

إنما المغرب شعب   حفظه للعهد دأب

شعبنا شعب وفي   شعبنا شعب الجهاد

ايها القوم الأسود   في ثبات فلتزيدوا

بنفـــوس فلتجـودوا انمـا المرء الجــواد
وبـإخــــلاص الولاء فلتجيبوا للنـــداء
من أميـر الامـــراء ملتجانا والعمـاد
ملك القطر المؤيـد تاج نصر عنه يعقد
هو مولانا محمـد هو سلطان البـلاد
فلتسيروا فلتسيـروا حقـق اللـه المراد

(شاعر الحمراء في الغربال ص 118-119)

وقد مجد شاعر الحمراء الدور الذي قام به رجال الكوم في هذه الحرب بقوله :

كيف الأقارقة القساورة الأولى * يعلو لهم يوم اللقاء زئيــــر
صدق الذي "بالقُوم" قد نادهــم * "فالقوم" هم والقوم قوم بـور
عادوا لنا مرفوعة أعلام نصــــــــــــرهم وذيل فخـــارهم مجـرور
عادوا وكل حقيبة مــــلأى من * أسلاب العدا ووطابهم معمور

(ع. غلاب : عالم شاعر الحمراء ص 210)

كما نظم الشاعر محمد ابن ابراهيم قصيدة عنوانها : "ديك ودجاجة" أشار فيها إلى زمن البون الذي كان يحياه المغرب بعد نزول الجيوش الأمريكية وقوات فرنسا الحرة بشواطئ الدار البيضاء، وفضالة (المحمدية)، وآسفي، في نونبر 1942، واستهلكوا جميع المواد الغذائية.

ونظم الشاعر محمد الحلوي قصيدة رسم فيها صورة حية لهذه الحرب الضروس حيث قال في مطلعها :

«أضرموها واصطلوا من نارها * بلهيب شب في الكون جحيما.

(5) انظر معركة المغرب والجزائر – عملية الشعلة– سلسلة معارك الحرب (تاريخ الحرب العالمية الثانية) المكتبة الحديثة للطباعة والنشر بيروت 1982.

(6) للمـزيد من المعلومـات الهـامـة عن هذه العـمليـات العـسكرية يسـتـحـسن الرجـوع إلى كـتـاب السـيـد عـبـد المالك لحلو "Casablanca à l'heure de l'opération Torch et de la Conférence d'Anfa" (Casa-janvier-1993) الذي استقى معلوماته من مختلف المراجع التاريخية الفرنسية والأمريكية.

(7) "Guerriers robustes et sobres, montagnards infatigables, adroits tireurs, observateurs rusés sachant s'effacer dans le moindre pli du terrain. Les Goums, unités nerveuses, legers rustiques sont capables par leur mobilité, leur fluidité, leur esprit offensif de transformer en deroute la retraite d'un ennemi ebranlé. Le succés exalte leur moral. (Guillaume : "l'homme de guerre" p. 124 Ed. France Empire 1977).

(8) يوجد في جزيرة كورسيكا جبل يحمل اسما بربريا "تيغني". وقد شهد معركة حاسمة بين القوات المغربية في الحرب العالمية الثانية سنة 1943-1944 و الجيش الألماني الجاثم على صدر كورسيكا، حيث تسرب بعض جنودنا الأبطال الى قمة الجبل واستولوا على مدفع عظيم هناك كان في اتجاه "باستيا" وقتلوا الجنود الألمانيين وحرروا الجزيرة من الغزو النازي. وللتاريخ اقيمت لوحتان هناك سجل عليهما باللغتين العربية والفرنسية اسماء جنودنا الذين سقطوا في هذه المعركة وعددهم يناهز الثلاثين كمحمد حدو وعقاباسو.... (جريدة الميثاق عدد 258 السنة 14-طنجة).

(9) قاتل عدة الاف من المغاربة الى جانب الحلفاء والمقاومين البلجيكيين لرد زحف الاعتداء النازي خلال الحرب العالمية الثانية. وكانوا يشكلون كتائب تم جمعها بمكناس وكانت تدعى الفيلق المغربي الأول ويضم الكتيبة الأولى والثانية والسابعة للرماة المغاربة. وقد غادرت هذه القوات بلدها (المغرب) يوم 3 شتنبر 1939. وفي يوم 10 ماي 1940 وعلى حساب حياد بلجيكا وهولندا، اطلق هتلر قوة مصفحة لغزو الغرب. وعقب هذا الانتهاك للحدود، دخلت كتيبة الرماة المغاربة الى بلجيكا في الساعة العاشرة ليلا. ولتاخذ موقعها، كان على القوات المغربية لتقطع 130 كلم مشيا على الأقدام خلال ثلاث أيام وليلة. منها 70 كلم في 24 ساعة الأخيرة. وبين ايرناج و"غيمبلو" هاجمت قوات المانية الوحدات المغربية التي تمكنت من احتواء الالمان أيام 14 و 15 ماي 1940 والحقت بهم عدة خسائر فادحة. (تحت إمرة الكولونيل Vendeur)

وترك المغاربة في ساحة المعركة 200 قتيل و 500 جريح. ولم يعد الى مكناس - بعد تحرير بلجيكا من الغزو النازي من

أصل 2300 جندي مغربي سوى 50 جنديا.

ولقد أظهرت معركة "غيمبلو" التي وقعت أيام 14 و 15 و 16 ماي 1940 (في منطقة تقع بين بروكسيل ونوموزا) فعالية الجنود المغاربة وشجاعتهم النادرة. وقد وصف القائد روزتانو، وكان قائد الجيش الأول في ماي 1940، والذي نشر كتابا حول «الفيلق الأول المغربي في معركة «غيمبلو» هذه المعركة ب «التفوق التكتيكي الذي يجب ان نفتخر به». وصرح الجنرال الفرنسي بلانشار في فبراير 1951 : «ومع ذلك، وبالرغم من الظروف السيئة فان الفيلق المغربي الأول عرف، خلال يومين من المعارك، كيف يفرض ارادته على عدو في كامل استعداده، والحق به خسائر فادحة، الشيء الذي جعل ضابطا المانيا شارك في هذه المعارك ليعجب ويشيد بالطريقة التي خاض بها المغاربة المعركة.»

وقد يقيم في كل سنة المشرفون على المتحف الفرنسي ب : «كورتيل نورامون» إحياء ذكرى إحدى معارك ماي 1940 وهي معركة «شاسترا» ولما انتقل ثلاثة جنارالات وعدد من الضباط البجليكين والفرنسيين الى «شاسترا» سنة 1989 لإحياء ذكرى هذه المعركة ألحوا على أن تتم قراءة الفاتحة بالعربية احتراما لعقيدة الجنود المغاربة الذين قتلوا فيها. وفي "كورتيل نورامون" توجد مقبرة صغيرة ومتحف صغير يشهدان على ما جرى في معارك ماي 1940 فوق التراب البلجيكي. (عن مجلة: أضواء" البلجيكية عدد مارس 1991) بتصرف تعريب جريدة العلم المؤرخة ب : 23-1-92) وقد نال الفيلق المغربي (الكتيبة الثانية والسابعة للرماة المغاربة) في سنة 1947 وسام صليب الحرب بسعفة بأمر من وزير الحرب البلجيكي تقديرا له على شجاعته وصموده.

Le Ministre de la Guerre

cite :

A l'ordre de l'Armée :

7Régiment de Tirailleurs Marocains de la Division Marocaiene

"Régiment Nord- Africain d'elite. A fait preuve des plus belles qualités d'endurance et de combativité dès les premiers engagements de mai 1940, en Belgique, sous l'ardente impulsion de son chef, le Colonel VENDEUR. Ayant couvert 130 kilomères en trois jours, a subi, dès son arrivée sur la position de Cortil-Noirmont, très sommairement organisée, le choc des Divisions blindées allemandes. Malgré l'etat de fatigue immense des Tirailleurs et l'absence de tout obstacle de valeur barrant la trouée de Gembloux, le 1er Bataillon à Ernage, les 2e et 3e Bataillons à Cortil-Noirmont, ont réussi, les 14, 15 et 16 mai 1940, à arrêter les attaques des forces adverses, leur infligeant des pertes trés dures en hommes et en matériel. Maintenu en arrière-garde après le repli général ordonné le 15 mai, s'est énergiquement dégagé dans la matinée du 16, du centre de résistance de Cortil-Noirmont, pour porter à Tilly un vigoureux coup d'arrêt à l'ennemi; refoulant son infanterie sur plusieurs kilomètres par une contre-attaque brutale à la baïonnette. Troupe magnifique, digne héritière des traditions légendaires de bravoure et d'esprit de sacrifice de la Division Marocaine de 1914-1918."

Le Ministre de la Guerre - Cite : a l'ordre de l'Armée •

(10) «كان الجنرال "ادوار ميريك" يقود إبان الحرب العالمية الثانية الوحدات المغربية المرابطة في تونس ثم في ايطاليا. وكان قد انتقد خلال اقامته بالمغرب نظام الاقامة العامة الفرنسية» وتوفي في أواخر شهر مايو من سنة 1973.

(11) من ذلك جبل Fammera (وقد تم احتلاله ليلا) وجبل Petrelle (1533م) وجبل Revol (1307م) و Ansoni و Duruncí ، و من جبل Gariliano الى جبل Mayo (5e R.T.M) في مواجهة Cerasola ، وجبل Belvedère بسلسلة Les Abruzzes و Girofano ..... وللمزيد من التوسع في هذا الموضوع يجب الاطلاع على الفصل السابع من كتاب الجنرال گيوم السالف الذكر "l'homme de guerre" ويقول گيوم المدعو في هذه الحرب باسم مستعار ("Auroch") عن بسالة رجال الكوم في هذه المعارك :

"Grace à leurs 9000 mulets, les tirailleurs et les goumniers ravitaillés en depit de l'absence de tout chemin carrosable pourraient de bonds en bonds realiser par la gauche le debordement qui avait jusqu'ici echapper à droite......."

(12) قد أقامت فرنسا هي الأخرى أيضا خطا دفاعيا ضد الألمان يدعى خط "ماجينو" الخط الجبار الذي لا يغلب ولا يقهر" ولكن خط ماجينو سقط بعد حين.

(13) تعجب الأمريكيون من كون الجنود المغاربة حققوا المعجزات في ساحات الوغي بايطاليا (تم في فرنسا وألمانيا) وما كانوا ظانين ان لا بسي الجلباب قوم شجعان الى هذا الحد وقد أخذ العجب اولا بلب الضباط الفرنسيين انفسهم حيث قال أحدهم: "Les marocains on peut les conduire partout. Ils sont fiers d'être soldats, d'avoir de belles armes. Le seul ennui c'est les Marocains marchent mieux que nous au rythme de leurs méloppées qu'ils ne cessent jamais de murmurer entre leurs dents".

(14) كان توجه فرق الكوم الى تحرير فرنسا بعد ايطاليا بإيعاز من كيوم الذي امتنع من ارجاعها الى المغرب" لتهدئة الوضع" وذلك لعله خوفا من أن تنقلب ضد فرنسا. أما أمر الالتحاق بالمغرب فقد كان صدر من الجنرال «دولاتردوتاسيني» بتعليمات من الجنرال دوكول الذي لم ينس أبدا تعامل كيوم مع نظام فيشي والذي كان يسميه دكول: "le chef de bande" (انظر كتاب كيوم "l'homme de guerre" فصل: "Avec les goums" ص: 109

(15) قبض رجال الكوم في معركة مرسيليا وتولن على 2600 أسير ألماني (منهم 125 ضابطا) واغتنموا مائة مدفع وتركوا في ساحة الوغى 150 من القتلى و 530 جريح (من بينهم 17 ضابط) وعندما كانوا متوجهين لمعركتهم هذه وصفهم "دولاتر" في كتابه: "Histoire de la 1ère Armée Française"

بقوله:

"Jamais la route des maures n'a autant justifié son nom. Sur toute sa longueur serpente une file interrompue et pittoresque de Goumiers, trottinant une longue colonne par un, melangés à leurs mulets, pieds nus, les godillots suspendus en sautoir ou accrochés au ceinturon avec le casque anglais. A l'infini "rezzas et djellabas rayés achevent de donner au paysage une parenté africaine."

(16) وخيرما يستدل به فيه هذا الموضوع هو ما كتبه جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه "Le Defi" (ص 29). (التحدي - ص 41)

"Au moment ou l'Allemagne avait envahi la Pologne et où la G. Bretagne et la France avaient declaré la guerre au IIIe Reich, mon père - comme mon grand père en 1914 - s'etait engagé à fond au coté de la France. Sans qu'on eut fait sur lui aucune pression, il avait solennement précisé : "Il faut que nous tous, marocains, nous nous joignions à la cause commune ne refusant à la France ni nos ressources humaines, nis nos ressources matérielles." Il avait tenu parole. Non seulement nos tirailleurs, goumiers et spahis avaient combattu - et devaient combattre encore - au côté de la france, mais le peuple marocain supporta de dures privations pour soutenir la cause française".

ونسوق هنا أيضا فقرة من خطاب جلالة الملك عند افتتاح اجتماع لجنة القدس بالقصر الملكي بإيفران يوم 5 يناير 1988 :

«وهذه هي علة تدخلي بالنسبة للولايات المتحدة التي هي صديقة لنا منذ القديم فهي صديقة قريبة وصديقة وفية ولكن أقول لها لا. استشهد جنودنا وجنودكم بالالاف ومئات الالاف لتحرير البشرية. وهنا لا يمكن لطيفك بالأمس إلا أن يستغرب تنكرك للمبادىء التي من أجلها مات أبناؤك وأبناؤنا ولاسيما أن الجنود المغاربة حينما ذهبوا للحرب الدامية لم يذهبوا كجنود دولة مستعمرة بفتح الميم لم يذهبوا كمرتزقة أبدا بل ذهبوا بعد نداءات متكررة من جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه والذي انذاك السلطان سيدي محمد بن يوسف الذي أمر أن تقرأ على المنابر رسالة ملكية يأمر فيها الرجال المغاربة أن يحاربوا بجانب الحلفاء للدفاع عن الحرية وللدفاع عن الكرامة البشرية. ولذا حينما وسمه الجنرال ديغول بوسام التحرير وكان رئيس الدولة الوحيد في العالم ولا أقول رئيس حكومة ولكن رئيس الدولة الوحيد في العالم الذي قلده الجنرال ديغول ذلك الوسام. هذا يجعلني أقول لأصدقائنا لماذا مات باتون.. لماذا مات ضباطنا.. لماذا متنا جميعا في كاليغيانو لماذا متنا جميعا في ألمانيا.. لماذا متنا جميعا في ليزاردين. متنا للدفاع عن الكرامة وهذا هو الذي يعطيني حقي كمغربي لأن أقول هذا الكلام. وبكل صراحة غير موجه للحكومة وللشعب الأمريكيين هو كلام موجه لعدم الانصاف. والصديق من صادق لا من صدقك».

وقال جلالة الملك ردا على الكلمة التي فاه (5-1-93) بها شارل باسكوا رئيس فريق التجمع من أجل الجمهورية في مجلس الشيوخ لما حضي بمقابلة جلالته بالقصر الملكي بفاس على رأس وفد من مجلس الشيوخ الفرنسي عندما قال: «لن ننسى أبدا أنه عندما كانت فرنسا تجتاز ظروفا عصيبة وقف جلالة المغفور له محمد الخامس إلى جانب الجنرال دوغول وقرر بذلك دخول المغرب الحرب الى جانب فرنسا. وان عددا ممن يرافقوننا اليوم اتيحت لهم خلال الحرب العالمية الثانية فرصة قيادة وحدات مغربية. وقد رأينا دماء هؤلاء الجنود تراق الى جانب دمائنا من اجل تحرير وطننا. وهذا يفرض علينا عدة واجبات.»

فقال جلالته "....«ولقد تحدثتم قبل قليل عن الجنود المغاربة الذين سقطوا في ميدان الشرف بجانب الجنود الفرنسيين. واريد بهذا الخصوص أن أوضح شيئا وهو السبب الذي جعل الجنرال دوغول يوشح والدي بوسام التحرير وكان هو رئيس الدولة الاجنبي الوحيد الذي يحظى بهذا التشريف. إنه بكل بساطة كون الوحدات المغربية التي شاركت في الحرب العالمية الثانية لم تكن وحدات استعمارية فهي لم يؤسسها النظام الاستعماري كما لم تؤسسها الحماية. فالخطب التي القيت في المساجد ايام الجمعة والجولات التي قام بها والدي شخصيا عبر مختلف أرجاء البلاد هي التي جعلت هؤلاء الرجال المغاربة

ينضمون الى صفوفكم ليصبحوا جنودا للحرية.»

(17) لأول مرة في تاريخ الحرب العالمية الثانية هاجمت فرقة من الجيش المغربي - بسلاحها الأبيض- جنود سيارات مصفحة ألمانية عند احتلالها لمدينة Stuttgart واستولت عليها استلاء (ماي 1945). وكاد ج. گيوم أن يلقي حتفه في هذه المدينة أثناء جولة استطلاعية.

(18) أنشد شاعر مغربي (في مدح جنود المولى اسماعيل) في هذا المعنى :

اذا أطعموا يوم الوليمة أشبعوا وان طعنوا يوم الكريهة أوجعوا.

(19) كانت فرقة من الخيالة المغربية(Spahis) مقيمة بسوريا بقيادة القبطان Joudier وقد استعان بها الجنرال Cartourx- قائد الجيش الفرنسي في الشرق على عهد دكول - لمواجهة التقدم الألماني في واجهة اثيوبيا. ويقول السيد عبد القادر القادري في هذا الصدد : إن أرض الاسلام لاغنى عنها للروس والانجليز والألمان والطليان والاسبان والامريكان والفرنسيين واليابانيين والصينيين والهنود حيث استفادوا كلهم منها في حروبهم التي قادها زعماؤهم مثل ليوطي وستالين ومونغمري ورومبل وفرانكو وباطون وموسولوني وهتلر ومارك أرتر... وإزنهاور...

(20) (تاريخ المعجم العسكري - مجلة اللسان العربي - يناير 1972).

هذا وقد ألف بعض القادة العسكريين الفرنسيين كتبا عديدة عن بطولات الجيش المغربي في الحرب العالمية الأخيرة وغيرها منها : الكومي سعيد: و"l'Epopée des Goumiers à Rome"، و"أسد من الاطلس"، والفيلق المغربي" ، و"الطابور" و"الجيش المغربي في معركة لامارن" لجوان (1964) و La longue route des tabors de Jacques Augarde و"البرابرة المغاربة وإعادة الامن الى الأطلس" لكيوم. و"صوت الجبال والعوائد الحربية البربرية" لسعيد كنون. "وعلى "الحدود المغربية".

وصدر عدد خاص من مجلة le monde et la vie(شتنبر1967) عن بطولة الجيش المغربي في أوروبا كما أتى الجنرال Pierre Mondaineبوصف رائع للمعركة التي دارت بـ"Abruzzes" : -والتي لم تقهر فيها جيوش الحلفاء (la Wehrmacht) إلا بفضل صمود الفيلق الثاني من الرماة المغاربة - في مجلة Historia رقم326 بتاريخ يناير 1979. كما أصدرت مجلة Historama (غشت 1968). بحثا تاريخيا عن رجال الكرم الأشداء بعنوان "Les Goums Mixtes Marocains" de Luis Garros

- ونشر بمجلة "Revue historique de l'Armée" (العدد 1 - السنة 13 - 1957) بحث هام عن :

"La glorieuse histoire des goums Marocains" 1907-1956

وأصدرت الحكومة الفرنسية كتابا بعنوان : "الكتاب الذهبي للكوم" يروي بطولات الجنود المغاربة خلال الحرب العالمية الثانية. وقيل أنها قامت ببناء "جامع باريز الكبير" سنة 1922 تخليداً لذكرى حوالى مائة ألف مسلم من دول المغرب العربي ودول افريقيا السوداء ماتوا وهم يقاتلون في صفوف الجيش الفرنسي خلال حروبه العديدة. وصدرت عن "Centre des Hautes Etudes Administratives sur l'Afrique et l'Asie Modernes" التابع لجامعة باريز "وثائق" حول : "Les Forces Suppletives Marocains" و "Le Retour des Goumiers au pays" (عدد 759) و "Les Guiches marocains" (عدد 1666) ؛ و "Etude sur les Guiches marocains" (عدد 1409) و "La condition sociale des marocains militaires" (عدد 1179). كما صدر كتاب من ثلاثة أجزاء يسطر تاريخ الكوم والشؤون الأهلية بالمغرب من سنة 1908 إلى 1956. الجزء الأول من تآليف الكولونيل Jean Saulay حول تاريخ التهدئة بالمغرب (Histoire de la pacification au Maroc) والثاني من تآليف المؤرخ الجنرال Salkin حول المعارك التي خاضتها ا لطوابير المغربية من سنة 1940 إلى سنة 1945 ، والثالث من تآليف المؤرخ الكولونيل Meraud حول المهمات المنوطة بضباط الشؤون الأهلية بالمغرب. وقد خصص المرحوم محمد حسن الوزاني في مذكراته "حياة وجهاد" فصلا خاصا في الجزء السادس منها (ص 57) عن مشاركة المغرب في الحرب العالمية الثانية كما خصص Le Memorial du Maroc عدده السادس لصور البطولة والشهامة للمغاربة في الحرب الكونية.

ولمحمد الحجوي مذكرات كتبها عن الحرب العالمية الثانية وما عاصرها من أحداث داخل المغرب وخارجه عنوانها : "أهم الأخبار عن حرب الثار والاستعمار" مخطوطة في 6 أجزاء بالخزانة العامة). وقام المخرج المغربي أحمد المعنوني سنة 1992 بتصوير شريط وثائقي الذي خصصه لتكريم الجنود المغاربة الذين حرروا بعض المدن الفرنسية من نير الاحتلال النازي خلال الحرب العالمية الثانية (1942-1945) كمدينة ميلوز ومنت كاسينو ومارسيليا . ويدخل هذا الشريط ضمن سلسلة تلفزيونية فرنسية بعنوان "التاريخ المنسي" ويقص هذا الشريط الذي يحمل عنوان : "وحتي لايطوي النسيان الجنود المغاربة" تاريخ آلاف الجنود المغاربة المنسيين الذين حاربوا تحت قيادة فرنسية خلال الحربين العالميتين وحرب الهند - الصينية وماتوا في معاركها. ويقدم وثائق عن تلك الحقبة معززة بشهادات لجنود مغاربة مازالوا على قيد الحياة بمنطقة أيت سغروشن بالأطلس المتوسط. كما يتحدث الشريط عن مشاركة الجنود المغاربة في معارك تونس (1942) وكورسيكا (1943) وخاصة ايطاليا (1943-1944) حيث قاتلوا على ظهر البغال غير عابئين بقساوة أحوال الطقس وبصعوبة التنقل. وقد قدمت مجلة Télé-plus (عدد 37، مارس 1993) تحليلا لهذا الشريط الذي يقص ملحمة رجال الكوم بعنوان "Les goumiers marocains, ces oubliés de l'histoire"

وأنجز جمال حجام بجريدة L'Opinion روبوتاجا جامعا بعنوان: "Avec les soldats marocains de 1939 à 1945" وتحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وفي اطار الاحتفالات المخلدة للذكرى الخمسينية لنهاية الحرب العالمية الثانية أقامت جمعية "الكمية" الفرنسية لقدماء الضباط الذين أطروا الجنود المغاربة معرضا للصور واللوحات والوثائق في كل من بوردو والرباط يجسم مدى مشاركة الجنود المغاربة في معارك الحرب العالمية الثانية وخاصة في معارك تحرير فرنسا من السيطرة النازية. (ماي 1995) وقد بلغ عدد المغاربة المشاركين في الحملة الإيطالية مايقرب من 7500 شخص، أي ماينهاز نصف قوات الحلفاء (194.000) ؛ ذهب ضحيتها ماينهاز 3000 . ومازال بعض باقي الخائضين في غمار هذه الحرب على قيد الحياة شاهدين على تعبئة المغرب إلى جانب فرنسا في أحلك ظروف من تاريخها.

ومما جاء في كلمة جلالة الملك عند استقبال بعض أعضاء جمعية "الكمية" بالقصر الملكي بالرباط (2 ماي 1995) :

«ولكن يجب علي أن أقول أيضا وفاء لذكرى رجل لن نذكره اليوم إلا وهو المارشال لوكلير ستقولون لي ما الذي حذا بي إلى الاشارة إلى المارشال لوكلير ان جوابي هو أنه بفضل هذا الرجل وبفضل تصرفه استطاعت الأخوة التي نسجتها رفقة السلاح بين المغاربة والفرنسيين ليس فقط أن تتوثق بل أن تدوم لماذا.. لأنه في سنة 1944 كانت الفرقة الثانية للمدرعات تتدرب بتمارة وفي بداية أحداث سنة 1944 التي تزامنت مع المطالبة بالاستقلال وحدوث اضطرابات في الرباط وفي أماكن أخرى طلب بيو المقيم العام آنذاك من الجنرال لوكلير أن يضع رهن اشارته قواته لاعادة استتباب الأمن. لكن الجنرال رفض بحزم قائلا «انني هنا لتدريب المغاربة الذي سيذهبون للقتال إلى جانبنا وسيموتون معنا ولايمكنني أن أرضى بأن يتقاتل المغاربة أو أن يقتل الفرنسيون المغاربة". وقد مكن رد الجنرال – ولله الحمد– من تفادي وقوع النزاع إن لدى الفرنسيين أو لدى المغاربة في وقت كانوا سيتوجهون فيه إلى محاربة العدو المشترك.

لقد كان من واجبي التذكير بموقف الجنرال لوكلير للتاريخ وللذاكرة».

ونظمت مجموعة البحث والتوثيق في التاريخ العسكري المغربي التابعة لكلية الآداب بالقنيطرة مع مركز الدراسات التابع للمصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية ندوة دولية حول موضوع : "المغرب وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945). (نونبر 1996) وأنجزت جريدة العلم (17 نونبر 96) ملفا حول قدماء المحاربين المغاربة (أذرع فرنسا في حروبها المصرية – جنود منيسون في حياتهم، مجهولون في مماتهم).

(21) خاطب شاعر فلسطيني أيوب محمد طه في قصيدة "صرخة في المغرب" هذا الجنرال الذي تهجم على حرمة العرش المغربي مخاطبا إياه :

لن أستكين ورايتي لم ترفع * وجيوش باريز تدنس أربعي

جيوم قد سخرت جحافل هتلر * من كل صرح في حماك ممنع

فلتتعظ يا وغد حسبك جولة * فيها صفعت وبعدها لم تصفع

كيوم أنا خضعت جحا فل هتلر * فالمغرب العربي لا يخضع !

(مجلة الانوار عدد 47- مارس ابريل 1955 ، وعن "السلطان الثائر " بقلم كبار الكتاب الشرقيين ص 127).

(22) في موضوع رجال الكوم هؤلاء وخصوصا الفيلق الثاني يقول السيد عبد المالك لحلو في كتابه :

"Casablanca à l'heure de l'opération Torch et de la Conférence d'Anfa" (P :189-195)

محللا ماورد في خطاب كيوم :

"En Novembre 1942, les Goums sortent de leur clandestinité, parfaitement entraînés et près à combattre dans les rangs des forces françaises.

La décision de leur participation aux côtés des alliés fut prise lors de la Conférence d'Anfa. Le Général Patton reconnut que nos goumiers pourraient être d'une grande utilié pour les opérations en montagne pour lesquelles ils étaient prévus.

Par la suite, armés seulement de l'armement sorti des cachettes, nos valeureux goumiers entrerent dans la guerre en Tunisie où ils se sont battus avec un courage extraordinaire.

C'est donc avec un armement démodé qu'ils se heurtèrent aux Italiens et surtout aux Allemands de la redoutable Afrika-Korps, qui étaient munis d'un armement moderne (les lanceflammes, entre autres).

L'armement qui leur permettra de lutter à armes égales n'arrivera que plus tard.

Arpès avoir pris une grande part à la libération de la Sicile et de la Corse, ils ouvrirent aux alliés la route de Rome.

Confiant dans la puissance matérielle et dans l'entraînement de ses propres unités, le Général Clark persistait à ne voir dans les unités marocaines que des éléments intéressants à répartir entre ses Corps d'armée.

C'est ainsi que la 2ème Division Marocaines fut incluse dans le 6ème Corps Américain du général Lucas.

Elle se lança à l'assaut de défense allemande malgré les blockhaus et les champs de mines, avec un courage extraordinaire au cours de combats d'une violence inouïe, allant souvent jusqu'au corps à corps.

L'entré en jeu de la 2ème Division Marocaine venait d'être, aux yeux de tous les belligérants comme l'annonce d'une force nouvelle.

Les armes américaines avaient obtenu, entre les mains des soldats marocains engagés contre un ennemi opiniâtre et savamment retranché, d'étonnants résultats.

Le Général Clark avait suivi avec une particulière attention les combats menés par eux sur les différents fronds.

Ses prétentions initiales balayées, il ne cacha pas au Général Juin sa satisfaction et son admiration pour la combativité et l'endurance dont les unités marocaines ont fait preuve ainsi que pour les succès obtenus.

A ce sujet, le général Juin avait écrit dans son livre "Mémoires" : "Brave 2ème division Marocaine, elle avait pour son premier essai, fait un coup de maître et dans les conditions les plus difficiles qu'on puisse imaginer. Les Américains en étaient ébahis, eux qui, depuis plus de deux semaines n'avaient pu se frayer une ligne d'ouverture dans ce secteur, voyaient maintenant les premiers et redoutables obstacles, qui les avaient si longuement arrêtés, occupés par nos Tirailleurs Marocains. Aussi bien ne tarissaient - ils pas d'éloges pour ses nouveaux combattants, admirant leur audace et leur ténacité. Le général Clark lui-même ne pouvait manquer d'en être impressionné".

L'épopée de nos troupes va ensuite se dérouler à travers l'Italie, l'Elbe, les Alpes, l'Alsace et l'Allemagne pour aboutir aux rives du Danube.

La bataille de Garigliano aboutit à la plus belle des victoires remportées par les troupes françaises au cours de la deuxième guerre mondiale. Elle fixa le sort de l'Italie. Ces troupes étaient venues du Maroc en particuliers.

La ville de Marseille dont la défense était savamment préparée par les Allemands fut enlevée de haute lutte uniquement par l'infanterie. Il fallut de sanglants combats de rues qui occasionnèrent de nombreux tués et blessés - ce qui sauva Marseille de la destruction - Marseille, Mulhouse, Strasbourg et colman en France restent reconnaissants à nos goumiers pour la participation de leur délivrance.

Le général guillaume qui les commandait sur ces différents champs de bataille, les qualifiait de guerriers robustes et sobres, adroits, tirreurs, observateurs rusés sachant s'effacer dans le moindre pli du terrain, marcheurs et grimpeurs infatigables.

Evoquant la bravoure de nos soldats, le Général Noguès qui les a aussi connus s'exprima en ces termes : "Ils se sont battus par esprit du devoir avec un courage auquel de toute part il a été rendu hommage. Marchant coté à côté, les troupes françaises et marocaines ont, une fois de plus, témoigné de leur bravoure légendaire. Leurs morts, devant lesquels je m'incline, nous permettent de garder la tête haute."

Lors du voyage de Sa Majesté le Roi Mohamed V, en France en Juin 1945, le Général De Gaulle déclarait : "Quand la France dut défendre sa civilisation et sa liberté, elle trouva non seulement les Français de la métropole, mais encore les admirables soldats marocains. Nous les avons vus sur tous les champs de bataille, en Italie, en France, en Allemagne. Partout, ils ont rivalisé de courage et d'esprit de sacrifice."

Le Général De Gaulle dira aussi devant Mohamed V :

"La France est heureuse que le premier souverain accueilli sur son sol depuis la victoire soit précisément Sa Majesté Mohamed V dont les fils, ont une fois de plus, si vaillamment lutté à nos côtés".

D'autres grands chefs militaires de la dernière guerre dont notamment Eisenhower, Giraud, Delattre, Leclerc, Patton, Clark, Bradley avaient souligné le courage avec lequel les soldats marocains s'étaient battus aux côtés des Français, des Américains, des Anglais et des Russes, égalant les meilleurs et ce, en dépit de la diversité des climats. Nos combattants avaient en effet quitté leur pays ensoleillé pour des cieux incléments.

La création par le Général Simon des premiers Goums remonte à 1908. Leur recrutement se faisait dans chaque région. Ils continuaient à vivre avec leur famille. Après les exercices et les appels journaliers, ils pouvaient s'occuper de leurs affaires familiales.

Ces soldats et guerriers de race, on ne peut, en les voyant, s'empêcher de songer à ceux dont ils sont les fils qui donnèrent à la dynastie Alaouite des générations de soldats dévoués et de grandes bravoures."

جيش التحرير

الرواية الأولى : (1)

1- كيف تكون جيش التحرير : جاء تكوين جيش التحرير نتيجة طبيعية للكفاح الذي ظل المغرب يخوضه منذ وجد كشعب له كيانه الخاص ومميزاته في العراقة والمجد وضرورة حتيمة أدت اليها الحالة الغير الطبيعية التي عاشها الشعب تحت وطأة الاحتلال الأجنبي بعد أن ضرب الاستعمار ضربته الأخيرة يوم أبعد جلالة الملك الغفور له محمد الخامس عن وطنه، ولما يئس الشعب من جدوى الكفاح السلبى قام يبحث عن الوسائل الايجابية التي يجيد الاستعمار الفرنسي فهم لغتها فلم تمض على العدوان الاستعماري سوى أيام قلائل حتي بدأ الشعب يواجه الاستعمار فرادى وجماعات بضربات حاسمة أظهر المغاربة فيها بطولتهم المعهودة وشجاعتهم المثالية فبدأ تنظيم الخلايا المسلحة بشكل جدي في المدن الرئيسية وخصوصا في الدارالبيضاء. وقد وفق المواطنون البيضاويون كل التوفيق في إحكام تنظيم الخلايا وفي الضربات التي كانوا يسددونها نحو المستعمرين، فكان لهذا النجاح الصدى العميق في نفوس المواطنين في كل الجهات ولقد أحيا فيهم روح الأمل وأذكى فيهم جدوة الحماس وطفقوا ينظمون الخلايا السرية في مختلف جهات المغرب الحية، وقد لعب الشمال دورا فعالا في هاته المعركة التحريرية فكان بطبيعة الحال كلما تورط فدائي أمام البوليس الفرنسي إلا والتجأ الى (المنطقة الإسبانية) وعندما كانت المدن المهمة (في المنطقة) قد اكتضت رحابها باللاجئين وأهمها الناضور والقصر الكبير والعرائش بدأ التفكير في تكوين جيش التحرير. فتم أولا تأليف العصابات من اللاجئين أنفسهم وإرسالها إلى المدن المجاورة للهجوم على المراكز الفرنسية وهاته العصابات هي التي كانت صلة الوصل بين الشمال والجنوب وإليها يرجع الفضل الكبير في تأسيس جيش التحرير. بدأ العمل بالناحية الشرقية والريف بتأليف العصابات وذلك في دجنبر 1954 حيث بعث بالمراسلين الى هاته الجهات مزودين بالتعليمات اللازمة والتي كانت تتلخص في اقناع المواطنين بصلاحية الفكرة وبتوفير رسائلها. وقد استمرت هاته المرحلة طيلة شهور ثلاثة أو أربعة كان يتصل خلالها القائمون بالعمل التنظيمي والمسؤولين الرئيسيين في الشمال مع المواطنين في الجنوب عن طريق الاتيان بهم الى عين المكان من طرف العصابات الفدائية المتحدث عنها سابقا وإما أن يتصلوا بهم على الحدود.

2- فرق جيش التحرير : وفي المرحلة الثانية بدأ تنظيم العصابات التي كانت تتألف من مجموعها من 25 عضوا وتنقسم الى قسمين قسم مدنى يتألف من أربعة عشر عضوا ويرأسه واحد، وقسم عسكري يتألف من 11 عضوا ويرأسه واحد عسكري ويسمى رئيس الطليعة، وعلى رأس ثلاث طلائع رئيس يسمى قائد الثلاثين وعلى رأس 9 طلائع رئيس يسمى قائد المائة

وعلى 27 طليعة أي ثلاثة مائة رئيس يسمى قائد الرحى وعلى رأس واجهة قائد المحلة. وفي المرحلة الثانية بدأ تدريب الرؤساء على نظام حرب العصابات، فقد نظمت شبه معسكرات على الحدود لتلقى تلك التدريبات واستمر هذا العمل حوالى ثلاثة شهور أو أربعة وخلال تلك التداريب مرن المتدربون على استعمال السلاح. «ونجد من بين قادة جيش التحرير عباس وسعيد بونعيلات وحسن برادة والصنهاجي والمذكورى وغيرهم من المقاومين».

3- **عمليات جيش التحرير** : بعد الانتهاء من تدريب الرؤساء أمروا بالرجوع إلى الجهات التي أتوا منها وعينت لهم مدة يقومون فيها بتدريب عصابتهم ورجعوا مرة أخرى إلى الحدود ليأخذوا الأسلحة وعينت لهم مدة وجيزة يدربون أثناءها أفراد عصابتهم ثم مكنوا من الأسلحة وأعطيت لهم الأوامر بالهجوم في موعد هو يوم ثانى أكتوبر فتم الهجوم في اليوم المحدد في كل من تزي وسلي وأكنول وتافوغالت وايموزار ومرموشة الريف والناحية الشرقية بأسرها. وفي الوقت الذي كان جيش التحرير يواصل هجوماته في هذه المواقع على الاستعمار وكل الصنائع في هاته الناحية الواسعة كان فرق من اللاجئين وفرق أخرى من المواطنين في الجنوب بجبالة شمال فاس تواصل تدريبها بمدرسة أسست خصيصا لتخريج الضباط. وفي فاتح أكتوبر 1955 هاجمت هذه الفرق المراكز الاستعمارية في هاته الناحية ثم واصلت زحفها نحو فاس ثم الأطلس بينما كانت قوات جيش التحرير بالريف وبناحيته الشرقية تغلغلت بالأطلس المتوسط وبالصحراء الشرقية وأمام الانتصارات الباهرة التي كانت تحرزها فرق جيش التحرير في هجوماتها على العدو ونتيجة للغنائم الضخمة التي كان يفوز بها المجاهدون اتسعت فرق الجيش بسرعة وتضخمت، وكان رؤساء الفرق كل واحد يسير فرقته في الواجهة ويخضع للقيادة التي كانت تقيم بكل من تطوان والناظور وقائمة بتنسيق أعمال الفرق.

4- **سلاح جيش التحرير** : لم يتلق جيش التحرير سوى أسلحة ضئيلة بالنسبة للأسلحة التي امتلكها من العدو ولقد بدأت المعركة بأسلحة خفيفة تتلخص في بنادق ورشاشات وبعض المدافع الرشاشة وعدد من المتفجرات تعد على رؤوس الأصابع وقد تم توريد هاته الأسلحة من الشرق من الدول العربية الشقيقة بعضها تبرعت به هاته الدول والبعض الآخر اشتراه المكلفون بهذه المهمة، بالاشتراك مع الجزائريين. وقد جاءت الأسلحة في دفعتين فالدفعة الاولى التي كانت قدرها ضئيلا تم بها الجهوم الاول وما كادت تصل الدفعة الثانية حتى كان المجاهدون قد سلحوا فرقا جديدة من الأسلحة التي انتزعوها من جيش العدو.

5- **مراكز جيش التحرير** : وهاته هي المراكز الرئيسية التي كانت تعد معاقل رئيسية لجيش التحرير وهي : تزي وملي، اكندول بوذنيب، تزى وندرى، سيدي علي تافوغاللت، بورقبة، مزكتام، بوسكورة، فوغال، بني يزناسن. ثم أخذت تتسع الحركة فاحتلت كل المراكز الهامة على طول المسافة من تازة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. وبعدما بدأت الثورة في شمال فاس انتشر الجيش شرقا وغربا ما بين زمور الى آيت يوسى شمالا وجنوبا من الحدود الشمالية حتى الصحراء وذهبت عدة فرق الى الجنوب بناحية مراكش فكانت اللبنة الأولى لما سمي بجيش التحرير في الاستقلال الذي أسس لتحرير الصحراء المغربية.

- **مقاومة جيش التحرير بالصحراء الغربية** تابع جيش التحرير مسيرته التحريرية في الصحراء الغربية المغربية صحبة الاغدف ابن الشيخ ماء العينين ولكن الجيش الإسباني الذي تقوى بفيالق من الجيش الفرنسي كان له بالمرصاد. ومن المعلوم أنه في سنة 1884 هجم دليم على المراكز الاسبانية وخصوصا علي مركز الداخلة سنة 1887م. واستمرت المقاومة بالساقية الحمراء ووادي الذهب وايفني وباقي أجزاء الصحراء الى سنة 1934 حيث قامت اسبانيا بضم الصحراء في بلادها باتفاق مع فرنسا التي ضمت موريطانيا الى مجموعة البلدان الافريقية المحتلة. وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله تقوت الحرب التحريرية بالمناطق الصحراوية، وتمسك الاسبان بالعيون والداخلة (الساقية الحمراء ووادي الذهب)، وبقيت الصحراء مسرحا للمراوغات والدسائس خاض أثناءها جيش التحرير الصحراوي (الذي لم تنضم عناصره بعد للقوات المسلحة الملكية) معارك ما بين 1956 و 1958 وتمكن خلالها من تحرير طانطان والسمارة والداخلة. ومن أشهر هذه المعارك[2] التي خاضها جيش التحرير معركة "الدشيرة" التي هلك فيها فوجان من الجيش الإسباني (الأول والثالث عشر) وترك مآت من القتلى والجرحى. وأصبح جيش التحرير واقفا بعدها على مشارف العيون.

وقد عزمت القوات الإسبانية والفرنسية المشتركة (بعدما وحدت خطتها لمواجهة جيش التحرير المغربي في شهر يوليوز 1957) القضاء على جيش التحرير في الصحراء. فتحركت الجيوش الفرنسية من أكادير وأنزكان بقيادة الجنرال كوني(Cogny) في جنوب وادي درعة، وانطلق الجيش الإسباني من سيدي ايفني، وتدخل الطيران الفرنسي وقنبل رجال جيش التحرير وأرغمهم على الانسحاب الى وادي درعة حتى لا يحتلوا موريطانيا او الصحراء الجزائرية. وقد عرفت هذه العملية (10 فبراير 1958) بعملية ايكوفيون (Ecouvillon)أي المسحة أو المكنسة. تم تأسست حركة تحريرية أخرى بالصحراء لاحباط مناورات الجيش الإسباني الى أن جاءت "المسيرة الخضراء" المظفرة وتحررت الصحراء من الاحتلال الإسباني بمقتضى اتفاقية مدريد الموقفة بين المغرب واسبانيا في شهر دجنبر من سنة 1975م.

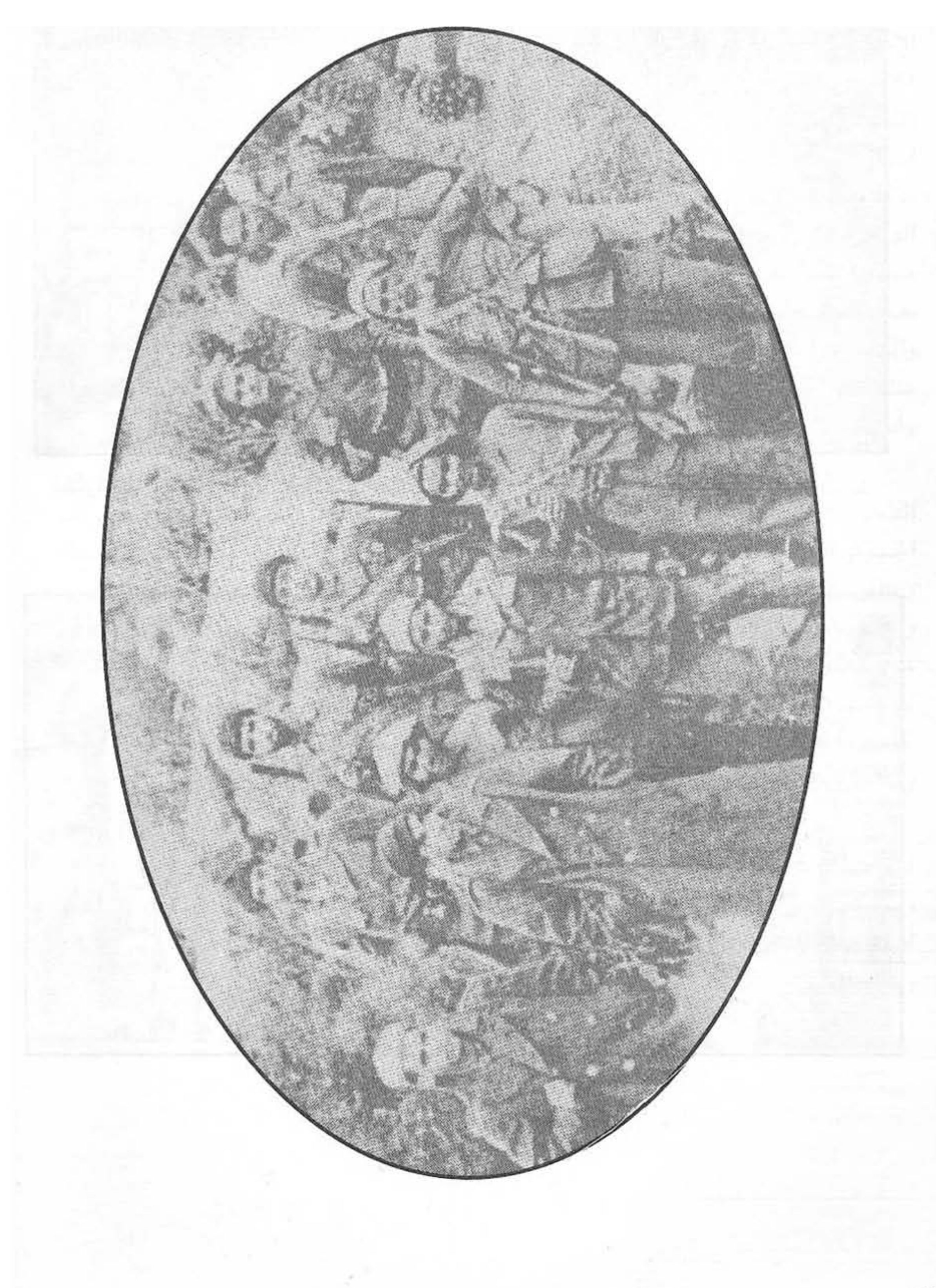
أما الصحراء الشرقية فقد عرفت عدة معارك منها معركة بني ونيف سنة 1956 حيث قام جيش التحرير بالهجوم على مراكز القوات الفرنسية، ومعركة عين الشعير في ماي 1956، ومعركة درمل في اكتوبر 1958 حيث هاجمت قوات جيش التحرير معسكرا فرنسيا. كما قام أفراد جيش التحرير بالهجوم على مركزين فرنسيين بتالسينت على الطريق الرابطة بين بني ونيف والعين الصفراء [3].



الصورة تمثل اللبنة الأولى لجنود جيش الشمال الافريقي وهم داخل ثكنة بالقاهرة يتعلمون استعمال السلاح بقيادة الضابط المغربي الهاشمي الطود



Des membres de l'ALN (Oujda)



(1) نسوق هنا روايتين أخريتين عن هذا الجيش آملين أن يصدر بعض رجاله الذين ما زالوا على قيد الحياة تاريخا له مدققا ومحققا خاليا من كل زيف أو مبالغة اوتزوير وماذلك على همتهم بعزيز.

وفي انتظار صدور ذلك التاريخ يجب قراءة كتاب د. مبارك زكي :

"Resistance et Armée de Libération Portée Politique - Liquidation 1953-1958"

وسلسلة «أحداث ملحمة الاستقلال» الصادرة عن المندوبية السامية لقدماء وأعضاء جيش التحرير. «ومذكرات مناضل : عبد الرحمان عبد الله الصنهاجي» في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من سنة 1947 إلى سنة 1956 (1987) وأعداد «مجلة المقاومة وجيش التحرير»، منها عدد 16 دجنبر 1988 الذي تحدث عن معارك ليلة اندلاع الثورة ببوزيد (12 أكتوبر 1955) وما تلتها من معارك أخرى ؛ و"صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب" لمحمد بن سعيد في حلقات منشورة بمجلة أنوال (ابتداء من عدد (648-4-11-91). وكتاب الفرقاني محمد الحبيب : "الثورة الخامسة - صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير (1990) ؛ وكتاب "مثلث الموت" - قصة انطلاق جيش التحرير المغربي لأحمد عبد السلام البقالي (منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - 1992). (ويعني المؤلف "بمثلث الموت" : مواقع بورد، وأكنول، وتيزي اوسلي التي دارت بها معارك التحرير الأولى لجيش التحرير)... وندوات المندوبية السامية للمقاومة.

الرواية الثانية :

«قد بدأت الخطط من أجل انشاء جيش غير نظامي - في الغالب - في الاجتماع الأول لمجلس المقاومة في أواخر عام 1953 وقد جرى جمع الاعتمادات المالية من العمال المغاربة بفرنسا ومن رجال الطبقة الوسطى من المغاربة الذين عرف عنهم أنهم أصحاب ادخارات في بلاد المغرب وكان من أول منظمي حرب العصابات بالريف وبالأطلس المتوسط «الرشيدي» الذي قتل في سنة 1954 والدكتور عبد الكريم الخطيب، ثم بدا من أحرضان أن يبدأ في استخدام ضباط الصف والضباط من أصل مغربي الذين يعملون في الجيش الفرنسي. وقد بدأت الاستعدادات الفعلية خلال 1954 وأقسم الجيش المغربي المحرر أن يحرر شمال افريقيا برمتها. وقد سمح الاسبان أن ينزل الجنود أسلحتهم بالمنطقة الريفية ويقيموا مراكز التدريب والتموين والعمليات بها. وكان المركز الرئيسي للتدريب يقع قرب الناظور ويعمل تحت اشراف العباسي مسعود الذي اغتيل بعد الاستقلال وعبد الله الصنهاجي وشخص جزائري توفي فيما بعد بأحد سجون فرنسا. وقد بدأت هذه الجماعة استعدادها للكفاح سنة 1955 وعرفت باسم «لجنة التنسيق» وفوق هذه كانت هنالك «لجنة الثورة» برئاسة عبد الكريم الخطيب وكانت تقوم بعملية الاتصال بالوكلاء وممولي الجيش خارج بلاد المغرب. وأما وكلاء الجيش فهم عبد اللطيف بن جلون بطنجة وعبد الرحمن اليوسفي بفرنسا وعبد الخالق الطريس بتطوان وعبد الكبير الفاسي بمدريد وغير هؤلاء. ولما بدأ جيش التحرير يتكون من 1955 أسست القيادات الاقليمية واتخذت الخطوات الأولى نحو تأسيس وحدات داخل المنطقة الفرنسية ولم يأت خريف 1955 حتى كان قد تم تنظيم واعداد نحو عشرة آلاف رجل. أما القطاع الريفي في الجيش كان أول قطاع تم تشكيله من وحدات نظمت من بعد في المنطقة الغربية من جبال الريف بين تطوان والناظور وهي تمتد جنوبا في اتجاه وزان وقرية ابا محمد. أما العباسي فكان قائدا لمنطقة الريف الوسطى إلى الشمال من فاس وتازة بما في ذلك من القلاع حول بوريد وتنسيت وآكنول. أما في الشمال فان الرجال كانوا ينتمون في معظمهم إلى قبائل الريف الوسطى وكانوا مشهورين بمزايا القتال العنيف الذي عرف عنهم منذ ثورة عبد الكريم.. وأما في جبال الأطلس الأوسط فإن المركز الأصلي لتنظيم كان قائما وسط قبائل مرموشة في المنطقة الواقعة جنوب تازة. وكان من بين قادة هذا الفيلق الأطلسي الحسن اليوسي. وكذلك أقامت بعض الوحدات في الجنوب معتمدة على الأسلحة والرجال المدربين الآتية عبر ايفني والمنطقة الإسبانية.

وهكذا ارتكزت جميع وحدات جيش التحرير وكانت تمتلك خطوط مواصلات ومؤنا تمتد إليها من الجزائر ومن اسبانيا وخلال الأشهر الأولى من سنة 1956 جرت هجمات متقطعة على نقط الحراسة الأمامية الفرنسية وعلى مكاتب المصالح الحكومية بالبادية. وبدأت وحدات من جيش التحرير في جبال الأطلس المتوسط توسع نشاطها شرقا بشن هجمات جديدة قرب خنيفرة والخميسات. ولما أعلن استقلال البلاد توقف القتال بأمر من صاحب الجلالة المقدس. وفي شهر يونيه 1956 وصلت مجموعات من جيش التحرير تتألف من عدة آلاف إلى الرباط واستعرضهم جلالة المغفور له محمد الخامس مع «ولي العهد» والدكتور الخطيب وأحرضان. ثم بدأ ادماجهم في صفوف القوات الرسمية. وفي منتصف يونيه قام المغفور له برحلته عبر مناطق جيش التحرير بادئا بمدينة الخميسات ثم اقليم فاس ومراكز الشمال وانتهت الرحلة باحتفالات الادماج في مركز جيش التحرير بالناظور. وبعد جولة الدكتور الخطيب في المنطقة الواقعة جنوبي مراكش توقف القتال المنظم نهائيا وبدأ دور جديد من أدوار جيش التحرير المتركز في الصحراء لتحرير ايفني وموريطانيا ولكن سرعان ما توقفت تلك العمليات وطويت صفحة خالدة من تاريخ التحرير. (عن كتاب «التطورات السياسية في المملكة المغربية» تأليف دوجلاس

- ترجمة الدكتور عارف والدكتور ابو حاكمة - مراجعة الاستاذ عبد الهادي بوطالب بتصرف).

الرواية الثالثة :

تقول رواية أخرى عن تأسيس جيش التحرير وانطلاقه وعملياته نشرت بجريدة الاتحاد الاشتراكي بتاريخ فاتح أكتوبر 1986 : في مثل هذا اليوم منذ احدى وثلاثين سنة شهد المغرب حدثا من أخطر احداثه التاريخية، ألا وهو انطلاق عمليات جيش التحرير في فاتح اكتوبر 1955، والذي يشكل مرحلة اساسية عجلت بتحقيق الاستقلال، وشكل احدى المراحل الأساسية في تحرير المغرب العربي.

عندما أدرك قادة المقاومة عدم كفاية العمليات الفدائية في الأوساط الحضرية، رغم أنها تشكل ضغطا كبيرا على المستعمر، وتوجه الضربات لمراكزه العصبية الحساسة، قرروا التفكير في وسيلة تحريرية أخرى موازية، أظهرت فعالية في عدد من مناطق العالم وخاصة في الهند الصينية، حيث عاد عدد من المجندين المغاربة يروون تجاربها. وهذه الوسيلة هي انشاء جيش تحرير يعتمد على الطابع الجماهيري الواسع وتشارك فيه جماهير الفلاحين، ويقوم بتحرير البوادي.

ووقع الشروع في الإعداد العملي لهذا الجيش منذ سنة 1954، ووقع الاختيار على منطقة ملائمة بشريا وطبيعيا كي تكون المنطلق وهي منطقة الريف الشرقي. وكانت وراء هذا الاختيار عدة اعتبارات، منها الظروف الطبيعية المساعدة لصعوبة تضاريس المنطقة مما يجعلها ملجأ آمنا يصعب اقتحامه على القوات المعادية، كما أن السلطات الاستعمارية الإسبانية تسمح للوطنيين المغاربة بنوع من حرية الحركة نكاية في الفرنسيين بسبب التناقضات الموجودة بين القوتين الاستعماريتين. وقد كانت هذه المنطقة ميدان حركة الجهاد التي تزعمها محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولاتزال ذكريات تلك الحرب ماثلة في ذاكرة السكان، بل ولايزال عدد كبير من أبطالها أحياء، وعلى هؤلاء الأبطال اعتمد المقاومون في تهيء الظروف المعنوية والمادية لإقامة قواعد جيش التحرير، وأخيرا فإن المنطقة قريبة من الحدود الجزائرية كي تشكل قاعدة خلفية للمجاهدين الجزائريين. وللتذكير فان جيش التحرير المغربي أخر انطلاقته عدة شهور كي تتفرغ أطره واعضاؤه لمساعدة جيش التحرير وإجراء التداريب المشتركة في قواعد زايو وتمسمان.

وبعد انتهاء الترتيبات انطلق جيش التحرير في إنجاز مهامه ابتداء من فاتح اكتوبر 1955، وبدأت العمليات في مثلث تيزي اوسلي - اكنول- بورد، وتلتها عمليات في الأيام التالية في كل من تافو غالت بجبال بني يزناسن في اتجاه الحدود الجزائرية، وفي ايموزار مرموشة بالاطلس المتوسط في اتجاه المغرب الداخلي. ومما ينبغي التذكير به ان اختيار فاتح اكتوبر 1955 لانطلاق عمليات جيش التحرير في المغرب تم بالاتفاق بين القياديتين الجزئرية والمغربية، وأن التنسيق العسكري واكبه تنسيق سياسي، حيث صدر بالقاهرة 6 أكتوبر 1955 تصريح سياسي موقع من طرف المحرومين علال الفاسي ومحمد خيضر يعلن وضع حركتي المقاومة في المغرب والجزائر تحت قيادة واحدة في أفق تحرير المغرب العربي بكامله. وأن هذا الجيش دخل في طور العمل في فاتح اكتوبر.

وأمام الهلع الذي أصاب القوات الاستعمارية، قامت بتجميع قواتها لتسليط قمع منهجي ضد سكان المناطق التي يتحرك فيها جيش التحرير، إلا أن هذا القمع كانت له نتائج عكسية حيث أدى إلى إخلاء قرى بكاملها والتحاق سكانها بجيش التحرير، فاتسعت مساحة المناطق المحررة التي يشملها نفوذ جيش التحرير، لتمتد خلال أسابيع إلى مناطق شاسعة من الاطلس المتوسط الشمالي وجبال الريف الشرقية وامتدت من سفوح الجبال إلى السهول المجاورة.

وكانت لانطلاقة جيش التحرير نتائج سياسية سريعة، ذلك أن الأوساط الاستعمارية التي كانت تنوي التلكؤ، وجعل المغرب يمر بمراحل انتقالية تطول مدتها قبل منحه استقلاله، استخلصت مايجب استخلاصه فقررت التعجيل بمنح المغرب استقلاله.

وعند إعلان اتفاقية 2 مارس 1956 التي حصلت بموجبها المنطقة الوسطى من المغرب الخاضعة للاستعمار الفرنسي على استقلالها، واتفاقية 8 أبريل 1956 باستقلال المنطقة الشمالية الخاضعة لاسبانيا، مع ماتضمنته كل واحدة من غموض وسكوت متعمد عن مناطق أخرى من المغرب، عمت مرارة الخيبة أوساط المقاومين وأعضاء جيش التحرير الذين رأوا ان جهودهم لم تؤت ثمارها كاملة، وعم نفس الشعور سكان المناطق الصحراوية في الساقية الحمراء والداخلة وأيت باعمران وشنقيط وتندوف الذين سبق وان رفعوا الأعلام المغربية ابتهاجا بالاستقلال كغيرهم من سكان المناطق المغربية الأخرى، وارسلوا وفودهم إلى الرباط لإظهار تعلقهم بالوطن الأب.

وكانت قيادة المقاومة وجيش التحرير واعية بالمسار الذي اتخذته الأحداث في المغرب، قبل الاعلان عن اتفاقيتي الاستقلال. فعقدت اجتماعا بمدريد في بداية سنة 1956، وكان من بين القرارات التي اتخذها هذا الاجتماع : استمرار

الكفاح المسلح حتى يقع استكمال وحدة التراب الوطني بتحرير الأقاليم التي يرفض الاستعمار تسليمها سواء في الشمال من طرف اسبانيا (سبتة ومليلية) أو في الشرق والجنوب من طرف فرنسا واسبانيا : تيندوف، بشار، شنقيط، الساقية الحمراء، الداخلة، افني، ايت باعمران، طرفاية...

ووقع التحضير بسرعة لانطلاق مسلسل استكمال التحرير، من الناحية السياسية بتوعية المواطنين بأن الاستقلال ناقص، لأن اطراف مبتورة، وجعلهم يدعمون هذه العملية. ومن الناحية العسكرية اتخذت قيادة المقاومة وجيش التحرير قرارا بتأسيس جيش لتحرير الصحراء تتكون نواته من أطر جيش التحرير ومابقي من فرقة والتي تم نقلها إلى الجنوب. وكلفت عددا من أطرها بالاشراف على إنشاء قواعد هذا الجيش في كلمين وسوس وتخوم الصحراء الجنوبية والشرقية.

وبعد بضعة شهور تأسس جيش التحرير الجديد الذي يضم عدة آلاف من الأفراد من مختلف مناطق المغرب وخاصة من المناطق الصحرواية.

وخاض أول معارك ابتداء من صيف 1956، وركز عملياته الأولى على الصحراء الشرقية (معارك "فم الاعشار - بركانة - المحاميد - الزمول) لعدة اعتبارات أهمها التأكيد على عزم المغرب على تحرير تندوف وبشار والضغط على القوات الاستعمارية الفرنسية في هذه الجهة لمساندة المجاهدين الجزائريين.

وفي بداية 1957 امتدت العمليات إلى الصحراء الجنوبية الخاضعة لفرنسا (موريتانيا) ومنها إلى الصحراء الخاضعة لاسبانيا، فخاض جيش التحرير عدة معارك ضد الاسبان (في المسيد - تافودارت - الدشيرة - اوسرد - العركوب) نجم عنها تحرير معظم الساقية الحمراء والداخلة، حيث ظلت الحاميات الاسبانية في العيون والسمارة والداخلة معزولة كليا عن العالم الخارجي وعاجزة عن أي تحرك، ولم تعد قضية استلامها إلا مسألة وقت.

وفي الفترة بين 57/11/23 و 58/12/5 قام جيش التحرير بعمليات أدت إلى تحرير آيت باعمران وطان طان وطرفاية، مما سهل استرجاعها رسميا بواسطة المفاوضات.

وهناك **رواية رابعة** عن تأسيس جيش التحرير بعنوان " «الذكرى الواحدة والأربعون لانطلاق عمليات جيش التحرير» بقلم محمد لخواجة منشورة بجريدة العلم (2-10-96).

(2) مثل معارك البلابا والدورة والمليح وتفاودات وسمارة والفوقانية والقلات والعرقوب والسماميط وغيرها......

(3) انظر : مجلة "المقاومة وجيش التحرير" عدد 12 (1985) ص 35-36 . وتقول مجلة أنوال المؤرخة بـ 26 نونبر 1987 (عدد 360) في هذا المضمار مانصه (بتصرف) :

المعارك التي دارت بين جيش التحرير والجيش الفرنسي هي :

- هجوم ام العشار (6-8-56) هجوم مركالة (5-10-56) هجوم بيرام كرين (13-1-75) ، هجوم أطار (12-1-57) وظلت عمليات جيش التحرير مركزة ضد الجيش الفرنسي من بداية 1956 الى غاية نونبر 1957 تخفيفا للضغط على الثورة الجزائرية.

وكان جيش التحرير على مدى الصحراء الشرقية - يقدم الامدادات للثورة الجزائرية مثلما كان الامر في الشمال وخاض معارك ضد الجيش الفرنسي على أرض تندوف.

ودارت معارك كثيرة بين جيش التحرير والجيش الاسباني وابتدأت في نونبر 1957. وعلى اثرها انسحبت القوات الاسبانية من طانطان واسمارة وآدوسرد وأوغرينيت وتجمعت في طرفاية والعيون والداخلة. وبقى الجيش التحرير متمركز في المراكز الاخرى الصحراوية.

وانظر كذلك ما كتبه الاستاذ عبد الكريم غلاب عن هذه المعركة في كتابه تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ج 2 ص 818.

- وعن احتلال الصحراء الشرقية انظر مقال الضابط الفرنسي جورج سالفي بجريدة لوموند الفرنسية 31 يناير 1976) وترجمته بجريدة العلم (5 فبراير 1976).



صاحب الجلالة الملك المقدس مؤسس القوات المسلحة الملكية وقائدها الأعلى الأول



صاحب السمو الملكي ولي العهد "الأمير مولاي الحسن" (صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني) رئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية

الجيش المغربي في عهد الاستقلال

«جيش بدون شعب لا قوة له
وشعب بدون جيش لا كيان لن ولا استقرار »
(جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه)

تأسيس النواة الأولى من الجيش الملكي

لقد كان من بين البرامج التي نص عليها بيان ثاني مارس 1957 الذي حرر المغرب من قيود الحجر والوصاية – انشاء جيش مغربي تحت قيادة مغربية صرفة فسهر المكافح الأول جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله بنفسه على تهييء مشروع تأسيس القوات المسلحة الملكية الذي أنيط باللجنة العسكرية المكونة يومئذ من الجنرال حمو الكتاني والكومندار محمد أوفقير والكومندار ادريس بنعمر والقبطان احمد النميشي – وقد أسند رحمه الله لولي عهده يومئذ رئاسة أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية، فاستدعى سموه على الاثر الضباط المغاربة المنخرطين سابقا في الجيش الفرنسي والإسباني (كالكولونيل مولاي احمد العلوي والقبطان عبد السلام بن عمرو و اليوتنان بن كيران) وأسند اليهم قيادة الجيش المغربي وخاطبهم قائلا : «ابتداء من اليوم فقد أصبحتهم تحت قيادتي، وسيكون قائدكم الأعلى عادلا ورحيما، لكنه لا يقبل أي اخلال بواجبات الامتثال والانقياد والأدب، ويتعين احترام المرؤوسين لرؤسائهم، فانتم أمل جلالة السلطان وأمل الشعب وأمل الأمة المغربية ويقضي عليكم الواجب أن تكونوا أهلا لهذه الآمال».

وتقرر في مجلس وزاري بتاريخ 22 مارس 1956 وبرئاسة جلالة المغفور له محمد الخامس أن القوات المسلحة المغربية ستحمل اسم "القوات المسلحة الملكية" وأن الرئاسة العامة العامة لمجلس أركان الحرب ستسند لصاحب السمو الملك ولي العهد مولاي الحسن بمقتضى ظهير شريف هذا نصه :

« يعلم من ظهيرنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أسندنا منصب رئيس مجلس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية لنجلنا البار وولي عهد المملكة المغربية الشريفة مولاي الحسن حفظه الله، ابتداء من 9 شعبان سنة 1375ه الموافق لـ 22 مارس 1956م. فنأمر أركان قواتنا العامة الملكية أن يقوموا بما يجب عليهم نحوه من الامتثال والاتفاق والاتحاد، ويكونوا رهن إشارته لما أوليناه من حسن التقة، ويعرفوا حقه ومنزلته، أعانه الله وسدد خطاه والسلام. (2 ابريل 1956)

وفي يوم 18 ابريل 1956 قدم صاحب السمو الملكي ولي العهد محفوفا بالجنرال حمو الكتاني وباقي أعضاء أركان الحرب لجلالة الملك برنامج تكوين الشطر الأول للقوات المسلحة الملكية. وبعد ذلك قرر جلالة الملك المغفور له محمد الخامس أن يسافر ولي العهد صحبة وزير الدولة المكلف بالدفاع الوطني السيد احمد رضا كديرة والجنرال الكتاني .(كان قد سبقهما

للتمهيد للمفاوضات السيدان محمد الشرقاوي وعبد الرحيم بوعبيد) - الى فرنسا ليدرس مع الحكومة الفرنسية البرنامج الذي وافق عليه صاحب الجلالة في هذا المضمار.

وقد أمضى سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن شهرا كاملا في المفاوضات مع الحكومة الفرنسية في هذا الشأن. وقد دارت المفاوضات في البداية مع آلان سافاري الوزير الفرنسي المكلف بشؤون المغرب وتونس، تم تلتها مفاوضات مع بورجيس مونوري وزير الدفاع، وكرستيان بينو وزير الخارجية. وقد تم بين الطرفين اتفاق على اتخاذ اجراآت لتشكيل جيش وطني مغربي يتألف من 15.000 رجل : عشرة الآف من المشاة، وثلاث كتائب من الخيالة، وكتيبتين مصفحتين، وكتيبة هندسية ، وكتيبة مدفعية، إضافة الى مجموعات المساندة الثقنية.

ولما عاد صاحب السمو الملكي ولي العهد من فرنسا قدم لجلالة والده رحمه الله جنود القوات المسلحة الملكية الذين سيعملون تحت الراية المغربية وتحت إمرة قائدهم الأعلى جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه. (12 مايو 1956ثاني يوم عيد الفطر 1375ه).

وقد أدى جنود أول جيش وطني مغربي تشرف عليه قيادة مغربية صرفة قسم الولاء والإخلاص لصاحب الجلالة الرئيس الأعلى. تم سلم صاحب الجلالة علم القوات المسلحة الملكية لسمو ولي العهد. وقد بدا على محيا جلالته في تلك اللحظة التاريخية المجيدة من تاريخ المغرب علامات التأثر حيث قبل جلالته علم القوات المسلحة الملكية ووضعه بين عينيه. فكان يوم تأسيس القوات المسلحة الملكية غرة في تاريخ كفاح الشعب المغربي من أجل الحصول على حريته واستقلاله وأدرك فيه إدراكا تاما أن عزته أصبحت مصونة، وأن كلمته في بلاده صارت هي العليا. فقال جلالة الملك القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية مخاطبا الشعب المغربي في يومه الخالد : "هذا هو جيش وطنك الحر وقطر دائرة استقلاله الثابت وشارة عزه وحارس ترابه ووحدته، فسيكون في خدمتك، ساهرا على راحتك وسلامتك دائما على أهبة لدرء الأخطار عنك». وقال رئيس أركان الحرب للقوات المسلحة الملكية في نفس المناسبة : «إن إنشاء هذه النواة من الجيش تقيم لك الدليل أن جنوده سيظلون أوفياء لمثلهم الوطنية السامية ووجوده أيضا يعينك على المحافظة على أمنك وأمن عائلتك ورفاهية أحفادك. وان التأثر الذي يخالج نفوسنا حينما تمر أمام أعيننا الراية المغربية وبنوذ الوحدات العسكرية ليبرهنان لنا جميعا على أن المغرب لم يفقد قط خلال تاريخه المجيد شيمته كأمة عظيمة».

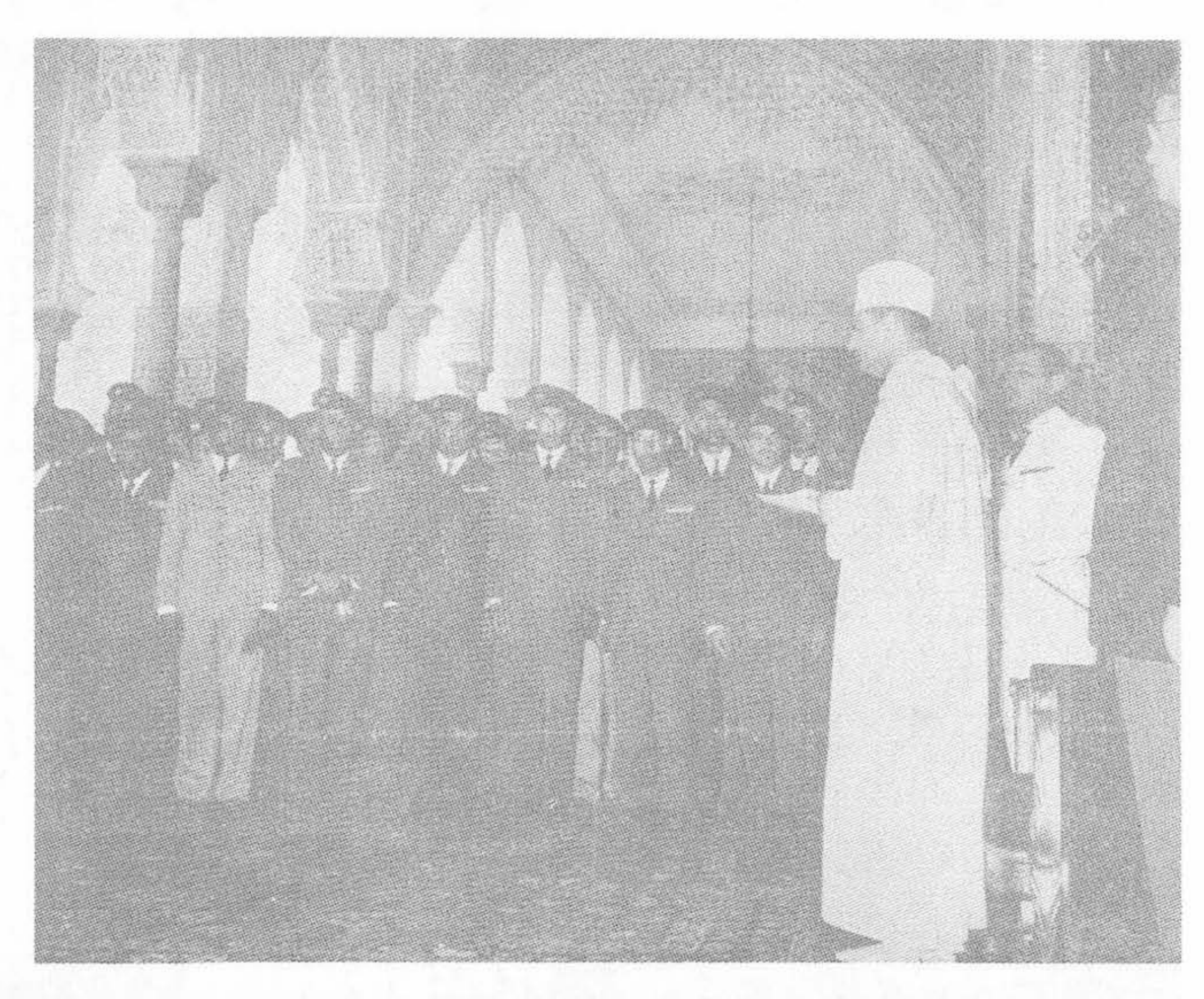
- أول استعراض للجيش الملكي :

وفي يوم 14 ماي 1957 قامت النواة الأولى من الجيش الملكي المغربي العتيد (13 فرقة من المشاة 3 فرق من الفرسان واحدة مصفحة لشؤون الهندسة فرق للنقل وفرقة للمدفعية)[1] باستعراض ضخم أمام قائدها الأعلى الساهر على احترام ما تتضمنه كلمات الشعار المقدس: الله، الوطن، الملك.

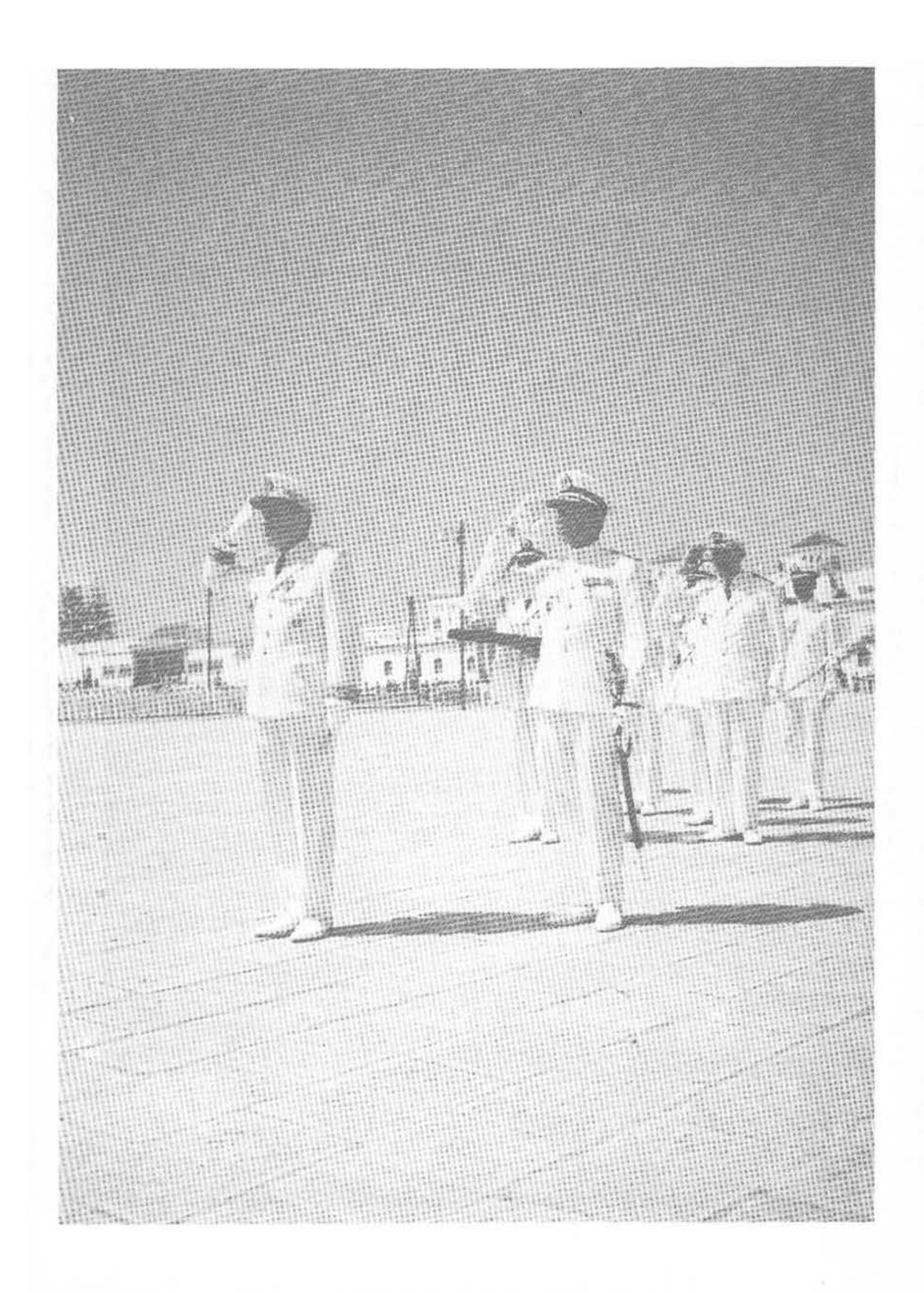
وقد استمعت هذه النواة الى كلمة ذهبية فاه بها رئيس أركان الحرب العامة "مولاي الحسن" حيث قال :



استقبال "مولاي الحسن" رئيس أركان الحرب للضباط المغاربة



يستقبل صاحب الجلالة المظفر سيدي محمد الخامس القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية رحمه الله الضباط المغاربة للجيشين الفرنسي والاسباني والذين أصبحوا تحت إمرته في الجيس المغربي الجديد



«في هذا اليوم المجيد شاهدكم الوطن لأول مرة تسيرون صفوفا متراصة في ظل المغرب المستقل الموحد وتحت رعاية قائدكم الأعلى وتوجيه رئيس أركان الحرب ومشاركة الضباط المقتدرين سجلتم أول نصر في تاريخ العهد الجديد لبلادكم وأنتم أول دليل على حسن استعدادكم لوضع أسس مغرب ثابت الأركان منظم القواعد في حاضره ومستقبله مؤمن بأداء رسالته العليا التي حملها طيلة قرون».

وقد تأسست القوات المسلحة الملكية بمقتضى ظهير شريف (رقم 138-56-1 B.O2282) بتاريخ 25 يونيه 1956 وهذا نصه : «يعلم من ظهيرنا الشريف هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أصدرنا أمرنا الشريف بما يلي : الفصل الاول : يحدث جيش ملكي مغربي يجعل مباشرة تحت أمرنا الشريف ويطلق عليه اسم القوات المسلحة الملكية - الفصل الثاني : تقوم القوات المسلحة الملكية بالدفاع عن مملكتنا ويمكنها أن تساهم في المحافظة على النظام العمومي في الأحوال التي سيحددها فيما بعد.

- الفصل الثالث : ستصدر فيما بعد ظهائر شريفة بشأن وضع القانون الخاص بضباط القوات المسلحة الملكية وبتحديد شروط انخراطهم فيها وبتنظيمه تلك القوات وتعيين قوانين تأديبها.»

وفي نفس التاريخ الذي صدر فيه هذا الظهير تسلم الجنرال كوني قيادة القوات الفرنسية في المغرب التي تم جلاؤها فيما بعد. وبقي ضباط الصف وضباط فرنسيون يعملون في تدريب الجيش الفتي الى ان تكونت الأطر الوطنية اللازمة في المدارس والمعاهد العسكرية الفرنسية والإسبانية والأمريكية، التي قادت مسيرة جيشنا نحو التقدم بقيادة عاهلنا المفدى [2]

وفي أوائل شهر يونيه 1956 توجه الجنرال محمد أمزيان (الذي أسند إليه كأول ضابط رتبة مارشال) - حاكم الجزر الخالدات سابقا - الى مدريد لدراسة ادماج الوحدات المغربية العاملة تحت العلم الاسباني (10.000) في حظيرة الجيش الملكي، ومنهج المعونة التي ستقدمها إسبانيا الى الجيش الملكي من حيث التجهيز والتنظيم.

جلاء الجيوش الأجنبية عن المغرب المستقل :

«إلى جانب المجهودات التي بذلتها الديلوماسية المغربية لاسترجاع كل المناطق الخاضعة للاستعمار لم تذخر جهدا لتحقيق جلاء القوات الأجنبية عن الأراضي المغربية. فقد طالبت بجلاء القوات الفرنسية التي كان يبلغ عدد أفرادها تسعين ألف جندي يرابطون فوق التراب المغربي. اذ يعتبر جلاء هذه القوات نتيجة طبيعية للتصريح المشترك بين المغرب وفرنسا المؤرخ بـ 2 مارس 1956 والذي تنص الفقرة الثانية من البروتوكول الملحق به على أن "يتصرف جلالة السلطان المغربي في جيش وطني، وفرنسا على استعداد لمساعدة هذا الجيش. ووضعية الجيش الفرنسي الحالية ستبقى علي ماهي عليه في المدة الانتقالية". وفي نهاية الأمر أفضت المفاوضات إلى جلاء آخر جندي فرنسي في 2 مارس 1961 الذي صادف تتويج جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

أما القوات الإسبانية فقد كان يقدر عدد أفرادها بنحو 70 ألف رجل رحلوا عن المنطقة الشمالية في نهاية غشت 1961 بعد مماطلات وعراقيل كثيرة حاولت السلطات الإسبانية من



بطل التحرير محمد الخامس رحمه الله رفقة الجنرال فرانكو بمدريد

ورائها الإبقاء على قواتها في الشمال المغربي.

وإلى جانب المساعي والمجهودات التي بذلتها الديبلوماسية المغربية لدى الحكوميتين الفرنسية والإسبانية لتحقيق جلاء جيوشهما عن الأراضي المغربية بذل المغرب قصارى جهده لدى الحكومة الأمريكية لتصفية قواعدها بالمغرب. وقد وقع الاتفاق على إنشاء هذه القواعد بطريقة سرية ثنائية بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية دون حضور المغرب أو استشارته وذلك في 22 دجنبر 1950، ومما تجدر الإشارة إليه أن جلالة محمد الخامس قدس الله روحه سبق له أن احتج في إبانه على هذا التصرف وعدم استشارة جلالته...

وتبعا للزيارة التي قام بها المغفور له محمد الخامس لواشنطن سنة 1957 وزيارة الرئيس إيزنهاور للدار البيضاء سنة 1959 تم الاتفاق على جلاء القواعد الأمريكية قبل نهاية سنة 1963. وكان جلالة الملك الحسن الثاني قد ذكر الرئيس كندي بهذا الالتزام عند مقابلة جلالته للرئيس الأمريكي خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية في شهر مارس 1963. وبالفعل تم الجلاء في الموعد المحدد[2 مكرر]

لما زار سمو ولي العهد أمير الأطلس مراكش لأول مرة بعد رجوعه من المنفى (ماي 1956) وكان قد تولى منصب رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية أقامت له جمعية الأديب المراكشية حفلا تكريميا أنشد فيه بين يدي سموه الشاعر أحمد خلاصة قصيدة قال فيها :

بفوزك آمال البلاد تبشر

وأنت بتحقيق المؤمل أجدر

توهم فيك الشعب عزة قائد

يحارب أعداء البلاد ويقهر

فخذ بزمام الجيش إنك خالد

يحالفك النصر المبين المؤزر

فأنت بغير الجيش وحدك فيلق

فكيف اذا انضم الخميس المظفر

صفات اذا ما جلت فيها بخاطري

وعبرت عنها قلت إنك حيدر

فردد معاني النصر في كل موقف

فجيشك تعبير بليغ مؤثر

وبث في روع الدهر رعبا فإنما

بأمثالك الأوطان تعلى وتنصر

فديناك من شبل يذود عن الحمى

وحوله جيش من أسود تزمجر

فذكر بتاريخ الجدود شبابنا

ففي غرة التاريخ مجد مسطر...

- انضمام جيش التحرير الى صفوف القوات المسلحة الملكية :

وخلال شهر يوليوز من سنة 1956 انضم جيش التحرير (5000 جندي) الذي كان مربطا في مراكز بني وراين ومزكيتن تزى وسلى وأكنون وبوريد الى الجيش الملكي. وقد قال لهم جلالة الملك رحمه الله يوم أن اجتمع بقيادتهم في قصره العامر : «انكم معشر رؤساء جيش التحرير وقادته من خيرة الأبناء العاملين، فان الجيش الملكي اذ يضمكم الى حضيرته فانما يضم ابطالا سيعتزون به كما يعتز بهم وسيؤدون في صفوفه مهمتهم في حماية الوطن والذود عن كيانه خير تأدية، عليكم أن تكونوا داخل نطاق الجيش لحمة واحدة فتعملوا فيه متحدين متضامنين».

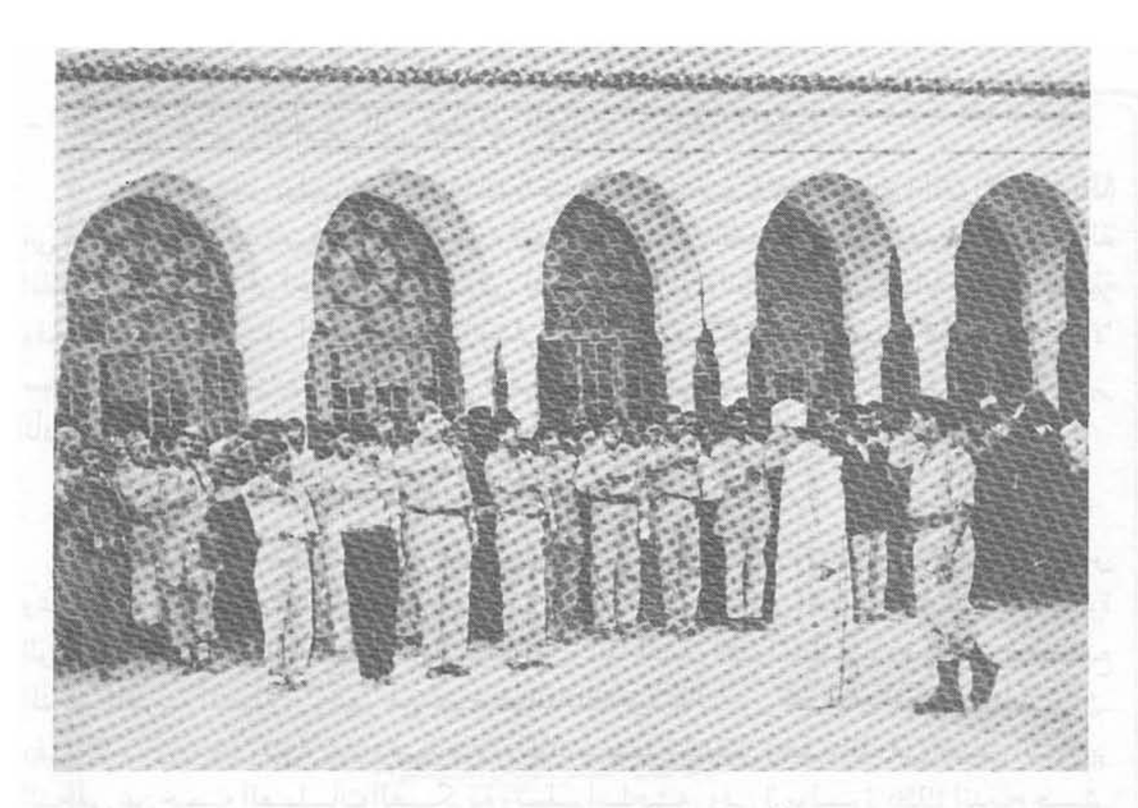
وتفصيل ذلك انه بعد عودة محمد الخامس رحمه الله من باريز في شهر مارس 1956م

قام قادة جيش التحرير وعلى رأسهم د. عبد الكريم الخطيب بزيارة الملك المقدس وعقدوا مع جلالته اجتماعا حضره سمو ولي العهد (الأمير مولاي الحسن) وأحمد رضا كديرة الوزير المكلف بشؤون الدفاع وحسن اليوسي وزير الداخلية وأكدوا استعدادهم لتحرير جميع المناطق المغربية المحتلة - وظهر من بين صفوف قادة جيش التحرير القبطان المحجوبي أحرضان. وفي 29 ماي 1956 ونزولا عند رغبة جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله قرر جيش التحرير التخلى عن جميع العمليات العسكرية وتسليم اسلحته. وفي 3 يوليوز 1956 اندمج جيش التحرير داخل صفوف القوات المسلحة الملكية، فكلف محمد الخامس المقدس سمو ولي عهده رئيس أركان حرب الجيش المغربي لتفقد جيش التحرير بمناطق الشمال الشرقي من المملكة. وعند عودته الى الرباط صاحبه جميع ضباط جيش التحرير ليضعوا أنفسهم رهن اشارة محمد الخامس ولينضموا إلى صفوف الجيش المغربي.

وقام محمد الخامس رحمه الله برحلة ملكية الى مناطق الأطلس المتوسط وجبال الريف. وفي مدينة الناضور قام جيش التحرير بجميع فرقه باستعراض امام جلالته وهو متأبط للأسلحة المختلفة والمتطورة التي اغتنمها في هجوماته ضد الجيش االفرنسي. ثم أعلن ضباط جيش التحرير انضاماهم للقوات المسلحة الملكية التي ستأخذ على عاتقها المحافظة على الأمن وحراسة الحدود، وبذلك تمت عملية إدماج عناصر جيش التحرير في صفوف الجيش المغربي.

ولقد تابع ضباط جيش التحرير دورة تدريبية برباط " المولي رشيد" بابن سليمان دامت 9 أشهر بإدارة القبطان عبد الرحمان حبيبي. وكان الضابطان سليمان عتابو والحسن اليوسي مسؤولين عن سير التدريب. وكانت الهيئة الممتحنة تتركب من 10 ضباط يشرف عليهم الكمندارأو فقير. وكان المتخرجون على ثلاث درجات : ملازم أول ، ملازم ثاني، "أسْبيران» وبعد الاعلان عن النتائج وجه فيهم صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير "مولاي الحسن" كلمة بالمناسبة قال فيها بعد أن هنأهم باسم صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس : (7 ماى 1967) :

«لقد استمعتم ولاشك الى الخطاب الذي القيته أمام صاحب الجلالة بمناسبة الذكرى الأولى لتأسيس الجيش ولاحظتم فيه خطة الجيش، انها ليست خطة حربية فقط بل للجيش خطط عديدة في الميادين الاجتماعية والثقافية وغيرها».



المغفور له محمد الخامس المجاهد الأول يستعرض أعضاء جيش التحرير رفقة ولي عهده جلالة الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي بالرباط



الأمير مولاي الحسن (صاحب الجلالة الحسن الثاني) يتقدم ضباط جيش التحرير عند مغادرتهم للقصر الملكي

وزاد رئيس أركان الحرب يقول مرتجلا «اذا كانت السياسة تقتضى في البلاد التي تعيش في القرن العشرين تعدد النظريات الحربية، فإن الجيش يجب عليه ان يبقى بمعزل عن كل ذلك ومهمة الجيش الدفاع عن القوي والضعيف والجاهل والعالم وعن المغاربة بصفة عامة. وان المغاربة ليعتمدون عليكم. ان مبادئكم هي خدمة البلاد في السلم والحرب والتعلق بالدين العتيق والانعزال عن كل عنصرية حربية وسياسية. ولم أذكر لكم التعلق بالملك لانكم تفهمون بالبديهي أن التعلق بالملك شيء ضمني، فالملك هو ضروري للبلاد يشخص سيادتها، وقد كافح جلالة الملك مع أمته وترأس حربها التحريرية». وبعد أن تحدث سموه باسهاب عن علاقات العرش والشعب زاد يقول :

«لقد حاربتهم في الجبال من قبل واستطعتم ان تنجحوا في كفاحكم بفضل مساعدة الشعب. ولما كان كفاحكم مرتكزا على الشعب أمكن لكم التغلب على القوات الهائلة التي كانت تواجهكم.»

ولم ينس ولي العهد الشهداء الذين ضحوا بانفسهم قربانا للتحرر الوطني فقال في الاخير :

«في هذا الوقت الذي تتخرجون فيه من هذه المدرسة لا يجب علينا ان ننسى الشهداء الذيي كانوا يعملون في جيش التحرير أو المقاومة والذين ماتوا في الوغى وأن لا ننسى المبادئ السامية التي ماتو من أجلها»

- تكوين الأطر في المدارس والمراكز العسكرية :

وبما أن جيشا وطنيا كالجيش الملكي لا يمكنه أن يعتمد في قيادته وتسييره واطاراته إلاّ على أبناء أمته أرسل المغرب الى المدرسة العسكرية الشهيرة في فرنسا وإسبانيا مئات من شبابه المتعطش للحياة العسكرية. فمنهم من التحق بسان سير وكوتيكيدام coëtquidam (200) ومنهم من التحق بطليطلة (200) في اسبانيا كما توجه عدد آخر من الشبان المغاربة الى مدارس التخصص العسكري في الهندسة الحربية والمدفعية بفالون والصحة بليون وغيرهم . وتوجهت فصيلة الى مدرسة «بو» بفرنسا للتخصص في النزول بالمظلات. كما بعثت جماعة أخرى من الشبان المغاربة الى مدرسة الطيران باسبانيا والى صالون بفرنسا وإلى المدرسة الميكانيكية بروشوفور كلهم رجعوا الى بلادهم والتحقوا بصفوف الجيش لتأطيره. هذا من جهة ومن جهة أخرى تكونت بالمغرب طائفة أخرى مهمة من السائقين والمسعفين والميكانيكيين والمتخصصين في المصفحات والتجهيز الراديوفوني والممرضين وجنود المواصلات (بمدرسة المواصلات بفاس) والمتزحلقين على الجليد وضباط الصف المحاسبين وظهرت على جوانب الطرق المغربية قوة جديدة مكملة للقوات المسلحة الملكية الا وهي فرق الدرك الملكي التي تكونت بمدرسة فاس للجندرمة، وقد ارتفعت المدرسة العسكرية بمكناس الى الأكاديمية العسكرية الملكية لتحرج الضباط من رتبة ملازم أول [3].

- وخصصت مدرسة هرمومو (المدرسة العسكرية الملكية)[4] لتخرج ضباط الصف ولها

فرع بصفرو. وأحدثت مدرسة ثانوية بالقنيطرة برسم القوات المسلحة الملكية لأبناء وإخوان وأبناء اخوة العسكريين الضباط وضباط الصف والجنود النفر. ولما يحصل هؤلاء التلاميذ على شهادة الباكالوريا يخيرون في متابعة دراستهم العسكرية أم المدنية. وأسست مدرسة مماثلة لها بايفران لبنات واخوات الضباط والجنود اللاتي -وبعد أن يتممن دراستهن الثانوية- يتخصصن في الشؤون الاجتماعية أو التمريض أو في أي اختصاص عام كان مدنيا أم عسكريا. كما فتحت «مدرسة أركان الحرب» بالقنيطرة أمام الضباط لاعدادهم للشهادة التي تجيز لهم الاضطلاع بوظائف القيادة العليا وأحدث بها قسم خاص بالطيران ليتلقى الضباط السامون بالقوات الجوية الملكية الدروس الثقنية العليا. وفتحت مراكز للتدريب أمام كافة الجيوش وجميع المصالح حتي يتكون أفرادها تكوينا اختصاصيا جيدا وتتمكن الأطر من تطبيق المعلومات النظرية التي اكتسبتها في المدارس العسكرية بداخل البلاد وخارجها. كما أنشأت المدرسة الملكية للصحة لتكوين ممرضين وممرضات الصحة العسكرية بالرباط وتتعلم الفتيات الطالبات بالاضافة الى دور الاسعاف الوطني سياقة السيارات ويواصل كذلك فيها تكوين الأطباء العسكريين. وأسست مدرسة بمكناس لتكوين أعوان الدرك الملكي واعدادهم. وأسس مركز التدريب لاصلاح الأجهزة والمواد سعيا في تمكين المختصين من صيانة عتاد الجيش واصلاحه. وأسست الاكاديمية البحرية الملكية ضمانا لاعداد الضباط البحرين والمهندسين اعدادا كاملا، والمدرسة الملكية للادراة ومركز التدريب على استعمال العتاد الحربي، لما يطرأ عليه من التغيير ولما تتعرض أساليب استخدامه الى التبديل والتحويل. وتعمل الان المدرسة البحرية بالبيضاء على تكوين ربابنة السفن العسكرية. كما تهتم المدرسة الملكية للطيران بمراكش ربابنة الطائرات. كما أحدثت المدرسة الملكية لتربية المواشي والخيالة والمدرسة الملكية للمدفعية والمدرسة الملكية للمواصلات والمدرسة الملكية للعتاد والهندسة العسكرية والمدرسة الملكية "للقطار"(السياقة والنقل) والمدرسة للسلاح المصفح.

وقد فتح المركز العسكري الرياضي بآكدال بالرباط لتدريب بعض الفرق الرياضية العسكرية على جميع أنواع الرياضة. وأسس مركز لتوليد الخيول وتربيتها لتعزيز جيش الخيالة بفرسان أقوياء. وخصص للجيش كذلك مكتب الوعظ والارشاد الذي كان يسيره الاستاذ الشاعر "الكولونيل" عبد الرحمن الدكالي رحمه الله. وكان يصدر هذا المكتب بعض النشرات التربوية توزع على الجنود في ثكناتهم يستعينون بها على محو عار الأمية عنهم ويتفقهون بواسطتها في أمور دينهم.

وهكذا أصبح لقواتنا المسلحة الملكية المدارس والمراكز التالية :

- الثانوية العسكرية الملكية الاولى للبنين
- الثانوية العسكرية الملكية الثانية للبنات
- الاكاديمية الملكية العسكرية (مكناس).
- مدرسة اركان الحرب (القنيطرة).
- المدرسة الملكية للطيران.

- الثانوية الملكية للتكوين الثقني للطيران
- المدرسة الملكية للصحة العسكرية أطباء ضباط
- المدرسة الملكية للمشاة
- المدرسة الملكية للبحرية
- مدرسة الدرك الملكي
- مدرسة الممرضين
- مدرسة تكوين اللغات
- مدرسة تكوين ضابطات المصالح الاجتماعية
- مركز المدرعات
- مركز تكوين المدفعية
- مركز تكوين الهندسة العسكري
- مركز تكوين الميكانيك العامة
- مركز تكوين الامناء
- مركز التكوين الفني لمصلحة التجهيز
- مركز تكوين القوافل العسكرية
- مركز التكوين الرياضي
- مركز للتدريب على الخيول والتوليد.

التكوين في المراكز والمدارس العسكرية :

«في إطار الرفع من مستوى الجيش المغربي، سواء من الناحية الفنية أو التقنية وتمشيا مع سياسة تكوين الأطر العليا والمتوسطة للقوات المسلحة الملكية، أنشأت عدة مراكز لتكوين جميع الأطر من ضباط وضباط الصف والجنود حسب حاجيات وحدات القوات المسلحة الملكية.

وتبعا لبرنامج التكوين في المراكز والمدارس، فان التعليم ينقسم غالبا الى قسمين.

* التعليم العام، وذلك قصد الرفع من مستوى المتدربين سواء من حيث اللغات الحية أو الرياضيات أو الفيزياء، والكهرباء، الى غير ذلك من الماد العلمية التي تعتمد عليها تكنولوجية الاسحلة الحديثة.

*** أما التعليم العسكري فينقسم بدوره الى :**

- التكوين الفني لجميع الأسلحة ويطبق خاصة على ضباط الصف.

- التكوين الخاص في جميع أنواع أسلحة الميدان، الثقيلة منها والخفيفة حسب اختصاصات المركز والمنخرط.

ونظرا للتطور الكبير الذي عرفته الاسلحة في الميدان من مدفعية ودبابات، من أسلحة فردية وأجهزة الرادارات فان المراكز أصبحت تتوفر على إمكانيات وأجهزة حديثة تمكن من مسايرة ركب التطور المستمر للأسحلة ويتجلى ذلك في منشآت حديثة وقاعات مجهزة بالوسائل

السمعية البصرية والتكنولوجية الحديثة.

فهناك قاعات داخلية مغطاة للتدريب على الرمي والرصد والمواصلات وقاعات أخرى مجهزة بالحاسبات الالكترونية الخاصة بمدفعية، الميدان، وقاعات للرصد الجوى، وقاعات للتدريب على الرمي المضاد للطائرات.

كما تتوفر هذه المراكز على عدة ميادين للرمي بالذخيرة الحية.

أما بالنسبة للدراسة في المراكز والمدارس فهي نظرية وتطبيقية في نفس الوقت، حيث تتوفر على قاعات للدرس على المعدات اللازمة لإقامة الدروس التطبيقية في نفس فترة الدرس.

وغير خاف ما لهذه الطريقة التعليمية من تبسيط المواد على غوار الوسائل السمعية، البصرية.

أما نشاط المراكز فيعتمد على عدة تداريب يستفيد منها كل من الضباط وضباط الصف وتلاميذ ضباط الصف بالإضافة الى التداريب والتخصصات التي تستفيد منها أطر وحدات القوات البرية.

فبالنسبة للضباط فانهم يأخذون اثر تخرجهم من الأكاديمية العسكرية الملكية ويمارسون تدريبا لمدة سنة دراسية يصبحون على اثرها قادرين على ممارسة مهمة داخل سرية من وحدات الجيش.

أما ضباط الصف المتخرجون سواء من أفواج المدفعية أو المدرعات أو المشاة، أو من مختلف مراكز التعليم العسكري فإن كل مركز يعمل على تدريبهم للتخصص في شعبة من الشعب المتواجدة داخل المركز.

كما تستقبل المراكز شباب متطوعون من الحياة المدنية من مستوى الخامسة الى السابعة ثانوي، قصد اعدادهم في ظروف سنتين يصبحون بموجبها ضباطا للصف متخصصين.

«ان العصر الذي تعيشه قواتنا المسلحة الملكية، عصر تقنيات وعصر الخبرة التكنولوجية، ولكي تكون قواتنا في مستوي المسؤولية التي تتحملها، فقد ركز رئيس أركان حربها وقائدها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في بناء هذه القوات على محورين :

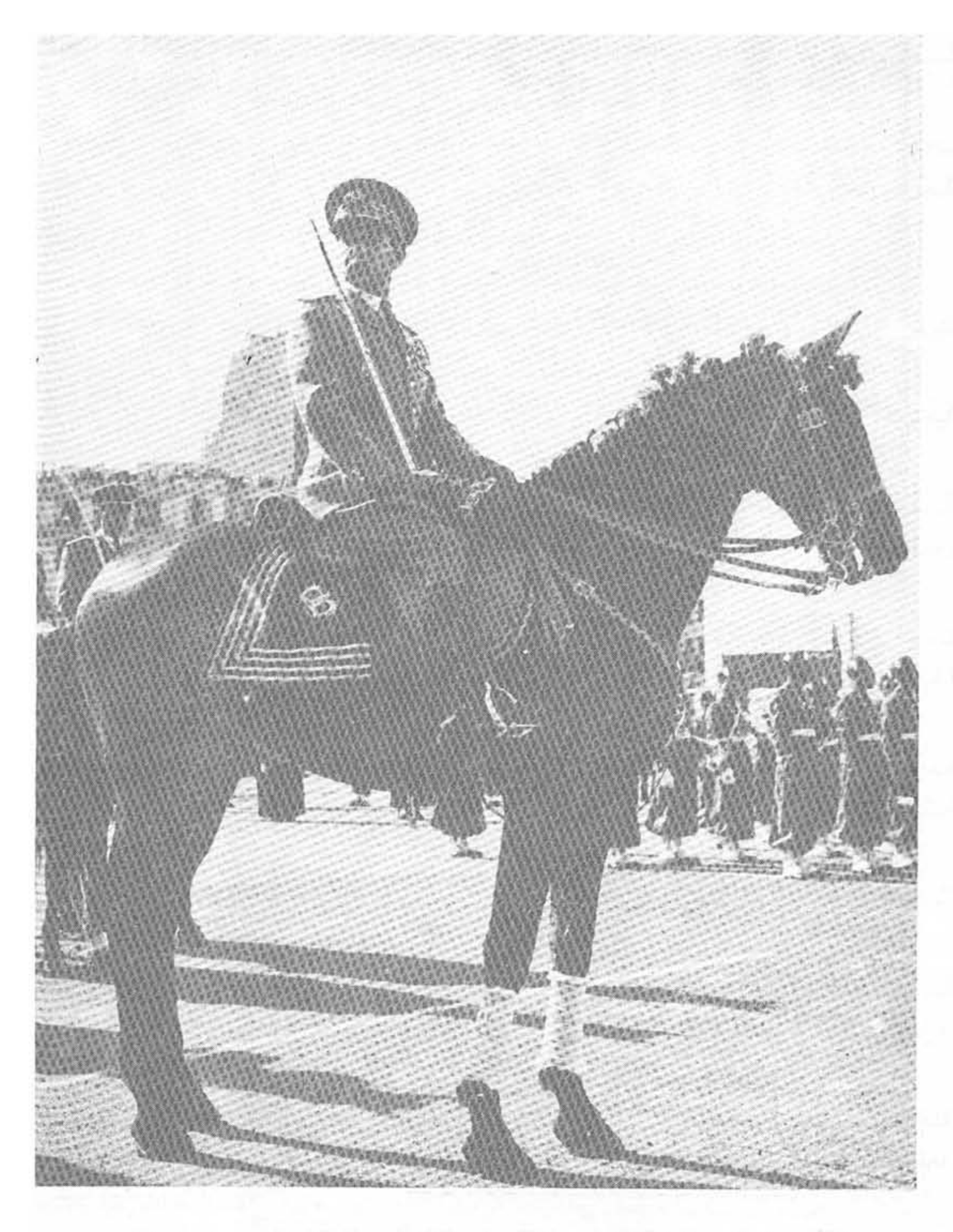
1) - بناء قواتنا المسلحة بناءا عصريا يستوعي الكفاءة والخبرة وتكنولوجية الأسلحة المعاصرة والمستوى الفكرى واللياقة الكاملة لتحمل مسؤولية السلاح وادارته ادارة تتجاوز حدود تعقيدات التقنية وذلك للتحكم في فعاليته القتالية.

2)- بناء قواتنا بناءا حضاريا يربط الامجاد التاريخية لهذه الامة بحاضرها بحيث تكون هذه القوات عامل استقرار للامن وحفظا لكيان البلاد وسيادتها.

كل اللذين كتبوا عن المغرب محللين مظاهر عظمته ومميزات عبقريته وصموده، واتزانه حيث كانوا دائما يرتكزون على أن الجيش المغربي ظل في مقدمة العوامل المؤثرة والأساسية التي لعبت الدور البارز في تطور الوجود المغربي، ونمو عبقريته التي كانت ومازالت مرآة هادفة لكل الحركات والتطورات التي عاشتها عبر تاريخه السحيق في القدم.»



الملك الظافر محمد الخامس قدس الله روحه يحيي علم القوات المسلحة الملكية



"الأمير مولاي الحسن" جلالة الملك الحسن الثاني رئيس أركان الحرب العامة يمتطي صهوة جواده المطهم



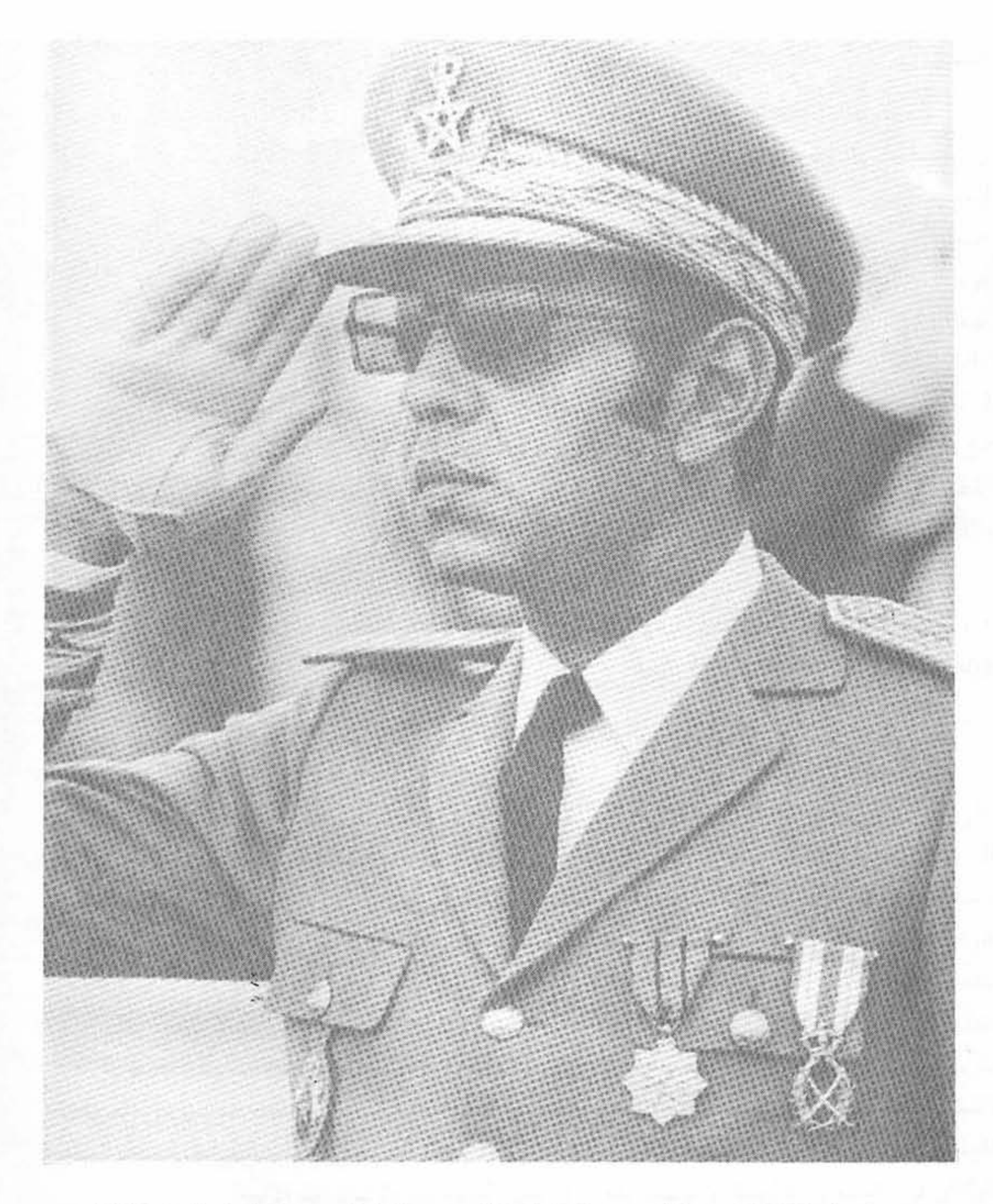
القائد الأعلى قدس الله روحه ورئيس أركان الحرب العامة يستعرضان النواة الأولى للقوات المسلحة الملكية بشارع النصر بالرباط (14 ماي 1957)



السلف الصالح والخلف الصالح القائدان المظفران

«لقد برهن على مقدرة كبرى وكفاية واسعة في رئاسة أركان حرب القوات المسلحة الملكية. وان تقدم الجيش الملكي يرجع الفضل فيه الى رئيس أركانه الأمير مولاي الحسن الذي يقوده عن جدارة واستحقاق».

«محمد الخامس»



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية
بيدك الزمام والشعب جند * فقد الجند في سبيل مناك



صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد والأمير مولاي رشيد ببذلتهما العسكرية

وحيث أن الضباط الذين تابعوا دراستهم في مختلف البلدان الأجنبية في حاجة إلى التعارف مع بعضهم وتبادل الأفكار – وتكون النتيجة خلق مبدأ وطن موحدهم في حاجة إليه – أسست دوريات تكميلية يتابعها الضباط طيلة شهور عديدة.

وقد تخرج عدد كبير من الضباط المغاربة من المدارس العليا العسكرية الفرنسية والإسبانية والأمريكية على مر السنوات يعملون بمختلف القيادات العليا لوحدات القوات المسلحة الملكية. من هؤلاء ضابطان : المقدم عبد القادر المربوع والرائد محمد رفيع الذين شاركا ضمن الفوج 103 للمدرسة العسكرية العليا الفرنسية (التي تخرج منها الجنرال دوكول والجنرال فونس), في تنظيم ندوة حول موضوع « أي أمن في أوروبا في مطلع ق. 21 » وقد تطلب الاعداد لهذا الملتقى الذي تميز بأهمية المواضيع التي تناولها تسعة عشر شهرا من الاعداد. (1990-1991). وتجدر الإشارة الى أن المدرسة العسكرية العليا متخصصة في تكوين الضباط السامين لتقلد مهام المسؤولية في القيادة العامة والأجهزة القيادية العليا. ويتم قبول المتمرنين بها إما عن طريق المباراة أو الحصول على شهادة من التعليم العالي. ويدرس المتمرنون مواد متنوعة من الخطط العسكرية وتعميق أساليب القيادة والاتصال والاستراتجية الدولية وسياسة الدفاع واللغات والإعلاميات.

هذا وقد أصدرت القوات الجوية الملكية مجلة بعنوان "l'espace marocain"(العدد الاول – مارس – ماي 1991) للتعريف بنشاطاتها وبمظاهر التقدم في ميدان الطيران العسكري في دول العالم.

كيف أصبح الجيش الملكي في مصاف الجيوش الراقية ؟

بعد سنوات مرت على تأسيس الجيش المغربي تحت قيادة مغربية صرفة صار الجيش على أهبة العمل من جبال الريف الى رمال الصحراء بعد التحسينات التي أدخلت على نظامه الداخلي : فتم إنشاء عدة سريات منها : سرية مدافع الهون الثقيلة وسرية «الهجاتة» الثانية وسرية المعسكر الثانية كما أنشأت كتيبة للمدفعية الخفيفة من عيار 75 ملم ذات تنظيم خاص موافق لظروف طبيعة المغرب مما سوف يسهل مهة تدخلها السريع في أى جهة من نواحي المغرب مهما كانت وسائل النقل وحالة المواصلات وتم أيضا انشاء كتيبة للمدفعية المضادة للجو وأعيد تنظيم تشكلة الخيالة على أسس وحدات أخف وأكثر مرونة وأنشأت وحدة متنقلة تتوفر على قوة نارية هائلة وقادرة على مواجهة مختلف المهام وتسمى هذه الوحدة بالفرقة الخفيفة للأمن. كما انشئت كتائب صحراوية تدافع عن الحدود وأصبح الجيش متوفرا على كتائب عديدة من العربات المصفحة الثقيلة ومن مجموعات متعددة مضادة للطائرات ومزودة بوسائل الحراسة بواسطة الرادار في المستوى المتوسط والبعيد كما توفر على كتيبة من الرشاشات الآلية.

ومع تطور وسائل النقل البرية وسرعة التحرك أصبحت هذه القوات البرية منذ نشأتها، تتدرج شيئا فشيئا، وتنتقل في وسائل ميكانيكية خفيفة ومدرعة. وأصبحت مدعمة بوحدات خاصة، وحدات مشاة، ومدفعية، ومدرعات، وهندسة، وتموين، وإصلاح وصيانة، ومواصلات ونقل...[5].

وتزود السرب الجوي (القوات الجوية الملكية) برف من طائرات الإسناد والتتبع والرصد للقطاعات الأرضية، مجهزة بمجموعة من الأسلحة المتناسقة الحديثة. كما توفر له ضباط طيارون يقودون المقاتلات النفاتة وطائرات النقل وطائرات عمودية وضباط ميكانيكيون ومهندسون ومسيرو الرادارات وأصبح سلاح الطيران يتوفر على قواعد ومدارس لتعليم الربابنة والميكانيكيين والملاحين وتدريبهم[6]. وبذلك أصبح سلاح الطيران المغربي يتوفر على تكنولوجيا حديثة ومؤهلات بشرية هائلة.

وأسست أول وحدة للأسطول المغربي سنة 1960 (النواة الأولى للقوات البحرية الملكية)[7] ، وزودت ببارجة حربية أطلق عليها اسم "اللاحق" وبجوالة سميت باسم «الملازم الريفي» الذي ذهب ضحية الواجب في حوادث الحدود وبثالثة تحمل اسم «المنى» وتتألف هيئة هذه البارجة من 210 رجال يوجد من بينهم خمسون جنديا للهجوم المباغث والغوص في أعماق البحار، وتبلغ سرعتها 15 عقدة وهي مزودة بمدفعين ثقيلين من عيار 105 ومدفعين من عيار 40 لمقاومة الغارات الجوية وستة مدافع أخرى من عيار 20، وقد وقع تجهيزها بالرادار وبالآت للملاحة عبر المسافات الطويلة مهما كانت أحوال الطقس والمناخ.

ومن البوارج الحربية التي تزودت بها القوات البحرية الملكية : الحراقة «الكولونيل الرحماني» التي تم صنعها في الأرواش الاسبانية، وهي تتوفر على ثلاثة محركات تمكنها من الابحار بسرعة قصوى تبلغ 25,5 عقدة وعلى 3 رادارات وثلاثة مدافع، وقاذفتين للقنابل وقاذفة للصواريخ (أرض جو من صنع ايطالي). كما تم تجهيز القوات البحرية الملكية (6000 رجل من بينهم 1000 من المشاة) بسفينة "سيدي محمد بن عبد الله" من صنع أمريكي لإنزال الدبابات، وبالباخرة الخافرة (Patrouilleur) "الرايس بركاش" (1996) وبسفن دورية من صنع اسباني (لازاكا) وبزوارق حراسة شواطئ وعشرات الزوارق السريعة، وببواخر خاصة متعددة المهام ووحدات سفن خاصة بالحراسة والخفر من صنع فرنسي، وبواخر للتدريب والدراسة من صنع إيطالي.

كما تتوفر القوات البحرية الملكية على وحدات مختصة لرجال الطلائع البحريين ومكتشفي الأغوار في القاعدة البحرية لحماية 4000 كلم من الشواطىء المغربية. وأسست لها مجموعة دراسية هدفها تكوين الأطر المختصة في الارسال السلكي واللاسلكي والارسال الضوئي والرماية والكهرباء والرادار والمحركات والرماية بالمدافع، ومجموعة مختصة تعتمد على نفسها في عمليات الإصلاح والتجهيز والتموين والاحصاء بواسطة المعلوميات الحديثة.

وبذلك صارت مختلف وحدات قواتنا المسلحة الملكية[8] منظمة ومدربة سواء كانت مستقرة في الناضور أو العيون ويقودها ضباط وضباط صف تخرجوا من المعاهد العسكرية الأوروبية والشرقية والمغربية أولئك الضباط الذين قال لهم جلالة الملك الراحل على لسان صاحب الجلالة الحسن الثاني : «ولا يخامرنا شك في أنكم ستحققون الآمال التي نعلقها عليكم وتبرون باليمين التي أديتموها وتقدروا الأمانة الكبيرة التي تنيطها بكم امانة السهر على كيان الوطن والدفاع عن حوزته وحماية حدوده كما لا يخامرنا شك في أنكم ستقومون بالمهام الأخرى الاجتماعية والعمرانية التي حددناها لجيشنا العتيد في كثير من المناسبات فعليكم معشر الضباط أن تقبلوا على أعمالكم بجد ونشاط وتكونوا مثال الاخلاص والتضحية والوفاء

وتتحلوا بأحسن ما يجب أن يتحلى به الجندى من حسن الشيم ومكارم الأخلاق ويكون رائدكم في حركتكم وسكونكم خدمة الشعب الذي أنتم منه وإليه والاخلاص لشعاركم المقدس وبذلك تحققون الآمال التي نعلقها عليكم وتعلقها عليكم البلاد. »

- وهكذا أخذت قواتنا المسلحة الملكية مكانتها بجانب الجيوش العصرية[9] وتكاثرت معداتها وتحسن تدريبها ونمت طاقتها الدفاعية وعملت بصمت متعلقة بشعارها الخالد : الله، الوطن، الملك [10]

- وزارة الدفاع الوطني :

أحدثت بمقتضى ظهير 8 نونبر 1956 وأصبح وزير الدفاع هو المكلف بالشؤون العسكرية بدل مدير الديوان العسكري للمقيم العام ورئيس الأركان إبان عهد الحماية. فصار ينظم مهام القوات المسلحة ويسهر على تسليحها وتدريبها وتموينها وتجهيزها ويتخذ القرارات اللازمة في حق جميع الضباط والجنود باتفاق مع رئيس أركان الحرب والمفتش العام للقوات المسلحة الملكية وبعدما ألغيت وزارة الدفاع الوطني أسندت مهامها الادارية لضابط سامي يدعى الكاتب العام لادارة الدفاع الوطني مكلف بتموين الجيش والتسيير الاداري والمالي للقوات المسلحة الملكية (شراء البذلات والعتاد...) وتسيير مصلحة العدل العسكرية، والمراقبة العسكرية.

- **المجلس الأعلى للدفاع الوطني** : أسس بمقتضى ظهير 9 نونبر 1959 ويتألف من رئيس الحكومة ووزير الأشغال العمومية ووزير الداخلية ووزير الاقتصاد والوطني ويرأسه جلالة الملك. وتنحصر مهمته في رسم السياسة العسكرية للدولة واتخاذ الاجراءات للدفاع عن كيانها وحدودها[11].

المحكمة العسكرية : تعتبر المحكمة العسكرية مؤسسة قضائية عسكرية ويتركب هيكلها القضائي من وكيل أو مندوب الحكومة يساعده في مهمته نواب له وهم عبارة عن ضباط تابعين للقوات المسلحة الملكية من رتب عسكرية مختلفة - (ووكيل الدولة، هذا يمثل النيابة العامة من جهة ووزاراة الدفاع الوطني من جهة أخرى) - ومن قاضى البحث العسكري ونائبه ومن كتاب الضبط. ويكون وكيل الملك برتبة كمندان في أول الأمر وكذلك قاضى البحث. ويعين كل سنة بمقتضى مرسوم ملكي رؤساء للمحكمة العسكرية وهم في غالب الأحيان مستشارون بمحاكم الاستئناف، ورئيس المحكمة يترأس الجلسات ويعتبر وكيل الملك هو الرئيس الإدارى للمحكمة.

وتختلف رتب أعضاء المحكمة العسكرية حسب نوع الجريمة (الجنح والمخالفات أو الجرائم والجنايات) وحسب رتبة المتهم. وتختص المحكمة العسكرية للنظر في الجنايات والجنح والمخالفات الضبطية. ويشمل اختصاصها القوات المسلحة الملكية بأسلحتها الثلاثة وكذلك رجال الدرك، عندما لا يتلبسون بالجريمة أثناء قيامهم بمهامهم القضائية والادارية، والقوات المساعدة التابعة لوزارة الداخلية.

وتكون المحكمة العسكرية مختصة عندما يكون أحد أفراد القوات المسلحة الملكية ضحية أو مشاركا في الجريمة أو مساعدا في ارتكابها وذلك في الجنايات فقط، أما في الجنح فيختلف الأمر. وتقوم المحكمة العسكرية بتنفيذ الأحكام التي تصدر عنها وكذلك الأحكام المدنية الصادرة عن المحاكم العادية ضد العسكريين في قضايا الأحوال الشخصية وغيرها.

مفخرة الجيوش صمودها

للشاعر عبد الواحد السليمي

مجد البلاد عتادها وجنودها ... بهما تصان رحابها وحدودها
حيوا قوات سلحت بإرادة ... ملكية، وشعارها توحيدها
الله ناصرها على أعدائها ... وممدها، ومعينها وعقيدها
والقائد الأعلى الذي تعنوله، ... وإلى العلاء يسوسها ويقودها
والبذل للوطن العزيز فضيلة ... نادى بها الحسن العظيم عميدها
فبالإنتساب له سمت أركانها ... وبالإصطحاب بقاؤها وخلودها
وبالإمتثال للأمر سادت وكا ... ن وما يزال يمدها ويزيدها
وعلى الدوام أب لها، وموجه ... توجيهه في الحالكات يفيدها

يا جيش مغربنا العتيد تحية ... في يوم عيدك طاب لي ترديدها
ضباطك الأحرار رمز مسيرة ... خضراء أذهلت العقول حشودها
نادى بها فخر البلاد ومجدها ... ومجيدها، وعزيزها وفريدها
حسن المكارم ثاني اثنين لنهـ ... ـضتنا، فبورك جدها وحفيدها
حسناء : ذلك فوق متن جواده ... يرعى الحصون يشيدها ويعيدها
بعث الوفود إلى أوروبا من شبيـ ... ـبتنا دراكا للبناء يريدها
وأقام أول مصنع لسلاحها ... إن السلاح به تصان حدودها
لسبطه الثاني فخار مسيرة ... خضراء يصعب حشدها وعديدها
دكت بعزم رجالها حصن العدى ... وتخطت الأسلاك زهوا صيدها
أعلامها خفاقة، بيمينها ... قرءانها : إيمانها إقليدها
تخطيط محمود المناقب، والعوا ... قب، فهو في كل الأمور حميدها
أشبال قواتنا المسلحة التي ... سادت فباتت ليس يغمز عودها
دانت لعزمكمو الجبال وذللت ... كل الصعاد ذلولها وكؤودها
النصر قوس للفخار يشاد في ... ساح الكفاح، وأنتمو ورادها
والفتح منقبة تجلت فيكمو ... يا نخبة شفق الصباح بنودها
حققتموا كل المنى لبلادنا ... بعزيمة يفري الحديد حديدها

حررتموا الصحراء يا أسد الوغى دمتم، ودامت للبلاد أسودها

* * *

أنتم صمدتم للبوليزاريو فلم يصمد : ومفخرة الجيوش صمودها

وجعلتموا استشهادكم هدفا لكم إن الجيوش شهيدها صنديدها

صحراؤنا طهرت فلا يمشي على غبرائها مطرودها وشريدها

من جاءها يسعى لعزتها فذا ك رضيعها، وودودها، ووليدها

ومن استجاب لما يريد حسودها فهو البليد، كنودها، ومريدها

* * *

يا من وهبتم للحمى أرواحكم لكمو زغاريد أمتي ونشيدها

الله يعلي شأنكم، ومليككم راض، ومحمدة الجيوش جهودها

عاش المليك القائد الأعلى لقـ ـوات البلاد مجيدها وعميدها

تحيا الأميرة في حماه كريمة وولي عهد بلادنا ورشيدها

الدرك الملكي

- نظرة تاريخية عن الدرك الملكي :

«لقد تطور تنظيم الدرك (يدرك المجرمين الفارين) أو الجندرمة (الجندرَمى) مع المراحل التي قطعها في عصر الحماية.

بعد الموافقة على عقد الخزيرات يوم 8 يونيو 1906 تكونت وحدات من البوليس في الموانىء المفتوحة بالمغرب. وقد جعلت هذه الوحدات تحت سلطة الملك. كانت هذه الوحدات تحتوي على أطر فرنسية واسبانية ويرافقها ضابط سامي من الجيش السويسري. وبعد إبرام معاهدة الحماية سنة 1912 انحلت هذه الوحدات في جميع الموانىء ما عدا التي توجد بمدينة طنجة حيث حولت هناك سنة 1946 الى قوة الدرك الدولى. أما في جنوب البلاد فقد استلزمت الظروف قوة عمومية بعد الاضطرابات التي وقعت بعد توقيع الخزيرات. لقد نزلت هذه القوة العمومية بمدينة الدارالبيضاء يوم 20 شتنبر 1907 وسميت حين ذاك «القوة العمومية الغربية». وفي 7 دجنبر 1907 تكونت بناحية مدينة وجدة قوة عمومية مماثلة وسميت «القوة العمومية الشرقية». وبعد معاهدة الحماية توحدت تلك القوتين يعني الشرقية والغربية يوم فاتح يناير 1928 الى لفيف الدرك بالمغرب.

«وفي سنة 1957 اتخذت عدة قرارات منها :

1- جعل الدرك الفرنسي رهن اشارة الحكومية المغربية وحدها ابتداء من يوم فاتح أبريل 1957.

2- تكوين الفوج الأول للدرك الملكي.

3- اصدار الظهير المتعلق بتكوين الدرك الملكي والظهير المتعلق بمهام الدرك الملكي (صدر بتاريخ 14 يناير 1958).

4- تسمية الفوج وتوزيعه على جميع مراكز الدرك بالمغرب قبل نهاية سنة 1957 وتعزيزه بعناصر من الجيش الملكي.

وفي 31 دجنبر 1957 انحل لفيف الدرك الفرنسي الذي عمل بالمغرب زهاء نصف قرن واحتل مكانه الدرك الملكي.

وشيئا فشيئا سار الدرك الملكي يشق طريقة وسط الأمة ويكون أطره العليا والمتوسطة في الخارج والداخل حتى أصبح الان يضم ما يزيد على 3000 رجل من ضباط وضباط الصف. ويتكون الدركيون بمدرسة التكوين للدرك بمراكش[12].

- **تنظيم الدرك الملكي :**

ان تنظيم الدرك الملكي يرتكز على قيادة عامة [13] تابعة للبلاط العسكري الملكي وتحتوي على مصالح ادارية وثقنية ومصالح خارجية. وتتكون هذه المصالح من قيادات اقليمية يرأس كل واحدة منها ضابط سامي وتضم القيادة عدة سريات يوجد على رأسها ضابط، وهذه السريات تضم بدورها عدة مراكز للدرك يوجد على رأسها ضابط صف.

ويحتوى الدرك الملكي كذلك على الدرك المتنقل للمحافظة على الأمن وكذلك على تشكيلات خاصة منها :

- الدرك الجوى لمراقبة التنقلات داخل المطارات العسكرية.
- درك النقل الجوى لمراقبة التنقلات داخل المطارات المدنية.
- الدرك البحري لتقوية حراسة الشواطئ المغربية.

مهام الدرك الملكي :

«الدرك الملكي جزء لايتجزأ من القوة المسلحة الملكية. وتكون عناصره مصطفة على يمين الجيوش كيفما كان سلاحها وتطبق عليه المقتضيات العامة للقوانين والضوابط العسكرية ما عدا التغييرات والاستثناءات التي يستلزمها اختصاص نظامه ومهامه».

«ان موضوع المهام الجوهرية لمصلحة الدرك هو العمل المباشر الذي تقوم به الشرطة القضائية والادارية والعسكرية. انها كما قيل «حراسة نصف عسكرية ونصف مدنية». وما يفتأ في كل سنة الدرك الملكي يعمل لخلق وحدات جديدة، وتكوين إضافي لضباطه وضباط الصف وتقنين أساليب جديدة في مجال البحث والمخابرات الجنائية وتطوير النشاط الاجتماعي أيضا لرجال الدرك وأسرهم.

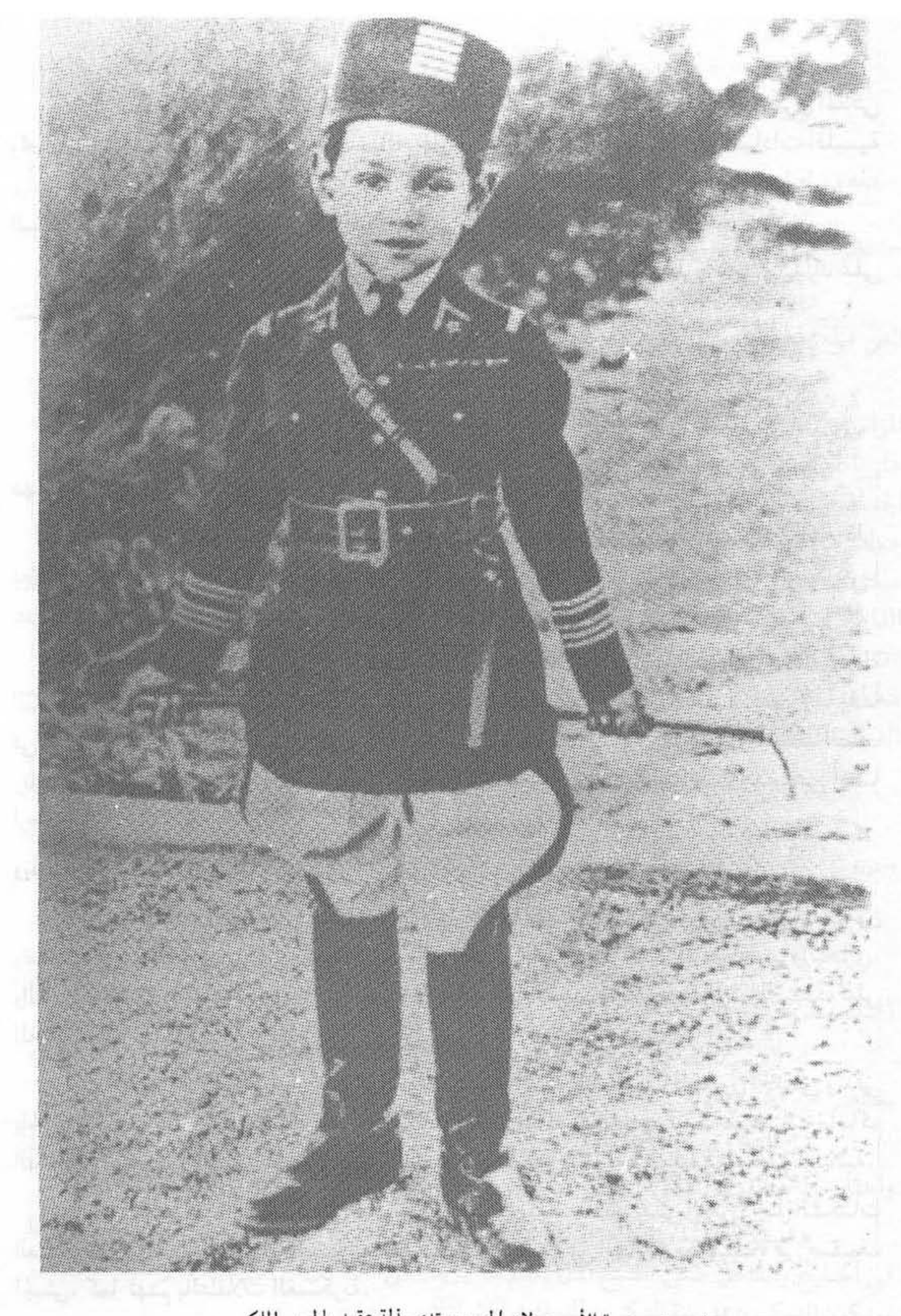
وبذلك ينقسم الدرك الملكي كشرطة الى :

1- الشرطة الادارية : تهتم بالخصوص بمحاربة كل ما يمس بالنظام حسب القانون وتنقسم الى فرعين : الشرطة العمومية وهي التي تحرس الطرق وتراقب الصيد البري والبحري، والشرطة البلدية أو القروية وهي التي تعزز المحافظة على النظام وتطلع السلطات المختصة على المخالفات المرتكبة.

2- الشرطة القضائية : «الشرطة القضائية تثبت المخالفات للقانون الجنائي وتدلي بالحجج وتبحث عن المسؤولين قبل متابعتهم وفي حالة متابعتهم فانها تنفذ تفويضات محاكم التحقيق وتستحضرهم عند طلبهم»، وتعمل تحت سلطة وكيل الدولة وضباط الشرطة القضائية.

3- الشرطة العسكرية : وهي التي تقوم بالمحافظة على الأمن داخل الثكنات العسكرية وتراقب الجنود أثناء قضاء مدة رخصهم وتبحث عن الهاربين والعصاة في صفوف الجيش، كما تهتم بالتنقلات العسكرية.

وخلاصة القول فان مهمة الدرك الملكي تنحصر في تنظيم السير في الطرقات وفي حرية



"سميت سيدي" الأمير مولاي الحسن يرتدي بذلة عقيد بالحرس الملكي



"سميت سيدي" الأمير سيدي محمد يرتدي بذلة عقيد بالجيش الملكي

المواصلات والمحافظة على سلامة المواطنين بالقرى ومكافحة المخدرات ومتابعة المجرمين الفارين من وجه العدالة.

وبذلك يخضع الدرك الملكي لسلطة الدفاع الوطني وللقيادة العليا للقوات المسلحة الملكية من الناحية الادارية كالقبول والتجنيد والتكوين والترقية والمراقبة وتحديد مراكز الوحدات العسكرية، ولوزارة العدل عند قيامه بمهامه القضائية كالتحقيق في المخالفات ورفعها الى وكلاء الملك حسب قانون المسطرة الجنائية، ولوزارة الداخلية عند إخبار السلطة المحلية بالمخالفات ضد الأمن العام، ولإدارات عمومية أخرى - كمصالح الجبايات وإدارات المياه والغابات ومصالح الأشغال العمومية ومصلحة الجمارك - عند تطبيق نصوص قوانينها الجاري بها العمل.

هذا هو الجيش المغربي!

كلمات ذهبية لجلالة الملك الحسن الثاني فاه بها نصره الله في مختلف المناسبات تشرح لنا حقيقة الجيش الملكي :

الجيش الملكي جيش ديموقراطي : «لقد ضرب الملك والشعب أروع مثال في الشجاعة والاستماتة في الساعات العسيرة التي اجتازها المغرب فكان النصر اكليلا لكفاحهما، فعلى الجيش اذن أن يحتفظ في قلبه بذكرى هذا الكفاح المجيد جاعلا عنده أغلى شيء عنه وينبغي لنا أن ندرك أن جندي الملك هو جندي الأمة لان الملك وشعبه وحدة منسجمة والعرش رمز الوحدة الوطنية التي متى انفصمت عراها انعدم الاستقلال واضمحلت الحرية التي يصبو اليها كل منا بجميع ما يتوفر عليه من قوة وجهد. وان التمازج المكين والتجاوب الروحى بين الشعب والعرش لواضح وظاهر للعيان في الجيش الملكي : لان قوام تكونه يضم جميع الاسرة الوطنية ويكاد يشمل سائر أجزاء المجتمع المغربي[14] اذ نجد في الجيش الملكي ابن الفلاح والصانع والبورجوازى وصاحب الدكان الى جانب ابن شخصية تمت بقرابة الى الملك نفسه. وهكذا يتجلى أن الجيش الملكي أسمى ما يتصور المرء في المبادئ الديمقراطية».

الجيش الملكي مدرسة للشعب : «إن للدولة مظاهر نشاط مختلفة، والجيش مظهر من هذه المظاهر، وإذا كانت مهمته الأولى حماية البلاد من كل عدوان والدفاع عن استقلالها وسيادتها وكرامتها، فانه أيضا مدرسة للتهذيب الروحى والتربية الوطنية والتكوين المهني : فان في الجيش الملكي يتعلم الجنود الطاعة والنظام والاستماتة، وبه تقوى معنويتهم بما يلتقون من دروس ويسمعون من محاضرات وبواسطته يمحو الأميون عنهم عار الأمية ويستكمل متوسطو الثقافة ثقافتهم، ويتكون منهم الاختصاصيون ويتقنون المهن التي تفيدهم في مستقبل حياتهم وتهيء لهم الشغل والصناعة والانتاج وتجعلهم أعزة مرتفعين لاتستذلهم البطالة ولا تسترقهم الفاقة والسؤال».

ونظرا لهذه الفوائد الجمة والمنافع الجلى يرغب جلالة الملك المعظم في أن يقضي جميع الشبان المغاربة فترة تدريب في الجيش يكملون بها ماديا ومعنويا، فقرر جلالته :

الخدمة العسكرية الاجبارية : «لقد استهدفنا - يقول جلالة الملك - من وراء هذا القرار تكوين المواطن تكوينا أساسيا يستطيع معه القيام بواجب الدفاع عن حوزة البلاد وتكوينا فنيا ومهنيا يرفع مستواه الاجتماعي ويؤهله للمساهمة في النمو الاقتصادى. كما استهدفنا علاوة على ذلك تقوية روح الامتثال ومزيا الاخلاص والايثار بين أفراد شعبنا المفروضة عليهم هذه الخدمة، ولنا وطيد الأمل في أن الخدمة العسكرية الاجبارية ستنمى في شبابنا المتوثب روح الرجولة وخصل الشهامة وتجعل منه شبابا مستقيما يتبارى في أداء الواجب ويتسارع الى حمل أثقل الأعباء».

رسالة الجيش الملكي : «الجيش الملكي هو عمود دفاع البلاد يحمي دمارها ويذوذ عن حياضها ويصون كرامتها ويضمن استقلالها ووحدتها ويجعل لها الكلمة والجانب المرهوب وهو في نفس الوقت جيش نشيط مفيد تستفيد منه البلاد أكبر الفوائد وأجلها ويكتسب العاملون في صفوفه خبرة ومرانا وثقافة لاتتيسر لهم في خارجه ويصبحون بها أعضاء عاملين في جسم الأمة لا كلا عليها ولا عالة، وليكون الجيش هكذا شعبيا ودائبا في مصلحة الأمة جمعاء يجب أن يبقى في معزل من كل التيارات ويمأمن من جميع الميول والنزعات».

> «إن قواتنا المسلحة الملكية ما كانت ولن تكون جيش بغي وعدوان، ولكنها ستظل حارسة للكيان صامدة في وجه كل اعتداء وطغيان موقوفة على خدمة الامن والسلام وهي الى ذلك في خدمة جميع المواطنين لانها جزء حي من الشعب يعمل لفائدة الشعب مسخرا جميع امكانياته، وكل مؤهلاته وكفاياته، للمساهمة بالحظ الاوفى فيما نتوق اليه جميعا من تحقيق النهضة الشاملة للبلاد ورقيها وتقدمها».
>
> «الحسن الثاني»



الجنرال الكتاني الضابط المغربي الأول الذي أحرز على رتبة جنرال بالجيش الفرنسي قبل التحاقه بصفوف القوات المسلحة الملكية



المرشال مزيان الضابط المغربي الأول الذي أحرز على رتبة جنرال بالجيش الإسباني وعين حاكما بجزر الخالدات قبل التحاقه بصفوف القوات المسلحة الملكية.

الاستعراض

للشاعر أبي بكر بن الحسن اللمتوني

تعهد فاستوفى الذي قد تعهدا … وشيد ما استعصى على أن يشيدا
فمتى كان لإلهام وهو مقمط … افاعيله في أن يسمى محمدا
فما حل صبح أو تصرم موهن … ولم نؤت أمرا أو نسلم مقودا

***

ويوم اذا نال الخلود فانه … خليق بان يبقى وان يتخلدا
به عرض الجيش المسلح بأسه … لقد أطرب الجيش البلاد واسعدا
فدونك اصداء وحسبك فرحة … فرحنا فجاوزنا بفرحتنا المدى
اذا الجيش هز الناظرين وشاقهم … فقد كان كالاحلام أو كان أبعدا
ترى الجند يمشي والزغاريد حوله … كأن به من كل بطن مجندا
ويخطر فيه المرء خطرة واثق … يرى الطعن مجدا والمنية سؤددا
يجلجل وجه الارض من طول بأسه … ويرفع وجها للسماء موردا
اذا المرء لم يسعد بخدمة قومه … فما كان يوما في الحياة ليسعدا

***

وان انس لا انس الجنود وقد سعوا … صفوفا يحيون الامام المؤيدا
ويلقون ايماء التحية من يد … تود المعالي ان تقبلها يدا
ويستعرض الجيش الامام كتائبا … تعهدها بالنصح فيما تعهدا
يقول ويملي الأمر صنع مجرب … يروي ويستجلي من الحاضر الغدا
لقد عزز الجيش الامام بشبله … ومن زامل الاشبال يوما تأسدا
فحسبك ايمانا بجيشك انه … يسوق الى جنب المسود المسودا

***

بني الوطن الغالي ثباتا وحكمة … فان وراء الصلح مرمى ومرصدا
لقد كان في الماضي عظات وعبرة … لمن شاء ان يبقى على ما تقلدا
اذا وجد المحجوب في الناس عاذرا … فمن يعذر المختار فيما تعمدا ؟
وليس جديدا أن مارس أمرنا … ولكنه العهد القريب تجددا
تعود هذا الشعب تدبير أمره … ولا يعجز الانسان عما تعودا

هز في النصر النبودا وأنزل عنا القيودا

لشاعر مغربي (عبقر)

***

ولنا جيش عتيد جمع العدد العديدا

سره في ظل عليا ك دواما أن تقودا

أنت للجيش حماس خلف البغي طريدا

ولنا في الدول اليوم مقام لن يميدا

انما الجيش لقد صا ر لما نرجْو عمودا

والامير "الحسن" ارتد رئيسا لن يحيدا

***

كم بكينا فضحكنا فبكى الخصم الصديدا

نحن بالامس ابتلينا فرأى الخصم الوعيدا

وتقدمنا الى الموت جموعا وحشودا

نارنا في غضبة الاحرار لم تعرف جمودا

واذا طابت جلود الخصم بدلنا الجلودا

وتعاف الأرض من با ت ذليلا وبليدا

***

نحن أقسمنا يمينا نحن أسمعنا الوجودا

وطني والعرش والله شعار لن يبيدا

نشاط الجيش الملكي في الميدان المدني

«ان الجيش ليؤدي رسالة اجتماعية قيمة وذلك ما يزيد في تفاؤلنا بمستقبله وبما سيؤدى من خدمات جلى في سبيل الوطن ومن أجل سعادة الشعب الذي هو منه واليه».

(جلالة الملك المقدس محمد الخامس)

لم يبق عمل الجيش الملكي قاصرا على مهمته العسكرية وإعادة الأمن إلى البلاد - كلما تسببت الحوادث في اضطراب حبل السلامة العامة بالبلاد - بل شارك مشاركة فعالة في بناء الاستقلال وقام بأعمال بناءة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي، وما يزال طبقا لرغبة صاحب الجلالة الفقيد المعظم الذي أبى إلا أن يضع هذا الجيش العتيد في خدمة أمته الناهضة.

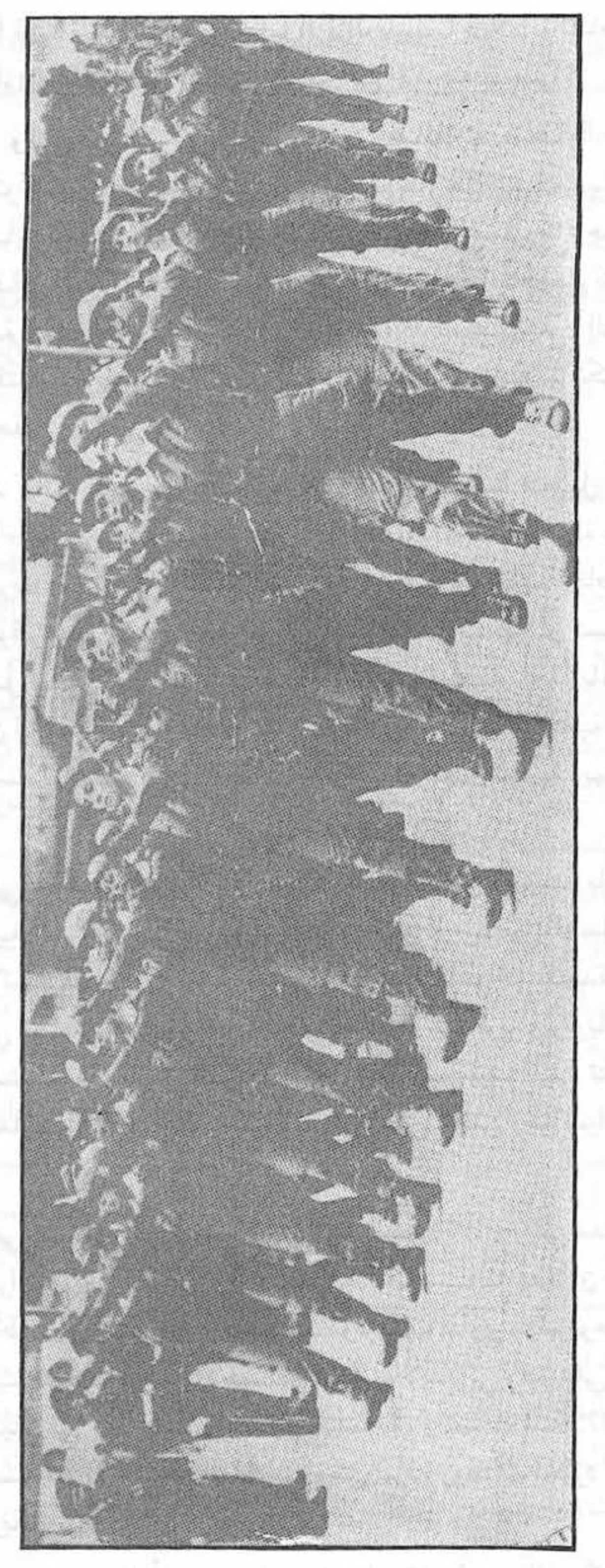
- **ففي الميدان الاقتصادي** : لقد جعل الجيش دوابه وأجهزته الميكانيكية رهن إشارة وزارة الفلاحة لتسخيرها في أعمال الزراعة التي تبذر الرعب والموت أحيانا في غير هذا البلاد، كما قام الجيش بغرس مآت الهكتارات الجرداء مساهمة منه في **عملية التشجير**، وتولى نقل الالات الثقيلة الى النواحي التي جرت فيها **عملية الحرث** مساهمة منه أيضا في هذه العملية. وقام الجيش بمشروع اقتصادي هام في أنحاء تافيلالت حيث شيد مداشر وتدارك ما كان منها متداعيا للسقوط، كما شيد السدود وأصلح السواقي وغير مجرى الأودية وحفر المطافىء لادخار سيول الأمطار لسقي النخيل الذي كان على وشك البوار من جراء قلة المياه. كما أسرع بإصلاح ما كان موجودا من وسائل الري وإنشاء ترع أخرى جديدة فظهرت ترع الرماني من نحو 320000 م من الأوحال. وفي الجرف أنشأ الجيش سدا قائما على نحو 3500 من الحجارة بالغا من الطول 3 كلم ونصف لحماية المياه من الرمال التي تقذفها الزوابع والعواصف، فأعاد الجيش الحياة والرفاهية والاستقرار الى أماكن كانت لحد الآن قاحلة، واستطاع أن يقضي على جانب محسوس من البطالة في هذه الناحية. وقام فوج الهندسة التابع للجيش الملكي باصلاح وتحسين مستودع الذخيرة بوادي زم. وجدير بالذكر أن هذا الفوج الفني يقوم كل سنة باصلاح الطرق الثانوية، ويشارك المدنيين في بناء السدود، وإقامة الجسور وحفر الترع في النواحي التي يرابط بها، وقد قام بعمل عظيم حيث أنشأ قاعدة جوية من أحدث طراز وهي قاعدة طانطان التي ستصبح متصلة بالشاطىء الأبيض فتكون بابا بحريا وهذا مما سيكون له أثر محمودا على التطور الاقتصادي في إقليم طرفاية. أما دور الجيش في التقدم الاقتصادي والاجتماعي للبلاد يتلخص في كون الجيش مدرسة يمكنها أن تمد صناعة البلاد ومرافقها العامة باختصاصيين في مهن مختلفة كالميكانيكية والكهرباء والتليفون والأدوات المختلفة وذلك بتزويد المعامل بالعملة الكفاة.

وتقوم البحرية الملكية بمراقبة الصيد البحري والملاحة وزجز التدليس في المياه الاقليمية الوطنية وتجعل رجالها رهن اشارة معهد الصيد لمباشرة الأبحاث في أعماق البحار.

- **وفي الميدان الاجتماعي** : يقوم الجيش الملكي بجولات لعرض أفلام ثقافية لتنوير أفكار الجنود المرابطين وتهذيب عقول من حولهم من سكان البادية كما يقوم بتوزيع اللبن - بسيارته ووقوده - على أبناء المدارس النائية عن المدن والقرى. وفي شهر رمضان المعظم يوزع مآت الوجبات الغذائية يوميا على الفقراء والمعوزين. وتنازل الجيش - مشاركة منه في النهضة العلمية - على ثكنات له بفاس ومراكش والرباط لتصبح مآوي للطلبة الداخليين. وكانت مساهمة الجيش في عملية "الدور الجماعية" لا تقل عن مشاركته في إنجاز «عملية المدرسة».

- **وفي ميدان الاسعاف** : يسعف الجيش المنكوبين من سكان الغرب أيام الفيضانات فينقذهم من الهلاك ويهب أيضا لتموين من حاصرهم تهاطل الثلوج بالجبال وانقاذ حياتهم وحياة أنعامهم ومواشيهم ويسعف منكوبي الحريق وينجدهم كما سبق له أن ساهم بحظ وافر في اسعاف لاجئي الجنوب المحرومين **ومنكوبي كارثة أكادير** الشهيدة ففي هذه الكارثة المفجعة أعطى الجيش المغربي أروع الامثلة في التضحية بالنفس والنفيس لانقاذ المفجوعين. فبينما كانت المنظمة الادارية المدنية مضطربة وخالية من كل تنظيم والسكان تائهون ومصدومون أخذ الجيش على عاتقه جميع المسؤوليات فركز جميع جهوده في إبعاد الأحياء وإنقاد عدد المنكوبين وإنشاء معسكرات لإيوائهم، كما سهر على استقبالهم وتوزيع المواد الغذائية عليهم ليحصلوا على بعض الراحة التي فقدوها. وقد قال قائد المذرعة البرطانية في خليج أكادير عن هذه البطولة المغربية : «ان صبر الجندي المغربي وامتثاله للأوامر يعتبر من الصفات المثالية التي يحق للشعب المغربي أن يفتخر بها. فقد شاهدت هؤلاء الرجال يعملون في أسوء الظروف تحت أشعة الشمس المحرقة والرياح تهب فتملأ الجو بالغبار وتخنق أنفاسهم وروائح التعفن تتصاعد من الجثث، ولكن جنود القوات المسلحة الملكية وضباطهم لم يكونوا ليتخلوا عن واجبهم الوطني في انقاذ الأرواح ورفع الأنقاض ومكافحة الأوبئة وقتل الفيران وغيرها من الحيوانات». وقال أيضا قائد القاعدة البحرية بالقنيطرة عن هذه البطولة النادرة : «عشت بالمغرب منذ ثلاث سنوات وبصفتي عسكريا كنت أراقب باهتمام نشاط القوات المسلحة الملكية فوجدت جلالة ملك المغرب يوجه جنوده وضباطه لمواجهة كل الملمات والكوارث سواء كانت طبيعية أو من صنع البشر وهذا الجيش لا يعرف الراحة إطلاقا، فاذا لم تكن هناك حالة للطوارىء يقوم الجنود بجهود في ميدان البناء والتعمير والعمل الاجتماعي وأما عملهم في أكادير فقد كان مثلا يحتذى به في البطولة والمثابرة مع التزام الصمت وعدم التحدث عن الدور الهام الذي قاموا به. وأمام هذا المجهود العظيم الذي قام به الجيش الملكي في ميدان الاسعاف بمدينة أكادير قال جلالة الملك الراحل لضباط الجيش على لسان ولي عهده : «إننا لنقدر الأعمال العظيمة والمجهودات الكبيرة التي بذلتموها لإغاثة منكوبي أكادير حيث برز جيشنا وفق ارشاداتنا في أحسن نظام الطاعة والمقدرة والرفقة والرحمة بأفراد هذه الأمة وهذا ما يبهجنا ويطمئننا على أن جيشنا حقق وسيحقق كل ما نعقده عليه من آمال لخير شعبنا ووطننا وأنه في أيد أمينة وسيسهر عليه ضباط أفياء يبرون بما أقسموا عليه من اخلاص لله والوطن والملك».

وقد تدخلت قواتنا المسلحة الملكية = متجاوزة اطارها الوطني = لتنشر أعمالها فيما



الفتاة المغربية تلج الميدان العسكري بكل صمود وإباء

وراء حدودنا فتدخلت لفائدة ضحايا الزلزال بليبيا ذلك أنه أقامت جسرا جويا في الحال بين الرباط وبنغازي وتمكنت من ايصال نجدتها الى الامكنة المتضررة.

- وفي ميدان الاهتمام بمصير عائلات ضحايا الحرب والمعطوبين منهم : فقد تأسست تحت رعاية جلالة الملك وبتشجيع من جلالته جمعية تهتم بمصير تلك الطبقة من المواطنين بتاريخ 17 نونبر 1963 وتحمل اسم **«الاعمال الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية»** ، ففي ميدان الطفولة استطاعت أن تضمن التخييم لنحو 4000 طفل وزعوا على المراكز الاتية : إيفران - باب ابودير - الجديدة - السعيدية - الرفيين - مهدية - أكادير - القصيبة - كتامة. ويقوم بهذه المهمة ضابطات صف وضابطات تكون في معاهد خاصة ببلجيكا وتونس وطنجة.

لقد كانت كل وحدة عسكرية قبل ظهور الجمعية تتحمل أعباء ثقيلة في ميدان ضمان التعليم لأبناء الجنود خصوصا اذا كان الأمر يتعلق بثكنات بعيدة عن المدارس العمومية فجاءت الجمعية ووفرت هذا العبء الثقيل حيث تكفلت هي بوسائلها الخاصة بانجاز هاته المهمة. وهكذا أصبحت تتوفر على أقسام تحضيرية وابتدائية من شأنها أن تسد فراغا هائلا في هذا النطاق وقبل أن يصل الطفل الى المدارس العادية فكرت الجمعية أخذا بالمبادىء الحديثة في التربية أن تنشىء جنان الأطفال على أحدث الطرق مجهزة بالوسائل السمعية والبصرية. وبكل ما من شأنه أن ينمي حاسة الملاحظة عند الأطفال وينمي معارفهم الأولية ويهيئهم بالتالي الى ولوج عالم المدرسة.

وفي ميدان التربية الاجتماعية إدراكا من الجمعية بالدور الفعال الذي تلعبه المرأة على الصعيد التربوي والاجتماعي اهتمت بشكل خاص بالعمل على أن تؤدى المرأة المغربية رسالتها الانسانية على أكمل وجه. وهكذا هيأت أفواجا عديدة من **مساعدات اجتماعيات** وسهرت علي تكوينهن في الداخل والخارج تكوينا عسكريا وتربويا صالحين. وقد أدى هذا العمل الى نتائج مثمرة اذ بدأت بعض الافواج تؤدي رسالتها التي تتمثل في إنارة السبيل أمام الامهات وتعليمهن كيفية النهوض ببيوتهن على أحسن وجه سواء فيما يرجع لتربة الأبناء، أو علاجهم.

وفي ميدان الدراسة ، أحدثت سنة 1974 - 9 من مدارس الأمومة والمأوي النسوية التابعة للقوات الملحة الملكية واستقبلت هذه المؤسسات بعد أن جهزت أطرها بأكفأ المسيرين مآت من الأطفال والفتيات والأمهات، ونزيلات المآوي، وتم توحيد المدارس والمآوي وبالتالي الرفع من قيمتها حتى يلج الأحداث التعليم الابتدائي وهم علي أهبة حسنة، وأدرجت أعمال النسيج الحديثة في جملة انشطة المثاوى النسوية، وأنشأت سنة 1975 ست مدارس أخرى للأمومة و 17 مؤسسة لتربية الأطفال المسيرة من طرف زوجات الجنود و 6 مؤسسة لحضانة الأطفال ونوادي نسوية.

ولم يبق دور المرأة منحصرا في الميدان الاجتماعي العسكري بل بدأت الفتيات ينخرطن منذ 1975 في مدارس التكوين الخاصة بالمواصلات السلكية واللاسلكية الأرضية والجوية

والخاصة ايضا في التكوين الإداري وغيرها. وأصبحت المصالح الصحية للقوات المسلحة الملكية والقوات الجوية والدرك الملكي والمواصلات مشتملة على ضابطات يعملن في صفوفها بعد تخرجهن من المدارس العسكرية العليا.

وأحدث **الصندوق الوطني العسكري للضمان الاجتماعي** بعدما برزت للوجود تعاضدية القوات المسلحة الملكية. وتأسست **مراكز لتوفير تكوين مهمني** لأبناء الجنود وتوفير الشغل لقدماء العسكريين والمحاربين. وأحدث أخيرا **مكتب للسكن العسكري** - من أجل تحسين مستوى معيشة المواطنين العسكريين - يستهدف شراء دور للسكنى وبقع أرضية، وبناء دور من أجل أن تستأجر أو تباع للعسكرين... وقد أشرف إلى غاية سنة 1977 على بناء 1400 بيت للسكنى العسكرية.

- دور الجيش في الانعاش الوطني والتنمية القومية

« وللوصول الى الأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي يسعى إلى تحقيقها برنامج الانعاش الوطنى سارعت القوات المسلحة الملكية في هذا الميدان بكل طاقاتها وإطاراتها الإدارية ووسائلها من أجل تنمية الوطن. وأهم مظاهر هذه المساهمة هي : العمل على تكوين عدد كبير من المتدربين ينتمون الى وزارة التربية والتعليم المشاركة في تكوين رجال السلطة بمدرسة الأطر التابعة لوزارة الداخلية بالقنيطرة وتقديم أعمال جليلة لصالح بعض الوزارات، ووضع الخبراء رهن اشارة القطاع المدني الخ »... ويساهم أيضا الدرك الملكي - كجزء من القوات المسلحة - في جميع عمليات الإسعاف وتحقيق المنجزات الاجتماعية كبناء المدارس والدور الاجتماعية - ضمن إطار الانعاش الوطني - وفي تكوين فرق النجدة الموضوعة تحت تصرف الهلال الأحمر المغربي، وتزويد السواح بالإرشادات الضرورية والسهر على أمنهم وسلامتهم.

ولما أعلن الملك القائد في أرفود مضاء عزمه علي ترقية المغرب اقتصاديا واجتماعيا، قال جلالته : ان المغرب كله سيصبح ورش عمل!

وفي هذا المضمون، وحتي تكون المندوبية السامية للانعاش الوطني على أتم استعداد للنهوض بالرسالة التي تحملها وحتي تتمكن من إنجاز برامج الخدمات السنوية الضخمة انجازا متقنا وكاملا، قرر القائد الملهم أن يزودها في المقدمة بالوسائل البشرية والمادية المتوفرة في قواتنا المسلحة، وتنفيذا للأمر السامي كلف الضباط وضباط الصف بالعمل في سلك الانعاش الوطني ومد يد المساعدة لهذه المؤسسة في مسيرتها البناءة المستهدفة للتنمية القومية.

وقدمت القوات المسلحة الملكية مشاركة فعالة لأوراش الشبيبة التي تؤلف جزءا لا يستهان به في المنهاج السياسي الذي اختاره للأمة ملكها الهمام حيث ركز جلالته على لزوم تعبئة شبابنا ليتكون منه العنصر البناء والمثمر في المجتمع المغربي، ولقد قدمت القوات المسلحة أطرا كافية لأوراش «حوض تساوت» ووضعت رهن إشارتها كميات مهمة من المواد.

– وفي يوم 8 مارس 1982 **عين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بالقصر الملكي بمراكش صاحبة السمو الملكي الأميرة للامريم رئيسة للمصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية** وكلفها جلالته بالسهر على هذه المصالح حتى «يتفرغ كل ضابط وضابط صف وجندي الى شؤون الدفاع وأن يذهب للاستشهاد وقلبه مطمئن على أولاده وممتلكاته وزوجته».



صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم
رئيسة المصالح الإجتماعية للقوات المسلحة الملكية

– وبعدما قامت سموها طيلة السنة بجولة عبر المصالح الاجتماعية العسكرية والمدنية الأوروبية تسلمت سموها يوم 15 فبراير 1983 المكتب الذي أعده جلالة الملك أعزه الله والذي ستباشر فيه سموها المهمة التي أناطها بها جلالته على رأس المصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية، وقد ألقت سموها بالمناسبة خطابا[15] أمام عدد من كبار ضباط القوات المسلحة الملكية وأطر المصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية أبرزت فيه الدور الذي ستقوم به القوات المسلحة الملكية في الدفاع عن الوحدة الترابية للمملكة والعناية التي يوليها جلالة الملك للمصلحة الاجتماعية العسكرية.

– وفي يوم 26 أبريل 1987 قام جلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية الذي كان محفوفا بصاحبة السمو الملكي الأميرة للامريم رئيسة المصالح الاجتماعية التابعة للقوات المسلحة الملكية بمراكش بزيارة نموذجين للخزانات المتنقلة التي تضم عشر شاحنات وهي عبارة عن مكتبة متنقلة.

وقدم جلالة الملك هذه المكتبة المتنقلة التي مولها جلالته من ماله الخاص لصاحبة السمو الملكي الأميرة للامريم رئيسة المصالح الاجتماعية التابعة للقوات المسلحة الملكية كهدية من جلالته الى أفراد القوات المسلحة الملكية المرابطة في الصحراء تقديرا منه لخدمات وجهود هذه القوات الباسلة في سبيل الدفاع عن وحدة التراب الوطني وصيانة المقدسات الوطنية.

وتتكون الدفعة الأولى من هذه المكتبة التي تتألف من 100 ألف كتاب موزعة على عشر عربات تضم كل واحدة منها 8000 كتاب من عربتين.

وتجري الاستعدادات لتجهيز مكتبات قارة في الأقاليم الجنوبية بالمنتجعات الصحية العسكرية ونوادي الضباط وضباط الصف وجنود القوات المسلحة الملكية في انتظار ان تعم هذه المكتبات لتشمل مختلف المعسكرات في كافة أنحاء التراب الوطني وذلك قصد مساعدة أفراد القوات المسلحة الملكية على تنمية معلوماتهم وتثقيف أنفسهم وتوسيع مداركهم وأفاق معرفتهم.

وقدمت لجلالة الملك القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية أثناء هذه الزيارة شروح وبيانات حول مختلف الكتب التي تتوفر عليها رفوف هذه الخزانات المتنقلة.

وأعطى جلالته في هذا الصدد تعليماته بأن تكون هذه الخزانات واسعة الافاق بتنوع محتوياتها وأن تشمل مختلف ميادين المعرفة والثقافة العامة واللغات الحية والعلوم وخاصة تاريخ المغرب الغني بالملاحم والبطولات والأمجاد.

وقد انتقيت كتب هذه الخزانات المتنقلة التي أنشأها جلالة الملك الحسن الثاني من ماله الخاص وقدمها هدية لافراد القوات المسلحة الملكية البواسل المرابطين في الصحراء المغربية على الحدود المتقدمة وتتناول مختلف ميادين المعرفة من أدب وعلوم وتاريخ وفلسفة وقصص وروايات وكتب للتسلية والترفيه باللغات الحية العربية والفرنسية والاسبانية والانجليزية.

– ولما اندلعت الحرب بين القوات العراقية والقوات المتحالفة الأمريكية والأوروبية (يناير 1991) في الخليج ترأست سموها حفلا (فاتح فبراير 1991) لتسليم الدفعة الأولى من أطنان متعددة من الأدوية ولوازم أخرى لفائدة أطفال ونساء الشعب العراقي الذين كابدوا الأمرين من هذه الحرب الضروس.

– وفي الميدان الصحى : فالأطباء والصيادلة وأطباء الاسنان الذين تلقوا التدريب العسكري وتطوعوا للعمل في صفوف الوحدات لايذوقون طعما للراحة في كل ناحية من نواحي المغرب التي توجد فيها ثكنة للقوات الملكية فهم لايفتؤون عن القيام بأعمال اجتماعية نزيهة

في دائرة الاسعاف الطبي لفائدة السكان البعيدين عن المستشفيات والمستوصفات. كما أن الاطباء المدنيين العاملين بمصلحة الصحة العسكرية قدموا معونة كبيرة في الميدان أثناء حوادث الحدود.

- وبمساهمة وزارة الدفاع الوطني في صندوق الخزينة أمكن تأمين استفادة كافة العسكريين من الاسعاف الطبي المجاني. وليس المستفيدين من هذا رجال الجيش وحدهم بل كذلك قدماء المقاومين وجيش التحرير مع أسرهم وذلك بمقتضى النص الصادر في عام 1975 المتعلق بالتشكيلات الصحية وتسييرها. وتستقبل كل سنة مختلفة المدارس والمراكز التابعة للقوات المسلحة الملكية أعداداً كبيرة من المرشحين : الأطباء والصيادلة وجراحي الاسنان وبذلك تمغربت جميع أطر الصحة العسكرية الملكية. وتم تجهيز المناطق العسكرية بمجموعات صحية ومستودعات للأدوية الضرورية...

- وأقبل الجيش **في ميدان توحيد تراب المغرب** يبني مع المدنيين جنبا لجنب - طريق التوحيد (1957) - فجعل رهن إشارة المتطوعين سياراته وأجهزته وملابسه وضباطه الذين كانوا يلقنون المتطوعين دروسا في التمارين العسكرية وفي استعمال الأسلحة المختلفة وجنوده الذين كانوا يقومون بعمليات النقل وطهي الطعام وبناء الاوراش، الى غير ذلك. فكان الجيش القاعدة التي قام ذلك البناء الضخم والنبع الذي تدفقت منه الحيوية على الأوراش طيلة أيام العمل (3 أشهر).

وخلال المسيرة الخضراء المظفرة (نونبر 1975) التي قادها جلالة الملك محقق الوحدة الوطنية لاسترجاع الصحراء المغربية ساهمت قواتنا المسلحة الملكية بكفية فعالة في توفير الشروط الضرورية للانطلاق المسيرة سواء على صعيد التجهيز الأساسي وإصلاح الطرق والتموين أومن حيث تأطير المتطوعين وحمايتهم من كل هجوم مباغث يقوم به أعداء الوطن والمرتزقة. وقد وجه جلالة الملك شكره السامي لقواته المسلحة الملكية قائلا : "إنا لنشكر وحدات قواتنا المسلحة التي توجد في الجنوب والتي قامت بأعمال جليلة وعليها أن تزيد في القيام بتلك الأعمال الجليلة للدفاع عن مكتسابتنا. واعلم شعبي العزيز أنها تعمل لصيانة المكتسبات في صمت بدون تهريج وبدون دعاية ولكنها تقوم بواجبها في تواضع واستماتة وبسالة وشجاعة... وشكرا لقيادتنا العليا العسكرية وشكرا للضباط وبالأخص الذين كانوا معنا - في مدة رمضان حينما كنا نفكر في المسيرة.» (من هؤلاء : أشهبار والزياتي وبناني وبنسليمان)

قسم المسيرة

للشاعر محمد الحلوي

أقسمت بالارض وبالسماء

وخالق الاكوان والأشياء

والشعب كالطوفان في الصحراء

وصانع المسيرة الخضراء

وبرجالنا وبالنساء

في موكب التحرير كالقضاء

أقسمت بالآباء والأجداد

وآبائنا وبالدماء

وبجهاد الشعب والفداء

وبألوف الشعب من ورائي

وبجلال الراية الحمراء

وبالامازيغ وبالعرباء

أن لا أخون أو أبيع وطني

حماية الجيش الملكي لوحدة البلاد وحدودها المشروعة

أمام هذا المجهود العظيم الذي يقوم به الجيش الملكي في الميدان المدني فهو يقف أيضا مرابطا بتخوم البلاد وحدودها يحرسها بيقظة وانتباه ويحميها من عبث العابثين ويقدم نفسه قربانا على مذبح الوطن ذيادا عنه وحفاظا عليه.

وأكبر دليل على هذا دخول الجيش الملكي الى **اقليم طرفاية**[16] (ابريل 1958) مسجلا بذلك عودة الإقليم المغربي إلى حضيرة الوطن ذلك أنه لما وضع الاسبان العراقيل أمام القوات المغربية الزاحفة الى إقليم طرفاية بقيادة «الجنرال» محمد مزيان قرر «ولى العهد الامير مولاي الحسن» ورئيس أركان الحرب أن يتوجه بكل شمم وإباء ليلا من أكادير على رأس طابور عسكري لتحرير طرفاية مارا من كلميم ووادي درعة وطنطان وسط كثبان من الرمال. ولما وصل القائد المظفر الى طرفاية بعد أسبوع وجد أن الاسبانيين قد فروا منها وخربوها تخريبا. وقد استردت بعد ذلك القوات المسلحة اقليم التكنة الساحلي.

ووقف الجيش الملكي بكل اباء أمام جميع التحرشات وصد بكل شهامة وقوة الاعتداءات على وحدة تراب المملكة وحدودها المشروعة لاتهن له عزيمة ولا يعتريه فتور.

* فقد حدثت **بتخوم المغرب الشرقية والجنوبية** حوادث خطيرة بعد الاستقلال أثارها - انطلاقا من الجزائر - عسكريون فرنسيون. فقد بلغ بهم الاستفزاز والتحدي الى محاصرة حامية صغيرة من قوات المخزن كانت تعسكر منذ عهد الحماية بحاسى زوزو وإطلاق النار على قوات الدرك المغربية عند قيامها بالدروريات العادية بالتخوم، ولكن قواتنا المسلحة كانت لها بالمرصاد[17].

* ولما شق عدى وبيهى عامل قصر السوق عصا الطاعة قرر ولي العهد ورئيس أركان الحرب «تسيير الجيش الى منطقة العصيان فصدر الأمر إلى (الكمندار) ادريس العلمي (والكمندار) محمد بن البشير البوهالى بالسير من مراكش بوحدات مدفعية التي تحت قيادته والى عامل اقليم ورزازات بالسير بجنود المخزن الى اقليم تافيلالت ومحاصرة المتمردين وعززت هذه القوات بفرقة الدبابات المرابطة بالرباط التي صدر إليها الأمر بالتوجه الى تافيلالت تحت قيادة القبطان ميمون بن حفصة».

وقد اعترضت الدبابات وحدة من دبابات الجيش الفرنسي ولما علمت أن اعتراضها سيؤدي الى ما لا تحمد عقباه رفعت الحواجز وتركت دباباتنا تنطلق.

ولما وقفت هذه القوات على أبواب تافيلالت سلم المتمردون أنفسهم للسلطة الشرعية بالبلاد وسلم العامل عدي أوبيهى نفسه للجنرال بنحمو الكتانى بمعقله وأكد أنه ليس عاصيا للسلطان. واسترجعت قواتنا 4000 قطعة من الأسلحة التي كانت قد سلمها الجيش الفرنسي بقيادة ج كوني للمتمردين.

- وعلى إثر الأحداث التي جرت **بمنطقة سيدي ايفني** (التي وقع احتلالها سنة

1934) بين أفراد قبيلة باعمران والجيش الاسباني سنة 1957 بدأت طائرات الجيش الاسباني تغير على الأراضي المغربية معززة بعمارة بحرية مشتملة على مدمرات وطرادات وغواصة وزراعة للالغام وعائمة في المياه المغربية أمام ميناء أكادير، فأصدر رئيس أركان الحرب أوامر الى القوات المسلحة الملكية والقوات المساعدة المرابطة بشواطئ اكادير وفي أحواز سيدي إيفني للتأهب للقتال والرد على ضربات الأسطول الاسباني بضربات أشد واحتلال جميع المواقع الاستراتيجية مما أرغم الحكومة الاسبانية على سحب أسطولها من المياه المغربية والتخلي عن المراكز الدفاعية العسكرية بايفني وتسليمها للقوات المسلحة الملكية (دجنبر 1957).

- وبعد أن شق عصا الطاعة **بعض سكان المناطق الجبلية بالأطلس المتوسط وتازة والريف** (خريف 1958) (وخاصة لما سرح رجال المخازنية المسلحين بالشمال) قرر رئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية أن يسافر الى تطوان صحبة (الجنرال) محمد مزيان وعدد من ضباط أركان الحرب العامة وأسس بها مقر قيادة جديدة لتشرف على إعادة الأمن والنظام في المناطق المذكورة. وهكذا أصدر الأمر إلى وحدات الجيش التي كانت معسكرة بالناظور بالزحف غربا والأخرى التي كانت معسكرة بتاركست بالزحف شرقا والقوات التي كانت متمركزة بالحسيمة (بقيادة الكمندار محمد بن العربي) بالمحافظة على المدينة وضرب العصاة المحرضين من طرف الاسبانيين من الخلف. وبلغت القوات المسلحة الملكية الى جميع أهدافها بكل تبصر وحنكة وتجنب لإراقة الدماء.

وسلم رؤساء التمرد أنفسهم «لولي العهد» وصدر عفو عام في حقهم[18].

وهاجم الجنود الجزائريون قوات الحراسة المغربية (سنة 1963) بحاسي بيضاء (للاستيلاء على بئر ماء) وحاسي تيمجوك(تينجدب) الواقعتين على بعد 40 كلم الى الجنوب من قرية المحاميد، وكان هجوما مركزا قويا أعد بدقة واستعملوا فيه المدفعية والرشاشات ونافثات اللهب، فأبيدت الحاميتان المغربيتان اللتان كانتا مسلحة تسليحا خفيفا. فكرت القوات المغربية على المهاجمين بشراشة وطردتهم الى ما وراء حاسي بيضاء وحاسي تيمجوك، فهاجم الجزائريون مدينة فكيك وقرية إيِّشْ المغربيتين واتسعت رقعة العراك[19] حتي كاد الجيش المغربي أن يدخل الى تندوف. وبعد ذلك حصل الاتفاق بين الطرفين على إيقاف الحرب، "حرب الرمال" أو "حرب 30 يوما" كما كانت تسمى.

فأصبحت بذلك مهمة الجيش الملكي منفردة في نوعها منفردة بين مهام جيوش الدول الاخرى حيث هي مهمة عسكرية واقتصادية واجتماعية في آن واحد. فما هو السر في ذلك يا ترى؟ قد يدعى البعض - يقول جلالة الملك الحسن الثاني - ان هذا شيء خارق للعادة أما أنا فأقول انه معجزة الايمان بالله والوطن والملك[20].

(1) حسب بعض المصادر الفرنسية :

"Derrière le de drapeau chérifien defilaient.... l'ex 1er regiment de tirailleurs marocains prodédé de son belier, Dix bataillons de 5 compagnies de goumiers, un bataillon d'Infanterie d'ex tirailleurs, deux bataillons de 3 compagnons d'unités auxilliaires venues de la zone espagnole, un regiment de cavalerie à cheval et un groupement blindé comprenant un escardon d'auto-mitrailleuses un escadron de chars, un groupe d'artillerie de 10 court, un bataillon de génie, une compagnie de transport muletière, un détachement de transmission, un groupe de transport motorisé". Une armée sur pied!.

(2) للمزيد التفاصيل عن تأسيس القوات المسلحة الملكية يجب مراجعة الكتيب الذي نشرته وزارة الابناء والسياحة في الموضوع (ماي 1957) والبحثين :

"les F.A.R. et le Trône cherifien d'André Ammoun (Etudes Mediterraneennes 1960, n : 8)

"L'Armée Marocaine depuis l'independance du général Meric (Europe - France, Outre - Mer Paris n : 401 - Juin 1963)

La Longue Route des Tabors de Jacques Dugarde, éd : France - Empire (La Naissance des F.A.R.).

(2) مكرر : محمد الغري : الحاج أحمد بلا فريج وإعادة تأسيس الدبلوماسية المغربية (مجلة "شؤون مغربية) - عدد 6 - أبيل 1996).

(3) كانت الاكاديمية الملكية فيما مضى قصرا لسيدي محمد بن عبد الله سماه (الدارالبيضاء) وكانت توجد أمام هذه الدار ساحة فسيحة تجرى فيها تداريب الجيش واستعراضاتها. وقد اتخذ المولى عبد الرحمان هذا القصر مخزنا للسلاح والعتاد الحربى عند نشوب الحرب مع الاتراك في الجزائر سنة 1884. وكذلك جعله مولاى الحسن الاول مخزنا للسلاح ومواد التموين وحشر فيه مآت من فحول الخيل.. وفي عهده اتخذت «بعثة عسكرية فرنسية» هذا القصر كثكنة لتقوم فيه بتدريب ضباط الجيش المغربي(Ecole Militaire et de Haras d'arsenal) . وفي سنة 1910 استعمل القصر كمستشفى عسكري، وفي سنة 1918 تحول قصر الدارالبيضاء- بطلب من مولاى يوسف - الى مدرسة عسكرية لتدريب الطلبة الضباط وأطلق عليها المرشال ليوطى اسم : «مدرسة الدارالبيضاء العسكرية». وبعد الاستقلال أصبحت تدعى بعد تنظيمها من جديد «الاكاديمية العسكرية الملكية» بموجب القرار الوزيري المؤرخ بـ 2 غشت 1965 الصادر عن وزير الدولة المكلف بالدفاع الوطني.

وقد زارها لاول مرة جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله سنة 1940. وفيما يلي وصف لهذه الزيارة نقلناه عن جريدة «السعادة» المؤرخة بـ30 مارس 1940، كتبه مبعوث الجريدة بمكناس يومئذ السيد محمد بن الطيب الوزاني.

«تشرفت المدرسة الحربية المكناسية بزيارة الجناب العالي فما رأيت أكثر جدلا وسروا وازدهاء وحبورا في مساء يوم الاربعاء الفارط حيث تشرفت بزيارة مولانا الملك المحبوب رمز المجد والسؤدد والسناء وكيف لا تهتز طربا وتترنح ابتهاجا وهذا ملك البلاد قد طلع عليها واشرق في سمائها وكان طلوعه عليها ابهى من البدر رونقا واسنى من الشمس اشراقا.

نعم ماقرب الوقت المعين لموعد هذه الزيارة الملكية حتى تجلت المدرسة في ابهى مظاهر الزينة والبهاء والحسن والرواء رافلة في وشيها ومطارفها جارة ذيول سرورها وقد يعجز قلم الكاتب عن وصف ما كان يجرى في جنباتها من البشرى التي كان لها اكبر وقع وابلغ تاثير في نفوس اساتذتها وتلامذتها والتي تتم عن ولائهم الشديد ومحبتهم المنقطعة النظير لرب العرش ادام الله عزه وعلاه وعند ما دقت الساعة الخامسة ادارية خرج التلاميذ لباب المدرسة في بذلاتهم العسكرية حاملين اسحلتهم واخذين اهبتهم لاستقبال ملك البلاد ونعمة المولى سبحانه على العباد وفي طليعتهم مدير المدرسة الكندار «دوبطلير» وجناب خليفته الشريف العلامة نقيب العائلة الملكية مولاى عبد الرحمان بن زيدان. وما أن زفت الساعة الخامسة ونصف حتى وصل الموكب الفخيم لباب المدرسة تتقدمه سيارة تقل الجنرال حاكم الناحية مع رئيس الديوان الملكي الخاص العلامة السيد محمد معمري تتلوها سيارة سعادة الوزير الصدر الاعظم الفقيه السيد الحاج محمد المقري، ثم سيارة رجال المعية الملكية والحاشية المخزنية واذ ذاك ترجل الجناب العالي بالله سيدنا ومولانا محمد ابد الله ملكه. وبعد اداء مراسم التحية زار سيدنا اهم الغرف في جميع اقسام المدرسة من ذلك الغرفة العظيمة التي يتلقى فيها التلاميذ دروس السلاح فالقيت عدة اسئلة امام سيدنا رعاه الله على التلميذ النجيب السيد المصطفى بن محمد حفيد الحاج التهامي بناني وذلك فيما يرجع للسلاح وكيفية العمل به وعن القطع التي يتركب منها وكيفية تركيبه فكان يجيب بعبارة واضحة دلالة على تبحره ومقدرته ثم تقدم جناب مولانا الامام اعزه الله الى قسم الخرائط فوجد هنالك جفنة من خشب مملوءة بالرمل خط فيما خريطة ارض وبها قطع صغيرة تمثل عساكر مصطفة في مراكزها وفي جوها اسراب الطيارات بكيفية تذل على ذلك فالقيت عدة اسئلة على ولد الخليفة مولاي بوعزة من عين اللوح فكان يجيب بسرعة وحماس الأمر الذي برهن على النجاح الكامل والجهود المبذولة في التعليم ثم توجه الجناب العالى بالله لغرفة تلقي الدروس الجغرافية حيث كانت الخرائط منتشرة فوقع امتحان ذلك القسم عن غوامض تلك الخرائط فاجاب الكل باجوبة سديدة موفقة تدل على علم جم فسر الجناب العالي بالله والهيئة الوزارية سرورا عظيما بذلك.

ثم وجهت السدة العالية المحفوظة برعاية الله السؤال الى النقيب الزيداني خليفة مدير المدرسة عن عدد التلاميذ بالمدرسة

وعن الدروس التي يتعاطون في اليوم فاجيب اعزه الله بان عددهم 80 وكانوا قبل 30 وهنا تقدم سيدنا الى غرفة الاستقبال فقدم له ابقاه الله تلاميذ المدرسة على خمسة فرق وكان يقدمهم المدير وبعد ما ادى الجميع مراسيم التحية وانتهى دور الاستقبال امتطى سيدنا اعزه الله متن سيارته قاصدا الدار العالية بالله فتبعته الهيئة الوزارية والحاشية المخزنية وتفرق الجمع بسلام.»

وقد زارها كذلك صاحب السمو الملكي ولي العهد "مولاي الحسن" أو رئيس اركان الحرب العامة بتاريخ 21 دجنبر 1956 وقد وجه كلمة بالمناسبة لطلبة الاكاديمية هذا نصها :

انكم مقبلون على ظرف من أهم الظروف التي اجتازتها بلادكم في تاريخها، ألا وهو ربط حاضرها الفتي بماضيها المجيد.

فعليكم ان تستخرجوا من الماضي عبرا وتأخذوا للحاضر عدته حتى لاتتكرر اغلاطنا وحتى نتمكن من المحافظة على استقلالنا وسيادة بلادنا.

فكونوا دائما وراء قائدنا الأعلى صاحب الجلالة مولانا محمد الخامس فهو رمز كفاحنا وضمان مستقبلنا. اعانكم الله وثبت خطاكم ولاتنسوا بأن الحياة في الكرامة أمنع وأصعب من الموت في العز. الله - الوطن - الملك

ونظم الشاعر محمد الحلوي النشيد الرسمي للاكاديمية -

مطلعه : يأخي في السلاح *** يا أخي في الكفاح

(انظره في ملاحق الكتاب)

(4) تأسست هذه المدرسة في سنة 1956 وتوجد على بعد 27 كلمة من فاس بناحية وادي زلول.

(5) قد أنشأ - فيما سبق - ست مجموعات جهوية جعلت تحت مسؤولية ضباط سامين وذلك لضمان الدفاع عن التراب الوطني بكيفية مجدية.

(6) تتوفر القوات الجوية الملكية على أنواع الطائرات الآتية (حسب ما هو ظاهر في الأجواء المغربية) : طائرات ميراج (ف 1) و (ف 1 س) و (ف 5) او طائرات نقل عسكرية (س 130) وطائرات (ك س 130م) وطائرات (د أ) و (28د)، وطائرات عمودية من نوع (س أ 342 كزيل) وطائرات عمودية من نوع (أو 109) وطائرات (شنوك 74) وطائرات من نوع (س أ 330) . بوما وأنواع أخرى من الطائرات المخصصة للتعليم والتدريب في المدرسة الملكية الجوية والقاعدة الجوية الملكية للاختصاص.

(7) بمناسبة الحديث عن البحرية الملكية يجدر بنا أن نشير بكل اعتزاز وفخر أن صاحب الجلالة القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية يعد من القادة البحريين الماهرين ذلك أنه لما عبر جلالته وكان يومئذ وليا للعهد عن رغبته في ركوب البحر لتعلم الصبر والاناة قرر جلالة والده قدس الله روحه الحاقه بإحدى قطع الأسطول الفرنسي، فبعثه في بداية العطلة الصيفية لسنة 1939 الى تونس صحبة المكندار (آنذاك) مولا عبد الحفيظ العلوي ومنها التحق في قاعدة بنزرت البحرية بالسفينة (جان دارك). وقد برهن «ولي العهد» الضابط البحرى عن قوة ادراكه وسرعة فهمه للشؤون البحرية مدة تدريبه على متن السفينة المدرسية. وقد شارك في جميع عمليات الضرب والابحار والنزول والغارات التدريبية بكل حزم ومثالية. (عن كتاب : الحسن الثاني، حياته جهاده ومنجزاته) للاستاذ عبد الوهاب بلمنصور.

(8) من بين المصالح العسكرية التي تتوفر عليها قواتنا كباقي القوات العسكرية العالمية مصلحة صحية يعمل بمستشفياتها العسكرية وبمراكز تكوين أطبائها أطباء عسكريون من مختلف الرتب وجراحون متفوقون ومتخصصون في مختلف التخصصات الطبية. كما تتوفر قواتنا على مصالح لتموين الجيش في البر والبحر والجو، ومصلحة التجهيز والارشادات والهندسة القروية ومصنع لصنع الاسلحة والذخيرة الخفيفة بفاس ينقسم الى قسمين قسم العتاد وقسم تصنيع الأسلحة وتركيبها. وعن سياسة التسلح في المغرب منذ فجر الاستقلال إلى أوائل السبعينات انظر مقالا كتبة "نورالدين خليفة" في مجلة "أبحاث" (عدد 8 س : 2، خريف 85) تناول فيه المساعدات العسكرية الفرنسية والأمريكية للمغرب.

(9) كان يضم الجيش الملكي حسب احصاءات عام 1977 حوالي 80.000 رجل بينما تضم القوات شبه العسكرية نحو 30.000 رجل، وتضم القوات البرية 55000 جندي ولديها حوالي 100 دبابة روسية من طراز 54 و50 دبابة من طراز 8 اكس و 30 دبابة من طراز ام اكس 13 و 50 دبابة امريكية من طراز ام 48. وتضم القوات الجوية 5000 رجل وتملك طائرات حربية من طراز فوكا ماجيستر ونور تروب وإف 5 ومن طيراز ميراج ف 1 وطائرات الهيلوكبتر والنقل. ويبلغ عدد القوات البحرية 3000 رجل من بينهم 500 من مشاة الاسطول يعملون على ظهر فرقاطة والزوارق وسفن الحراسة..... اما إحصاءات 1987 توضح ان عدد جنود القوات المسلحة الملكية بلغ حوالي 170.000 (3150000 في الجيش البري و313000 في الجيش الجوي و 7000 في الجيش البحري)

(Terre = 5 brigades (1 de sécurité, 3 d'infanterie mécanisée, 1 de parachutises) ; 7 bataillons blindés, 9 regiments d'infanterie mécanisée, 1 de la garde royale, 4 de meharistes, 2 cavalerie du desert, 9 d'artillerie d'attaque au sol, 1 de lutte antiguerilla, 1 de transport; 115 helic, 67 avions d'entrainement...)

(Guide 1988-Robert Laffond 1987)

وحسب مجلة "القوات الجوية" (عدد : 23 مارس 1991) الصادرة بدولة الإمارات العربية المتحدة فإن اجمالي القوات المسلحة المغربية فهو :

القوات العاملة : 500 و 192
القوات الاحتياطية : 000 ر 100
القوات البحرية : 7000 بما فيهم (1500) من مشاة البحرية.
القواعد : الدارالبيضاء، اغادير، الحسيمة، الداخلة.
الفرقاطات : 1 مزودة بـ 3x2 طوربيدات مضادة للغواصات من طراز (MK46LWT).
حاملات صواريخ : 4، البرمائيات : 3
القوات الجوية :
مقاتلات هجومية : سربان :
سرب مجهز بـ10 طائرات مقاتلة من طراز اف -5 اي و (F-5E) و 3 طائرات من طراز اف - 5 اف (F-5F).
وسرب مجهز بـ 14 طائرة ميراج من طراز اف - 1 سي اتش (F-1CH).
المقاتلات : سرب واحد مؤلف من 15 طائرة ميراج من طراز اف - 1 سي اتش (F-1 H).
طائرات مكافحة الشغب : سربان.
سرب مجهز بـ 23 طائرة من طراز الفاجيت.
سرب مجهز بـ 23 طائرة من طراز سي ام - 170.
طائرات الاستطلاع : سرب واحد مؤلف من 4 طائرات من طراز او في
–10(OV-10)، طائرتان من طراز سي – 130 اتش مع رادار جانبي.

(10) «ان شعار القوات المسلحة الملكية هو شعار أجدادنا وانتصاراتنا وشعبنا منذ دخول الاسلام الى هذا البلد. هو شعار جميع العائلات الملكية التي تربعت على العرش المغربي وشعار مؤسس القوات المسلحة الملكية محمد الخامس، وشعار الحسن الثاني الجندى الاول والخادم الاول لهذه الامة».

(11) هناك : «نظام للانضباط العام في حظيرة القوات المسلحة الملكية برا وبحرا وجوا» (ظهير رقم (383-74-1 بتاريخ 5-8-74) «وقانون العدل العسكرى الذي صدر ضمن ظهير (رقم 270 -56-1) والذي يعتبر قانونا للقضاء العسكري». من أراد مراجعة فصولهما ومواردهما فليقرأ «مجلة القوات المسلحة الملكية» التي تصدرها القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية ابتداء من عددها الاول (غشت 1963).

(12) عن محاضرات للملازم العزاوى من القيادة العليا للدرك الملكي.

(13) تصدر هذه القيادة مجلة للتعريف بنشاطات الدرك. وقد صدر العدد الاول منها بتاريخ يناير 1965.

(14) تجسم هذه الجملة المعانى التي يرمز اليها الشعار الملكي : فالشعار الملكي- كما لا يخفى – يتكون من: تاج (يرمز الى العرش) وشمس ونجمة خماسية وسلتى اليسر والبركة والآية القرءانية «ان تنصروا الله ينصركم» وأسدين. ويرمز الاسد الأول الى بطولة الشعب المغربي ويرمز الثاني الى الجيش المغربي.

(15) انظر الخطاب في المجموعة الثانية من الخطب الملكية العسكرية(اعداد عبد الحق المريني)
ومما جاء في إحدى خطب سموها ، مركزة على أهمية المرأة في الجيش المغربي قائلة : "المرأة في المغرب تطوعت وانخرطت في القوات المسلحة الملكية مثلها مثل الرجل لذلك فهي تملك كل الحق في شغل الوظائف العسكرية بالاضافة الى أن ادارة القوات المسلحة الملكية تدرب المرشدات الاجتماعيات للثكنات ليكن مسؤولات عن أفراد عوائل العسكريين مثل تعليم الأطفال والعناية الطبية بهم وتحسين المستوى المعيشي لتلك العوائل".

(16) احتلت اسبانيا طرفاية (Capo July) سنة 1916 والكويرة بالداخلة سنة 1920

(17) «اننا لنعبر عن امتنان الامة قاطبة لجميع الضباط وضباط الصف وجنود المسلحة الملكية، وكذا لجميع رجال القوات المسلحة والدرك والامن والمتطوعين المدنيين الذين هبوا الى الحدود من نواحي البلاد القاصية والدانية على ما أظهروه من صبر وجلد وتحملوا من مصاعب ومشاق لحماية حوزة البلاد كما نترحم على «الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف فداء للوطن». «الحسن الثاني».

(18) قام بعض المناوشين بإثارة بعض الفتن في ناحية بنى ملال في سنة 1960 و 1961 (مثل بن التهامي القائد الممتاز، وبعده الكولونيل السابق(colonel de maquis) ميلود) ولكنهما فشلا في مخططهما لوقوف القوات المسلحة الملكية في وجههما ولعدم الحصول على أتباع لهما.

(19) نقلنا قصة هذه الاحداث بتصرف عن الكتاب القيم : «الحسن الثاني» للاستاذ عبد الوهاب بن منصور.

(20) الله : خالق هذا الكون، من ارادته العليا نستمد العون، ومن توفيقه نسير في طريقنا المخطط السليم.

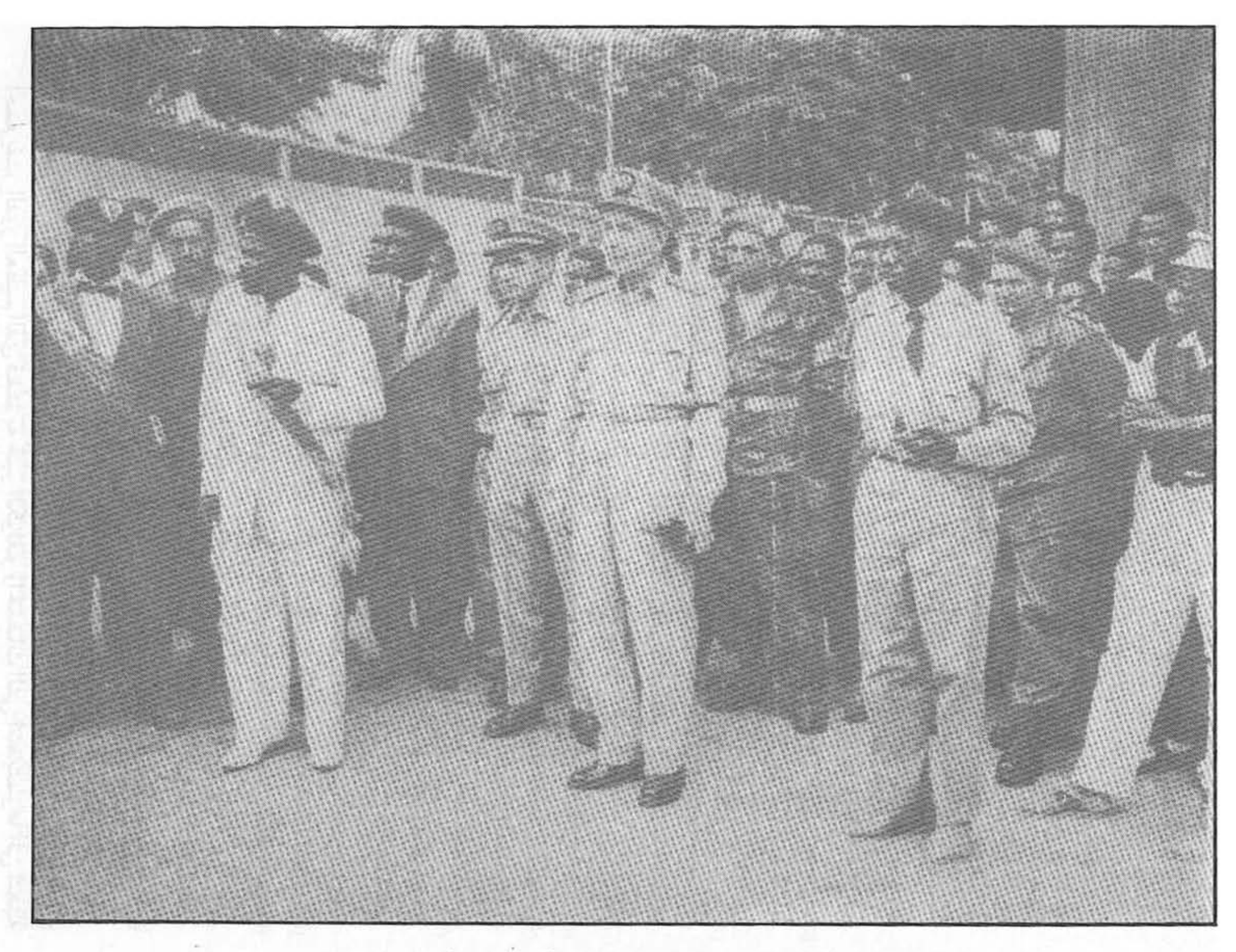
الوطن : أرضنا الخيرة المعطاء، الارض التي نعيش من خيراتها الطيبة، ندافع عن كيانها ونحميها من كل عدو لدود.

الملك : قائدنا ومرشدنا وباعث نهضتنا ما فتىء يقودنا الى المجد والعز والرفاهية، حكيما ومدافعا ومحبا لهذا الشعب الذي يبادله هو الآخر الحب الكبير.

نشاط الجيش المغربي في حروب افريقيا والشرق الاوسط

- الجيش الملكي في الكونغو (يوليوز 1960 - مارس 1961) : تبعا لما تعهدت به الدولة المغربية لاداء رسالتها الإفريقية كانت هي الدولة الأولى التي استجابت لنداء هيئة الأمم المتحدة وأرسلت في الحال كتيبتين من قواتها المسلحة الى الكونغو لمساعدة هذا البلد الافريقي الفتي على مجابهة أزمته الخانقة. وقد كانت الكتيبتان والثالثة التي التحقت بأختيها مجهزة بالأسلحة الخفيفة وبجميع وسائل المواصلات والنقل ومصحوبة بضباط أطباء ومهندسين وقد بلغ عدد أفراد الكتائب حوالي أربعة آلاف رجل ما بين ضباط وضباط الصف ورجال الدرك تحت قيادة المرحوم الجنرال حمو الكتاني[1] الذي عين خليفة لرئيس القيادة العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة .وقد انتشرت القوات المسلحة الملكية في جميع أنحاء الكونغو وحتى في أهم المراكز المعدنية باقليم كاطانكا وكان همها الأول هو الاتصال بالجنود الثائرين وإرجاعهم الى ثكناتهم وتجريدهم من السلاح وحماية المصانع والمزارع. وقد أسندت القيادة العليا لهيئة الأمم المتحدة الى ضباط مغاربة مهمة تنظيم القوات الكونغولية أسرع ما يمكن وبالفعل سهر الضباط المغاربة على تنظيم وزارة الدفاع ورئاسة أركان الحرب وكونوا ثلاث كتائب من جنود المظلات. وقد عبرت القيادة العليا لهيئة الامم المتحدة، لاعجابها عن هذه النتيجة السارة التي توصلت اليها القوات المسلحة الملكية والتي يرجع إليها الفضل الأكبر في تكوين أول نواة حقيقية للجيش الوطني الكونكولي كما أعاد الضباط المغاربة تنظيم الشرطة الكونغولية أيضا باحدى الأقاليم. وفي كل مدينة أو قرية يقول - شاهد عيان - دخل اليها الجيش الملكي الا وتعود الطمأنينة الى النفوس ويعود الهاربون الى ديارهم ويستأنف السكان نشاطهم العادي. وكم شجع جنودنا المقاولين وأصحاب المعامل والمصانع على استئناف أعمالهم. وهكذا استأنفت - بفضل تدخل القوات المسلحة الملكية - الابحاث التمهيدية الخاصة ببناء سد «اينكا» وأعيد فتح ميناء بوما على نهر الكونغو واستأنف العمل في ميناء ماطادي الى غير ذلك. لقد قامت القوات المسلحة الملكية في البلاد الافريقية الشقيقة بأداء رسالة إنسانية سامية وذلك لتفهمها نصائح وأوامر قائدها الاعلى صاحب الجلالة المقدس للعمل لفائدة المغرب وافريقيا والانسانية.

فمن دواع فخرنا - يخاطب صاحب الجلالة الراحل جنوده بالكونغو - ان نرى العالم أجمع يقدر الدور العظيم الذي قمتم به لخير الكونغو والخدمات التي أسديتموها الى شعبه من غير من وبكل إخلاص محافظين على تقاليدنا العسكرية ومتحلين بصفات الشهامة والنبل وكرم النفس وعلو الهمة.



الجنرال الكتاني قائد القوات المغربية بالكونكو ونائب القائد الأعلى لقوات الأمم المتحدة في الكونكو

"التجريدتان المغربيتان للدفاع عن الوطن العربي" تشاركان في حرب الشرق الاوسط

إذا كان الأمويون قد استعانوا بجند المغرب لفتح الاندلس ولدرء كل عدوان على دولتهم بالأندلس فان التاريخ يعيد نفسه وتوجهت قواتنا المسلحة الملكية لجبهة القتال بالشرق الأوسط[2] لتشارك في رد العدوان الاسرائلي على الدول العربية وتحرير مدينة القدس المغتصبة. فلما نشب القتال في شهر أكتوبر سنة 1973 بين اسرائيل ومصر وسوريا كانت القوات المغربية معسكرة في **جبهة «الجولان» بالبلاد السورية** بقيادة المرحوم الجنرال عبد السلام الصفريوي[3] فاشتبكت مع القوات الاسرائيلية ودخلت في معارك مدفعية عنيفة بواسطة سياراتها المصفحة والمدافع المضادة للطائرات وأحرزت على تقدم سريع وعلى انتصارات أثارت دهشة الجميع دون تراجع أو عياء رغم شدة المعارك الحامية الوطيس. وكانت القوات المغربية المدربة والمجهزة تشكل على سفح وجنبات مرتفع «هرمون» بجبل الشيخ السد المنيع الذي يحول دون تقدم القوات الاسرائلية نحو دمشق.

«إن لكل حرب أسرارها ولكل معركة خفاياها. ولن يكون في استطاعة المرء ان يكتشف البعض منها الا بالاتصال بأقرب الناس الى تلك الحرب وتلك المعركة. لكن من الاسرار والخفايا ما لا يمكن ذكره الا بمرور السنين، ولمعركة رمضان التي خاضتها تجريدتنا المغربية في الجبهة السورية أسرار وخفايا سوف يكشف عنها الزمن، ولا أعتقد أن من السر أن نقول اليوم بأن الجيش المغربي في سوريا قد استطاع ان يخرج من أوضاع حرجة ودقيقة سالما.

فخلال الحرب كانت احدى فصائل التجريدة المغربية مهددة بعد ان فقدت في معركة ضارية أسلحتها الثقيلة ووجدت نفسها في يوم من الأيام العصيبة مهددة في رجالها. في تلك الواقعة كانت تلك الفصيلة امام فيلق من مصفحات العدو ويتقدم نحوها فأعطى الجنرال الصفريوي تعليماته لبضعة جنود كي يتقدموا راجلين ليواجهوا فيلق العدو بأسلحة لا تتعدى مدافع البازوكا. وبشجاعة نادرة وتضحية مثالية تقدم بضعة جنود مغاربة راجلين ودخلوا في معركة مع مصفحات العدو فحطموا منها مزنجرا ومصفحا، فتوقف الفيلق وكسبت الفصيلة المغربية نصرا في معركة من معارك رمضان الخالدة».

هذا وقد عادت التجريدة المغربية الى أرض الوطن يوم 5 يوليوز 1974 وقامت باستعراض ضخم أمام قائدها الأعلى، وصدر في دمشق مرسوم رئاسي يمنح لقب بطل الجمهورية العربية السورية الى كل من الجنرال الصفريوي والكولونيل عبد القادر علام الذي توفي في حرب الجولان إثر سقوط قذيفة محرقة بإزائه. وفي الخطاب الذي ألقاه جلالته بسبب ضراوة حرب الخليج بين العراق والدول المتحالفة (يناير 1991) تطرق جلالته الى موضوع إرسال قوات مغربية الى الجولان وسيناء فقال نصره الله :

« ... هل تعلم شعبي العزيز كيف تم إرسال القوات المغربية الى الجولان وسيناء. سأحكي لك ذلك بايجاز فقد جاء عندي صديقي السيد عبد الحليم خدام -ونناديه ابو جمال- وهو صديقي منذ مدة طويلة. جاء عندي في إحدى الليالي في أواخر سنة 1972 الى المكتب وكانت سوريا في حالة سيئة من الناحية الاقتصادية وكان يطلب المعونة آنذاك من الدول العربية فقلت له أرجوك لا تطلب مني شيئا فليس لدي ما أعطيك إياه. لكن إذا أردت الرجال فهم عندي. فاندهش وقال هل تعطيني الرجال قلت نعم فقال سأرد عليك. وفي اليوم الموالي قال لي ليس هناك مانع فالرئيس حافظ الأسد فوجيء وهو يرحب بهذا الاقتراح. وسيكون المغرب أول بلد يرسل قواته الى سوريا. آنداك راجت إشاعات وادعاءات ودعايات تزعم أنني بعد قضية 16 غشت 1972 أرسلت كل الاشخاص الذين لا أثق فيهم الى الجولان عسى أن يهلكوا على يد الاسرائليين. بالعكس ذهبوا ولله الحمد فلو لم تكن حاستي السادسة لما أمكن للمغرب أن يفتخر بأنه كان من دول المواجهة وذلك بفضل شهدائنا رحمهم الله. »

وتوجهت الى **الجبهة المصرية** (أكتوبر 1993) في نفس التاريخ تجريدة مغربية ثانية للقوات المسلحة الملكية بقيادة الكولونيل ماجور حسن الحاتمي[4] . وتتكون على الخصوص من فرقة الاشتباكات المدربة على حرب الصحراء. وقد رابطت في منطقة السويس وقاومت بشدة هجوم الاسرائيليين عليها وهي ثابتة صامدة في وجه الاغارات المستمرة مانعة تقدم القوات المعادية في منطقة «الثغرة».

وبمجرد مادخلت قواتنا الى التراب المصري بمنطقة السويس أحلت محل وحدتين مصريتين : وكانت تتكون من وحدة مذرعة وأخرى تدعى "صاعقة"، وذلك لتقوم بحماية مؤخرة الجيش الثالث المصرى - (الذي كان محاصرا من طرف القوات الاسرائيلية في جنوب الضفة الشرقية لقناة السويس) - ولتشن هجوما مضادا في منطقة ما يسمى "بالثغرة" في حالة إنزال قوات جديدة للعدو.

وبعد أن أخذت قوتنا مراكزها في هذه المنطقة (بير عذيب) قامت بعمليات عسكرية بطولية : ذلك أنها حالت دون عمليات الإنزال البحرى التي كانت تنوي القوات البحرية الاسرائلية تنفيذها قصد احتلال "الادبية" و"الصخنة". وقد تعرضت قواتنا من جراء ذلك لقصف الطيران والمذرعات والمدفعية الاسرائلية في آن واحد، ولكنها ثبتت صامدة -باذن الله - في مراكزها الدفاعية رغم خلوها من التحصينات الخاصة بالحماية الجوية ومن المدافع المضادة للطائرات. ولما وصلت القوات الاسرائلية الى جبل "عتاقة" الذي يشرف على "منطقة الادبية" "حاولت ان تحكم حصار الجيش الثالث المصرى" فوجدت أمامها قوة مغربية بالمرصاد غير متزحزحة عن خنادقها ومستعدة كامل الاستعداد للدفاع عن المنطقة مهما كلفها ذلك من تضحيات. وبذلك كانت قواتنا" تحمي ظهر القاهرة" لتمركزها في نقطة استراتيجية هامة حيث أنها كانت تراقب كل تسرب إسرائيلي محتمل في الطريقين : الطريق الأولى الساحلية المعبدة والرابطة بين مدينتي السويس والقاهرة والطريق الثانية الغير المعبدة والرابطة بين "رأس الادبية" و"منطقة حلوان "الصناعية.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان القوات الاسرائلية كانت تقوم بأغلب هجوماتها على القوات المغربية ليلا وتتحاشى العراك معها في النهار وتظل مختفية وراء اكوام "مصطنعة" من الرمال.

وبعد أن أعلن عن نهاية الحرب وتم انسحاب قواتنا المغربية من جبهة القتال التي مكثت بها سبعة اشهر ودخلت الى جانب القوات المصرية البطلة منطقة السويس المحررة التحقت بالقاهرة حيث قامت باستعراض في الاكاديمية العسكرية المصرية ووشح وزير الدفاع المصري العلم المغربي وقائد التجريدة المغربية بوسام" نجم الجمهورية" وضباط التجريدة بوسام "نجم الشجاعة" تقديرا لبطولتهم وتكريما لثباتهم.

هذا وقد عادت التجريدة المغربية الى أرض الوطن يوم الثلاثاء 30 أبريل 1974[5].

ولما اقتبل جلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية وفدا يمثل التجريديتين خاطبه جلالته بهذه الكلمة السامية :

«الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه.

.. أبنائي الأعزاء إن هذا البيت الذي كان نزلا لأكرم ضيوف لن يستضيف أحسن منكم ولا أكرم ولا أعز منكم، فأنتم أجدر الناس بأن تكونوا فيه الضيوف وأن أقتبلكم أنا الذي جعلني الله سبحانه وتعالى أبا لأفراد شعبي كلهم، انكم ولله الحمد أعليتم رايتنا وأعليتم شأننا وكلمتنا وأرجعتم للشجاعة المغربية وللبسالة المغربية ما كان معروفا عنها.

إنني حينما أرسلتكم الى سوريا والى مصر علمت أنه سيكون منكم الشهداء والجرحى ولكن علمت كذلك أنه سيكون هؤلاء الشهداء في مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وعلما بأن مرضاكم والمعطوبين منكم والجرحى منكم يكفيهم أن يمروا أمام اخوانهم سواء في وطنهم الصغير أو في وطنهم الكبير وهم حاملون لجرحهم ليكون لهم ذلك العطب وذلك الجرح أكبر تشريف وأكبر تكريم.

جازاكم الله خيرا عن المغرب وعن القوات المسلحة الملكية، تلك القوات التي كان الحظ والشرف أنني ربيتها وخلقتها وسرت معها خطوة بخطوة وقد كاد بها الكائدون من مدنيين وعسكريين الا أنها بقيت ثابتة واستمرت في وفائها لبلادها ولدينها ولملكها. وها هي اليوم نجني معها ثمار ذلك الوفاء وثمار تلك الاستقامة...».

الجمهورية العربية السورية
محافظة مدينة دمشق
المكتب التنفيذي

قرار رقم ١٥٩ / م.ت

المكتب التنفيذي لمجلس محافظة مدينة دمشق

بناءً على أحكام قانون الإدارة المحلية رقم ١٥ لسنة ١٩٧١ وتعديلاته لا سيما المادة ٢٤ منه الفقرة ن واللائحة التنفيذية لقانون الإدارة المحلية الصادرة بالمرسوم رقم ٢٢٧ لسنة ١٩٧١ وقرار مجلس الوزراء في اجتماعه المنعقد بتاريخ ٥/٣/١٩٧٢ القاضي بتحديد صلاحية المكتب التنفيذي وعلى المداولة الجارية بين أعضائه حول موضوع تسمية إحدى الساحات الرئيسية في مدينة دمشق باسم (ساحة التجريدة المغربية) تكريماً لمشاركتها في حرب تشرين التحريرية في ٦/١٠/١٩٧٣ وبمناسبة احتفال المملكة المغربية الشقيقة بعيدها الوطني المصادف يوم الخميس في ٣/٣/١٩٧٧ وموافقة جميع أعضائه في اجتماعه المنعقد بتاريخ ١/٣/١٩٧٧

يقرر ما يلي :

مادة -١- تسمية ساحة السبع بحرات باسم (ساحة التجريدة المغربية)

مادة -٢- يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذه
دمشق في ١/٣/١٩٧٧

رئيس المكتب التنفيذي
محمد ... الحموي

وبهذه المناسبة أنشد الشاعر السوري محمد منذر لطفي حماه قصيدة يقول فيها عن لسان الجيش المغربي :

نحن كالشمس ضياء وخلود ولهيب فوق أبعاد الحدود
نحن جند «الحسن الثاني» الذي صهر «الشام» بآلاف الاسود
قد نشرنا ظلنا في كل ساح فاذا الكون ربيع وصباح
نفرش النور على درب الهدى والاعاصير على درب الكفاح
نحن جند «الحسن الثاني» الذي لبس العز دثارا ووشاح
من شذى «معتصم» نخوته هو للاسلام درع وجناح
ارخص الروح لارضاء الودود وتحدى الليل هدار الرعود
امة العرب اشهدي فالثأر دان نحن والنصر المعلى، توأمان
فافتحي عينيك للجيش الذي علم العاصف معنى العنفوان
وانظرى (عقبة)[6] في تجريدة تمطر الافق لهيبا ودخان
من ثرى «المغرب» لبت صرخة أطلقتها «القدس» في ليل الهوان
يا عروس المجد يا بنت الصدام نحن خشيناك من نبع الحمام
ورفعنا الحق صبحا ناصعا ونشرنا على الدنيا سلام
يعرف التاريخ من شيده نحن للتاريخ صدر ووسام
من ذرى «الاطلس» عدنا (طارقا) نعبر البحر، ونمضي للامام
سوف نعلي صرح «حطين» الجديد فاهتفي يا أمتي : هل من مزيد؟

تحية تجريدة الجولان

للشاعر المرحوم علال الفاسي

سيــــروا الى النصــــر إن النصر ينتظــر وكافحــوا دولــة الأعــــداء وابتــدروا
إن البطــولــة والإيمــان مــا اجتمــعــا إلا وتــم بهـــا للعــامــل الــوطـــر
عهــدي بجنـــد بلادي كلمــا اتجهت رايــاتــه ســار بالايمـــان يستعــر
حامـــي الحمى لا يمس الخصم ساحته إلا ويلحــقــه مــن صــده الخطـــر
جنــد العروبـــة والاســلام عــادتـــه قطـع الأعـادي إذا زاغوا وان قـدروا
فــكــم لــه من بطـــولات مسجلـــة يزهـــو بهـــا الدهـر والتاريخ يفتخر
مـــن عـــهد طـــارق والأيـــام شاهــدة بكـل فتــح بــه الأقطـــار تزدهــر
إن ســـار للشـــام تحـــدوه عقيدتــه فحــسبـــــه أنـــه باللــــه ينتصــر
وحسبـــه أنـــه لبـــى النـــداء وقـــد دعـــاه صـوت مـن الأعماق ينفجر
من مقـدس اللـــه من مسرى النبي ومـن قبــر المسيــح ومــا قــد بثــه عمـر
مـــن الخليـــل على الطغيان صيحته بكفـــه كتـــــل الاصنـــام تنتـــشـر
فـــي ثــــورة قهـــرت نمرود مستعرا بنـــــاره يعتريــــه الــهــــم والكــــدر
وهجـــرة لبنــــاء البيـــت مرتبطـــا بالقـــدس جــوهــر عقـد ليس ينتـثـر
مـــن العروبـــة فـي أعمـاق بذرتهـــا والنــــور منبثـــق منـهــا ومنـهـمـر
من فيض أحمد في كل الوجود وفي ملقــاه في القدس بالرســل الألى حضـرو
وحـــين أم بهـــم والعهــــد ملتــزم بـوحـــــدة الـــديـــن لا وزر ولا وزر
وحيـــن أعلـــن للإنســـان حرمتـــه وأنـــه عـــامــل للخيـــر مدخـــر
وأن مـــن زاغ لـــم تنفعـــه قوتـــه وســـوف يلحـــقـــه ردع ومزدجـــر
نـــداء تاريخنـــا الأسمى وما صنعت آثـاره في نفوس العرب ما اذكــروا
فـــلا غـــرابـــة أن لبتـــه أمتنـــا كمـــا استجـــاب صـلاح حوله زمـر
للـــه فتيـــة صدق في ضمـــائرهـــم لـــوح من المجـــد محفـــوظ ومنصهر
جنـــودنـــا الغـــر ما خاضـــوا بمعركـــة إلا وكـــان لهـــم من عزمهـــم ظفـر
حاشـــاهم ان يصيخـــوا صوت داعيـة يثبـــط العـــزم لاكـن عزمهم قـدر
إن كـــان صهيـــون يلقى في زعانفة جهـــازه الاجتمـــاعي وهـو معتـبـــر
أولائـــك العمــــلاء المختـــفـــون ورا عقـائــد استـــوردت وكلـــها خـور
إن أظهــــروها فما تخفى مصادرهـــا وكـــل غايـــاتـــهـــا تبدو إذا ستـــرو
غايـات تفرقـــة للعــرب كي يقفـــوا مجـــزئـــين. فـــلا رأي ولا بـــصـــر

المغرب لدى المعارك فيلق

للشاعر وجيه فهمي صلاح

شعب يغني والقلوب تصفق — ومسيرة الفتح المبين تحقق
والعيد كالصبح الوليد حلاوة — اضحى يسربله السنا والرونق
والعرش محفوف بوحدة صفنا — وجموعنا من حوله تتألف
وحبيبنا الحسن المثنى بيننا — بالبشر يغمر شعبه ويطوق
نشر السنا وبنى وصان ربوعنا — وهو المحب الصادق المترفق
ياثانى الحسنين ياحامي الحمى — بالعزم والايمان قلبك يخفق
ناديت للزحف الرشيد فأينعت — أغصان جهدك تستفيض وتغدق
الرمل اورق في العيون مرحبا — ووجوه شعبك بالبشاشة تنطق
والناس حولك أمة لا تنثني — بكتاب رب العالمين تحلق
قد أشرق الاسلام في ارواحها — منذ فجره وبك الرسالة تشرق
مادمت باسم الله قمت مجاهدا — فلأنت ياسبط الرسول موفق
كل المعارك للمسيرة تنحني — قد ساد بالرأي السديد المنطق
الرأي قبل البأس يومض برقه — هو أول والبأس غيث يلحق
بالرأي عاد الرمل موفور المنى — وغدا بغيثك كل شبر يورق
تلقى به الدنيا شهامة والد — عرف المحيط جميله والمشرق
فهناك في الجولان أثمر غرسكم — وعلى ربى سيناء ذكرك يعبق
قد أكبرت ارض الكنانة جندنا — ومضت تغني للاطالس جلق
حيث مليكا ماجدا نظراته — وضاحة كالحق دوما تصدق
سبق الطلائع للبطولة جيشه — ومضى على أرض العروبة يغدق
جيش تحلى بالشجاعة والوفا — والمغربي لدى المعارك فيلق
قد عاد بالحب الكبير مرشحا — من غير جيشك، بالمحبة أخلق
الترك قد وقفوا على أعتابنا — وترابنا تبر يعز ويعشق
ماردهم الا أشاوسنا الالي — صبغوا الكرامة بالدماء واغلقوا
نحن الاباة ولن تلين قناتنا — أسيافنا ابدا تجول وتبرق
العفة الشماء طبع جنودنا — لكنهم في الحرب نار تحرق
والبأس والاقدام إبان الوغى — سر يهز المغربي فيصعق

سل تل أبيب وقد رأت فرساننا ... موجا يهيج ويستفيض فيغرق

يوم العدا فروا أمام كماتنا ... متلاحقين كما يفر الزئبق

هانت معاقلهم وذل سلاحهم ... لما استوى «فانتومهم» والبيدق

عرفت ضراوة جيشنا وصموده ... متشامخا كالطور بل هو أشهق

السلم قبلته لكل مسالم ... واذا استفز فانه لا يرفق

قل للذين طغت بهم شهواتهم ... أفق التمادي بالضلالة ضيق

عمر الطغاة على أصابع كفهم ... مهما اعدوا للوغى وتمشدقوا

الجاحدين حقوقنا بترابنا ... الحاقدين وكل حقد يحرق

يا مشعلا نار الحروب وقاطعا ... سبل المودة عد لرشدك أليق

لا توقد العدوان ان بحورنا ... تطفى لهيب المعتدين وتغرق

لو حالفتك الجن نحن نذلها ... فينا سليمان الحكيم ينسق

- التجريدة المغربية الاولى بزايير (الكونكو سابقا)

توجهت تجريدة مغربية مؤلفة من 1300 رجل بعتادها ومعداتها على متن طائرات فرنسية الى الجمهورية الزايبرية في أوائل أبريل من سنة 1977 لتساعدها على المحافظة على تحرير إقليمها شابا (كاتنكا سابقا) الذي هاجمه مرتزقة كويبون انطلاقا من أنكولا. وقد عملت هذه التجريدة في زايير بقيادة الكولونيل عبد القادر لوباريس بمساعدة الكولونيل عبد الواحد (قائد العمليات العسكرية). وأول ما قامت به قواتنا هو استرداد مدينة "كلويزي" المعدنية من المعتدين وبعدها مع القوات الزايبرية مدينة كابنغا ومدينة موتشاتشا وذلك بعد تحصينات عسكرية واشتباكات عنيفة فر على إثرها المرتزقة الى ماوراء الحدود الزايبرية تاركين معداتهم الحربية غنيمة في أيدي جنودنا. وبعد ذلك استولى جنودنا على مدينة "كانيكوزا" و "فانكوفا". وقد كبدت القوات المغربية خلال هذه المعارك -القوات الغازية- خسائر فادحة في الارواح والعتاد واستحوذت على أعداد هامة من مدفعية «المورتي» "8" والصواريخ "سام" الروسية وقادفة لصواريخ 7 ذات الهدف القريب المستعملة ضد الدبابات والطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض. وتميزت هذه المعارك أيضا بمشاركة متطوعين زايريين كانوا يستعملون النبال السامة التي تؤدي الى موت محقق.

وبعدما استرجعت قوتنا بلدة "كزاجي" التي تشكل ملتقى للطرق والسكك الحديدية و"دليلو" سقط بذلك أخر معقل للمرتزقة الغزاة وانتهت باحتلاله حرب اقليم شابا.

- التجريدية المغربية الثانية بزايير : وتوجهت تجريدة مغربية ثانية (1500 جندي، من بين صفوفها وحدة لقوات المذرعات) الى زايير بقيادة الكولونيل ماجور لوباريس على إثر النداء الذي وجهته منظمة الوحدة الافريقية لاعادة الأمن الى نصابه بعد اضطراب حبل السلامة من جديد (يونيه 1978) والدفاع بإزاء التجريدات الافريقية الاخرى عن وحدة القارة الافريقية. وقد عملت قواتنا في اطار قوات افريقية موحدة بقيادة ك.م. لوباريس. وكانت عودة هذه التجريدة الى المغرب بتاريخ في غشت 1979.

- الجيش المغربي بالجمهورية الموريتانية الاسلامية :

على اثر الاعتداآت الجزائرية وهجومات مرتزقة "البوليساريو" على موريتانيا بادر المغرب في إطار اتفاقية الدفاع المشترك - بإرسال 12000 من رجاله (ماي 1977) لينتشروا على امتداد الخط الحديدي الذي يصل بين نواديبو والزويرات قصد حمايته وحماية المناجم الحديدية وتعزيز خط الدفاع وليتمركز بعضهم في بير مغرين وأعجوت (لحماية منجم النحاس) وببولنوار قرب ميناء نواديبو لتعزيز القوات العسكرية المورتيانية. وكانت هذه الوحدات العسكرية المغربية مسلحة بعتاد حربي هام.

وبعدما أوقفت موريتانيا العمل باتفاق الدفاع المشترك بدأت الجيوش المغربية في مغادة التراب الموريتاني (غشت - شتنبر 1979).

- الجيش المغربي في افريقيا الاستوائية : لما وقع انقلاب في افريقيا الاستيوائية في

شهر ستنبر 1979 وأطيح بدكتاتورها بعث المغرب بطلب من هذه البلاد بفرقة من القوات المسلحة الملكية لتشارك في المحافظة على استثبات الأمن. وقد قامت هذه الفرقة بواجبها خير قيام وتركت أثرا محمودا في أوساط السكان.

- **الجيش المغربي في منطقة الخليج :** توجهت تجريدة مغربية من القوات المسلحة الملكية (1300 نفر) بآلياتهم الى المملكة العربية السعودية في شهر غشت من سنة 1990 لمساندة القوات السعودية بجانب قوات عربية واسلامية أخرى ضد أي عدوان خارجي بعد أن ضمت العراق الكويت الى ترابها (ظلما وعدوانا). كما توجهت تجريدة مغربية أخرى (حوالي الألف) الى دولة الامارات العربية المتحدة لنفس الغاية(7).

وقد أشاد العميد الركن محمد عبد الله الشهيري قائد قوات الامداد والتموين بالمنطقة الشمالية بالمملكة العربية السعودية بكفاءة وانضباط أفراد التجريدة المغربية التي كانت مرابطة بالمنطقة وانتقلت في الآونة الاخيرة الى الجهة الشرقية.

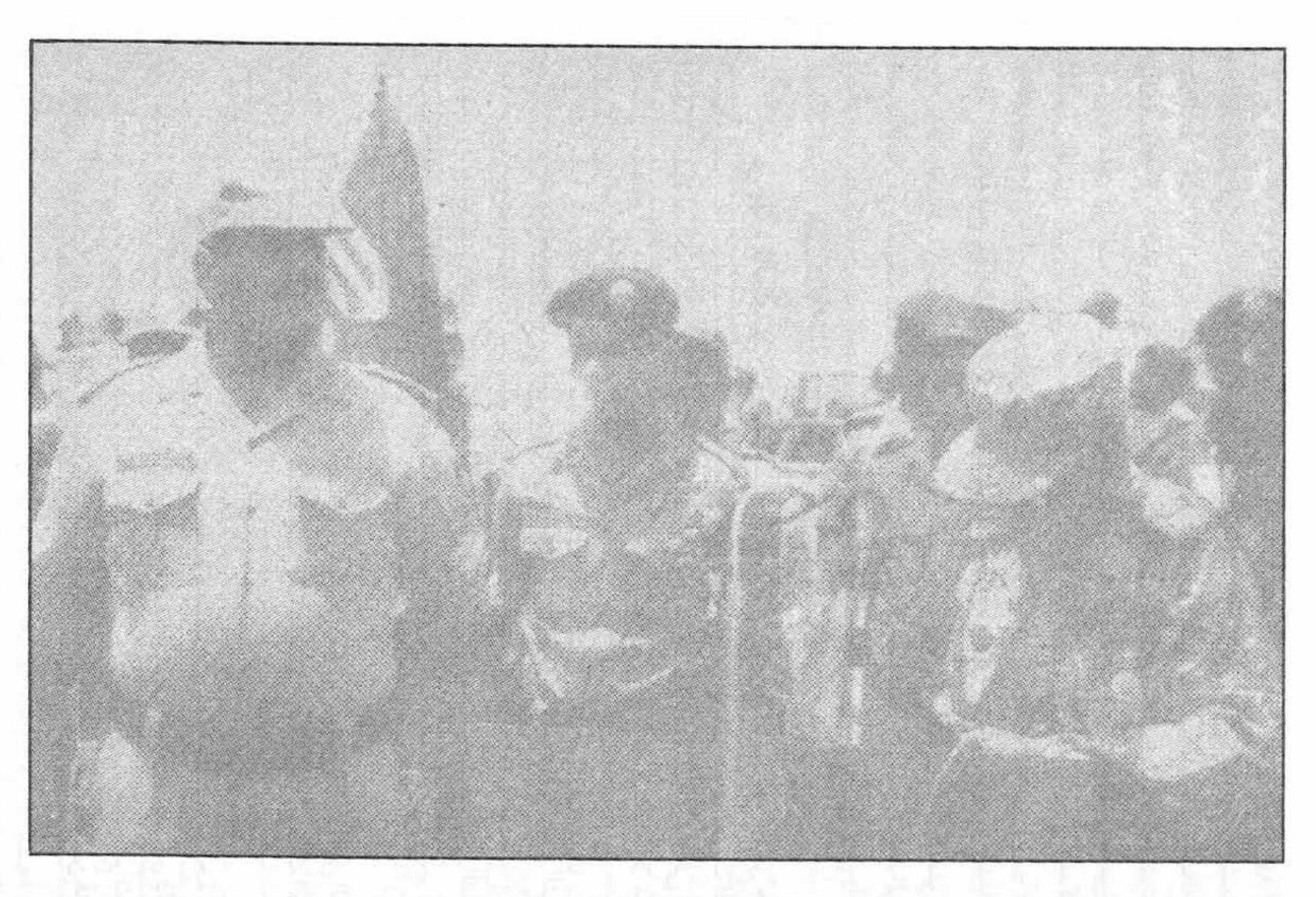
وقال العميد الركن الشهيري في تصريح للوفد الصحفي المغربي الذي قام بزيارة للمواقع الأمامية للقوات السعودية والعربية بالمنطقة الشمالية رفقة وفد صحفي سعودي وأمريكي، إن افراد القوات المسلحة الملكية المرابطين بالأراضي السعودية للدفاع عنها الى جانب قوات عربية اخرى وأجنبية «لهم خبرة كبيرة وأفادونا بالشيء الكثير وهم جاؤوا الى هنا بدافع روح الاخوة والمحبة». وأضاف «اننا لا نحس انهم قوة اجنبية بل إنهم اخوة لنا والواقع انهم جد متمرسين ولهم خبرة في الميدان. وبحق أن نطلق عليهم «أسود الصحراء» فهم يتمتعون بروح قتالية مثالية وبمعنويات جد مرتفعة. (شتنبر 1990).

ولما وضعت حرب الخليج أوزارها زار الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي التجريدة المغربية (10-3-1991) ومما جاء في كلمته التي ألقاها أمامها قوله :

> **« ان هذه القوة المسلحة العربية هي اول قوة لبت النداء بل اول قوة وصلت الى المملكة العربية السعودية لمناصرة الحق ورفع الباطل...**
>
> **لقد قمتم بالواجب كاملا غير منقوص وقد رايت فيكم العزة والرجولة التي هي لكم ومنكم...**
>
> **اقدر لكم هذا الموقف العظيم الذي انتم اهل له... »**

وعندما زار الأمير خالد بن سلطان «قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات بالسعودية» -أثناء حرب الخليج- المغرب صرح قائلا : "انني أعتبر نفسي أحد قادة الملك الحسن الثاني أتيت لتقديم تقرير عن مستوى وكفاءة القوة المغربية التي كانت مثالا الانضباط والاستعداد القتالي والتي يحق تسميتها "بخبراء حرب الصحراء».

وعند توديع القوات المغربية وشح الأمير السعودي صدر قائد التجريدة المغربية الكولونيل أحمد بنياس بالدرجة الثالثة من وسام الملك عبد العزيز.



الفريق الركن خالد بن سلطان يستمع إلى كلمة قائد القوات المغربية المشاركة في قوات التحالف الدولية الكولونيل أحمد بنياس

وقد نوه الفريق الركن خالد بن سلطان قائد «القوات المشتركة ومسرح العمليات» بالدور الذي قامت به القوات المغربية التي شاركت في عملية «عاصفة الصحراء» يوم 27 ماي 1991. وقال في حفل توديع القوات المغربية الذي أقيم في ساحة مطار ميناء رأس مشعاب في شمال شرق المملكة العربية السعودية وحضره قائد المنطقة الشرقية العسكرية اللواء صالح المحيا والعقيد الركن أحمد بنياس قائد القوات المغربية بالمملكة العربية السعودية : «حضرنا اليكم اليوم حاملين كل الشكر والعرفان من المملكة قادة وشعبا مقدرين التأييد والمساندة من العاهل المغربي الملك الحسن الثاني صاحب القرارات الصائبة دائما والتي بها كان تواجدكم معنا ووقوفكم بجانبنا في خندق واحد نواجه المخاطر ونؤمن أرض المقدسات ونحمي الأبرياء فكنتم مثالا للجندية المغربية مظهرا وسلوكا وعملا فأحبكم الجميع ونلتم احترام الاشقاء الاصدقاء».

وأضاف في كلمته لأفراد القوة المغربية : «اننا نودعكم سائلين المولى العلي القدير العودة لدياركم وأهليكم سالمين مبلغين تحياتنا وتقديرنا حكومة وشعبا وقوات مسلحة الى شعب وحكومة المملكة المغربية بقيادة جلالة الملك الحسن متمنين الأمن والأمان والرقي والازدهار للملكة المغربية الشقيقة»[8].

من جهته قال العقيد ركن احمد بنياس قائد القوات المغربية بالمملكة : «نحن جئنا الى المملكة العربية السعودية بأمر من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قائد القوات المسلحة الملكية نصرة للملكة العربية السعودية. وكيف لا نموت عن بلاد تربطنا بها الاخوة في العروبة وديننا الحنيف وكل ما قمنا به بجانب إخواننا السعوديين ما هو إلا واجب علينا ولا نستحق عليه أي شكر أو تكريم».

وأعرب العقيد بنياس عن سروره وإخوانه من أفراد القوات المغربية بالهدية التي تكرم بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وهي عبارة عن شاحنات ومعدات حربية. وقال اننا نثني عليه كثيرا ونسأل الله العلي القدير أن يوفقه في خدمة بلاده والدفاع عن الحرمين الشريفين. لقد قلدت بأمر منه بوسام الملك عبد العزيز وانه لاعتزاز لي وتقدير لبلادي وفخر للقوات المسلحة المكلية المغربية.

وفي الخطاب الملكي الذي وجهه صاحب الجلالة يوم فاتح فبراير 1991 الى الشعب المغربي حلل فيه جلالته الدواعي التي استدعت إرسال الجنود المغاربة الى المملكة العربية السعودية.

«من الواجب علينا، شعبي العزيز، أن نعلم جميعا أن وجود القوات المسلحة الملكية في المملكة العربية السعودية هو وجود ثنائي المعنى.. صادق المرمى ومنعدم العدوان ذلك لانه أتى تلقائيا مني ولم يكن للهجوم على آية دولة عربية أخرى ولم يكن إرسال هذه القوات آنداك ولا حتى الان داخلا في مخطط اشمل وعالمي حيث انه في ذلك الوقت لم يكن هناك اي مخطط...

ففي يوم 2 غشت قلنا كلمتنا واتخذنا موقفنا السياسي وبمجرد ما اتخذنا موقفنا بدون

طلب من أي واحد أرسلنا ضباطنا الجنرال عبد العزيز بناني قائد المنطقة الجنوبية والكولونيل ماجور بلحاج مدير مدرسة استكمال تكوين الأطر التابعة لوزارة الداخلية والحقنا بهما ملحقنا العسكري بالسعودية الكولونيل الوزاني واوفدناهم الى جلالة الملك فهد ليقولوا له : إن المغرب وملك المغرب وأخاك قبل كل شيء قرر إرسال تجريدة مغربية لتقف بجانبك. وهذه التجريدة رمزية اذ أن عددها لا يتجاوز 1300 رجل وليست قوة كبيرة. ولكن ليقف بجانبك حتى تتمكن من أن تدافع عن نفسك فيما إذا وقع هجوم عراقي...

إني لم أذهب كي أقول للعراق اخرج من الكويت بل ذهبت كي أقول للمملكة السعودية ها نحن معك فيما إذا هوجمت. ولا أدل على هذا من أن المملكة تفهمت هي الأولى موقفنا فلم تضع التجريدة المغربية على الحدود المباشرة بل وضعتها في المرحلة الأولى في مكان في شرق شمال المملكة السعودية يسمى حفر الباطن. وفي مرحلة ثانية اعطتنا موقعنا النهائي الذي نحن فيه اليوم وهو الصفانية الذي يبعد عن الحدود السعودية الكويتية بحوالي 55 أو 60 كلم حول اكبر مصفاة للبترول بالمملكة السعودية. والى حد الان لازال موقع الجيش هي موقعه ولازال الجيش المغربي يحصن نفسه بالجدارات...رغم قلة الوسائل ورغم المشاكل المادية بالنسبة للجيش التي يوجد فيها. فقد حملنا معنا أسلحتنا وهذا يدل كذلك على أننا خارجون نهائيا عن القيادة المشتركة للقوات الموجودة هناك. فلم نذهب بايدينا فارغة وقلنا لهم اعطونا السلاح. فحتى الأسلحة الفردية والجماعية حملناها معنا من هنا. لقد اخذنا بنادق ورشاشات كلاشنكوف والمدافع من عيار 14.5 والمدافع من عيار 23 ملم وكلها اسلحة سوفياتية الصنع. أما الأسلحة غير السوفياتية وغير التقليدية عندنا في الصحراء التي اخذناها معنا فتتمثل في الصواريخ المضادة للدبابات وليس المهاجمة للدبابات من نوع «تو» و «ميلان» وهي من صنع امريكي وفرنسي. أما بخصوص العربات فقد اخذنا معنا 197 سيارة من نوع «جيب» للقتال و 42 شاحنة صغيرة و 6 شاحنات خاصة. أما المملكة السعودية فقد اعطتنا فقط جزاها الله خيرا :

43 شاحنة للنقل - 6 سيارات للاتصال - 7 شاحنات لحمل الماء - 3 شاحنات لاصلاح الآليات، أما ما تبقى كله فقد حملناه معنا.

إذن لم نكن معولين على الدخول في اطار قوة دولية تقوم بتسليحنا. وبما أننا حملنا معنا هذا النوع من السلاح فمعنى ذلك أننا حملنا معنا قطع غياره وذخيرته. فذخيرة بنادق الكلاشنكوف ليست بالطبع هي الاخيرة. فبنادق ام 16 هي من عيار 5.56 أما الكلاشنكوف فهي من عيار 7.62. فـ «23 ملم او 14.5 ملم» هي سوفياتية من أسلحة حلف وارسو فهي ليست عند الولايات المتحدة او بريطانيا او فرنسا. إذن ذهبنا مستقلين على اساس اننا سنبقى مستقلين وبقينا مستقلين والدليل على هذا أنه الى حد الان ليس لنا اي اتصال سوى مع السكان وهذا ما اثار اعجاب سكان المملكة والقيادة السعودية بنا. اننا نطبخ بانفسنا والمواد الغذائية نأخذها من المتاجر هناك مباشرة. وخبزنا نقوم باعداده بانفسنا هناك. لانني اخذت من الجنود أحسن ما عندي في الصحراء الذين تدربوا على العيش بلا هواء مكيف مدة سنوات والذين تدربوا على الذهاب الى الحرب في كل الظروف. ويكون النفير في كل وقت سواء أكان

ليلا او نهارا. وبذلك تدربوا على إعداد خبزهم ذلك الخبز الذي ذقته وأكلت منه والذي اعتبره انا شخصيا من اطيب الخبز الذي اكلته في حياتي. فليس لهم وقت معروف للاكل والشرب. فقد تعلموا إعداد خبزهم بانفسهم وتعلموا طهي أكلهم وهناك اصبحوا رجالا لان المثل العامي عندنا يقول «اللي ما طيب عشاتو وصبن كساتو وكتب براتو موتو احسن من حياتو». فجنودنا ولله الحمد من ضباط وضباط صف وجنود يطبخون عشاءهم ويصبنون كسوتهم ويكتبون رسائلهم. ومنذ ذلك اليوم لم يكونوا في حاجة لا الى هذا او الى ذاك. فهم وحدهم في مكانهم في الصفانية على شط البحر في الخليج تفصلهم عن ساحة القتال حوالي 55 كليو مترا. لقد ذهبوا باسلحتهم وآلياتهم لاينتظرون شيئا من أحد ولم يذهبوا لاقتسام الغنيمة بل ذهبوا لبلد يحبنا ونحبه.

ورداً على الذين لا يعرفون شيئا عن :«مبتدأ ولا عن خبر» إرسال القوات المغربية الى ميدان حرب الخليج قال جلالته :

«فلهذا يجب علينا ان نعلم أنه حينما يكون الجيش المغربي خارج بلده في أي مكان كان وفي مهمة كيفما كانت لا أسمح ولن أسمح بأن ينتقد وجوده هناك لان ذلك الانتقاد يعد بمقتضى القانون كمس بمعنوية الجيش. وكنت أظن ان هذه الخرافة قد انتهت منذ سنة 1958. ففي تلك السنة عقدت حركة سياسية مؤتمرا في أكادير وذكرت الجيش في عهد والدنا رحمه الله. فما رايته غضبانا مثل ذلك اليوم. وقد أبلغهم سخطه وغضبه والان أقول انا لست بغاضب ولا ساخط ولكن ينبغي ألا نحيي جرحا اندمل. فقوات الامن كلها من درك وشرطة وقوات مساعدة وجيش في عنقي وفي ذمتي وهي في خدمة المغرب والمغاربة كلهم وليست تجارة يباع فيها ويشترى في الشارع بل هي أداة بناء وعمل وأمجاد.»

... ارجو ان يتعايش كما تعايش في الماضي العنصر المدني مع العنصر العسكري وعنصر الدرك وعنصر الامن وعنصر القوات المساعدة لاننا كلنا مغاربة وكلنا مدعوون الى أن نلبى نداءات الوطن وان نتجند في سبيل الوطن وأن نعطي أثمن ما عندنا وهو روحنا في سبيل الوطن...».

هذا وأمام العدد الضخم من الضحايا العراقيين الذين سقطوا من جراء القصف الجوي العشوائي في سماء العراق لطيران الدول المتحالفة في حرب الخليج بعثت المصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية بعشرات الأطنان من الأدوية والمواد الطبية الضرورية الى المستشفيات العراقية عن طريق الصليب الاحمر الدولي. كما بعث الهلال الاحمر المغربي أطنانا من المساعدات الى الهلال الأحمر العراقي.

الجيش المغرب في الصومال (دجنبر 1992)

- قرر المغرب أن يشارك فعليا في عملية إعادة الأمل : التي قررت الأمم المتحدة القيام بها في الصومال تطبيقا للقرار رقم 794 الصادر عن مجلس الأمن والقاضي بإرسال قوات أممية لتكمين وصول المساعدات الانسانية الى مستحقيها من الشعب الصومالي في

محنتة ضد المجاعة وضد هيمنة الثوار الذين عاثوا في الصومال فسادا من أجل السيطرة على البلاد.

وقد ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد منسق مكاتب ومصالح الاركان العامة للقوات المسلحة الملكية بالقصر الملكي بفاس جلسة عمل مع الضباط المؤطرين للتجريدة المغربية التي توجهت الى الصومال . (16 دجنبر 1992).

وقد أعطى صاحب الجلالة خلال هذه الجلسة توجيهاته السامية للضباط المؤطرين للتجريدة المغربية مبرزا أن مبادرة المغرب هذه تدخل في إطار سياسته الافريقية وتضامنه مع الشعوب العربية والاسلامية كما انها تنبثق من تجربته الطويلة في هذا المجال.

وأشار صاحب الجلالة الى أن تشكيلة هذه التجريدة التي تضم 1250 فردا تعكس الجانب الإنساني المحض الذي يميز المشاركة المغربية وأضاف جلالته انه ينبغي للتجريدة المغربية التي ستكون مستقلة بذاتها لمدة ثلاثة اشهر في تحركاتها وأسلحتها وهيكلتها وتموينها ووسائل اتصالاتها أن تبرهن عن الخصال الكبرى للقوات المسلحة الملكية التي تكمن في الانضباط ونكران الذات والدفاع عن الصالح العام ومثل السلام والتضامن والتعاون مع كافة الشعوب.

وأوضح صاحب الجلالة أن التجريدة المغربية تضم هيئتين طبيتين اجتماعيتين لهما اهمية خاصة. الأولى تابعة للمصالح الصحية للقوات المسلحة الملكية وتضم 50 من بينهم سبعة اطباء و 43 عنصرا طبيبا مساعدا وثلاثين مساعدة اجتماعية.

وتضم الهيئة الطبية الثانية 36 عنصرا من الصحة العمومية المدنية من بينهم 12 طبيبا سيتوفرون على تجهيزات طبية ملائمة لطبيعة مهمتهم الإنسانية كما تملك مستشفى متنقلا يضم عدة اختصاصيين في مجال التغذية والوقاية الغذائية وطب الأطفال وهو ما يعكس بجلاء حرص المغرب على تقديم مساهمة فعالة ومثمرة وسريعة في إطار عملية إعادة الأمل في الصومال لسكانه الذين يعانون من الجفاف والمجاعة والأوبئة وأهوال الحرب الاهلية.

وهذه لائحة أسماء الضباط المؤطرين للتجريدة :

- الكولونيل ماجو عمر الصقلي قائد التجريدة - الكولونيل عبد الله بناموس قائد الفيلق - الطبيب الكولونيل علال فرج رئيس البعثة الطبية العسكرية - الرائد محمد جرون ضابط مكلف بعملية التنسيق - الرائد جامع انفلوس ضابط بقيادة التجريدة - الدكتورة حليمة ميري طبيبة من وزارة الصحة العمومية - النقيبة فدوى بناني رئيسة فصيلة المصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية.

وعبر الجنرال الأمريكي روبير جونسون قائد عملية "إعادة الأمل" في الصومال بمقديشيو عن سروره العميق بوصول واستعداد القوات المسلحة الملكية للمشاركة في مهمة جد هامة، وعن ارتياحه لوجود التجريدة المغربية الى جانب القوات الأمريكية مبرزا بأن القوات المسلحة الملكية تعرف ببسالتها وتأهلها، وبأن جنودها جنود أكفاء،.

وأكد الجنرال سيفيك بير قائد قوات منظمة الامم المتحدة في الصومال في موقديشيو ان «التجريدة المغربية المرابطة في الصومال نجحت في خلق جو يسوده الاطمئنان» في قطاع بال دوغل الذي أصبح خاضعا لمراقبة التجريدة المغربية.

وأكد الجنرال بير عقب زيارة قام بها رفقة نائبه الجنرال طوماس مونتغو ميري لقطاع بالي دوغلي الذي يقع على بعد 90 كيلومتر شمال مقديشيو وللمستشفى المغربي بمقديشيو ان اعضاء التجريدة المغربية بالإضافة الى إسهامهم في تمكين المنظمات الانسانية من القيام بعمليات الإنقاذ فانهم يقدمون بدورهم إعانات انسانية. وقال في هذا الصدد «لقد شهدنا في الاماكن التي زرناها اليوم المعنى الحقيقي للعمل الانساني».. وعبر المسؤول الاممي بهذه المناسبة عن «تهانئه لقائد التجريدة المغربية ولكل امراة ورجل مدني وعسكري على الخدمات التي قدموها ويواصلون تقديمها». وقال في هذا الصدد «اننا جد فخورين بهم».

ومن جهته صرح الجنرال «طوماس مونتغوميري» اننا جد مدينين لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وللشعب المغربي لإرسالهم هؤلاء الجنود الى الصومال لاعانتنا في مواجهة المشاكل العديدة التي تعترضنا».

وأضاف «لقد تمكنا اليوم من التأكد أن الجنود المغاربة يقومون بعملهم على أحسن ما يرام ورأينا أن المستشفى المغربي يقوم بأعمال جد متميزة لإعانة السكان المحرومين في الصومال «مشيرا الى ان العمل الذي تقوم به التجريدة المغربية يعتبر جد هام وأن العالم كله يتتبع باهتمام هذا العمل وسيطلع على نتائجه». واستمع الضابطان الساميان الاميان خلال زيارتهما لقطاع بال دوغل الذي يمتد على مساحة تبلغ 15 الف كيلو متر الى عرض قدمه العقيد عبد الله بنماموس قائد فرقة المشاة المرابطة في هذا القطاع الذي تمت تجزئته الى قطاعات يشرف على قيادتهما اربعة ضباط من القوات المسلحة الملكية برتبة قبطان.

وقد شاء القدر أن يستشهد في هجوم مشترك مع القوات الفرنسية - ضمن القوات الأممية - على مقر للثوار الصوماليين الكولونيل عبد الله بنماموس وأربعة من الجنود المغاربة، ويصاب بجروح متفاوتة ما يقرب من أربعين جنديا مغربيا في منتصف شهر يونيه 1993. (كما حصدت من قبل رصاصة قناص صومالي جنديا مغربيا برتبة "رقيب").

ذلك انه قامت عناصر مسلحة تابعة للرابطة الوطنية الصومالية التي تضم أنصار «عيديد» وآخرين باحتلال بنايات يقطنها مدنيون وكذلك أحد المستشفيات وعمدوا بعد ذلك إلى اطلاق وابل من الرصاص.

وكان إحجام العقيد المغربي بن ماموس قائد العملية عن الرد بالمثل على الميليشيات المسلحة حفاظا على أرواح المدنيين الصوماليين من أسباب ارتفاع عدد الجرحى والضحايا المغاربة ومن بينهم العقيد نفسه الذي اجمع أعضاء قيادة قوة الامم المتحدة على الاشادة بشجاعته وروح التضحية التي برهن عليها. ومن بين الذين أشادوا به الجنرال سيفيك دير الذي توجه الى مستشفى المغرب بمقديشو حيث زار القبعات الزرق المغاربة الذين يوجدون في

المستشفى والذين تعد إصابات أغلبيتهم خفيفة.

وإثر سقوط المرحوم العقيد بن ماموس شهيدا بعد ان اصيب برصاصة قاتلة في صدره قامت القوات المغربية بالرد الملائم وتمكنت من السيطرة على الميليشيات المسلحة واخماد مصادر اطلاق النار المعادية. وعند انتهاء العملية تمكن افراد القوات المغربية الذين ينتمون لفرقة التدخل المحمولة التي كانت قد قامت قبل ذلك بتطهير منطقة بالي دوغلي من السيطرة على المنطقة مسرح العملية والتي تعد مقرا رئيسيا للجنرال "عيديد" وأسرت أكثر من مائة شخص من عناصر المليشيات المسلحة الصومالية. وصادرت القوات المغربية كميات كبيرة من الأسلحة وسلمتها الى قيادة قوة الامم المتحدة (يونيه 1993).

وقد جرى بالقاعدة العسكرية الجوية بسلا يوم 21 يونيه 1993 حفل ترحم على أرواح شهداء الصومال برئاسة صاحب السمو الملكي ولي العهد ومنسق مكاتب ومصالح القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية الذي وضع على نعوشهم الميدالية العسكرية وقد وجه جلالة الملك رسالة تنويه الى أرواح هؤلاء الشهداء جاء فيها :

وإن استشهاد هؤلاء الأبطال الأعزاء. وهم يقومون بواجبهم الانساني العظيم في ظروف صعبة، متمسكين بشعار قواتنا المسلحة البطلة «الله، الوطن، الملك» ما هو إلا ثمن تؤديه بلادنا وشعبنا المجبول على التضحية والفداء في سبيل ما نالته بلادنا من أجر من الله، ومن سمعة طيبة وذكر حسن بين الأمم والشعوب. وقضى الله ان تسقطوا في ساحة الشرف شهداء مكرمين، وتلتحقوا بقائمة اخوانكم شهداء سيناء والجولان والزايير».

وأشاد الامين العام للأمم المتحدة السيد بطرس غالي إشادة خاصة بالشجاعة وروح التفاني اللتين يعز نظيرهما واللتين أبان عنهما الجنود المغاربة في الصومال. وأوضح الامين العام للأمم المتحدة في تقرير وجهه الى مجلس الأمن ونشر طبقا لقرار المجلس بخصوص العمليات التي قامت بها قوات الأمم المتحدة في الصومال ضد المقر العام لقيادة الجنرال محمد فرح عيديد جنوب مقديشيو أنه في حالة واحدة على الأقل ألقى مدنيون غير مسلحين قنابل يدوية في اتجاه القوات المغربية التي امتنعت عن اطلاق النار. وفي نفس الوقت اطلقت عصابات مسلحة النار من اتجاهات مختلف. وأكد بطرس غالي أن القوات المغربية التي كانت أقل عددا قاومت بشجاعة نادرة مبرزا أن قائد الكتيبة استمر في قيادة عملية الدفاع عن وحدته المحاصرة بالرغم من الجروح البليغة التي أصيب بها الى ان سقط شهيدا في ساحة الشرف.

وكلف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية قائد التجريدة المغربية بالصومال الكولونيل ماجور عمر الصقلي إبلاغ الضباط وضباط الصف والجنود وكذا الموظفين المدنيين اعضاء البعثة الطبية الذين يكونون التجريدة المغربية بالصومال العطف السامي والرضى الأبوي لصاحب الجلالة على المهمة الانسانية التي يقومون بها بتفان ضمن قوات الامم المتحدة لفائدة السكان الصوماليين. (1342 جندي مغربي من القبعات الزرق يشاركون في عملية (يونيصوم 2) تحت راية الامم المتحدة).

ونظم المستشفى المغربي الذي أقامته تجريدة القوات المسلحة الملكية المغربية العاملة ضمن عملية قوات الامم المتحدة في الصومال يوم السبت 4 شتنبر 1993 يوم «أبواب مفتوحة» بمناسبة بلوغ عدد المواطنين الصوماليين الذين قدم لهم علاجات الـ 100000 وكانت اخرهم امرأة شابة تبلغ من العمر 18 سنة تدعى فاطمة حسن غوليد وضعت طفلة سميت "فارجيو" بعد أن اجريت لها عملية قصرية.

- وهكذا تمكنت قوات التجريدة المغربية من اعادة السلم والاستقرار الى قطاع «بالي دوغلي» مما استحقت عليه كل تقدير وشكلت مثالا يحتذى به في اطار عملية عودة الأمل الى الصومال بالمنطقة وخاصة بعد أن تم القضاء على عصابات النهب والعدوان، وتنظيم لقاءات بين ممثلي مختلف القبائل لتشكيل مجالس محلية، واعادة تشكيل شرطة محلية مكونة من 150 فردا للمشاركة في تنظيم الدوريات الأمنية.

كما تحملت قوات التجريدة المغربية مسؤولية حماية القاعدة الجوية التي توجد بها نحو 20 طائرة مروحية تابعة للامم المتحدة، وخفر المنظمات التي تقوم بحملات توزيع المواد الغذائية والأسمدة وإصلاح أبار المياه.

وقامت القوات المغربية بالتمركز في منطقة "ماركة" بعد انسحاب القوات الباكستانية منها في اطار عملية الامم المتحدة او "منصوم II" كما تدعى.

وأخيرا عادت التجريدة المغربية الى أرض الوطن بعد أن أدت مهمتها الانسانية مدة ستة عشر شهرا (دجنبر 92- أبريل 94)[9]

- الجيش المغربي في البوسنة والهرسك

بعث المغرب ألفا ومائتين (1200) جندي للمشاركة في القوات الدولية المكلفة بالسهر على تطبيق اتفاقية السلام (إيفور) بجمهورية البوسنة والهرسك بقيادة الكولونيل محمد الزاوية (مارس 1996) و ذلك استجابة للواجب الإسلامي والدولي بعد أن عانى المسلمون اليوغسلافيون من حرب الإبادة التي شنها عليهم بدون هوادة خصومهم الصرب.

وقد استعرض صاحب السمو الملك الأمير سيدي محمد منسق مكاتب ومصالح القوات المسلحة الملكية أعضاء التجريدة المغربية بمدينة أكادير يوم 11 مارس 1996، وألقى فيهم كلمة بالمناسبة عبر فيها بأن تاريخ الأمم سيسجل بمداد الفخر والاعتزاز الملاحم الجديدة لمشاركتهم في إقرار السلام وتعزيزه بروح من نكران الذات والتضحية يعز نظيرها.

ويقول أحد الصحفيين الذي زار التجريدة المغربية وهي تقوم بعملها الإنساني حول العاصمة سراييفو وموستار :

تعتبر التجريدة المغربية المرابطة بالبوسنة في اطار قوات السلام متعددة الجنسية بالبوسنة «ايفور» حجر الزاوية ضمن الوحدات المرابطة بالمنطقة الجنوبية الشرقية للبلاد لكونها تخضع مباشرة للجنرال قائد هذا الموقع.

ويمثل ذلك امتيازا للتجريدة المغربية التي تتدخل في كامل تراب المنطقة بأمر من الجنرال قائد المنطقة على خلاف القوات الأخرى كالفرنسية على سبيل المثال التي تخضع لعدة تدرجات اذا ما ابتغت القيام بذلك.

ويتوفر المغاربة على محوري انتشار يتمثلان في سرايبفو وموستار المدينتين الرمزين بالبوسنة، فبسرايبفو تتموقع التجريدة المغربية التي يبلغ عدد أفرادها 918 فردا في جبل ايغمان الذي يطل على العاصمة البوسنية ومن ثمة جسامة المسؤولية الملقاة على القوات المغربية كما يرى ذلك المراقبون العسكريون على اعتبار انه انطلاقا من جبل ايغمان يمكن الدفاع عن سرايبفو وكذلك الدفاع عن المحور الاستراتيجي الذي يربط المدينة بالجنوب.

كما أن جبل ايغمان يكتسي أهمية بالغة بالنسبة لمنظمة حلف شمال الأطلسي حيث أن أي طرف من الأطراف الذي يحتل هذا الموقع الاستراتيجي سيكون من السهولة عليه السيطرة على سرايبفو ولعل أبرز دليل على ذلك سقوط جبل ايغمان في يد صرب البوسنة في خضم الحرب حيث باتت سرايبفو هدف قصف مكثف.

وتنتشر القوات المغربية المرابطة بجبل ايغمان في مناطق مختلفة بكل من فبليكو بولج وبابيندول و «موقع الفنادق» وهي المناطق التي احتضنت الألعاب الأولمبية الشتوية خلال سنة 1984.

وبصرف النظر عن المهمة العملية الموكلة إليها في هذه المنطقة تقوم التجريدة المغربية كذلك بتوفير الدعم اللوجيستيكي للقوات الفرنسية المنتشرة في جبل ايغمان وكذا بالنسبة للقوات البريطانية والأمريكية.

وتتمثل المهام الصعبة الأخرى الموكولة للتجريدة المغربية في مراقبة المحور الطريقي الذي يطلق عليه «ارك 2» وهو المحور الرئيسي لتقديم الدعم اللوجيستيكي لقوات الأمم المتحدة للسلام في البوسنة وتخص هذه المهمة كذلك مراقبة وضمان الأمن على هذا المحور الذي يمر عبر سرايبفو نحو ميناء بلوتش بكرواتيا والذي تتم مراقبته مرة كل أسبوع وذلك للبرهنة للعموم على وجود قوة رادعة في الميدان.

أما في موستار جنوب البوسنة فيتولى الجنود المغاربة المنتشرون في المنطقة والبالغ عددهم 385 فردا على الخصوص حماية مركز القيادة العامة للمنطقة الجنوبية الشرقية وكذا ضمان أمن مطار موستار اورتيج والقيام بأعمال المراقبة والدوريات داخل المدينة وفي محيطها.

ومن أجل القيام بمهامها الجسيمة على الأخص في المناطق الشائكة كهادزيشي وغورازدي وبازاريك وجابلانيكا وكونجيك أحسن قيام تتوفر التجريدة المغربية على تجهيزات فعالة كالعربات المصفحة من نوع «فاب» ذات الست عجلات والتي تعتبر من بين الآلات الأكثر تطورا ضمن العتاد الذي تتوفر عليه القوات المرابطة بالبوسنة.

بالإضافة إلى ذلك يعد الوجود المغربي في البوسنة محببا للغاية سواء في أوساط السكان المحليين أو القوات متعددة الجنسية المنتشرة بالمنطقة على الأخص الوحدات الفرنسية

والاسبانية كما تشهد على ذلك رسائل التقدير الموجهة إلى قائد التجريدة المغربية العقيد محمد الزاوية من طرف الجنرال قائد المنطقة الجنوبية الشرقية وقائد القوات الايفور الاميرال لايتون سميث.

غير أن أفضل شهادة عن بسالة القوات المغربية المرابطة بالبوسنة تظل بدون منازع الأمر اليومي الذي وجهه صاحب الجلالة لملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية إلى الضباط وضباط الصف والجنود بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس القوات المسلحة الملكية والذي ثمن فيه جلالته جهود التجريدة المغربية «التي تثير قدرتها الردعية ومدى استعدادها الكامل كل التقدير والاعجاب وتجسد المهمة المنوطة بها عامل تضامن وتفاهم ووئام الشعوب».

ووصف الطبيب العقيد ميشال صال رئيس الهيئة الطبية العسكرية الفرنسية بسرايبغو علاقات التعاون بين الوحدات الفرنسية والمغربية بكونها فعالة كما أشاد مبرزا وجود تعاون واسع بين كل من القوات الفرنسية والمغربية.

وقال العقيد صال «انني جد سعيد للعمل مع الجنود المغاربة وبكل صراحة أجد أن هذا التعاون مثمر ومتكامل نظرا للتفاهم الذي يربط في مابيننا» موضحا أن الصداقة المغربية الفرنسية راجعة كذلك إلى عنصر اللغة الفرنسية التي تسهل التفاهم بين أفراد الوحدات المغربية والفرنسية.

وتظل الوحدات المغربية التي تتمتع بمعنويات ممتازة في ارتباط متواصل مع الوطن الأم بفضل القناة الأولى للتلفزيون المغربي التي تلتقط في سرايبفو بواسطة الأقمار الاصطناعية[10].

هذا وقد كانت عودة الوحدة المغربية إلى أرض الوطن بعد إنهاء مهمتها الإنسانية في غشت 1996.

حيوا الكتائب

للشاعر المرحوم ادريس الجاي

حيوا الكتائب لا يشق غبارها * أبت العثار ولا يقال عثارها

حيوا البنود المشرعات رماحها * وعلا السحاب من النجوم شعارها

حيوا البنود الحمر هاب حفيفها * أعداؤها ويجلها أنصارها

حيوا الفوارس والصدور دروعها * وإباؤها يوم الوغى زنارها

وتروسها إيمانها، وطبولها * قصف الرعود وبأسها مزمارها

ومن الفتى المغوار كلل رأسه * من دوحة المجد المؤثل غارها ؟

ذاكم هو الحسن المجيد فخارنا * بطل الجيوش وحول مجرارها

ذاكم سليل الفاتحين وذالكم * مشاؤها بحارها طيارها

القائد الأعلا الجيش كلما * عمرك الليالي قصرت أعمارها

أبناء عقبة، والبلاد عرينكم * أجبالها وسهولها وبحارها

أبناء طارق والشهامة تد أبكم * حاشا الأعزة أن تضام ديارها

ان كان مغربنا حصونا منعت * فلأنتم من حولها أسوارها

يا جيشنا المغوار أعظم أن نرى * ان الديار حماتها أحرارها

قد صنت دار الأكرمين وجارها * وكذا الأكارم دار جار دارها

(ديوان : السوائح)

(1) ولد الجنرال الكتاني عام 1911 في برشيد باقليم الدار البيضاء وبعد أن تابع دراسته الابتدائية والثانوية في ثانوية مولاي يوسف دخل المدرسة العسكرية بمكناس حيث تخرج منها برتبة ملازم وبدأ حياته كضابط في فرنسا حيث شارك في الحرب العالمية الثانية وساهم بصفة خاصة في العمليات الحربية التي أدت إلى تحرير فرنسا وكورسيكا وقد نزل عام 1944 في مدينة طولون في فرنسا والتحق مع القوات المسلحة الفرنسية بمدينة مرسيليا حيث قام بدور هام في المعارك التي جرت هناك وقد أصيب بجروح، وعند ما شفي ساهم في تحرير منطقة الالزاس، وخلال هذه المعارك جرح من جديد وحصل على تنويه ورتبة كمندان.

وبعد انتهاء الحرب عاد إلى المغرب قبل أن يلتحق من جديد بفرنسا حيث دخل المدرسة العسكرية العليا وتخرج منها محرزا على شهادة اركان الحرب في التعليم العسكري العالي، وبعد ذلك الحق بالتفتيشية العامة للقوات المسلحة الفرنسية بالمانيا قبل أن يتابع الدروس في معهد الدراسات العليا العسكرية، واثر استقلال المغرب استدعى الجنرال الكتاني من طرف صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس للقدوم إلى المغرب ليكون إلى جانب صاحب السمو الملكي ولي العهد اذ ذاك جلالة الملك الحسن الثاني أثناء تأسيس وتنظيم القوات المسلحة الملكية.

وكان من شأن النجاح الذي خلفه الضابط الكتاني في مهامه أن رقي إلى رتبة جنرال في شهر نونبر 1956.

وأثناء ازمة الكونغو عين الجنرال الكتاني في سنة 1961 من طرف جلالة المغفور له محمد الخامس على رأس القوات المسلحة المغربية التي وضعتها بلادنا تحت تصرف الأمم المتحدة لتنضم إلى بقية قوات الأمم المتحدة التي أرسلت إلى الكونغو في عهد حكومة الرئيس باتريس لومومبا. والجنرال الكتاني محرز على عدة اوسمة عسكرية ومدنية وازيد من أربعين وساما أجنبيا، وكان يشغل من قبل منصب جنرال البلاط الملكي كما سبق له أن كان كاتبا للمجلس الأعلى للدفاع الوطني.

(2) قد سبق لقواتنا المسلحة أن توجهت الى الشرق الاوسط في يونيه 1967 لتشارك الجيوش العربية في معركة التحرير بقيادة الجنرال محمد الغرباوي ولكنها وصلت اثر حدوث الهزيمة العربية وقنبلة مطارات مصر من طرف الطيران الامريكي وبقيت ببنغازي بليبيا ثم عادت الى أرض الوطن.

(3) توجه جلالة الملك القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية بالخطاب الى هذه القوات قائلا (قبل مغادرتها لأرض الوطن) «أقول لكم إنكم ايها الجنود بكفاحكم هذا سوف تكونون مخلصين لشعاركم شعار الله والوطن والملك، الله : لانكم ستحاربون في سبيل بلد مقدس وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين، الوطن : لانكم سوف تحاربون لان كل وطن عربي هو وطن كل مواطن عربي، الملك : لانكم - ولي اليقين - سوف تجعلونني رافع الرأس مشرفا فخورا بسيرتكم واستشهادكم وشجاعتكم...

(4) لما سلم جلالة الملك علم التجريدة الى قائدها هذا خاطبهم قائلا : ايها المجاهدون إنكم ذاهبون الى أرض الكنانة الى مصر العزيزة للدفاع عن السلام وعن شرف الامة العربية. كنت أتمنى أن اكون معكم في الجبهة لأنعم بشرف الجهاد في سبيل الله...»

(5) عن «حرب رمضان» وعن التجريدتين المغربيتين بسوريا ومصر راجع كتاب : «من الزلاقة إلى الجولان" من إعداد محمد الطنجاوي (1974).

(6) يعني الشاعر :« بعقبة » : قائد التجريدة المغربية بالجبهة السورية. وقد لمح الشاعر بذلك الى الفاتح العظيم عقبة بن نافع. فقد خرج عقبة هذا من القيروان الى المغرب مارا بتلمسان والتقى بالروم والبربر «بتاهرت» وقاتلهم قتالا شديدا. ثم سار حتى «نزل على طنجة» وتقدم نحو قصر فرعون (وليلي) واحتلها ثم الأطلس فقاوم المصامدة في حروب عنيفة وعرج على الحوز ودخل مدينة تفيس ثم درعة وسوس الاقصى وقاتل ملثمي صنهاجة، ثم وصل الى «ماليان» (ولعلها آسفي أو أكادير) ورأى البحر المحيط فأدخل قوائم فرسه فيه وقال رافعا يديه، «يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك.. اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك». ثم رجع الى القيروان وبنى بها مسجدا يعرف باسمه. وقصد «تهودة» ودارت بينه وبين كسيلة معركة صاخبة إستشهد فيها سنة 683 هـ. هذا هو عقبة "الرجل الذي قيض الله له أن يفتح المغرب الاقصى وينار لقرطاجة من روما بعد ألف سنة، الرجل الذي اختط القيروان حاضرة الفتح العربي في المغرب والذي مهد لتثبيت الفتح عقودا لا يخرج عن كونه عمليات فر وكروجس نبض، الرجل الذي كان من أقداره أن يقص الجناح الغربي للامبراطورية البنزطية بعد أن كان جناحها الشرقي قد هيض. ولا عجب فعقبة هو ابن خالة عمر ابن العاص داهية العرب وقائدهم الماهر الفطن".

(7) يوجد فريق من الجنود والجندرمة المغاربة بدولة الامارات العربية المتحدة منذ سنة 1986 وذلك في اطار التعاون العسكري بين البلدين.

(8) قال خالد بن سلطان بن عبد العزيز قائد «القوات المشتركة ومسرح العمليات» في مذكراته عن حرب : «عاصمة الصحراء»: «مقاتل من الصحراء (ص 300-301) عن دور القوات المسلحة الملكية في هذه الحرب "بعد وصول القوات المغربية إلى المملكة كانت أول رسالة تلقيتها من قائدها (العقيد أحمد بنياس) : نحن تحت قيادتك، جاهزون لتنفيذ أوامرك... والتعليمات الصادرة إلي أن الأمر يرجع إليك في تقدير أي مهمة تعهد بها إلينا. وتقديرا مني لثقتهم آثرت أن لاأوكل لهم مهمة تضر مصالح بلادهم أو تحرج قائدهم جلالة الملك الحسن الثاني... الذي أكن لجلالته كل التقدير والاعجاب إذ سعى منذ بداية الأزمة إلى التوسط لحل النزاع بين العراق والكويت... رأيت من واجبي تجنب وضع القوات المغربية في موقف قد يكون سببا في إحراجه... قررت نشر بعض القوات في المواقع الدفاعية نفسها التي كانت تتمركز فيها القوات المهاجمة فاشترك المغاربة بذلك في خطة درع الصحراء بشكل كامل، وكانوا على أتم استعداد للرد. إذ حاول العراقيون مهاجمة مواقعهم. ولكن لم أشأ أن أقحمهم في أعمال هجومية في "عاصفة الصحراء".

(9) انظر تقريرا مفصلا عن عمليات التجريدة المغربية بالصومال بمجلة "Maroc Hebdo" المؤرخة بـ 1-7 أبريل 1994.

(10) مراسلة من وكالة المغرب العربي للأنباء.

القوات المسلحة الملكية تخوض حرب الصحراء المغربية

بعد أن حققت المسيرة الخضراء المظفرة أهدافها الموجودة دخلت قواتنا المسلحة الملكية الى اقليمنا الصحراوي المسترجع من يد الاسبان واحتلت جميع الثكنات والمراكز العسكرية في اواخر شهر دجنبر من سنة 1975.

إلا أن جيران المغرب الحاقدين عليه لم يهدأ لهم بال من هذا الانتصار فتوغل جيشهم داخل التراب المغربي وتصدت لهم قواتنا المسلحة الملكية(1) وأردتهم على أعقابهم منهزمين وفارين الى غير رجعة، ذلك أنه دارت معركة صاخبة بين الجيشين المغربي والجزائري في **أمغالا** التي تبعد عن تندوف بـ 380 كلم (1976). وقد أسفرت المعركة عن خسائر جسيمة في صفوف الجيش الجزائري الذي ترك 200 من القتلى و 106 من الأسرى وعددا كبيرا من الأسلحة الثقيلة والخفيفة التي تتألف من صواريخ أرض جو من نوع سام 7 وصواريخ مضادة للدبابات وعدد من الشاحنات العسكرية وعدة بنادق ورشاشات و50.000 ليتر من البنزين...

وقد أعطت بذلك القوات المسلحة الملكية مثلا آخر لما عرف عنها من بسالة وشجاعة في الميدان ثم تقدمت الى **تفاريتي** فدخلتها دخول الظافرين والى **بير لحلو وكلتة زمور والمحبس** وبذلك أصبحت قواتنا تسيطر تماما على جميع النقط الاستراتيجية بالصحراء المغربية بعد انسحاب القوات الجزائرية منها مخلفة مجموعة كبيرة من الأسلحة والعتاد الحربي.

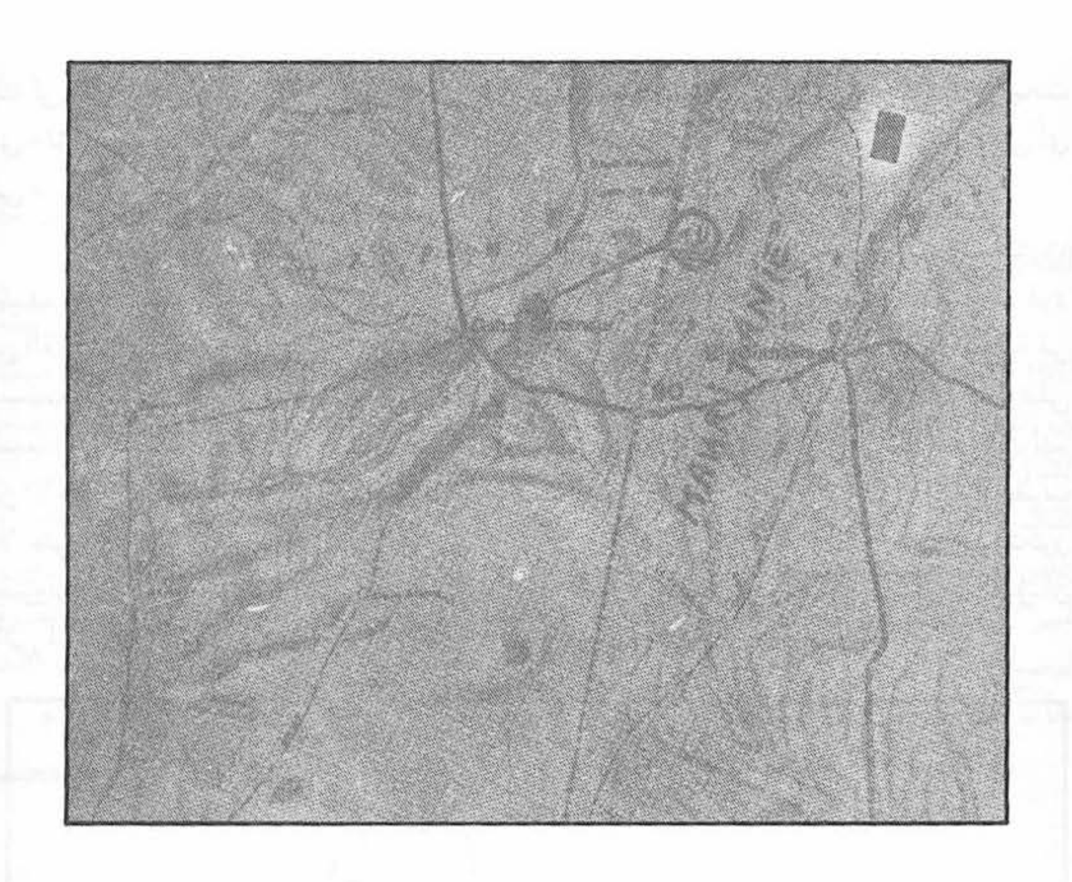
«ان القوات المسلحة الملكية - يقول قائدها الملهم - طلب منها الكثير في (استرجاع الصحراء) ولكن في آن واحد كان ذلك الكثير قليلا لأنها قادرة على أن تعطي أكثر مما أعطت، طلبنا منها الكثير لأننا طلبنا منها التضحية لمدة طويلة لمدة سنتين في ظروف قاسية ومناخ صعب وظروف سياسية كانت تجعلنا نطلب منها أن تقف موقف لا حرب ولا سلم ذلك الموقف الصعب جدا على كل جيش وكل قوة اللهم إلا إذا كان ذلك الجيش وتلك القوة تتمتع بالانضباط والطاعة والوعي الوطني والتفهم لقضايا البلاد»...

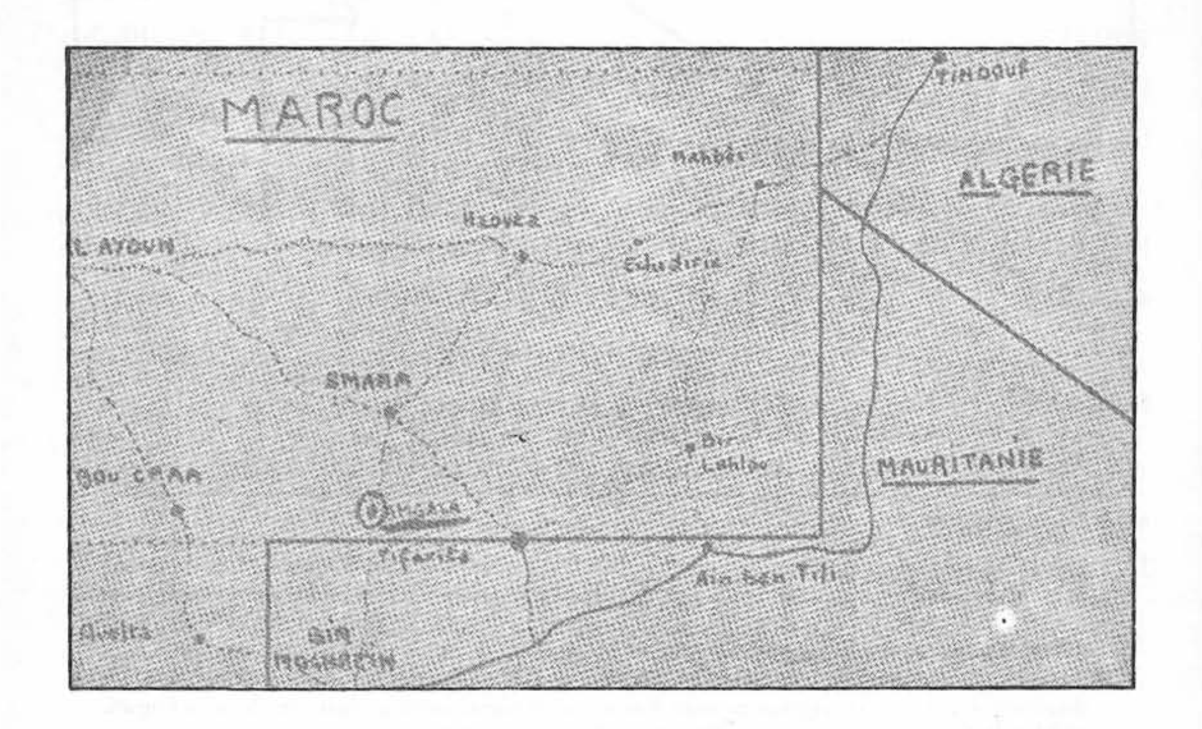
...«أقول لك شعبي العزيز إن أعمال العقلاء مصونة عن البعث وما قمت به من أعمال لا يمكن أن يعبث به بل يجب احترامه واكتنازه، فمسيرتك واستشهاد أبنائك في الصحراء وبطولة جنودك في الصحراء وأبنائك وإخوانك هي أعمال لا يمكن أن توصف بالعبث بل يجب أن تحاط بكل ما يجب من الاحترام والإجلال والإكبار وأنا هنا باسمك شعبي العزيز كملكك وكقائد أعلى للقوات المسلحة الملكية، أوجه لها ولاخواتها القوات المساعدة، وقوات الدرك، وقوات الشرطة. التنويه الصادر من أعماق الأفئدة والقلوب، التنويه والاجلال والاعظام، علما منا أنها تعاني وتقاسي من الطبيعة، بالحرارة في النهار وبالبرد في الليل، ومن الأعادي ما لا يسهل تحمله على أي حال.

وواجبنا نحن ان يحس بنا جنودنا وتحس بنا قواتنا إننا من ورائها ماديا ومعنويا



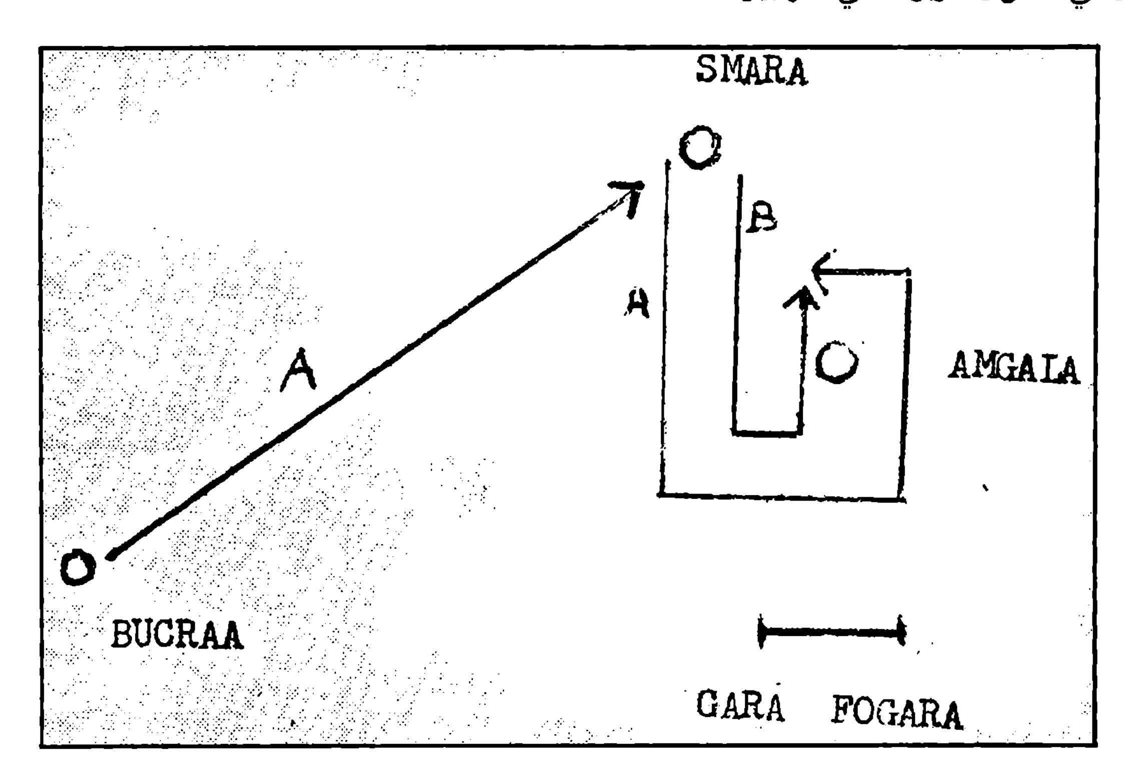
صاحب الجلالة القائد الأعلى محرر الصحراء المغربية




MAROC
TINDOUF
ALGERIE
SMARA
Bir
Lahlou
MAURITANIE
BOU CRAA
Tifariti
Ain ben Tili

وديبلوماسيا وفي الداخل، عليهم ان يعلموا أننا لن نساوم أبدا في صحرائنا. عليهم ان يعلموا أننا لن نتنازل عن قيد أنملة، لأنها ستكون أكبر خيانة أننا نتفاوض أو نساوم أناسا أو نبحث عن حلول غير مشروعة، وأولادنا وذوونا يموتون في وقت لا يعرفون فيه أنهم يموتون على أي شيء.

وعلى من يهمهم الأمر من الجيران ان يعلموا ان للصبر حدودا لا يمكن ان تتجاوز، عليهم ان يعلموا ان للكرامة مقاييس لا يمكن ان تداس ويعبث بها. إن كل جندي مغربي أو فرد من القوات المساعدة أو شرطي أو دركي يكتسي ويرتدي اللباس العسكري، إلا وهو قطعة من السيادة المغربية، وكل اعتداء على تلك القطع من قطع السيادة المغربية، هو اعتداء على السيادة المغربية، فحذار ان يحسبوا صبرنا عجزا او يعتقدوا أن تحملنا خوفا، لا، إنما أقول لهم من الأحسن أن نكف هذه التراهات، والأعمال الصبيانية، لأنها لن تعود بالخير لا على المغرب ولا على الجزائر، ولكن إن اقتضى الحال وجاءت في يوم ما لا قدر الله كارثة الحرب فستكون مسؤوليتها على المسؤولين الجزائريين وحدهم، لاننا نحن لا نذهب لمحاربة أحد، ولكن لا نقبل أن يأتي أناس يحاربوننا في قعر بيوتنا.



Déroulement de la bataille : une colonne appelée en renfort de Bucraa, arrive à Smara. De Samara partent deux colonnes parllèles direction plein Sud et passent à l'Ouest d'Amgala. Les Algériens pensent que nos troupes se dirigent vers la Mauritanie et les laissent passer sans réagir. Nos troupes font alors brusque demi-tour pour encercler Amgala. La colonne A passe par l'Est d'Amgala, la colonne B par l'Ouest. Amgala est prise en tenailles et les troupes ennemies sont pilonnées et pratiquement exterminées (200 morts, 106 prisonners, de nombreux blessés). Le deuxième jour l'artillerie algérienne tente d'intervenir et s'installe sur les hauteurs de Gara Fogara, en Mauritanie, mais notre aviation intervient et la réduit au silence.

نص الرسالة الملكية السامية التي وجهها
جلالة الملك إلى القوات المسلحة الملكية

«لقد أعلن في الجزائر العاصمة عن قيام «دولة» وهمية تدعى الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية وذلك يوم 27 فبراير 1976

وهذا العمل الأخرق الجديد، لا يثير في نفسنا أية دهشة، فابتداء من 25 دجنبر سنة 1975 كانت الحكومة الجزائرية قد لمحت الى اقتراب وقوع حدث ذي أهمية قصوى بتندوف فيما بين 25 و 30 دجنبر من السنة الماضية، وافترض الكثيرون أن حكومة صحراوية في المنفى سيتم إنشاؤها، غير أن افتراضهم قد خاب لأنهم لا يوجدون الآن أمام دولة صحراوية. ويزعم البعض أن أعلام «الدولة» الصحراوية الجديدة تخفق في جميع انحاء الساقية الحمراء ووادي الذهب، ونحن نعلم وانتم تعلمون ان لا أساس لذلك من الصحة وأنه محض افتراء فهذا الادعاء لم يبرز لحيز الوجود الا ليبث الشك والبلبلة لدى الراي العام الدولي، ومن دون ان نخفي عليكم خظورة الوضع، ومن دون ان نتجاوز الحدود في تهويل الأمر أمامكم بخصوص تطور ذلك الوضع، فقد عقدنا العزم على الدفاع بكل وسيلة ممكنة عن وحدة المملكة وضمان الأمن والهناء لشعبنا.»

الإمضاء : الحسن بن محمد

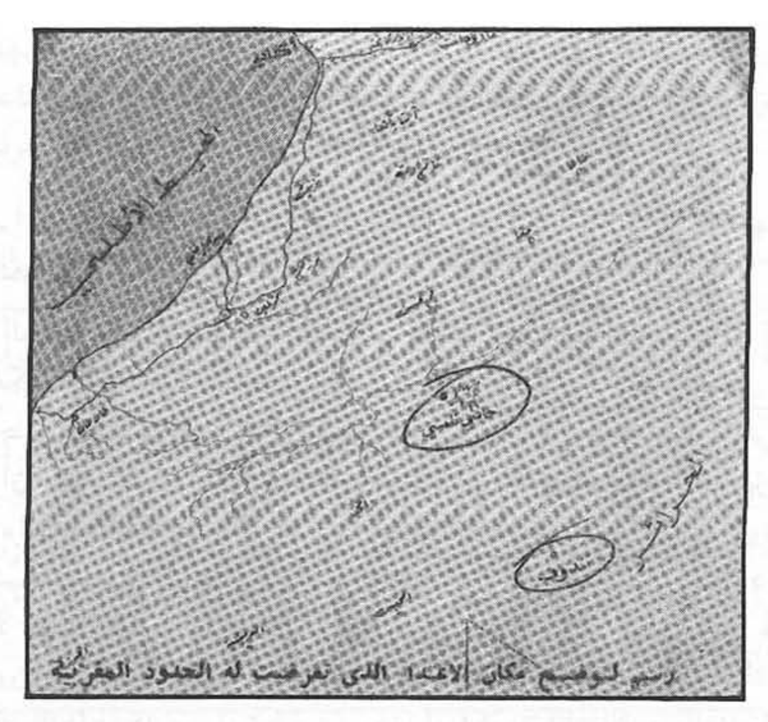
– وقامت القوات الجزائرية مرة اخرى باعتداء جديد على **حاسي تلمسي** يوم 29 ستنبر 1978. فقد تعرضت قافلة للتموين تابعة للقوات المسلحة الملكية لاعتداء قامت به القوات الجزائرية في المكان المسمى (حامي تلمسي)، الكائن غرب خط الطول 8.40 داخل الحدود المغربية على بعد خمسة عشرة وخمس كيلومترات...

وقد بدأ الاعتداء يوم الجمعة 29 شتنبر 1978 في الساعة الرابعة بعد الزوال واستمر الى الليل، وكانت القوات الجزائرية المعتدية مكونة من أربعين سيارة ما بين سيارات جيب وشاحنات عسكرية..

وتراجعت قوات المعتدين الى التراب الجزائري أمام الرد القوي الشجاع لقافلة التموين المغربية.

وانتهز المعتدون يوم السبت 30 شتنبر 1978 لتقوية صفهم وعادوا بتعزيزات تضم دبابات وسيارات مصفحة. وعندئذ وقعت معارك طيلة يوم الأحد ولم تتوقف إلا بعد صد القوات الجزائرية الى ماوراء الحدود..

اسفرت هذه المعارك عن عدد من القتلى والجرحى بين الجانبين.



رسم لتوضيح مكان الاعتداء الذي تعرضت له الحدود المغربية

– وبقيت الحرب سجالا في الصحراء المغربية بين الجيش المغربي وقوات المرتزقة الجزائرين المدربين والمؤطرين من طرف الضباط الجزائريين والكوبيين وألمانيين شرقيين ونيجريين في جميع المراكز العسكرية بالصحراء.

وكانت أيام لنا وأيام علينا طبقا لقانون المعارك والحروب.

– ففي 11 غشت 1979 دارت معركة حاسمة بين قواتنا المسلحة الملكية وجيش المرتزقة "البوليساريو" المسلحين من الجزائر وليبيا تدعى معركة **بير أنزران**. وكانت من أكبر معارك الصحراء تدخل فيها الطيران المغربي (T.6. F.V) حيث غار على قافلة من 500 جيب وسيارات مصفحة (B.R.D.M.) يمتطيها العدو الغازي. وكان تبادل إطلاق النار بين الفريقين بالمدافع والرشاشات (Panchard) قاسيا وحادا. واستشهد من المغاربة في يوم بدر بالذات 125 رجل بقيادة الكمندار "مزيرد" (الذي رقي إلى رتبة ل. كولونيل)، وترك العدو في بير أنزران وفي طريق انكساره ما يفوق 500 قتيل، زيادة على الخسائر في العتاد والذخيرة الحربية السوفياتية الصنع.

"وستظل – يقول جلالة الملك القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية – موقعة بير انزران في جبين الجيش الملكي والقوات المساعدة كتاج يدل على أن الجندي المغربي لا زال ذلك الجندي المغربي الذي له قيمته النضالية المعروفة في الشرق والغرب".

وبعد هذه المعركة بخمسة أيام دخل الجيش الملكي الى **إقليم وادي الذهب** التي تخلت عنه موريطانيا في 16 غشت 1979. وسميت عملية دخول جيشنا الى اقليم وادي الذهب وضمه الى أقاليم المملكة الاخرى «**بعملية بدر**».[2].

والحرب لا تفني الشعوب وانما
تفنى اذا لم تنجب الابطالا

للشاعر محمد الحلوي

عـادت لاهلهـا تجـرر ذيلـها(*) تيهـا وترفـع هامـها إجـلالا
كالفجـر مولدهـا تبشـر بالمنـى بسمـاتـه وتجـدد الآمـالا
كتمـت لواعـج حبها حتى طغـت أشواقهـا فتفجـرت شـلالا
وقفـت فاوقفت الزمـان وعلمـت أسـراه كيـف تحطـم الاغـلالا
ثـارت على من باعها في سوقـه بيـع الرقيـق وسامـهـا الإذلالا
يـادرة لـم يمتهنهـا باعـة يومـا ولم تعـرف لهـا دلالا!
حجبتـك عن أفـق البـلاد سحائب وتقشـعـت، فطلعـت فيه هـلالا
رقصـت صباياهـا وكبـر شيبهـا وشـدت مشاعـر حبهـا أزجـالا
وكأنمـا انشق الثـرى عـن أمـه بعثـت ليجمـع بعثهـا الأوصـالا
وكانمـا انفجـرت قلـوب لم تطق إخفـاء ماشقيـت بـه أجيـالا
ذكرتنـا ياأنـزران مـلاحـمـا حـمـرا وأيـامـا بهـن طـوالا
مـن ضـل عن وادي المخازن يلقنا في سـاح أنـوال وفـي أمغـالا!
جـاءوا يجرون الحديـد بجحفـل يمشـي الهوينـى شامخا مختـالا
فتجرعـوا كـأس المنـايـا مرة واستقبلـوا من جيشنـا أغـوالا
ولـوا فلـولا خلفـت اثقالهـا ومضـت يسابـق خطـوها الآجـالا
تركـوا ضحاياهم وجروا خلفهـم فوق الثرى -من عـارهم- اذيـالا!
مـا كـان أشأمه لقـاء زلزلـت فيـه طـلائـع شرهـم زلـزالا!
انـا قـلاع شامخـات لم تـزل تعـيي الخطـوب وتقهـر الأ هـوالا
وحـدودنا من يقتحـم أبوابهـا يلـق الحمـام مكشـرا جـوالا
والنعـل حاضـرة اذا عـادوا الى صحرائنـا ليكسـروا الاقفـالا
والحـرب لا تفني الشعـوب وإنمـا تفنـى اذا لم تنجـب الابطـالا
فمتـى يعود الى القلوب صفاؤهـا ويـعـود موردنـا الاجـاج زلالا؟
ومتـى نعيـد الى العروبة قدسهـا ونزيـح عنهـا الاسر والاغـلالا؟
ومتـى يعـود الى العشيرة عنتـر ويكـف عـن جيرانـه الأنـذالا؟

(*) يعني بها الشاعر "الداخلة"

رعاك الله من جيش عتيد

للشاعر محمد عبد الرحمن الدرجاوي

أزف مـــن الربـــاط الـى «انـــزران» قـــريـضـــا بالجلال وبالتـهـانـــي
إلـى أبطـالـنـا الأبـطـال حـقـا حمـاة المجـد فـي بلـــد مصان
ابـــاة الـضـيـم مـــن زمـن بعيـد جفـــاة السلـم يجـرح في الكيـــان
رعـــاك اللـه مـن جيـش عـتـيـد صبـور فـي الجـلاد وفـي الطعـــان
ربـيـط الجـأش في رهيـج المـواضـي إذ اختـلـط الغـبـار مـع الدخـان
بـك انـدحرت ألـوف مـن عـدانـا غـداة «البئـر» فـي حـرب عـوان
وصـدوا بالسـلاح بـلا سـلاح وجـدوا مدبـريـن بلاتـوان
وقـد تركـوا السـلاح شـذر مذر مـا لتـاركـه هـنـاك بـه يـدان
فـأيـام «انـزران» تـظـل تاجـا علـى رأس الزمـان دليـل شـان
تضـاف الـى «المخـازن» في سجـل مـلـيء بالمـفـاخـر والمعـانـي
سنجعـلهـا -ونفخـر- عيـد فخـر ينـوب مـدى الزمـان عـن العيـان
بـخ لـكـم بـخ لـكـم مـرارا عـلـى طـول الـزمـان بكـل آن
فلـولا الجيـش مـا عـزت شعـوب ولا فـتـئـت تـهـدد بالـهـوان
ولـولا المـوت مـا قـرت «عيـون» ولا عـرف الشجـاع من الجبـان
فمـوتـوا في الجـهـاد فـذاك عـز وعاقـبـة الشهـيـد الـى الجنـان
ومـوتـك راضيـا أشـهـى وأرضـى وموتـك كـارهـا مـوت الغـواني
ومـا أنـا مـن يحـرض من بعيـد ويكـفـيـه التسلـح بـالأمـانـي
فـذى نفسي أجـود بهـا وجـاهـي ومـالـي للدفـاع وذالـسـانـي

وتتوالى المعارك في الصحراء بين قوات الحق وقوات الباطل، ويبارك الله رباط قوات الحق ويؤيد أصرارها ويديم مفاخرها وتنتصر بإذن الله، لأن الجزائر ومرتزقيها يقاتلون بغير نجدة ويخاصمون بغير حجة ويصارعون بغير قوة معنوية فكان الله معنا .[3].

- وهكذا تعرضت بلدة **المسيد** الى هجوم من طرف المرتزقة وذلك يوم الخميس 13 شتنبر 1979 حينما استهدفت لمحاولة يائسة تركزت على ثلاثة محاور وكانت قوات المرتزقة تتكون من سبع كتائب على أقل تقدير محمولة على نحو 140 سيارة عسكرية من نوع جيب ومعززة بمدفعية من نوع ب م 21 و 122 تم استعمالها في الهجوم بطريقة مكثفة.

وقد تصدت قواتنا المسلحة الملكية لهذه المحاولة الجديدة للمرتزقة حيث ألحقت بهم خسائر فادحة وحققت نصرا جديدا بفضل ما أبانت عنه من سرعة ودقة في التصدى للهجوم. وقد ردت القوات المسلحة الملكية الهجوم فأحرقت خمس سيارات عسكرية تم استقدامها الى بلدة المسيد حيث ترك العدو في الميدان ثلاثين من القتلى والعديد من الجرحى وتكبد خسائر في المعدات والآليات العسكرية.

وأمام الضربات الموفقة للقوات البرية في منطقة المسيد تراجعت فلول المرتزقة فتدخلت لمطاردتها الطائرات التابعة للقوات الملكية الجوية فحطمت ما يزيد عن خمسين سيارة عسكرية وسيارات وآليات المساعدة الحربية وترك العدو ستين من القتلى وعددا كبيرا من الجرحى.

وهكذا بلغت خسائر المرتزقة ما يزيد على 55 سيارة عسكرية وآليات ووسائل الدعم الحربي ظل معظمها يحترق حتى مساء يوم الجمعة 14 ستنبر 1979، و 90 من القتلى وعدد كبير من الجرحى.

- وتقوم معركة اخري حاسمة بين دعاة الحق ودعاة الباطل تسمى معركة **سمارة** في 6 أكتوبر من ستة 1979. ولقد بدأ هجوم العدو بمجموع حوالي 5000 مرترق و 800 سيارة. وكان سلاحه يتكون بالإضافة إلى الأسلحة التقليدية كلاشنكوف، من بعض «أ ل م» أي رشاشة أوتوماتيكية خفيفة، ومدافع غير (مرتدة)، وقاذفات ستالين أي قاذفات وزن 45 كيلوغرام وعيارها 22 ملم، يصل هدفها الى 12 كلمترا وتقذف بوتيرة ثلاث قذائف في الدقيقة، ومن مدافع مضادة للطائرات، وصواريخ، سام 7، ومزدوجة الفوهات. فكانت مجموعة العدو، تشكل جيشا مجهزا بأسلحة ثقيلة، أغلبها من صنع سوفياتي.

واستمرت نيران المعركة لمدة 24 ساعة. وفي بعض الأماكن كانت المعركة دامية، من خلال الالتحام الجسدي.

وفي ليلة السبت إلى الأحد، تدخلت نجدات القوات الملكية المسلحة في الطيران. وتوالت غارات طائرات «الميراج» طوال الليل، بدون ردار أرضي مهددة العدو في المرحلة الأولى. ومسددة إليه ضربات قاضية في المرحلة الثانية. كانت «الميراج» تتحدى صواريخ «سام7» والمدافع المضادة للطائرات، وأحيانا، كانت الشجاعة تفوق مايتصور. كانت الرغبة في إصابة الهدف بادية. وكانت دهشة كلية من جانب المرتزقة الذين تعودوا على اعتبار امتيازهم في

اختيار الليل لعملياتهم. فلجأوا الى محاولة تنظيم تقهقرهم، ولكن تقهقرهم انتهى بحيرة وتمزق أمام غارات الطائرات والقذائف. وتدخل الطيرات مرة اخرى، على محور تيفاريتي – وتخلصت اسمارة، لتبدأ المطاردة طوال الليالي والأيام الموالية. ولم يسبق العدو أن عرف هزيمة وتمزقا بهذا الشكل. فقد خلف وراءه أزيد من 300– سيارة محطمة، وعددا من الأسلحة الثقيلة التي تركها بعد المفاجأة من بينها عدد من مدافع Orgues du staline.

وسقط في ساحة الشرف من جانب المغرب 121 ضحية، ما بين شهيد وجريح. لقد كانت **معركة اسمارة**، منعطفا في هذه الحرب، فلم يسبق للعدو ان جهز مثل هذا العدد من المرتزقة والاسلحة، ولا استهدف هدفا يمثل هذه الأهمية.

وإذا كانت حرب العصابات تقتضي قوانين وقواعد محددة، من حيث اختزال العدد، والأسلحة الخفيفة وسرعة الحركة، فان العدو، قد نظم في معركة أسمارة حربا تقليدية. وكان واضحا، أنه يرمي الى احتلال اسمارة، وإعلان «الجمهورية الخيالية». لقد كانت أسمارة محصنة بحزام أمن، يتركب من مراكز متباعدة عن بعضها ببضع كيلومترات. وهجم العدو على ثلاث محاور، والقى في كل محور بازيد من الف مرتزق. ومع ذلك لم يصل الى هدفه. وتصدت القوات المسلحة الملكية يوم 10 أكتوبر لمحاولة يائسة قام بها المرتزقة الاستيلاء على المر الهام المعروف **بتويزكي الرمز**، وهو ممر يوجد جنوب وادي درعة في الطريق المؤدية الى منطقة الزاك. وقد كان طابور المرتزقة يتكون من 100 سيارة عسكرية وقد نشبت معركة عنيفة استمرت من الساعة السادسة صباحا الى الثانية عشرة زوالا واتسمت بظراوة في المواجهة، وكثافة في استعمال مختلف أنواع الاسلحة.

وأمام الضغط العسكري للقوات المسلحة الملكية وارتفاع الخسائر في صفوف العدو تبعثرت سياراته وترك عددا من القتلى والجرحى في ساحة القتال. وقد عمت الفوضى صفوف المرتزقة، حيث اضطروا الى التخلي عن كمية هائلة من الأسلحة والذخيرة. وتدخلت القوات الملكية الجوية لمطاردة الهاربين فحطمت عددا من السيارات العسكرية.

وقد استشهد في صفوف قواتنا ستة جنود وجرح سبعة بينما ارتفعت خسائر العدو الى 400 قتيل و 57 سيارة عسكرية تحطمت نهائيا واشتعلت النيران في معظمها.

– وحاول طابور من المرتزقة الاستيلاء على **حامية المحبس** صباح يوم الاحد 14 اكتوبر 1979 في إطار هجوم عنيف شارك فيه حوالي 1200 من المرتزقة المسلحين تسليحا ثقيلا...

وقد تصدت قوات حامية المحبس وعدد افرادها 780 لطابور المرتزقة وخاضت معركة عنيفة استمرت طيلة يوم الأحد تلقى خلالها العدو تعزيزات مهمة لتعويض خسائره. وخلال المعركة تدخلت أسراب الطائرات العسكرية التابعة للقوات الملكية الجوية حيث طاردت العدو وسجلت في صفوفه إصابات عديدة.

وقد ترك المرتزقة على ساحة المعركة عددا كبيرا من الجثث لوحظ من بينها العديد من القتلى الأجانب عثر معهم على أقراص المخدرات وزجاجات الكحول.

وقعة سمارة

للشاعر احمد عبد السلام البقالي

أتوا بجنودهم بيضا وسودا ... وساقوا من عبيد همو حشودا

أحاطوا «بالسمارة» من ثلاث ... وصبوا النار فيها والحديدا

وقد ربطوا الى الالات ربطا ... ليبقوا صامدين لكم صمودا

أتوا ليحققوا حلما قديما ... لأسياد لهم كانوا عبيدا

فلما أفرغوا ما في جعاب ... لهم ترمي الصواعق والرعودا

تصديتم لهم فحصدتموهم ... طلائع، أو قوادم، أوردودا

خرجتم، يا جنود الله، فيهم ... خناجر منهمو تفري الجلودا

وإذ كبرتمو وجفت قلوب ... عناد الكفر جمدها جمودا

فولوا والصواعق تقتفيهم ... ويمم منهمو الناجي الحدودا

وأغرقت الجزائر في حداد ... ونكست البنادق والبنودا

وصلى جيشنا لله شكرا ... وخرَّ المؤمنون له سجودا

وكلل بالفخار مجاهدونا ... وشيعت الزغاريد الشهيدا

ولم يدخل سمارتنا أجير ... له بذلت جزائره الوعودا

ولم تدنس مآثرنا بكفر ... وإلحاد، ولا خانت عهودا

وقد سجل في صفوف حامية المحبس ما بين شهيد وجريح ومفقود 141 بينما تكبد العدو 350 قتيل و 75 سيارة عسكرية تم تحطيمها نهائيا وغنمت قواتنا كمية هائلة من الاسلحة الحديثة التي استعملت في الهجوم.

- والتحقت بالصحراء وحدتان تدعيان: «بدر» وخيبر» مؤلفتين من 14.000 جندي وذلك لصد عدوان اللفيف الأجنبي (الذي يذرب بكولوميشار وتيندوف) ولمواجهة هجمات العصابات المعتدية علي المواقع المغربية ولقد شنت القوات المسلحة الملكية في نونبر 1979 عملية اكتساح هائلة لشرق الصحراء المغربية بحثا عن مرتزقة الجزائر الذين قد يسكنون جيوبا يستغلوها عند الهجوم على المغرب، وشارك في عملية الاكتساح ما بين 6000 و 7000 جندي مغربي. وأطلقت على العملية اسم "أحد" تيمنا بمعركة أحد التي وقعت في عهد النبي (صلعم).

ولقد تجمعت هذه القوات التي يقودها الكولونيل ماجور أحمد الدليمي بقاعدة ابن گرير تم انطلقت الى الصحراء وتوجهت في اتجاه الحدود الجزائرية. وتتكون هذه الوحدات من الجنود الصحراويين ومن الجنود الذين سبق لهم أن شاركوا في معارك الجولان وسيناء.

وتستقل هذه القوات عن الحاميات المرتكزة في القطاع، وتشكل وحدة قتال متكاملة ومستقلة ومحمية من طرف الطائرات العمودية والدبابات وطائرات الميراج الفرنسية وف 5 الامريكية. كما التحقت وحدة مماثلة (الزلاقة) بقيادة ك. م .عبروق استقرت بالساقية الحمراء لتصد هجمات البوليساريو الذين يتدربون في كلوميشار وتيندوف ويتسلحون بأسلحة مستوردة من ليبيا - على المواقع المغربية في صحرائنا وتدعى هذه العملية بعلمية الزلاقة. وتبعتها عمليات أخرى كعملية «الأرك» بقيادة ك. بن عثمان لتقوم بعمليات المسح والتطهير بالناحية المحايدة للحدود الجزائرية المغربية والتمركز باسمارة.

تحية الى (عملية أحد)

للشاعر المرحوم محمد بن محمد العلمي

يستوقف الوطن التاريخ في (أحد) فيبعث الهمة الشماء في بلدي

والوعي في (المغرب الأقصى) يبلوره قلب نبيل، أصيل المكرمات، ندي

إن الجدود بناة المجد، في ثقة، قد أورثوه ضمير الأهل والولد

وعلموا تلكم الأجيال غيرتهم، ونحن عن سنة الأبطال لم نحد

كان التحدّي لنا رمزا نعزّ به، فنحن أهل النهى والعزم والجلد

إنّا لشعب الفدا، تعنو الصعاب له، أكرم بشعب شديد البأس متحد !

ففي الجهاد لقد لبى لعاهله أسمى نداء، وزكى خير معتقد

وجذوة النور في الأعماق راسخة، أعظم بنور جميل الدفء متقد !

نصون هذا الحمى من كل مرتزق، ونفتدي عرضه بالروح والجسد

أتى الطغاة بجند من بياذقهم، بئس المصير لرهط الزيغ والنكد !

و«للسمارة» قد جاءوا بشرذمة، لكن غدرهمو - تالله - لم يفد

لم يصمدوا حين لاقونا بمعركة، بل أصبحوا طعمة للنار والكمد

وسفة الحق أحلاما لباطلهم، فهم جنوا لعنة التمزيق والحسد

وتلك فرصتنا، فيها نفاجئهم، فلم تدر لهمو لحظا على خلد

إنا حصدناهمو حصدا، وأجمعهم صيدوا، فلم يجدوا في الهول من سند

بالرغم من (أرغن سالين) يصعقهم رعد من الرعب لم يبدىء ولم يعد

انظرهمو، فعلى الميدان قد تركوا صرعى وجرحى وأسرى فاقدي المدد

إن المطامع لم تسلم عواقبها والحظ في دربها المسدود لم يجد

أرى الفلول التي شدت سلاسلها في حمأة الذل لم تنقص ولم تزد

حتى أتاها نذير الشؤم يسحبها الى الجحيم التي لم تبق من أحد

إن الجنود جنود الله، قد برزوا للمارقين وفيهم صولة الأسد

فرّ الاعادي، ونار الحق تمحقهم محقا، فلم يفلحوا بالعد والعدد

وفي الجزائر قد عم الحداد على دنيا (نوفمبر) في أرزائها الجدد

هزيمة الجار لاتمحى، وليس لها حدّ، وأمثالها في الذهن لم تعد

والذات قد طمئت تبغي أصالتها فيغرق الحاقد الغدار في العقد

والنصر للعرش والجيش العتيد، ففي ذكرى المسيرة فضل المنعم الصمد

تلك الصلاة صلاة الشكر، نعلنها لله خالصة للواحد الأحد

تزداد وحدتنا عزا، فمغربنا للمجد قاعدة في عيشه الرغد

وعهدنا خير عهد لاانفصام له، لله والعرش يرعى بيعة الرشد

يحيا لنا (الحسن الثاني) فنحن له نقول : لبيك من فاد ومعتمد

إن الأيادي إذا مدت لملحمة جاوزتها، تم عززت الحمى بيد

(يا آل بيت رسول الله حبكمو) كسلسبيل يداوي حرقة الكبد

(من كان منكم لكم عبدا علا شرفا. من لم يكن عبدكم، والله لم يسد !

نصـره اللـه جيشنـا

للشاعر أحمد عبد السلام البقالي

نصـــر الله جيشنـــا وأعانـــه

وحمـاه مـن كـل شـر وصانـه

جيش (بدر) و (خندق) و(حنين)

أيد الله في الـوغى أركـانـه

بجنـــود من عنـــده لم تروهـــا

عززتـــه، وألهبـــت ايمـــانـه

جنده المؤمنون باللـــه لا يـــخـــ

شـــون الا إلههـــم، سبحانـــه

نفـــخ اللـــه فيه من روح جـدٍّ

الحســـن المرتـضى، وقوى كيانه

وسقـــى المعتديـــن كـأس المنايا

وكســـاهـــم مذلـــة واستكانـه

ياجنـــود الايمـــان أنتـم حمـاة

الحـــق، أنتم حفاظ هذى الأمانـة

ان قتلتـــم فجنـــة الخلد مثـوا

كم، وفيهـــا للصـابريـن مكانه

أوحيـــيتم فالمجـد تـاج سيعلـو

أبـــدا رأس من حـمـى أوطانـه

– وتعرضت منطقة **بوكراع** يوم 6 نونبر 1979 لهجوم من طرف طابور المرتزقة يقدر بحوالي 600 شخص محمولة على 200 سيارة، وانطلق الهجوم علي محاور ثلاثة في إطار كتائب مهاجمة وأخرى للدعم وقد تصدت القوات المسلحة الملكية المرابطة في عين المكان لهذا الهجوم بتنسيق مع تعزيزات قدمت من الدشيرة. وقد تم تطويق المرتزقة حيث جرت معارك عنيفة، وأمام قوة الهجوم سادت الفوض صفوف العدو وتراجعوا فارين من ساحة المعركة. وقد تدخلت الطائرات التابعة للقوات الجوية الملكية في عملية منسقة مع القوات البرية تكبد العدو خلالها إصابات مباشرة في الأرواح والمعدات. وهكذا تم القضاء على 150 من المرتزقة وأسر عشرة منهم، وترك العدو في الميدان 8 سيارات جيب صالحة للاستعمال وأسلحة مختلفة ومدافع من مختلف الأنواع من بينها مدافع ستريلا – أرض – جو مضادة للطائرات وعدد كبير من البنادق والرشاشات. وحطمت قواتنا 50 سيارة جيب، واستشهد 5 شهداء.

– وتعرض **مركز أبطيح** في 19 نونبر 1979 لهجوم قامت به عصابات المرتزقة محمولة على حوالي 250 سيارة. وقد انطلق الهجوم من ثلاث محاور. وقد تصدت القوات المسلحلة الملكية للعصابات المهاجمة وكبدتها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وقد قتل في هذه المعركة التي استمرت 3 ساعات 120 من المرتزقة وتم تحطيم ثلاثين سيارة من بينها عدد من الشاحنات. وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية ربان طائرة (ف 1) التي تحطمت نتيجة اصابتها بصاروخ من نوع صام 7 .كما جرح 7 من جنودنا، وتحطمت سيارة واحدة من نوع جيب ومدفع رشاش.

– وتعرضت مرة أخري **قرية الزاك** الى هجوم مفاجئ انطلاقا من محواري الجنوب والجنوب الشرقي وتصدت القوات المسلحة الملكية لهذا الهجوم وردت المعتدين على أعقابهم، وغنمت عددا من الذخيرة والعتاد، وترك المعتدون 40 من القتلى، واستشهد شهيدان وجرح 11 جنديا.

– وتعرض في 3 دحنبر 1979 **مركزان واقعان جنوب الزاك** لهجوم قامت به عصابات من المرتزقة محمولة على حوالي 50 جيب. وقد تصدت القوات المسلحة الملكية للمعتدين ودامت المعركة عدة ساعات. وأثناء قيام عناصر التدخل لمطاردة المعتدين أسرت القوات المسلحة الملكية اثنين من المرتزقة وغنمت عددا كبيرا من الذخيرة والسلاح. وقدرت خسائر العدو بـ 20 قتيلا وعدد من المجروحين. واستشهد في صفوف ق. م 3 شهداء وأصيب 24 بجراح.

– وتعرضت "أقا" يوم 25 يناير 1980 لهجوم غادر قام به مرتزقة الجزائر وقد تصدت قواتنا المسلحة الملكية وردت المهاجمين على أعقابهم منهزمين تاركين جثنهم على أرض المعركة وتم تدمير 37 سيارة عسكرية وقد غنمت القوات المسلحة الملكية كمية كبيرة من الاسلحة والذخيرة. واستشهد 9 من جنودنا وأصيب 23 بجروح.

كما تعرضت المنطقة الفاصلة بين **العيون وبوكراع** لهجوم آخر يوم 28 يناير 1980 كانت له قواتنا بالمرصاد، وخلال المعركة ترك العدو 60 جثة وعددا كبيرا من السيارات المحطمة وغنمت قواتنا قاذفتين للسام من نوع 7 ووقع في قبضتها أسير واحد وفقدت 5 من الشهداء. وتعرضت **بودجور** الى هجوم المرتزقة قام يوم 13 فبراير 1980 على متن 20 سيارة جيب، وقاومت قواتنا هذا العدوان السافر، وخلف العدو 200 من القتلى و 40 سيارة عسكرية محطمة– واستشهد في صفوفها شهداء وغنمت عددا كبيرا من الدخيرة والعتاد.

حارس الصحراء

للشاعر مصطفى الطريبق

صبر على مر الزمان وهمة … وتحفز لا ينتهي وتلهب

وارادة اصرارها متكامل … وعزيمة وثابة لا تغلب

ذاكم وربي جيشنا في سيره … أن ما مشي فالخصم منه يرهب

كالسيل لا يخشى عدى او قوة … وله العلا والنصر دوما مطلب

كم حقق الامجاد وهي عزيزة … هذا الزمان بها يتيه ويعجب

كم شاء في هذا الثرى من سؤدد … ومشي الى العليا سعيا يطلب

إني أقدس فعله وأجله … وبفعله كل المفاخر تكسب

أكبرت قدرته فجئت موافيا … بتحية والشعر عنها يعرب

من عهد ادريس وكل فعاله … شمس تشع ونورها لا يغرب

هو جيش تاشفين وجحفل طارق … من عن بطولات له لا يكتب ؟

هو صانع الامجاد همته بها … في أرضنا النصر العظيم مقرب

عن حوضه دوما يذوب بمنعة … ويبيد أعداء البلاد ويشجب

واذا دعاه واجب لبى الندا … بعزيمة ذرية تتلهب

يحمي المحدود بكل حزم ثابت … ويرد عدوان الخصوم ويغضب

سل أرضنا الصحراء كم أبدى بها … من صولة وشجاعة تستغرب

هو حارس الصحراء ليس بغافل … عنها فمن ذا من حماها يتقرب ؟

وأمام هذه الاعتداءات المتكررة على سلامة حدودنا قال جلالة الملك في خطاب العرش لسنة (1980)

« ... إن صحراءنا المستعادة تتعرض منذ سنين لاعتداءات متكررة شنيعة، تقوم بها عصابات مجهزة بأحدث عتاد، ومسلحة بأقوى سلاح، وهذه العصابات تنطلق من أرض الجزائر. وتعود اليها مندحرة مهزومة بعد محاولاتها لغزو أراضينا ولولا يقظة قواتنا المسلحة الملكية والدرك وقواتنا المساعدة، ولولا صمودها ووقوفها سدا منيعا وحصنا حصينا ولولا شجاعتها

المنقطعة النظير، وبطولتها التي سارت بذكرها الركبان، وتضحياتها بأغلى ما يضحي به الإنسان لتم لاعدائنا ما يريدون من الاستيلاء على جزء عزيز من ترابنا، ولتحقق لهم ما يبتغون من تطويق بلادنا، إلا أن قواتنا ما فتئت تتصدى لكل هجوم غادر يصوب نحو أراضينا وكل عدوان غاشم يسدد الى مختلف الجهات من جنوب مملكتنا بذكائها المعهود وحزمها المألوف، وشكيمتها القوية، وبأسها الشديد، فحالفها النصر وعقد الله الظفر بألويتها وأعلامها، وهي من أجل هذه الخصال كلها، وبسبب هذه المحامد والمزايا حقيقة بأن يشيد قائدها الأعلى في هذا اليوم الاغر بلسانه ولسان المواطنين أجمعين بما تقدمه للوطن من خدمات، وينوه بما تكتبه من ناصع الصفحات وتضيفه الى تاريخ البلاد من مفاخر وأمجاد، وإن القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية ليغتنم مناسبة هذا العيد الوطني للاعراب عن اعتزازه بجميع أفراد الجيش والدرك والقوات المساعدة وعن إكباره لإخلاصها ووفائها لشعارها الخالد ولما تتحلى به في ساحة الوغى وحومة الصراع من أصيل الشيم وعريق الفضائل. ولنتوجه جميعا في هذا اليوم الذي هو رمز ائتلاف القلوب واتحاد المشاعر الى الله الرؤوف الرحيم بالدعاء والابتهال ان ينزل شآبيب رحمته على شهدائنا الأبرار الذين كافحوا من أجل الحرية والاستقلال. وناضلوا لتوطيد دعائمها والدفاع عن الوحدة الترابية وصيانتها...»

- وقامت القوات المسلحة الملكية خلال شهري فبراير ومارس 1980 بعملية المسح والتطهير **في منطقة وادي تغزوت** انطلاقا من الغرب إلى الشرق وكذا في المحور المؤدي من النكب إلى الزاك للقضاء على المخابىء التي تسرب اليها المرتزقة. وأثناء هذه العمليات اصطدمت قواتنا بالمرتزقة وكبدتهم خسائر فادحة وحطمت طائرتنا آلياتهم العسكرية. وقد كان المرتزقة يستعملون في هنا المعارك أسلحة متطورة وعصرية ويستعينون بالعناصر الأجنبية.

وفي إطار المهمة التي كلف بها جلالة الملك الجنرال أحمد الدليمي تابعت وحدات مجموعتي «أحدوا الزلاقة» معززة بوحدات قادمة من الزاك تطبيق المخطط العام لعمليات التطهير **في ناحية ورقزيز**. وأثناء هذه العمليات دمرت وحدات قواتنا المسلحة الملكية يوم الثلاثاء 6 مايو 1980 عدة مراكز للعدو وحطمت عددا كبيرا من أسلحة وغنمت عددا أخر من الذخيرة والعتاد.

- وتابعت وحدات القوات المسلحة الملكية عمليات التطهير **في ناحية ورقزيز** أيام 7 و 8 مايو 1980 وقامت بتدمير نقط جديدة للعدو وسحق قافلتين للعدو قادمتين من الشرق لتعزيزه ومركبتين من 360 سيارة عسكرية، وأثناء هذه العمليات فر عدد من المرتزقة تاركين وراءهم في الميدان جثث موتاهم وكمية هامة من العتاد الحربي. وهكذا خلف العدو في ساحة المعركة مايزيد على 450 من القتلى والجرحى و 162 آلية عسكرية محطمة من بينها 5 قاذفات للصواريخ من عيار 122 مم. وغنمت قواتنا المسلحة 7 من الآليات العسكرية المجهزة بالمدافع وسيارتين مصفحتين و 12 سيارة عسكرية و 9 سيارات عسكرية مصابة بأعطاب خفيفة وكمية كبيرة من مختلف أنواع الذخيرة والعتاد.

وقد خلفت هذه المعركة في صفوف قواتنا المسلحة 36 شهيدا و40 جريحا، بينما تحطمت

سيارتان من نوع جيب وتضررت سيارة مصفحة خفيفة واحدة. وتابعت قواتنا عمليات المسح والتطهير في يومي 9 و 10 مايو 1980.

وهكذا باغتت قواتنا الجوية الملكية في منطقة الحمادة 32 سيارة عسكرية محملة بالمرتزقة وهن تفر نحو الشرق من نيران القوات البرية التي تلاحقها وقد أصلتها قواتنا الجوية نارا ودمرت منها 19 سيارة تدميرا.

وأمام هذه الانتصارات الباهرة بعث جلالة الملك برقية تنويه الى الجنرال احمد الدليمي قائد العمليات العسكرية بالصحراء يقول فيها : «إن قواتنا المسلحة الملكية التي تصد عدوان المعتدين على أرضنا ووحدة بلادنا بشجاعة وإقدام وتتصدى باستمرار لأطماع الطامعين ومؤامرة المتآمرين لتستحق من جميع المواطنين كل إشادة وثناء على تضحيتها المستمرة للدفاع عن سيادة البلاد ووحدتها الترابية.»

– وعلى اثر الانهزامات المرة التي تكبدها المرتزقة في معارك ورقزيز قام هؤلاء بثلاث هجومات على **قرية أبطيح**.

وقد تصدت لهم قواتنا المسلحة الملكية وردتهم على أعقابهم منهزمين وجمع المرتزقة جميع وحداتهم يوم 23 مايو 1980وحاولوا الاستيلاء من جديد على **قرية أبطيح** ولكن قواتنا كانت لهم بالمرصاد ودارت معركة عنيفة حاول العدو خلالها بكل ثمن ان يمحو الهزائم الفادحة التي تكبدها خلال المعارك السابقة. وقد خلف العدو في ساحة المعركة 150 من القتلى وتحطمت له 45 سيارة عسكرية. ورغم ما مني به المرتزقة من خسائر جسيمة خلال هجوماتهم الاخيرة على قرية أبطيح فقد أعادوا الكرة يوم 27 مايو للاستلاء عليها مغترين بالتوجيهات المضللة التي يتلقوها من تندوف وأمام صمود قواتنا لاذ المرتزقة بالفرار تاركين وراءهم في الميدان 176 من القتلى وحطام 29 من الآليات العسكرية وغنمت قواتنا عددا وافراً من الدخيرة والعتاد الحربي.

– واستهدف **مركز خنك مسعود** يوم 10 يونيه 1980 لمحاولة هجوم غادر قامت به عصابات المرتزقة محمولة بواسطة 80 سيارة جيب. وقد تصدت لها القوات المساعدة وتراجعت مدحورة مخلفة من ورائها 50 من جثث قتلاها وكمية من الذخيرة.

– وفي صباح يوم السبت 21 يونيه قامت عصابات المرتزقة محملة على 500 سيارة جيب بهجوم مكثف على حامية كلتة زمور فتصدت لهم قواتنا وردتهم على أعقابهم منهزمين بعدما كبدتهم خسائر هامة في الأرواح والعتاد قدرت ب 250 من القتلى والجرحى و35 سيارة محطمة وكمية من مختلف أنواع الأسلحة والدخائر. ولما بدأ المرتزقة يفرون من ميدان المعركة تدخلت أسراب من القوات والمسلحة الجوية فحطمت 60 عربة **بشلخة البل**. فقدرت خسائر المرتزقة ب 600 قتيلا وجريح واستشهد من قواتنا 16 شهيدا وجرح 15. وكان انطلاق المرتزقة هذه المرة من شمال موريطانيا ودخلوا الى التراب المغربي من القرية المعروفة بعين بنتلي.

– وقامت قافلة من عصابات المرتزقة محمولة على 220 سيارة بهجوم غادر على **بلدة**

أقة صباح يوم الأحد 29 يونيه 1980. وقد قاومت الحامية الصغيرة المعتدين الى أن تدخلت قواتنا الجوية وأرغمت المغيرين على الانسحاب. وقد عمت الفوضى صفوفهم وقد صب الطيران الملكي وابل نيرانه على المرتزقة أثناء محاولتهم لاجتياز واد "سيدي عْمارة". وبلغت خسائر العدو في المعركة 180 قتيلا وعددا كبيرا من الجرحى وأزيد من 100 سيارة محطمة. واستشهد في هذا الهجوم 11 مواطنا وعادت قواتنا الى قواعدها سالمة.

– وفي إطار عمليات التطهير المستمرة اشتبكت قواتنا المسلحة الملكية في كرارت **ركبيين وفو يجت جبل زيني** على بعد 50 كلم جنوب طانطان مع المرتزقة يوم الأربعاء 20 غشت 1980 من 8 صباحا الى 4 عشية وقد تدخل الطيران الملكي في هذه المعركة وتحطمت للعدو 26 سيارة عسكرية وترك في ساحة القتال ما يقرب من مائة قتيل.

– كما اشتبكت قواتنا يوم 21 غشت في **ناحية بطيح** طيلة النهار مع العدو. وقد أسفر هذا الاشتباك الذي تدخلت في القوات الجوية الملكية عن تحطيم اكثر من 80 سيادة عسكرية للعدو و 3 بطاريات من نوع أورك دوستالين وعن أزيد من 200 القتلى في صفوف العدو. وجرح 6 من جنودنا. وحاولت فرقة من المرتزقة مدعمة بأزيد من 400 عربة ان تهاجم مواقع سكنية في طاطا وأقا صباح يوم 3 ستنبر 1980 وقد تصدت قواتنا لهذه المحاولة اليائسة وكبدت العدو خسائر في الأرواح والعتاد وهكذا أحصي في ساحة المعركة ما يزيد على 300 قتيل وجريح وحطمت 70 سيارة عسكرية للعدو وغنمت قواتنا 6 سيارة من نوع جيب وكمية أخرى من الأسلحة الثقيلة والخفيفة واستشهد من الجانب المغربي 9 وجرح 27.

– وحاولت عصابات المرتزقة التعرض لتقدم قواتنا المسلحة الملكية في **كرير لحشن** فنشبت معارك ضارية بين الجانبين أيام 16 و 17 و 18 ستنبر 1980 وتدخلت قواتنا الجوية عدة مرات مانعة فلول المرتزقة من النجاة.

– كما أحبطت قواتنا كمينا نصبه المرتزقة بين طرفاية ورأس الخنفرة يوم 16 ستنبر 1980.

– وقد خلف العدو في ساحة المعارك مايزيد على 200 من القتلى وترك عددا كبيرا من العربات العسكرية المحطمة والمحروقة. واستشهد في صفوف قواتنا 70 شهيدا وجرح 60 من الجنود وفقد حوالي 30، وغنمت قواتنا عددا كبيرا من العتاد والمعدات والتجهيزات العسكرية.

– وحاولت عصابات المزتزقة يوم 8 أكتوبر 1980 الهجوم على وحدة عسكرية ملكية العاملة في **جنوب رأس الخنفرة**. وقد تدخلت قواتنا البرية والجوية وكان ردها قويا وعنيفا ودام من 3 الى 6 بعد الزوال وقد عم الارتباك صفوف العدو. استشهد في صفوفنا جنديان بينما خلف المرتزقة 150 قتيلا في الميدان.

– وقامت عصابات العدو المتكونة من 500 نفر بالهجوم على بلدة **محاميد الغزلان** باقليم ورزازات. وقد ردت القوات المسلحة الملكية براً وجواً على هذا العدوان كما تصدت القوات المساعدة لهذا الهجوم مما أدى الى افشال محاولة العدو الغادرة. وقد استمرت مطاردة العدو

طيلة يوم 9 أكتوبر 1980 نحو الجنوب الغربي وخلف العدو وراءه عددا كبيرا من القتلى ومعدات حربية - وقد عبر صاحب الجلالة القائد الأعلى عن هذا الهجوم : بمثابة مؤامرة ضد المغرب والجزائر معا.

- وقامت القوات المسلحة الملكية يوم 22 اكتوبر 1980 باحباط خطة لهجوم المرتزقة **جنوب رأس الخنفرة**. فقد اكتشفت طائرات القوات الجوية الملكية اثناء تحليق استطلاعي لها، وجود تجمع للعدو يقدر بعدة كتائب، فتدخلت فورا لمطاردة عصابات المرتزقة حيث الحقت بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، واستمر تدخل القوات الجوية الملكية من الساعة العاشرة صباحا الى الساعة الثانية بعد الزوال. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر حاولت فلول المرتزقة تجميع صفوفها للقيام بعملية هجوم انتحارية فتصدت لها الطائرات التابعة للقوات الجوية الملكية معززة بالمدفعية حيث تم إحباط خطة المرتزقة الذين تراجعوا مندحرين ومنهزمين. وقد اسفرت هذه المعارك من جانبنا عن استشهاد أربعة عشر شخصا وجرح خمسة وستين آخرين أما في صفوف المرتزقة فقد بلغ عدد القتلى مائة وخمسين شخصا وتم تحطيم ستين سيارة للعدو.

- وتنفيدا للمخطط العام الذي وضعه القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة صاحب الجلالة تابعت القوات الملكية عملياتها التطهيرية في الجنوب حيث فاجأت يوم الاحد 26 أكتوبر 1980 **غربي الحوزة** حشدا من المرتزقة يتألف من عدة كتائب محمولة على أزيد من 300 سيارة. وقد حاولت عصابات المرتزقة عبثا مجابهة تقدم قواتنا المسلحة الملكية التي كان ردها سريعا وفعالا. ذلك أن القوات البرية المدعمة بالقوات الجوية الملكية قضت قضاء مبرما على تحرك المرتزقة الذين اضطروا الى الفرار في اتجاهي الشرق والجنوب الشرقي. وقد حققت القوات المسلحة الملكية أهدافها كاملة كما نفذت المخطط المحدد لها. ودامت المعركة من الساعة الواحدة الى الخامسة بعد الزوال. واستشهد من الجانب المغربي خمسة أفراد وأصيب ثلاثون بجروح في حين ترك المرتزقة في الميدان 250 ما بين قتيل وجريح و 80 سيارة منها سبع سيارات صالحة للاستعمال والباقي دمر عن آخره.

- وتتابع بنجاح عمليات التطهير التي تقوم بها القوات المسلحة الملكية في غرب الحوزة حيث شهدت هذه المنطقة معركة جديدة.

ففي يوم الخميس 30 اكتوبر 1980 حاول المرتزقة القيام بهجوم فتصدت لهم القوات المسلحة الملكية وردتهم على أعقابهم خاسرين.

وقد حاول المرتزقة. الذين كانوا مؤلفين من كتائب عدة. محمولين على 300 سيارة القيام بعملية اختراق على محورين.. في الغرب انطلاقا من اسكن الحمراء. ومن ناحية الجنوب الغربي من المراميز.

وقد تصدت وحداتنا المنوطة بهامهمة التطهير بكل صرامة وشدة للمرتزقة. فأرغمتهم على الهروب حيث حاولوا اللجوء فرارا، في اتجاه الشرق والجنوب بعدما تكبدوا فادح الخسائر.

ودامت المعركة من الساعة السادسة صباحا الى الثالثة بعد الزوال. وقد استشهد في صفوف قواتنا اثنان وجرح عشرة.

ومن جانب المرتزقة كانت الخسائر كالتالي :

30 سيارة مدمرة و 150 ما بين قتلى ومصابين بجراح بالغة.

- وقد وقع يوم الخميس 6 نوفمبر اشتباك عنيف في ناحية **خريبشات** الواقعة غربي الحوزة بين القوات المسلحة الملكية وعصابات المرتزقة التي كانت مؤلفة من عدة كتائب معززة بثلاثمائة سيارة. وقد دامت المعركة من الساعة الواحدة ونصف ظهرا الى الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة مساء، وبلغت المعركة ضراوتها القصوى فيما بين الساعة الثانية والنصف والثالثة والنصف بعد الزوال.

وبفضل التدخل السريع والفعال الذي قامت به قواتنا البرية والجوية في انسجام تام اندحر العدو بسرعة متكبدا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وتقدر خسائر العدو بمائتي قتيل وبما يزيد على سبعين سيارة سحقت عن آخرها وضمنها أربع سيارات قاذفات للصواريخ. ومن الجانب المغربي استشهد سبعة أفراد وجرح ستة وعشرون وتعرضت للطلقات سبع سيارات دمرت وحداة منها.

- وتابعت القوات المسلحة الملكية عمليات التطهير في **منطقة الخلوة**.

وهكذا ففي يوم 17 نونبر 1980 تدخل سلاح الطيران الملكي وسلاح المدفعية لاحباط هجومات العدو المحمول على خمسين سيارة وقد أدى هذا التدخل الى تشتيت صفوف المرتزقة الذين تراجعوا تاركين في الميدان تسع سيارات محطمة.

وفي يوم 19 نوفمبر 1980 هاجم سلاح الطيران والوحدات البرية عدة مجموعات من سيارات العدو مما أدى به الى التراجع مخلفا في الميدان اثنين وعشرين سيارة محطمة ومدفعية محروقة من نوع أورغ ستالين.

وفي يوم عشرين نوفمبر 1980 باغتت وحدات القوات المسلحة الملكية أربع كتائب للعدو وهاجمتها بالمدفعية بينما قام سلاح الطيران الملكي بتعقب فلول المرتزقة واسفرت هذه العملية عن تحطيم ثمانية عشرة سيارة للعدو وإحراق مدفعية من نوع أورغ ستالين وأربع سيارات.

وخلال هذه العمليات المذكورة استشهد اثنان من أفراد القوات المسلحة الملكية وأصيب ستة افراد بجروح.

- وطبقا لمخطط عمليات تطهير الأقاليم الجنوبية من فلول المرتزقة تابعت القوات المسلحة الملكية عملياتها **جنوب الخلوة**.

ففي يوم 23 نونبر 1980 فاجأت القوات البرية وسلاح الطيران الملكي تجمعا هاما للمرتزقة فهاجمته وشتتت صفوفه. وقد تكبد العدو خسائر فادحة في العتاد والأرواح حيث تم تحطيم 48 سيارة من بينها 42 سيارة دمرها الطيران الملكي بينما بلغ عدد القتلى والجرحى في صفوف المرتزقة 80 شخصا، وغنمت القوات المسلحة الملكية سيارة من نوع جيب ومدفعا من نوع ب 10 - بالإضافة الى كمية هامة من الأسلحة الخفيفة والذخيرة، واستشهد واحد في صفوف

القوات المسلحة الملكية وجرح 6 افراد.

– وفي إطار عمليات التطهير التي تقوم لها القوات المسلحة الملكية **شمال غرب رأس الخنفرة**، اعترضت القوات المسلحة الملكية صباح يوم الأحد 30 نوفمبر لفيلقين للعدو، وقد دارت معارك عنيفة استمرت من الساعة العاشرة والنصف صباحا الى الثالثة والنصف بعد الزوال. وقد حاول العدو تركيز كل وسائله معارضا خطة التنسيق المشتركة بين القوات البرية والقوات الجوية، إلا أن محاولاته باءت بالفشل حيث أرغم على التراجع والفرار نحو الجنوب الغربي، تاركا في الميدان 82 سيارة وكمية من الأسلحة من بينها مدفع من نوع «أورغ ستالين» وقاذفتين للصواريخ من عيار 122 ملم ومدفع من نوع «باء 11» ومدفع من نوع «ببنب» من عيار 23 ملم.

وتكبد المرتزقة خسائر فادحة في الأرواح، تقدر ب 220 ما بين قتيل وجريح واستشهد في صفوف قوتنا المسلحة الملكية ثمانية أفراد وأصيب ثلاثون بجراح.

– وقامت عصابات المرتزقة يوم 12 دجنبر على الساعة الثامنة والنصف صباحا انطلاقا من الغرب بهجوم على مراكز الدعم المنتشرة جنوب كن العمرة والتي استهدفت لنيران مكثفة.

وتقدر قوات العدو بثلاثة فيالق مدعمة بكتيبة مجهزة بمدفعية من نوع أورغ ستالين ذات 40 فوهة.

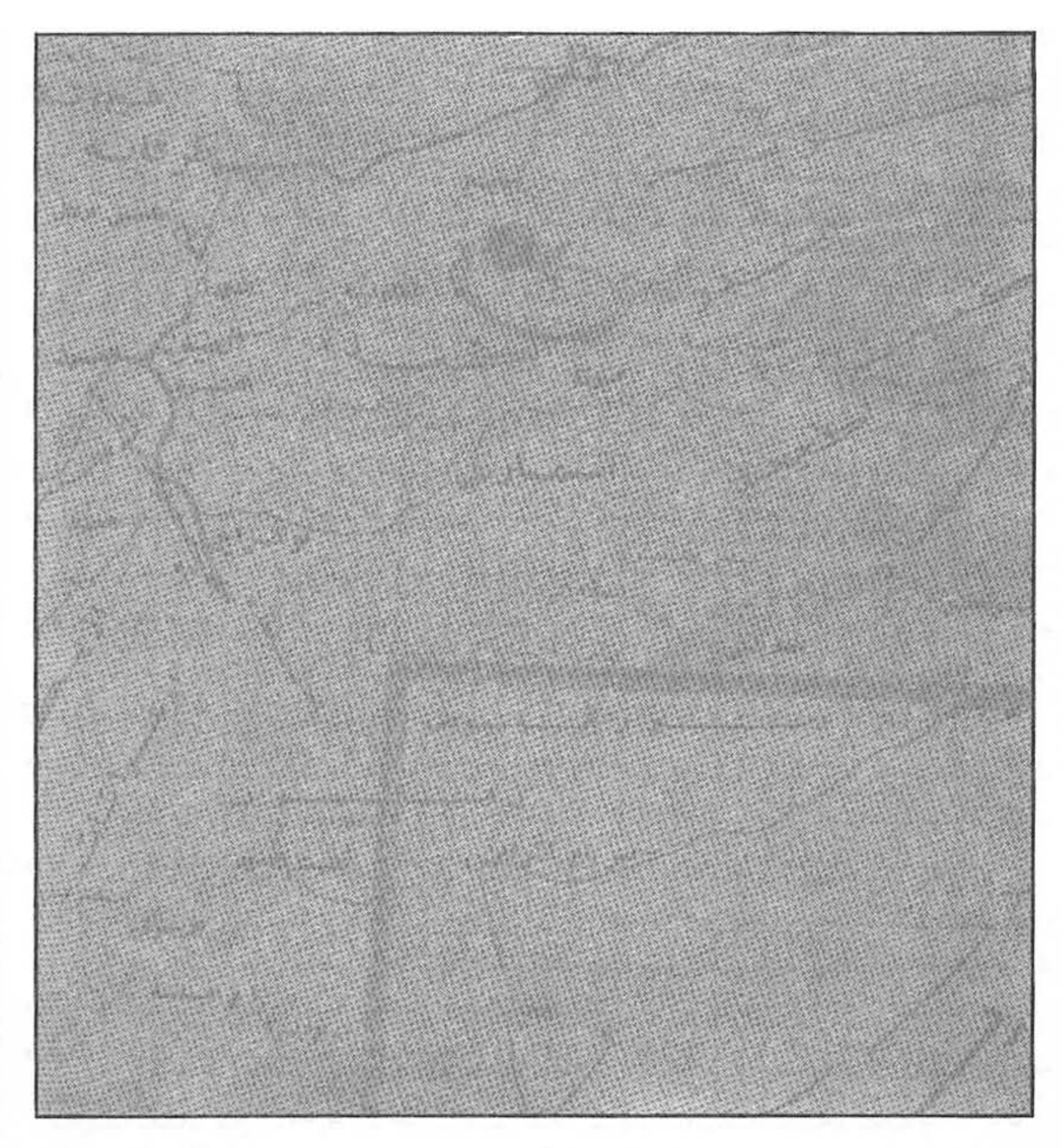
وامام الرد الفوري والصارم للوحدات المدافعة عن مراكز الدعم والتدخل الحاسم للمدفعية ركز العدو جهده بدون جدوى على مراكز الدعم الأخرى وبمجرد بدء الهجوم أرسلت مجموعات التدخل العاملة في منطقة أبطيح الى عين المكان لتعزيز مراكز الدعم.

وقد فوجئ العدو بسرعة تحرك القوات المسلحة الملكية حيث اضطر للتراجع نحو الغرب والجنوب يلاحقه سلاح الطيران الملكي الذي تمكن رغم رداءة أحوال الطقس من التدخل مرات عديدة وتحطيم عدة آليات.

وقد تكبد المرتزقة خسائر جسيمة حيث خلفوا 130 قتيلا في الميدان و40 سيارة بعضها صالح للاستعمال وضمنها سيارة حاملة لمدفع مضاد للدبابات من نوع -ب 11-. واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 8 أفراد وجرح 51 آخرون.

– وشهدت بلدة **روس لحميرة** ناحية اسمارة معارك عنيفة طيلة اليوم الرابع والعشرين من شهر دجنبر 1980.

فقد قامت عدة كتائب للمرتزقة مجهزة بالأسلحة الثقيلة المتطورة من بينها قادفات الصواريخ المتعددة الفوهات أورك ستالين بعدة هجومات على وحدات من القوات المسلحة الملكية انطلاقا من ثلاثة محاور هي الغرب والجنوب والجنوب الشرقي. وتم إحباط كل محاولات الهجوم بفضل صمود وشجاعة وحدات القوات المسلحة الملكية التي تصدت للمرتزقة في ميدان مزروع بالألغام وقامت باكتشافها وتدميرها. وقد امتازت العمليات المنسقة بين القوات الجوية الملكية وقوات المدفعية بالفاعلية والردع الحاسم، وأبانت قواتنا المسلحة الملكية عن بطولتها وشجاعتها



خريطة تبين موقع منطقة رأس الحميرة بين سمارة وابطيح

المعهودتين خاصة وحدات اللوائين الثالث والسادس المتحركين للمشاة والمجموعة السادسة للمدفعية الملكية ووحدات الهندسة العسكرية وتشكيلات السلاح الجوى الملكي.

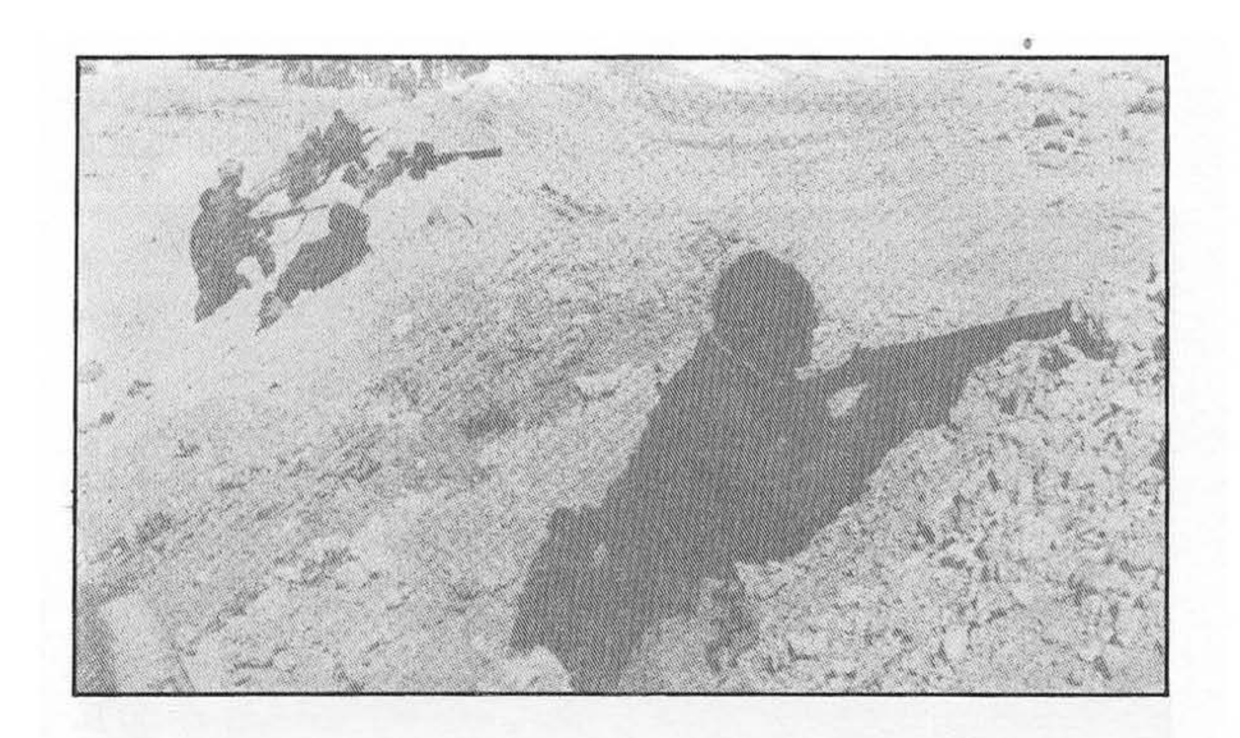
وقد ظلت المعارك حامية الوطيس طيلة النهار وانتهت بالانهزام الكامل للمرتزقة الذين فروا من ميدان المعارك مخلفين وراءهم عشرات القتلى والمصابين بجروح خطيرة، ومتكبدين خسائر فادحة في العتاد من بينها خمسون شاحنة عسكرية دمرت عن آخرها.

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية اثنان وجرح عشرون.

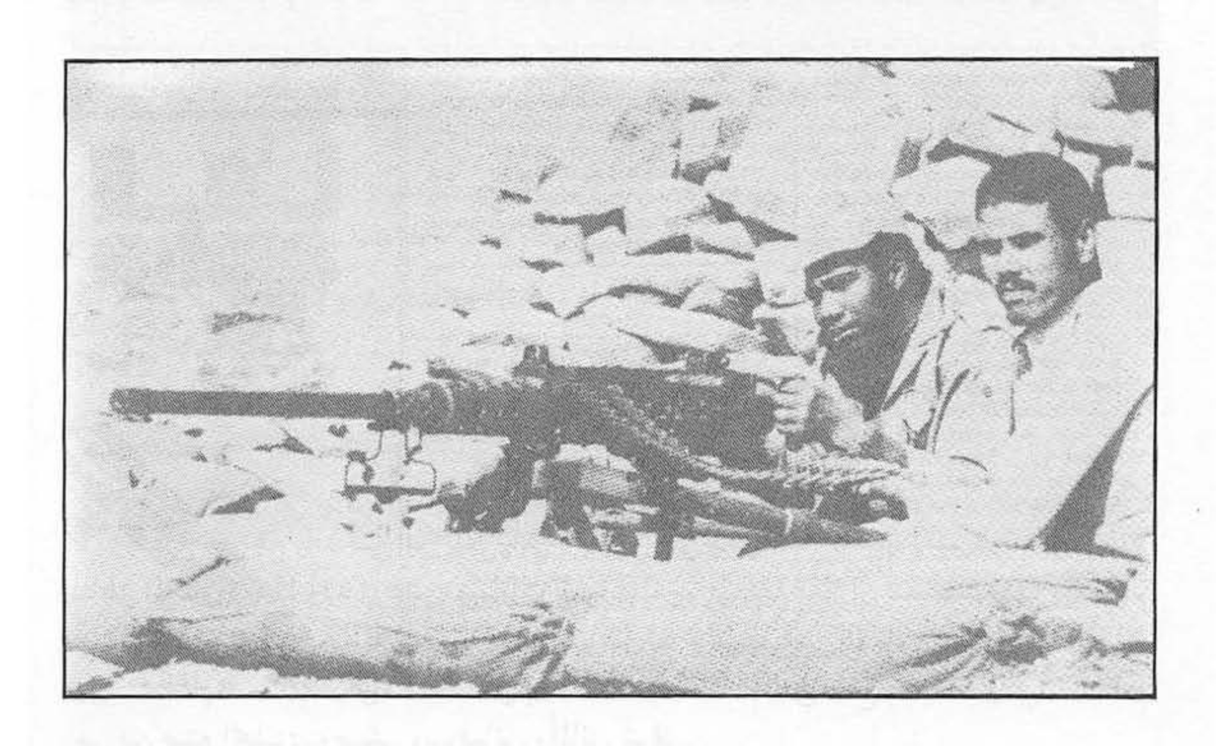
ومن تفاصيل هذه المعركة قول أحد المبعوثين الصحفين الذي حضر المعركة : لقد كانت المدافع من عيار 120 و 155 صباح يوم الثلاثاء في رؤوس الحميرة بين أبطيح والسمارة اذ كانت المدفعية المغربية ترد على طلقات عصابات البوليساريو، والى غاية الايام الاخيرة لم تكن رؤوس لحميرة سوى تضاريس أرضية من الأحجار والرمال بين الساقية الحمراء وساحل المحيط الاطلسي، ولكن هذا التل يقع في مسار خط الدفاع الذي تشكله القوات المسلحة الملكية بين طان طان والسمارة لقطع الطريق أمام تسرب عصابات البوليزاريو الى المدن الساحلية للعيون وطرفاية.

قد اتخذت «رؤوس لحميرة» شكل معسكر محصن وراء حواجز من التراب والحجارة يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثة أمتار وتحميها مساحات ملغومة وأسلاك شائكة وأجهزة الرادار الاستكشافية. وفي قمم هذه المرتفعات يقف جنود الحراسة المغاربة ببنادقهم من نوع كلاشنيكوف ورشاشاتهم وبمدافع من عيار 20 وراء هذه الأسوار ومدافع من عيار 155 تطلق من حين لاخر قنابلها في اتجاه العدو وهذا النوع من نمط الدعم يمتد على الطرف الجنوبي المغربي في الحدود المعترف بها دوليا انطلاقا من طان طان ومرورا بأبطيح ورأس الخنفرة على غرار حبات عقد في الخط الفاصل بين المناطق الواقعة في الشرق والمناطق الاهلة بالسكان في الساحل.

وقد تمكنت القوات المسلحة الملكية من السيطرة على بلدة روس الحميرة التي تعد من الناحية العسكرية منطقة استراتيجية هامة وتبعد بحوالي 50 كليومترا جنوب أبطيح و 60 كيلو مترا شمال السمارة وذلك بعد معارك ضارية استمرت طيلة 3 أيام، شارك فيها اللواءان الثالث والسادس المتحركين للمشاة ووحدات الهندسة العسكرية بمساندة السلاح الجوي بالعيون. وقد بثت هذه المعارك الرعب بين صفوف المرتزقة رغم أنهم كانوا مزودين بأسلحة متطورة بحيث اضطروا الى التراجع والتخلي عن بلدة رأس الحميرة التي يمكن انطلاقا منها السيطرة على جميع المناطق المجاورة. هذا وقد زرعت عصابات البوليساريو المنطقة قبل ان تنسحب منها بالألغام المضادة للدبابات في محاولة لتكبيد قواتنا خسائر قد ترغمها على القيام «بحرب المواقع» إلا ان وحدات الهندسة العسكرية تمكنت من إبطال مفعول الألغام التي يبلغ عددها حوالي 300 لغم وهي من صنع انجليزي وصيني وسوفياتي وألماني شرقي.



بعض الجنود المغاربة في خط النار... اليد على الزناد والعين تراقب المنطقة ليل نهار



جنودنا الابطال يحرسون منطقة رأس الحميرة... معنويات مرتفعة وعزم وصمود على دحر المرتزقة وحماية الوحدة الترابية للمغرب.

- وفي ليلة 27 من شهر دجنبر 1980 وحوالي الساعة التاسعة والنصف ليلا حاولت مجموعة من المرتزقة محمولة على زورق من نوع زودياك مهاجمة سفينتي صيد مغربيتين كانتا تصطادان في عرض كاب بارباس الواقع بين الداخلة والكويرة.

وقد قامت فرق الكومندو التابعة للبحرية الملكية المكلفة بحماية أسطول الصيد البحري باعتراض طريق زورق المرتزقة.

وخلال الاشتباك قتل ثلاثة من المرتزقة ووقع الرابع في الأسر.



كفالة الشعب*

للشاعر عبد الواحد أخريف

يهزك النبل والإحسان والكرم ... ياشعب، هامت به في مجده الهمم

ريان من نفحات العز تعشقه ... كأنه للعلا المعبود والحرم

إذا رنا نحو آمال تهدهده ... جاءت اليه وفود النصر تزدحم

هل الفوارس الا من منابعه ... وما الشجاعة الا حيث يعتصم

ينير درب العلا إن لفه غلس ... وحاولت طمسه الأوهام والظلم

إذا دعاه الى التحرير عاهله ... لبى نداه بصف ليس ينقسم

سل «المسيرة» والتاريخ شاهدها ... هل كان في زحفها من ليس ينتظم

كلا فما المغرب الأقصى سوى رجل ... إذا الفداء دعاه هب يضطرم

شعب إذا طيف غبن قد ألم به ... سمعت زمجرة الآساد تحتدم

تقمص الفرد فيه روح عزته ... (وبه) عن لبان البأس مافطموا

لهم على رفرف الجوزاء مقتعد ... والغير دونهم في ركبهم خدم

إن البطولة ميراث تقسمه ... أبناؤه، وتبقى للعدا الوهم

كم هاجمتهم فلول الغدر فاندحرت ... وشملها في مهاوي الريح ينفصم

إذا تحركت الهيجاء يسبقهم ... جيش من الرعب لا يهوي به قدم

وكم كفاهم عراكا حين يزرع في ... قلب العدا رعدة تنادح بينهم

وان تحدى خصوم الدار بطشتهم ... ينقض مر الردى كالنار فوقهم

إن الملاحم لم تنعم ببهجتها ... ألا على يديهم ان شدت الحزم

قد توجوا هامة الدنيا بذكرهم ... وسار في مسمع التاريخ بأسهم

(*) بمناسبة حملة جمع التبرعات التي جرت على الصعيد الوطني لفائدة أبناء شهداء الوحدة الترابية.

إن الجهاد دم زكى عروقهم   فقد يموت فتاهم وهو يستسم

آمنت بالله ربا والنبي هدى   والمغربي صمودا ليس ينهزم

النصر في ركبهم زاه قلائده   منظومة يسلكها هيهات ينقسم

«صحراؤنا» قد أعدناها فغاظ لها   خصوم وحدتنا وانتابهم ألم

جروا علينا حروبا صاح صائحها   بباطل الحديث الكفر عبدهم

واستبسلت همم لاحت مناعتها   كشأنها فهي عشاق الوعى بهم

الحق رائدها. والعدل ديدنها   لذاك لا ينطوي في زحفها علم

مرت على غيهب التاريخ نور هدى   ونار بعث إذا أزرى بها عدم

وفي طليعتها جيش كأن له   من الحماية حصنا ليس ينهدم

وقاية الله ظل فوق وثبته   وعزمة «الحسن الثاني» له شيم

يخوض في مهمه الصحراء معتركا   لو خاضه الصيد ما فازوا ولا سلموا

جولاته بعيون النصر مشرقة   وخصمه تحت نيران الوغى حمم

لكن للنصر قربانا يقدمه   طبيعة الحرب مذ كانت لها نظم

ومن شذى الشهداء الأرض قد عبقت   والخلد يهتز إجلالا لفعلهم

قد خلفوا زهرات من ودائعهم   كانت لهم أملا تزهو به النعم

لنا أبوتها إن غاب كافلها   ولن تهون لنا في حقهم ذمم

إن غابت الشمس عن أفق السما ظهرت   كواكب بشعاع النور تزدحم

شعاعنا الجود لا ينفك منهله   يهمي سخاء كما تهمي به الديم

ياشعب جد بالذي يرضيك مبتهجا   على اليتامى لأن الضر مسهم

آباؤهم قدموا أرواحهم كرما   فأصبح الشعب طرا والدا لهم

قد صانت الوحدة الكبرى أبوتهم   فصن بنوتها لتسكت النعم

حاشا تخيب آمالا معلقة   على نداك الذي مامثله كرم

تضامن الشعب عنوان لعزته   لن يسقط الشعب مادامت له همم

– وجـرت طيلة يوم 7 ينـايـر 1981 معـارك ضـارية **شمال غرب سمارة** بين قـواتنا المسلحة الملكية وعصابات المرتزقة.

وقد حاول العدو عبثا اعتراض تقدم وحداتنا حيث قام بشن هجومات مضادة بواسطة أربعة فيالق ولكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع، وعند غروب الشمس تراجع العدو مندحرا نحو الشرق تاركا في ميدان المعركة عشرين سيارة محطمة كليا وعشرات الجثث وكمية هامة من الاسلحة والذخيرة من مختلف الأنواع.

وخلال اليوم نفسه حاول فيلق من المرتزقة اختراق الخط الدفاعي الواقع شرق بوكراع. وقد جرت معارك طاحنة استمرت من الساعة السابعة والنصف الى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا، تراجع بعدها العدو مخلفا في الميدان ثلاث سيارات محروقة.

وفي يوم ثامن يناير 1981 وفي نفس المنطقة توبعت المعارك بصورة أشد عنفا طيلة النهار حيث حاول العدو مرات عديدة القيام بهجومات مضادة.

وقد صدت القوات المسلحة الملكية هذه الهجومات بفضل روح المقاومة العالمية والارادة الصلبة التي تتحلى بها مختلف الوحدات وبفضل تبصر جميع إطارات القوات المسلحة الملكية على اختلاف رتبها.

وخلف العدو عند تراجعه ليلا عشر سيارات محطمة ومحترقة بجميع ركابها من المرتزقة في شمال غرب سمارة و23 سيارة محطمة في شرق بوكراع.

وقد قام الطيران الملكي بدور فعال في المعارك التي جرت خلال هذين اليومين وقد كان لتدخلاته المتصدرة الأثر الفعال في تحطيم هجومات المرتزقة ضد خطوطنا الدفاعية.

كما قام سلاح الطيران الملكي في جميع الحالات بملاحقة، فلول المرتزقة المندحرة حيث أحرق 15 سيارة وأعطب عددا آخر منها.

وأسفرت المعارك خلال هذين اليومين في صفوف المرتزقة عن مائة وستين ما بين قتيل وجريح و 53 سيارة مدمرة بالإضافة الى كميات متنوعة وهامة من الأسلحة المحطمة واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 17 شخصا وجرح 54 وحطمت سيارتان.

– وتوبعت ليلة تاسع يناير 1981 وفي نفس مناطق المعارك التي جرت يومي سابع وثامن يناير.

وهكذا شن المرتزقة مرتين **شمال غرب السمارة** هجومات عنيفة ضد وحدات القوات المسلحة الملكية مستعملة مصفحات خفيفة وقاذفات «الروكيت» ذات الفوهات المتعددة وصواريخ موجهة بوساطة الرادار.

وقد صدت قواتنا بنجاح جميع هذه الهجومات معززة في ذلك بدعم فعال من القوات البرية والجوية.

وفي السادسة وخمس وأربعين دقيقة تراجع المرتزقة مخلفين في الميدان خمس عشرة

سيارة محترقة من بينها عشر سيارات دمرها سلاح الطيران الملكي.

وفي شرق بوكراع حاول المرتزقة في الساعة السابعة من صباح نفس اليوم الهجوم على الخط الدفاعي المتقدم لوحداتنا، وأمام المقاومة الباسلة والرد العنيف للقوات المسلحة الملكية تراجع المرتزقة نحو الشرق يلاحقهم سلاح الطيران الملكي الذي دمر وأحرق خمس سيارات. وقد أسفرت هذه المعارك من جانبنا عن جرح خمسة جنود.

– وكبدت القوات المسلحة المغربية، مرتزقة البوليزاريو يوم 24 يناير 1981 خسائر فادحة، خلال عملية هجوم شنتها وحدات من سلاح المشاة المغربي معززة بسلاح الجو، بناحية **خريبيشات** شمالي اسمارة.

وحاولت عشر كتائب للعدو إيقاف عملية الهجوم المغربية ولكنها اندحرت بعد نحو من 5 ساعات (من الواحدة بعد الزوال الى المغرب) في المعارك الضارية حققت على اثرها القوات المغربية أهدافها بفضل التنسيق بين قوات البر والجو وإصرار المقاتلين على بلوغ الهدف من العملية.

وبلغت خسائر العدو : 36 شاحنة محمطة، منها شاحنة – «صهريج» واحدة وشاحنتين مطلقتين للصواريخ المتعددة العيارات طراز «برازوف». وبلغت خسائر العدو قتيلين و21 جريحا.

– وتابعت القوات المسلحة الملكية عملياتها التطهيرية وملاحقة فلول المرتزقة وفق المخطط المرسوم لها. وهكذا قامت الوحدات التابعة للقوات المسلحة الملكية يوم 6 يبراير 1981 بتحقيق تحصين مسافة عشر كيلومترات انطلاقا من **منطقة المهيرز** وتمكنت من السيطرة التامة على كل المرتفعات المجاورة لخريبشات.

وقد قام المرتزقة الذين قدر عددهم بفيلقين بمحاولة يائسة لايقاف تقدم القوات المسلحة الملكية غير أنه أمام العمليات المفاجئة والتنسيق المحكم بين مختلف الوحدات لاذ المرتزقة بالفرار بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد.

وهكذا تمكنت القوات المسلحة الملكية من تدمير عشر سيارات عن آخرها والاستيلاء على مدفعين رشاشين وكمية هامة من الذخيرة والعتاد.

وقد قتل وجرح في صفوف المرتزقة عدد كبير واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية ثلاثة أفراد وجرح 28.

وحاول فيلق من المرتزقة محمولا على متن مائة وعشرين سيارة يوم 25 فبراير 1981 القيام بهجوم على الدشيرة غير أن محاولته باءت بالفشل الذريع.

كما حاول المرتزقة بين الساعة العاشرة والثانية عشرة والنصف بعد الزوال القيام بعدة هجومات، تصدت لها القوات المسلحة بتنسيق محكم بين القوات الجوية والبرية أرغمت المرتزقة على التقهقر في اتجاه الشرق مخلفين وراءهم في الميدان عددا من القتلى، وكمية كبيرة من الذخيرة والعتاد، وقامت القوات الملكية الجوية بمطاردة فلول المرتزقة الفارين وألحقت بهم خسائر

فادحة بالاضافة الى تدمير خمس وأربعين سيارة للعدو تدميرا كليا.

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية شهيد واحد وأصيب ستة آخرون بجراح..

– وفي يوم 27 فبراير 1981 حاول فيلق من المرتزقة محمولا على متن 90 سيارة الهجوم على **الحكونية** انطلاقا من غرب وجنوب هذا المركز.

وبفضل تدخل الفرقة الميكانيكية للمشاة المرابطة في الحكونية والتنسيق الفعال بين القوات البرية والجوية أمكن التصدي للمرتزقة المعتدين وإحباط كل الهجمات التي قاموا بها.

وأمام سرعة الرد الحاسم للقوات المسلحة الملكية اضطر المرتزقة إلى التقهقر والفرار في اتجاه الشرق يطاردهم بدون هوادة سلاح الطيران المملكي الذي ألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد أحصيت منها 18 سيارة محطمة تحطيما كليا.

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية شهيد واحد واصيب خمسة بجروح.

– وبعد الهزيمة التي مني بها المرتزقة يوم 27 فبراير، حاولوا تجميع فلولهم والقيام بهجوم جديد على مركز الحكونية يوم 28 فبراير 1981.

وقد تصدت القوات الملكية البرية لعصابات المرتزقة وافشلت محاولاتهم اليائسة بعد معركة دامت من الساعة الثامنة الى الساعة الحادية عشرة صباحا وتدخلت القوات الملكية الجوية وطاردت فلول المرتزقة الهاربين في اتجاه الجنوب الشرقي وألحقت بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد بالإضافة الى تحطيم خمس سيارات تحطيما كليا والاستيلاء على حاملتين للمدفعية من عيار 128 ملمتر.

واستشهد جندي واحد في صفوف قواتنا المسلحة الملكية وأصيب اثنان بجروح.

وهكذا خلال اربع سنوات (1976-1980) جلت القوات المسلحة الملكية من بعض القرى – (جزء من الاستراتيجية العسكرية) لدفع العدو في الفخ وفي فم الذئب كما يقال. فانطلق العدو من الجزائر بعدده وعدته، وتمركز بجبال ورقزيز، وبنواحي خريبشات والحوزة وأمغالا، وشن هجوما على طانطان والبويرات والمحابيس، وطوقت قواته الزاك ووصلت الى أبواب مدينة سمارة، ولكن القوات المسلحة المكلية كانت لعدوها بالمرصاد، وأوقعته في الفخ الذي نصبته له، فزحفت من الشمال ومن الشرق ومن الجنوب، وشنت عليه هجوما عنيفا، وطوقته بالخنفرة وبالخربشات، وهنا خسر العدو عددا كبيرا من رجاله وعتاده، وقامت القوات المسلحة الملكية ببناء الحائط الأمني الأول لحماية الزاك وشرق وارقزيز.

الخط الدفاعي والحزام الأمني والمعارك التي دارت في مناطقه

في ثاني مارس 1981 على الساحة الواحدة زوالا تم ربط الاتصال بين وحدات القوات المسلحة الملكية المكلفة بمهمة تمديد خط دفاعي (حزام الأمن) وتحصين مراكز الدعم والوحدات المرابطة باقليم اسمارة[4].

ويتكون خط الدفاع هذا الذي بنته قواتنا من عوائق ترابية عالية (في أمتار) محمية بحقول الألغام، والرادار، والأسلاك الشائكة، وآلات إنذارية الكترونية ومستودعات (تحت الأرض) مملوءة بالمعدات العسكرية والمؤن. ويمتد من الشمال إلى الجنوب، أي من سلسلة ورقزيز الى بوجدور، وبصفة أدق يمتد من المحيط الأطلسي غربا الى جهة الشرق نحو موريتانيا تم ينحرف شمالا في اتجاه يكاد يكون موازيا للحدود الجزائرية. وتحرس هذا الستار الترابي الكبير وحدات متركزة ومتنقلة عبر مساحة تقدر ب 60.000 كلم^2. ويبلغ عدد جنودها 140.000 جندي معززين بمراكز دفاعية. وقد أعد هذا الحزام الأمني الجبار لإحباط المناورات العدوانية والهجومات السافلة التي تقوم بها عصابات البولساريو المكونة من مرتزقة عاطلين مأجورين ومن عناصر نيجرية ومالية وموريتانية وجزائرية - تنتمي إلى الساحل وتعاني من الجوع والحرمان الأمرين - مدربة بتندوف ومسلحة من طرف ليبيا الى غاية تاريخ ما.

- وبعد المحاولات اليائسة التي قام بها المرتزقة للهجوم على مركز الحكونية منذ اليوم السابع والعشرين من شهر يبراير أعاد المرتزقة تجميع صفوفهم وهاجموا يوم ثالث مارس 1981 ابتداء من الساعة السابعة صباحا مركز الحكونية بواسطة طابور محمول على متن 200 سيارة. وقد تصدت القوات البرية المرابطة في الحكونية لطابور المرتزقة وأفشلت كل محاولاته الهجومية وأرغمته على التقهقر والفرار.

وقامت القوات الجوية الملكية من جهتها بملاحقة المرتزقة الفارين وألحقت بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وهكذا تم تدمير 47 سيارة تدميرا كليا بينما استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية شهيدان وأصيب ثلاثة بجروح.

- وفي يوم 24 مارس 1981 من 6 صباحا الى 6 عشية تعرضت منطقة كلتة زمور مرة أخرى الى هجوم قامت به عصابات من المرتزقة تقدر بأربعة فيالق (3000 مرتزق) وقد تصدت قواتنا لهذا الهجوم الغادر المنطلق من الأراض الموريتانية (عين بن تلي وبئر أم كرين). وقد شاركت القوات الجوية في هذه المعركة وحطمت عدة سيارات للعدو وفرت فلول المندحرين الى التراب الموريتاني[5].

- وعلى الساعة الواحدة بعد الزوال من نفس اليوم أطلق المرتزقة النار في اتجاه مختلف المراكز في حين ركزوا جهودهم على نقطة الدعم الموجودة في المرتفعات المؤدية من كلتة زمور إلى **بئر أمكرين** وبفضل شجاعة عناصر الدفاع المعززة بدعم جوي لم يستطع المرتزقة تحقيق أدنى تقدم في هجومهم.

وحوالي الساعة الرابعة ظهرا شن المرتزقة هجوما انطلاقا من غرب الحامية وقد تصدت

لهم عناصر الدفاع مع سلاح الطيران حيث تكبد المرتزقة خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد.

وفي يوم 25 مارس 1981 عزز المرتزقة صفوفهم بما يقدر بفيلق ثم شنوا هجوما في الساعة السادسة وأربعين دقيقة صباحا على حامية **كلتة زمور** انطلاقا من الشمال الشرقي مركزين نيران أسلحتهم في اتجاه التحصينات المتحكمة في المرتفعات المؤدية من كلتة زمور الى بئر أمركين، وقد تمكنت القوات المسلحة الملكية من إفشال وسحق كل تلك المحاولات. وفي نفس اليوم حاول المرتزقة التسلل بواسطة الراجلين منهم لمباغتة خطوط الدفاع من الجنوب لكن المدفعية معززة بالطيران وضعت هذا نهائيا لهاته المحاولة اليائسة. وفي يوم 26 مارس عاود المرتزقة هجومهم العدواني اليائس على حامية كلتة زمور مستخدمين المدرعات المجنزرة. فهاجموا وللمرة الثالثة حامية كلتة زمور انطلاقا من الشرق مركزين جهودهم بالخصوص على نقط الدعم الواقعة غربي الحامية غير أن القوات المسلحة الملكية كسرت كل هذه الهجمات.

- وفي يوم 27 مارس 1981 وصلت إحدى وحدات التدخل التابعة للقوات المسلحة الملكية الى مكان المعارك واستولت على كميات مهمة من العتاد كما أحصت العديد من الجثث التي تركها المرتزقة في الميدان. وهكذا تم إحصاء اكثر من 300 قتيل في صفوف المرتزقة وتدمير 134 سيارة عسكرية تدميرا كليا كما دمرت ثلاثة مدافع ذات فواهات متعددة من نوع أورغ ستالين ودمر مدفعان من عيار 128 ملمتر كما تم تدمير كمية كبيرة من الذخيرة والاستيلاء على عدد مهم من الأسلحة من بينها مدفع من أربع فواهات من عيار 14.5 صالح للاستعمال. وخلال هذه المعارك استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 36 شهيدا وجرح خمسة وخمسون.

- وتتابع مجموعة التدخل للقوات المسلحة الملكية عمليات التطهير التي تقوم بها ضد فلول المرتزقة حيث وصلت هاته المجموعة الى **بوكراع** يوم الأحد خامس أبريل 1981.

واثناء تقدمها فاجأت تجمعا للمرتزقة يتكون من فيلقين فتصدت له وكبدته خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وقد دامت هاته المعركة من الساعة السادسة صباحا الى الساعة الحادية عشرة. تم خلالها تدمير عدد كبير من السيارات منها خمس عشرة سيارة دمرت تدميرا كليا. وخلف المرتزقة عددا كبيرا من القتلى والجرحى في الميدان.

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية ثمانية وجرح سبعة عشر جنديا.

وفي يوم الخميس 16 ابريل 1981 هوجم المركز المغربي **سيدي عمارة**، وفرقة القوات المسلحة الملكية المرابطة بحسي عريبة في شمال وادي درعة من طرف قوات أجنبية قادمة من الجزائر. وقد ردت قواتنا العدوان بكل بسالة واستشهد في صفوفها 13 شهيدا وأصيب نحو العشرين بجروح متفاوتة في الخطورة. واختطف 10 رجال.[6].

- وقام طابور من المرتزقة يقدر بثلاثة فيالق بهجوم عنيف على الوحدات التابعة للقوات المسلحة الملكية المنوطة بها مهمة تشييد خط الدفاع بين السمارة وبوكراع وذلك في الساعة السادسة والنصف من صباح يوم 19 ابريل 1981.

وقد تصدت وحدات القوات المسلحة الملكية لفيالق المرتزقة في مركز «اسكن» على بعد

40 كيلومترا غربي السمارة واشتبكت معهم في معركة ضارية استمرت الى التاسعة صباحا كبدتهم خلالها خسائر فادحة وأرغمت فلولهم المنهزمة على الفرار في اتجاه الجنوب مخلفين وراءهم في ميدان المعركة عشرات القتلى وكمية هامة من الأسلحة والدخيرة.

وهكذا حطمت القوات المسلحة الملكية تحطيما كليا 16 سيارة من نوع جيب بركابها وغنمت سيارتين من نوع جيب مجهزتين بمدفع من نوع «بي 10» وكمية وافرة من الاسلحة الفردية والذخيرة. كما أسرت اثنين من المرتزقة واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية تسعة أفراد وجرح ثلاثون وأعطبت ثلاث سيارات من نوع جيب.

– وتتابع وحدات القوات المسلحة الملكية مهمة تشييد خط الدفاع بين اسمارة وبوكراع، وخلال قيامها بهذه المهمة فاجأت يوم 22 ابريل 1981 طابورا من المرتزقة يقدر بثلاثة فيالق في ضواحي **إسكن وكور البرد**. وأثناء الاشتباكات التي دامت من الساعة الخامسة الى الساعة الثامنة صباحا تكبد المرتزقة خسائر فادحة في الأرواح والعتاد لاذوا بعدها بالفرار في اتجاه الجنوب مخلفين في الميدان عشرات القتلى.

وقام سلاح الطيران الملكي بملاحقة المرتزقة الفارين حيث حطم لهم عشر سيارات من نوع جيب بركابها تحطيما كليا. وقد غنمت القوات المسلحة الملكية أربع سيارات من نوع جيب صالحة للاستعمال وكمية هامة من العتاد والذخيرة وجرح في صفوفها خمسة جنود واعطبت سيارتان.

– وفي يوم السبت 20 يونيو 1981 على الساعة السادسة صباحا قام فيلق من المرتزقة بعدة محاولات يائسة للهجوم على **حامية لمسيد**، وقد تصدت القوات المسلحة الملكية للمرتزقة وأحبطت كل محاولاتهم اليائسة. وعلى الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم حاول المرتزقة القيام بهجوم آخر انطلاقا من الجنوب الغربي، وبفضل التنسيق التام بين القوات البرية والجوية تم القضاء على تلك المحاولة، وأجبر المرتزقة على التقهقر والفرار نحو الجنوب.

– وفي يوم الأحد 21 يونيو 1981 على الساعة السابعة صباحا تمكنت وسائل المراقبة من التعرف على تجمع للمرتزقة يتألف من كتيبتين جنوب لمسيد، وقد تدخلت القوات الجوية الملكية على الفور ولاحقت المرتزقة الذين لاذوا بالقرار نحو الجنوب الشرقي حيث كبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وهكذا تم تدمير 25 سيارة بركابها تدميرا كليا، واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية ثلاثة وجرح خمسة عشر.

ومن جهة أخرى قامت القوات البرية معززة بسلاح الطيران الملكي باستطلاع هجومي في المحور ما بين اسمارة والحوزة، وأثناء عمليات المسح والتطهير في الحوزة ونواحيها لم تعثر القوات المسلحة الملكية على أي أثر للمرتزقة سوى بعض المخابئ والمستودعات للمؤن والأسلحة تم تدميرها، وعادت القوات المشاركة في هذه العمليات الى قواعدها.

– وتصدت القوات المسلحة الملكية يوم 11 غشت 1981 لمحاولة يائسة قام بها المرتزقة على الساعة السادسة صباحا ضد حامية المسيد.

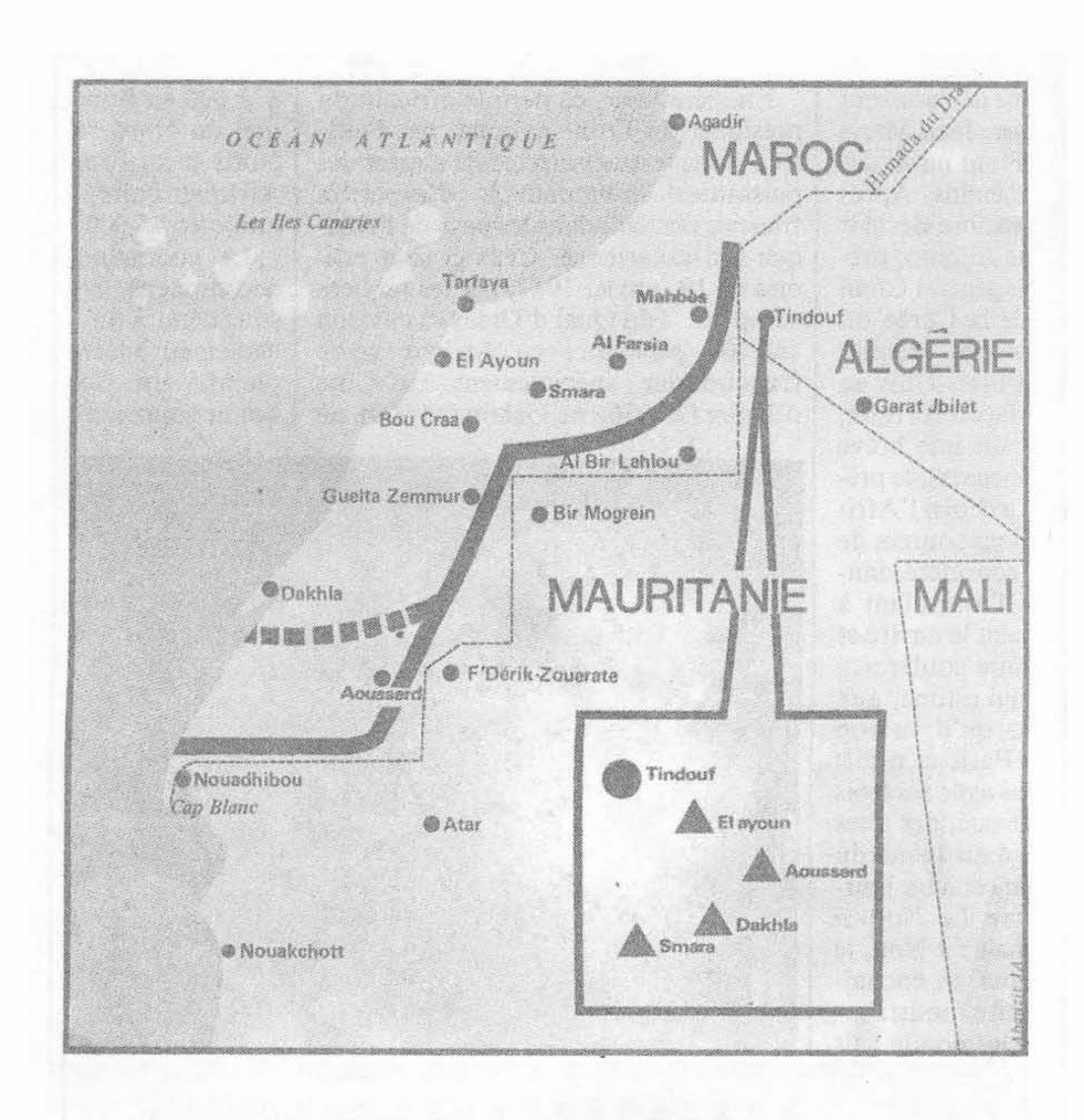
وخلال الاشتباك والمطاردة اللذين استغرقا أربع ساعات وبفضل التنسيق المحكم بين القوات البرية والدعم الجوي كبدت القوات المسلحة الملكية المرتزقة خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وقد فر المرتزقة من ساحة المعركة مخلفين في الميدان 30 سيارة من بينها شاحنتان وعربتان مجهزتان بمدافع من نوع (أروغ دو استالين) و 150 ما بين قتيل وجريح. أما في صفوف القوات المسلحة الملكية فقد استشهد 12 وجرح 54.

– وبعد محاولة الهجوم التي قام بها المرتزقة على حامية المسيد يوم 11 غشت 1981 وبعد قصف مدفعي استمر يوم 13 و 14 غشت على الحامية قام المرتزقة بهجوم انتحاري على **المسيد** يوم 15 غشت. وقد تصدت القوات المسلحة الملكية للمرتزقة وكسرت جميع هجوماتهم بفضل التنسيق المحكم بين القوات البرية والجوية. وتراجع المرتزقة في اتجاه الشرق مخلفين في الميدان تسعين جثة و73 سيارة محطمة تحطيما كليا بالإضافة إلى كميات هائلة من الأسلحة من بينها قاذفات الروكيت المتعددة الفوهات من عيار 122 مليمتر. وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 12 شهيدا وجرح 26.

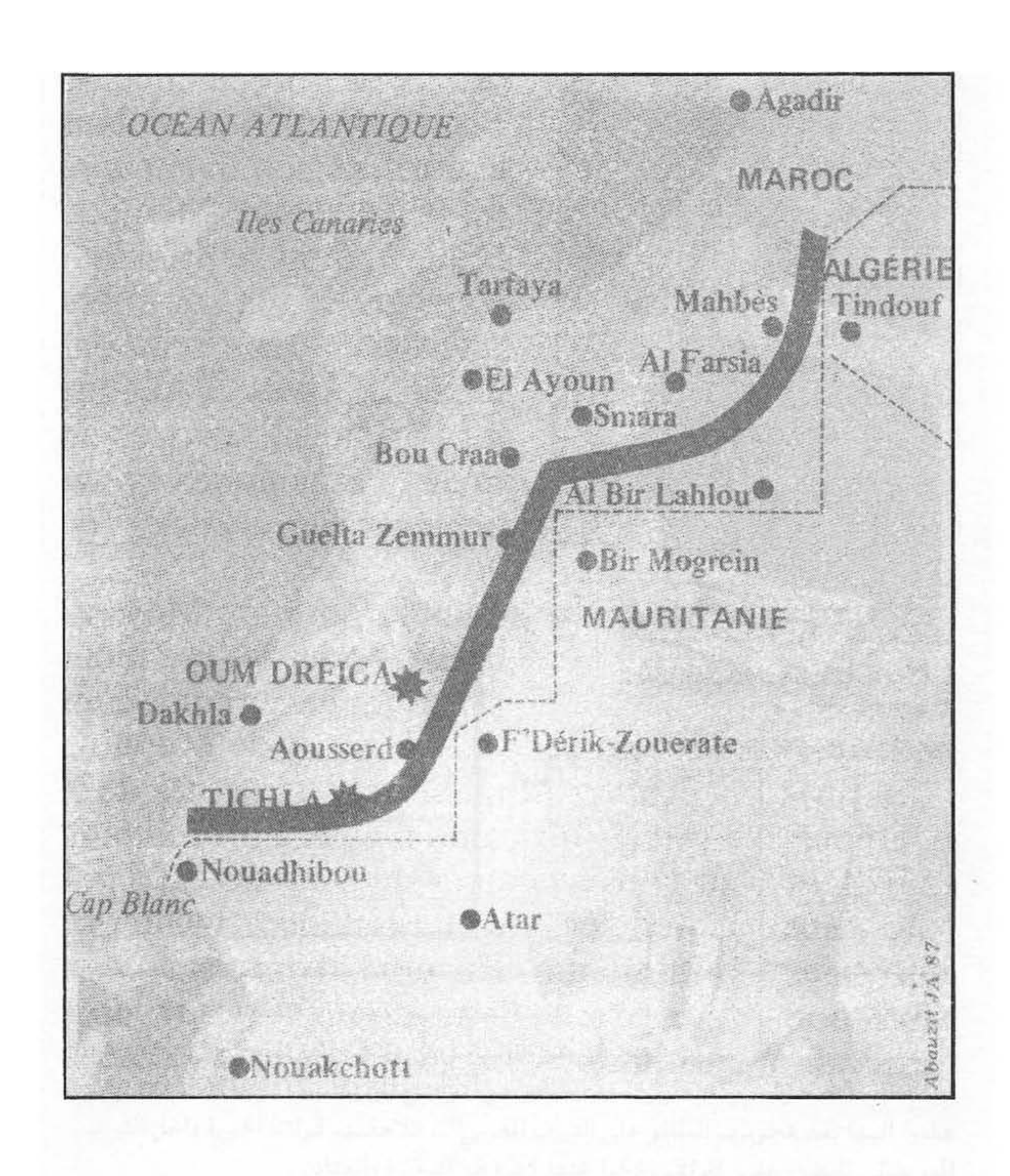
وفي اليوم الثالث والعشرين من غشت 1981 قام المرتزقة بهجوم على نقط الدعم الموجودة على خط الدفاع والواقعة بين (**تواغرت**) و (**خريبشات**) وكان عددهم يبلغ ثلاثة فيالق. وقد ردت القوات المسلحة الملكية هذه المحاولة وكبدت فلول المرتزقة وسط فوضى عارمة مخلفة في الميدان 80 جثة من بينها جثث تتراوح أعمار أصحابها ما بين 18 و 20 سنة.

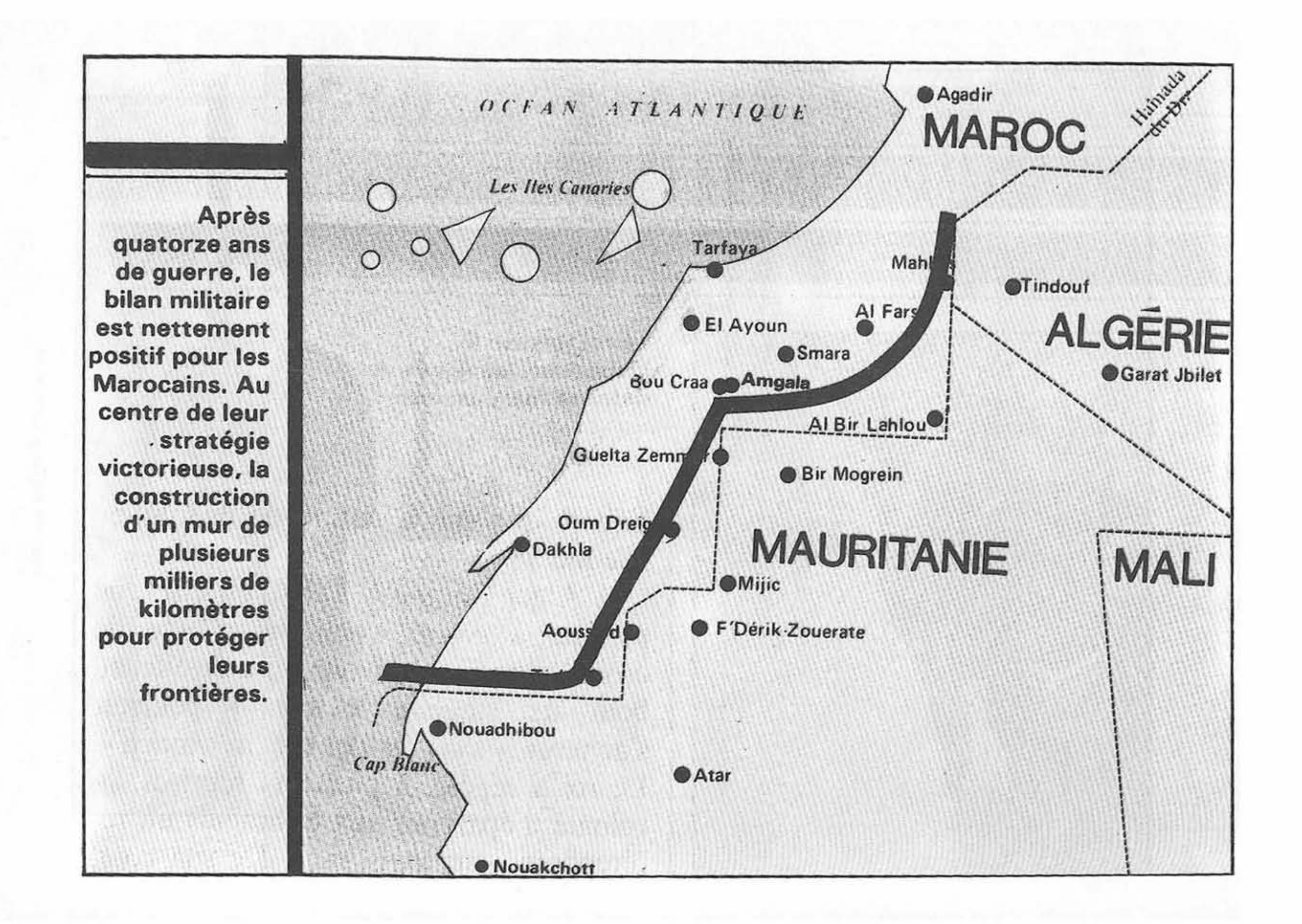
وقد حطمت القوات المسلحة الملكية 20 عربة وغنمت 5 سيارات من نوع جيب تركها المرتزقة أثناء فرارهم بالإضافة إلى عدد هام من العتاد من بينه (ار بي جي) 7 ورشاشات من نوع (كلاشنيكوف). وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 4 أفراد وجرح 10.

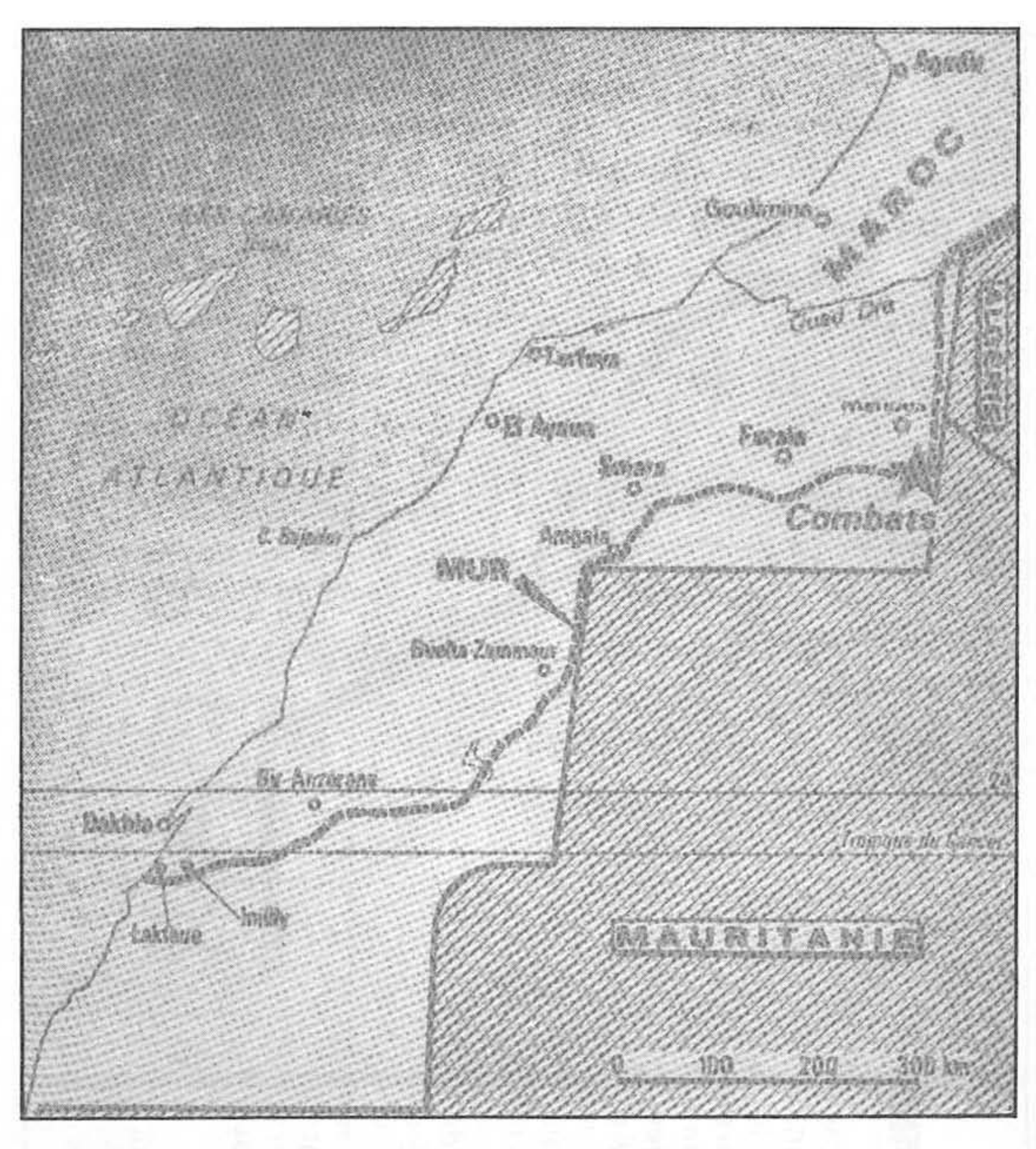
– وتعرضت **كلتة زمور** يوم 13 اكتوبر 1981 للعدوان و كذا قواتنا المسلحة الملكية المرابطة بها لهجوم غادر من قبل عصابات المرتزقة مدججة بالمصفحات الروسية من نوع T54 و T55 وبقواعد لاطلاق صواريخ سام 6 (Rampes). وقدر عدد المهاجمين ب 3000 مرتزق. وقامت معركة صاخبة بين الجانبين تكبد فيها المرتزقة خسائر جسيمة واسقط العدو 3 طائرات : (2 ميراج 1 وطائرة c 630) للاستطلاع وحطمت قواتنا الجوية للعدو قاعدة لاطلاق الصواريخ. وتوالت المعركة 3 أيام متوالية حاصرت فيها الفرقة السادسة من المشاة الميكانيكين (6ème R.T.M) مواقع العدو وبالكلتة وأمطروها وابلا من قصف مدفعيتهم بقيادة الكولونيل الغجدامي وقد استشهد في صفوف قواتنا عدد كبير من جنودنا البواسل. وتعد هذه المعركة من أكبر المعارك منذ قيام حرب الصحراء. وكان المرتزقة قد انطلقوا من الأراضي الموريتانية (قرية العايديات) وقد عادوا اليها بعد هجومهم السافر على التراب المغربي[7]، فلاحقتهم قواتنا الجوية داخل التراب الموريطاني للقضاء على فلولهم وتركوا عددا كبيرا من الدخيرة والعتاد.



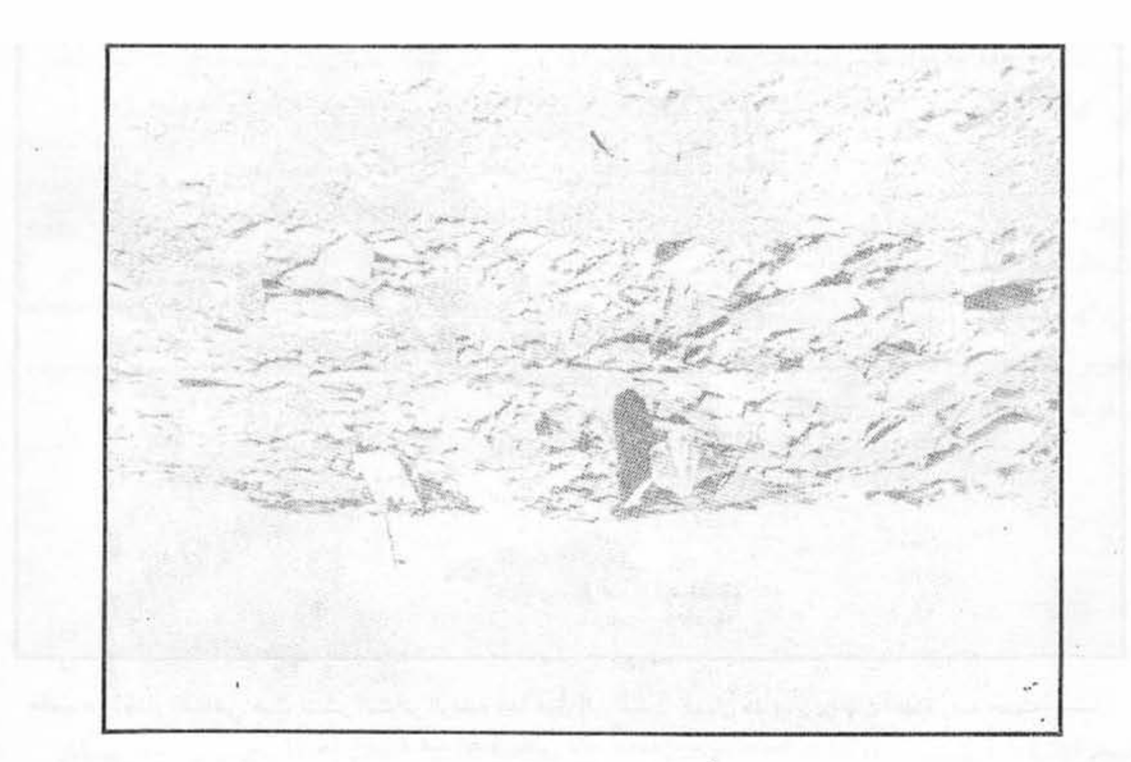
OCÉAN ATLANTIQUE
Les Iles Canaries
Agadir
MAROC
Hamada du Drâ
Tarfaya
Mahbès
Tindouf
ALGÉRIE
Al Farsia
El Ayoun
Smara
Garat Jbilet
Bou Craa
Al Bir Lahlou
Gueita Zemmur
Bir Mogrein
Dakhla
MAURITANIE
MALI
Aousserd
F'Dérik-Zouerate
Nouadhibou
Cap Blanc
Atar
Nouakchott
Tindouf
El ayoun
Aousserd
Dakhla
Smara


OCEAN ATLANTIQUE
Agadir
MAROC
Iles Canaries
ALGERIE
Tarfaya
Mahbès
Tindouf
Al Farsia
El Ayoun
Smara
Bou Craa
Al Bir Lahlou
Guelta Zemmur
Bir Mogrein
MAURITANIE
OUM DREIGA
Dakhla
Aousserd
F'Dérik-Zouerate
TICHLA
Nouadhibou
Cap Blanc
Atar
Nouakchott
Abauzit JA 87

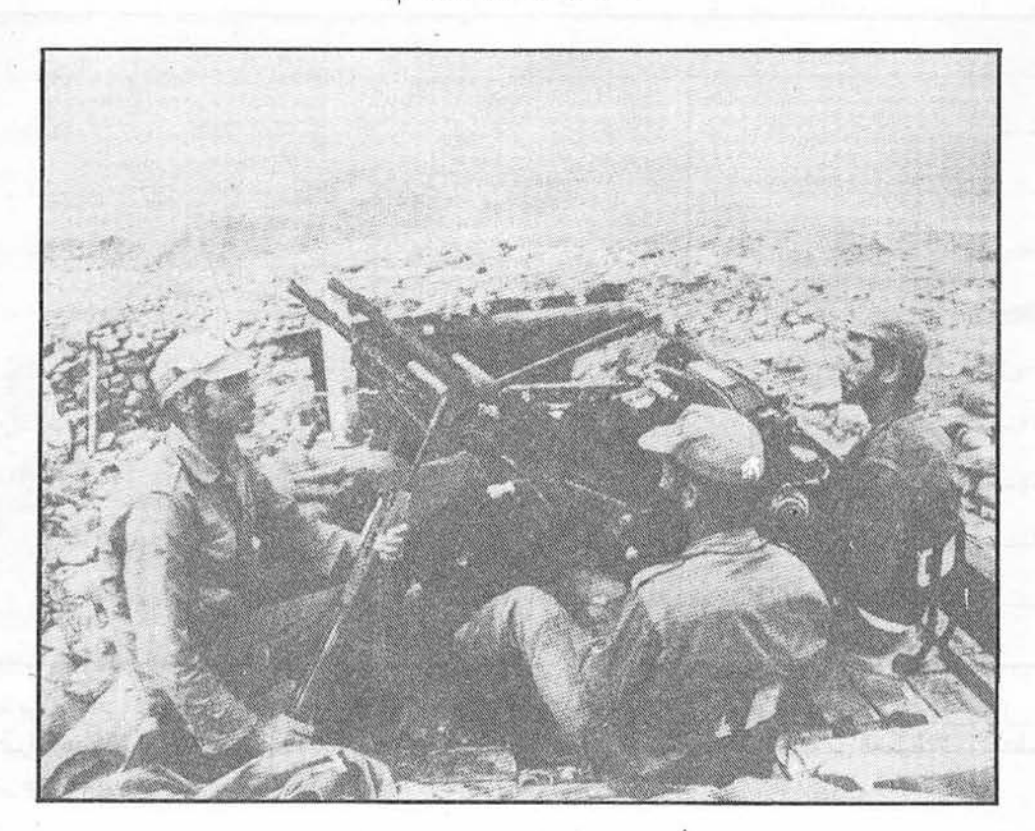

OCEAN ATLANTIQUE
Les Iles Canaries
Agadir
MAROC
Tarfaya
Tindouf
ALGÉRIE
Garat Jbilet
El Ayoun
Smara
Bou Craa
Amgala
Al Bir Lahlou
Bir Mogrein
Dakhla
MAURITANIE
MALI
Mijic
F'Dérik-Zouerate
Nouadhibou
Cap Blanc
Atar
Nouakchott
Après quatorze ans de guerre, le bilan militaire est nettement positif pour les Marocains. Au centre de leur stratégie victorieuse, la construction d'un mur de plusieurs milliers de kilomètres pour protéger leurs frontières.



الخريطة توضح مكان المخطط المغربي لمد الجدار الأمني حتى جنوب الداخلة



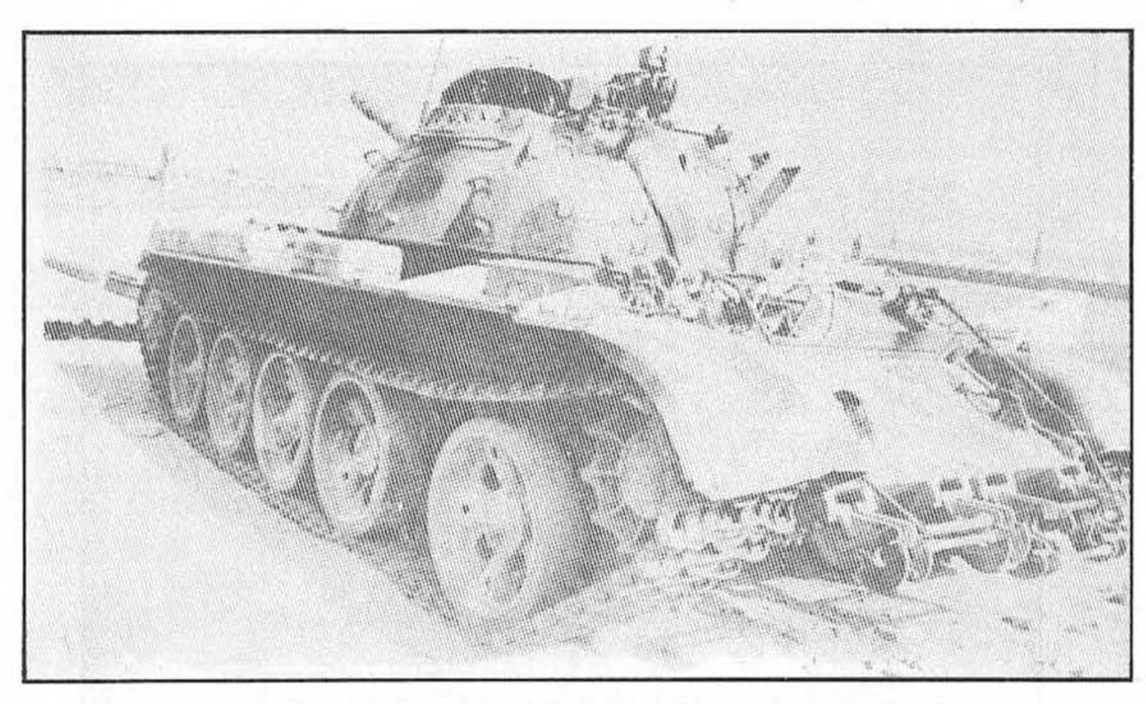
أحد المخابئ داخل «نقطة الدعم»



Un point d'appui sur «le mur»



جانب من الجدار الدفاعي حيث تنتشر السواتر الرملية وبدا فوق إلى اليمين جنديان مغربيان يراقبان أجهزة رصد حديثه، بينما بدا الجنرال عبد العزيز بناني قائد منطقة الجنوب العسكرية



دبابة من نوع «تي 55» غنمتها القوات المسلحة الملكية وهي صالحة للاستعمال (يناير 1984)
من مميزات هذه الدبابة تتوفر على مدفع 100 مم ورشاشتين وعلى الأشعة ماتحت الحمراء التي تمكنها من العمل ليلا. وتستطيع السير في الماء بواسطة مراوح تشبه مراوح السفينة.

– هذا وقد استمرت المعارك بين القوات المغربية والمرتزقة المدعمين بالمصفحات الثقيلة الى نهاية الأسبوع في منطقة كلتة زمور.

وقد أتلفت قواتنا المسلحة المدعمة بالطيران الملكي أثناء هذه المعارك 6 دبابات للعدو (من نوع ت 54 وهي من صنع سوفياتي) وعددا من السيارات المصفحة لنقل المرتزقة. وقد أسقط المرتزقة بواسطة صاروخ طائرة عمودية Puma كانت تحلق على ارتفاع عال في طريق عودتها من كلتة زمور. وكانت معركة يوم الخميس 22 اكتوبر 1981 أشد ضراوة من اعتداء 13 اكتوبر الماضي. وتتميز المنطقة التي مرت فيها هذه المعارك بالممرات الحلزونية المتداخلة وبأكمات صخرية سوداء قد تتيح إقامة كمائن خطيرة لقواتنا مما يعرقل حركتها.

صحراؤنا وأرضنا

للشاعر عبد الكريم التواتي

صحراؤنا، أرضنا، اوطاننا، عدننا ... والحاضر الحي والماضي وأزمان
نحبها ونحب القاطنين بها ... فهم بنونا وآباء واخوان
لا تسألونا نزوحا عن مشاهدها ... فهي الدماء واحشاء وأبدان
لا تسألونا نزوحا عن مرابعها ... أيهجر الوطن المحبوب انسان؟
نحبها ونفديها بما ملكت ... أرواحنا وحنايانا واجفان
بئر انزران وأمغالا وما شهدت ... أرض السمارى وساح الزاك برهان
والمحبس الصامد الابطال شاهدة ... ساحاته انها روح وجثمان
على مشارفها نادت جحافلنا ... الله اكبر : أجبال وغدران
اسيافنا مشرعات، لا غمود لها ... الا صدور اعادينا واعيان
تجتثهم، مهلكات، لا مرد لها ... هن المنايا : خطاطيف وغيلان
«فانطومنا» تحرق الاعدا وتمحقهم ... فهي الصواعق «والميراج» عقبان
نقض مضجع من جاروا واعتسفوا ... عقبى البغاة تباريح وخذلان
الى التآخي دعوناهم، اما علموا ... أن الاخوة من الناس احسان
وما نهاب حروبا، اننا سعر ... لها، ولكنهم أهل وجيران

الكلتة

للشاعر محمد الحلوي

كالأطلس الجبار، او كالمارد
تملي على التاريخ أروع قصة
وعلى روابيها أسود أقسمت
ربضت وأيديها تشد بقوة
الموت يكمن للعدى في زحفها
والفجر يطلع من ملاحمها التي
وقفت على ربواتها وكأنها
حتى إذا اقتحم العدو عرينها
فتحت مخازن نارها وصدورها
وسقته كاسات يغص بنارها
حشدوا لها أقوى العتاد وعبأوا لسقوطها
حتى إذا أوهى النطاح قرونهم
ولوا على أعقابهم ونسورنا
لاسام يرعبهم إذا ما يمموا
ومتى تخوفت النسور فلم تطر
يايومها والشمس ذر شعاعها
دوت مدافعها فزلزلت الربى
وتفجرت برك الجحيم كأنها
وتلألأت الله أكبر صيحة
فإذا الرمال مصارع مخضوبة
وإذا البطولة في معالم كلتة
لم تشهد الصحراء يوما مثله
أبطال كلتة مشعل يزهو به
كم من شهيد كان يأمل عودة
ووحيدة في بيتها مهمومة
فجعت بمصرعه وكان حياتها
عهدا لمن سقطوا لنحيا بعدهم
عهدا بأن نبقى على خطواتهم
في وحدة كبرى وشعب لم يكن
لم يحتمل ضيم الغزاة ولا هوت
ما الموت إلا أن يعيش وفي ثرى

وقفت وقوف المغربي الصامد
لنضال شعب مستميت ذائد
أن لاتدنسها ذئاب الحاقد
فوق الهضاب على الزناد الحاصد
مثل الصواعق والشهاب الراصد
كتبت روائعها لشعب ماجد
منحوتة منها، وقوف العابد!
ورمى معاقلها بجيش حاشد
واستقبلت بالموت ألأم وافد
وحميمها المصبوب حلق الوارد
الموهوم جهد الجاهد
واستصعبوا ضرب الحديد البارد!
في الجو تطرهم بموت قاصد
أهدافهم مثل القضاء الواعد
في الجو خوفا من رصاصة صائد؟!
ذهبا على ذهب الكثيب المائد
وأضاءت الصحرا بنور واقد
سيل من اللهب المطل الصاعد
معصورة بفم وقلب واحد!
بدم الأشاوس والرعيل الرائد
حدث على الايمان أوفى شاهد
في حربها للأجنبي البائد
جيل المسيرة ماجدا عن ماجد
ليضم طفليه لحضن الوالد!
تبكي أساها في انتظار العائد
فقضى الفقيد على حياة الفاقد!
ومضوا على درب الجهاد الخالد
ونسير كالجندي خلف القائد
يوما إذا حق الجهاد بقاعد
أقدامه إلا استقام بساعد
صحرائه ظل لجار حاسد!!!

– وقامت عصابات المرتزقة في الساعة السادسة والدقيقة الأربعين من صبيحة يوم الاربعاء 18 نوفمبر 1981، بهجوم عنيف على بلدة **المسيد**، معززة أثناء ذلك بالدبابات.

وقد اعترضت القوات المسلحة الملكية سبيل هذه العصابات المكونة من فيلقين وارغمتها على التراجع بعد اشتباكات قوية وخلف المرتزقة المنهزمون في الميدان عددا كبيرا من القتلى والجرحى، بالإضافة الى كمية هامة من العتاد العسكري الذي حطم اثناء المواجهة. وهكذا تم التحطيم الكلي لثلاث دبابات من نوع في 54 ودبابتين من نوع طوباز و 15 سيارة مصفحة خفيفة من نوع (AIL) وشاحنات وعشر سيارات من نوع جيب، وتقدر الخسائر البشرية التي تركها المرتزقة في عين المكان بمائة ما بين قتيل وجريح، واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية خمسة افراد، وجرح تسعة وعشرون.

– وفي يوم ثامن يناير 1982 يوم عيد المولد النبوي الشريف بالذات قامت ثلاثة فيالق من المرتزقة معززة بالمصفحات وناقالات الجنود وسيارات مجهزة بالمدافع الرشاشة الخفيفة بشن هجومين على وحدات القوات المسلحة الملكية المرابطة بين **أبطيح وتراغت** بمنطقة **رأس الخنفرة**. وقد شن المرتزقة هجومهم الاول في الساعة السادسة والدقيقة الخمسين صباحا ضد مواقع القوات المسلحة الملكية الموجودة بين خريبيشات وتراغت. وقد مني هذا الهجوم بالفشل الذريع حيث تشتت جموع المرتزقة الذين اضطرت فلولهم المنهزمة إلى الفرار نحو الشرق وذلك أمام الرد الفوري والسريع للقوات المسلحة الملكية. وفي الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة صباحا وقع الهجوم الثاني على المراكز الواقعة **بين أبطيح ورأس الحميرة** وكان هجوما عنيفا تواصلت خلاله الاشتباكات الى الساعة العاشرة والنصف صباحا حيث تلقى المرتزقة خلال ذلك إمدادات مهمة. ولكن القوات المسلحة الملكية حطمت جميع المحاولات الهجومية التي قام بها المرتزقة. وخلال هذه الاشتباكات مني المرتزقة بخسائر فادحة وأرغموا خلالها على الفرار من ساحة المعركة متجهين أيضا نحو الشرق. وتبلغ الخسائر التي مني بها المرتزقة 150 ما بين قتيل وجريح و 34 سيارة و 6 مصفحات محطمة تحطيما كليا. وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه باغتت القوات الملكية الجوية قافلة من المرتزقة محمولين بواسطة 160 سيارة ومصفحة حيث تصدت لها وألحقت بها خسائر فادحة. واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية خلال هذه الاشتباكات ثلاثة أفراد وأصيب 21 بجروح خفيفة كما أصيبت ست سيارات من نوع جيب.

– وخلال هذه المعارك استولى الجيش المغربي على دبابة سوفياتية من طراز (ت 55) مجهزة بجهاز يعمل بالأشعة الحمراء وذلك للقصف الليلي. وقد اشتركت هذه الدبابة في هذا الهجوم الذي تعرض له خط الدفاع للمرة الاولى منذ نشأته. وتقدر قوات العدو التي شنت هذا الهجوم بثلاثة آلاف مزودين بثلاثمائة عربة وتشكيلتين من المدرعات (حوالي 20 دبابة من طراز ت 55 وت 54) وسريتين لنقل الجنود تشكوسلوفاكية وروسية.

وفي اليوم الثاني من المعركة دارت معركة بين الدبابات وقد فقد العدو 200 من جنوده ودمرت له 45 عربة ومنصة إطلاق صواريخ مزودة بأربعين "ماسورة" ومدفعين للطائرات مزدوجي الماسورة. أما خسائر المغاربة فهي 6 قتلى وإصابة 4 عربات.

وقد أثبتت هذه المعركة فعالية حائط الدفاع وإذا أخذنا بالاعتبار وسائل المرتزقة إذ يضطرهم هذا الحائط الى شن هجماتهم بعيدا عن قواعدهم الخلفية، ومستخدمين فيها الأسلحة الثقيلة. كما أنها تسحب معها خطوط الإمداد والتموين الامر الذي يكلفها نفقات باهظة ويعرض هذه الخطوط لقصف الطيران.

وفضلا عن ذلك لم يستطع المرتزقة التسلل ومراقبة الوحدات المغربية مثلما كانت تفعل من قبل، وتؤثر قلة المعلومات تأثيرا سيئا على دقة هجوماتهم بينما تحرمهم أجهزة الردار التي سيتخدمها المغاربة من الوصول لاكتشاف اقترابهم من عنصر المفاجأة [8].

- وفي يوم 12 يونيه 1982 انتهى العمل لانجاز خط الدفاع الذي يشمل منطقتي **بوكراع وبوجدور** وأصبحت بذلك حركة التنقل تسير سيرا طبيعيا في الطريق الرابط بين طانطان وبوجدور [9].

وفي يوم ثالث يوليوز 1982 قامت عصابة من المرتزقة تقدر بفيلقين ومعززة بسيارات مصفحة (أ.م.ل) بشن هجوم عنيف ابتداء من الساعة الخامسة والنصف صباحا على خط دفاع مدينة السمارة.

وقد تركز الهجوم في اتجاه **وادي العيون** (تارغاست) و (خنك سكوم)، وقد تصدت القوات المسلحة الملكية للمرتزقة وكسرت هجومهم بقوة بعد أن استمرت الاشتباكات الى غاية الساعة الثامنة والنصف صباحا. وقد تراجع المرتزقة عن المعركة مقهورين وانسحبوا فارين بعد أن كبدتهم القوات المسلحة الملكية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وقد خلف المرتزقة الفارون عددا كبيرا من جثث قتلاهم في الميدان واستولت القوات المسلحة الملكية على كميات هامة من العتاد الحربي من بينها أربع سيارات من نوع - طويوطا وسيارتان من نوع جيب لاندروفير. ومدافع ذات فواهتين من عيارات مختلفة ومدفع رشاش. وقد استشهد في صفوف قواتنا المسلحة الملكية سبعة أفراد وجرح خمسة وعشرون بينما اعطبت سيارة واحدة من نوع جيب - لاندروفير.

- وفي إطار عمليات تحصين خط الدفاع التي تقوم بها وحدات من القوات المسلحة الملكية اشتبكت قواتنا عدة مرات مع عصابات المرتزقة شرق مدينة السمارة وجنوب دراع افرافير.

وخلال كل هذه الاشتباكات كبدت القوات المسلحة الملكية عصابات المرتزقة خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وأرغمتهم على التراجع والفرار من ساحة المعركة. وهكذا ففي يوم ثالث يوليوز 1982- كما هو معلوم - أجبرت القوات المسلحة الملكية المرتزقة على الفرار تاركين في الميدان أربع سيارات من نوع طويوطا وسيارتين من نوع لاندروفير ومدافع ذات فواهتين من عيارات مختلفة ورشاشا واحدا. وفي يوم 15 يوليوز 1982 وفي المنطقة نفسها أرغمت وحدات من القوات المسلحة الملكية عصابات المرتزقة على التقهقر مخلفة في الميدان ستين قتيلا وأربع عشرة سيارة محطمة عن اخرها ومدفعين من نوع أورغ ستالين. ولم يصب احد في صفوف القوات المسلحة الملكية.

- وفي يوم 19 يوليوز 1982 وفي جنوب دراع أفرافير اشتبكت القوات المسلحة الملكية مع طابور من المرتزقة محمول علي مائة سيارة فشتتت جموعهم وأرغمتهم على الفرار في اتجاه الجنوب تاركين في الميدان عدة جثث و 16 سيارة معطوبة وخمس بندقيات من نوع كلاشنيكوف ورشاشة واحدة من عيار 12 مليميتر فاصلة 7 وكمية هامة ن الذخيرة. وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية خمسة جنود واصيب تسعة بجراح.

- وفي يوم 22 يوليو 1982 تمكنت مجموعات من القوات المسلحة الملكية مكلفة بالمراقبة الهجومية وكذا وسائل المراقبة الجوية من تحديد مكان وجود طابور هام من المرتزقة يقدر بثلاثة فيالق بالقرب من **أم العويتقات** في **منطقة الكعيدة**.

وكان هذا الطابور المحمول على متن سيارات جيب من نوع طويوطا معززا بفيلق آلي وبفيلق اخر مزود بالدبابات من نوع «ت. 54 و ت. 55» وحاملات الدبابات. وقد باغثت وحدات القوات المسلحة الملكية جموع المرتزقة وشنت عليهم هجوما عنيفا أدى الى اشتباكات ضارية من الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين الى الثامنة والنصف صباحا.

وقد اضطر المرتزقة الذين تكبدوا خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد الى التقهقر والفرار في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي. وخلال هذه المعارك حطمت القوات المسلحة الملكية خمس دبابات وقاعدتين لاطلاق قذائف الروكيت وثلاث سيارات من نوع جيب، وغنمت في الوقت نفسه كمية هامة من العتاد منها عدد من البندقيات من نوع كالاش وفال وقذائف الروكيت المضادة للدبابات ومدافع من عيار 62 ر 7. وترك المرتزقة أثناء فرارهم من المعركة عددا كبيرا من الجثث في الميدان. واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية جنديان وأصيب أحد عشر جنديا بجروح وأعطبت سيارة واحدة من نوع جيب[10].

وبعد هدنة دامت سنة كاملة :

- ففي الساعة السادسة من صباح يوم عاشر يوليوز 1983 قامت مجموعة من المرتزقة تقدر بعشر كتيبات محمولة على متن 150 سيارة ومعززة بعشرين آلية مصفحة بالهجوم على مواقع الدفاع بالمسيد.

وبعد أن قام المرتزقة بالتمهيد لهجومهم بإطلاق القذائف من السادسة الى العاشرة صباحا انطلاقا من عدة محاور تبعد عن جنوب المسيد بـ 14 كيلومترا انقسموا الى مجموعتين في اتجاه **مغدر سلطان والمسيد**. وبمجرد ما اقتربوا من مرمى الأسلحة المضادة للدبابات التابعة للقوات المسلحة اضطرت المجموعة الأولى من المرتزقة الى التراجع والتقهقر مخلفة في الميدان عددا كبيرا من الآليات المحملة من بينها 4 آلية مصفحة.

ومن الساعة 11 الى الساعة الثالثة بعد الزوال عاود المرتزقة إطلاق النار على مواقع الدفاع قبل القيام بهجوم، في الساعة الثالثة بعد الزوال شمال غرب المسيد **في سبخة البريدلة**. وقد كسرت القوات المسلحة الملكية هجوم المرتزقة وأجبرتهم على الفرار في اتجاه المحارثية تاركين عددا كبيرا من الآليات المحطمة في الميدان. وأسفرت هذه العملية عن تدمير

عشر آليات مصفحة وتحطيم عدد كبير من مختلف أنواع السيارات ومقتل خمسين من المرتزقة وإصابة عدد كبير بجروح. واستشهد جنديان في صفوف القوات المسلحة الملكية وأصيب ثلاثة بجروح.

إن العدوان الاثم الذي قام به المرتزقة على ترابنا الوطني كان مناسبة أخرى أظهرت فيها قواتها المسلحة الملكية قدرتها على إحباط على مناورات أعداء وحدتنا الترابية وسيطرتها المطلقة على الوضع في الميدان [11].

وعلى الساعة السابعة صباحا من يوم 26 يوليوز 1983 قام طابور من المرتزقة محمول على متن 150 سيارة من بينها 31 مصفحة بهجوم على مواقع الدفاع بالمسيد. وكان المرتزقة قد تحركوا ليلا من الجنوب انطلاقا من **الرك الابيض** في اتجـــاه كل من **الاكطايفة ومغدر سلطان**. وقد شن المرتزقة هجومهم على ثلاثة محاور في اتجاه الاكطايفة ومغدر سلطان ونقط الدعم في الشمال الغربي للمحارثية تحت تغطية من القصف المكثف والقصف المباشر للمصفحات محاولين اقتحام مواقع الدفاع للقوات المسلحة الملكية. وقد مني المرتزقة بهزيمة شنعاء اثناء هذه المحاولة اذ تمكنت القوات المسلحة الملكية من سحق المغيرين وكسر هجوماتهم وفي الساعة الحادية عشرة صباحا تدخلت القوات الملكية الجوية ضد تجمعات فلول المرتزقة قرب وادي الكسير والاكطايفة وألحقت بهم خسائر فادحة في الارواح والعتاد.

وفي أعقاب الهزيمة التي مني بها المرتزقة في جميع محاولاتهم العدوانية قاموا في الساعة الثالثة بعد الظهر باللجوء الى قصف مدفعي موجه بصفة خاصة نحو المواقع الجنوبية لخط الدفاع في محاولة لاسترجاع حطام ثلاث دبابات خسروها أثناء المعركة. وقد تم سحق جميع محاولات المرتزقة بتنسيق كامل بين العناصر المكلفة بالدفاع عن مواقع الدعم وسلاح المدفعية وسلاح الطيران للقوات المسلحة الملكية.

وبلغت خسائر المرتزقة ثلاث دبابات محطمة وإحدى وأربعين مابين سيارة وسيارة مصفحة تم تدميرها او اعطابها. واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية خمسة رجال وأصيب اثنان وعشرون بجراح.

وحاول المرتزقة شن هجوم في اتجاه السمارة اثناء عمليات فاشلة قاموا بها ايام 2 و 3 و 9 سبتمبر 1983. وقد تصدت القوات المسلحة الملكية لكل هاته المحاولات وأوقفت هجومات المرتزقة وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وأسفرت تدخل القوات المسلحة الملكية عن تدمير وإحراق عدد كبير من الاليات والدبابات والسيارات التي استعملها المرتزقة. وقد تم إحصاء 150 جثة محروقة داخل هذه الاليات المحطمة. وترك المرتزقة في الميدان عددا كبيرا اخر من القتلى كما أصيب أزيد من 300 جريح في صفوفهم. واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 37 شهيدا وأصيب 46 بجروح.

له في مجال الحرب اكثر من ذكرى

للشاعر المرحوم عبد الرحمان الدكالي

الا فابعـدن يامـن يريـد لنـا الـردى — واخضـاع هذا الشعب والكيد والمكـرا
فإن لـنـا مـجـدا تليـدا مقـدسـا — وانعمـنـا جـلـت وقوتنـا تـثـرى
وان لـنـا هـذا المـليـك يقـودنـا — ليحمـي هذا الشعب اذ ينبـذ الشـرا
وان لنـا دينـا عظـيـمـا وعـزة — وحصنـا حصينـا مشمخـرا مـوقـرا
وجيشـا قـويـا للبـلاد وجـنـدنـا — له في مجـال الحرب أكثر من ذكـرى
فسـل عنـد جولنـا وسل مصر إنها — ستاتيـك أخبـار تسر من استـقرى
رجـال ابـاة قـوة وشـجـاعـة — يريـدون كسـب المجد والعز والنـصرا
ويـفـدون بـالارواح كـل بـلادنـا — جنوبـا وصحـراء وأجزاءنـا الاخـرى
فمـا منهـم إلا شهيـد مقـاوم — ومـا منهـم الإشجـاع تصـدرا
يذيقـون كـأس الـذل كل مهاجـم — ومغتصـب للأرض الـذي قد تنكـرا
وجـار علـى الصحراء رغم جـواره — وأمعـن في جـرم وقد ركب الخسـرا
أيستـأسد الهـر الحقيـر حمـاقـة — فيـاعجبـا كيـف اختفـى وتنسـرا
وان لنـا صـحراءنـا وبـلادنـا — ولـن نستهـين الأرض والجو والبحرا
فسبتتنـا مـن أرضنـا ومليـليـا — ولن ينكـر الاسبـان ما قد تحـررا
سنـكـمـل للام العـزيـزة عـزهـا — بتوحيـدنـا شعبـا أراد التـحـررا
ونـرجـع مجـدا للبـلاد و عـزة — ولـن يستذل شعبـا أراد التحـررا

- وفي أواخر سنة 1983 أقدم الجيش المغربي على اتخاذ زمام المبادرة الهجومية. وقام بتعقب فلول "البوليزاريو" في جحورها ومخابئها خارج الأسلاك الشائكة والمناطقة المزروعة بالالغام. ولم يكتف العسكريون المغاربة بالدفاع خلف الجدار الرملي فمنذ شهر أكتوبر 1983 خرج الجيش المغربي مرتين لمهاجمة المرتزقة في مخابئهم نفسها - على امتداد وادي الساقية الحمراء - وقد حاولوا إعاقة عملية استمرار بناء الجدار الدفاعي.

وانطلقت الهجمة الأولى من مدينة سمارة بقوات تتراوح ما بين 12000و 15.000 مقاتل معززين بالطيران. أما الهجمة الثانية فتمت في أواخر دجنبر 1983 واوائل سنة 1984 انطلاقا من المنطقة المنجمية لبوكراع بأعداد مقاتلة مماثلة. وقد تمت في منطقة **الضلوع**، وهي عبارة عن «أمواج من الكدى» على طول 30 كلم. وتكبد العدو فيها خسائر فادحة وتمكنت قواتنا المسلحة الملكية من الدخول الى أمغالا دون اصطدام بأي قوة أخرى. وأثناء هذه العمليات قتل المدعو «ابراهيم غالي" وزير "العدوان" في "الجمهورية الوهمية المزعومة". وفر ما يقرب من عشيرن فردا من البوليزاريو للالتحاق بالقوات المغربية وآخرون الى موريتانيا، وألقى القبض على كثير من الاسارى، وترك البوليزاريو في ميدان المعركة 4 دبابات سوفياتية، ودبابة كورية شمالية ذات أربع أنابيب، ودبابتين من صنع أمريكي، ومجموعة من عربات مصفحة (منها دبابة ثي 55)، ومجموعة من الصواريخ والألغام ومختلف الاعتدة والذخائر وعشرة من سيارة لاندروفير مجهزة "بقيادة مدعمة".

- وفي بداية سنة 1984 بلغ الطول الاجمالي للخط الدفاعي حوالي 650 كلم ويبدأ (كما ذكرنا سابقا) من منطقة الزاك وينزل جنوبا الى منطقة أمغالا، حيث يمتد فوق الحدود المغربية الموريتانية مسافة تقدر ب 40 كلم تم ينعرج غربا الى أن يصل الى المحيط الأطلسي. وبهذا يكون الحزام قد أحاط تقريبا بمنطقة الساقية الحمراء كلها ولم يبق خارج الحزام إلا كتلة زمور والخط الذي توجد به مناطق الجوزة وبئر لحلو وتيفاريتي. وتوجد بها وحدات التدخل السريع التي بإمكانها الخروج لضرب الانفصاليين في أي من هذه الأماكن كلما علمت بتحرك الانفصاليين.

وهكذا يستحيل اختراق هذا الحزام الأمني لتوفره على عدة أنواع من الدفاع فهو ليس كمثل تلك الخطوط الدفاعية المشهورة في تاريخ الحروب مثل خط "ماجينو" بفرنسا أو خط «بارليف» بصحراء سيناء: فهذه الخطوط كانت دفاعية فقط، أما الحزام الأمني المغربي فهو يتميز بكونه خط دفاعي وهجومي في نفس الوقت حيت يتوفر على وحدات سريعة مهمتها التدخل خارج الحائط الأمني بحيث لا يستطيع العدو التجمع على مهله خارج الحائط للقيام بهجومه - وعلى قواعد محصنة تسمى بمراكز الدعم (12). ولا يبعد الواحد من الأخر إلا بالقدر الذي يسمح بمشاركة المركزين في الدفاع عن نفسهما وفي خلق سد من النار بينهما بحيث لا يستطيع العدو تحطيم مركز الدعم والتسرب في الأماكن الموجودة بين مراكز الدعم.

وأصبح الحائط بالتالي سدا منيعا أمام الانفصاليين القادمين من التراب الجزائري. ولن يتأتى لهم أي هجوم لا عن طريق التراب الموريتاني. ولم يعد باستطاعتهم استعمال حرب العصابات أو المناوشات. فلكي يحاولوا اختراق الحزام الأمني لابدلهم من استعمال وسائل

ضخمة التي تستعمل في الحروب الكلاسيكية كالطيران والصوريخ البعيدة المدى، وتجنيد قوات من الجنود المدربين والمجهزين بأسلحة عصرية فتاكة. وبطبيعة الحال يقف الجندي المغربي طول هذا الحائط وفي مراكز دعمه وفي صفوف فرق التدخل السريع متحليا بالإيمان والبسالة والشجاعة والمهارة واليقظة والمعنوية العالية للدفاع عن القضية التي هو مجند لاجلها: ألا وهو الدفاع عن المكتسبات الوطنية والحفاظ على الوحدة الترابية وضمان الاستقرار والأمن في الأقاليم الصحراوية المسترجعة [13].

وهكذا ضمت القوات المسلحة الملكية مناطق جديدة ستكون مشمولة ضمن غطاء الجدار الدفاعي، وأجبرت البوليزاريو للقيام بعمليات أكبر حجما، وبقوات كافية بغرض إفساح المجال للعمليات الجوية المركزة لأبادة فلول العدو من طرف السلاح الجوي للقوات المسلحة الملكية، تلك الفلول التي انحدر عدد أفرادها من 6000 الى 3500 رجل على وجه التقريب.

أما الأراضي الواقعة بين "الساتر الترابي" والحدود المغربية- الموريتانية والحدود المغربية- الجزائرية، فهي المنطقة المهجورة أي الخلاء التي تتحرك فيها قوات مرتزقة مع "الثعاليب والضباع" ذات القواعد العسكرية المدعمة من طرف الجزائر. وهكذا تمكن المغرب من قلب الوضعية العسكرية لصالحه [14].

- وفي أواخر شهر أبريل 1984 وقع اشتباك بين القواعد المسلحة الملكية ومرتزقة البوليساريو على بعد 50 كلم من حدود الاقاليم الصحراوية المغربية مع الجزائر، وذلك في نطاق عمليات مد القوات المسلحة الملكية للحائط الدفاعي في الصحراء من أمغالا في اتجاه الحدود الموريتانية، وفي الشمال في اتجاه الحدود الجزائرية. ومن المعلوم أن آلافا من الجنود المغاربة المسلحين بأعتدة حديثة وخاصة بالمدرعات يشرفون على عمليات مد الحائط وحمايته من هجومات الخصوم. وهكذا أعطت القوات المسلحة الملكية أنها القوات الوحيدة في حظيرة حوض البحر الأبيض المتوسط التي تحسن في نفس الوقت الحرب الكلاسيكية وحرب العصابات التي يستعملها المرتزقة.

- وفي اوائل شهر ماي 1984 حاول المرتزقة إعاقة تتمة بناء الخط الأمني (الذي هو ليس خط دفاع كما يقال وإنما هو أيضا رأس جسر متحرك قابل للتغيير) فوقعت معركة في ناحية الحوزة بين قواتنا المسلحة الملكية، والمرتزقة تكبدوا فيها خسائر فادحة وتركوا في ميدان المعركة ما يقرب من 200 من القتلي. وقد أسرت قواتنا حوالي 20 منهم. وغنمت عددا كبيرا من الآليات الحربية الثقيلة من مذرعات وغيرها وحطمت عددا آخر من السيارات المصفحة وسيارات "الجيب".

- وفي يوم 10 مايو 1984 أبلغ الكولونيل ماجور عبد العزيز بناني قائد منطقة الجنوب بالنيابة جلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية أن قوات التدخل قد انجزت المهمة المنوطة بها في إطار الأمر الملكي رقم 11 حيث اتمت بناء الجدار الامني المنطلق من الزاك عبر الجديرية وحوزة الى جنوب سمارة.

وعلى إثر ذلك وجه جلالة الملك البرقية التالية للكولونيل ماجور عبد العزيز بناني.. :

« من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية الى الكولونيل ماجور عبد العزيز بناني قائد منطقة الجنوب بالنيابة..

لقد تلقينا بعظيم الغبطة والارتياح خطابك الذي رفعت الى علمنا مخبرين فيه بانجاز المهمة التي أسندت الى وحداتنا بالجنوب. وفي هذه الأيام المجيدة ونحن على أبواب الاحتفال بذكرى تأسيس القوات المسلحة الملكية لا يوجد أي شيء يمكن أن يكون مثار عزتنا وافتخارنا ومصدر سرور وابتهاج الشعب المغربي مثل هذا الانجاز الرائع والسريع والذكي الذي حققته جيوشنا الباسلة العاملة بمنطقة الجنوب على اختلاف وحداتها وأسلحتها.

لقد قاتل الجنود بشهامة وبسالة واستعملت الأسلحة بدقة ومهارة وان التنسيق بين الجيوش ومختلف الأسلحة لجدير بتقاليدنا النضالية التاريخية وفي مستوى استيعاب جنودنا لأساليب القتال الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة للأسلحة التي يستعملونها.

ولهذا فاننا ننوه تنويها خاصا ونشيد ب ـ ل الرائع الذي حققته الوحدات التي تؤدي واجبها المقدس في ناحية الجنوب. كما أننا ننتهز هذه الفرصة الثمينة التاريخية لنبعث الى كل واحد من أبنائها المرابطين هناك برضانا ودعائنا. أولئك الأبطال الذين أقاموا من وعيهم وأجسامهم سدا منيعا لايخترق محافظين على الوحدة الترابية لوطننا وحماة أشداء لكرامة وعزة وسمعة شعبنا.

واذا كانت هناك أسر كثيرة تبكي على أعزاء فقدتهم فلتعلم تلك الأسر بأنها ليست وحدها تحس بالحزن والأسى بل أن الأمة كلها تشاركهم حزنهم وأساهم. وأن كل واحد منا يتمنى لو أن عضوا من أسرته سقط شهيد الواجب ودخل في تاريخ المغرب الجديد وخطط باسمه الملحمة التي ترشد خطانا حتى أبواب القرن الواحد والعشرين.

واذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده القادر على مكافأة الشهداء حيث خص نفسه بمجازاتهم بنعيمه المقيم فإن واجبنا نحن جميعا أن نكون سندا معنويا وماديا لأسرهم بدون هوادة ولا توان ولا نسيان أما فيما يخصك أنت فاننا قد أنعمنا عليك وأصبحت من الآن القائد المسؤول عن منطقة الجنوب ولم تبق قائدا بالنيابة.

وفي الختام نوجه لكم جميعا عواطفنا الأبوية داعين الله جلت قدرته أن يحفظكم ويتولاكم وينصركم. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله.

– حرر بالقصر الملكي العامر بفاس يوم الخميس تاسع شعبان 1404 موافق عاشر مايو 1984[15]. »

– وهكذا بعد هذه الفترة الزمنية التي بذلت خلالها قواتنا المسلحة الملكية تضحيات جسيمة يمكن ان نقسمها الى ثلاث مراحل : مرحلة استرجاع الأقاليم الصحراوية، ومرحلة

تشكيل الفرق المتنقلة (أحد -الزلاقة- بدر) ومرحلة بناء الحزام الأمني. وقطعت عملية بناء الحزام الأمني ثلاث مراحل هامة : المرحلة الأولى بني فيها حزام أمني يضم منطقة بوكراع والعيون واسمارة وبوجدور والمرحلة الثانية شهدت توسيع الحزام ليصل الى الحدود المغربية الموريتانية، والمرحلة الثالثة شهدت امتداد الحزام من الزاك عبر الجديرية والحوزة والساقية الحمراء الى جنوب سمارة، وبذلك أصبحت منطقة الساقية الحمراء محرمة على الانفصاليين وأصبح مرورهم من الجزائر الى موريطانيا مستحيلا عبر الأراضي المغربية.

وهكذا برهن جلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية مرة أخرى على عبقرية عسكرية فذة لا يتوفر عليها إلا قادة الحروب الجهابذة : فجلالته هو مسطر خطط هذا الحرب التي تحدثنا عنها والمعتمدة أساسا على الحركة والتنقل والدفاع والهجوم في آن واحد أي هو خالق الاستراتيجية العسكرية العليا التي منها يستوحي ضباط القوات المسلحة الملكية تخطيطاتهم الدفاعية والهجومية وبمعنى أخر فإن جلالته هو القائد الفعلي والعملي لمعارك الصحراء.

وما الحزام الأمني (المشيد من طرف الهندسة العسكرية) ليس إلا ثمرة من ثمرات عبقرية جلالته العسكرية ووحي من تفكيره الخلاق ودليل ساطع على علو كعبه في "تسطير" التخطيطات الحربية العالمية التي اندهش لها المراقبون العسكريون العالميون أيما اندهاش.

- وعلى إثر الهجوم الذي تعرضت له منطقة الداخلة يومي 13 و 19 يوليوز 1984 وجه جلالة الملك الحسن الثاني رسالة الى الرئيس الموريتاني الكولونيل محمد خونا ولد هيد الله هذا نصها :

الكولونيل محمد خونا ولد هيدالة رئيس اللجنة العسكرية للخلاص الوطني.
رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية
(نواكشوط)

السيد رئيس الجمهورية..

تعرضت منطقة الداخلة لهجومين مسلحين متتابعين الأول وقع في 13 يوليوز والثاني في 19 يوليوز (1984).

وسواء تعلق الأمر بالهجوم الأول او بالهجوم الثاني فان المغيرين انطلقوا من التراب الموريتاني. وفي كلتا الحالتين اصدرنا أوامرنا لقواتنا بعدم ملاحقة العدو خارج حدود بلادنا. إن هذه الحالة لا يمكن ان تستمر دون أن تجد قواتنا المسلحة الملكية نفسها مضطرة وهي تصد الهجومات التي تتعرض لها لملاحقة المعتدين الى منطلقاتهم. وإذا ما وجدنا انفسنا أمام هذا الاحتمال فانه لا يخفى عليكم حجم العواقب الوخيمة المترتبة عن ذلك بالنسبة لبلدينا اللذين حرصنا لحد الساعة على صون علاقتهما الحسنة على الرغم من المغامرات التي أرادت عناصر غير مسؤولة الزج بهما فيها.

اننا نعلم ان زمام الأمر بيدكم في بلدكم وبالتالي فان التسللات التي تنطلق من الارض الموريتانية لا يمكن ان تكون مجهولة من لدن حكومتكم وهي لهذا تتحمل وحدها كامل

المسؤولية. وإننا لعلى يقين من أن كل تصعيد للحالة بالنسبة لبلدينا لمن شأنه أن يلحق الضرر بكليهما. كما أننا موقنون بأنكم تدركون جيدا أنه لا يمكن للمغرب أن يقبل ان يتعرض ترابه الوطني للهجومات المسلحة دون أن يرد على ذلك كما يجب أن يكون الرد. ولهذا نأمل أن نراكم وقد اتخذتم الموقف اللازم للسيطرة على وضع اذا لم يجعل له على الفور حد فسيؤدى إلى مالا تحمد عقباه وهو على كل حال وضع مرفوض من جانبنا بالتأكيد.

اننا نتحمل مسؤولياتنا ولا يخامرنا شك في كونكم ستتحملون بدوركم مسؤولياتكم.

ولتتقبلوا فائق التقدير.

« الحسن الثاني ملك المغرب »

– وفي صبيحة 13 أكتوبر 1984 شن مرتزقة البوليساريو هجوما على خط الدفاع الواقع في قطاع الزاك على مقربة من **كارة مولانا**. وقد نشب بين وحدات القوات المسلحة الملكية والمرتزقة عراك عنيف خارج الحزام اتسم بالشراسة أبدى خلاله الجيش الملكي بسالته المعهودة وأدى أحيانا الى الصراع جسما لجسم. وفي الحين أرغمت القوات المسلحة الملكية عناصر المرتزقة على التقهقر بفضل عملها المتسم بالتنسيق والفعالية وبفضل اكتشاف تجمعات العدو وتحركاتها قبل وصولها الى المعركة الشيء الذي جعل العدو يترك في الميدان عددا كبيرا من القتلى والجرحى وذخيرة حربية عديدة ومتنوعة.

وان جهاز المراقبة التابع للقوات الملكية المسلحة والاعترافات التي أدلت بها فيما بعد العناصر التي سقطت أسيرة وعلى رأسها القبطان المساعد المدعو (البوهالي) أكدت كلها بما لايتطرق اليه الشك أن هذا الهجوم قد أعد وانطلق من التراب الجزائري حيث وقع تجمع المرتزقة وتدريبهم قبل القيام بعملهم الاجرامي الفاشل.

وقد فقد من الجانب المغربي (37) شهيدا ومن جانب العدو (176) قتيل بالاضافة الى العتاد الثقيل الذي تركه العدو في الميدان والذي استولت عليه القوات المسلحة الملكية سليما وصالحا للاستعمال.

– وفي يوم 25 نونبر 1984 من الساعة السابعة والنصف الى الساعة الحادية عشرة صباحا حاولت قوات العدو المقدرة بثلاثة فيالق مدعومة بعربات مصفحة وناقلات جنود من نوع «ب م ب» ودبابات من نوع «تي 55 و 45» مجهزة بمدافع من عيار «122 ملم» وقاذفات من عيار «122 ملم» ومدافع هاون من عيار «160 ملم» الهجوم على خطوط الدفاع جنوب وادي الساقية وشمال تيفاريتي بالمنطقة المعروفة **بالبريكة وكورلوتاد**.

وقد تصدت لمحاولات العدو بفعالية كبرى مجموعة التدخل بسمارة ووحدات منطقة الحوزة التابعة للقوات المسلحة الملكية، خارج الحزام الأمني لمركز الحوزة.

وأرغم العدو على التقهقر في اتجاه الشرق والجنوب الشرقي تاركا في الميدان عددا من القتلى والعتاد العسكري. وتتمثل خسائر العدو حسب حصيلة موقتة فيما يلي :

– 114 قتيلا
– احراق 8 دبابات من نوع تي 55

- تدمير 5 عربات جيب من بينها واحدة محملة بمدافع من عيار 14.5 ملم
- إحراق شاحنتين اثنتين للنقل من نوع ب م ب

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 14 جنديا وجرح 38.

وغنمت قواتنا في المعركتين معا دبابات رهيبة من صنع سفياتي و 13 جيب (أندروفير وتويوطا) مجهزة بأسلحة مضادة للطائرات وصراريخ (ساجار) مضادة للدبابات وروكيت (73 ملم) ورشاشات كلاشينكوف وعدة أسلحة أخرى متنوعة من صنع سوفياتي ومن كوريا الشمالية.

- وفي أواخر شهر دجنبر 1984 وقعت عدة مناوشات بين قواتنا المسلحة وقوات المرتزقة في كل من **منطقة العرقوب** (ناحية الداخلة) وفي **مناطق بوكراع وأمغالا** تميزت بقصف مدفعي من بعيد ضد القوات المسلحة الملكية التي لم تصب بأذى وكان رد الفعل من الجانب قواتنا قويا أرغم المعتدين على جر ذيول الخيبة والانهزام وعلى العودة من حيث أتوا فارين مخذولين.

- ووقع اشتباك بين عناصر التي كانت تساهم في بناء الشطر الأخير من الجدار الأمني من القوات المسلحة الملكية والمرتزقة يوم السبت 12 يناير 1985 على الساعة السابعة صباحا وانتهى على الساعة الرابعة بعد زوال نفس اليوم بعد أن لاذ العدو بالفرار باتجاه الأراضي الجزائرية.

وقد قامت قوات العدو التي قدرت بثلاثة فيالق محمولة على العربات ومدعومة بفيلق مدرعات من نوع (تي 55) وفيلق مدرعات من نوع (بي ايم 55) بعملية واسعة االنطاق ضد نقطة الدعم في الجدار الأمني الواقعة شمال واد **توني شاد** على بعد 8 كلمترات من الحدود الجزائرية.

وبعد معارك ضارية ولى العدو الادبار تاركا في الميدان 66 قتيلا و 6 دبابات من نوع (تي 55) ودبابتين من نوع (بي ايم بي) و 6 عربات محروقة.

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 25 جنديا وجرح 48 آخرون وتم اسقاط طائرة من نوع (ف1) بواسطة صاروخ أطلق من أراضي بلد مجاور، وهو الجزائر ويرجح ان يكون الصاروخ من نوع سام قرب تندوف.

- وعلى إثر الانتهاء من انجاز الأشغال المتعلقة بتمديد (400 كلم) الخط الدفاعي عبر وادي درعة ووادي الساقية (في شمال الأقاليم الصحراوية على مسافة قريبة من الحدود الجزائرية) رفع الكولونيل ماجور عبد العزيز بناني قائد المنطقة الجنوبية الى صاحب الجلالة القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية التقرير التالي :

«الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واله وصحبه

مولاي صاحب الجلالة القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية.

لي عظيم الشرف أن أزف الى شريف علمكم نبأ انجاز الأشغال المتعلقة بتمديد خط

الدفاع عن الناحية العسكرية لكل من وادي درعة ووادي الساقية تلك الأشغال التي شرع في تنفيذها يوم 4 دجنبر 1984 تطبيقا لتعليمات جلالتكم السامية والتي تم انجازها في يوم 15 يناير 1985، وأن الجدار الأمني الجديد الذي تم انجازه طبقا للأمر الملكي رقم 5004 الصادر في 12 نونبر 1984 في اطار مخطط التعليمات الاولية للعمليات رقم 14 و 14 مكرر ليمتد على طول اربعمائة كيلومتر تقريبا ويمر عن طريق البعج فوق مرتفعات الوارقزيز وكارة العربي ولقصاب وعكار اركان وعظم السريح والسويج ولازيل ووادي ينفكة والمتيتب إلى أن يصل إلى لبريكة.

وأن العمليات التي قامت الوحدات المكلفة بتشييد الجدار الأمني الجديد اتسمت بعدة مناوشات واصطدامات على جانب كبير من الأهمية حيث حاول العدو اثناءها عبثا عرقلة اي تقدم نحو الجنوب.

ولقد بلغ حجم العتاد الذي ألقى به المرتزقة ثلاثة فيالق آلية وحوالي مائة دبابة وآلية تدعمها فرقة مدفعية مجهزة بمدافع وقاذفات الصواريخ من حجم 222 ملم ومدافع هاون من طراز 120 ملم و 160 ملم.

وبالرغم من كل ذلك يامولاي فانه بفضل استماتة فرق التدخل وقدرتها على المناورة كبدت العدو خسائر فادحة جعلت فلوله تتقهقر عند كل محاولة وتتوالى على ادبارها خاسرة متجهة نحو الشرق والجنوب الشرقي.

ولقد ظهر جليا أثناء هذه الاصطدامات أن المرتزقة يفرون من أي معركة عن قرب متجنبين الدخول في أي اشتباك مع فرق التدخل التابعة للقوات المسلحة الملكية ولذلك فإنهم كانوا يقومون بزرع حقول للألغام عميقة وممتدة على طول محور تقدم الوحدات جاعلين من هذه الحقول وقاية لهم عندما يهزمون فينتشرون وراءها.

ان هذه الحقول من الالغام تعرقل هجومات وحدات التدخل التابعة للقوات المسلحة الملكية وتعطي المرتزقة الوقت الكافي لانسحابهم والفرار من المتابعة.

وان الاصطدامات الرئيسية يامولاي قد جرت بالعكد بتاريخ 22 دجنبر 1984 وعظم الريح ووادي بنعميرة بتاريخ 24 دجنبر 1984 ووادي الشديرية بتاريخ 31 دجنبر 1984 وفي لازيل ورأس وادي بنعميرة وكرارات الفرشة بتاريخ فاتح يناير 1985.

إن حصيلة هذه المعارك كانت موضوعة تقارير متوالية رفعت الى مقامكم العالي بالله الى اثر كل عملية اول فاول.

إن الجدار الأمني الجديد الذي يمتد على طول الحدود مع الجزائر في الجزء الواقع جنوب جبل وارقزيز وعلى الحدود الغربية مع موريتانيا على طول 50 كيلومترا قد مكن من ادماج مساحة اضافية قدرها 17000 كيلومتر مربع في المناطق الآمنة المؤمنة وبادخال المحبس والفارسية وتوكات والمقيطب ومجموع وادي الساقية الحمراء في المنطقة الآمنة أيضا».

وبذلك تتوج قوتنا البطلة 9 سنوات من دفاعها البطولي عن وحدة المغرب الترابية منذ استعادة أقاليمها الصحراوية من الاحتلال الاسباني.

زيارة جلالة الملك القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العام للقوات المسلحة الملكية للجدار الأمني بالصحراء المغربية

قام جلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية يوم السبت 16 مارس 1985 بزيارة للجدار الأمني الواقع على بعد حوالي 40 كلم من جنوب بوكراع باقليم العيون حيت تفقد حفظه الله إحدى نقط الدعم. وكان جلالته يرتدي الزي العسكري الميداني ومرفوقا بجنرالات القوات المسلحة الملكية الجنرال ادريس بن عيسى والجنرال عبد العزيز بناني قائد منطقة الجنوب والجنرال عبد القادر لوباريس والجنرال محمد القباج والجنرال حسني بن سليمان والجنرال محمد الشرقاوي وخلال هذه الزيارة اطلع جلالته على مخابئ تحت الأرض توجد بها أجهزة المراقبة الالكترونية ومركز قيادة القطاع والخنادق وموقع الأسلحة التي تتوفر عليها نقطة الدعم. كما وقف جلالته طويلا على ظروف عيش الجنود وتجاذب أطراف الحديث معهم وقاسمهم طعامهم وأكل من خبزهم الساخن المهيء في عين المكان. وقد تسابق الجنود لتقبيل يد جلالته غير مبالين بقواعد الانضباط العسكري. وفي يوم الأحد 17 مارس 1985 تفقد جلالته القاعدة الجوية الرابعة بالعيون حيث وشح جلالته اعلام الوحدات التابعة لمختلف الأسلحة بالوسام الحربي، وعددها 13 وحدة وهي كالتالي :

1) فرقة المشاة الثالثة المحمولة.

2) فرقة المشاة السادسة المحمولة.

3) المجموعة السادسة للمدفعية الملكية.

4) القاعدة الرابعة للقوات الجوية الملكية.

5) المجموعة الواحدة والثلاثون للقوات المساعدة المحمولة.

6) المجموعة الاولى للقوات المدرعة.

7) الفوج الثاني للهندسة.

8) الدرك الحربي.

9) لواء المشاة الثامن المحمول.

10) لواء المشاة العاشر المحمول

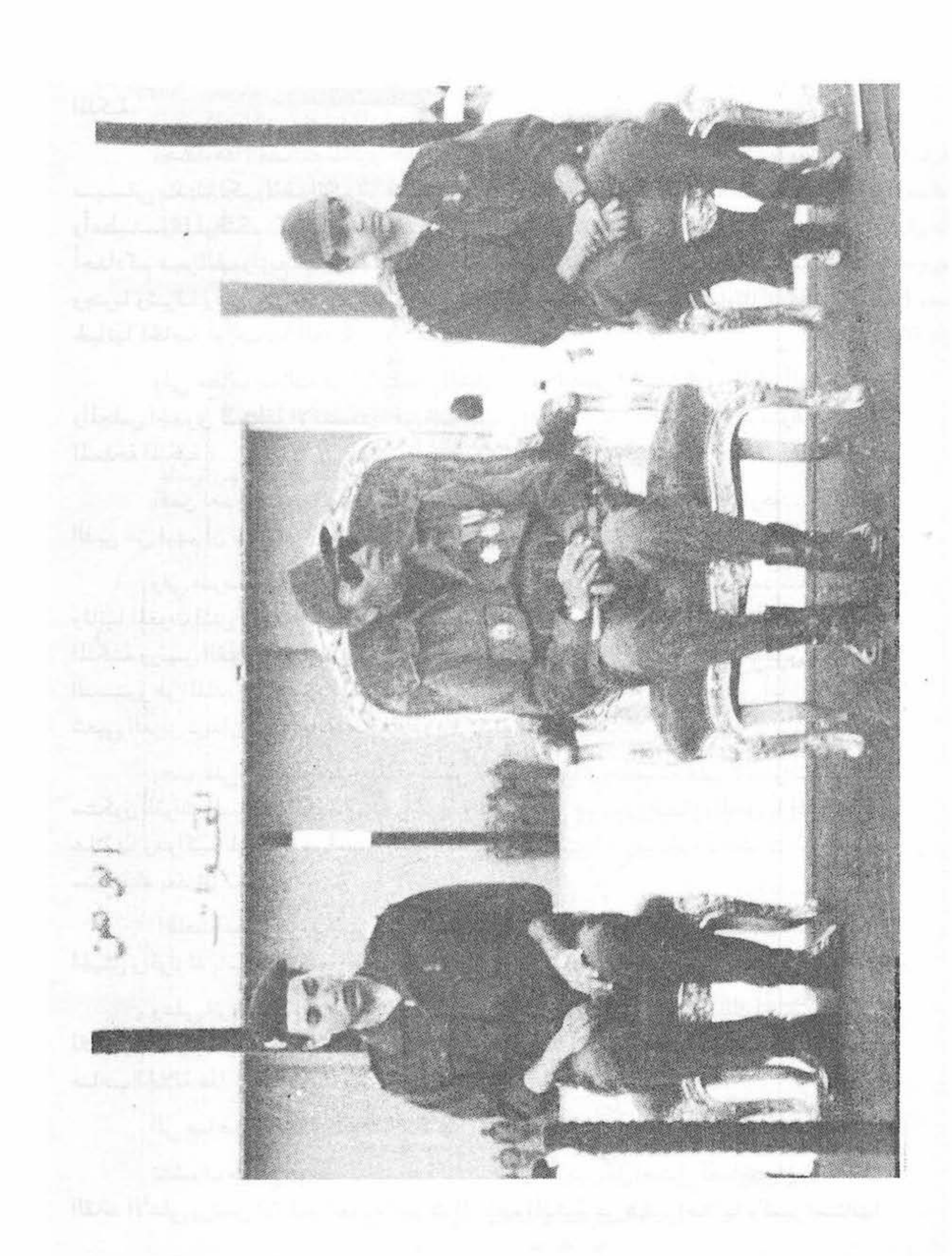
11) فرقة المشاة الحادية عشرة المحمولة.

12) فوج المشاة الرابع والاربعين للمنطقة

13) المجموعة الاولى للمدرعات.



صاحب الجلالة القائد الأعلى يلقي خطابه السامي بأسفة (1991)



وقد تلا صاحب السمو الملك ولي العهد الأمير سيدي محمد الذي كان يرتدي رتبة كولونيل للقوات الجوية الملكية خطاب تنويه واكبار الموجه لجنود وضباط الصف للقوات المسلحة الملكية.

وخلال هذا الحف العسكري خاطب جلالته جنود القوات المسلحة الملكية "بان المغرب سيبقى مدينا لكم ولاخوانكم الواقفين على التخوم بكل قطرة دم سالت منكم وبذلتموها وأعطيتموها لوطنكم، كما أنه سيبقى مدينا لكم باستشهادكم الذي لا يقل على استشهاد أجدادكم عبر الف وأربع مائة سنة منذ أن قامت هذه الدولة وأصبحت تدافع برا وبحرا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا عن وحدتها وعن القيام الروحية والدينية التي اختارت أن تكون اطارا لحياتها الخاصة أو حياتها العامة...."

وفي خطاب جلالته في الاجتماع المشترك بين المجلس الاستشاري الملكي الصحراوي والمجلس الجهوي للمنطقة الاقتصادية في نفس اليوم بمدينة العيون قال حفظه الله منوها بالقوات المسلحة الملكية :

"فمن نعم الله سبحانه وتعالى أن خلق مغاربة جدا رأيتهم وزرتهم البارحة.... اولائك الذين حق فيهم أن نسميهم "المرابطون"..... (انهم) مستعدون من الان الى مالا نهاية له...."

وفي موضوع تجديد السلاح قال جلالته : "يجب علينا ان نطور ونجدد سلاحنا اولا وثانيا المغرب ليس كجميع الدول الاخرى فرئيس الدولة فيه دستوريا هو رئيس القوات المسلحة الملكية ورئيس القوات في المغرب كان دائما من أيام الدراسة الى يومنا هذا بالدستور او بغير الدستور هو الملك. إذن معنى هذا أنه اذا اوقعت كارثة لا قدر الله فستقع علي أنا. ولا تظنك شعبي العزيز تريدان يلصق باسم خادمك الأول كارثة أصابت المغرب...

يجب علي ان أتوفر على مليار دولار لا أقل ولا أكثر مقسمة على 5 سنوات واذ ذاك ستكون القوات المسلحة الملكية البرية والجوية والبحرية في مستوى القيام بالمامورية الملقاة على عاتقها ومواكبة للتكنولوجيا التي يجب أن تكون في مستواها ومسايرة لمتطلبات القرن الذي سنستقبله بعد 14 سنة."

اطلعت على الظروف التي يعيشها جيشنا ومن هنا وكمواطن لاكملك أشيد بهذا الجيش وأقول له باسمكم جيمعا. شكرا».

وعلى اثر الزيارة الملكية الميمونة التي قام بها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للاقاليم الجنوبية رفع الجنرال ادريس بنعيسى المفتش العام للقوات المسلحة الملكية برقية الى صاحب الجلالة هذا نصها :

الى صاحب الجلالة الملك القائد الأعلى ورئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية.

تتشرف جميع الوحدات المسلحة الملكية بأن تعرب بكل احترام لصاحب الجلالة الملك القائد الأعلى ورئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية عن عظيم إجلالها وكبير امتنانها

للشرف الذي حباها به بتفقده للمراكز الأمامية لخط الدفاع بالقطاع العسكري لوادي الساقية الحمراء ولتفقد التشكيلات الممثلة للمجموعات العاملة بالمنطقة الجنوبية.

وستبقى هذه الالتفاتة الملكية للجيل الحالي رمزا للعظمة والافتخار يظل منقوشا باحرف من ذهب في سجلات القوات المسلحة الملكية كما سيكون للجيل المقبل معينا لا ينضب للعظمة الروحية. وفي هذه المناسبة السعيدة نجدد اخلاصنا وتعلقنا الذي لا ينفصم بجلالتكم وبالعرش العلوي المجيد. ونؤكد لجلالتكم عزمنا الأكيد على الدفاع عن القيم المقدسة للمملكة وعن وحدة التراب الوطني وندعو الله العلي القدير أن يطيل عمر جلالتكم ويقر أعينكم بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وسائر أفراد الاسرة الملكية.

رأيت الجنود بوكر الليوث

للشاعر د. عمر بوستة

رأيت الجنو د بوكر الليوث
قرأت العزيمة في الأعين
بكد همو حققوا معجزات...
... بدون الاستماتة لم تكن
* * *
رجال أقاموا «الجدار» ويا...
... توا على أمن صحرائنا ساهرين
وكانوا الوفاء وكانوا الرجاء
على كسر كيد العدا قادرين
* * *
يحاول خصمهمو عبثا
فلن يطفىء الشعلة الخالده
فشلت يداه وخر صريعا
فلن ترضخ القوة الصامده
* * *
أباة عزيمتهم لن تلين
بنشوة نصرهمو يفخرون
مفاخرهم كتبت للخلود
مآثرهم تتحدى القرون
* * *

على الخط خط الدفاع وقوف
تصد صدورهم القذفات
وتسقي الرمال دماء همو
فتخصب منه الاراضي الموات
* * *
رأيت الجدار جدار الصمود
جدارا أقامه جيش قوي
فإنه سد منيع عتيد
وجيش لحب الامام وفي
* * *
فحل المليك وهز القلوب
ودمر كيد البغاة الطغاه
وزار المخابىء في نخوة
ودمر كيد البغاة الحفاة
* * *
فيا روعة الجيش حين تفيض
وتنفجر القوة القاهرة
ويا بخت أمتنا بجنود
شداد وأعينهم ساهرة (•)

– وفي صيف (يونيه – غشت) 1985 شيد خط دفاعي آخر في الأقاليم الصحراوية لسد طرق التسلل الجنوبية أمام مرتزقة البوليساريو. نحو وادي الذهب التي تحادي حدوده الشرقية شمال موريتانيا وبهذا الجدار تحكمت قواتنا في مساحة جديدة تقدر ب 90.000 كلم² وسيضطر المرتزقة الى المشي مسافة 1000 كلم من تاندوف، اذا أرادوا شن هجوماتهم الفاشلة أو الانطلاق من داخل موريتانيا.

– وفي أواخر شهر يونيه 1985 قام المرتزقة بهجوم فاشل على بعد 260 كلم من الجدار الأمني الخامس لاعاقة بنائه وذلك في ناحية "**لفقه**" ولكنهم رجعوا خائبين الى التراب الجزائري.

– ولما أصبح شن الهجمات من طرف مشاة ومدرعات المرتزقة متعذرا بسبب إقامة هذا الجدار اكتفى البوليساريو بقذف المواقع المغربية بالصواريخ البعيدة المدى كما حدث في أواخر شهر غشت 1985.

– وقد أعلن الجنرال عبد العزيز بناني قائد منطقة الجنوب العسكرية عن انتهاء اشغال

(•) عن هذه القصائد والأشعار الواردة في هذا الفصل انظر مقالي بعنوان : «السيف والقلم في ملحمة الصحراء المغربية» (مجلة دعوة الحق عدد 263 مارس 1987).

بناء الشطر السادس من الجدار الأمني التي كانت قد بدأت في 15 مايو 1985 في منطقة بأم دريكة موضحا انه يمتد على طول 120 كلم عبر الحدود المغربية الموريتانية، ثم اتجه نحو الجنوب الغربي مرورا بمرتفعات أم ادريكة نحو نيغير ليصل الى المحيط الاطلسي على مسافة 100 كلم جنوب الداخلة.

وأبرز الجنرال بناني ان هذه الاشغال قد انتهت بالضبط في 19 غشت 1985 على الساعة الثانية عشرة ليلا، وأشار الى انه بانجاز هذا الخط ستكون القوات المسلحة الملكية قد أمنت مساحة 86 ألف كلم مربع.

وأضاف ان هذا الجدار بصفة عامة ينطلق من جبل تاجوت على الحدود الجزائرية المغربية على طول 300 كلم ويغطي إقليم طاطا ويتجه نحو الجنوب على مستوى الخط الطولي 8/40 مع ترك منطقة خالية من السلاح مع الجزائر تبلغ ما بين 8 الى 10 كلم ليتجه في العمق الجنوبي على 200 كلم، وليتخذ بعد ذلك شكلا حلزونيا في اتجاه الجنوب الغربي على طول 300 كلم، ليضم مناطق المحبس واجديرية والحوزة وليشمل منابع مياه واد الساقية وأكبر مرتفعات المنطقة.

وبخصوص المنطقة الخالية من السلاح، أوضح قائد منطقة الجنوب انها تهدف في المقام الأول الى تجنب مواجهة مباشرة بين المغرب والجزائر، وأن جزءاً من الحدود بين المغرب والجزائر غير معترف به دوليا خاصة وأن اتفاقية سنة 1972 بين المغرب والجزائر لم يصادق البرلمان المغربي عليها وان أحد الطرفين في النزاع لم يحترم مقتضيات هذا الاتفاق لظروف سياسية واقتصادية.

وأضاف الجنرال بناني أن الجدار الأمني يمتد الآن على طول 2400 كلم ويؤمن الصحراء باستثناء 40 ألف كلم مربع ستتم تغطيتها في مستقبل قريب ما دام الهدف يتمثل في ان يمتد الجدار على طول الحدود الوطنية.

وبذلك «أصبح المرتزقة يدورون في حلقة مفرغة وفي قعر بحر من الرمال لا يجدون مخرجا، تطوقهم قواتنا المسلحة الملكية من جميع الجهات. وكلما أخرجوا رؤسهم من فوق «سطح الرمال» الا واصطادتها اسلحتنا العتيدة كما تصطاد الأرانب التائهة.»

– وبعد عشر سنين من المعارك والعراك في صحرائنا قال جلالة الملك بمناسبة حلول الذكرى العاشرة للمسيرة الخضراء (6 نونبر 1985):

«فبعد بعض السنين، كما رأيت سيطرنا ولله الحمد من الناحية العسكرية على الموقف في الصحراء، سيطرنا لأننا صبرنا، لاننا ضحينا، لأننا تحملنا، سيطرنا لأن الجندي المغربي ولله الحمد جندي يمكن لك أن تفتخر به اليوم كما افتخر به آباؤك وأجدادك، سيطرنا لأننا تمشينا في الميدان العسكري بأناة وبميتدولوجيا وباستراتيجية تطابق تمام المطابقة ما حاربناه من طقس ورمال ومسافات شاسعة وعدو يتهرب ويفر من المعركة.

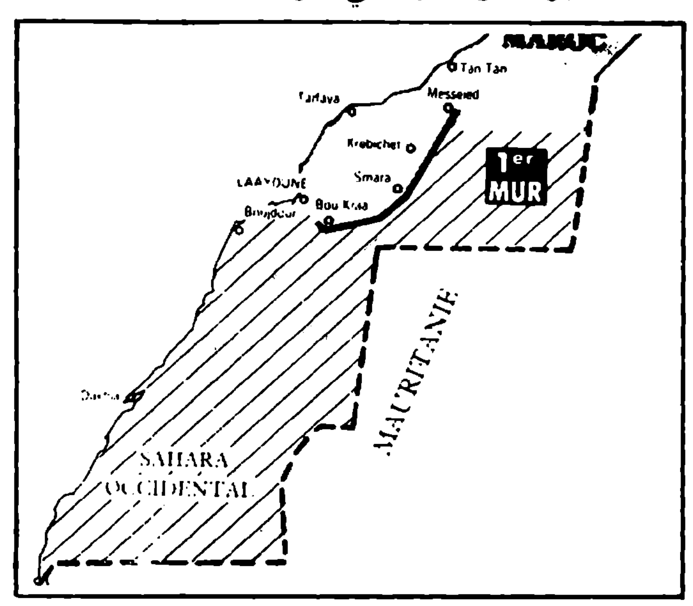
ولم يمكن لنا – شعبي العزيز – ان نحتفل هذا الاحتفال الزاهر بهذه المسيرة لو لم تكن هناك بسالة الجندي المغربي، ذلك المغربي الجديد كما قلت لك في العيون، الذي اكتشفته على تخوم الصحراء ذلك النوع الجديد من المغربي الشاب المرابط ذلك النوع الجديد من الشاب المغربي

الذي يعتبر أنه كل ما يعيشه فوق الأرض الآن هو زائد وربح، لأنه حينما ارتدى لباسه العسكري اعتبر نفسه قد أزهقت ودمه قد أريق وانه قد استشهد.

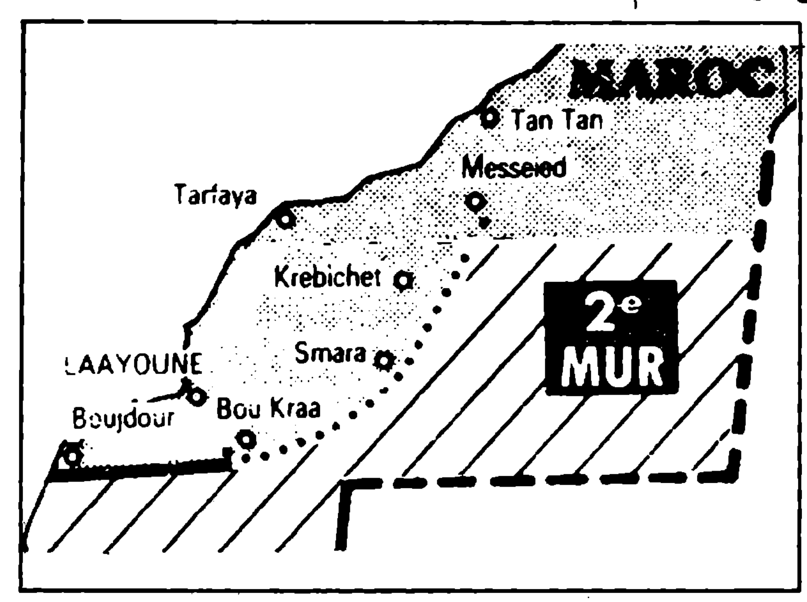
هذا هو النوع الجديد من المغربي الشاب الذي قلت لكم تعرفت عليه بتأثر عميق وتعرفت عليه بافتخار لا يساويه افتخار.»

وقال جلالته من جهة أخرى :

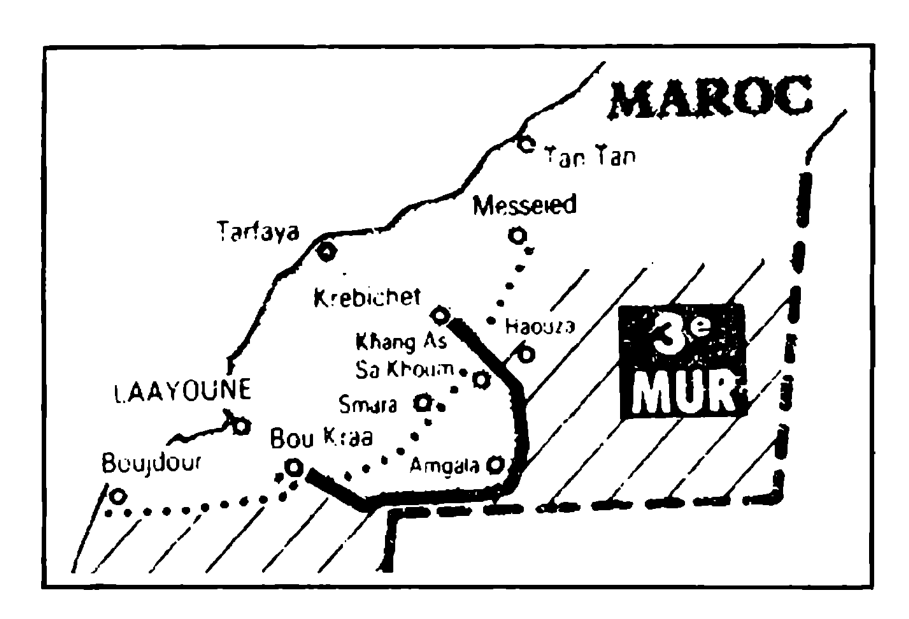
«...منذ ان انتهت المسيرة الخضراء لايمكن أن يقال أن المغرب هاجم أحدا. فالمغرب هو الذي كان يتعرض للهجومات فلهذا تكبد المغرب بكل صراحة في السنين الأولى خسائر جسيمة لأن الهجومات كانت مفاجئة. والان وقد حصنا «والمحصن هو الله سبحانه وتعالى» الجزء الاكبر من الصحراء لازلنا على سياستنا لانهاجم أحدا. لازالت بالطبع بعض المناوشات على الحدود تتمثل في قصف بالصواريخ وبمدافع 122 ملم أو بمثيلها من الجانب الآخر. ولكن ليس لتلك المناوشات أية أهمية لا من الناحية الاستراتيجية ولا من الناحية العسكرية.».



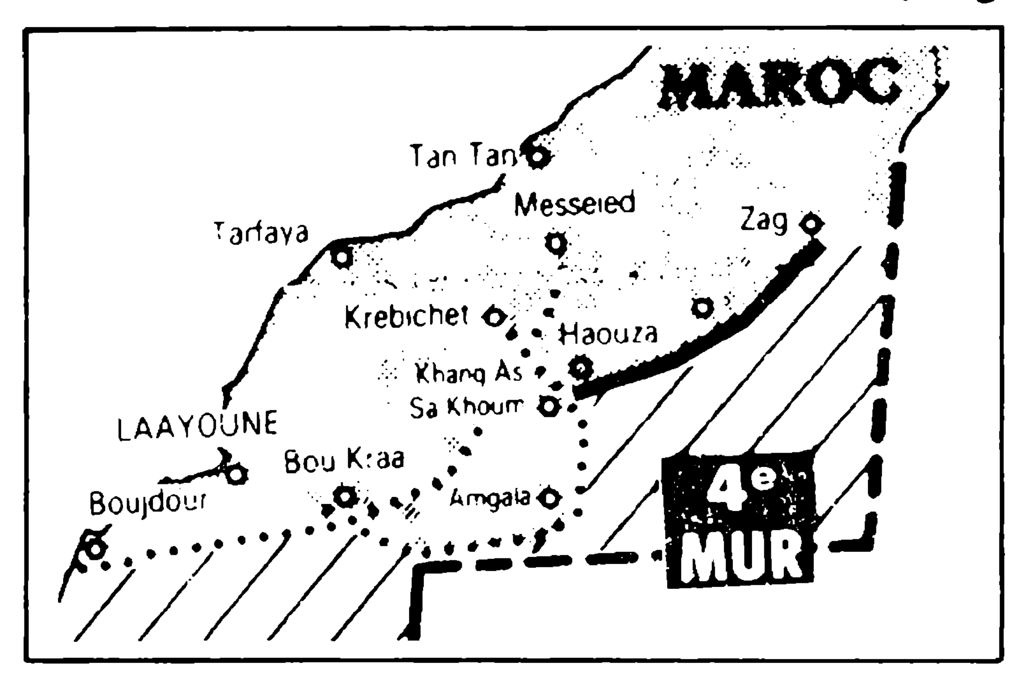
الجدار الأول : غشت 1980 ضرورة احتواء محاور التموين الاتية من طنطان في «المنطقة المؤمنة». ينطلق الجدار رقم 1 من المسيد شمالا في الطرف الغربي لجبال الواركزيز ويشمل السمارة وبوكراع والعيون. ويستند هذا الجدار الى الحزام الناقل للمعدن والذي يعد في حد ذاته سدا يربط بين بوكراع وميناء العيون ويمتد هذا الجدار الذي تم انجازه في ماي 1981 على طول 300 كلم.



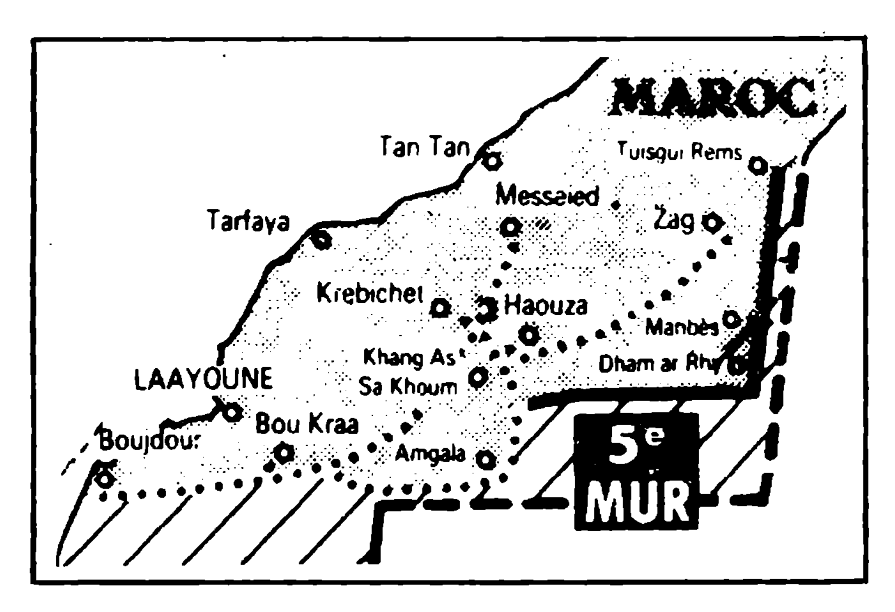
- الجدار الثاني : اعتبر خطأ كاستمرار للجدار الأول وقد تم انجازه في 45 يوما في ماي-يونيه 1982 يمتد الى بوجدور على مسافة 200 كلم وقد مكن إعادة فتح الطريق المعبدة - العيون - بوجدور.



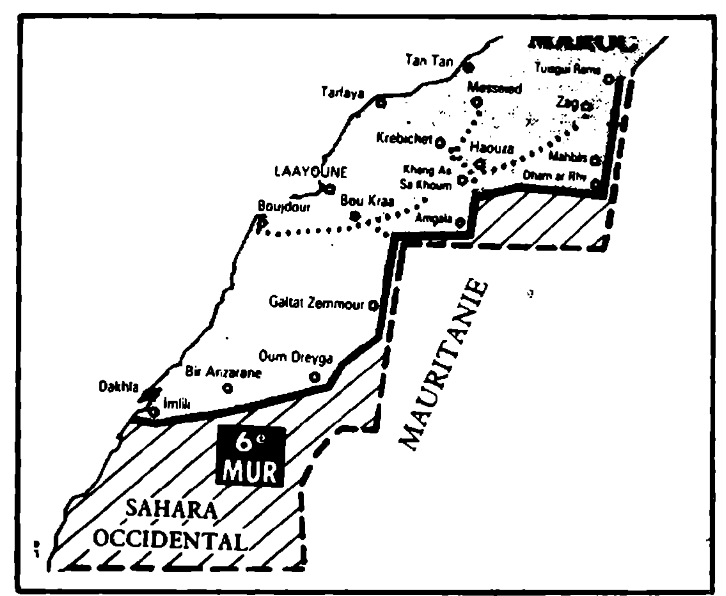
- الجدار الثالث : سد الطريق على البولساريو وارغامه على المرور عبر موريتانيا. ومن ثم جيب امكالة الذي يسكله الجدار الثالث 300 كلم من 19 دسمبر 1983 الى 20 فبراير 1984، تحكم اقفال الحدود الموريتانية يذهب من بوكراع ويلف امكالة ليلتحق بخريبشات على الجدار الاول.



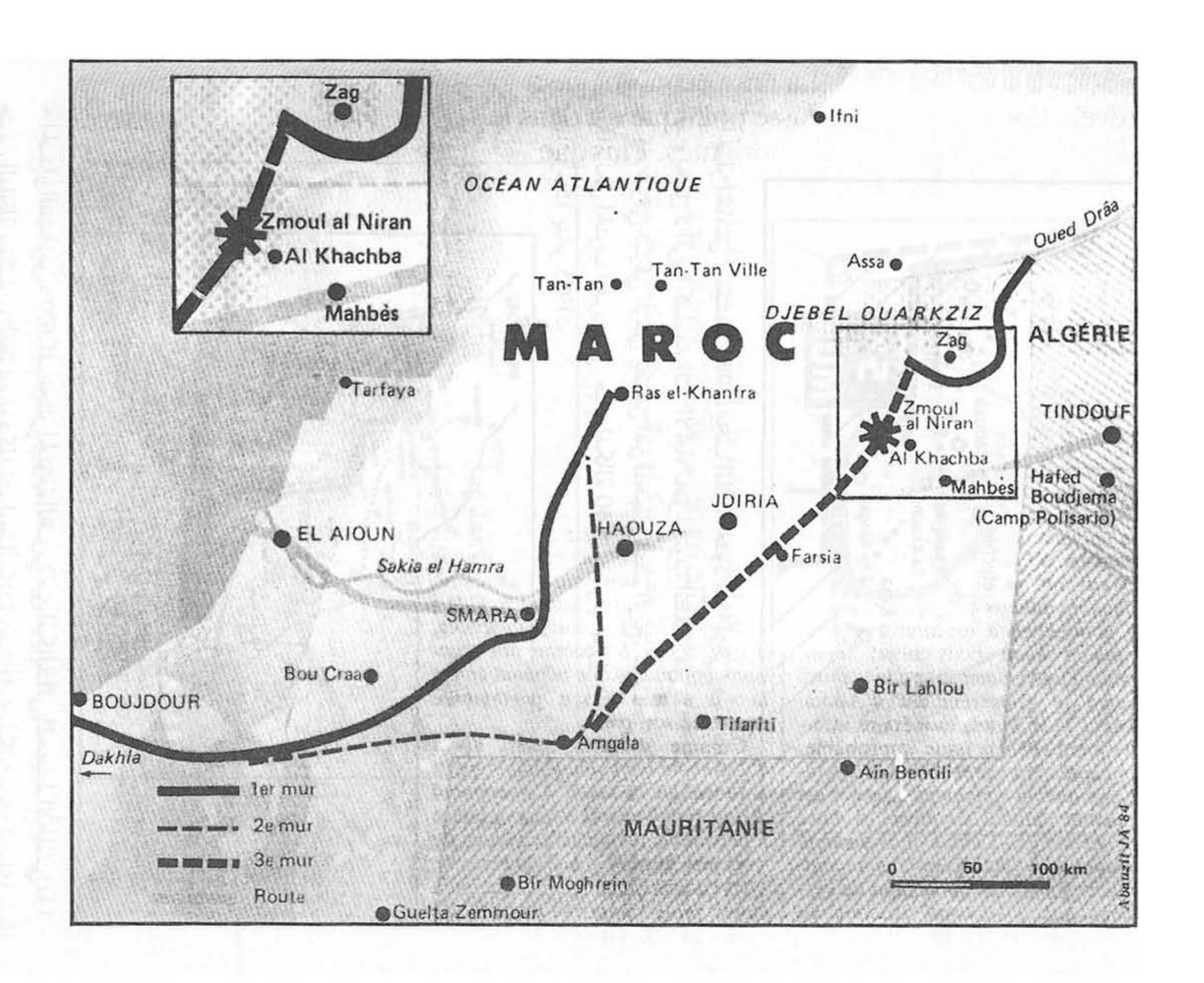
- الجدار الرابع : يتجه الى الشرق بعمق اكبر، الانطلاق من الزاك يوم 19 ابريل 1984 في اتجاه الجنوب الغربي، الجدار الرابع ينزل نحو اجديرية يضم اخيرا الحاوزة ويلتقي بالجدار الثالث عند خنق السخوم بالساقية الحمراء. الوصول يوم 10 ماي : ثلاثة أسابيع من اجل 320 كلم.



- الجدار الخامس : سبتمبر 1984، يجب اقفال الحدود مع الجزائر وذلك بمحاذاة «نومانس لاند» بعمق 5 الى 8 كيلومترات. الاتجاه نحو الجنوب انطلاقا من نقطة تقع على مسافة 50 كلم شرقي تيزكي الرمز. يضمن أمن المحبس وعظم الريح. عند خط العرض 27 يتجه الجدار نحو الجنوب الغربي الى جيب امكالة 40 كلم جنوب حاوزة 380 كلم انتهى العمل فيها يوم 15 يناير 1985.



- الجدار السادس : 670 كلم نحو الجنوب الغربي من امكالة الى المحيط الأطلسي جنوبي الداخلة بامليلي والقطوعه. وهكذا يتم ايصال كلثة زمور وام دريكات وبئر انزران بالبحر. شرع في الجدار السادس يوم 14 ماي 1985 وانتهى العمل فيه في اوائل سبتمبر.


Zag
Zmoul al Niran
Al Khachba
Mahbès
Ifni
OCÉAN ATLANTIQUE
Oued Drâa
Assa
Tan-Tan
Tan-Tan Ville
DJEBEL OUARKZIZ
MAROC
Zag
ALGÉRIE
Tarfaya
Ras el-Khanfra
Zmoul al Niran
TINDOUF
Al Khachba
Mahbès
Hafed Boudjema (Camp Polisario)
JDIRIA
EL AIOUN
HAOUZA
Farsia
Sakia el Hamra
SMARA
Bou Craa
Bir Lahlou
BOUJDOUR
Tifariti
Amgala
Dakhla
Aïn Bentili
1er mur
2e mur
3e mur
Route
MAURITANIE
0
50
100 km
Bir Moghrein
Guelta Zemmour
Abauzit JA 84

تعيين صاحب السمو الملكي ولي العهد منسقا عاما لوحدات القوات المسلحة الملكية.

وفي يوم الثلاثاء 26 نونبر 1985 عين صاحب الجلالة القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية بالقصر الملكي بالرباط صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد الذي كان يرتدي بذلة كولونيل ماجور - منسقا لمصالح ومكاتب مختلف الأسلحة بالأركان العامة للقوات المسلحة الملكية -عوضا عن المرحوم الجنرال مولاي عبد الحفيظ العلوي.

ومما قال جلالته في خطاب التنصيب :

> « .... ومن جهتكم معشر الضباط أملي فيكم أن تأخذوا بيد ولي عهدنا وتعينوه على القيام بواجبه واعلموا كيفما كان الحال ان الكمال لله، وانه لا يمكن للقوات المسلحة الملكية ان تكون كاملة غير منقوصة خلقيا وفكريا الا اذا كان جميع أفرادها يكمل الاخر وألا اذا عاشت قواتنا المسلحة الملكية بجميع أطرها وبجميع أسلحتها متماسكة متضامنة واقفة كرجل واحد، لدعم السلم ودرء الحرب.
>
> وأخيرا اعلم رعاك الله انه كان والدنا رحمة الله عليه دائما يقول : «عليك ياولدي ان تعلم وان تفعل ان الشعب والجيش شيء واحد» وقد لمست هذا في السنين الأخيرة لمسته - ولله الحمد - بكيفية تشرف وانه لو لم يكن الجيش من الشعب ولو لم يكن الشعب المغربي وراء الجيش لما تمكننا من ان ننتصر الانتصارات التي حزناها ولما امكننا ان نصمد لمدة عشر سنوات ولما كان بالامكان ان نصمد عشرات السنين الأخرى إذا أراد الله ذلك واقتضت الظروف ذلك».

وفي الأسبوع الأول من شهر شتنبر 1986 قام صاحب السمو الملكي ولي العهد محمد مرفوقا بكبار الضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية بجولة تفتيشية بمختلف الوحدات المرابطة في الخطوط الأمامية بالأقاليم الصحراوية، ووسم عددا من الضباط وجنود القوات المسلحة الملكية تنويها لهم لما أظهروه من شجاعة وبطولة دفاعا عن وحدة التراب الوطني.

وفي يوم الإثنين 19 فبراير 1990 أشرف سموه بصفته منسقا لمكاتب ومصالح القوات المسلحة الملكية بالقاعدة الجوية الخامسة سيدي سليمان على إعطاء الانطلاقة لتحليق أول طائرة من طراز "ميراج -ف 1) » بعد أن خضعت للصيانة الكبرى بأوراش القاعدة والتي كانت تتم في السابق بفرنسا.

وبذلك أصبح المغرب ثالث دولة في منطقة البحر الأبيض المتوسط بعد اسبانيا واليونان تقوم بصيانة طائرة ميراج (ف 1) في قواعدها، وبرهنت القوات الجوية الملكية على استطاعتها لمواكبة التطورات التكنولوجية العالمية الحديثة.

عمليات التمشيط

وفي نطاق عملية التمشيط الاعتيادية وراء الجدار الأمني تمكنت وحدات من القوات المسلحة الملكية المتمركزة في قطاع امغالا (يناير 1987) من إزاحة مجموعة من المرتزقة من مخبئها بقطاع فارسية على مقربة من الحدود المغربية الموريتانية والقضاء عليها نهائيا.

وكما جرت العادة قامت مصالح تحديد الهوية التابعة للقوات المسلحة الملكية بالتعرف على جثث المرتزقة باستثناء جثة واحدة تطابقت عدة شهادات حولها وخاصة شهادات اولئك الذين عادوا إلى الوطن الأم والتي اكدت ان تلك الجثة هي لأحد المؤطرين الايرانيين.

وبالفعل فان الاعترافات الاخيرة للمرتزقة الذين ألقي عليهم القبض أو للأشخاص الذين عادوا الى أرض الوطن تفيد بأن مجموعات من مرتزقة البوليساريو تتلقى تكوينا عسكريا وإيديولوجيا في معسكرات تدريب إيرانيه مخصصه لمجموعات ارهابيه وتخريبيه. كما كشفت نفس الاعترافات عن تواجد بعض الخبراء الايرانيين في هذا الميدان داخل قواعد المرتزقة في الجزائر حيث يقومون حاليا بتأطير وحدات من المرتزقة.

– وشن البوليساريو صباح الأربعاء 25 فبراير 1987 على الساعة السادسة والنصف صباحا هجوما مكثفا استعملت فيه مصفحات تقدر بحوالي 110 آلية وعربة (50 دبابة سوفياتية الصنع و 60 عربة مصفحة للنقل من صنع سوفياتي (BMP)) استهدف الجزء من الجدار الأمني الواقع بين بلدتي المحبس والفارسية وخصوصا على بعد 40 كلم جنوب واد تينوشت وذلك بهدف اقتحام دفاعات الجدار الأمني واختراق النطاق الدفاعي.

وقد كانت هذه المعارك التي استمرت حتى الساعة الحادية عشرة ضارية للغاية.

وفضلا عن ذلك رصدت رادارات القوات الجوية الملكية خلال الهجوم بطاريات صواريخ مضادة للطائرات من نوع سام 6.

وقد تم التصدي للعدو وأحكمت القوات المسلحة الملكية سيطرتها على طول خط الدفاع. وخلف هذا الهجوم عددا من الشهداء [16].

– وعلى إثر المعارك التي وقعت يوم 25 فبراير 1987 قامت القوات المسلحة الملكية بعملية تمشيط واسعة أدت الى وقوع اشتباكات مع المرتزقة أيام ثاني وثالث ورابع وخامس مارس 1987.

وخلال هذه العمليات بلغت خسائر العدو المنظورة 14 سيارة مصفحة مدمرة، منها خمس دبابات من نوع تي 55 و 47 سيارة حربية مختلفة منها 14 احترقت براكبيها و 108 من القتلى تركت جثثهم في الميدان.

واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية شهيد واحد واصيب تسعة جنود بجراح.

– وأثناء تواصل عمليات التمشيط التي بدأت يوم 25 فبراير 1987 وقعت عدة اشتباكات مع المرتزقة وخاصة جنوب شرق حائط الدفاع الذي يشمل المحبس والفارسية.

وموازاة لهذه العمليات واصلت، القوات المسلحة الملكية بناء الجدار الأمني لإقليم وادي الذهب رغم محاولات العدو لعرقلة هذه العملية وهي محاولات تحطمها بقوة وحداتنا. وبقيت الاشغال جارية طبقا للمخطط الأولي حيث بلغت نقطة **لعياية الجدرة** الواقعة على بعد 150 كلم جنوب شرق بير انزران وعلى امتداد 80 كلم.

ومنذ 25 فبراير 1987 ارتفعت خسائر العدو المنظورة الى :

- السيارات المصفحة = 30 سيارة مصفحة من مختلف الأنواع
- السيارات الحربية = 72
- عدد القتلى = 204 قتيلا

واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 27 فردا وأصيب 61 بجروح مختلفة.

وبذلك كان الجيران مرة أخرى من وراء هذا الهجومات بالدبابات وبعربات النقل المصفحة والمزودة بالمدافع الرشاشة. وهو تغيير واضح في التكتيكية العسكرية لمرتزقة البوليساريو المدربين بمعسكرات تندوف، وذلك ليعرقلوا تشييد "جدار" جديد سيحرم على المرتزقة الوصول الى البحر الاطلنطيقي وسيحصن 20.000 كلمتر مربع بين موريتانيا والجزائر شرقا و 48.000 كلم^2 جنوبا.

- وفي محاولة يائسة لاختراق الجدار الأمني والاستيلاء على الارض، قام مرتزقة البوليساريو صباح يوم الاربعاء 8 أبريل 1987 بهجوم على موقع جبل البريكة. وقد تصدت لهم القوات المسلحة الملكية ببسالتها المعروفة. وأحبطت هجوم المرتزقة وكبدت العدو خسارة في العتاد والأرواح حتى بلغ عدد القتلى في صفوف المرتزقة ثمانين قتيلا، واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 25 جنديا وضابطا. واستمرت المعارك من الساعة الخامسة والنصف صباحا الى الساعة الثامنة صباحا.

وحصلت في أواخر شهر ابريل 1987 اشتباكات في منطقة العيديات وفي الحدود الموريتاتية بعيدا عن كلتة زمور ب 60 كلم. وقد استولت قواتنا المسلحة على دبابات جد متطورة من المرتزقة الذين كان بحوزتهم دبابات من نوع BMP وقد غنمت قواتنا المسلحة منذ اندلاع الهجومات الأخيرة ما يقرب من 25 دبابة من نوع B.M.P ، ومن نوع T 72 و T83 م كما غنمت عدة قاذفات للصواريخ (Lance Missilles).

- وقد هاجمت يوم 21 غشت 1987 فرقة من المرتزقة على متن سيارات مصفحة (قادمة من موريتانيا) الجدار الامني السادس جنوب الاقاليم الصحراوية وقد قتل عدد من الجنود المغاربة في هذا الاشتباك العنيف.

حزام أمني جديد :

وأصدرت القيادة العامة العليا للقوات المسلحة الملكية البلاغ التالي :

تلقى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية ورئيس أركان الحرب العامة من الجنرال عبد العزيز بناني قائد المنطقة الجنوبية البرقية التالية :

«مولاي صاحب الجلالة نصركم الله وايدكم.

يشرفني أن أرفع بكامل الاجلال والاحترام الى علمكم الشريف ما يلي :

ان الفرق المكلفة باقامة خط دفاعي جديد قد وصلت الى **كريكرات** على الشاطئ الاطلسي يوم 16 ابريل 1987 في الساعة العاشرة والنصف وذلك تنفيذا للتعليمات السامية لصاحب الجلالة القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية. تلك التعليمات التي أوضحتم فيها يامولاي لخديمكم الجنرال قائد المنطقة الجنوبية أوامركم للقيام في إطار التصميم لحماية المنطقة وتحصينها.

ولقد ابتدأت العمليات من أجل توسيع المجال الدفاعي منذ 16 فبراير 1987، وإن اقامة الخط الجديد سيمكن من مراقبة تيريس الغربية وتطرد العدو الذي كان يتحرك على طول الشواطئ طردا نهائيا. ولقد أنجزت هذه العمليات طبقا للأمر الملكي رقم 502 الصادر من القيادة العليا بتاريخ 6 دجنبر 1986 وتباعاً للتصميم الموضوع بناء على الأمر الأصلي للعمليات رقم 17 الممتدة على طول 550 كلم إن خط الدفاع الجديد سيربط بين أم ضريكة والمحيط مرورا بتندكوم البيضاء والكلية وإعظم مسلوت وأكلاب أدليم، ويمتد على الحدود الموريتانية في مسافة 220 كلم، ثم يرتبط علي شاطئ كركر الواقعة على بعد 50 كل شمال

الكويرة. ومنذ الشروع في إقامة الخط الجديد تمكن الجيش من مراقبة تيريس الغربية" وطرد العدو الذي كان يتحرك على طول الشواطئ نهائيا. ولقد أنجزت هذه العمليات طبقا للأمر الملكي رقم 502 الصادر من القيادة العليا بتاريخ 6 دجنبر 1986 وتباعا للتصميم الموضوع بناء على الأمر الأصلي للعمليات رقم 17 الممتدة على طول 550 كلم. ويربط خط الدفاع الجديد بين أم ضريكة والمحيد مرورا بتندكوم البيضاء والكلية وأعظم مسلوت وأكلاب أدليم، ويمتد على الحدود الموريتانية في مسافة 220 كلم، ثم يرتبط على شاطئ كركر الواقعة على بعد 60 كلم شمال الكويرة. ومنذ الشروع في إقامة الخط الجديد حاول العدو بجميع الوسائل عرقلة إقامة هذه التحصينات أو تأخير انجازها. ولما ظهر عجزهم وباءت محاولاتهم بالفشل ولم يستطيعوا الثبات أمام فرق التدخل قام المرتزقة بهجومات ذات أهمية ضد المواقع الثانوية مثل الفارسية والحوزة وسمارة القريبة من مراكز تجمعهم وانطلاقهم.

ولقد كانت غاية المرتزقة من هذه المحاولات والهجوم على هذه المواقع توقيف انجاز الخط الجديد أو على الأقل التقليل من أهميته ووقعه على معنويات المرتزقة وفعلا فإن إنجاز الخط الجديد قد حقق تحصين وتأمين عدة نواحي : أولا تحصين منطقة جديدة تقدر مساحتها تقريبا بـ 65 كلم^2 وتشمل مواقع اوسرد وتيشلا وبركندوز. ثانيا.. مجموع الشاطئ الاطلسي.

مولاي..

ان الجنرال قائد المنطقة الجنوبية وجميع الضباط وضباط الصف والجنود وكل الأسلحة والمصالح العامة في الجنوب ينتهزون هذه الفرصة السعيدة ليرفعوا الى صاحب الجلالة القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية أيات ولائهم واخلاصهم وتشبثهم بشخصه الشريف وعرشه المنيف مشفوعة بتهانئهم مجددين عزمهم المتين من أجل الاستمرار في الدفاع عن مقدسات المملكة ووحدة ترابها. »

وهنا أعطيت الأوامر الملكية للشروع في بناء هذا الجذار الأمني يوم 25 يناير 1987 وتطلبت عملية التفكير والتخطيط له 20 يوما وانطلقت عملية البناء لتستغرق 62 يوما شارك فيها 6000 رجل. ويؤمن هذا الجدار مسافة 70.000 كلم^2 تشتمل على أوسرت تيشلا، بئر كندوز الذي يؤمن الدعم اللوجيستيكي للوحدات المرابطة على طول الجدار ويمتد الجدار الامني بموازاة الحدود الموريتانية ولا يمسها.

وبذلك أحكم الحزام الأمني على الصحراء المغربية من الطرف الجنوبي. ويعتبر الثامن من نوعه وقد حققت استراتجية الجدار الأمني بصفة عامة حماية السكان منذ سنة 1978 من هجمات العصابات المعتدية التي يتراوح عدد أفرادها ما بين 1800 و 5000 مرتزق حسب العمليات العسكرية ومناطق المعارك.

وهناك جزء يخص تيفايتي (12500 كلم^2) لا يدخل في نطاق هذا الحزام الأمني ويبقى تحت مراقبة الجيش المغربي.

– وشن المرتزقة في الأسبوع الأول من شهر يوليوز 1987 هجومات مكثفة في نقط معينة بواسطة عدد من السيارات المصفحة يقدر عددها بالثمانين، تكبد فيها العدو خسائر

فادحة في الأرواح والعتاد، واستشهد من جنودنا عدد لايستهان به[17].

- وشنت قوات المرتزقة يوم 18 نونبر 1987 هجوما واسع النطاق على مواقع القوات المسلحة الملكية المتمركزة في الاقاليم الصحراوية في منطقتي **الفارسية وام دريكة.** وقد دفع المرتزقة بفيلقين محمولين على السيارات وفيلق من المدرعات لمهاجمة نقط الدعم في منطقة إمودكر، وبفيلق محمول على السيارات وفيلق مدرعات مدعوم بالمدفعية الثقيلة لمهاجمة نقط الدعم في منطقة **واد السبعي.** وقد استمرت المعارك من الساعة السادسة الى الساعة السابعة والنصف صباحا. وكانت حصيلتها كما يلي : بالنسبة للقوات المسلحة الملكية :

- استشهاد 72 فردا وجرح 76 اخرين
- تدمير تسع سيارات

وبالنسبة للمرتزقة :

- مقتل 245 فردا تم احصاؤهم في الميدان.
- أسر ثلاثة أفراد.

كما خسر المرتزقة 35 سيارة من مختلف الأنواع 16 منها صالحة للاستعمال و 21 سيارة «بي. ايم. بي» عشرة منها صالحة للاستعمال بالاضافة الى كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة دمرت أو غنمت من طرف القوات المسلحة الملكية».

شهادة صحفي :

هكذا تم سحق عدوان 18 نونبر 1987 الذي انطلق من تندوف

قام وفد من الصحفيين المغاربة والأجانب يوم الإثنين 23 نوفمبر بزيارة لمنطقتي الفارسية والمحبس. وكان الوفد الصحفي يضم بالاضافة الى ممثلي الجرائد الوطنية صحفيين من اسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا والبرتغال والزايير والسنيغال وغينيا يمثلون صحفا ووكالات انباء.

أقلعت طائرات الهليكوبتر الثلاث من مطار العيون الجوي في الساعة الثامنة صباحا وكان الجو مشمسا مما اتاح الفرصة للوفد الصحفي لمشاهدة الامتداد الصحراوي وجمال وديانه المخضوضرة بقطرات الغيث الغزيرة التي تساقطت على المنطقة في الأسابيع الأخيرة. وفي الساعة التاسعة حطت الطائرات بمطار اسمارة للتزود بالوقود وكان الجو صحوا في المدينة التاريخية (اسمارة) حيث استطاع الصحفيون ان يلاحظوا مدى التنظيم وروح البشاشة والطيبوبة التي طبعت حديث الجنود المغاربة. ومن اسمارة الى الفارسية وصل الوفد في الساعة العاشرة حيث استقبل من طرف الماجور الناجي قائد منطقة وادي درعة، التي تضم الفارسية والمحبس والحوزة وفي مقر القيادة تعرف الوفد على برنامج اليوم وعقد الكولونيل ماجور الناجي ندوة صحفية وصف فيها المعارك بشكل دقيق.

فقبيل وصول البعثة الأممية للمغرب، وبالضبط في 12 نوفمبر، قام العدو بهجوم شاركت فيه وحدات مزدوجة للمدرعات والآليات. الهجوم الأول تم في منطقة الفارسية في مكان يسمى «السويح» اما الهجوم الثاني فكان في منطقة «ام الدريكة» في مكان يسمى «ايموتاكن» وقد استعمل العدو في هجومه على كل منطقة فيلقا ونصف، وكان عدد المرتزقة في المجموع 1200، وكانت الأسلحة المستعملة تشتمل كذلك على سيارات الجيب والمدفعية وأسلحة اخرى.

حصيلة المعركتين كما يلي :

خسائر العدو في المجموع مات 245 من المرتزقة 190 في الفارسية و 55 في ام الدريكة. ثلاثة أسرى في الفارسية واخر التحق بالمغاربة في 22 نوفمبر وهو الآن في اكادير.

خسائر القوات المسلحة الملكية 72 من الشهداء، 13 في الفارسية و 76 جريح، 31 في الفارسية.

اما بالنسبة للخسائر في الأسلحة فهي كالتالي :

خسائر العدو 18BMP، 9 غنمتها القوات المسلحة الملكية، 31 سيارة جيب، 13 غنمتها القوات المسلحة الملكية وآليات أخرى وأسلحة متنوعة وخسرت القوات المسلحة الملكية 9 سيارات جيب.

أما بالنسبة للهجوم فقد وصفه الكولونيل ماجور الناجي بأنه كان كلاسيكيا حيث جاء العدو من منطقة تندوف، وقد وزع هجوم قواته على المنطقتين واستعمل في كل منهما ما يقارب

25 دبابة بالاضافة الى الجيبات والأسلحة الأخرى.

في الفجر انطلق قصف المدفعية لحماية المرتزقة الذين هاجموا الجدار، عن طريق الحفر وازالة بعض الألغام، واستطاعوا التسرب 500 م داخل الجدار لكن قوات تدخلنا حاسرتهم. ابتدأ القتال في الساعة السادسة وانتهى في السابعة والنصف.

وقد كان العدو يهيء للهجوم منذ أسبوع، ولا يمكن ان يفاجئنا. فمن جهة، هناك الآليات التي تحدث ضجيجا، تلتقطه الرادارات، ومن جهة اخرى لنا الوسائل البشرية والتكنولوجية التي تسمح بضبط العدو، الذي يتقدم على شكل مجموعات صغيرة لكي لانضبطه الطائرات والرادارات، ومن المؤكد أن له قواعد قريبة يتزود فيها بالمؤن والوقود، ويمكن ملاحظة ان الفارسية تبعد عن الحدود الجزائرية ب 150 كلم، بينما لاتبعد عن موريتانيا الا ب 70 كلم، أما أم دريكة فتبعد عن موريتانيا ب 100 كلم، بينما تبعد عن الجزائر كثيرا جدا.

كما تحدث الكولونيل ماجور الناجي عن دور الطيران في المعارك حيث أنه تدخل بفعالية كما أن الطيران يتدخل في نهاية المعركة لمتابعة العدو الذي يهرب ويتشتت وتصعب متابعته في الصحراء. وكان قائد الهجوم على الفارسية هو المدعو بوهالي الذي هرب جريا في الصحراء، وقد ضبطنا عبر الراديو انه يطلب النجدة من قاعدته لترسل اليه سيارة «جيب». اما عن تنوع الأسلحة، فقال ان العدو يتوفر على «أورغ ستالين» ومدافع 122 ملم والمورتي، وكلها اسلحة جديدة فهناك دبابات غنمناها وهي لم تسجل في عدادها سوى 3000 كلم، وهذا يعني انها حديثة الاستعمال. وتعتبر دبابة BMP، حسب كل الخبراء العسكريين، متطورة حيث تتوفر على مدفعية 73 ملم وعلى صواريخ مضادة للدبابات يبلغ مداها 3 كلم. ويمكن ان يركبها عدد من الجنود يصل الى تسعة. وكان هدف العدو هو اختراق جدارنا وغنم بعض الاشياء لاستعمالها في الدعاية.

وعن أهمية عدد العدو فان الكولونيل ماجور اكد ان مايهم هو الاليات التي يتوفر عليها. وأكد ايضا ان القوات المسلحة الملكية استطاعت ان تتوصل الى معلومات وحقائق هامة في هذا الهجوم الاخير.

بعد هذه الندوة الصحفية أقلعت بنا الطائرات في الساعة الحادية عشرة والنصف لتصل الى مكان قريب من «السويح» يبعد عن الجدار ب 7 كلم. وهناك تم استعراض الأسلحة التي غنمتها القوات المسلحة من المرتزقة، وتم استعراض سير إحدى دبابات BMP صالحة للاستعمال، واستطاع الصحفيون التاكد من أن عدد الدبابات لايتجاوز في سيره اكثر من 3000 الى 3500 كلم. كما شاهد الصحفيون الأسلحة المتنوعة التي غنمتها القوات المسلحة الملكية، وبعد ذلك قامت قوة التدخل السريع تحت قيادة الكولونيل سعد بمناورة أمام الصحفيين. ورغم العاصفة الرملية التي اخذت تهب على المنطقة، فقد استطعنا رؤية مايفوق 100 سيارة «جيب» وعدد كبير من الدبابات تتقدم في الميدان بقوة خارقة على شكل كماشة، تستطيع التحرك بمرونة وسرعة على مسافة ثلاثة الى خمسة كلم. وبعد ذلك غادر الوفد الصحفي المنطقة الى المحبس ليصلها في الواحدة إلا عشر دقائق، وكانت آثار الأمطار واضحة، حيث تكونت برك مائية كبيرة، وبعد

التزود بالوقود غادرت طائرات الهليكبتر المحبس في اتجاه الجدار بمكان يسمى «عظم الريح» وهي منطقة تقرب من الحدود الجزائرية ب 15 كلم ودخل الوفد الى الجدار الذي هو عبارة عن ممرات كبيرة مبنية بالأحجار يصل علوها الى ثلاثة واربعة امتار، وهناك وجدنا الجنود المغاربة يعيشون حياتهم بشكل عادي. ويعتبر هذا الجدار مستقلا بذاته عسكريا، حيث يتوفر على كل مقومات الدفاع، من اليات ودبابات، وتسمح الممرات الكبيرة داخله بالتحرك السريع على كل نقط الجدار.

وقد وضح لنا الكولونيل سعد ان المرتزقة يحاولون التسرب عبر الوديان حتى لاتضبطهم الرادارات، لكننا بنينا نقط مراقبتنا ونحن عارفون بهذه الحيلة، وعن آخر هجوم على المنطقة فانه تم في 9 مارس 1987.

وبعد ذلك استعرضت قوة التدخل السريع في مناورة عسكرية بقيادة الكولونيل التاميدي. (يونس مجاهد جريدة الاتحاد الاشتراكي 25-11-87).

وبذلك "قدمت قواتنا المسلحة يقول جلالة الملك في خطاب العرش لسنة 1988 الدليل بما استرخصته من تضحيات ، وأظهرته من شجاعة فائقة نادرة، وبطولة شاع ذكرها في الآفاق على أنها تضع مقدسات البلاد ووحدة البلاد الترابية وقيم المغرب الروحية والحضارية، في اسمي منزلة من تقديسها، وعلى أنها مخلصة باستمرار لهذه المقدسات والقيم، مستعدة متأهبة في كل حين للاستشهاد من أجل صيانتها والدفاع عنها، وصد كل عدوان يتهددها و"الجود بالنفس أقصى غاية الجود"!

"واذا كان المغرب المدني من أقصاه الى أقصاه عاش هذه المدة في صبر وثبات - يقول جلالته الملك في خطاب موجه للأفواج المتخرجة من المدارس العسكرية لسنة 1987 (5 مارس 1988) فإن المغرب العسكري عاش هو بنفسه وبدوره مدة افتخار وملاحم وبطولات وتضحيات. ولم أجد في كتاب الله العظيم آية (ليومنا هذا) أحسن من هاته : قال الله تعالى : "وان كنتم تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون". فعلا تالمون انتم ويا لم اخوانكم على الحدود من ضباط وضابط الصف ورجال كما يا لم خصومكم. ولكن الفرق في الاية هو الواو. وترجون من الله ما يرجون هي واو الحال بمعنى والحالة هذه ان الفرق الكبير الذي بينكم انتم وبين اخوانكم في الصحراد وخصومكم هو أنكم ترجون من الله ما يرجون، ترجون من الله الشهادة والاستشهاد، وترجون من الله الثواب، وترجون من عباده في الأرض ان يبروابكم ويحترموكم، وأن يعتزوا بكم وأن يزوروا قبوركم وأن يرعوا ذويكم وأهليكم... »

- وشن مرتزقة البوليساريو - مرة أخرى- هجوما فجر يوم الخميس 18 غشت 1988 على القوات المغربية. وقد كانوا قادمين من تيندوف على متن سيارات مصفحة وقد كانت لهم قواتنا المسلحة بالمرصاد.

- وفي يوم 16 شتنبر 1988 قام المرتزقة بهجوم على الجدار الأمني بقطاع **أم دريكة**.

وقد كانت قوات العدو تتألف من كتيبتين محمولتين وكتيبة مجهزة ومدعمة بسلاح

المدفعية.

وبعد معارك ضارية دامت أزيد من ساعتين من الخامسة و50 دقيقة حتى الساعة الثامنة تم دحر وملاحقة قوات العدو.

وكانت حصيلة المواجهات في كلا الجانبين كالتالي :

1) فيما يخص خسائر العدو

- 124 بين قتيل وجريح
- 4 أسرى

- غنم عتاد هام متحرك ومن المدرعات من بينه قادفة صواريخ مضادة للدبابات «سبيغ 9» موازية للصواريخ الفرنسية المضادة للدبابات «ميلان» والتي ظهرت لأول مرة في ساحة العمليات.

2) فيما يخص خسائر القوات المسلحة الملكية...

51 شهيدا من بينهم قائد الحمية العقيد عبد السلام العبيدي و 95 جريحا

تغمد الله برحمته الواسعة شهداء وحدتنا الترابية من أفراد قواتنا المسلحة الملكية الباسلة وأسكنهم فسيح جناته.

- وفي حوالي منتصف ليلة 21 الى 22 يونيو 1989 حاولت مجموعة تتكون من حوالي ثلاثين من أفراد البوليساريو معززين بموقعي مدفعية التسلل مشيا على الأقدام الى جهاز الجدار الدفاعي الواقع بالقطاع الفرعي لامغالة وبالتحديد بين نقطتي الدعم 191 و 201 وذلك لكي تباغت من الخلف دورية القوات المسلحة الملكية المكلفة بالرصد والمراقبة.

وقد تعرضت عناصر العدو التي أتت من الأراضي الموريتانية واقتربت الى مسافة مائتي متر من خطوط الدفاع لوابل من النيران من طرف دورية القوات المسلحة الملكية.

وسرعان ما تراجع العدو ولاذ بالفرار باتجاه الأراضي الموريتانية التي أتى منها.

وكانت الحصيلة كما يلي :

في صفوف القوات المسلحة الملكية.. استشهاد فرد واحد وجرح آخر.

في صفوف العدو.. ثلاثة قتلى.

- وفي صباح يوم السبت 7 اكتوبر 1989 قام مرتزقة البوليساريو انطلاقا من مويرتانيا بهجوم على المواقع العسكرية في القطاع الفرعي العسكري الموجود جنوب كلتة زمور وصدته قواتنا المسلحة الملكية الباسلة التي أنزلت بالعدو الخسائر التالية :

- ثمانون (80) شخصا بين قتيل وجريح ترك العدو من بينهم في عين المكان عشر جثث.
- وأسرت قواتنا أربعة أسرى.

- واستولت على خمس ناقلات عسكرية مصفحة (بي - ايم - بي) وسيارة واحدة جيب للقيادة، وتسع سيارات جيب مجهزة بعتاد متنوع ضمنه حاملات صواريخ وقاذفات للدبابات. كما قامت قواتنا الجوية الملكية بعملية قصف للعدو ذمرت خلالها 12 سيارة وثلاثة مواقع للذخيرة.

واستشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 14 من بينهم ضابط برتبة نقيب كما جرح ضابط وثلاثون جنديا[18].

- وقام فيلق من مرتزقة «البوليساريو» واحد مجهز بآليات يوم الأربعاء 11 اكتوبر 1989 بشن هجوم على المواقع العسكرية على خط الدفاع التابع للقطاع الفرعي للحوزة. وقد تصدت قواتنا المسلحة الملكية ببسالتها المعهودة لمحاولة تسلل العدو. وتمكنت بعد معارك ضارية من وقف زحف العدو والتصدي له وطرده.

كما أن القوات الملكية الجوية والطائرات العمودية كازيل «هوت» التي تم ارسالها على الفور الى عين المكان قد تدخلت بدورها بفعالية متناهية وكانت حصيلة هذه المعارك كما يلي :

- استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية 11 فردا من بينهم ضابط برتبة ملازم أول و 10 جرحى.

- وتكبد مرتزقة (البوليساريو) 101 قتيل عشرات من جثتهم تركت في عين المكان وسيارتان من نوع (بي ايم بي) و 12 سيارة جيب وتم تدمير ست قواعد لاطلاق النار.

- وشن مرتزقة البوليساريو يوم 8 نونبر 1989. في الصباح الباكر هجوما في القطاع الفرعي لأمغالة. وقد توصلت المعارك التي كانت ضارية للغاية لمدة تزيد على ثلاث ساعات، وكانت حصيلة هذ المعركة كا يأتي : استشهاد 45 فردا وجرح 56 آخرين في صفوف القوات المسلحة الملكية، فيما تكبدت عصابات المرتزقة خسائر فادحة حيث تركت في الميدان 87 قتيلا وعددا كبيرا من الجرحى والأسرى. كما مني العدو بخسائر فادحة في المعدات.

و«شن مرتزقة البوليساريو يوم 16 نونبر 1989 في الصباح الباكر هجوما واسع النطاق على منطقة خط الدفاع الواقعة بين القطاعين الفرعيين للكلتة وامغالا.

وخلال المعارك التي استمرت حوالي ثلاث ساعات حاصرت القوات المسلحة الملكية ببسالة الفيلقين المحمولين والفيلق المحمول على آليات (بي ام بي) الذين دفع بهم المرتزقة في هذا الهجوم والحقت بعصابات العدو الخسائر التالية :

- نحو مائة قتيل وجريح، وقد ترك العدو سبعا وثلاثين جثة ممزقة في الميدان.

- تدمير أو غنم كمية هامة من العتاد من بينها آليتان من نوع (بي ام بي) وتدمير ثلاث سيارات من نوع (جيب) حاملة الأسلحة الثقيلة و مدفع واحد ذي فوهتين من عيار 23 ملم وقاذفة صواريخ من نوع (سيبغ 9) وعدد من المدافع من نوع (بي 10) ومدافع من نوع (ار بي جي 7) وكمية هامة من بنادق كلاشينكوف[19].

وقد استشهد في صفوف القوات المسلحة الملكية خمسة أفراد وجرح ثلاثة عشر اخرون ودمرت سيارتان من نوع جيب[20].

- وترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله القائد الأعلى ورئيس هيأة الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد منسق مكاتب ومصالح هيأة الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية يوم السبت 18 ماي 1991 بمقر عمالة اقليم طانطان اجتماعا حضره الجنرالات والضباط السامون بالقيادة العامة للقوات المسلحة الملكية وكذا ضباط يمثلون مختلف الوحدات المرابطة بالصحراء.

وخلال هذا الاجتماع أكد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله أن دور القوات المسلحة الملكية في الظروف الحالية والمقبلة ينتقل من مرحلة العمليات الى المرحلة التنظيمية.

وأوضح صاحب الجلالة أن هذه المرحلة الجديدة تعني اذن الاستمرار في التعبئة والتحلي باليقظة وتتطلب إعطاء الأولوية للعمل السياسي والاحتكام للقانون وللشرعية الدولية التي سيحددها بشكل نهائي إجراء استفتاء لا يجادل فيه احد.

- ولما حلت ذكرى عيد العرش المجيد لسنة 1990 وجه جلالة الملك تحية تقدير للقوات المسلحة الملكية المرابطة بالصحراء المغربية قائلا :

> «وتحية تقدير مليئة باصدق المشاعر، طافحة برضانا وارتياحنا، نزجيها إلى قواتنا المسلحة الملكية وإلى قوات الدرك والأمن والقوات المساعدة المرابطة في صحرائنا الغربية، المتفانية في أداء واجبها المقدس، المستميتة في الدفاع عن حوزة الوطن، الجديرة بمكانة عملها الذي لم يعرف - والحمد لله - الانهزام او الانكسار. إننا وشعبنا ننوه بكفاحها الموصول، وبجهادها الذي لا يتوقف ولا يحول، وبكفاءتها وبقدرتها النضالية للدفاع عن القضية الوطنية، قضية حماية التراب في وحدته الطبيعية والتاريخية، ا لتي تلتقي على التعلق بها فصائل شعبنا في وحدة تثير الإعجاب لا تتجزأ ولا تنقسم وفي إجماع وطني يفجر الحماس لا يتفكك ولا ينفصم».

تطورات قضية الصحراء المغربية :

مجلس الأمن يصادق على تركيبة «القوة الأممية بالصحراء» :

– صادق مجلس الأمن يوم الثلاثاء (9-7-91) على تركيبة الفريق العسكري التابع لبعثة الامم المتحدة لتنظيم الاستفتاء بالصحراء (المينورسو)(Minurso) كما اقترحها الأمين العام الأممي السيد دي كويليار في رسالة وجهها الى المجلس يوم 3 يوليوز 1991.

وهكذا سيشارك في الفريق العسكري ستة وثلاثون دولة وهي : الأرجنتين، استراليا، النمسا، بنغلاديش، بلغاريا، كندا، الصين، اليونان، مصر، الولايات المتحدة، فنلندا، فرنسا، غانا، غينيا، الهندوراس، الهند، اندونسيا، ايرلندا، ايطاليا، كينيا، ماليزيا، النيبال، نيجيريا، باكستان، البيرو، بولونيا، بريطانيا، سنغافورة، سويسرا، تشيكوسلوفاكيا، تونس، تركيا، الاتحاد السوفياتي، وفنزويلا.

جنرال كندي على رأس القوات الأممية لحفظ السلام

تم تعيين الجنرال ارموند روي، الكندي الجنسية، على رأس قوات حفظ السلام الأممية المكلفة بمراقبة وقف إطلاق النار وإجراء الاستفتاء بالصحراء المغربية.

والجدير بالذكر، ان الجنرال ارموند روي كان قد عمل ضمن الفيلق الكندي المنضوي تحت لواء قوات حفظ السلام، المتمركزة في قبرص مرتين، الأولى سنة 1968 والثانية سنة 1973. كما شغل منصب الملحق العسكري في سفارة بلاده بكل من فرنسا وسويسرا.

«بعثة» الامم المتحدة في الصحراء الغربية

تقدم الأمين العام للأمم المتحدة ديكويلار بمشروع إنشاء بعثة الطوارىء الدولية للإشراف على الاستفتاء في الصحراء الغربية :

ويتضمن المشروع انشاء قوة من 1695 شخصا تعمل تحت امرة الأمم المتحدة وتتألف من :

- 550 مراقبا عسكريا.
- كتيبة برية من 700 جندي
- مجموعة من 110 جنود للاشراف على المعدات الجوية
- 4 طائرات مدنية خفيفة
- 8 طائرات مروحية هليكوبتير للمراقبة
- وحدة لسلاح الاشارة (45 جنديا)
- وحدة طبية (50 طبيبا وممرضا ومسعفا)
- وحدة الشرطة العسكرية (40 نفرا)
- وحدة التموينات (200 نفر)

وهدف «البعثة» الاشراف على وقف يوم 6 شتنبر 1991 إطلاق النار في المرحلة الأولى،

ثم إجراء الاستفتاء بين سكان الصحراء الغربية لمعرفة رأيهم في مسألة الاستقلال او الاتحاد مع المغرب.

وأثناء وجود «البعثة» ستأخذ القوات المغربية في الصحراء مواقع دفاعية، في حين تلتزم قوات البوليساريو بعدم الخروج من المعسكرات التي تتواجد فيها.

- ولما قام المرتزقة ببعض المناوشات في منطقة تفارتي شمال شرق الصحراء لعرقلة عمليات تهييء الاستفتاء (غشت 1991) صدر بلاغ باسم الحكومة جاء فيه :

لقد تم بناء الجدار الأمني داخل الأراضي المغربية على بعد مسافة لتمكين القوات المسلحة الملكية من القيام بعملها الدفاعي بشكل لا تطال معه عملياتها باي حال من الاحوال اراضي البلدين المجاورين الجزائر وموريتانيا.

وقد ظلت المنطقة المجردة من السلاح الواقعة بين خط الدفاع وخط حدود الصحراء المغربية على الدوام تحت مراقبة ويقظة وحدات القوات المسلحة الملكية المرابطة في الصحراء.

وقد أفادت معلومات دقيقة ومتطابقة أدلى بها موخرا بعض الذين التحقوا بالمغرب بعدما فروا من صفوف جبهة البوليساريو أن هذه الأخيرة كانت تسرب عناصر مدربة ومسلحة الى هذه المنطقة المجردة من السلاح حددت مهمتها في القيام بعمليات ارهابية داخل الصحراء المغربية بهدف عرقلة وتأخير التحضير لاستفتاء تقرير المصير والحيلولة دون اجرائه في ظروف آمنة.

واعتبارا للمسؤوليات التي يضطلع بها المغرب في استتباب الأمن والطمانينة في كامل تراب الصحراء المغربية فان القوات المسلحة الملكية قامت وتقوم بعمليات تمشيط وتطهير في المنطقة المجردة من السلاح.

- وواصلت وحدات القوات المسلحة الملكية المرابطة بالأقاليم الصحراوية بشكل منهجي وفي اطار الدوريات الخاصة بعمليات التطهير والتمشيط في المنطقة العازلة بين الجدار الأمني وخط الحدود للصحراء المغربية (منطقبة بير لحلو مثلا).

وبالفعل وعلى اثر معلومات دقيقة ومتطابقة قدمها بعض العائدين مؤخرا الى أرض الوطن قامت القوات المسلحة الملكية، منذ الأسبوع الأول من شهر غشت 1991 بالعمليات المذكورة في هذه المنطقة التي كانت فضلا عن ذلك تحت المراقبة الدائمة واليقظة لافرادها. ولا يتعلق الامر بأي حال من الأحوال بعمليات واسعة النطاق.

وعلى اثر تسلل المرتزقة داخل الحدود الصحراوية بمنطقة تيفاريتي وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة الى الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة السيد خافيير بيريز دي كويار فيما يلي نصها :

الى العناية الخاصة للسيد خافيير بيريز دي كويار الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة.

سيادة الأمين العام

أثبتت طلعات جوية استكشافية أن عناصر من البوليساريو تنتشر منذ ثاني شتنبر 1991 على بعد حوالي عشر كيلومترات داخل الحدود الدولية للصحراء بمنطقة تيفاريتي (خطوط العرض والطول 10 درجات 32 و 26 درجة 04).

ويتعلق الأمر في الوقت الراهن ب 25 آلية مدرعة وذلك قبل ثلاثة أيام من دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ.

وإن المغرب الذي يضطلع بمسؤولية الحفاظ على النظام والأمن داخل الحدود المعترف بها دوليا لهذه الأراضي يمكنه من هذا المنطلق القيام بعمليات للحفاظ على الأمن وعمليات للتطهير.

غير أن المغرب يمتنع تلقائيا عن القيام بذلك حرصا منه على أن يحافظ وقف اطلاق النار والمراحل اللاحقة لمخطط السلام على كل حظوظ النجاح.

وسيكون المغرب ممتنا لكم سيادة الأمين العام على كل الاجراءات العاجلة التي ستعملون على اتخاذها لكي تعود الأمور الى وضعها الطبيعي وبالخصوص من خلال انسحاب هذه العصابات المسلحة خارج الأراضي.

ونرجوكم سيادة الأمين العام ان تتفضلوا بقبول اسمى مشاعر تقديرنا واعتبارنا.

وحرر بالرباط يوم ثالث شتنبر 1991.

الامضاء : الحسن الثاني – ملك المغرب.

– هذا ومازال المرتزقة أعضاء البوليساريو إلى غاية تاريخه يلعبون بالنار ويناوشون ويماطلون في عمليات تحديد هوية الصحراويين، ويتمشدقون بالتهديدات الجوفاء، ويتنطعون من إحقاق الحق وإزهاء الباطل، حتى اضطرت هيئة الأمم المتحدة إلى أن تؤجل موعد الاستفتاء من تاريخ إلى تاريخ، علما بأنه ليس في الحقيقة إلا استفتاء تأكيدي لمغربية الصحراء المغربية ولمشروعية وجود قواتنا المسلحة الملكية فوق ربوعها حارسة إياها من كيد الكائدين ومن طمع الطامعين.

فالصحراء مغربية وستبقى مغربية أحب من أحب وكره من كره. وإن الله لقوي عزيز ! •

• قال جلالة الملك الحسن الثاني في خطابه بمناسبة حلول عيد الشباب (9 يوليو 1996) :

«نحن في صحرائنا سالمين مسالمين، رادين محاربين إذا اعتدي علينا»

(1) جرت العمليات الحربية بالصحراء المغربية على التوالي بقيادة ك.م احمد الدليمي تم الكولونيل عبد النبي بريطل، ثم الجنرال ادريس بنعيسى، ثم الكولونيل عبد العزيز بناني (1975-1979)، ثم الكولونيل ماجور محمد عبروق (1979) ثم الجنرال احمد الدليمي (1980) ثم الجنرال عبد العزيز بناني... مرة أخرى

(2) قبل الدخول في هذه العملية أقسم الضباط الذين أوكل اليهم جلالة الملك هذه المهمة بأن يقوموا في كتمان وسر وينفذوا الأمر لانجاح «عملية القدر» بقيادة قائدهم الأعلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله «والله ولي التوفيق والنصر».

(3) انظر في هذا الصدد الفصل الرابع الذي خصصه ادوار موحا في كتابه :

«Tente ans de relations algéro-marocaines» «لحرب الرمال» ويعني بها المعارك التي قامت بين الجيشين المغربي والجزائري فوق أرض الصحراء المغربية (Documents et Essais - 17, France - 1993)

(4) بعث صاحب الملك الحسن الثاني نصره الله القائد الأعلى ورئيس اركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية برقية الى الجنرال احمد الدليمي مدير ديوان الضباط المرافقين لصاحب الجلالة وقائد المنطقة العسكرية الجنوبية هذا نصها :

تلقينا البرقية التي بعثت بها إلينا والتي أشعرتنا فيها بربط الاتصال الذي تم اليوم بين وحدات القوات المسلحة الملكية المنوطة بها مهمة تمديد خط الدفاع وتحصين مراكز الدعم والوحدات المرابطة بالسمارة.

وفي هذا اليوم الأغر الذي نحيي فيه الذكرى الخامسة والعشرين للاستقلال يعتبر هذا الخبر من أجل دواعي الابتهاج والمسرة ومدعاة للمزيد من الحمد والشكر للعلي القدير على ما أسبغه علينا من فضله ونعمائه.

إننا لفخورون بك وبالضباط وضباط الصف، والجنود ا [illegible]املين تحت امرتك في المنطقة الجنوبية، وان الوطن والملك ليجازيانكم احسن الجزاء والله في عونكم مع دعواتنا لكم المبـ[illegible]ـة بالرضا.

الامضاء الحسن ابن محمد

(5) وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية برقية التنويه الآتية الى الكومندان عبد الخالق اللقاء، قائد حامية كلته زمور :

شن العدو خلال يومي 24 و 25 مارس 1981 هجوما مكثفا ضد منطقة زمور معبئا في مواجهة حاميتك الصغيرة القسط الاوفر مما لديه من الوسائل. وبفضل عزيمتك، والشجاعة النادرة التي تحلى بها الضباط وضباط الصف والجنود، الذين يعملون تحت امرتك، كبدتم العدو هزيمة نكراء وخسائر بالغة في الارواح والعتاد. وفي هذه المناسبة التي كانت مدعاة اعتزازنا وافتخارنا يطيب لنا أن نوجه تهانئنا مشفوعة برضانا الابوي اليك، وكذلك الى أعضاء الوحدة التي تعمل تحت قيادتك ونسأل الله سبحانه ان يحفظكم ويمدكم بعونه حتى تؤدوا رسالتكم النبيلة في ظل الكرامة والشرف المصون، وانتم اوفياء لشعارنا الخالد : الله، الوطن، الملك. (الحسن بن محمد)

(6) على هذا الاعتداء بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني البرقية التالية الى السيد كورت فالدهايم الأمين العام للامم المتحدة هذا نصها :

السيد الامين العام...

في فجر يوم الخميس 16 ابريل 1981 هوجم المركز المغربي لسيدي عمارة كما هوجمت فرقة للقوات المسلحة الملكية مرابطة في شمال واد درعة في حسي عربية من قبل قوات اجنبية قدمت من الخارج. وقد وقعت فرقة قواتنا المسلحة الملكية التي كانت ترابط هادئة ضحية كمين غادر، وفي الساعة التي نبعث اليكم بهذا الخطاب لم نحص بعد بشكل نهائي عدد خسائرنا في الرجال والعتاد.

بيد انه استنادا الى المعلومات الأولى تلقيناها يمكننا ان نؤكد لكم انه في صفوفنا قتل 13 رجلا واصيب نحو العشرين بجراح خطيرة كما اختفى عشرة رجال تقريبا نفترض ان المعتدين اختطفوهم. وتقع المراكز التي أغير عليها في جنوب المغرب داخل حدودنا الدولية وفي نقطة لم تكن أبدا موضع أي اعتراض من أي شكل كان. فالأمر حينئذ يتعلق باعتداء واضح ومساس بوحدة ترابنا الوطني وهو اذن يدخل ضمن الاعتداءات التي تدينها مقتضيات ميثاق الامم المتحدة ويستنكرها الضمير العالمي.

هذا وان القوات المعتدية جاءت من أرض الجزائر المجاورة واليها التجأت بعد ان نفذت عمليتها الغادرة، وأننا اذ رفضنا الاسهام في تصعيد التوتر حرصا منا على وقاية المنطقة من اخطار جسيمة ولو اننا وجدنا انفسنا أمام حالة جلية من حالات الدفاع المشروع عن النفس فقد اصدرنا الامر لقواتنا بعدم مطاردة المعتدين في ملجئهم الا أننا رأينا من الواجب علينا ان نشعركم بما وقع ونطلب تدخلكم الصارم لمنع حدوث مثل هذا الاعتداء الماس بوحدة ارضنا استقبالا فمن شأن هذه الاعتداءات ان تعرض استقرار المنطقة وامنها لخطر اكيد على ان الأسرة الدولية ستدرك بسهولة انه لا يمكن للمغرب ان يظل على الدوام مكتوف الأيدي أمام الاعتداءات الموجهة من الخارج ضد وحدته الترابية والمساس بسيادته الوطنية. من اجل هذا نكون ممنونين لكم السيد الامين العام باتخاذكم كل المساعي لدى المسؤولين الجزائريين لاثارة انتباههم الى التبعات

الخطيرة التي يتحملونها أمام التاريخ بخرقهم المكشوف هذا للمبادئ التي اعتمدها ميثاق منظمة الأمم المتحدة.

- وتقبلوا جناب الامين العام مشاعر تقديرنا السامي -الحسن الثاني ملك المغرب-.

(7) على اثر هذه المعركة بعث صاحب الجلالة رسالة إلى الرئيس الموريطاني هذا نصها :

فخامة الكولونيل محمد خونا ولد هيدا الله رئيس اللجنة العسكرية للخلاص الوطني ورئيس الجمهورية الموريتانية

- نواكشوط -

سيادة رئيس الجمهورية خلال الأسبوع المنصرم، وبالتدقيق يوم ثالث عشر اكتوبر الجاري، استهدفت قرية كلتة زمور، الواقعة داخل ترابنا، لغارة من قبل طابو مدجج بالسلاح ومزود بتسليح ثقيل ومتطور للغاية.

وان تحليل عناصر الغارة، وكذلك الملاحظات العديدة والمتنوعة التي قمنا بها كما جرت العادة، كشف لنا عن ان ما كان للمغيرين ان يلحقوا بكلتة زمور الا انطلاقا مباشرة من التراب الموريتاني، وللاسف جاءت الحوادث والعمليات التي أعقبت الغارة على القرية تؤكد أن موريتانيا هي بالفعل النقطة التي ينطلق منها ثم يلجأ إليها أولئكم الذين يخرقون حدودنا ويعرضون قرانا لغارات متكررة يسقط فيها العديد من الضحايا. وبالفعل في هذا اليوم تاسع عشر أكتوبر قامت قواتنا بمتابعة فلول طابور العدو الذي أتى ليهاجمنا، وان رجالنا تبينوا بكل وضوح ان هذه الفلول اجتازت في ساعة تراجعها الحدود الموريتانية وقصدت القرية الموريتانية المعروفة بـ «العايديات» والواقعة على بعد عشرة كيلو مترات من داخل التراب الموريتاني، وما من شك انه من ذلك المنطلق ستتأهب قوات العدو لشن معارك جديدة ضد المغرب.

بناء على ذلك، انه واضح ومؤكد وجلي ولا تتطرق اليه شبهة أن التراب الموريتاني أصبح يشكل نقطة الانطلاق والملجأ بالنسبة لاولئكم الذين يهاجموننا. إن خطورة هاته الحالة ما كان لها ان تغرب عن بالكم، واننا نفترض انكم بحكم المسؤوليات السامية التي تمارسونا، تدركون كل العواقب المترتبة عنها. وفيما يخصنا وحرصا منا على تفادي أي وضع لا تحمد عقباه اصدرنا امرنا لقواتنا المسلحة بعدم ملاحقة الجنود الاعداء خارج ترابنا وبالتالي بالوقوف عند حدودنا المشتركة وذلك لا يعني أنها ستبقى مكتوفة الايدي فيما اذا وقع هجوم جديد. إنا لنأمل، وننتظر من جانبكم. كل الايضاحات اللازمة، راجين انكم ستتخذون كل التدابير الملائمة حتى يوضع حد لحالة تلحق فادح لاضرار بمجموع المنطقة . وتقبلوا، سيادة رئيس الجمهورية، تأكيد تقديرنا السامي. - الحسن الثاني ملك المغرب-.

وقد تلقى جلالة رسالة جوابية ينفي فيها الرئيس الموريتاني وجود قرية العايديات بالتراب الموريطاني الا ان جلالة الملك وجه له ردا مفحما معتمدا على الخرائط العسكرية الموضحة بان القرية المذكورة توجد على بعد عشرات الكيلومترات من الحدود المغربية الموريتانية.

(8) وقد نوه جلالة الملك نصره الله بالدور البطولي للقوات المسلحة الملكية في خطاب العرش لسنة 1982 بقوله :

«إن الدور المزدوج الذي تضطلع به قواتنا لجدير بكل ثناء فهي تسهم موفقة في هيكلة أقاليمنا الصحراوية وتيسر لرعايانا في هذه الاقاليم أسباب حياة مطمئنة شبيهة بالاقاليم الاخرى لمملكتنا. وعلاوة على ذلك فانها تواجه مواجهة نادرة المثال بشجاعة وإنكار للذات وروح تضحية ما يقوم به المرتزقة من محاولة التسرب الى ترابنا. ويمكن القول أن سيطرتنا الميدانية الآن بفضل هذه القوات هي سيطرة مطلقة. وان أقاليمنا في الصحراء في مأمن من كل خطر ذى بال».

(9) وعلى اثر ذلك توصل ج. احمد الدليمي ببرقية ملكية سامية تلاها عليه قاض مدينة أكادير هذا نصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الى الجنرال احمد الدليمي قائد منطقة الجنوب.

خديمنا الأرض السلام عليك من الله ورحمته.

تلقينا بفرح كبير البرقية التي اخبرتنا فيها بانتهاء الاشغال في بناء الحزام الواقي الممتد من بوكراع الى بوجدور وسرنا أن يفرغ ضباطنا وجنودنا الأبطال من انجازه بعد جهود مضنية بدلوها عدة اشهر بما عهد فيهم من صبر وثبات موطدين بذلك الامن والهناء لرعايانا سكان المراكز الحضرية باقاليمنا الصحراوية وممهدين السبيل لمواصلة الاعمال الانمائية والتجهيزية التي تقوم بها لصالحهم في جميع المجالات.

اننا لنشعر باعتزاز كبير وفخر عظيم بضباط وضباط صف وجنود قواتنا المسلحة التي ما خط لها قائدها الأعلى طريقا الا سلكته ولا دعاها الى عمل الا انجزته بقوة لا تخور وعزم لايلين واقتدار منقطع النظير على أداء الواجبات والنهوض بالمسؤوليات دفاعا عن الوطن وصيانة لوحدته الترابية وضمانا لامن سكانه وراحتهم.

واننا ونحن نتلقى منك هذا الخبر السار لنأمرك ان تبلغ جميع الضباط وضباط الصف وجنود وحداتنا العاملة تحت قيادتك بأقاليمنا الجنوبية سابغ رضانا وصالح دعانا مقرونين بما نكنه نحن وشعبنا الوفي من حب عميق وتقدير كبير واعجاب بصفات الايمان والشجاعة والصمود التي يتصفون بها. والله تعالى يسدد خطاكم ويوفق مسعاكم ويكلل بالنصر نضالكم ويبقيكم الحصن الحصين والسياج المنيع الذي يحبط كيد الكائدين ويفشل مغامرة المغامرين. ولك منا خصيصا الرضا

الكامل ودعوات الخير والرشاد والسلام. الحسن الثاني.

(10) وجه جلالة الملك القائد الأعلى ورئيس اركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية برقية الى الجنرال احمد الدليمي قائد المنطقة الجنوبية في هذا الشأن :

لقد اطلعنا بابتهاج كبير وفخر عميق على فحوى الرسائل التي ترفعها الينا قيادة المنطقة الجنوبية منذ ثلاثة ايام. ان ما أكدته هذه الرسائل المرفوعة الينا من خصال بطولية متجددة لابنائنا من افراد القوات المسلحة الملكية المرابطة في المنطقة الجنوبية لهو مرآة صادقة لما يتحلون به من شجاعة واقدام ورثوهما من الأباء والأجداد ومن معنويات عالية وروح قتالية عريقة فيهم.

وان اشارتك الى صحة ودقة ما كنا نتوقع من اعتداءات وهجومات العدو لتؤكد ما علمتنا اياه التجربة التي عشناها خلال السنوات الأخيرة من أن المرتزقة الذين نحاربهم هم في ذات الوقت زنادقة وملحدون. اذ انهم لا يتركون مناسبة مقدسة جعل الله منها أيام تراحم وتواصل وطمأنينة كحلول عيد الأضحى أو عيد المولد النبوى الشريف أو عيد الفطر دون ان يتسببوا في إراقة الدماء. ولكن عقاب الله تعالى وعذابه لهم كانا شديدين في كل مرة اقدموا فيها على ارتكاب هذه الانتهاكات.

واننا ندعوك ان تبلغ ضباط الصف وجنود كل الوحدات والأسلحة الذين هم تحت امرتك مشاعر فخرنا وعطفنا الأبوى وهي المشاعر التي تحظى انت منها بأوفر نصيب. هذا وقد توفي الجنرال احمد الدليمي يوم 25 يناير 1983 في حادثة سير بمدينة مراكش.

(11) قد أكد الهجوم الانتحاري الذي شنه مرتزقة البوليزاريو مؤخرا على بلدة المسيد الواقعة على بعد 70 كلم جنوب طان طان استحالة اختراقهم للحزام الأمني الذي أقامته القوات المسلحة الملكية بين طان طان والداخلة.

وقد وقف وفد من الصحفيين المغاربة والأجانب يوم السبت في عين المكان على آثار الهزيمة الجديدة التي منى بها المرتزقة أيام 10 و 11 و 12 يوليوز الجاري التي صادفت الاحتفال بليلة القدر وعيد الفطر في منطقة المسيد التي هوجمت بعشر كتائب 1500 رجل محمولة على متن 150 سيارة ومعززة بعشرين آلية مصفحة.

وقد بدأ هذا الهجوم حسبما ذكر الكولونيل ماجور محمد بناني نائب قائد منطقة الجنوب لوفد الصحفيين بطان طان على الساعة السادسة من صباح يوم عاشر يوليوز بقصف مكثف لم يسبق له مثيل في حرب الصحراء على مواقع الدفاع في المسيد وأوضح أن عشرة مواقع مدفعية للعدو واصلت قصفها لخط الدفاع الى غاية الساعة العاشرة صباحا.

وأضاف الكولونيل ماجور بناني الذي كان مرفوقا بعدد من الضباط السامين من بينهم الكولونيل أرزاز واليوتنان كولونيل أقلعي والكولونيل محتان انه بعد ساعة إلا ربع من ذلك أصبحت مدرعات العدو في مرمى الأسلحة المضادة للدبابات بالموقع مماكمن من تدمير ثماني دبابات واحراق أربع دبابات أخرى.

وأكد نائب قائد منطقة الجنوب أن القوات المسلحة الملكية قد تمكنت من وقف تقدم آليات العدو الذي انسحب باتجاه الجنوب والجنوب الشرقي فيما استمر تبادل إطلاق النار الى الزوال.

وفي ذات الوقت يضيف الكولونيل ماجور بناني حول المرتزقة اتجاههم للهجوم على موقع الدفاع في البريدلة شمال غرب المسيد إلا أنهم اضطروا مرة اخرى للتراجع بفضل تدخل الوحدة الثامنة ووحدة المدفعية بموقعي المسيد وفج الريح.

وبين الكولونيل ماجور بناني أن المرتزقة حاولوا من جديد على الساعة الرابعة بعد الظهر التقدم باتجاه الجنوب الغربي فتصدت لهم وحدات القوات المسلحة الملكية وتم تدمير ست دبابات للعدو واحراق دبابتين إضافة الى إصابة عشر سيارات لاندروفر وتفجير شاحنة مما اضطرهم الى الانسحاب باتجاه مغدرة السلطان وعكلة اللبن.

وقال انه ابتداء من الساعة السابعة مساء حاول العدو الكشف عن قواعده لحمل قوات الدفاع الجوي على التدخل ملاحظا في هذا الصدد أن القوات الملكية الجوية لا تتدخل الا اذا كانت هناك فائدة ترجى من تدخلها.

وأضاف الكولونيل ماجور بناني أن المرتزقة الذين حاولوا جمع آلياتهم المدمرة على بعد يتراوح بين 4 و 7 كلم من خط الدفاع قاموا بمحاولة اقتراب جديدة ليلة 11 يوليوز غير أنهم ولوا الادبار تحت ضغط نيران المدفعية. وأضاف ان سلاح الطيران التابع لقطاع واد درعة قد تدخل يوم 12 يوليوز بفعالية مما أسفر عن تدمير عشر دبابات معادية واحراق دبابة واحدة كما تدخل الطيران لضرب قواعد العدو فأصاب خمسين مدرعة ودمر قاعدتين لاطلاق القذائف.

أما الايام الموالية يضيف الكولونيل ماجور بناني فلم تشهد إلا تراشق نيران المدفعية الى غاية يوم الجمعة حيث حاول المرتزقة التقدم مستعملين الدبابات الا أن هذه المحاولة فشلت كما فشلت سابقاتها وتم تدمير خمسة سيارات معادية.

وتحدث الكولونيل ماجور بناني عن خسائر الجانب المغربي خلال هذه المعارك فذكر بأنها كانت تسعة عشر شهيدا و 78 جريحا وتدمير عربتين وشاحنة وسيارة لاندروفر.

هذا وقد شاهد الصحفيون في موقعي المسيد وتيواطاف عينات من أسلحة مدمرة وصالحة للاستعمال تركها العدو في ميدان المعركة وتشمل على الخصوص دخيرة من عيارات مختلفة وأسلحة فردية من مختلف الأنواع وسيارات لاندروفر

وبقايا دبابات 55 السوفياتية الصنع ومواد غذائية معلبة من صنع جزائري وليبي واغطية تحمل عبارة الجيش الوطني الشعبي.

كما لاحظ الصحفيون المعنويات المرتفعة لأفراد القوات المسلحة الملكية وتصميمهم على التصدي لكل اعتداء. ان الجندي المغربي والمواطن المغربي هو الجدار المغربي والمواطن المغربي هو الجدار الأمني الحقيقي كما قال مولاي أحمد العلوي وزير الدولة في حديث للصحفيين مؤكدا ان هذه العملية الانتحارية ليست سوى عملية دعائية، الغاية منها إرغام المغرب على التفاوض مع المرتزقة.

وابرز مبعوث وكالة فرانس بريس السيد هوبرهاي في مراسلة من المسيد «ان البوليساريو لم يفتأ منذ هجومه المكثف يوم 10 يوليوز يناوش على فترات متقطعة المواقع المغربية في منطقة المسيد داخل التراب المغربي غير المتنازع عليه».

وقال المراسل الفرنسي ان الصحفيين تمكنوا زوال السبت من سماع انفجار القذائف من عيار 122 ملم التي يطلقها البوليساريو ومن حين لآخر ، رد المدافع المغربية من عيار 155.

وحسب العسكريين المغاربة فان هذه المناوشات من عمل وحدات جد صغيرة مكونة من سيارة أو سيارتي لاندروفر محملة بمدفع من عيار 122، خلافا لهجوم 10 يوليوز الذي حشد له المرتزقة قوة نارية «جبارة» تتمثل في عشر قواعد لقاذفات الصواريخ من عيار 122 (اورغ ستالين). وقد استعمل المرتزقة في منطقة واحدة من المناطق المهاجمة عشرة آلاف صاروخ.

وعن سؤال حول عدد القتلى في صفوف العدو، قال المراسل الفرنسي ان الكولونيل ماجور بناني رفض تقديم (رقم ولو تقريبي) لكنه صرح ان الجنود المغاربة دفنوا اكثر من خمسين جثة ممزقة لافراد العدو. كما أبرز أن كل المعارك دارت على مسافة حيث لم يتمكن البوليساريو اطلاقا من الاقتراب أقل من كيلو مترين أو ثلاثة من الجدار الأمني المغربي.

وأضاف الكولونيل ماجور بناني ان الوسائل المستعملة من طرف العدو لا يمكن ان تكون صادرة إلا « عن دولة جد قوية لم يذكر اسمها، لان ثمن الصواريخ المستعملة يوم 10 يوليوز وحدها يمثل على الاقل 300 مليون فرنك فرنسي، واضاف الضابط المغربي انه لوم لم يكن البوليوساريو يتوفر على المساندة البشرية لهذه الدولة القوية لانتهى المشكل. »

واضاف انه رغم القوة النارية المستعملة، فانه لم يكن لهذا الهجوم هدف عسكري بل سياسي : احداث ما أمكن من الضجيج في العالم بواسطة «أورغ ستالين» ليحقق الاعتراف به كمحاور للمغرب عن (العلم - 14 يوليوز 1983).

(12) يقول أحد الصحفين المغاربة متحدثا عن مراكز الدعم هذه التي يشمل عليها الجدار الدفاعي (أثبتنا شهادته هنا زيادة في التوضيح ولابراز أهمية هذا الحزام الأمني المنفرد في تاريخ الحروب) يقول الصحفي :

دخلنا الموقع وكان شكله يشبه دائرة. اصطفت داخله المخابئ ومواقع الاسلحة. المخبأ عبارة عن حفرة مبنية على شكل غرفة صغيرة يتم الدخول اليها من داخل الموقع أو «نقطة دعم» كما تسميه اللغة العسكرية. يحتوي المخبأ على نافذة تطل منها فوهة السلاح الموجود داخل المخبأ. وبطبيعة الحال فان الأسلحة متعددة الاشكال والطاقات والاحجام . للمخبأ سقف سميك زادت من مناعته صفيحة من الحديد المقوى، بحيث لا يتأثر المخبأ ب لا بالقصف ولا بتساقط القنابل فوقه. وهكذا فبينما يكون الجندي المغربي يتوفر على شروط تحميه وتساعده على القيام بواجبه لايكون المعتدي اية مظلة تقيه الطلقات النارية لانه مجبر على التحرك في العراء وامام هدف الجندي القابع في مخبإ محض.

«نقطة الدعم» هذه هي واحدة من بين العديد من مثيلاتها. ذلك ان نقط الدعم منبثة على طول الحزام الذي هو عبارة عن حائط من الرمال والتراب يفوق علوه اربعة امتار. فبين نقطة الدعم والأخرى مسافة تتراوح ما بين ثلاثة وخمسة كيلو مترات حسب الأسلحة الموجودة في كل نقطة. المهم هو أن تكون طاقة الطلقات من نقطتين متجاورتين كافية لان تلتقي فيما بينها بحيث تشكل سدا ناريا قويا يقطع الطريق على كل من أراد اختراق الحزام بين نقطتي دعم.

كل وحدة داخل نقطة من نقط الدعم، تنظم يومها بشكل لا يترك الملل يتسرب الى المجموعة، فاليوم يكون دائما حافلا. وهو مقسم بين التدريب العسكري وتلقي دروس في التكوين والتدريب على الاسلحة والارسال والسياقة والميكانيك وتهيء الأكل والرياضة. لقد رأينا في بعض المواقع ملعبا لكرة القدم. كل جندي في «نقطة الدعم» يهيء طعامه بنفسه ويعتني بسلاحه. وهو مطالب بالتدرب على أسلحة جديدة وعلى كيفية صيانة واصلاح الالات المتوفرة. بحيث ينبغي ان تكون في استطاعة كل وحدة الاعتماد على نفسها. وقيل لنا بأن دروسا في محاربة الأمية تعطى في عدد من «نقط الدعم». بالاضافة الى دروس في التربية الوطنية والتاريخ والجغرافيا..

المنطقة الممتدة خارج الحزام، تعتبر منطقة عسكرية ممنوعة. وتوجد فرق التدخل السريع دائما على أهبة الاستعداد للتنقل لأي مكان خارج الحزام، إما لتفتيشه والبحث فيه عن العدو، واما لمهاجمته اذا توفرت معلومات عن تواجده في منطقة من المناطق التي تدخل في اطار المنطقة العسكرية مثل منطقة «الحوزة» التي لاتبعد عن الحزام الامني الجديد الا بحوالي 25 كلم لذلك لايمكن للانفصاليين الاستقرار في اي مكان يوجد بين الحزام والحدود الجزائرية. اما المنطقة الموجودة داخل الحزام والممتدة منه الى المحيط الاطلسي. فهي مطنقة آمنة، مسموح بالنقل داخلها بحرية قال أحد الضباط معلقا " ان مهمة الجيش هي ضمان الأمن". (عن الاتحاد الاشتراكي 29 مارس 1984).

(13) يقول شاهد عيان : (عن جريدة الاتحاد الاشتراكي 30 مارس 1984)

«لا يمكن لأي مغربي أن يقدر مدى التضحية التي يقدمها هؤلاء الجنود من أجل الحفاظ على وحدة المغرب الترابية، اذا لم يعرف قساوة الظروف والطقس والوحدة التي يعاني منها الجندي المغربي في الجبهة الجنوبية، لقد شعرنا بخجل كبير أمام هؤلاء الرجال الذين يقفون بالمرصاد أمام العدو، وهم في ظروف لا أستطيع وصف قساوتها، ليس لديهم ما يخففون به عن معاناتهم الا ايمانهم بالقضية التي هم مجندون من أجلها. وهذا الايمان هو قوة المغرب وأبنائه الواقفين على طول الحزام الامني، وعلى طول وعرض اراضيهَ».

(14) قد نوه جلالة الملك في خطاب العرش لسنة 1984 بهذا المجهود الجبار التي تقوم به قواتنا المسلحة الملكية قائلا :

شعبي العزيز :

إن احتفالنا بعيد جلوسنا على عرش آبائنا وأجدادنا الكرام فرصة سعيدة مواتية نغتنمها لنبعث تحياتنا وتحياتك الخالصة الى قواتنا المسلحة الملكية وقوات الدرك والأمن والقوات المساعدة المرابطة بصحرائنا المتصدية باستمرار للعدوان الذي يتطاول به خصوم وحدتنا الترابية على أرضنا وسيادتنا. وان قواتنا هذه التي تواجه منذ سنين بقيادتنا غارات المعتدين وتحبط هذه الغارات وتصدها بشجاعة فائقة وببطولة سار بذكرها الركبان لتستحق منك شعبي العزيز ومنا كل اشادة وتنويه. واننا اذ نعرب لها عن عطفنا الأبوي الكبير وعن سابغ رضانا لنوجه اليها باسمنا وباسمك عبارات اكبارك واكبارنا لما تواليه من بذل وتسترخصه من تضحيات تسمو أحيانا الى أسمى قمم العطاء. والله المسؤول أن يمد بسنده وعونه قواتنا الواقفة في الصحراء سدا منيعا وحصنا حصينا الذائدة عن ترابنا بتفان واستماتة وهو المسؤول كذلك أن يشمل بكريم رحمته ومغفرته شهداءنا الأبرار ويسكنهم فسيح جناته مع المجاهدين الأخيار.

(15) على اثر اتمام هذا السياج الامني رفعت حكومة (السيد محمد كريم العمراني) لجلالة الملك خطابا جاء فيه «واذا كانت قواتنا المسلحة الملكية تستحق من قائدها الأعلى ورئيس أركانها العامة ومن الشعب المغربي كافة كل ثناء وكل اطراء لما تؤديه على الوجه الاكمل من واجب ولما تسترخصه في اداء هذا الواجب من تضحيات جسيمة جليلة فما اعظم استحقاقكم يامولاي للثناء والاجلال والاشادة والاكبار فانتم صاحب الرأي الحصيف والتوجيه الذي لايخطىء والمبادرة الملهمة والتدبير الصالح والاشراف اليقظ الساهر وانتم منبع التحفز والحماسة ومصدر الاعمال الناجحة واصل المساعي الموفقة وما أعظم مالكم يامولاي في هذا المجال وفي كل مجال من مجالات عنايتنا واهتمامنا من منة ويد بيضاء ومن دين على المغاربة أجمعين.

وكان رد جلالته كما يلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واله وصحبه.

وزراءنا الأمجاد،

لقد فوجئنا بهذه المبادرة من حكومتنا. هذه المفاجأة التي إن دلت على شيء انما تدل على أن وزراءنا يقدرون جسامة المسؤولين الملقاة على سواعد قواتنا المسلحة الملكية من ضباطها وضباط صفها وجنودها ولم تقم قواتنا المسلحة الملكية الا بما يفرضه عليها ماضيها المجيد وما يفرضه عليها ديننا الحنيف.

لقد أدخلت علي السرور كلما أعطيتها أمرا لتنفيذه لأنها دائما تنفذه لاباخلاص وحماس فقط بل بذكاء ووعي وذلك هو الرصيد الأثمن لان الوعي هو الرأي والرأي قبل شجاعة الشجعان. أما فيما يخصني شخصيا فلم اقم الا بالواجب الذي ربيت عليه وسأقول ما قلته يوما انه اذا كان المثل العربي يقول «الناس على دين ملوكهم» «اقول في المغرب» «الملوك على دين شعبهم».

أعاننا الله جميعا وسدد خطانا. ومرة أخرى أشكركم جزيل الشكر على هذه المفاجأة والمبادرة والسلام عليكم،

(16) أشار صاحب الجلالة في خطاب العرش لسنة 1987 لهذا الهجوم السافر بقوله :

«لقد حاول الاعداء مرات بعد مرات ان يستغفلوا حراستها ويفتوا بما والوه من غارات في قوة شكيمتها ولكنهم ارتدوا كل مرة على اعقابهم خاسرين. وان قواتنا المتفانية في الاضطلاع بمهامها الشريفة الدائبة على تسخير فضائل الايثار والاقدام والتضحية وعلى استخدام الوان المهارة والاحكام لجديرة بكل ثناء وكل اشادة وتنويه».

وعلى اثر ما نشرته بعض الصحف حول حضور ضباط اسرائيليين في المناورات المغربية – الأمريكية (أفريكان ايغل) خلال شهر نونبر 1986 كذبت الأوساط المقربة من القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية تكذيبا قاطعا هذه الانباء التي تأتي في سياق حملة تشويه يقوم بها خصوم المغرب.

وأضافت هذه الأوساط أن القوات المسلحة الملكية المعروفة بشجاعتها وتجربتها وقدرتها العسكرية الخلاقة على عدة جبهات وفي مختلف الظروف ليست ولن تكون أبدا في حاجة الى اللجوء الى نصائح ومساعدة أي جيش آخر للدفاع عن الوحدة الترابية لوطنها.

(17) وهذا لا يقلل من أهمية قواتنا المسلحة فقد أكدت جريدة «جورنال اوف ديفانس اند دبلوماسي» الأمريكية ان القوات المسلحة الملكية تعتبر واحدة من أحسن جيوش القارة الافريقية.» وأوضحت المجلة الشهرية المتخصصة أن القوات المسلحة

الملكية «تحظى بتقدير خاص من لدن البلدان العربية المحافظة التي غالبا ما لجأت الى المغرب من أجل المساعدة العسكرية». وأضافت المجلة ان عدد افراد القوات المسلحة الملكية يبلغ 200.000 بالاضافة الى الحرس الملكي والدرك الملكي. (غشت 1987).

(18) على إثر هذه المعركة استقبل جلالة الملك بعض الضباط وضباط الصف الذي يمثلون الضباط وضباط الصف وجنود حامية كلتة زمور وقد نوه بهم جلالة الملك وبشجاعتهم وكلفهم بتبليغ جميع جنود حاميتهم رضاه الأبوي ودعاه لهم ولباقي الضباط وضباط الصف وجنود مختلف الوحدات المرابطة بالصحراء المغربية بالتوفيق والسداد في صمودهم ووقوفهم سدا منيعا أمام كل المحاولات اليائسة ضد الوحدة الترابية للمملكة. وفي خطاب ذكرى المسيرة لسنة 1989 قال جلالة الملك بأن «حرب الصحراء» فرضت علينا لم تكن لا لننتظرها كحرب ولا لننتظر نوعيتها. فتمكنا ولله الحمد بفضل التجربة والصبر والتحمل وثبات ضابطنا وضباط صفنا وجنودنا وقيادتنا العليا في الرباط والدراسات التي قامت بها أولا من أن نكيف انفسنا مع هذا النوع من حرب الصحراء، وثانيا من أن نقتني من التجهيزات ما يصلح لها وثالثا ان نتدرب عليها تدريبا جيدا، وأخيرا وهو المهم ان نتعهدها بالاصلاح لان التعهد في الإصلاح وفي ميدان السلاح هو أخطر بكثير من الثمن الذي يدفع لشراء السلاح. فكما خلقنا جيلا جديدا في الصحراء خلق المغرب لنفسه جيشا جديدا»

(19) ذكر عمر الحضرمي العضو العام السابق في جماعة البوليساريو ان الجزائر زودت البوليساريو بأسلحة من صنع حلف وأرسو وهي : «Les chars à chenille T54, T55, T62 des Sam 7,6,8»

Les "Chilkas" (chars équipés d'un radar lié en Canon qui suit le cible et teleguide le canon sur l'objectif) ; des misiles anti-chars, l'artillerie lourde et des armes légères de toutes sortes - (libéral - Mais 1990)

(20) على إثر هذه الاعتدادات على الوحدة الترابية للمملكة قرر صاحب الجلالة تأجيل الانتخابات التشريعية بسنتين وأمر باجراء استفتاء شعبي بهذا الخصوص حتى تعطى مهلة جديدة لهيئة الامم المتحدة لتهيىء نفسها لاجراء الاستفتاء بالصحراء المغربية وكذلك لخصومنا لكي يراجعوا موقفهم العدائي للمغرب. وقد شارك أفراد القوات المسلحة الملكية وغيرها من القوات الأمنية في هذا الاستفتاء الذي اعتبر مسيرة بيضاء بازاء المسيرة الخضراء..

وبهذه المناسبة رفع الجنرال عبد العزيز بناني قائد منطقه الجنوب البرقية التاليه الى صاحب الجلاله الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامه للقوات المسلحة الملكية :

«يشرفني أن أحيط جلالتكم علما انه في اطار البرقية الملكية بتاريخ 26 نونبر 1989 وتطبيقا للمقتضيات التشريعية المتعلقة بمشاركة العسكريين في استفتاء فاتح دجنبر 1989 ان كافة ضباط وضباط الصف وجنود مختلف الاسلحة ومصالح القوات المسلحة الملكية والقوات المساعدة والدرك الملكي العاملين بمنطقه الجنوب قد شاركوا في التصويت.

وقد اتخذت كافة الاجراءات الأمنية على طول خط الدفاع لتمكين جميع العسكريين من تأديه واجبهم الدستوري. وجرت عمليه التصويت في جو من الطمانينه والحماس. وقد صوت جميع المسجلين ب (نعم) بتلقائيه وكثافه.

وقد عبر كافة العسكريين عن تأييدهم اللامشروط للمبادرة الملكية المباركة وتجندهم الدائم وراء قائدنا الأعلى للدفاع بتفان واخلاص عن القيم المقدسة للمملكة وعن الوحدة الترابية الوطنية.

وبهذه المناسبة السعيدة ندعو الله أن يحفظ ويعين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامه للقوات المسلحه الملكية ويقر عين جلالته بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وكافه أفراد الاسرة الملكية.

وفي هذا الحدث السياسي الهام نظم الدكتور عمر بوستة قصيدة يقول منها :

مصيرك يا صحراء أصبح عرضة — لمكر خبيث يضم الحقد والشـرا

وياء دعاة الغدر واللوم لا تدري — لمقتهمو الباغي حدودا ولا حصرا

وذاق الحفاة التائهون مرارة — وما وجدوا يوما لكسرهم جبـرا

نعم لجنود العز للجيش انه — يد مر أعداء ويسكنهم قبـرا

نعم لرجال حامدين تسلموا — بعزم وحزم تستلذ به ذكـرا

– هذا وقد خصص السيد عبد الكريم غلاب في كتابه عن تاريخ الحركة الوطنية (ج 2 ص : 895-906) فصلا خاصا حلل فيه المراحل التي قطعتها حرب الرمال بالصحراء المغربية التي أتينا على ذكر مراحلها إجمالا وتفصيلا.

وبعـــد

هذه هي قصة جيشك أيها الشعب المغربي الكريم !

وهذه هي بعض المفاخر التي خلدتها لمغربك أيها الجيش العتيد في سجل تاريخ مغربك المجيد !

فيجب عليك -أيها الشعب المغربي النبيل- بعد أن اطلعت على هذه الصفحات من تاريخ جيشك الباسل - وعليك أنت أيها الجيش المغربي ذو الماضي البطولي أن تتخذا كمبدأ لكما الاتحاد والوئام لأن الأمة بدون جيش- يحميها ويحفظ لها كرامتها ويذوذ عن وحدة ترابها - ليست أمة ذات سيادة، كما أن الجيش بدون أمة - تعاضده وتؤيده وتؤازره في الضراء والسراء- لايمكن أن يعتبر نفسه جيشا !

لهذا يجدر بنا جميعا أن نعتبر أن عدد الجيش المغربي ليس خمسين ألفا أو ستين ألفا من الجنود بل عشرات الملايين من المغاربة جمعهم الله للسير جميعا في طريق التضحية والفداء من أجل حياة المغرب الكريم وللسير أيضا جميعا في طريق البناء من أجل تقدم المغرب ورفاهيته بقيادة عاهلنا المفدي وقائد مسيرتنا المظفرة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

والله ولي التوفيق والهداية وهو نعم المولى ونعم النصير !

عبد الحق المريني


ملاحق

الظاهرة العسكرية في تاريخ المغرب

للمرحوم محمد زنيبر

من الثوابت التي نجدها في تاريخ كل الشعوب المؤسسة العسكرية. وكونها من الثوابت يعني أنها تستجيب لضرورة قائمة دائمة لا يصح تجاهلها. فعنصر الشر الذي يدخل في تكوين النفس البشرية لم يسمح للجماعات من بني الانسان أن تعيش جنبا الى جنب دون أن يعتدي البعض منها على البعض الآخر. وما زالت الجهود تبذل على قدم وساق في عصرنا هذا من أجل تغيير العقلية البشرية ووضع حد لغريزة العدوان والتمهيد للسلم العام والدائم دون ان يظهر في الأفق أي حافز على التفاؤل. فالنزاع بين الشعوب لم ينته من العالم والحرب لم تخمد اوزارها.

واذن، فالمؤسسة العسكرية لها مكانها الأول في جهاز كل دولة واعية. بمسؤولياتها حريصة على كيانها الجغرافي والسياسي. وهي جديرة بتقدير كل المواطنين لأن حياتهم وأمنهم وحقوقهم ومصالحهم تتوقف على الدور الحيوي الذي تقوم به كأداة وقاية وردع ودفاع وكدعامة لهيبة الدولة في الخارج يتقيها الأعداء ويستند اليها الأصدقاء. وهذا هو بالضبط الدور الخطير الذي تقوم به، عن جدارة، القوات المسلحة الملكية، في الوقت الراهن، وهي تدافع عن أرض المغرب وتصون وحدته الترابية.

إلا أن المؤسسة العسكرية ان كان لها، بوجه عام، نفس الدور في كل بلد من بلدان العالم، فانها تتنوع من بعض الجوانب وتكون لها خصوصيات محلية، فليس الجيش الالماني شبيها بالجيش الفرنسي ولا هذا الأخير شبيها بالجيش الانجليزي، فهناك نوع من التمايز بين البلدان والمجتمعات في هذا الصدد حتى ان الملاحظين يميزون بين دول عسكرية وأخرى يغلب عليها الطابع المدني، اعتبارا للمنزلة التي يحتلها الجيش في جهاز الدولة. ويكون من المفيد لو تساءلنا نحن ما هي الخصوصية التي عرف بها الجيش في تاريخ المغرب وما هي العوامل التي تحكمت في افرازها.

عرف المغرب منذ القديم أحسن مدرسة عسكرية هي مدرسة الرومان التي عرفت بضبطها ونظامها وصرامة قوانيها وأحكام قيادتها وتقاليدها العسكرية التي تجمع بين القوة ومظاهر الزينة والفخفخة، فالفرق الرومانية كانت تنتقل بين طنجة ووليلي وسلا عاملة على ضبط هذا الاقليم الذي اشتهر سكانه بأنفتهم، اقليم موريطانيا الطنجية. ومثل هذا اللقاء الأول مع جيش خاض غمار حروب كثيرة في البحر المتوسط وتمكن من تأسيس امبراطورية شاسعة الاطراف كان من شأنه ان يترك في مخيلة المغاربة صورة قوية وناطقة عما يجب أن يكون عليه الجيش في دولة متحضرة ذات طموح. وليست لدينا اي فكرة محددة عن الجيش المغربي قبل الاسلام ماعدا الاشارة في كتب التاريخ الى جيش حاكم سبتة، يوليان الغماري، وأسطوله الذي ساعد به العرب على افتتاح الاندلس.

وجاء الاسلام، فاتى هو ايضا، بنموذجه العسكري، الذي كان أبلغ وأعمق في فلسفته، نموذج المومن الذي يهب نفسه ويستشهد في سبيل نشر عقيدته أو الدفاع عنها، بحيث يتخلى عن كل ارتباط بالمصالح المادية ويدير ظهره لمباهج الدنيا ومفاتنها، وهو موقف بانه يحمل حقيقة كبرى في قلبه، حقيقة نورانية عليه ان يبلغها ولا عليه فيما يتعرض له من عذاب او موت. وجاءت هاته الفكرة لتعالج الوضع الفوضوي الذي كان يعيش عليه العرب في جاهليتهم. وفي هذا الصدد يقول المفكر الفرنسي «جورج بطلي» :

«لا يمكننا ان نتصور أمة أوثق وحدة (من امة الاسلام) فكانت الارادة هي الأصل في الرابطة الاجتماعية (ولكن لم يكن في طوقها ان تفصمها). الشيء الذي لم يكن يتيح احسن الفرص لضمان وحدة معنوية عميقة فقط، بل لفتح آفاق لا نهاية لها لانتشار الاسلام. وهكذا أحدث جهاز جديد بكل إعجاب فالنظام العسكري حل محل فوضى الشعوب المتناحرة، والموارد الفردية، التي لم تعد تبذر عبثا، وضعت رهن إشارة الأمة المسلحة. وانتهت الصعوبة الناشئة عن القبيلة التي كانت تعوق، فيما مضى، كل نماء، فاتجهت القوات الفردية لتعبئة نفسها من أجل الحملات العسكرية...».

وهكذا أتى الفتح الاسلامي بالمغرب بصورة أخرى عن الجيش، مختلفة في جوهرها عن تلك التي أتى بها الرومان. فشاهد المغاربة اولئك الجنود العرب، في هيئتهم البسيطة وحياتهم المتقشفة وتفرغهم للعبادة وقراءة القرآن في أوقات معلومة من كل يوم، فأخذتهم تلك الصورة التي تبين أن القوة العسكرية... يمكن ان تضع نفسها في خدمة مثل أعلى أو عقيدة سامية بدل أن تنصرف إلى النهب والسلب وقتل الأبرياء. ولعل هذا هو السر في إقبال عدد كبير من المغاربة على الاسلام لأول وهلة لأنهم تعودوا أن يروا في الجيش قوة معتدية، غاشمة ميالة الى الاستيلاء على ثروات الناس وأملاكهم، فاذا بهم يجدون انفسهم امام جيش يحمل دعوة وخطابا ويفتح حوارا. واذا صدرت منه أعمال من قبيل العدوان والنهب، فانها تحسب في باب الاستثناء لا في باب القاعدة. والنصوص كثيرة وواضحة فيما يخص الوصايا التي كانت تزود بها الجيوش الإسلامية عند ذهابها للقيام بالفتوح.

وعى المغاربة تلك الصورة في ضميرهم، فلم يمر وقت طويل حتى أصبحوا بدورهم جنودا في الجيش الاسلامي الفاتح، اذ قاموا بأروع مساهمة فيما حققه من منجزات عظيمة، فاليه يرجع الفضل في شق الطريق وتعبيدها لاتمام فتح الأندلس وضم اسبانيا الى الامبراطورية الاسلامية في أواخر القرن الهجري الأول... ومساهمتهم تلك تبين الى أي حد أصبحوا متحمسين للمشروع الإسلامي معجبين بالجيش الذي أتى لتحقيقه.

وكان لهذا الاتصال الأول أعمق الأثر على الأطوار التي اجتاز منها المغرب فيما بعد. وبما ان الدولة المغربية في العصر الوسيط تشكلت على نمط الدولة الاسلامية، فقد تشبعت بالروح العسكرية التي كانت هي الميزة لجماعة المسلمين الأولى والتي يلخصها شعار الجهاد في سبيل الله.

الجيش والدولة :

هذا الشعار الأساسي اثر منذ البداية على تشكيل الدولة المغربية في عهد الاسلام، بحيث اصبحت مهمتها الأولى هي أن تكون جهازا لنشر الاسلام والدفاع عنه عندما يكون في خطر، وطبيعي ان تكون الوسيلة السياسية محدودة جدا في تلك العصور، سيما بعد أن أصبح السلام والمسيحية وجها لوجه في حروب لاتنتهي بالشرق والغرب. ونتج عن ذلك أن اصبحت البنية العسكرية هي المسيطرة على الدولة. بل نستطيع أن نقول أن الدولة المغربية كانت صورة لحكم عسكري، بكل ما في الكلمة من معنى. مما يخرج بنا الى المعادلة التالية : الجيش هو الدولة والدولة هي الجيش.

وهذا يظهر لنا بوضوح بإلقاء نظرة على نظم الدولة المتعاقبة بالمغرب. فالإمام ادريس ما تتم ببعته بوليلي حتى يكون جيشا اعتبارا لكون الجيش هو أساس الدولة في الاسلام. يقول ابن ابي زرع متحدثا عن الامام ادريس : «فاستقام أمره بالمغرب. واخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زناتة واوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم فخرج بهم غازيا الى بلاد تامسنا، فنزل أولا مدينة شالة ففتحها، ثم فتح بعدها سائر بلاد «تامسنا».

واستمرت حملة ادريس بعد ذلك حتى وصلت الى تادلا التي يقول عنها ابن ابي زرع إن أكثر أهلها كانوا على دين النصرانية واليهودية، فعمل على نشر الاسلام بها ثم عاد الى وليلي وأقام بها شهرا ليمكن الناس من الاستراحة. ثم ذهب بعد ذلك لمواصلة الغزو، بحيث اننا عندما نقرأ تلك النبذة اليسيرة التي وفرتها لنا المصادر عن حياة ادريس، نجد ان العمل العسكري كان يملأها باستمرار..

وهذا واضح من الدعوة التي وجهها الامام ادريس الى المغاربة، اذ ورد فيها :

« ... واعملوا عباد الله ان مما أوجب الله على أهل طاعته المجاهدة لاهل عدواته باليد وباللسان :

أ- باللسان الدعاء الى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة والحض على طاعة الله. والتوبة عن الذنوب بعد الانابة والاقلاع والنزوع عما يكرهه الله.

ب- فاذا اجتمع من يكون للفساد دافعا وللظالمين مقاوما وعلى البغي والعدوان قاهرا. أظهروا دعوتهم.. وندبوا العباد الى طاعة ربهم ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرم الله عليهم وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها فان في معصية الله تلفا لمن ركبها واهلاكا لمن عمل بها ... ».

نص مهم يجب قراءته باكمله لانه يطرح تصور اول عن الدولة بالمغرب. فالدولة والامة شيء واحد وكلاهما يعملان على تأسيس قوة صارمة ومجندة باستمرار للدفاع عن كلمة الاسلام. فاذا نظرنا الى كل الدول التي جاءت بعد الادارسة نجدها كلها تبنت نفس الشعار والنهج. بل انها زادت في اشهاره. وابرازه والالتزام به وتطبيقه، تبعا لقوتها ووسائلها.

فبعد قرنين ونيف من قيام الدولة الادريسية، جاء دور دولة المرابطين، واسم الدولة نفسه يدل على طموحها العسكري. فهي قبل ان تطرح مشكل التنظيم السياسي، تنظر الى نفسها كجماعة مجندة للمرابطة في سبيل الجهاد وهكذا جاء المرابطون الى شمال المغرب من الصحراء كقوة عسكرية وسقط قائدهم الأول عبد الله بن ياسين في المعركة وهو يحارب البرغواطيين. ولما تأسست دولتهم واتخذت من مراكش عاصمة لهم، لم يتغير أي شيء في طابعهم العسكري فيوسف بن تاشفين هو، في نفس الوقت، أمير في السلم وأمير في الحرب، وكذلك ابناؤه وكبار رجال الدولة من المسلمين، واهم نشاط قاموا به هو الدفاع عن الاندلس ومجابهة النصارى باستمرار في حروب الاسترداد والجمع بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط (الجزائر) في دولة واحدة وكلها مشاريع وأعمال كانت تقتضي التعبئة الدائمة للقوة المادية والمعنوية.

ولنا ان نقول نفس الشيء عن دولة الموحدين، اذ اتخذت من مذهب بن تومرت اساسا لتكتيل القوى وتنظيمها وتدريبها للجهاد. ومن المعلوم ان مؤسس الدولة المهدي بن تومرت عقد فصلا مهما في تأليفه «اعز ما يطلب» عن الجهاد، سماه «كتاب الجهاد» وفي الحث على الجهاد بالاستناد الى الأحاديث النبوية وذكر فضل الشهادة في سبيل الله والجهاد بالمال. وقد بلغ الجيش المغربي اوجه في ظل الدولة الموحدية، واستطاع الخلفاء الموحدون ان يجندوا جيوشا عظيمة تبلغ ثلاثمائة الف جندي، حسب الروايات المتواترة.

لكن الشيء الذي يجب الالحاح عليه هو الطابع العسكري للدولة ينجلى ذلك في :
الهرمية الموحدية التي هي، في آن واحد، تنظيم سياسي وعسكري، وفي كون كلمة الموحدين اصبحت تدل على نخبة الجيش الموحدي، أي على الفرقة العسكرية المفضلة والمحصلة على كامل الثقة، نظرا لارتباطها ايديولوجيا وبشريا بالدولة، وفي كون الخلفاء الموحدين ابتداء من عبد المؤمن كانوا يمارسون بأنفسهم قيادة الجيش. وكان منهم قادة عباقرة مثل عبد المومن ويعقوب المنصور وكذلك هو الشأن بالنسبة للسادة (ابناء الخلفاء) وللاشياخ مثل ابن حفص عمر الهنتاتي واسماعيل الهزرجي الخ... وفي الجهاز الحاكم برمته الذي كان للقادة العسكريين فيه اكبر نفوذ.

وبعد الموحدين دخل المغرب في مسلسل التدهور الذي أصاب العالم الاسلامي قاطبة. ومع ذلك نجد الدولة المرينية تحافظ على التقاليد العسكرية المغربية، تقاليد الجهاد والدفاع عن الوطن. وكذلك هو الشأن بالنسبة للدولة السعدية التي كان السبب في ميلادها فكرة الجهاد. وأخيرا جاءت الدولة العلوية هي ايضا، بفكرة الجهاد وتخليص المغرب من الفوضى وانقاذه من الأطماع الاستعمارية المحدقة به من الشرق والشمال والغرب. وهنا لا يسعنا الا ان نذكر المجهود الذي قام به المولى اسماعيلي، على الصعيد العسكري بتأسيسه لجيش محترف، جيش عبيد البخارى، الى جانب جند القبائل والمتوطعة وبناء القلاع والقصبات العسكرية. ومهما اثير من نقاش حول هذا الموضوع واختلفت الاراء والتعاليق، فالشيء المحقق هو ان المشروع الاسماعيلي أعطى للجيش كيانا مستقلا في الدولة وجعل منه مؤسسة لها قواعدها ونظامها. وهو اتجاه عصري يتطابق مع التطور الذي سارت عليه الجيوش انذاك في الدول المتقدمة. إلا أن الفكرة لم

تجد من يسهر على تطبيقها بعد وفاة المولى اسماعيل ويراقب نتائجها ويصد كل انحراف يصيبها، مما جعل الفوضى تحل محل النظام والتوازن الضروري، بين السلطة المدنية والعسكرية ينعدم.

الفضل يرجع كما هو معلوم، للسلطان محمد بن عبد الله في إنهاء تلك الأزمة التي تضرر منها المغرب أزيد من ربع قرن.

حتميات التاريخ والجغرافية

هاته المهمة الأساسية التي قام بها الجيش عبر تاريخ المغرب في عصوره المتعاقبة، وهاته المنزلة الأولية التي كانت له في كيان الدولة أملتهما عوامل تاريخية وجغرافية يطول الحديث عنها ونكتفي بتلخيصها في كلمتين :

أ- هنالك موقع المغرب الأقصى الذي جعله قرب الدول الاسلامية للعالم المسيحي في الغرب. كما جعله اقرب الدول الى افريقيا السوداء بسبب سهولة الطرق والمسالك التي تربط بينه وبينها. يضاف الى ذكل طول واجهته البحرية الممتدة على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي، على السواء، مما جعله اكثر تعرضا من غيره للغارات البحرية. هذا الإطار الجغرافي المتشعب والمليء بالمخاطر جعل المغرب أشد احتياطا على نفسه، واستعدادا لمواجهة كل الطواريء.

ب- على المستوى التاريخي، وجد المغرب نفسه، بسبب موقعه الجغرافي مطوقا بمهمة الدفاع عن الاسلام في الجبهة الغربية، فكم تجند ابناؤه للجهاد في الأندلس ! وكم تسارعوا لرد غارات النورمنديين على سواحل تونس والجزائر ! وما أطول الصراع الذي مارسوه بحرا وارضا في القرنين السادس عشر والسابع عشر لرد عدوان عشر والسابع عشر لرد عدوان الدول الاوروبية. وفي القرن التاسع عشر ظل الجيش المغربي مستنفرا لخوض عدة معارك تضامنا مع الجزائر ودفاعا عن استقلاله المهدد.

ضرورات وحتميات كان من شأنها ان تربي المغاربة منذ قرون عديدة على روح الجهاد والجندية وتعلمهم التضحية والاستماتة وتقدير الشجاعة والبطولة. فلا عجب إذا رأينا التنويه بالجندي المغربي في كتابات الأجانب، وخاصة من بعض القادة العسكريين الفرنسيين الذين قدر لهم ان يعرفوه عن كثب ويشاهدوا استماتته في معارك المقاومة. بزيان وآيت باعمران وجبل صاغرو وتافيلالت والريف وغيرها كما قدر لهم ان يعجبوا باقدامه وشجاعته في حومة الوغى اثناء الحربين العالميتين.

فتاريخ الجيش المغربي، بناء على ما تقدم، مزخرف بانتصارات عديدة نكتفي هذا بذكر البعض منها : معركة الزلاقة بالاندلس (1086م) معركة اوقليش 1106م) انتصارات جيش عبد المومن الموحدي في حملاته بافريقية والمغرب الأوسط (الجزائر) 1151 و 1159م في نفس التاريخ الانتصار على النورمنديين في تونس، انتصار يعقوب المنصوب في معركة الارك (1195،) انتصارات الجيش المريني في عهد أبي يعقوب وابي الحسن باسبانيا - انتصارات السعديين على البرتغاليين، واسترجاع اكادير واسفي وازمور وغيرها في اواسط القرن 16، معركة وادي

المخازن 1678، انتصارات العياشي على الاسبان في النصف الأول من القرن 17 معارك الجهاد البحري المعروفة، بالنشاط القرصاني ابتداء من القرن السادس عشر. انتصارات المولى اسماعيل على الانجليز والاسبان واسترجاعه لموانيء طنجة والعرائش والمعمورة، استرجاع سيدي محمد بن عبد الله للجديدة (1769) الخ... الخ...

انتصارات كثيرة وفي ميادين مختلفة تدل على أن الجهد الذي بذله الجيش المغربي لم يذهب سدى ولطالما ذكر المؤرخون كيف ان انتصار المغرب في معركة وادي المخازن اكسبه هيبة وحرمة لدى الدول الاوربية القوية ودام ذلك الى بداية القرن 19.

وفي هذا القرن بالذات خاض الجيش المغربي معارك مع الجيش الفرنسي والاسباني انتهت بانهزامه، وكان الحدث طبيعيا، لان الجيش المغربي لم يتطور منذ قرنين، على الاقل، لا في تنظيمه ولا في تدريبه ولا في تسليحه، فكان اصلاح الجيش في طليعة المشاكل التي شغلت الدولة المغربية طوال القرن التاسع عشر، دون أن تتوصل الى النتيجة المرجوة، والواقع أن تجديد الجيش المغربي لم يتم إلا في عهد استقلال المغرب.

والجيش العصري، بالطبع، بقدر ما هو جيش الدولة هو في نفس الوقت جيش الأمة جيش تحركه نفس العقيدة الوطنية ونفس الاخلاص للمبادىء الدستورية، بحيث يجد مكانه الواضح ضمن المؤسسات الجوهرية التي تقوم عليها حياة الشعب وركائز المجتمع. وهذا هو الاتجاه الذي سار فيه جيش المغرب المعاصر، جيش عهد الاستقلال، جيش القوات المسلحة الملكية. فهو يجمع بين صفتين كبيرتين : إنه وريث لماض عسكري عريق ومجيد، مشرق بانتصاراته، معتز بفضائل النخوة والرجولة ومرتكز على التقاليد الوطنية والوفاء وصفته الثانية هي الطموح الى بناء نفسه من جديد حتى يكون في مستوى الجيوش المقدمة في العالم، والى كسب امجاد جديدة بما يقوم به من جهد في سبيل اعزاز الوطن ودعم كيانه.

فالخصوصية التي يتميز بها المغرب هي أنه بحكم موقعه الجغرافي وقدره التاريخي، وجد نفسه، منذ حلول الاسلام بربوعه على الأقل، ملزما بان يرعى الجندية ويضعها في أعلى مقام ويركز نظام الدولة عليها. ومن ثم انتشرت الروح العسكرية في المجتمع، فاصبح أهل البادية يقبلون على رياضات الفروسية والرماية ويعلنون عن استعدادهم الدائم للجهاد كلما دعت الضرورة إليه. وكانت هنالك تربية مماثلة في المدن التي كانت مراكز استنفار وتجمع للمجاهدين.

الأحزمة الأمنية

عندما بدأت بعض الجماعات المسلحة تتسرب من الحدود الجزائرية باتجاه أراضينا المسترجعة لبث الذعر والفساد واقلاق راحة السكان وطمانينتهم، أو إرغامهم على ترك منازلهم بالبوادي الصحراوية ليهاجروا غصبا عنهم الى منطقة تندوف، واجهتها القوات المسلحة الملكية بخطة كانت تهدف الى حصرهم. وكانت تقوم على أساس التمركز بوحداتها على النقط الحساسة طول المناطق الآهلة بالسكان وفي العقد الارضية التي تتحكم في محاور الطورق لخلق ممرات عبور إلزامية بحيث تكون الجماعات المسلحة مرغمة على سلوكها قبل الوصول الى الحواضر المسكونة فيمكن تتبع حركاتها وملاحقتها أو ردعها.

وهكذا انتشرت وحدات القوات المسلحة الملكية ابتداء من أواخر سنة 1977 في ربوع كل أراضي الصحراء المسترجعة مشكلة نقط حراسة مدعومة بوحدات تقليدية منظمة تنظيما يناسب الحروب التقليدية والكلاسيكية على استعداد للتحرك لمطاردة تلك العصابات التي كانت تستفيد من الظروف والوضعيات لإرهاب البدو الرحل، وتسرع الى الهرب كلما لاحقتها وحدات القوات المسلحة الملكية مفضلة الانسحاب وعدم الاشتباك معها الا اذا كانت الظروف تعمل لصالحها أو لم تجد مفرا من ذلك ، وقد استطاعت القوات المسلحة الملكية في المرحلة الأولى الحد من ترحيل السكان بعدما دعمت نقط المراقبة بتحركات الارتال على مختلف المحاور وكل الاتجاهات من الغرب الى الشرق، ومن الشمال الى الجنوب او العكس، فمنعت العصابات من تحقيق كل اهدافها بالسيطرة على السكان.

فاذا كانت معركة الصحراء المسترجعة بدأت بسيطة فأنها أخذت مع توالي الأيام تتعقد سياسيا وعسكريا نتيجة الأوضاع الاقليمية والدولية التي أحاطت بالمسألة. وقد أدى تسارع الاحداث وتعقيداتها الى جانب تصميم خصوم المغرب على بلوغ مراميهم وتحقيق أهدافهم الاستراتيجية القطرية مع اعتقادهم في امكانية نجاح مخططاتهم، تلك المخططات التي أملتها عليهم شوفينيتهم وضيق أفق نظرتهم الى المستقبلي القريب والبعيد، فلم يتبصروا سوى المدى القريب عندما لاح لهم النصر عندما تمكنوا من التغرير ببعض العناصر المنتمية الى جنوب المغرب وصحرائه لتسخيرهم لإلحاق بعض الاذى بوحدات من القوات المسلحة الملكية في فترة لم يكن المغرب يتوقع أن إخوة له في الدين واللغة والتاريخ والاصل ستدفعهم أطماعهم إلى الدخول في مغامرات عسكرية قد تجر المنطقة الى متاهات ومخاطر تهدد أمنها ونموها وربما استقلالها.

والواقع ان هذا الصراع تضخم مع الوقت تحت إصرار الذين عملوا على إضرام ناره فلم يكن على المغرب الا مواجهة حرب عصابات مسيرة ومنظمة من خارج ترابه ممولة بالأموال والرجال والعتاد لغاية تحجيم أو تقليص دور المغرب التاريخي. لكن عزيمة أبنائه في الرد ، فكان أسلوب المواجهة يساير الأوضاع وتطوراتها يسبقها مرات بحثا عن الطريق الأمثل لدفع العدوان ورده والقضاء عليه.

فاذا كان رد المغرب بواسطة قواته المسلحة الملكية قد قام في البداية على مبدأ الردع والحصر عن طريق تحريك الارتال العسكرية لمطاردة العصابات ومداهمتها في أوكارها بالمناطق التي تشكل ملاجيء لذلك النوع من النشاط فان تزايد الاعتداءات وأعمال التسرب وما ينتج عن ذلك من إخلال بالأمن وما يتسبب فيه من خسائر دفع القيادة الوطنية الى البحث والتفكير في مختلف الوسائل والأساليب التي يمكنها ان تعمل للحد من نشاط تلك العصابات وإيقافه. وقد تم في أول الأمر تصور ما يسمى أو يمكن تسميته بنظام نقط الحراسة بواسطة مجموعات التدخل التي تحيط بالمناطق الحضرية تحتل عناصر مراقبتها النقط المرتفعة التي تتحكم في الوديان التي يمكن ان تسلكها العصابات وتسمح بالتسرب والاقتراب من الأهداف المراد إصابتها. الا ان هذا النظام الذي كانت تشمله فواصل خطط لها لتشكل معابر مرور إلزامية اصبحت أو صارت تسمح بتسلل العصابات خلف الخطوط الصديقة عند ما تكاثر عددها ولم يعد بإمكان قواتنا التدخل لمتابعتها جميعا ومطاردتها جملة مما مكن بعضها من تسديد بعض الضربات الموجعة ضد المواضع الوطنية. واذا كانت آثار تلك الضربات محدودة حيث انها لم تكن تشكل خطرا على أمن الدولة، لكن تكرارها واستمرارها يعرض المناطق التي وقعت بها الى انعدام الأمن مما يترك أثرا سيئا على معنويات المواطنين فيجعلهم غير مطمئنين على أرواحهم واموالهم. فسماع صوت الانفجارات يكون كافيا لإزعاجهم وبالتالي طلبهم الأمن بعيدا عن تلك المناطق مما يعمل على افراغ الارض من أهلها وخلق متاعب للسلطات الوطنية. لذا كان لزاما على القيادة العليا ان تبحث عن أسلوب أو وسيلة تساعد على حمايتهم وتعطيهم الامان الكافي ليباشروا أعمالهم اليومية في حرية ودعة فيتفرغوا كليا لأعمالهم فلا يتنبهوا لما يدور حولهم من عمليات عسكرية تهدف حصر العدوان في مساحة ضيقة بعيدا عن المناطق الآهلة بالسكان.

غير انه ابتداء من سنة 1977 تمكن خصوم المغرب من تجهيز وحدات آلية خفيفة الحركة محمولة على سيادات جيب ومسلحة تسليحا كثيفا برشاشات ثقيلة يستعملها المشاة عادة على الأرض، واخرى صممت خصيصا لمقاومة الطيران الذي يحلق على ارتفاعات منخفضة.

وقد تمكنت هذه الوحدات من خلق مصاعب للقوات المسلحة الملكية طيلة سنتي 1978 و 1979، وهي الفترة التي تطلبتها عملية اعادة تنظيم الوحدات المسلحة الملكية وتجهيزها بوسائل مناسبة لمواجهة ذلك النوع الجديد من حرب العصابات الآلية التي تستعمل الأسلحة البعيدة المدى بما فيها المدفعية الصاروخية. تساندها مجموعات صغيرة مكلفة بإشغال المواقع العسكرية الثابتة عن طريق رمايات الإزعاج وزرع الألغام على خطوط المواصلات لعرقلة تنقل العربات المدنية والعسكرية وشل حركة التموين والتنقل. وقد كان لاستعمال السيارات الخفيفة والأسلحة الكثيفة النيران بهدف اكتساب خفة الحركة للإفلات من المتابعة باتباع أسلوب الانتشار لتجنب كل ملاحقة أو تطويق أثره في ظهور فكرة الخطوط الدفاعية الثابتة كحواجز لتكسير اندفاع تلك الحركة وشلها في انتظار التدخل لحصرها وتدميرها. ومما دفع بالفكرة الى الإمام لتتبلور وتبرز الى الوجود هو تعرض مدينة العيون لرميات ازعاج نفذتها العصابات في

صيف سنة 1978 بواسطة المدافع البسيطة التركيب، الخفيفة الوزن، ترمي صواريخ الى مدى يتراوح بين 11 و 22 كلم. وقد أقامت الجماعات المتمردة نشاطها العسكري على أهم أسس نظريات حرب العصابات مستفيدة من كل الخبرات التي عايشتها سلطات الدولة التي نظمت جهازها الحربي من خلال تجاربها أثناء صراعها مع الأجنبي المحتل محافظين ومخلصين لكل المبادىء وان غيروا الأساليب وطوروها ليتناسب النشاط مع شكل الهيأة والميدان، لما يمتاز به من اتساع الرقعة وفراغها، وان كانوا قد اظهروا كثيرا من العبقرية في التنظيم والتجهيز والتسيير، فانهم واجهوا خصما عنيدا معتزا بنفسه لا يقل عنهم عبقرية تمكن من التصدي لهم حتى تحدى أسلوبهم الجديد فصنع مادوخهم وأعجز تفكيرهم. وعلى كل، فإنهم ان كانوا قد أخلصوا في عملهم لمبادىء حرب العصابات فان قواتنا قد واجهتهم بأخرى تعطلها، ولذلك لابد من التعرض لموضوعها ولو بإنجاز قبل الانتقال للحديث عن المراحل المختلفة لبناء الجدار.

وباختصار، يمكن الإشارة إلى أنه أصبح من المعروف والمتداول فكريا وعمليا ان حرب العصابات تعتمد في نشاطها على : تهديد أمن المحاور لتحقيق خنق الحواضر والبوادي وعزلها عن بعضها البعض لغرض إعاقة جميع أوجه الحياة فيها، وخلق كل المتاعب الممكنة للسلطة الحاكمة، وعلى تنظيم الكمائن والغارات ضد القوات النظامية باستغلال كل من عناصر المفاجأة والمبادرة والانتشار والتسلل والحشد ضد المراكز والنقط الأصعب في النظام الدفاعي للخصم الذي تتصارع معه، والعمل على المدى البعيد لاستنزاف موارده الاقتصادية والمالية بما تلحقه به من خسائر بشرية ومادية، مع محاولة الاعتماد في تموينها وتجهيزها على ما تستمده من الخصم من عدة وعتاد مما تاخذه من أيدي قواته لتهزمه بإمكانياته. كما أنها تستخدم كل الأساليب والوسائل للسيطرة على بعض الأهالي رغبة أو رهبة لتقوية صفوفها وتنظيماتها يجعلهم يعملون لحسابها وضد النظام القائم سرا وعلانية، وكل محاولة لمجابهة مثل هذا النوع من النشاط الهدام لابد ان توضع خطتها على قواعد وأمس تعاكس مبادئه الأساسية. وهذا ما سعت القيادة الوطنية العليا وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك المعظم لبلوغه عندما كانت ترسم أهداف خطتها لمقاومة مخططات خصومها.

ونوجز فيما يلي في بضع نقط تعارض مبادىء حرب العصابات، والأهداف التي بررت اختيار خطة الجدار الدفاعي المتحرك كخطة دفاعية هجومية تنطلق من موقف دفاعي مؤقت تتحرك لتجرف أمامها أحلام المرتزقة بدلا من الموقف الذي كان يختلط فيه الدفاع بالهجوم في ترتيبيات متداخلة :

أولا : تأمين المحاور الرابطة بين الحواضر المحاطة بمواقع دفاعية لتحديد حركات التنقل، وحرمان العدو من مجال التحرك بين تلك الحواضر لتنظيم الكمائن والغارات ضد وحدات التدخل وزرع الألغام لعرقلة التحركات الفردية.

ثانيا : عزل العصابات عن السكان لحمايتهم من كل سيطرة من قبل الأعداء لتحقيق أهدافهم بأسلوب الترغيب والترهيب بتطبيق مقولة «ماوسي تونغ» : «الثورة كالسمك لا

يتنفس إلا في الماء. وماؤها السكان. فإذا أردت القضاء على السمك فعليك بحرمانه من الهواء بإفراغ البحر من الماء.» في مرحلة أولى، تم فلسفة الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة الخندق أثناء دفاعه عن المدينة في مرحلة ثانية، ثم أخيرا الفلسفة الصينية التي أبدعت سور الصين العظيم في مرحلة ثالثة.

ثالثا : حرمان العدو من الحصول على حاجياته الضرورية لحياته من الأرض التي يريد السيطرة عليها ومن غنائم الاشتباكات والكمائن والغارات. ودفعه إلى الأراضي الأجنبية حيث قواعد انطلاقه فلا يبقى له موقع قدم على أراضي الصحراء المسترجعة.

رابعا : تقوية النقط الدفاعية بجعلها مترابطة دفاعيا تتبادل الدعم وتجد خلفها المحاور المفتوحة والسند الكافي والضروري المتمثل بوحدات التدخل التي تتحرك بحرية وسرعة لمجابهة كل حشد للعدو بحشد مقابل يتفوق عليه في كل مواجهة فلا يكون له أي تفوق عددي أو مادي في أي مكان، وتجهيز المواقع بالوسائل الثقنية اللازمة لتجنب كل مفاجأة وحرمان العدو من استغلال مزاياها وإرغامه بالتالي على الدخول في حرب كلاسيكية تضطره الى حشد وسائل قوية فتجد قواتنا أهدافا مناسبة تخوض من أجلها معارك مهمة تعجل بهزيمته عسكريا في الميدان وتحطم معنويات ما تبقى من فلوله لإنهاء الحرب بسرعة أكبر.

خامسا : مقاومة الاستنزاف الاقتصادي والمالي بالعمل على خفض نفقات الحرب والتقليل من الخسائر البشرية والمادية الى أقصى حد ممكن بتجنب حرب الحركة الدائمة التي تقوم على مطاردة العصابات وملاحقتهم مما يعطيهم الفرصة لتحقيق ذلك، ومما يرفع من تكاليف الحرب ويزيد من أعبائها.

وبعد هذه المقدمة المسهبة، نتناول ببعض الشرح المراحل الثمانية لإقامة الجدار الدفاعي المتحرك موضحين المواقع والأهداف المختلفة التي استلزمها بناؤها وتجهيزها.

الحزام الأمني الأول

يمكن القول إن الخط الدفاعي الأول هو الخط الذي تم بناؤه حول مدينة العيون وارباضها، وهذا أول حزام أمني قائم على أساس الحواجز الترابية التي تحميها نقط دعم ومراكز مقاومة تم تصوره وتنفيذه. وقد كان الهدف من أقامته تأمين عاصمة الصحراء ضد خطر الرمايات البعيدة المدى وخطر كل تسلل أو اقتحام بواسطة العصابات المحمولة على الآليات الخفيفة. وقد شمل الحزام داخل نطاقه سبخة الطاح والقرى المجاورة لمدينة العيون، وامتد حتى أدخل ضمنه المجال المؤمن «وادي أم فاطنة» مستفيدا من كل العوائق والحواجز الطبيعية لتقويته. وقد اكتمل بناؤه على مراحل بفضل المجهودات العظيمة التي بذلتها الوحدات التي

أسندت إليها المهمة رغم محدودية الامكانيات التي وضعت تحت تصرفهم. وعند إتمامه أصبحت الطريق بين العيون ووادي «أم فاطنة» على طريق طان طان مؤمنة وتحت المراقبة الفعلية والسيطرة الكاملة لمجموعات القوات المسلحة الملكية المتمركزة في نقط الدعم التي تحرس الخط الدفاعي، فلم يعد باستطاعة العصابات عرقلة سير القوافل التي كان أمنها مهددا عندما كانت الفواصل بين المجموعات المكلفة بالحراسة غير مقطوعة بواسطة السواتر الترابية، ولا يوجد بها مانع أو حاجز بشل حركة تقدم العصابات.

الحزام الأمني الثاني

لقد تلى تجربة الحزام الأمني الأول الذي أحاط «العيون» بنطاق من الموانع المترابطة التي أعطت النتائج المتوخاة منها، واظهرت فعاليتها ضد تحركات العصابات وعملياتها، تجربة ثانية قامت على نفس الفكرة والأسلوب وذلك بمنطقة «الزاك»، وكل هدفها أيضا تامين وحماية «وادي درعة» الذي كانت عصابات البوليزاريو تنزل إليه لتهدد أمن قبائل «آيت بوسى» ومراعيهم وحقولهم لغاية الضغط عليهم ليسعوا إلى التحالف معهم حفاظا على مصالحهم. فأقيم خط دفاعي جديد على إثر تمشيط المنطقة وإجلاء العصابات من الوادي بعد اشتباكات دارت حول الزاك التي كانت الأعداء يرمون الى خنقها لإفراغها أو اقتحامها عنوة، لكن خاب مسعاهم، وباءت خططهم بالفشل، وانتهى بهم الأمر الى الإنسحاب إلى «الحمادة» ومنطقة الساقية الحمراء المجاورة لها.

وقد ساعد هذا الخط الدفاعي الثاني على تأمين محور «كلميم - الزاك» من عبث العصابات. وعاد لقبائل «آيت يوسى» أمنها واستراحت قراهم من كل إزعاج وتهديد. ولم يعد بإمكان البوليزاريو التسرب الى ناحية طان طان عن طريق وادي درعة ومرتفعاته الجنوبية الشرقية كما كان يفعل سابقا. كما أنه لم يعد يتحكم من التحرش بمنطقة «طاطا» و«عقا» التي تسرب إليها من قبل عبر الحدود الجزائرية المجاورة للناحية.

إذا كانت فكرة الجدران قد نبتت في الصحراء في سنة 1978 على إثر ضرب مدينة العيون بالقذائف الصاروخية البعيدة المدى، فإن تجربتها استؤنفت مع الجدار الذي أمن «وادي درعة»، ولكن عودها لم يستقم الا عندما تم بناء الجدار الذي امتد من «المسيد» الى «السمارة» تم «بوكراع» فالعيون.

الا انه قل البدإ في بناء الجدار الرابط بين «المسيد» والعيون استمرت القوات المسلحة الملكية في مواجهة الأعمال العدوانية بتنظيم عمليات تمشيط للمناطق التي يمكن أن تلجأ اليها العصابات طلبا للراحة او التزود بحاجياتها من مراكز تموينية حاول البوليزاريو بثها داخل

المرتفعات والوديان التي تتخلل الصحراء، وكان لهذه العمليات أثرها في منع خلق أي قواعد. وقد عملت وحدات القوات المسلحة الملكية على إبقاء محاور التموين مفتوحة في اتجاه المناطق السكنية رغم المحاولات المتعددة التي كان يقوم بها العدو لعرقلة حركة المرور خصوصا بين طان طان، والعيون والسمارة وخنق تلك المدن اقتصاديا.

ولم تكن عمليات البوليزاريو تزيد عن كونها حركات كر وفر على شكل غارات سريعة مفاجئة. أو أعمال تنظيم للكمائن أو زرع للألغام على الطرقات والممرات. وقد جوبهت كل تلك الاعمال بحركات معاكسة في كل الاتجاهات بعمليات تمشيط ومسح متتالية ومتعاقبة مما حرم تلك العصابات من إمكانية الاستقرار لتكوين مراكز ثابتة صالحة للتموين أو الاستعمال السياسي بالادعاء بأن ما يسمى «بالجمهورية الصحراوية» التي أنشئت من قبل خصوم المغرب في تندوف على قواعد من الأوهام، لها ركيزة أرضية تكسبها الشرعية أو صيغة الدولة ولونسبيا.

كانت القوات المسلحة الملكية بتحركاتها ترغم العدو عل نقل ما كان يطلق عليه عاصمة في كل مرة من «بئر لحلو» الى «الحوزة» أو «تفاريتي» أو العكس، حتى أنه يمكن القول أن البوليزاريو كان يحمل عاصمته على ظهر الجمل أو سيارة الجيب ليهرب بها بعيدا عن حركات قواتنا المسلحة الملكية وضرباتها.

لكن عمليات التمشيط والمطاردة كانت مكلفة، وكانت أعباؤها تزيد بقدر ما يدفع خصوم المغرب إلى الميدان من امكانيات أقوى وأفضل من تلك التي تم تدميرها. ولم تكن خطة إحاطة المناطقة الآهلة بالسكان بأحزمة أمنية أقل كلفة خصوصا عندما اضطرت القوات المسلحة الملكية الى توسيع الحزام الأمني للسمارة وبوجدور واحاطتهما في كل مرة بسوائر رملية ترابية على غرار ما نم تنفيذه بالعيوم وأرباضها. وأمام ارتفاع تكاليف حرب الحركة الدائمة القائمة على تحريك الارتال المسلحة وزيادة متطلبات توسيع أحزمة المراكز المدنية وتدعيم حراسة القوافل التي تؤمن تزويدها بالحاجيات المختلفة، واستمرار تعنت خصوم المغرب وزيادة دعمهم المادي والمعنوي للعصبات بالامدادات المتوالية بهدف استنزاف إمكانيات المغرب ومعاكسته في كل إجراءاته الهادفة الى القضاء على العدوان. كان من الضرورى ان تعيد القوات المسلحة الملكية الرأي في مخططاتها لتستفيد من تجاربها وتستخلص الدروس من عمليات سنوات 1977 و78 و 79 . فاقتضت إجراءاتها ترتيب إخلاء كل المواقع الغير الهامة استراتيجيا والتي أصبحت تشكل عبئا على قدراتها وحركتها وذلك لتستجمع امكانياتها بهدف استغلال وسائلها أفضل استغلال لاستئناف ما بدأته من قبل، وظهرت بادرته ولكن لم يتحكم من إكماله حتى تتأكد تلك الفائدة وتبرز ثمارها ناضجة.

وما كادت تنتصف سنة 1980 حتى تم استيناف ما بدىء من قبل وأظهرت التجربة جدواها فوضع مخطط جديد حضر بأناة وصبر وهيىء له ما يساعد على ضمان نجاحه، وكان قوامه بناء خط دفاعي سيمر على مراحل متتابعة تتكون كل مرحلة من جدار أمني او حزام يؤمن

منطقة محددة لغاية واضحة يؤدي في النهاية الى طرد العصابات من الأراضي، المسترجعة لارغامهم على العودة الى منطقة انطلاقهم أو مواجهة حرب كلاسيكية لا قبل لهم بها فيحرمون بذلك من مزايا حرب العصبات التي تعمل بين المواقع. وما تسمح به من مفاجأة، ومن تنظيم للكمائن والغارات، وتهديد لطرق المواصلات ومحاور التموين بين الألغام عليها لتعطيل التحركات وخنق المراكز الاهلة بالسكان، وما ينتج عن ذلك من التسرب خلف الخطوط والعمل فيها بين المراكز المؤمنة.

الحزام الأمني الثالث
أو
الجدار الأمني الأول

اكتملت الاستعدادات لتنفيد المرحلة التالية في سنة 1980 بتهيىء الخطط والوسائل والوسائط، وابتدأ تطبيق الخطة التي استوحتها القيادة العليا من تجارب السنوات الثلاث التي جابهت خلالها قواتنا المسلحة الملكية عصابات البوليزاريو، وأثبتت أثناءها التحصينات والسواتر الترابية التي أقيمت حول العيون والزاك بوادي درعة والسمارة وبوجدور فعاليتها في صد تحركات العصبات لأنها تشكل عوائق يصعب تجاوزها أو اجتيازها خصوصا اذا كانت محمية بوحدات ثابتة تدعمها اخرى معركة قادرة على التدخل عند كل طلب في النقط الحرجة، لرد كل محاولة تسعى لتجاوزها، وإجهاضها بتدمير قواتها أو ارغامها على الانسحاب والتراجع في الوقت المناسب قبل ان تحقق أغراضها.

وهكذا بدأ تنفيذ إنشاء الحزام الامني الثالث أو الجدار الدفاعي الاول فعليا في شهر غشت من سنة 1980.

وقد استهدف التخطيط لاقامة الجدار الدفاعي الاول الذي بلغ طوله الاجمالي 600 كلم استغلال التموجات الأرضية الى أقصى حد ممكن. حيث استند الجدار على حواجز طبيعية فكان الانشاء او البناء انطلاقا من الحزام الامني الثاني بمنطقة الزاك ليسير باتجاه الغرب. واستأنفت الأعمال على جبال «الوركزيز» ليكمل ذلك الحاجز الطبيعي حاجز اصطناعي يتكون من ساتر ترابي ابتداء من «المسيد» الى «رأس الخنفرة» في اتجاه الجنوب حتى يلتقى الساتر بالحزام الامني للسمارة تم يلتف حول المدينة من جنوبها ليتقدم باتجاه «بوكراع» حيث كانت الأعمال جادة لبناء جدار آخر لم ياخذ من اهتمام الصحافة مثلا ما أخذه الجدار الذي انطلق من المسيد مارا برأس الخنفرة، وذلك لأن معارك هذا الرأس التي استمرت ما يزيد عن الستة أشهر أخذت كل الأضواء، لأن العدو الذي شعر بالخطر حشد في تلك المنطقة كل إمكانياته لمنع تنفيد الخطة المغربية شعورا منه بأهميتها وخطورتها على تطور أو سير وتطور حرب الصحراء المغربية مما

حلول انتباهه عن الجدار الآخر الذي كانت القيادة تقيمه انطلاقا من بوكراع باتجاه «رمز اللبن» لتقوية الحزام الأمني للعيون تم مده بعد ذلك ليتجه نحو السمارة لغاية تأمين محورها وفك عزلتها، وبالتالي الانفلات من تلك الخطة التي كان العدو ينهجها والتي كانت تقوم على أساس العمل خلف المواقع، أو سياسة تطبيق مناورة الاخلاف بالتسلل بين النقط الدفاعية الثابتة لعرقلة حركة اتصالها، وعزلها، والتي كانت تعمل دائما على مد العصابات بأسحلة مختلفة أكثر تطورا، وأكبر مدى، وأقوى فعالية، وأشد فتكا، وذلك لمعاكسة خطط قواتنا. فكلما تم تأمين مركز أمني آهل بوساطة نقط حراسة تحيط به تمنع العصابات من الاقتراب منه لإزعاجه عن طريق الرمايات من مسافة معينة، عمل خصوم المغرب على إعطاء العصبات سلاحا أكبر مدى لتصل رماياتهم الى قلب المنطقة المحرمة. وكان ذلك يدخل ضمن خطتهم لتصعيد حرب الاستنزاف بوسائل بسيطة الاستعمال غير مكلفة ماليا ولكنها مؤثرة تدفع بالمغرب الى الزيادة في أعداد الرجال والسلاح لتأمين حماية السكان ومنع الأذى عنهم، وكان ذلك السباق بيننا وبين الخصوم يحمل البلاد أعباء ونفقات إضافية تتزايد كلما اتسعت حلقات الاحزمة الامنية لحماية الأهداف المدنية من كل خطر خصوصا خطر الرمايات العشوائية.

وقد كان الغرض من إقامة الجدار الأمني واضحا يهدف تأمين الخطوط الخلفية للقوات المسلحة الملكية تحركاتها وتمرينها وحرمان العدو من إمكانية الصول إليها، تم ثانيا حماية المناطق الآهلة بالسكان والمعروفة بالمثلث الاقتصادي : السمارة، بوكراع، العيون، تم منع تسلل الخصم وفتح طرق المواصلات أمام الحركة الطبيعية.

وقد بلغ الخط الدفاعي الى السمارة يوم 2 مارس 1981 في غمرة الاحتفالات بعيد العرش المجيد، وانتهى من بنائه بتاريخ 14 ماي 1981 بمناسبة ذكرى إنشاء القوات المسلحة الملكية عندما التقى الساتر الترابي المنطلق من بوكراع مع الساتر الذي خرج من السمارة عند منطقة «اسكن» التي لم تشهد إلا بعض المناوشات مع العصابات التي كانت خائرة القوى لما أصابها من تدمير وإحباط في معارك رأس الخنفرة، حيث تحطمت حشودهم وأصيبوا بخسائر فادحة سمحت بأتمام هذه المرحلة بسهولة ويسر في جزئها بين السمارة وبوكراع.

الحزام الأمني الرابع
أو
الجدار الأمني الثاني

بلغ طوله 225 كلم، وقد كان الهدف الأساسي من إقامته فك حصار مدينة بوجدور التي عمدت العصابات على عزلها عن مدينة العيون العاصمة باستغلال بعد المسافة الفاصلة بينهما لزرع الالغام على الطريق المؤدي اليها لمنع الحركة العادية تم الاستفادة من الظروف والأحوال

لنصب الكمائن أو القيام بالغارات كلما سنحت الفرصة أثناء تنقل القوافل بين المدينتين أو ضد القوات التي تعمل على تطهير الطريق لحماية القوافل أو القيام بالدوريات.

وقد ابتدأ العمل في هذا الجزء من الجدار بعدما تجلت واضحة بينه الفوائد التعبوية للجدران أو الأحزمة السابقة بالخصوص الجدار الأول الذي فتح طرق المواصلات ومحاور التموين بين طان طان والعيون والسمارة.

وقد استغرقت عملية البناء 42 يوما من 4 ماي الى يوم 16 يونيو 1982 تم خلالها إنشاء السائر تم حماية الكل بواسطة نطاق من الأسلاك الشائكة يدعم ذلك كله وسائط الكترونية قوامها رادارات وأجهزة إبصار واستشعار لرصد ومراقبة التحركات أمام الجدار الأمني لحرمان العدو من الاقتراب أو التسلل لتحقيق المفاجأة التي تشكل أهم مبدأ من مبادىء حرب العصابات والتي طالما عمل العدو على الاستفادة منها. ومن مزاياها لإلحاق بعض الإصابات بالوحدات المغربية أثناء تحركاتها العديدة والمتعددة.

الحزام الأمني الخامس
أو
الجدار الأمني الثالث

شرع في إقامة هذا القسم من الجدار الكلي يوم 19-12-1983 وتم الانتهاء من أشغاله يوم فاتح مارس 1984، أي أنه بدأ العمل فيه بعد سنة ونصف من إقامة سابقه حيث كانت هذه المدة كافية لزيادة التأكد من فعالية خطط قيادة القوات المسلحة الملكية وأن هذه الخطط تحقق ما تهدف اليه القيادة الوطنية العليا من جدوى عسكرية واقتصادية وسياسية واجتماعية.

ففي ظرف ثلاثة أشهر تم انشاء وبناء جدار طوله 300 كلم بمعدل 100 كلم في الشهر. وقد امتد الساتر الترابي لجميع تجهيزاته من منطقة «امكالة» ومرتفعاتها التي اشتهرت بالموقعة التي أدت الى أسرحوا لي 100 جندي جزائرى كانوا قد تسللوا إلى الأراضي المسترجعة غداة انسحاب الجيش الاسباني بعد توقيع الاتفاقية الثلاثية بين المغرب وموريطانيا واسبانيا.

وقد اتجه الجدار بعد ذلك من «أمكالة» غربا بموازاة الحدود الموريطانية شمال «بئر موكرين».

وبإقامة هذا الجدار حرمت عصابات البوليزاريو من الممرات التي كانت تستعملها لتتسرب إلى منطقة وادي الذهب عبر مرتفعات ووديان امكالة. فصار لزاما عليها العبور من الأراضي الموريطانية للقيام بأي عمليات تريد القيام بها في تلك المنطقة. وقد انتهت الأعمال في هذا الجدار يوم فاتح مارس 1984، فتم أيضا إبعاد أي خطر عن مدينة اسمارة التي توسع نشاطها الاقتصادي والعمراني بعد فتح الطريق الى العيون فكانت العصابات تحاول دائما وتعمل على إزعاج حياتها عن طريق الرمايات البعيدة لوجودها ضمن مجال مدى أسلحتها، فجاء ابعاد الجدار عنها حاجزا دون أن تحقق تلك الأهداف أيضا.

الحزام الأمني السادس
أو
الجدار الأمني الرابع

اكتسبت كل أسلحة القوات المسلحة الملكية خبرة هامة في بناء الجدار ذات السواتر الترابية، واصبحت الوحدات تنفذ مهامها بشكل يكاد يكون روتينيا. ولم تعد هجومات العصابات المتمردة تستطيع عرقلة أعمالها. وتعودت تلك الوحدات على التعامل مع كل الظروف بكفاءة عالية مكنتها من استئناف بناء الأحزمة الأمنية لتطويق الساقية الحمراء وطرد العصابات من تلك المنطقة التي كانت تعتبرها ملجأ آمنا تختبىء فيه عندما تسعى للاخلاد الى الراحة استعداداً لعمليات ازعاج أخرى.

وخلال فترة زمنية قصيرة نسبيا تم بناء الحاجز الترابي الممتد بين «الزاك» على مشارف «الحمادة» ومنطقة «لفريرينات» بالقرب من السمارة، وهذا أدمج في المنطقة المؤمنة كل من مركز «الجديرية» ومركز «الحوزة» التي كان البوليزاريو يدعي ويتبجح أنها عاصمة دولته الموهومة.

وهكذا افرغت الساقية الحمراء من فلول أولئك المتمردين الذين انسحبوا منها خوفا من التطويق والسحق، بعدما عملوا على عرقلة ذلك العمل من خلال بعض الاشتباكات الانتحارية الفاشلة والتي أصيبت بالخيبة، وانتهت أعمال البناء مساء يوم 10 ماي 1984.

الحزام الأمني السابع
أو
الجدار الأمني الخامس

كان هذا الحزام أو القسم من الجدار الأمني أكثر طولا من سابقيه. فقد امتد على مسافة قدرت بـ 400 كلم، انطلق من نقطة «البعج» على «الور كزيز» شرق الزاك ليتقدم بمحاذاة الحدود الجزائرية الموريطانية، تم ينحرف غربا في اتجاه «البريكة» حيث التقى مع الحزام الأمني الخامس أو ما يعرف بالجدار الأمني الثالث جاعلا من «الحمادة» والساقية الحمراء بمنابعها ومرتفعاتها منطقة آمنة مطمئنة. وبهذا امتنع على العصابات الوصول الى مناطق معينة مثل «التكاة» على مجرى الساقية الحمراء التي طالما اعتبرتها عصابات البوليزاريو ملاجيء حصينة تستطيع الاختباء بها في فترات الانسحاب والاختفاء.

ولم يكتف هذا الجدار بحرمان العصابات من وصول الساقية الحمراء، بل حرمهم من إمكانية التسرب عبر الحدود الجزائرية في اتجاه الأراضي المسترجعة. فمنعوا من التسلل بعدما اصبحت تلك الحدود مغلقة أمامهم رغم ان الجدار أقيم على بعد بضع كلمترات من الحدود الجزائرية تاركا فاصلا أرضيا كافيا لتجنب كل تحرش مع الجيران، ويسمح في نفس الوقت بمراقبة ورصد كل تحرك للتدخل ضده والتعامل معه عند الحاجة. وبالاضافة الى ما سبق، فإن أي تسرب في اتجاه أراضي الصحراء المسترجعة لم يعد ممكنا أو أصبح متعذرا إلا اذا خرقت العصابات حرمة الاراضي الموريطانية انطلاقا من الجزائر. وأصبحت القوات المسلحة الملكية تراقب كل الحدود المغربية - الجزائرية التي تشرف على منطقة «تندوف» ونواحيها، حيث زرعت قواعد البوليزاريو وحرم خصوم المغرب من إمكانية الادعاء بأن لهم حدودا مع دولة البوليزاريو المزعومة صنيعتهم التي أفرزتها أحلامهم وأطماعهم الغير الموزونة. وصار الجيش الجزائري لا يجد أمامه على طول الحدود التي تفصل الصحراء المسترجعة عن الجزائر إلا الوحدات المغربية واقفة ليل نهار تحرس الوحدة الوطنية ضد خصومها.

ويمكن الإشارة الى ان بناء هذا الجزء من الحزام استغرق المدة الزمنية الفاصلة بين تاريخ 4 دجنبر 1984 و 15 يناير 1985.

الحزام الأمني الثامن
أو
الجدار الأمني السادس

ظلت الداخلة معزولة عن المنطقة المؤمنة شمالا نظرا لبعد المسافة بينها وبين بوجدور، وكانت تتوفر على حزامها الامنئ المستقل بحميها من كل اعتداء. ويمكن التنبيه الى أن هذا الحزام الأمنى اذا أضيف الى عدد الأحزمة المنشأة لزاد عددها واحدا.

ولاعادة ربط الاتصال بين الداخلة والعيون، تم مباشرة بعد الانتهاء من بناء الجدار الامنى الخامس الاستعداد لاستغلال الخبرات المكتسبة خلال اعمال البناء السابقة لإقامة جدار يدخل منطقة وادي الذهب ضمن النطاق الأمني وفتحها على الاجزاء الشمالية المؤمنة.

وهكذا انطلقت الأشغال بتاريخ 14 ماي 1985 من نقطة عند أمكالة ليسير بناء الجدار سريعا باتجاه المحيط الأطلسي عند «إمليلي» جنوب الداخلة ليؤمن كلا من «كلتة زمور» ومرتفعاتها التي عرفت صراعا مع عصابات البوليزاريو عدة مرات، تم منطقة «أم دريكة»، ومركز «بئر أنزران» التي اشتهرت بمقاومتها لمحاولة البوليزاريو اقتحام موقعها والسيطرة عليه.

وهكذا تم تأمين كل ما يقع شمال هذه النقط على طول 650 كلم. وقد امتد قسم من الجدار بموازاة الحدود الموريطانية لمسافة تتجاوز 100 كلم قبل أن ينحرف في اتجاه الغرب ليصل الى الشاطىء الأطلسي عند نقطة «أمليلى» جنوب الداخلة، بحيث أصبح خليج الداخلة محميا بواسطة الجدار حماية تامة من الجانب البري. أما الجانب البحري فتحرسه وحدات قواتنا البحرية الساهرة على أمن الشواطئ الوطنية بمساعدة القوات الجوية.

وقد نشط البوليزاريو في بعض المحاولات يريد التعرض لوحداتنا بغية إعاقة مهمتها، لكن جهوده أصيبت بالخيبة بعد اندحاره في عدة اشتباكات متتالية.

وقد أبرق قائد المنطقة الجنوبية، كما جرت العادة، بعد الانتهاء من أعمال البناء الى صاحب الجلالة القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية، ورئيس أركانها العامة، يرفع الى عمله بأن الداخلة افتتحت على الأجزاء الشمالية للصحراء المسترجعة وبقية أجزاء الوطن، وان الطريق مؤمن يسمح بحرية المرور في اتجاهها على الطريق الرابط بين بوجدور ومدينة العيون.

وتحمل كل البرقيات التي كانت تبعث بها قيادة المنطقة الجنوبية إلى صاحب الجلالة بعض المعلومات التي تشير إلى ظروف بناء الجدار، والمعارك التي خاضتها القوات المسلحة الملكية لإقامته، ويمكن الرجوع الى تلك البرقيات لاستكمال بعض المعلومات والاخبار.

بعد استعراض مراحل بناء الجدار الدفاعي، لابد من الاشارة إلى أن إقامته لم تتم ببساطة ويسر هذا العرض وسهولة السرد. وانما انشيء بفضل الجهود المتتالية والمتوالية

والمضنية، وبفضل التضحيات العظيمة التي بذلها كل من شارك في إقامته، وبفضل دماء الشهداء والمصابين الذي استرخصوا كل شيء في سبيل الذود عن وطنهم ووحدة ترابه.

وقد جابهت الوحدات المكلفة بحماية عملية البناء المحاولات المتعددة والمتكررة التي قامت بها العصابات من أجل منع الانشاء أو عرقلته أو تعطيله.

وقد شهد رأس الخنفرة، ومنطقة الخريبيشات، والسكن وغيرهم من الأماكن والمواقع التي أشارت اليها البلاغات العسكرية المختلفة التي نشرت على اثر المناوشات والاصطدامات والمعارك المختلفة التي سطر خلالها أبطالنا من مختلف الدرجات والرتب أمجادا خالدة تثير الفخر والاعتزاز، ساعدت على تأمين ثلاثة أرباع أراضي الصحراء المسترجعة.

واذا كان هذا العرض يقدم نظرة موجزة وإجمالية غير مفصلة عن مراحل بناء الخطوط الدفاعية المتحركة المعروفة بالأحزمة الأمنية والتي أصبحت تشكل خطا واحدا أو جدارا واحدا متعرجا يمتد من شرق «الزاك» الى جنوب الداخلة على المحيط الأطلسي محاذيا ومغطيا جانبا الحدود الجزائرية، وطرفا مهما من الحدود الموريطانية تاركا في بعض الأحيان منطقة عازلة لتجنب أي احتكاك أو تحرش مع الجيران أثناء أعمال البناء، فإن هذا العمل قد احتاج الى تصور وتخطيط واعداد واستعداد مادي ومعنوي تطلب وقتا وجهدا فكريا وجسديا وماليا تعجز الكلمات عن إبرازه في صورته الحقيقية، ولا يجسده إلا تلك التحصينات التي أمنت مئات الكلمترات المربعة، ذلك الأمن الذي تنعم به حاليا ديارنا على وادي درعة، وفي الساقية الحمراء ووادي الذهب.

واذا كانت الظروف لا تسمح اليوم بإماطة الستار عن كل تفاصيل الاجراءات والترتيبات التي صاحبت بناء «الجدار الحسي» وأحاطت به لإعطاء فكرة أو صورة متكاملة ومفصلة عن ظروف تحقيق هذه المعجزة، وذكر أسماء الوحدات التي قامت بالعمل والأبطال الذين شكلوا قواعد هذه الوحدات التي أدت مهماتها بكل إخلاص وتفان من أجل الدفاع عن شعارنا الخالد : «الله - الوطن - الملك».

والمستقبل كفيل بإتاحة الفرصة وفتح المجال للقيام بذلك إن شاء الله لشرح كل الملابسات التي رافقت التفكير في إنشاء الجدار الحسني والتحضير له، لذلك العمل البناء، وسمحت لتنفيذه على مراحل متتالية ومتأنية ليتكلل بالنجاح والتوفيق، ويصبح محط الإعجاب ومثار الدراسات العسكرية في أنحاء مختلفة من العالم بعدما حقق الاهداف التي تم التخطيط لها والسعي من أجل بلوغها.

(عن القيادة العسكرية الجنوبية)

فرنسا والمشكلة العسكرية في المغرب

في 1930 أخذت الوضعية العسكرية في المغرب تشغل الحكومة الفرنسية أكثر من ذي قبل، خصوصا مع تطور الأحوال على نهر الرين، ذلك أن وزيري خارجية فرنسا وألمانيا - بريان وستريزمان - اتفقا في اجتماعهما بلاهاي، بتاريخ أغسطس 1929، على جلاء الجيوش الفرنسية عن مقاطعة رينانيا في أجل لا يتجاوز 30 يونيو 1930 أي خمس سنوات قبل نهاية المدة الواردة في معاهدة فيرساي التي وضعت حدا للحرب الكبرى، وهكذا نتج عن ذلك الاتفاق الثنائي مشكل جد خطير بالنسبة لفرنسا، هو ضمان حماية الحدود الشرقية الفرنسية مع ألمانيا، خصوصا وأن هيتلر كان يستعد لحرب أخرى تفرض التوسع والسيطرة في أوربا لألمانيا النازية، وكل التطورات والتقلبات هناك كانت تنذر بهذه الحرب في أقرب الأوقات، وبانسحاب الجيوش الفرنسية من رينانيا تصبح الحدود الشرقية الفرنسية مكشوفة ومعرضة لعدوان مفاجيء، وتلافيا لهذا وجب التفكير في تجهيز الحدود بوسائل الحماية زمن السلم، والدفاع عنها في حالة الحرب. ومن أهم الوسائل توفير الجيوش الكافية للتغطية ولمواجهة الخطر حين وقوعه، وهذا أمر لا يتم على الوجه المرضي إلا إذا تخلصت فرنسا من حرب الاحتلال في المغرب الذي كانت المقاومة المسلحة فيه ما تزال متواصلة منذ 1912 في كثير من ربوعه وجباله، بل كانت فرنسا تفكر في الاتسعانة بالجيوش المغربية مساهمة في الدفاع عن حدودها وأراضيها ولهذا كانت حريصة على أن تنهي العمليات العسكرية في المغرب قبل 1935، وهي السنة التي كانت ستعاني فيها فرنسا أزمة في القوة العددية العسكرية بسبب انخفاض المواليد مدة الحرب الكبرى.

ولعلاج الوضع العسكري في المغرب زاره «ماجينو»، وزير الحربية، في 1930، ثم جاء من بعده الجنرال «كاملان»، رئيس هيئة الأركان العامة للجيش، فأعد برنامج العمل لفترة ما بين 1930 و 1934 لاتمام العمليات الحربية باسم «توطيد الأمن، وبسط السلم»، وتقرر في ذلك التخطيط العسكري اشتراك سائر القوات العسكرية منتظمة في أربع مجموعات متحركة يرأس كل واحدة منها جنرال، وتكونت هذه المجموعات في مكناس وتادلا، ومراكش، والتخوم الصحراوية، كما تقرر أن تهجم على نطقة الأطلس الكبير من الجهات الأربع، والحيلولة دون تضامن القبائل المجاهدة، وتعاونها ضد عدوها المشترك، وتحت اشراف وتنسيق الجنرال هوري، القائد الأعلى عدوانها في نهاية مايو 1930، ومع أن هذه القوات كانت متفوقة في الأسلحة البرية والجوية بالنسبة لحركة المجاهدين فقد لقيت مقاومة عنيفة وضارية في كل مكان، ومما أعان المجاهدين في الدفاع عن وطنهم طبيعة الأرض بجبالها الوعرة الشامخة وغاباتها الكثيفة، وكلها كانت تمكنهم من وسائل التحصن، وعرقلة تقدم الجيوش العدوة، وقد عرف المجاهدون كيف يستغلون وعورة الأرض خصوصا وأنهم كانوا أدرى بها من غيرهم، أما سلاحهم فكان مقتصرا على البنادق التي كانوا يغنمونها في المعارك ضد العدو، كما كانوا يحاربون من غير تخطيط ولا تنسيق ولا قيادة موحدة، وبالرغم عن هذا استطاعوا أن يكبدوا الأعداء خسائر جسيمة، ويضربوا أروع مثل في الشجاعة، والاستبسال والبطولة كان العدو أول من اعترف بها تقديرا،

واعجابا وتنويها. ولم يكن لقوات المستعمر أن تتغلب في النهاية لولا مشاركة الوحدات المغربية المنتسبة للجيش النظامي أو المسماة بالقوات الاحتياطية والمساعدة التي كانت متمرنة على المعارك في الجبال بالليل والنهار، فكانت دائما في الخطوط الأمامية تمهد لتقدم القوات النظامية، ودامت المعارك الدموية الضارية أربع سنوات تقريبا، وفي 6 سبتمبر 1934 انتهت عمليات الاحتلال، وفي نفس اليوم أبرق الجنرال هوري لحكومته يقول لها «إن رقعة التمرد في الأطلس الكبير يمكن اعتبارها منمحية تماما، وفي الجنوب الأقصى والصحراء تم الاحتلال على يد القوات بقيادة الجنرال «كاطرو» في ربيع 1934.»

ثم توجه إذاك المقيم العام لفرنسا بالمغرب الى القصر الملكي ليبلغ الخبر لسيدي محمد ابن يوسف قائلا له «إن فرنسا، وفاء لمهمتها، قد أخضعت آخر المتمردين لطاعة السلطان» ولكن المقاومة المسلحة المغربية التي كانت في نظر الاستعمار حركة تمرد وعصيان، وخروج عن الطاعة، لم تتوقف عسكريا إلا مكرهة بالقوة المتفوقة بأسلحتها المدمرة الفتاكة برا وجوا، وقبل هذا بأربع سنوات انطلقت الحركة الوطنية التحريرية رافعة مشعل المقاومة السياسية ضد نظام الاحتلال والاستعمار من وراء ستار الحماية المفروضة، وبالرغم عن سياسة القمع والبطش أدت الحركة الوطنية رسالتها التحريرية بجهادها المستميت، وتضحيتها الغالية إلى أن كانت لها الغلبة، وفازت بالنصر المبين حيث انهار الاحتلال، وانقرض الاستعمار، ودالت دولة الاستعباد في مارس 1956 بإعلان الاستقلال، ولينصرن الله من ينصره، وما للظالمين من أنصار.

(عن مذكرات المرحوم محمد حسن الوزاني حياة وجهاد القسم 3).

المغـــرب

1 - القوات المسلحة

تتحدد مهمة القوات المسلحة الملكية المغربية بالدفاع عن السيادة والاستقلال الوطني وسلامة التراب الاقليمي. ومن الناحية التنظيمية، يعتبر الملك القائد الاعلى للقوات المسلحة ورئيس اركان الحرب (ف. 30 وف. 19 من الدستور).

في سنة 1995 بلغ مجموع القوات المسلحة المغربية 195.500 بالاضافة الى 150.000 احتياطي.

ومن خلال الجدول رقم 1 يتضح ان الفترة التي سجلت اكبر ارتفاع لعدد القوات المسلحة الملكية تمتد من 1971 الى 1986 حيث مر من 57000 رجل الى حدود 200.000 رجل (الجدول رقم 1).

وقد وصل عدد المجندين سنة 1995 الى 100.000، وتبلغ مدة الخدمة العسكرية المسموح بها 18 شهرا، غير ان اغلب المجندين هم متطوعون.

بالنسبة الميزانية المخصصة للدفاع الوطني تعتبر ثاني اهم ميزانية بعد تلك المخصصة لقطاع التعليم. فقد مرت من 491 مليون درهم سنة 1971 الى 10 مليار سنة 1995. ويرجع ذلك الى ارتفاع حجم النفقات العسكرية. حيث وصلت سنة 1982 الى حوالي 7٪ من الناتج الداخلي الاجمالي. (الجدول رقم 2).

و تتوزع القوات المسلحة كما يلي:

ا - *القوات البرية:*

العـــدد

- يصل عدد القوات البرية الى 175.000 موزعة على منطقتين : المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية. وتتكون من الوحدات التالية:

- ثلاثة ألوية للمشاة الميكانيكية (3 brigades d'infantérie mecanisée)
- لواء خفيف للامن. (1 brigade légére de securité)
- 8 أفواج للمشاة الميكانيكية، (8 bataillons d'infanterie)
- لواءان للمظليين، (2 brigades parachutistes)
- الوحدات المستقلة : (Des unites independantes)
- 10 كتائب للمدفعية (10 bataillons d'artillerie)
- تجمع للدفاع الجوي (Groupement de defense aérienne)

10 كتائب مدرعة (10 régiments blindés)
37 كتيبة للمشاة (37 bataillons d'infanterie)
3 كتائب آلية (3 bataillons motorisés)
3 كتائب للخيالة (3 groupes de cavalerie)
كتيبة للجبال (1 bataillon de montagne)
7 كتائب للهندسة (7 bataillons de genie)
6 وحدات للكومندو (Unités de commandos)
بالاضافة الى الحرس الملكي ويتكون من 1500 رجل
موزعين على كتيبة وسرية للخيالة (Bataillon et un escadron de cavalerie)

التجهيزات :

عرفت تجهيزات القوات البرية تطورا مهما ابتداء من سنة 1975، حيث فرضت حرب الصحراء علي المغرب التزود بالتجهيزات الضرورية لمواجهة هجومات البوليزاريو، فقد انتقلت التجهيزات العسكرية الاساسية من حوالي 1250 وحدة لـ 90.000 رجل الى اكثر من 4000 وحدة ابتداء من سنة 1986 لـ 150.000 رجل لتصل سنة 1994 الى حوالي 5700 وحدة لـ 175000 رجل لكن تم تسجيل انخفاض مهم من حيث عدد الدبابات خاصة سنة 1986 (الجدول رقم 3).

2 - *القوات الجوية:*

- أسست القوات الملكية الجوية في نوفمبر 1956 وقد ارتفع عددها، كما يوضح ذلك الجدول رقم 4 - من 4000 شخص سنة 1971 الى 13500 شخص سنة 1994، تقوم بعدة مهام منها مهام الدعم الناري (missions d'appui feu) ومهام استطلاعية، كما تتحدد مهامها بمراقبة المنطقة البحرية وبالنقل والاتصال ونقل الجرحى. بالاضافة الى انها تقوم بدور ردعي، خاصة، تجاه القوات المسلحة الجزائرية.(2)

- اغلب تجهيزات القوات الجوية هي اما ذات اصل امريكي او فرنسي خاصة بالنسبة للطائرات الحربية (الامريكية . Northrop F5 - والفرنسية - Mirage F1)

فقد انتقل عددها من 38 سنة 1971 الى 119 سنة 1986.

لكن عددها اخذ ينخفض ابتداء من سنة 1988، اذ لم تتعد 90 طائرة حربية

سنة 1990، وقد تم تسجيل تطور طفيف سنة 1994 حين وصلت الى 99 بالاضافة الى 24 طائرة مروحية حربية،

وثم بذل نفس المجهود لتطوير باقي الانواع الاخرى للطيران الحربي خاصة فيما يتعلق بـ Anti-insurrection وبالطائرات الاستطلاعية المزودة بالرادرات [(C-130 avec Radar)] الحرب الاليكترونية (Falcon 20 وC-130) نفس الشيء بالنسبة الطائرات المخصصة للتكوين والنقل.

لكن الطائرات المخصصة للتكوين فقد سجلت انخفاظا ملحوظا (الجدول رقم 4)

ويتم تزويد الطائرات الحربية اساسا بصواريخ جو - جو AIM98/D/J sideuinder (الامريكية) و R-530,R-550 Magic (الفرنسية) وكذلك بصواريخ ارض - جو : AGM-65B Maveric الخاصة بطائرات F.5E.

3 - *القوات البحرية.*

عرفت القوات الملكية البحرية كذلك تطورا من حيث القوات والتجهيزات فقد إنتقل عددها من 1500 سنة 1971 الى 7000 سنة 1995.

وعند تاسيس القوات الملكية البحرية اسندت لها مهمة الدفاع عن الشواطئ ومناطق الصيد البحري. ولذلك ثم تزويدها بعدة جوابات (الجدول رقم 5).

وقد تم تدعيم العتاد البحري بعدة وحدات حربية مجهزة بقاذفات للصواريخ خاصة من اسبانيا وفرنسا وكذلك من ايطاليا.

حيث تتوفر القوات الملكية البحرية سنة 1995 على Fregate مجهزة بنسيفات (torpilles) مضادة للغواصات وبمدافع الهاون والمضادة للغواصات. بالاضافة الى 4 صواريخ Exocet سطح - سطح؟ (Surface-Surface) (1) على حراقتين (Corvettes)(2)

كما تتوفر على 13 حوالة ساحلية (6 من اصل اسباني و5 من الدانمارك) (Patouilleurs de littoral) و10 اخرى شاطئية من فرنسا (P. rs de cifforal) كما عززت امكانيات النقل بواسطة برمائيان من اصل فرنسي كذلك وقد صاحب ارتفاع التجهيزات البحرية تطور من حيث القوات حيث مر عددها من 1500 سنة 1971 الى 7000 رجل سنة 1995 وتتوفر الملكية البحرية على اربعة قواعد بكل من الدار البيضاء اكادير، الحسيمة والداخلة. (1)

ـ القوات شبه العسكرية:

والى جانب القوات الثلاثة توجد قوات شبه عسكرية ويبلغ عددها 42000. مكونة من الدرك الملكي والقوات المساعدة.

* الدرك الملكي ويضم 12000 شخص موزعة كما يلي:

لواء واحد، مجموعتين متحركتين، سرية جوية، سرية للمظليين وسرية لحماية الشواطئ تتوتر على 18 باخرة وحوالي 20 من الطائرات المروحية (20 وحدة)(2)

* القوات المساعدة وتتكون من 30000 رجل وتشتمل على فيلق للتدخل وفيلق متحرك (الجدول رقم 1)

ـ القوات في الخارج:

يقوم المغرب بتوجيه وحدات عسكرية الى الخارج، اما على المستوى الثنائي كما هو الشان بالنسبة للامارات العربية المتحدة حيث تتواجد بها قوة مغربية تتكون من 2000 شخص، (3) او على المستوى الجماعي في اطار عمليات حفظ الامن والسلم للامم المتحدة.. حيث يشارك بملاحظين في UNAVEM III بأنغولا وبوحدة عسكرية ضمن القوات المتعددة الجنسيات بالبوسنة والهرسك تضم 1200 جندي (4)

II ـ الدول الممونة للمغرب.

ـ الدول الممونة للمغرب : تاتي في مقدمة الدول الممونة للمغرب من حيث الاسلحة والتجهيزات العسكرية كل من الولايات المتحدة وفرنسا يليهما بدرجة اقل الاتحاد السوفياتي روسيا، ثم بعض الدول الاوربية خاصة المانيا، اسبانيا، بريطانيا وكذلك رومانيا بالاضافة الى مصر من الدول العربية.

وخلال الفترة الممتدة بين 1988 و1992 بلغت مبيعات الولايات المتحدة العسكرية الى المغرب 84 مليون دولار تليها فرنسا بـ 48 مليون دولار في نفس الفترة.(1).

ـ الاتفاقيات العسكرية:

* مع التجمعات الجهوية.

جامعة الدول العربية : يعتبر المغرب عضوا بجامعة الدول العربية وينتمي الى معاهدة الدفاع التي تتوقع «تعهد الدول الاعضاء بتقديم المساعدات كلما تعرض عضو او اكثر الى العدوان واتخاد الاجراءات اللازمة لدفع العدوان» (2)

اتحاد المغرب العربي : في 1989 وقع المغرب على معاهدة اتحاد المغرب العربي التي تنص في م. 14 على ان كل عدوان ضد الدول الاعضاء سوف يعتبر كعدوان ضد الاعضاء الاخرين. (3)

- الاتفاقيات مع القوى الخارجية:

يتلقى المغرب دعما عسكريا اجنبيا خاصة من طرف الولايات المتحدة بلغ سنة 1993 الى 61.2 مليون دولار، (الجدول رقم 2). وبواسطة الاتفاقية الجديدة لـ 27 ماي 1982 يمنح المغرب تسهيلات لاستعمال القواعد المغربية من طرف الولايات المتحدة الامريكية. (4)

كما ان الاتفاق الفرنسي - المغربي بتزويد المغرب بالاسلحة لازال ساري المفعول، وبالنسبة لاسبانيا فقد استطاعت الحصول على اتفاقية في مجال الدفاع مع المغرب تمكنها من استعمال الموانيء البحرية المغربية

L'histoire des armes au Musée «Borj Annour»

par Abderrahim KHALED

Placés sous la tutelle du Ministère des Affaires culturelles, les musées au Maroc connaissent un essor remarquable tant au niveau organisationnel, gestionnaire qu'au niveau de l'entretien de l'effectif impressionnant de pièces exposées ou stockées. Cet effectif a une valeur historico-civilisationnelle inestimable.

Voici l'exemple du Musée d'armes Borj Nord de Fès que nous vous présentons aujourd'hui.

Le Musée d'armes Borj-Nord, connu des populations locales par une appellation arabophone «Borj Annour», modification verbales du surnom français et aussi distinction par rapport au Borj-Sud dans l'autre extréminté de la ville, remonte à l'époque saâdienne, comme en témoigne son architecture très pittoresque : Une étoile géométrique embrassant l'Ancienne Médina dans toute l'ampleur de ses quartiers majeurs. Sa «constitution» dans l'enseinte de ce monument historique du XIXe siècle date de 1964, il abrite un effectif absolument précieux composé d'armes utilisées au Maroc depuis les temps les plus reculés de la Préhistoire jusqu'à l'apoque moderne, d'armes automatiques et à feu qui ont connu leur genèse au XXe siècle. On y trouve également des armes étrangères, apportées dans le cadre des transactions muséologiques, de dons spéciaux ou achats directs, comme ces armes américaines sophistiquées utilisées lors de la guerre civile américaine de 1865.

AMENAGEMENT DE L'ARMADA DANS BORJ-NORD

Le musée se compose de seize salles qu'on pourrât concentrer dans trois grands salons et deux groupes de salles non publiques, exclusivement réservées aux chercheurs et spécialistes :

Le 1er Salon : On y trouve des armes blanches et des armes du XVe siècle d'origines asiatique, européenne et de régions islamiques. Ces armes utilisées dans la campagne du Maroc sont des formulations pierreuses (stones), des couteaux, des poignards émaillés... outre des sabres turque, algérien, saoudien, iranien, indien, indonésien, chinois et japonais,

Ces autres sabres qui viennent de l'Europe : Allemagne (région Solengen), Espagnole (région Todèle), Angleterre (région Bermingham), la France (sabres fabriqués à la manifacture Shatelero).

Le 2ème Salon : Y sont exposées des armes à feu marocaines, européennes et des pays islamiques dont des fusils de murailles à grandes longueurs datant du XVIIIe siècle, salve géant pour deux guerriers du XVIe siècle, appareillage de fabrication marocaine pour nettoyer les armes, fusils ayant participé à la bataille d'Oued El Makhazine [Guerre des Trois Rois survenue le 4août 1578 où Moulay AbdelmaleK Essaâdi a emporté une grande victoire sur les armées placées sous le commandement suprême du roi Sebastien de Portugal. Cette guerre a eu lieu à quelques kilomètres de la ville de Ksar El Kebir].

Le 2ème salon conserve également une mitraillette française ayant participé à la première guerre mondiale (1914-1918), une mitrailette belge fabriquée par Christophe & Montigny à Bruxelles en 1871, des fusils type Spencer de grand rapidité utilisés dans la guerre américaine de 1865, des revolvers automatiques dont le premier revolver automatique fabriqué par les deux Américains H.F. Wishruj & D. Huge en 1874, des revolvers à Bremel et des Cotts fabriqués par l'Américain Samuel et Cott en 1835 et une armature de chasse et lances-balles.

Le 3ème Salon : On y trouve spécialement des canons marocains et européens, dont un canon espagnol fabriqué en 1606, quatre canons types Geripoval datant de 1763, un canon offert par le Roi Gustave III de Suède au Sultan du Maroc, un canon marocain en bronze remontant au XVIIe.

Ces trois grands salons sont complétés par deux groupes minuscules :

Le 1er groupe : en complémentarité avec les expositions parallèles des trois salons, abritant une copie d'armure milanaise (Italie) du XVIe siècle, une armure perse (Iran) du XIVe et une armure napoléonienne.

Le 2ème groupe : comprend un équipement de trois salles dont les expositions sont destinées aux chercheurs.

Le premier et le plus ancien arsenal qui se trouve au sein du musée remonte à 1945 octoyé par M. Kamuter, contôleur civil d'honneur à l'époque. Cet arsenal est composé de 240 pièces dont des poignards du Sud du Maroc, des poudrières en cuivre jaune et des fusils du XIVe siècle en ver et cuivre.

Le deuxième arsenal entre 1960 octroyé par Sa Majesté le Roi, composé de 208 fusils fabriqués en fer et bois, le troisième offert en 1962 également par Sa Majesté le Roi Hassan II, est composé de 41 pièces, dont une mitraillette française datant de 1900, des fusils américains typs Winshester de 1876, des fusils français du XIXe siècle, type Chassport, des fusils allemands du XVIIe siècle type Mozart. Entrent ensuite des pièces qui faisaient le stockage de la manifacture Al Makina à Fès, construire par Moulay Hassan 1er en 1893-1894, des fusils allemands type Mosart, américains type Spencer et Cott.

Toutes ces armes remontent à la fin du XIXe siècle.

En 1962-1963 entre au Musée la quatrième et dernier arsenal composé d'armes apportées de divers pays : (Turquie - Chine - Iran). L'effectif global du Musée d'armes Borj-Nord est de 2343 autres pièces d'une valeur inestimable que tous les citoyens jalous du patrimoine national, sont appelés à se donner la peine et le soin de découvrir sur place afin de se forger une conception sur les prodigieuses gloires, proches et lointaines, de notre nation marocaine.

Le Musée Borj-Nord constitue donc parallélement au Musée d'arts marocains à Fès, une petite fenêtre bien ouverte pour jeter soigneusement un regard sur l'histoire du Maroc.

العرش والجيش [أ]

للاستاذ المرحوم علال الفاسي

سمــــوت فكانت دونك الأنجم الزهر | وفـقت فـلا شـمس هناك ولا بدر
وجـاوزت آفـاق الجـلالة رفـعــة | فـدانت لك الدنيـا وطاوعك الدهر
وسـدت فـلا إيوان كـسـرى وتبع | ولا عرش (بلقيس) يقام لها ذكر
ومذ كانتا رتقا ففـتقت السمـاء | عن الأرض كان المغرب الوطن الحر
أقـام على البـحـر المحيط منطقـا | بأطلسك الجـبـار يكلؤه النصـر
ولو أن هذا البـحـر ينطق بالذي | جـرى حـوله لصـدق الخـبـر الخـبـر
وحـدث بالمجـد الذي قـد صنعـتـه | فـبـان من العلم الخـفي به سـر
رعـيت من الانسـان أفـضل نوعـه | وربيـتـه حـتى اغـتـدى وله فكر
وأرسلتـه ينسـاب في كل بقـعـة | وعـدته فـيـهـا العـزيمة والصـبـر
فـسـار «لافـريقـيـا» وأثل مـجـده | وقـد حـفظت آثاره عندها «مـصـر»
وكـانت (اوربا) مـسـرحـا لانتـقـاله | ومـا صده عنها ابتـعـاد ولا وعـر
تناسل فـيـهـا حـيث كـون عنصـرا | تأصل فـيـه اللون والشكل والحـجـر
سلوا عنه سرجي جيث أبدى حقيقـة | عليها من الاغراض قد أسدل الستر
ومذ زمن التـاريخ ما زلت شامخا | وذكـرك في كل العـصـور لها فـجر
حميت ذمار الشعب في كل ساعة | فـكـان لـه فـي كـل آونـة خـطـر
وكــانت ملوك الارض تخطب وده | ويـخـنـع إجــلالا لـه البـطـل المر
اذا حـدثت قـومـا بغـدر نفـوسـهم | أصـيـبـوا فلم يشـدد لهم أبدا أزر
سلوا من بني التـاريخ أي مملك | أتى طامـعـا لم يغـد مسكنه القبر
وأين بنو (رومـا) ومـا كـان منهم | وهل جاءهم من بعد كسرتهم جبر
لقـوا من بني مـازيغ أعظم نكبـة | يصاب بهـا من ليس يردعـه الزجـر
حمـاك بهـا (بوكـاس) من شر كـيـدهم | وعـادوا فلم يكمل لهم أبدا أمـر

(أ) القصيدة منشورة في فصلة مستقلة. وذلك بمناسبة الذكرى السابعة لجلوس محمد الخامس على العرش (سنة 1934) وطبع بذيلها نشيدان في الموضوع نفسه.

لقد قهروا (الوندال) من بعد فانطفا | لهيب ولم يخمد لنا أبدا جمر
ومازلت في أفق السيادة شامخا | تحوطك أسد ليس يلحقهم قهر
إلى أن أتى الاسلام بالنور والهدى | وقد قام داعيه ودعوته الخير
فكانت مباديه أجل عقيدة | وأحسن ما يختاره العاقل البر
هنا لك أسلست ولم تكن | بلادك يغويها الجحود او الكفر
ولا سيما والفتح فتح ضمائر | يلامس قلبا ليس يملؤه الشر
فسار من الأسد المغارب معشر | جحاجح لا يثنيهم أبدا ذعر[1]
الى جنب آساد الشرى من أمية | لأندلس حاديهم العزم والأجر
الى أرض قوط والبرانس قد علوا | وأرض بروفانس لا ينهنههم دحر
الى الألب حتى لامجال لطامع | و(فاليه) حيث لا يمر به سفر
سلوا قمة (المورو) بيانيو وأنزة | تحدثكم عن معشر أمرهم أمر
ولولا جنايات بدت قبلية | لما كان في أوكار للغافقي عثر
ولا ستعجل الاقوام عصر حضارة | يوحد قارات الوجود بها الصقر
فيغدو اتحاد الناس تحت لوائه | ضمان سلام عنده المن الكثر
وتنشر في كل الوجود سعادة | وتمحي من الدنيا المظالم والجور
ورب بناء شاده العزم فاعتلا | يهدمه من أصله غلط نزر
فلله من أسد المغارب إنهم | رجال اذا شدوا غضاب اذا عروا
ولله من ذاك الغضنفر طارق | تقدم لم يرجعه بحر ولا بر
تحصن في شط الجزيرة حيث لا | ينال ولا يأوي لمخبئه الطير
فأبقى مثالا للشهامة والعلا | وشاد فخارا ليس يهدمه الدهر
ولله مجد للملثم أصبحت | مباسمه عند الجزيرة تفتر
تقهقر في (زلاقة) عنه معشر | قد استضعفوا أهل الممالك واغتروا
فغالبهم حتى انتهوا لسبيلهم | ونال فخارا ضمنه العز واليسر
ووحد أنحاء الجزيرة رادعا | رجالا دعاهم نحوه اللهو والسكر
فعلمهم معنى الرجولة والعلا | وكيف يسوس الناس من قدره القدر
وفي دولة المهدي الموحد أينعت | غصون من الاصلاح فاح لها نشر
زمان لعبد المومن الفذ كم له | أياد لها في كل صالحة أثر

توحـــدت افـــريقـــيـــا وأندلس به | وللبـــرتغـــال امـــتـــد فـــتـح له عطر
وكـــانت أســـاطيل البـــلاد مـــواخـــرا | لدى البحر يستهدي منارتها البحر
وأضـحت ظلال العـرش وارفـة على | رجـــال لهم في العلم ألوية غـــر
وصـــار بســـاط الملك نادي حكمـــة | ومـــجـــمـع علم لايذاع له ســـر
تقلب فـــيـــه ابن الطفـــيل مـــؤيدا | يصـاحـبـه الإعـلاء والقـرب والبـهـر
وجـــاء ابن رشـــد والمبـــاحث جـــمـــة | يقدمهـا المولى الخليـفـة والحبـريهذبهم
وأسس للشـــبـــان فـــرقـــة (كـــاشف) | فـــيـــهـــا غطارفـــة خطر
فقل للألى ظنوا (بادن باول) ربها | بلى : إنكم لم تنصفونا ولم تدروا
فـقـد كـان عـبـد المومن الفـذ ربهـا | وفي المغـرب الميـمون كـان لهـا ظئر

* * * * * * * * *

وفي عـهـد «آسـاد العـرين» مـفـاخـر | من الخير والاحساس ليس لها حصر
فكم شيـد من دور وكم من معـاهد | لاهل التقى والعلم يسمو بها الفكر
وجـــاءت من الاشـــزاف طائفـــة لهـــا | مكارم في الاســلام نامـــيـــة غـــزر
تجلى لدى وادي المخـــازن بأســـهـم | وحين التـقـى الجـمـعـان وانقطع الصبـر
وقـــام (ســبـــاســتـــيــان) بين جـــمــوعـــه | يجـــرئـه (المسلوخ) والخـــائن الغـــمـــر
يجـابهـه المنصـور في قلب جـحـفل | بهم من سـراة الشـعب طائفـة وفـر
فيا ويحهم لم يعرفوا قدر من لقوا | من الأسـد حراس العرين ولم يدروا
ومـــا هي الا جـولة تصـدق اللقـا | من القـوم حـتى أغـرق الخـائن النهـر
ومـات فـداء العـرش فـيـهـا ثلاثة | ملوك وعـاش العـرش يحرسـه النصـر
ومـــــد الى الســــودان وارف ظلـه | بجيش كصبح في الدجا بثه الفجر[1]
ولله من آل الرشـــيـــد فـــقـــد بدت | لهم في سـمـاوات العـلا أنجم زهر
اذا عــد مـجـد العـالمين صـحـيـفـة | فـهم سرها الذاتي وضـغـراؤها النصـر
نماهم الى جـــذم النبي مـــحـــمـــد | جـدود لهم في كل منقـبـة ذكـر
بنو هاشم آل الرســـول ومن يكن | الى المصطفى فهو الذي فخره الفخر
ومن يتـسلسل من فـتى كـمـحـمـد | فقد جل أن يسمو الى قدره قدر
بنو هاشم مـولى السـمـاحـة والندى | ومن أخـــذت عنه العطيـــة والبـــر

هم القوم أما شعبهم فمؤمن ... وحظ الأعادي منهم القتل والأسر

كرام اذا نودوا، غضاب اذا لقوا ... بحار اذا جادوا، أسود إذا كروا

غياث إذا نودوا، حماة إذا دعوا ... لواذ اذا أموا، أساة اذا بروا

أقاموا علينا دولة علوية ... سما بين أدواح الفخار لها نجر

فكانت لهذا الملك درة تاجه ... وكانت لهذا القطر يزهو بها القضر

فلله إسماعيل من يوم رفرفت ... على عرشه المعتز الوية حمر

لقد كان يوما جاد باليمن صبحه ... على وطن قد كاد يلحقه الضر

له في أصيلا والعرائش نهضه ... وطنجة إذ أودى بساكنها الحجر

ومد الى العرفان جانب عطفه ... فجد به من بعدما وقف السير

وشاد بمكناس مباني لم تزل ... لها في نفوس العارفين بها بهر

مبان تخر الشم دون صفاتها ... ويعجز عن منحوتها الماهر الشطر

حصون كما شاءت عزيمة قادرتخال ... يلين له من بأسه الصخر

لذي القرنين فيها عزيمة ... والقطرومن خلفها ياجوج أعياهم الحفر

وعارفة أولى بجيش منظم ... يزوف كأمثال الدبا حينما يعرو

ألوف من الرهط الذين هم هم ... تخالهم أسرى أصابهم ضور

اذا صبحوا يوما مضارب أمة ... فيا ويحها اذ جاءها الحادث البكر

كأنهم ليل، كأن سيوفهم ... نهار، كأن السفر يقدمهم فجر

كأنهم جن، كأن لواءهم ... بساط سليمان يمد به النصر

كأنهم أسد، كأن رماحهم ... مصانع موت ليس ينفعها حذر

كأنهم صقر، كأن رؤوسهم ... ملائك طيارون ما مثلهم نسر

فيا عرش إسماعيل كم لك من يد ... على المغرب الاقصى يجل لها الشكر

ويا جحفلا رتبته فتنظمت ... عساكره لم يثنها العدد الدثر

وعلمته الاخلاص للشعب مقسما ... بسفر له قدسية وبه طهر

وعاهدتهم أن تخدم الشعب مثلهم ... وترفعهم أعلى المراتب إن بروا

ولكنهم لم يخلصوا العهد مثل ما ... فعلت، بلى قد غرهم معشر نخر

فكانوا وبالا للخلافة بعدما ... حموها زمانا عشت فيه لك الأمر

الى أن أتى المولى الهمام محمد ... فرمم ما شقوا وتم فيه لك الأمر

فذاك ابن عبد الله حين توافرت ... لديه صفات سرها البر والجهر

فأحيا رسوم الملك بعد اندراسها ... وكان له في سنة المصطفى نشر
وأحسن ترتيب العلوم ودرسها ... فكان له في ذاك عارفة بكر
وقاوم تضليل العقول وحجبها ... ونشر خرافات يعم بها الوزر
وجاهد في التوحيد بين ممالك ... يؤلفها الاسلام والمنطق السحر
مواقف لا يبلى مدى الدهر ذكرها ... يخلدها في كل ناحية سفر
نحا نحوها المولى سليمان إنه ... فتى خلقه الخوف المبرح والشكر
أقام حدود الله في القطر كله ... سواء لديه العبد في ذاك والحر
وجال بآفاق الرعية مرشدا ... الى خلق ما إن لفاقده عذر
وأيد رأي المصلحين وان طغى ... عليهم رجال في عقائدهم تجر
ومن يدع من أهل الجمود جماعة ... الى الخير تلحقه الاذاية والمكر
وما زال هذا المجد يرويه كابر ... الى مثله حتى أتى الحسن الحبر
فكان لدين الله خير مجدد ... وداع الى السبل التي كلها ذخر
وعاود توحيد البلاد فأصبحت ... يؤلفها في ظنه عرشه الحر
وطوق أنحاء البلاد مؤيدا ... يظاهره في سيره جيشه المجر
يوحد ما بين الرعية داعيا ... الى الحق حتى أصبحوا ولهم يسر
فدشن عصرا للنهوض بأمة ... كبت فأصابتها الجهالة والنفر
وأدرك أن العلم فيه شفاؤها ... فقربه حتى دنت ورقه النضر
وسهل بالبعثات قطف ثماره ... لو أن أناسا ساعدوه لهم نكر
لقد زرع البذر الذي بان شطؤه ... ولو عاش تم النبت وازدهر النور
ولكن مولانا الامام (محمدا) ... سيثمر في أيامه ذلك البذر
فتى بعث الآمال حتى تطلعت ... إليه بلاد كل آفاقها غبر
علا فوق عرش الملك مذ كان يافعا ... ففاقت بني السبعين عشروه والعشر
وساعد بالتأييد كل قضية ... رأى أنها حق وليس بها نكر
فمانع أن تغدو البرية سجدا ... لغير الاله العرش جل له الكبر
وقاوم أرباب الاساطير فامحت ... طوائف أعيادونها الوعظ والذكر
وشيد للتعليم خير معاهد ... سيغدو لها في القطر من عزمه وفر

وفي (القرويين) العظيمة أنعت ضروب من الاصلاح يقضي بها العصر
وأسس في البيضاء أعظم مسجد سيمرح في أنحائه المومن البر
الى خلق ما مثله المسك نفحة ولا العنبر الشحري والورد والزهر
متى جئته يوما ترجى نواله فقد جئت مولى جوده الهاطل الثر
يقابل بالبشرى جميع عفاته ويلحقهم من فيضه نائل غمر
ويخرج ما بين الرعية باسما كأن على وجناته طبع البشر
فلا غرو أن أضحى هماما محببا الى أمة تحيا به ولها الفخر
الى أمة تعنو له كلما رجت كأن الغد الميمون في وجهه سطر
ترى فيه رمزا للاماني ومظهرا لوحدتها الكبرى التي مسها الدهر
ولا غرو إن أبدت بعيد جلوسه ظروبا من الافراح يزهو بها الثغر
فما ذاك الا ترجمان محبة من القلب لا عيب عليها ولا هور

* * * * * * * * *

أبا حسن هذا تراثك فاهتبل به فهو كنز لا يقام له سعر
وهذا هو المجد الذي قد ورثته وأعليته فاهنأ به إنه كثر
وهذا هو العرش الذي نحتفي به يميل كما النشوان هيجه الخمر
فيخفق قلب الشعب من طرب به كما خفقت من فوق ألوية حمر
وتهتز من ذكراك أفئدة الملا (كما انتفض العصفور بلله القطر)

* * * * * * * * *

أبا حسن : واقبل تهاني أمة يقدمها البدو الأماجد والحضر
ومديدا للوافدين فانما بشوقهم تمشي المراكب والقطر
كأني بهم في مشور القصر أنجم كأنك إذ أشرفت من فوقهم بدر
وحقق لهذا الشعب كل رجائه فحاشاك أن يغدو وآماله خسر
وعش للبلاد الدهر حامي عزها ومنقذها من كل نائبة تعرو
وعاش أمير الأطلس المزدهى به تجلله من كل منقبة حبر

* * * * * * * * *

أمولاي هذه مدحة فيك صغتها ورائدها الاخلاص والصدق والطهر
وما قلت مدحا في سواك وأحمد نبي الهدى من مدحه للفتى ذخر
وما أنا ممن يمدحون لمقصد من العرض الفاني يبين به الغدر
اذا طلب الوراد مهر مديحهم فمدجي إصلاح البلاد له مهر
وإني كما تدرون لست بمنكر مقامي في العليا وإن أنكر الغير
فإني من قوة سراة أما جد اذا نسبوا يوما فحسبهم فهر
شعارهم الاعزاز ليس يصيبهم مدى الدهر إذلال وإن مسهم ضير
هم من إباء النفس يحيون في غنى يصونهم عن أن يحل بهم فقر
وإني من القوم الذين تحالفوا على العلم لا يلويه عن حبهم قسر
لهم ألف عام في المعارف إنه لماض وعندي حاضر كله زهر
وقفت حياتي للبلاد ودينها سواء لدي اليسر في ذاك والعسر
مدحتك حبا في رضاك لعلني أؤدي حقوقا لا يليق بها ستر
وعبرت عن نفسي وعن قومي الألى يعبر عن إحساسهم شعري السحر
وما الشعر الا ترجمان عواطف تحس بها نفس ويعقلها فكر

نشيد الجيش الملكي

نشيدنا على الدوام   ما قاله المولى الامام   أبناؤنا اللى الامام
فكلنا فدى الوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

أنا حلفنا قسما   أن لا نخون العلما   وأن نجود بالدما
في الذود عن حمى الوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

نحن الاسود في الوغى   نصرع كل من طغى   نهزم كل من بغى
ورام شرا للوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

ارواحنا ليست لنا   حتى نعز الوطن   هيا بنا هيا بنا
نسعى الى مجد الوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

رايتنا من دمنا   ولونها من لوننا   ان لم نمت عن أرضنا
بؤنا بلعنة الوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

ان الغنى كل الغنى   في حربنا وسلمنا   وفى جميع أمرنا
أنا جنود للوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

شعارنا في جيشنا   اخلاصنا العرشنا   وذاك امر ديننا
يحيى به هذا الوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

على السهول والفنن   نشكر أعظم المنن   قيادة المولى الحسن
أوفى وفى للوطن
يحيا الملك يحيى الوطن

النشيد الرسمي
للأكاديمية الملكية العسكرية

للشاعر محمد الحلوي

يا أخي في السلاح   يا أخي في الكفاح
ضع يدك في يدي   وافتخر وانشد
نحن ضباط الغد   دائما نفتدي

بالدماء الوطن

نحن جند الحمى   نحن أسد العرين
نحن رمز الفدا   والعماد الحصين
إن دعانا الوطن   لعوادي الزمن
اقتحمنا الخطوب   وامتطينا المحن

في سبيل البلاد

قد كتبنا على   صفحات الخلود
وضممنا إلى   ما بناه الجدود
آية في الفدا   اهتز منها الوجود
وتغنت ربا   ءبهيا والنجود

في سبيل البلاد

بعوالي القنا   وغوالي الدماء
شاد آباؤنا   مجدهم في السماء
وبقوتنا   وعروبتنا
وبطولتنا   وبذاك الإباء

سوف نحمي البلاد

فاقصفي يا رعود واقذفي بالحمم
وازأري يا أسود في الربّى والأجم
فثبات الجنود يتحدى الهمم
ويلاقي الخطوب ساخرا بالألم

عاصفا بالأعاد

نحن جند البلاد في الربى والوهاد
في الفلا والقرى في الصحاري الشداد
أرضنا جنة وارف ظلها
وهي قبر جاء يحتلها !

نحن فيها العماد

سر بنا دائما خلف قائدنا
وارفع العلما رمز أمجادنا
نحن شعب له ملك مرتضى
وزمان العبيد مضى وانقضى

يا هناء البلاد

لسان حال الجيش المغربي

للشاعر المرحوم عبد الرحمان حجي

نحن جنود المغرب * من بربر وعرب
ليس لنا من أرب * سوى متطاء الشهب
نحن بنو الاولى سموا * الى الثريا، وحموا
حوزتهم، وقد رموا * عداتهم بالرعب
نحن بنو الاباة * للضيم والثبات
في الحرب بالظباة * وقاذفات اللهب
ان نستمع نزال * نهب للقتال
في معرك الابطال * نبيدهم عن غضب
لسنا نبالي بالحمام * شعارنا الى الامام
ولو نجرع الزؤام * نعده كالضرب
لا نرتضي النكوصا * ولا نرى المحيصا
عن الوفي رخيصا * ولو بحز الرقب
نسترخص الارواحا * وتنبذ الاشباحا
للطير، ان أشاحا * بوجهه ذو هرب
فسل بنا الطليانا * واستخبر الالمانيا
عن قذفنا الطغيانا * من شاهق كالحصب
أما الفرنجة فكم * بنا استجاروا، ولكم
قد قبلوا منا القدم * في خيفة ورهب
كي نحمل الاعباء * ونركب الازراء
ونردي الاعداء * عند اشتداد الكرب
نحن غذاء الوطن * لدى احتدام المحن
وفي انقاد الفتن * ننقذه من عطب
تنقاد بالزمام * لسيد الانام
ملكنا الهمام * طاعة أهل الرغب
و «لولي عهده» * رئيسنا من بعده
فنحن حصن مجده * على مضي الحقب

نشيد الجيش

للشاعر المرحوم أبو مروان عبد الملك احمد البلغيثي

انا ذا الجيش العرمرم شارتي، التاج المعظم
وسلاحي كجهنم به اصلى المعتدين
عندما يدعو الوطن

نحن، لا نهتاب حربا لا ، ولا طعنا وضربا
نصرنا شرقا وغربا ذائع، في العالمين
ما تناساه الزمن

اننا في السلم، سلم ولدى الحرب،خضم
موجهنا روسم مهلك للغاصبين
ما لهم منه نجاء

يا سليل التاج انا حول ذا العرش التففنا
سنوفي ما وعدنا قائد النصر المبين
من له نحن فداء

سوف يحميك وجودي يا بلادي، وجدودي
والي اقصى الحدود ليس غينا من ضنين
في الوغى أوذو وهن

أيها القائد الاعلى ملك القطر الاجلا
عش فقد أوتيت سؤلا يا رئيس الذائدين
يحي مولانا الحسن

نشيـــد الجنـــدي

للشاعر مصطفى الطريق

انني للبلاد حصن منيع * أغتدي في حماسة للجهاد

عن حماها أذود والصبر دأبي * غايتي صونها بكل تفاد

لست أخشى الوغى ولا أتواني * ان دعاني للذود صوت البلاد

أصوع الموت في انضباط وعزم * واباء يهاب منه الاعادي

في الفيافي وفي البحار أراني * مثل نسر وفي السماء أنادي

قد وهبت الحشا وكل الحنايا * قد وهبت الدما لاجل بلادي

وهجرت الكرى وأمسيت دوما * زاحفا في التلال في كل واد

أمحق الشر أخدم الحق عبدا * أدفع الضيم والاذى في انقياد

هكذا همتي سلوا ان تريدوا * من قديم أنا زعاف الاعادي

ولا جل البلاد أحيا وأمشي * دائما في شجاعة للجلاد

فلتدومي عزيزة كل يوم * والهنا فيك رافلا يا بلادي

نشيـــد الجيـــش

للشاعر المرحوم محمد العلمي

يَـا جُنُـودَ الحقْ يَا رَمْـزَ الوَفَـاءْ، يَـا أُسُـودَ البَأْسِ في يَوْم الفِداءْ
رَمْزُكُـمْ فِي المُلْتَقَى حُسْنُ البَـلاءْ.. وَمِـنَ العَـرْشِ تُلَبُّـون النِّـدَاءْ !
أَنْتُـمْ نُسُـور المَعْركهْ، تُنَـشِّـطُـونَ الحَرَكَـهْ !
وَللجِـهَـادِ بَـرَكَـهْ فـي النَّهْضـة المُشتركـه

* * *

وَحِّـدُوا الصَّـفَّ وَسيـرُوا للأَمَـامْ، مـن وَرَاءِ القائدِ الشَّهْـمِ الإمَـامْ !
فَهُـوَ يَسْعَـى دائما نحوَ السَّـلاَمْ، وهْـوَ قَلْـبٌ عَيْنُـهُ لَيْسَتْ تَنَـامْ
فَلْتَهْتِفُوا عَاشَ الحَسَنْ ! عَـاشَ مُوَحِّـدُ الوَطَـنْ !
وَشَعْبُـهُ مَـدَى الزَّمَـنْ يَـرْعَى لَـهُ تِلْكَ المِنَنْ !

* * *

إنَّمـا الجَيْـشُ لَقَدْ صَـانَ بِـلاَدَهُ، وَمِـنَ العَـرْش لَقَدْ حَيِّى الرِّيَـاده
فَهْـوَ مَنْ أَكْمَـلَ لِلشَّعْبِ السِّيَـادَهْ فأثَـاب اللـه بالنَّصـر جِهادهْ !
لَقَـدْ تَوَحَّدَ الكِيَـانْ، وَاستَكْمَلَ الحِمَى المُصَانْ !
فالعـرْشُ رُوحٌ وَضَمَـانْ، وَالجَيْـشُ عُنْـوانُ الأَمَانْ !

الفهرس

مجموعة

الخطب الملكية والرسائل المولوية والأوامر اليومية

الموجهة إلى

وحدات القوات المسلحة الملكية

إعداد : عبد الحق المريني

1376 ـ 1398 هـ

1956 ـ 1978 م

بالمطبعة الملكية . الرباط

مجموعة

الخطب الملكية
والرسائل المولوية
والأوامر اليومية
التي وجهها إلى
وحدات القوات المسلحة الملكية

الجزء الثاني

إعداد : عبد الحق المريني

1398 : 1409
1978 : 1989

المطبعة الملكية



مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - 79.47.08/09/15





زنقة الرغاء حي يعقوب المنصور الرباط
الهاتف : 79 69 14/79 57 02
المعرض : 10 شارع الفضيلة — الهاتف : 79 69 38
الرباط — المملكة المغربية